



النقد العربي الثالث للتخمين الثقافي

البحث العلمي في الوطن العربي
مؤشرات التخلف... ومحاولات التميز

المعلوماتية

التواصل الثقافي العربي على شبكة الانترنت

حركة التأليف والنشر في العام 2009

ماذا قرأ العرب في العام 2009؟

المشهد الإبداعي العربي

الأدب، تجليات الرواية والشعر في العام 2009

السينما: هل من جديد في صناعة السينما العربية؟

المسرح: حركة المسرح العربي في العام 2009

الغناء والموسيقى: قضية الكلمة في الأغنية العربية

الحصاد السنوي

ما القضايا والتساؤلات التي تشغل بها العرب في العام 2009؟



المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا
ARAB SCIENCE & TECHNOLOGY FOUNDATION



النَّظْمُ الْعَرَبِيُّ الثَّالِثُ
لِلتَّحْقِيقِ الثَّقَافِيَّةِ

هذا التقرير برعاية

صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد

وريعه مخصص لصالح مؤسسة الفكر العربي

حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة الفكر العربي

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال من دون إذن خطي من مؤسسة الفكر العربي.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or any means without prior permission from Arab Thought Foundation.

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 1963 - 5



مؤسسة الفكر العربي

شارع المعرض، خلف الجامع العمري، الوسط التجاري

ص.ب.: 524 - 11 - بيروت - لبنان

هاتف: 00961 1 997100 - فاكس: 00961 1 997101

www.arabthought.org

info@arabthought.org

الآراء الواردة في هذا التقرير لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مؤسسة الفكر العربي

هيئة التقرير

الهيئة الاستشارية (أبجدياً)

- زياد الدريس - كاتب عربي، سفير المملكة العربية السعودية لدى منظمة اليونسكو في باريس (السعودية)
- شوقي عبد الأمير - خبير العلاقات الثقافية في اليونسكو (العراق)
- صالح بن عبد الرحمن العذل - أستاذ جامعي من السعودية، رئيس مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية سابقاً (السعودية)
- صميم الشريف - ناقد ثقافي (سوريا)
- عبدالإله بلقزيز - مفكر وأكاديمي (المغرب)
- غسان مراد - أستاذ المعلوماتية في الجامعة اللبنانية (لبنان)
- محمد الرميحي - كاتب وأستاذ جامعي (الكويت)
- محمد فرحات - إعلامي وشاعر (لبنان)
- وحيد عبد المجيد - كاتب، مدير مركز الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع (مصر)

هيئة تحرير التقرير

ملف البحث العلمي:

- معين حمزة - أمين عام المجلس الوطني للبحوث العلمية (لبنان)
- عمر البزري - أستاذ في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا (لبنان)
- نجيب عبدالواحد - أستاذ الميكانيك التطبيقي في جامعة حلب (سوريا)
- رمزي سلامة - مساعد رئيس جامعة القديس يوسف لضمان الجودة (لبنان)
- حسن الشريف - أستاذ محاضر في الجامعة الأمريكية في بيروت وفي الجامعة اللبنانية الأمريكية (لبنان)
- نبيل صالح - مستشار لمؤشرات البحث والتطوير في وزارة الدولة للبحث العلمي (مصر)
- رلى عطوي - منسقة مشاريع في المجلس الوطني للبحوث العلمية (لبنان)

ملف المعلوماتية:

- جمال غيطاس - خبير معلوماتية، رئيس تحرير مجلة لغة العصر (مصر)
- أبو الحجاج محمد بشير - صحفي في مؤسسة الأهرام - مجلة لغة العصر (مصر)
- ميرفت عبدالعزيز - صحافية في مؤسسة الأهرام - مجلة لغة العصر (مصر)
- ضياء حسني - صحفي في مؤسسة الأهرام - مجلة لغة العصر (مصر)

ملف حركة التأليف والنشر:

- محمد صابر عرب - رئيس الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (مصر)
- أيمن الصياد - مدير تحرير مجلة وجهات نظر (مصر)
- علي عقلة عرسان - كاتب وناقد (سوريا)
- عبدالحميد شبلي (مصر)
- ضحى عسيلة (مصر)

ملف الحصاد الثقافي:

- فخري صالح - رئيس جمعية النقاد الأردنيين (الأردن)

فريق التدقيق والمراجعة:

- محمد فرحات - إعلامي وشاعر
- أحمد فرحات - مؤسسة الفكر العربي
- رفيف رضا صيداوي - مؤسسة الفكر العربي
- ثناء عطوي - مؤسسة الفكر العربي
- تغريد السميري - مؤسسة الفكر العربي
- ريم كوثراني - مؤسسة الفكر العربي

مساعدة لوجستية:

- ريم كوثراني - مؤسسة الفكر العربي
- علا ماجد - مؤسسة الفكر العربي

منسق التقرير:

- سليمان عبدالمنعم - أمين عام مؤسسة الفكر العربي



مقدمة

رئيس مؤسسة الفكر العربي

صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل

يسعد مؤسسة الفكر العربي أن تقدّم تقريرها العربي (الثالث) الذي يغطي واقع التنمية الثقافية في أكثر من 18 دولة عربية، والذي حظي في نسختيه السابقتين باهتمام الأوساط الإعلامية والثقافية وتقدير نعتز به من كبار المسؤولين في الوطن العربي.

ولعلّه من حسن الطالع أن يتواكب صدور هذا التقرير (الثالث) مع مبادرة مؤسسة الفكر العربي بالدعوة لعقد قمة ثقافية عربية. نأمل أن يسهم هذا التقرير بما يتمخض عنه من نتائج بالإضافة إلى توصيات اللقاء التحضيري للقمة الثقافية الذي شرفت بتنظيمه مؤسسة الفكر العربي في تعميق النقاش وطرح الرؤى بشأن القضايا التي يمكن اقتراحها على جدول أعمال القمة المرتقبة.

والمؤسسة إذ تحتفل هذا العام باكتمال عقدها الأول فإنها تسعى وتأمل في الوقت ذاته أن يصبح هذا التقرير السنوي إيذاناً بمشروع نهضوي عربي طالما دعونا إليه يبدأ من التعرف على واقعنا ورصد سلبياته كما إيجابياته ليكون ذلك سبيلاً إلى تقديم رؤية للمستقبل تتطلق من معرفة واعية وأمانة بالحاضر.

إن ما يحتويه تقرير هذا العام من مؤشرات ودلالات سلبية لا يمنع أن هناك مبادرات وأعدة ومحاولات جادة في العديد من بلداننا للحاق بركب التقدم العالمي. لهذا نؤمن أن خطاب المراجعة لا يجب أن يسرف في جلد الذات، وأن هذا الخطاب على أهميته يحتاج لخطاب آخر مواز هو ما نسميه خطاب الأمل.

نأمل أن يسهم هذا التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية - ولو في بعض جوانبه - في إشاعة خطاب الأمل على امتداد وطننا العربي الرحيب.

وفق الله كل أصحاب الجهود المخلصة لرفعة أمتنا وتحقيق خير الإنسان في كل مكان.



هذا التقرير ...

أمين عام مؤسسة الفكر العربي - منسق التقرير

سليمان عبد المنعم

حين تصدّت مؤسسة الفكر العربي منذ ثلاث سنوات لإصدار أول تقرير عربي، بتمويل عربي لرصد واقع التنمية الثقافية في دول الوطن العربي، كان هدفها، وما زال، أن تؤسّس لمشروع معرفي تسهر عليه بأناة وصبر ودأب. وكانت وسيلتها أن تهيء - كما عبّر صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس المؤسسة - الزمان والمكان لأصحاب الرؤى والأفكار لكي يقدموا رؤيتهم على طريق استنهاض قدرات الأمة. استنهاض يتأسس على المعرفة ومراجعة الذات.

يجيء هذا التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية على غرار منهجية عمل التقريرين السابقين مختلفاً عنهما في المضمون. فمن حيث المنهجية مازال تقرير هذا العام يسعى لرصد وتقصي واقع التنمية الثقافية في دول الوطن العربي من خلال التركيز - بمنطق ترتيب الأولويات - على أهم مقوماتها المتمثلة في: التعليم، والبحث العلمي، والمعلوماتية، وحركة التأليف والنشر، والإبداع بمختلف تجلياته في مجالات الأدب (السردي والشعري)، والمسرح، والسينما، والموسيقى، بالإضافة إلى توثيق سنويّ للحصاد الثقافي والفكري لما شغل العرب من قضايا وتساؤلات في مؤتمراتهم وملتقياتهم وإعلامهم. يكتسب تقرير هذا العام - كما التقريرين السابقين خصوصيته من إتباع منهجية الرصد والتشخيص التي تعتمد على الرقم والمعلومة والإحصاء والتوثيق كضرورة تسبق المعالجات الأخرى التي تنطلق من التأصيل والتنظير والنقد والاستشراف، وهي مستويات معرفية نؤمن بأهميتها لكن نرى أنها تأتي - ويجب أن تأتي - لاحقة على المعرفة المجردة التي تسبق بدورها كل رأي.

لدينا في عالمنا العربي الكثير من فكر «التأصيل والتنظير» الذي يحتاج بالضرورة إلى فكر «الواقع والتفصيل». الثاني يمنح الأول المعرفة التي تتيح له القدرة على الاستشراف واقتراح الحلول. إذ من الصعب تقديم حل ناجع لقضية لم يحسن طرحها أو لم تتوافر المعلومات عنها. من هنا كنا نعتقد - ونأمل في الوقت ذاته - أن يكون هذا التقرير السنوي محرّضاً على إجراء رؤية «جديدة» للواقع العربي تبدأ من الإحاطة بكل جوانب واقعنا المعرفي في التعليم، والبحث العلمي، والمعلوماتية، وحركة التأليف والنشر، والتعرف إلى حجم منجزنا الإبداعي السنوي بالرقم والإحصاء والتوثيق في الأدب والسينما والمسرح والموسيقى.

ربما نكتشف أن حالنا المعرفي يقدّم من الأرقام والمعطيات والحقائق ما هو بعيد عن الانطباعات والمجردات التي يزخر بها «فكر التأصيل والتنظير». لكن علينا الاعتراف بأن منهجية عمل هذا التقرير لم تكن دائماً يسيرة ولا مفروشة بالورود. فالبحث عن الرقم في عالمنا العربي مهمة عسيرة في ظل غياب ثقافة مؤسسية وبنية تشريعية تكرسان الحق في الحصول على المعلومات وتداولها في إطار واجب من حماية المعلومات المتعلقة بالأمن الوطني والمصالح العليا للدولة. ولئن كانت الملفات التي تضمّنها هذا التقرير قد خضعت لمراجعة

من مؤلفيه أعضاء هيئة التحرير ومن أعضاء الهيئة الاستشارية وجميعهم من الثقافة المجيدين في مجال تخصصهم، ثم من فريق المراجعة والتدقيق في مؤسسة الفكر العربي... فالأمر لم يخلُ من صعاب ومشاق. وهو ما يوجب علينا أن نكرّر دعوتنا السابقة إلى ضرورة بذل الجهود العربية وتنسيقها بغية توفير قاعدة بيانات عربية ذات حدّ أدنى من الشمول والمصداقية. ولعلّه يبدو غريباً أن مئات الجداول والإحصاءات التي تضمّنها هذا التقرير كانت ذات مصدر أجنبي. فأكثرية الأرقام التي تقدّمها ملفات تقرير هذا العام - باستثناء ملف الإبداع - عن واقع المعرفة والثقافة في بلداننا إنما تنسب لجهات ومؤسسات أجنبية مثل البنك الدولي، واليونسكو، والاتحاد الدولي للاتصالات، والمنتدى الاقتصادي العالمي، والمنظمة العالمية للملكية الفكرية، وهو أمر لا نملك معه سوى التساؤل عن دور مؤسساتنا الوطنية العربية المعنية بتوفير المعلومات والأرقام عن ملفات وقضايا عربية!



أما عن مضمون تقرير هذا العام فهو يختلف عن تقريرَي العامين السابقين. إذ يتضمّن هذا التقرير - وللمرة الأولى - ملفاً حول البحث العلمي في العالم العربي: مؤشرات التخلف ومحاولات التميز. وهو ملف لا يقتصر فقط على معالجة قضية البحوث العلمية والابتكار في العالم العربي، وهي القضية الأكثر إثارة للانتباه، بل يعالج قضيتين أخرتين على درجة بالغة الأهمية وهما دور البحث العلمي في الإبداع والتنمية، ولا سيما على صعيد المردود المجتمعي والاقتصادي للمعرفة العلمية ووضع الصناعات العربية ومدى استيعابها للإبداع. والأرقام في هذا الخصوص تبدو لافتة وجديرة بالانتباه: فعلى صعيد براءات الاختراع يتّضح أن عدد البراءات العربية المسجلة عالمياً بين 2005 و 2009 لم تتجاوز 475 براءة اختراع بينما بلغت في ماليزيا وحدها 566 براءة اختراع. وإذا اعتبرنا أن عدد سكان العالم العربي يبلغ نحو 330 مليون نسمة وعدد سكان ماليزيا حوالى 26 مليون نسمة، فإن معنى ذلك أن هناك براءة اختراع واحدة لكل 694 ألف عربي بينما تسجل براءة اختراع واحدة لكل 46 ألف ماليزي! أي أن معدل الإبداع في ماليزيا يزيد 15 مرة عن معدل الإبداع في الدول العربية مجتمعة!

أما على صعيد عدد الباحثين لكلّ مليون نسمة وفقاً للأعداد المتاحة الموثقة في بلد كمصر فإنه يتبيّن وجود 650 باحثاً مصرياً لكلّ مليون نسمة (وهو من أعلى المعدلات العربية) بينما في كوريا الجنوبية يوجد حوالى 4600 باحث لكلّ مليون نسمة، أي أكثر من المعدل المصري بثمانٍ مرات! وعلى صعيد الموارد المخصّصة للبحث العلمي بالنسبة لإجمالي الدخل القومي فإن المتوسط العربي (باستثناء السعودية وقطر وهما من أعلى الدول العربية إنفاقاً على البحث العلمي) لا يتجاوز 0.2 % بينما يبلغ في السويد واليابان وفنلندا حوالى 3.4 % ، أي أن دولة من هذه الدول تنفق على البحث العلمي 15 ضعفاً ممّا تنفقه الدول العربية.

ولا تخلو هذه المقارنات لحسن الحظ من بعض المؤشرات الإيجابية فوفقاً لمؤشر تميز وكفاءة مراكز البحوث والتطوير العربية تأتي تونس وعمان وقطر والكويت والسعودية في المراكز الـ 52 الأول من بين 127 دولة في العالم بحسب تقرير المنتدى الاقتصادي العالمي (2007 - 2008).

ولئن كان لا يمكن فصل قضية البحث العلمي في دول الوطن العربي عن دور الجامعات العربية، فإن تقرير هذا العام يعرض بالرقم الموثق والمعلومة المكانية البحثية للجامعات العربية ويسلط الضوء في الوقت ذاته على

معوّقات البحث العلمي في الجامعات، وهي قضية كثر الحديث عنها في السنوات الأخيرة. ففي أحدث تصنيف معلن لجامعة «شنغهاي» (2010) سجّلت جامعتان عربيتان فقط اختراقاً مميّزاً لقائمة أفضل جامعات العالم، فوردت جامعة الملك سعود من ضمن مجموعة 301 - 400 جامعة بينما وردت جامعة الملك فهد للبترول والمعادن من ضمن مجموعة 401 - 500 جامعة شملها مؤشّر شنغهاي العالمي. أما في تصنيف مجلة «تايمز» البريطانية فقد جاءت جامعة الإسكندرية في المرتبة الـ 149 من بين مائتي جامعة.

ولئن كان دور أيّ جامعة في دعم البحث العلمي يقاس بعدد الأبحاث العلمية لأساتذتها في المجالات العلمية العالمية، فإن ترتيب الجامعات بناءً على الأبحاث المنشورة في الدوريات المفهرسة عالمياً في مجموعة (SCOPUS - ELSEVIER) يظهر أنه من بين 2124 جامعة ومركز أبحاث موزعة على جميع أنحاء العالم لا يوجد سوى 23 جامعة عربية فقط (أي حوالي 1 %) منها 11 جامعة في مصر و 4 في السعودية، وجامعتان في كل من الأردن والإمارات، وواحدة في كل من الكويت ولبنان وسلطنة عُمان والسودان، بينما غابت عن هذه اللائحة جامعات عربية عريقة ذات قدرات بحثية وبشرية عالية مثل سوريا والمغرب والجزائر وتونس والعراق. ومن مراجعة ترتيب الجامعات بحسب الأبحاث المنشورة لأساتذتها وفقاً لمجموعة (SCOPUS - ELSEVIER) يتضح أنه يوجد في إسرائيل وحدها ست عشرة مؤسسة جامعية أو بحثية ما بين الألف الأول في العالم في مقابل خمس مؤسسات جامعية لكلّ الدول العربية مجتمعة!

وعلى الرغم ممّا يوحي به مشهد البحث العلمي من قتامة في الحاضر العربي، هناك محاولات واعدة تجسّدها مراكز التميّز التي أنشأها بعض الدول العربية مثل مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية التي ظهرت في ثمانينيات القرن الماضي، وجامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية التي افتتحت في العام 2009 والمزودة بحاسوب عملاق يمكنه إجراء 222 تريليون عملية حسابية في الثانية الواحدة. وفي مصر توجد مدينة مبارك للبحث العلمي، وفي أبو ظبي تمثّل مدينة مصدر جيلاً متقدماً من مدن التقنية على الصعيد العالمي. كما أنشئ بعض حاضنات الأعمال وما يعرف بحداثق العلم والتقنية في أكثر من بلد عربي لتستقطب شركات عالمية ناجحة وتوفّر الكثير من فرص العمل مثل القرية الذكية في مصر (12000 عامل) وحديقة الغزالة التونسية والدار البيضاء المغربية (1400 عامل في كل منهما) وهناك حديقة جدة للتقنية الحيوية (بيوستي) وهي في طور الإنشاء حالياً، ووادي الرياض للتقنية. وفي قطر أطلق مركز السدرة للبحوث الطبية الذي رُصد لتشيوهه 8 مليار دولار أميركي وينتظر أن يبدأ العمل به في 2012. ولعلّ التحدي الذي تطرحه هذه المراكز والحاضنات التي بدأت تنتشر في أكثر من بلد عربي هو كيفية توظيفها على النحو الأمثل بعيداً عن شبك البيروقراطية الإدارية لكي تحقق الآمال المعقودة عليها من خلال الاستفادة من التجارب العالمية المشابهة التي حققت نجاحاً في هذا المضمار.



لئن كان أحد التحديات الحضارية التي يواجهها العالم العربي هي كيفية تطويع اللغة العربية في مجال البحث العلمي وتعظيم استخدامها، فإن رصد واقع لغة الضاد على شبكة «الإنترنت» يقدم مجموعة دلالات هامة تستحقّ النقاش والتأمل. وتظهر إحصائيات حديثة تدني محتوى الإنترنت من الصفحات باللغة العربية التي لا تتجاوز نسبتها الواحد في الألف من تعداد الصفحات الإجمالي على الشبكة العنقودية. لكن ما يبعث

على التفاؤل هو التزايد الملحوظ في عدد مستخدمي اللغة العربية على شبكة «الإنترنت»، وهو الأعلى من مجموعة اللغات العشر الأولى على الشبكة، والذي بلغ 2300 % خلال الفترة 2000 - 2009. ومن الجدير بالتنويه أن نسبة مستخدمي «الإنترنت» من المتكلمين بالعربية تبلغ 3.3 % من إجمالي مستخدمي «الإنترنت» بكل اللغات. وهي نسبة تزيد على تلك الخاصة بمستخدمي «الإنترنت» من المتكلمين بالفرنسية والتي تبلغ 3.2 % من إجمالي مستخدمي الإنترنت في العالم.

لكن مازال هناك تحديات كبيرة تعيق توظيف التقنية الرقمية في التعامل مع اللغة العربية مثل التلكؤ في اعتماد رموز موحدة للحروف العربية والالتزام الدقيق بحركاتها إذ لم يتسنّ للدول العربية منذ ستينيات القرن الماضي تبني رموز موحدة لحروف العربية وحركاتها تمهّد لتعامل تقنية المعلومات مع اللغة العربية ونصوصها بصورة مجدية. كما لا يوجد نظام للإعراب الآلي والنظم المستخدمة حالياً تعتمد على تخزين أنماط الخطأ النحوي على صورة سلاسل من الكلمات المتعاقبة. أما على صعيد محركات البحث مثل «غوغل» فهو لا يراعي الخصائص البنوية للكلمة العربية؛ كما لا تخلو برامج الترجمة الآلية من وإلى اللغة العربية من صعوبات. الأمر كله يكشف في ظلّ هذا الواقع إلى حاجة عربية ملحة لدعم جهود تطوير استخدام اللغة العربية على شبكة «الإنترنت».

ولعلّ واقع البحث العلمي في دول الوطن العربي يطرح في مشهده الأشمل قضية هجرة الأدمغة العربية إلى الخارج التي تمثل نزيفاً حقيقياً في العقل العربي. فالأرقام تظهر أن 54 % من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلادهم، وأن 34 % من الأطباء الأكفاء في بريطانيا ينتمون إلى الجاليات العربية وأن مصر وحدها قدمت في السنوات الأخيرة نحو 60 % من العلميين العرب والمهندسين في الولايات المتحدة الأميركية. كما شهد العراق هجرة حوالى 7300 عالم تركوا بلدهم بسبب الأحوال السياسية والأمنية. وإجمالاً فإنه منذ العام 1977 وحتى الآن هاجر أكثر من 750,000 عالم عربي إلى الولايات المتحدة الأميركية. السؤال الآن هو كيف يمكن الحدّ من ظاهرة هجرة الأدمغة العربية وما هي سبل تحفيز العلماء العرب على العودة لبلدانهم؟ والسؤال الآخر الأكثر أهمية وربما عقلانية هو: هل من رؤية واقعية تمكّننا من الاستفادة من ظاهرة هجرة الأدمغة بدلاً من الاكتفاء بشجب آثارها السلبية، وذلك من خلال فتح قنوات للتعاون مع هؤلاء العلماء العرب المغتربين في الخارج؟



أمّا عن ملف التواصل الثقافي العربي عبر شبكة «الإنترنت» فهو يعالج قضية هامة وملحة تتعلق بالمحتوى الرقمي العربي وكيفية إدارته والتواصل من خلاله. فهذا التواصل الثقافي الرقمي يتيح عملياً فرصاً لا محدودة في مجال التنمية الثقافية، إذ يُمكن المبدعين ومنتجي الثقافة عموماً من بلوغ أفاق رحبة في مجال إنتاج الوعي الثقافي بقدر ما يتيح لملتقي الثقافة ومستهلكيها فرصاً غير محدودة أيضاً في الحصول على المنتجات الثقافية فور إبداعها إذا كانت جديدة والوصول إليها بسهولة ويسر ولو كانت قديمة مضى عليها مئات السنين.

والأرقام والمؤشرات التي يتضمنها هذا الملف تبدو مثيرة بكل معنى الكلمة وتكشف عن دلالات لا تخطئها العين: فبينما تحتل كتب «الطبخ» التي يتواصل معها العرب على شبكة الإنترنت مركز الصدارة بنسبة 23 %

من إجمالي كل أنواع الكتب الأخرى فإن المتبقي مازال هو أحد أكثر الشعراء العرب المطلوبين على شبكة الانترنت إذ يأتي في المرتبة الثانية مباشرة بعد نزار قباني! أما الكتب التي حققت أكثر معدل بحث على شبكة الإنترنت في العام 2009 فيتصدرها كتاب صحيح البخاري ثم لسان العرب فرياض الصالحين وصحيح مسلم ونهج البلاغة وفقه السنة! وبلغ معدل البحث على شبكة الإنترنت عن الثقافة الإسلامية (8270) عملية بحث شهرياً قبل البحث عن الثقافة العلمية (3620) والتعليم (2880) والطبيعة (2620) والتربية (1980) والسياسة (1900)!!

ويكشف لنا ملف التواصل الثقافي الرقمي عن أنه في مجال تحميل محتويات رقمية على شبكة الإنترنت قام العرب في العام 2009 بتحميل نحو 43 مليون فيلم وأغنية بينما قاموا بتحميل ربع مليون كتاب فقط! كما بلغت عمليات البحث التي قام بها العرب في العام 2009 على شبكة الإنترنت عن المطرب تامر حسني ضعف عمليات البحث التي قاموا بها عن نزار قباني والمتبني ونجيب محفوظ ومحمود درويش مجتمعين!! لكن هذا الاستقطاب العربي الحاد على شبكة الإنترنت ما بين البحث عن الدين أو الاهتمام بالأغاني والأفلام لم يمنع القضايا العربية القومية الكبرى من إثارة الانتباه، فقد بلغ متوسط عمليات البحث الشهري التي قام بها العرب عن قضية فلسطين نحو 7 ملايين و 445 ألف عملية بحث لتستأثر القضية الفلسطينية وحدها بنسبة 46.6 % من اهتمام العرب بمجموعة القضايا العربية العامة. أما قضية الوحدة العربية فكان نصيبها من عمليات البحث على شبكة الإنترنت 333 عملية بحث في المتوسط شهرياً أي ما يمثل واحداً في الألف من إجمالي القضايا العربية التي يبحث عنها العرب!

وبصرف النظر عما تثيره الأرقام والمؤشرات السابقة من جدل، فالأمر المؤكد أن السلوك البحثي لجمهور «الإنترنت» العربي أظهر في كثير من الأحيان قدراً من الشغف العام بالثقافة وحمل في طياته نواة جيدة لتواصل ثقافي نوعي يتسم بالتخصص. واللافت في توجهات الجمهور العربي على الإنترنت غياب النزعة القطرية أو الشوفينية والميل نحو ما هو عربي عموماً، ففي 97 % من عمليات البحث على الإنترنت كان البحث يتم عن ما هو عربي مشترك وليس قطرياً. ولعل ما يتضمّنه هذا الملف في نهايته من تأصيل لنقاط القوة ونقاط الضعف في التواصل الثقافي العربي على شبكة الإنترنت ما يفتح الباب لدراسات مستقبلية ستفيضه في هذا الخصوص.



ويقدّم ملف الإبداع في هذا التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية رصدًا لأهم تجلياته الأدبية والمسرحية والسينمائية والغنائية خلال العام 2009. ففي المشهد الأدبي مازال فنّ الرواية العربية يواصل حقبة ازدهاره التي بدأت منذ نحو عقد من الزمان، حيث نشر ما يزيد على الثلاثمئة رواية تقدم إلى خوض تجربتها المدهشة شعراء ومسرحيون، وفي المقابل بدا الشعر العربي في العام 2009 مفتقراً إلى المتابعة النقدية، فضلاً عن تراجع قراءة ومريديه، وبين الرواية المزدهرة والشعر الخافت بدا فنّ القصة القصيرة مغترباً لدرجة أن تحدّث البعض عن «موت» القصة القصيرة!

وكان أكثر الأحداث الأدبية إثارة في العام 2009 فوز رواية عزازيل للمصري يوسف زيدان بجائزة البوكر العربية، وقد أثار اختيار هذه الرواية بالنظر لخلفتها الدينية حالة من الجدل الشديد. وبدأت الرواية

الخليجية رحلة تأكيد الذات حيث طالبت مؤتمرات روائية في السعودية والإمارات والكويت بإقامة تجمع للرواية الخليجية. ومازال السجال دائراً في القاهرة بين قصيدة النثر وقصيدة التفعيلة في مهرجانين شهدهما العام 2009. وتوجت فرنسا شاعراً عن شعره المكتوب بالفرنسية فمُنحت جائزة غونكور الشعرية الفرنسية إلى الشاعر المغربي عبداللطيف اللّبي. وأصدرت مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين في 25 مجلداً. وانعكست الأوضاع السياسية والأمنية في العراق على إبداع شعراء بلد الرشيد فأثروا المنفى حاملين أشجانهم ليكتبوا الشعر بلغات أوطانهم البديلة. وفي المقابل سعى آخرون إلى استعادة ذاكرة الوطن البعيد فقام كتاب عرب يعيشون في الولايات المتحدة بتشكيل تجمع أدبي للكتاب العرب الأمريكيين.

ومازال الأدب النسوي يثير تساؤلاته ويبحث جاهداً عما يسميه خصوصيته ويصدر توصياته في مؤتمر حول الحرية في الأدب النسائي ومن بينها الدعوة لتخصيص جائزة للإبداع والنقد النسويين. وفي المشهد السينمائي ما زال ضعف الإنتاج السينمائي في الوطن العربي هو الملاحظة الأبرز؛ إذ تسيطر السينما الأجنبية عموماً والسينما الأميركية على وجه الخصوص على سوق الأفلام المعروضة في الدول العربية. فالسينما الأميركية والهندية والأوروبية تستأثر بنسبة 87 % من إجمالي الأفلام السينمائية المعروضة في العالم العربي بينما لا تمثل السينما العربية سوى 11 % (منها 8 % للسينما المصرية) و2 % لسينما البلدان الأخرى. أما إيرادات دور العرض السينمائي في الدول العربية فما زالت متواضعة وفقاً لأرقام العام 2009، إذ بلغ إجمالي هذه الإيرادات في 18 دولة عربية 211 مليون دولار أميركي تتصدرها الإمارات (75 مليون دولار) تليها مصر (55 مليون دولار) ثم الكويت (20 مليون دولار) والبحرين (17 مليون دولار). أما الملاحظة الأخرى فهي التواضع الشديد في عدد دور عرض السينما العربية التي لم يزد عددها عن 1200 دار عرض سينمائي في دول العالم العربي البالغ عدد سكانها نحو 330 مليون نسمة.



وعلى صعيد المشهد الغنائي فإن جملة من الملاحظات والتساؤلات ما زالت تفرض نفسها منذ سنين بل منذ عقود. ولعل معظم هذه الملاحظات والتساؤلات يتعلق بقضية الكلمة في الأغنية العربية. فقد غاب الشعر عن الأغنية؛ ولم تتوقف الشكوى من تراجع مستوى اللغة وجماليات التعبير في الأغنية العربية وبدت الركافة وربما القبح أحياناً سمة للعديد من كلمات الأغنيات التي شهدها العام 2009 وذلك تحت ذرائع مسايرة العصر وتغيير الأذواق وتجاوب الشباب. ودخلت شركات الإنتاج الفني - بمعاييرها المثيرة للجدل وسعيها الدؤوب إلى الربح - طرفاً مؤثراً في المشهد الغنائي ومتهما بالهبوط بالذائقة الغنائية للجمهور العربي. وفي الأحوال كافة ما زالت أسئلة عديدة تتكرر: هل المطرب والشاعر والملحن هم الذين يفرضون ذائقة الجمهور أو أن الجمهور هو الذي يفرض ذائقته عليهم؟ هل أطراف صناعة الأغنية العربية هم الذين تغيروا وتدنوا بمعاييرهم أو أن الواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي هو الذي تغير في بلاد العرب فقاموا هم فقط بالتعبير عنه؟ وماذا عن حقيقة أن الأغنية العربية ما زالت تدور في كلماتها حول موضوع وحيد يحتكرها ويستأثر بها لا يخرج عن دائرة الحب والعاطفة والهجر والخصام بينما الحياة زاخرة بآلاف القضايا والموضوعات

الإنسانية الأخرى الجديرة بالغناء لها؟ وفي النهاية لماذا نحن الأمة الوحيدة التي لا تغني بلغتها المكتوبة فتتوحش العامية وتزحف على لغتها الفصحى؟
يقدم ملف الإبداع الغنائي رسداً لهذه التساؤلات وسعيًا للإجابة عليها، ولاسيما في ظلّ المقارنة التي تفرض نفسها بين ما يعتبره كثيرون العصر الذهبي للأغنية العربية وبين ما هو حاصل الآن. وي طرح الملف بعض تجليات أزمة الغناء العربي الراهن مثل توقف تدفق نهر الغناء الكلاسيكي، وانقطاع تواصل الأجيال بين المبدعين، وتسليع الثقافة الموسيقية والغنائية، وتراجع الغناء بالعربية الفصحى، وتضاؤل ما ينتج من أغنيات للطفل والأم والوطن والطبيعة وقضايا الأفق الإنساني الواسع.



يتضمن هذا التقرير ملفاً خامساً وأخيراً حول ما أسميناه الحصار الثقافي والفكري في العالم العربي خلال العام 2009. ويعنى هذا الملف برصد التساؤلات والقضايا الثقافية والفكرية التي انشغل بها العرب في مؤتمراتهم وملتقياتهم ودورياتهم الثقافية في العام المنصرم. وسوف نلاحظ أن التساؤلات ذاتها ما زالت تتكرر في العالم العربي حول قضايا الهوية والمواطنة والديمقراطية والعملة والعلاقة مع العالم الغربي، والتراث، وتجديد الفكر الإسلامي. ولربما اقتحم هذا السجل المتكرر بعض القضايا القليلة الجديدة التي بدأت تثير الانتباه مثل قضية اللغة العربية التي تشهد تراجعاً منذراً بالأزمة، ولاسيما لدى النشئ والشباب، وقضية الإعلام العربي في زمان تقنية المعلومات، ولاسيما مع انتشار الإعلام الإلكتروني البديل سواء في صورة المدونات أم غيرها. ظاهر الحال يوحي إذاً أننا ما زلنا ندور حول القضايا والإشكاليات ذاتها ولم نخرق بعد بما فيه الكفاية أسئلة المعرفة الحقّة التي صنعت حركة التقدم الإنساني المعاصر.



لعلّ هذا التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية يسهم بما يتضمنه من معطيات ومؤشرات حول الواقع الثقافي العربي في تقديم إجابة عن تساؤلين هامين:
أولهما: كيف السبيل إلى إدماج المكوّن المعرفي وتعظيم دوره في أيّ مشروع ثقافي عربي لكي يصبح التعليم والبحث العلمي وحركة التأليف والمعلوماتية بني تحتية وشروطاً مفترضة للارتقاء بالإبداع الذي هو الجوهر المخبوء لكل تنمية بشرية؟

ثانيهما: كيف يمكن توظيف ما تضمّنه التقرير والبناء عليه لاستشراف المستقبل واقتراح مجموعة من البرامج وخطط العمل تنقلنا من فكر التنظير إلى فكر التدبير؟
لربما كانت إجابة السؤال الأول تقع بالأساس على عاتق مفكري الأمة ومتقفيها وخبرائها بينما إجابة السؤال الثاني تكمن لدى صنّاع القرار. وفي الحالتين نرجو أن يكون هذا التقرير إضافة ولو متواضعة لكل الجهود المخلصة الأخرى التي يقوم بها غيرنا بهدف مراجعة الذات واستنهاض القدرات.. فربّ همة أحييت أمة...

البحث العلمي في الوطن العربي
مؤشرات التخلف .. ومحاولات التميّز

المعرفة مورد استراتيجي لتحقيق النموّ

البحوث العلمية والابتكار في العالم العربي

- مؤشرات البحوث العلمية ونواتجها

البحث العلمي في الجامعات العربية

- الجامعات "مشتل" بشري للبحث العلمي
- واقع البحث العلمي: تقصير على أكثر من صعيد

دور البحث العلمي والإبداع في التنمية

- البحث العلمي في قلب تحديات التنمية

البنى المؤسسية الجديدة لبناء القدرات العلمية العربية "حدائق التقنية ومراكز التميز"

- سبل مبتكرة لحل معضلات التنمية
- نحو سياسة لدعم مراكز التميز العلمي

اللغة العربية والفجوة التقنية

- تجسير الفجوة بين "العربية" والحاسوب
- تقنية المعلومات في خدمة اللغة العربية: أوجه التطوير

آليات جديدة لدعم البحوث العربية

- ترابط البحث العلمي في الإطار العربي والدولي

من هجرة الأدمغة إلى بناء مجتمعات الشتات المعرفية

- ناقوس خطر ما زال يدق
- الاستفادة من علماء المهجر.. كيف السبيل؟

المعرفة مورد استراتيجي لتحقيق النمو

آسيا الشرقية وأميركا اللاتينية، من خلال سياسات تعليمية موجهة ومبنية على مهارات الرياضيات والعلوم والتكنولوجيا والاقتصاد التي لا غنى عنها من أجل النجاح في بناء اقتصاد المعرفة.

ترافق ذلك مع نزوح متزايد لمفهوم الاقتصاد المرتكز على المعرفة لدى الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، حيث أصبحت المعرفة بمثابة المورد الاستراتيجي الأساس لتحقيق النمو، وتحوّلت ديناميكية الاقتصاد الجديد نحو الاعتماد على رأس المال الفكري المبني على التعلم وتوليد المعرفة. وقد أدى التغيّر التكنولوجي المتسارع إلى بلورة دور الابتكار كعنصر أساسي في تحقيق النمو الاقتصادي، وكأحد أهم العناصر التي تتطلّع كل مؤسسة إلى بلوغها بهدف الحفاظ على الروح التنافسية في العمل وتطوير مستوى الإبداع، في مناخ اجتماعي ملائم ومحفّز على روح المبادرة، من ضمن ثقافة تسودها الحرية الاقتصادية والفكرية.

تبوّأت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات دوراً محورياً في زيادة **درجة الوصل** Degree of Connectivity بين صنّاع المعرفة ووكلائها ومستثمريها من الجامعات ومراكز البحوث والأفراد والمؤسسات والشركات، الأمر الذي أدّى إلى تغيّر جذري في قواعد اللعبة وساعد على تعميم المعرفة بتكثيف منابعها، وأعداد متلقّيها، وانتشار قواعدها في كل قطاع، ممّا

منذ انطلاق الثورة الصناعية في منتصف القرن الثامن عشر وانتشار نواتجها في أرجاء العالم، ساد الاعتقاد، ولأمد قريب، بأن النمو الاقتصادي لأيّ مجتمع هو نتيجة مباشرة للتفاعل بين رأس المال والعمل. إلا أن هذا المفهوم المحدود للتطوّر قد تغيّر، فمنذ منتصف القرن الماضي، دخل على الحياة الاقتصادية لكل مجتمعات الدول الغنية والفقيرة منها على السواء، عامل إضافي يفوق عنصر رأس المال والعمل وزناً وأهمية، هو الابتكار.

والحقيقة فإن أكثر العوامل أهمية هي الموارد البشرية العاملة وكفاءتها المهنية والعلمية، واحترافية مؤسساتها وتطلّعها المستمر إلى التميّز والإبداع وابتكار التكنولوجيات المفيدة، وبناء الشراكات العلمية العابرة للحدود، وإنشاء الشركات وخلق فرص العمل جزيلة الأجر، واستقطاب ألمع العلميّين والخبراء من مختلف أرجاء العالم وتوفير تقديمات علمية ومادية مغرية يصعب مقاومتها أو تجاهلها حتى من أبناء العالم النامي. وقد تمّ بلوغ هذه الأهداف في الدول الغربية ولاحقاً في مناطق أخرى من

الابتكار محرّك الاقتصاد العالمي

إطار 1

يمثّل الابتكار سرّ الريادة الاقتصادية لأميركا وأوروبا الغربية وأساس قوتها التنافسية في الاقتصاد العالمي. فالاستثمار الحكومي والتزام القطاع الخاص بتمويل البحث العلمي، واحترام الملكية الفكرية والمعايير الأكاديمية في التوظيف والترقية، ووجود رؤوس الأموال الفعّالة والمبادرة، هي من بين الأسباب التي كانت وراء تفوّق الغرب في تحويل الأفكار الجديدة إلى مشروعات تجارية ناجحة لعقود من الزمن.

ما زالت تعيق تواجد هذه اللغة واستثمارها على الشبكة. وبالمقابل فإن مستقبل تقنية المعلومات والاتصالات يتيح فرصاً ثمينة لمعالجة متطورة للمحتوى العربي على الإنترنت ولتوسيع ونشر آليات اكتساب المعرفة وإنتاجها.

اقتصاد المعرفة

تتجه منظومات البحث العلمي في العالم إلى الاعتماد أكثر فأكثر في علاقاتها البيئية على إقامة شبكات ترابط في ما بينها. ويعود أصل هذا التوجه إلى الاعتماد المتزايد للاقتصاد على العلم وتقنياته، وإلى الحاجة المتزايدة لتداول المعرفة والتشارك في إنتاجها عبر شبكات الترابط هذه، لدرجة أن الاقتصاد القائم على المعرفة بات يوصف في كثير من الأحيان بأنه اقتصاد "شبيكي". إن ما يضمن فاعلية هذه الشبكات المعرفية وجود شراكات بين مختلف الجهات المعنية بتوليد المعرفة واستثمارها، وما يزيد من أهميتها دورها الحيوي والفاعل في تحويل المنظومة الوطنية للعلوم والتقانة إلى منظومة وطنية للابتكار، لاسيما أن لتكنولوجيا المعلومات دوراً محورياً في تطوير كفاءة التكنولوجيا وتسهيل توطئتها وتعزيز الاتصال وبناء الشبكات المحلية والإقليمية والدولية. وبما أن اللغة العربية هي الضامن الأساسي لفعالية التشبيك ونقل المعلومات وتبادلها وإثرائها بين أبناء المجتمع العربي، فقد ازداد الاهتمام بمعالجة العقبات اللغوية والتقنية التي تعيق استخدام اللغة العربية بالصورة الأمثل في التواصل عبر الشبكة وعلى المواقع الإلكترونية، بهدف إعطاء اللغة العربية حقها بمواكبة التطور الهائل الذي تشهده تقنيات المعلومات وتطبيقاتها.

وفي البلدان العربية تبرز الحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى تشبيك الباحثين والمؤسسات

دفع الشركات، في لهثها وراء الابتكار، لأن تبحث عن مبتغاها بعيداً عن قواعد إنتاج المعرفة "التقليدية"، سعياً لتحسين نوعية وجودة منتجاتها وعملياتها التصنيعية والتسويقية المرافقة، فضلاً عن كلفتها. وفي السياق نفسه تولد إجماع عالمي، قلّ نظيره، على أن الابتكار التكنولوجي هو نتيجة "حتمية" و"ممكنة الحدوث" إذا ما تحقق التفاعل الإيجابي والتراكم النوعي بين البحث العلمي من جهة، والتطوير والإنتاج والتسويق من جهة أخرى.

واقع البحث العلمي العربي

شهدت الدول العربية عموماً نشاطاً ملحوظاً، خصوصاً خلال العقد الماضين، في إنشاء الجامعات العامة والخاصة ومراكز الأبحاث العامة والمتخصصة، بناءً على نماذج شاع استخدامها في بلدان العالم المتقدم في مطلع النصف الثاني من القرن الماضي. ففي الغرب الصناعي خضعت معظم هذه النماذج لتطور جذري في كثير من جوانبها، بحيث أسفرت عن نشوء بنى مؤسسية مستحدثة من مدن وحدائق للعلوم، وحاضنات للتقنية، ومراكز للتميز، وتجمعات صناعية مستندة إلى التقنيات العليا. وفي الدول العربية، ما زالت هذه المبادرات عموماً في بداية الطريق، حديثة التجربة، تتسم بطابع كمّي أكثر منه نوعي، والنتائج المعلنة والمعروفة عن إنجازاتها وقدرتها على تحقيق اختراقات نوعية ما زالت متواضعة، وضئيلة، بالنسبة إلى ما يتطلبه النهوض بالقدرات العربية في العديد من حقول العلم والتقنية. ولعلّ من أبرز التحديات التي تواجه العرب في المرحلة المقبلة هي أن نتائج الأبحاث التي تتم لتطوير الأجيال المقبلة من شبكة الإنترنت لن تكون متاحة لمستخدمي اللغة العربية ما لم تتم معالجة القضايا الشكلية والجوهرية التي

أصبحت المعرفة بمثابة المورد الاستراتيجي الأساس لتحقيق النمو، وتحولت ديناميكية الاقتصاد الجديد نحو الاعتماد على رأس المال الفكري المبني على التعلم وتوليد المعرفة.. وتبوّأت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات دوراً محورياً في زيادة درجة الوصل Degree of Connectivity بين صنّاع المعرفة ووكلائها ومستثمريها..

خائباً إزاء ندرة المؤسسات وغياب الأجواء الملائمة والحوافز المادية والعلمية التي تشجّع على الابتكار والإبداع. فالهجرة لم تأت من فراغ وإنما فرضها واقع صعب وحاجة وأمل بمستقبل أفضل.

في التقارير والدراسات العربية والدولية ومختلف المحافل المعرفية إجماع على قصور أداء مؤسساتي وتكنولوجي وثقافي ينبغي التصدي السريع له وبآليات وأنماط مختلفة ومبتكرة. وفي الوقت نفسه تأكيد على إحراز بعض التقدم الكمي في بعض الدول العربية، وأن التخلف الحالي قابل للتدارك إذا ما توافرت الرؤية الموضوعية والإرادة السياسية المدعومة برصد الموارد اللازمة لبناء البيئات التمكينية والمؤسسات القادرة على رعاية البحوث المتميزة والإبداع، والتصميم والقدرة على تحويل منتجاته التقنية والعلمية إلى وسائل مساعدة ومناهج عمل لتحقيق التنمية الإنسانية الشاملة. كما يبدو جلياً أن مفهوم الإبداع لم يعد محدوداً بظواهر الابتكار التقني البحت، بل اتسع ليشمل مساحة عريضة من البحوث العلمية المتميزة والمجدية، والمواكبة لأهم التيارات العلمية في العالم، ليصل مداه إلى مجالات ثقافية مكّمة كالفنون والآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

البحثية من أجل التجديد المعرفي وتعزيز ثقة الباحث العربي بنفسه ليصبح لاعباً مبتكراً في ظل المنافسة العالمية التي فرضتها وتقرضها العولمة الشرسة، سواءً على المستوى العربي أم على المستوى العالمي، من دون إغفال الكمون الإبداعي للعلميين والباحثين العرب المنتشرين في بلدان المهجر والدور المناط بهم للإسهام في تطوير منظومات البحث العلمي والابتكار في وطنهم الأم.

قصور مؤسساتي

ومن المنصف القول إنه على الرغم من إنجازات العلميين المغتربين وشهرتهم العالمية، يبقى التغريب بعيداً من نفوس غالبيتهم، كما لا يتكبرون لأوطانهم وعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم ولغتهم. فقد تعددت ظروف هجرة الأدمغة العربية، إلا أنها بمعظمها تبدو قسرية، بمعنى أن هؤلاء تركوا أوطانهم إما سعياً وراء تخصصات علمية متقدمة يعزّ نظيرها في الوطن الأم، أو بفعل اضطراب أحوال السياسة والأمن، أو تدهور أوضاع العيش اقتصادياً واجتماعياً، أو لأغلب هذه الأسباب مجتمعة. صحيح أن أعداداً منهم تعود إلى أوطانها، خصوصاً بعد نيل الدكتوراه، إلا أن الكثير من هؤلاء "العائدين" يشد الرحال مجدداً نحو المهجر

الاقتصاد القائم على المعرفة بات يوصف بأنه اقتصاد "شبيكي" وتبرز في البلدان العربية الحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى تشبيك الباحثين والمؤسسات البحثية بغية التجديد المعرفي وتعزيز ثقة الباحث العربي بنفسه ليصبح لاعباً مبتكراً في ظل المنافسة العالمية التي فرضتها وتقرضها العولمة الشرسة..

ثمة إجماع على قصور أداء مؤسساتي وتكنولوجي وثقافي ينبغي التصدي السريع له وبآليات وأنماط مختلفة ومبتكرة، لكن التخلف الحالي قابل للتدارك إذا ما توافرت الرؤية الموضوعية والإرادة السياسية المدعومة برصد الموارد اللازمة لبلورة البيئات التمكينية والمؤسسات القادرة على رعاية البحوث المتميزة والإبداع..

البحوث العلمية والابتكار في العالم العربي

مؤشرات البحوث العلمية ونواتجها

معوقات البحث العلمي

يرتبط تقدّم العالم العربي بقدرته على تطويع التقانات الحديثة، وهو توجّه مرهون بالإمكانية على تحديث البحث العلمي المحلي والإقليمي الملتزم بالجدوى والتنوع. وعلى الرغم من المؤشرات السلبية بالإجمال والتي تتّصف بها أغلب الهيئات والمراكز البحثية، فإنّ العالم العربي يملك موارد بشرية قادرة وكفوءة، وبإمكانه أن يكرّس موارد مالية كافية للمؤسسات العلمية التي أثبتت صدقيتها. إلا أن أخطر ما تتّصف به الموارد العلمية العربية حالياً، هو أنها لم تعد تشكّل كتلة حرجة على المستوى العلمي، فهي مشتّتة وتعاني التهميش وغياب الحوافز والإمكانات، ولها اهتمامات عديدة غير علمية (تعليمية، إدارية)، وتتطلّع بشكل شبه دائم للهجرة (نحو الخليج العربي أو نحو الغرب) حيث تجد إمكانيات أساسية لإظهار إبداعها، في حين تعاني مراكز البحوث من الترهل وغياب المناخ البحثي الملائم، وارتفاع المستوى العمري للباحثين وعدم القدرة على استقطاب الشباب الذين يملكون التقنية الحديثة والهمّة الضرورية المطلوبة بالإلحاح.

إن الاختراق العربي للحالة العلمية الراهنة لا يعني الاكتفاء باستيراد التكنولوجيا فقط، بل إنتاجها بالتعاون مع الرأسمال العربي. كما أن الاستفادة من الفرص المتاحة ومجابهة

التحديات تتطلّب قبل كلّ شيء وجود رؤية واضحة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية تنبثق عنها سياسات واستراتيجيات للبحوث والتطوير. إن اقتصادات عالمنا العربي قائمة على الإنتاج المادي والمتاجرة والاستهلاك واستنزاف الموارد الطبيعية، في حين أن الدول الصناعية والغربية التي تحتلّ صدارة العالم تعتمد على الإنتاج المعرفي والإبداعي أساساً لتمييزها ورفاهية شعوبها.

تشكّل فجوة البيانات حول أوضاع المراكز البحثية العربية عائقاً جدياً أمام الدارسين ومُتخذي القرار الساعين لتحليل الواقع واستشراف آفاقه. وعلى الرغم من العديد من المبادرات التي اتخذتها **جامعة الدول العربية** لتنظيم العمل العربي المشترك، الذي تكرّس بقيام مراكز بحثية وعلمية واتحادات مهنية لتفعيل التعاون والتنسيق بين الدول العربية، فإن الوطن العربي ما زال يفتقد وجود مرصد عربي يهتمّ ببناء المؤشرات الكميّة والنوعية العربية، ويضمن صدقية البيانات حول البحث والنشر العلمي والإبداع العربي. وتشكو المؤسسات الدولية من النقص الفادح في المعلومات الواردة من الدول العربية. وعلى الرغم من الإلحاح المستمر من منظمات الأمم المتحدة والبنك الدولي وبرامج الاتحاد الأوروبي، فإن عدد الدول التي تجاوبت بشكل شبه مستمر مع طلبها معطيات حول مدخلات ومخرجات البحث العلمي والتعليم العالي ودور

أخطر ما تتّصف به الموارد العلمية العربية حالياً، هو أنها لم تعد تشكّل كتلة حرجة على المستوى العلمي، فهي مشتّتة وتعاني من التهميش وغياب الحوافز والإمكانات، ولها اهتمامات عديدة غير علمية (تعليمية، إدارية)، وتتطلّع بشكل شبه دائم للهجرة، حيث تجد إمكانيات أساسية لإظهار إبداعها، في حين تعاني مراكز البحوث من الترهل وغياب المناخ البحثي الملائم، وارتفاع المستوى العمري للباحثين وعدم القدرة على استقطاب الشباب الذين يملكون التقنية الحديثة والهمّة الضرورية..

وعدم اتباع منهجية موحدة ومعترف بها في تجميع البيانات.

1. محدّدات قياس حركة البحث العلمي

اعتمدت الدراسة المنهج المطبق في معهد اليونسكو للإحصاء ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية¹ في ما يخصّ البحث والتطوير، وكذلك في ما يخصّ الابتكار²، ممّا يمكننا من مقارنة البيانات على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية. وفي جميع البيانات التي تمّ نشرها وما زالت تنشر حتى تاريخه في غالبية الدول العربية يتمّ تصنيف العلوم والتكنولوجيا بمنهجيات مختلفة، حتى ولو كانت الفحوى واحدة، ممّا يصعب من إجراء مقارنات موضوعية. ومن هذا المنطلق، من شأن اعتماد تصنيف التخصصات العلمية المبني على تصنيف العلوم والتكنولوجيا، والذي وضعته منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية وأسهم فيه أيضاً معهد اليونسكو للإحصاء (UIS)، من خلال مراجعة تصنيف حقول العلوم والتكنولوجيا كجزء من كتيب فراسكاتي Frascati Manual³، أن يسهّل مقارنة البيانات الخاصة بمجالات العلوم والتكنولوجيا وتصنيفها. وتوحيد المنهجية لا يقتصر على مجالات العلوم والتكنولوجيا فقط، بل يشمل أيضاً مؤشرات الإنفاق على البحث والتطوير والعاملين بالبحث والتطوير بنظام معادل الوقت الكامل، إلى جانب المخرجات من بحوث منشورة وبراءات اختراع ومسوحات الابتكار. ومن مفاهيم هذه المنهجية أن مؤشرات الإنفاق على البحوث والتطوير لا تعتدّ بإجمالي

قطاعات الإنتاج ومنظومة الابتكار، لم يتجاوز في أحسن الأحوال ست دول عربية فقط، بينما غابت المعلومات بشكل شبه جزئي وكلياً عن بقية الدول الست عشرة.

وإذا ما تمّ تجاوز مسألة الدقة في البيانات المنشورة أحياناً والجدية في اعتماد أخصائيين مستقلين لتوفيرها، فإن هذه المعوقات تدلّ بصراحة على صعوبة بناء مؤشرات على المستوى العربي العام، أو على مستوى بعض الأقاليم العربية (دول المشرق، المغرب، الخليج العربي)، أو حتى على مستوى دولة واحدة، بجميع مكونات منظومتها البحثية والجامعية، مؤشرات لا تتصف بالتناقض في البيانات ومتلائمة مع قواعد المعلومات العالمية. صحيح أن هناك بعض المبادرات الخجولة لإنشاء وحدات لرصد مؤشرات العلوم والتكنولوجيا في الدول التي طوّرت إمكانياتها منذ مطلع التسعينيات، بدعم من المؤسسات التابعة للأمم المتحدة مثل منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (إسكوا) والمنظمات العربية مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) والمنظمات الإسلامية مثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، إلا أن الحقيقة تظهر أن هذه المبادرات ما زالت مقصورة عن بلوغ الحد الأدنى من الاحترافية والصدقية، وما زالت محصورة في أطر ضيقة وعدد قليل من الدول، وتعاني من ضعف الإمكانيات المالية وتناقصها سنة فسنة، وغياب القرار السياسي والمؤسسي الداعم لها،

OECD (2002). Frascati Manual. The Measurement of Scientific and Technological Activities 1

.Proposed Standard Practice for Surveys on Research and Experimental Development. OECD

OECD (2005) Oslo Manual. The Measurement of Scientific and Technological Activities 2

Guidelines for Collecting and Interpreting Innovation Data, 3rd edition

OECD (2002). Frascati Manual. The Measurement of Scientific and Technological Activities 3

.Proposed Standard Practice for Surveys on Research and Experimental Development. OECD

تجريبي، ممّا يعني أن البحوث الأساسية، وبخلاف ما يتداول في بعض المحافل العلمية العربية، جزء لا يتجزأ من كلّ تخصصات العلوم والتكنولوجيا.

1-2 تصنيف الموارد البشرية

يعتبر التصنيف القياسي الدولي الوظيفي⁷ (International Standard Classification of Occupations) الأكثر دلالة على أوضاع العاملين في البحث والتطوير على مستويات مختلفة. وفي كتيب فراسكاتي توصيف للوظائف المصممة خصيصاً لعمليات المسح الموجهة للبحث والتطوير⁸ وأهمها وظيفة الباحث العلمي التي تعني "المهنيين العاملين في ابتكار معرفة جديدة أو منتج جديد أو آلية جديدة أو منظومة جديدة، بالإضافة إلى إدارة المشروعات المتعلقة بها. وتشمل هذه الفئة من حصل على درجة الدكتوراه بالإضافة إلى طلاب الدكتوراه وحملة الماجستير والذين يعملون بالبحث والتطوير، وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات والباحثين في مراكز وهيئات البحوث العلمية". أما الفنيون والجهاز الداعم فيشمل الذين يتطلب عملهم الأساسي معرفة وخبرة فنية لتطبيق مفاهيم ومناهج عملية غالباً ما تكون تحت إشراف الباحث. أما الموظفون الداعمون فهم مجموعة الحرفيين المهرة وغير المهرة والموظفين الإداريين. كما يشير فراسكاتي إلى أهمية بيان العدد الإجمالي للعاملين في المؤسسة (total head count)، والذي يمثل العاملين بصفة أساسية أو

ميزانيات المؤسسات البحثية، بل يتم احتساب المنصرف الفعلي خلال عام مالي داخل المؤسسة وخارجها وتحديد مصادر التمويل. وتحديد العاملين بالبحث والتطوير بنظام معادل الوقت الكامل له قواعد يجب اتباعها، قد تبدو أسهل بالنسبة إلى مراكز ومعاهد البحوث التي تتفرغ للبحث والتطوير، بينما يختلف الوضع بالنسبة إلى الجامعات التي يتوجب عليها تحديد نسبة مشاركة أعضاء هيئة التدريس في أنشطة البحث والتطوير.

1-1 تصنيف العلوم والتكنولوجيا

في دليل منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية⁴ تقسيم واضح للتخصصات العلمية والتقنية موزعة على ستة مجالات رئيسية (العلوم الطبيعية، هندسة وتكنولوجيا، علوم طبية وصحية، علوم زراعية، علوم اجتماعية وعلوم إنسانية) وعدد من التخصصات الأساسية والدقيقة⁵. ومن شأن الالتزام بهذا التصنيف تجنب الكثير من المشكلات المرتبطة بتداخل بعض المجالات العلمية والتقنية.

وثمة بعد آخر يجب الأخذ به وهو أن العديد من الدول العربية تستخدم تصنيف العلوم الأساسية للتعبير عن تخصصات مثل الرياضيات والكيمياء والفيزياء وعلوم النبات والحيوان والتي تصنف عالمياً تحت مسمى "العلوم الطبيعية". وبناء على كتيب فراسكاتي⁶، يتم تقسيم البحث والتطوير إلى ثلاثة مجالات: بحوث أساسية وبحوث تطبيقية وتطوير

OECD (2007). Revised Field of Science and Technology (FOS) Classification in the Frascati Manual. Committee for Scientific and Technological Policy – Working Party of National Experts on Science and Technology Indicators. Organisation for Economic Co-operation and Development

5 نبيل عبدالمجيد صالح، مؤشرات العلوم والتكنولوجيا في الدول العربية لعام 2006، الأليكسو والبونسكو مكتب القاهرة الأكاديمية العربية للعلوم (2008).

OECD (2002). Frascati Manual. The Measurement of Scientific and Technological Activities – Proposed Standard Practice for Surveys on 6 Research and Experimental Development. OECD

International Labour Organization (1990), International Standard Classification of Occupations: ISCO-88, Geneva 7

OECD (2002). Frascati Manual. The Measurement of Scientific and Technological Activities – Proposed Standard Practice for Surveys on 8 Research and Experimental Development. OECD

إطار 2

معادل الوقت كامل (Full Time Equivalent, FTE)

بالقطاع العام والقطاع الخاص بين دولة وأخرى. وفي استعراض للمؤسسات الرسمية المشرفة مباشرة على البحوث العلمية وبرامج التطوير، يتبين أن أغلب الدول قد اعتمدت وزارات التعليم العالي والبحث العلمي (الإمارات والجزائر والسودان والمغرب واليمن وتونس) أو وزارة دولة للبحث العلمي (مصر)، بينما اكتفت دول أخرى بمجالس مستقلة عن الوزارات تخضع لوصاية رئيس مجلس الوزراء أو لوزارات التعليم العالي أو لمجالس إدارة مختلطة بين القطاعين العام والخاص كما هي الحال مثلاً في لبنان (المجلس الوطني للبحوث العلمية) والأردن (المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا) وسوريا (الهيئة العليا للبحث العلمي) والكويت (معهد الكويت للأبحاث العلمية ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي) والبحرين (مركز البحوث والدراسات) والسعودية (مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتكنولوجيا). ومن البديهي الإشارة إلى أن هذه الهيئات (والمراكز البحثية التابعة لها أو المراكز البحثية المستقلة) لا تشكل إلا جزءاً من حركة البحث العلمي وأنشطته في الدول العربية، التي عمدت لإنشاء المزيد من المراكز أو الوحدات البحثية المتخصصة في الجامعات أو ضمن أطر أخرى حديثة تحاشياً للبيروقراطية ورغبة بضمان شراكات أكثر فعالية مع قطاعات الإنتاج والمعرفة. وقد تغير نهج العلاقة بين البحوث والدولة، فتوجهت أغلب الدول الصناعية لربط البحوث بوزارات الصناعة والتكنولوجيا أو بوزارات الخدمات والبيئة. كما يزداد التوجه العالمي للتخفيف من المركزية الصارمة والتحول نحو مراكز محورية قادرة على بناء شراكة مستدامة مع القطاع الخاص واستقطاب مصادر تمويل خارجية ووضع توجهات علمية متكاملة.

يعنى هذا البيان بعدد الموظفين العاملين بدوام كامل في البحث والتطوير. والنظام المعتاد هو قياس الشخص/بالنسبة إلى العام المالي الذي تحتسب من ضمنه نسبة الإنفاق على البحث والتطوير. ويقدر الشخص الذي يمضي عادة 30 % من وقته/وقتها في البحث والتطوير، والباقي على أنشطة أخرى (مثل التدريس أو في إدارة الجامعة)، بما يعادل 0.3 FTE. وبالمثل لو عمل باحث متفرغ في وحدة بحث وتطوير لمدة ستة أشهر فقط فيحسب على أساس 0.5 FTE. تجدر الإشارة إلى أنه من الصعب حساب الـ FTE بالنسبة إلى الجامعات، ومع ذلك فقد أوصى كتاب فراسكاتي في البند 339، في ما يخص العاملين في البحث والتطوير في مجال التعليم العالي، بضرورة القيام بمسح أو دراسات لاستخدام الوقت (time-use). وعلى الرغم من شيوع هذا المؤشر فإنه نادراً ما اعتمد في قواعد المعلومات العربية. ففي الدراسة الخاصة بمؤشرات العلوم والتكنولوجيا في الدول العربية لعام 2006⁹ قدمت دول عدة تقارير عن العدد الإجمالي لهيئة التدريس "بمعادل الوقت الكامل" في الجامعات من دون أن تذكر نسبة الوقت المخصص للبحث في مهامهم باستثناء تونس التي حددت النسبة على أساس 35 %، والمغرب 33 %، ومصر 20 % لكل من الأستاذ والأستاذ المساعد و30 % بالنسبة للمدرّس والمدرّس المساعد.

جزئية في البحث والتطوير، في تحليل الواقع الوظيفي ووضع آليات للحفاظ على التوازن بين الجنسين وتجنب النقص في العلميين نتيجة بلوغ السن القانوني للتقاعد أو الهجرة إلى الخارج.

1 - 3 الإنفاق على البحث والتطوير

ينقسم الإنفاق على البحث والتطوير إلى شقين: الإنفاق الداخلي (ويشمل كلاً من التكاليف الجارية المباشرة وغير المباشرة داخل المؤسسة) والإنفاق الخارجي (الإنفاق الذي يتم خارج المؤسسة). أما مصادر التمويل فتشمل الموارد المتوفرة من القطاعات الاقتصادية ورجال الأعمال والقطاع الحكومي والقطاع الأهلي الذي لا يبغي الربح وقطاع التعليم العالي والمصادر الأجنبية.

2 . مدخلات البحث والتطوير

2 - 1 المؤسسات

تتوزع مراكز البحوث العربية بين الجامعات والمراكز المتخصصة ومراكز التميز التي أنشئت خلال العقد الماضي، وتختلف علاقاتها

9 تقرير المعرفة العربي للعام 2009 نحو تواصل معرفي منتج (2010). الفصل الخامس: الله لأداء العربي في مجال البحث والإبداع. أعد بدعم ورعاية مشتركة من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، دبي- الإمارات.

مؤشر تميز وكفاءة مراكز البحوث والتطوير العربية

جدول رقم 1

الترتيب / 127 دولة	الترتيب عربياً	البلد
36	1	تونس
38	2	عُمان
45	3	قطر
46	4	الكويت
52	5	السعودية
59	6	الأردن
66	7	الإمارات
79	8	المغرب
17		ماليزيا

Source: World Economic Forum. The Global Information: Technology, Report 2007-2008

إلا أن الإنتاجية الأهم فيها تبقى للمؤسسات القادرة على استقطاب الدعم الدولي، وعلى بناء شراكة مع قطاعات الإنتاج. كما تتصف مؤسسات هذا النموذج بدناميكية واعدة، ولكن بعدم استقرار الخبراء العلميين وحركتهم الكثيفة في الداخل والخارج (تونس ولبنان والأردن).

المستقطبة للموارد: دول تتصف مراكزها بالمرونة وأحياناً باستقلالية عن القطاع العام، وبالتنوع في مصادر التمويل، وبالقدرة على استقطاب الموارد البشرية المتخصصة من الخارج، وضمان استقرار نسبي لمواردها الوطنية. كما أن نسبة مهمة من إنتاجها العلمي يأتي من الجامعات والمراكز الخاصة، ولديها القدرة على الاستفادة من برامج التعاون الدولي ومن الشراكة مع قطاعات الخدمات والصناعة ومن صناديق الدعم الوطنية المستقلة (الإمارات العربية المتحدة وقطر).

المتميزة: دول توجّه لإنشاء مراكز تميز من ضمن أليات ومناهج مستمدة من التجارب الغربية، وتتمتع بالاستقلالية وتتصف بالفعالية.

في أحدث تقارير المنتدى الاقتصادي العالمي تصنيف للمراكز البحثية في 127 دولة لناحية كفاءتها وتميزها البحثي. ويتبين من الجدول رقم (1) أن المراكز العربية المعنية بهذا التصنيف لم ترد إلا اعتباراً من الرتبة 36، وأن الدول العربية التي وردت في الثلث الأول لم تزد على دولتي تونس وعمان، يضاف إليها أربع دول في النصف الأول من المجموعة (قطر والكويت والسعودية والأردن)، في حين احتلت ماليزيا (بإمكاناتها البشرية والمالية المحدودة نسبياً) مركزاً متقدماً (17).

من المعطيات المتوفرة عن هيكليات وبرامج ونواتج البحوث والإبداع في أغلب مراكز البحوث العلمية العربية¹⁰، يمكن تحليل ما آلت إليه أوضاعها الحالية وفق النماذج الخمسة التالية:

الخدمائية: دول تخلّت مراكزها البحثية التي أنشئت في النصف الثاني من القرن الماضي عن البحث والابتكار، وتحولت للاهتمام بتقديم الخدمات التحليلية أو تنظيم دورات تدريبية أو الاكتفاء بإعداد دراسات فنية لمختلف القطاعات.

المركزية: دول تتصف مراكزها البحثية بمركزية إدارية شديدة وعلاقات بيروقراطية مع القطاع العام، وينحصر تمويلها في مساهمة الدولة ولا تعرف تنوعاً في مواردها البشرية والمالية. كما أن مهام المراكز وبرامجها البحثية مثقلة بالخدمات العلمية التي تحتاجها المرافق العامة. لذلك، فإن مساهمتها في إنتاج البحوث الأصلية وبراءات الاختراع محدودة، ولا تشمل كل الاختصاصات العلمية (سوريا وليبيا والجزائر والسودان).

المستقلة نسبياً: دول تتصف مراكزها بمرونة نسبية في علاقتها مع القطاع العام، وبالتنوع في مصادر التمويل والموارد البشرية.

10 تقرير المعرفة العربي للعام 2009 - نحو تواصل معرفي منتج (2010). الفصل الخامس: للأداء العربي في مجال البحث والإبداع. أعد بدعم ورعاية مشتركة من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، دبي - الإمارات.

2-2 السياسات

خلال العقدين الماضيين، قطعت العديد من الدول العربية مراحل متقدمة نحو وضع سياسات واستراتيجيات للعلم والتكنولوجيا، بعدما كان النمط السابق ينحصر في اعتماد سياسات قطاعية مثل الزراعة وتنمية الموارد المائية ومعالجة الأمراض الشائعة، من دون أن تتطرق لعلوم الإنسان والمجتمع أو أن ترتبط بشكل أو آخر بالسياسات الإقتصادية للدولة. ويمكن اعتبار هذه "السياسات" مجرد توجهات ومحاور علمية تعبّر عن أولويات لتلبية حاجات ملحة في المجتمع ومجابهة تحديات في قطاعات الإنتاج والصحة العامة والبيئة في البلد المعني، بعيداً عن أي رؤية أقليمية أو دولية.

في الجدول رقم (2) تجميع لبعض الأولويات التي أفرزتها السياسات البحثية المعلنة في بعض الدول العربية حتى نهاية عام 2009.¹¹

وفي ما يخصّ كلاً من مصر والسعودية، التي تحوي أكبر عدد من المراكز البحثية في العالم العربي، يمكن القول بأن النماذج الخمسة تنطبق على مراكزها ومؤسساتها العريقة وتلك الحديثة النشأة.

مما لا شك فيه أن العديد من المؤسسات والمراكز البحثية العربية قد تخصصت في مجالات محددة وبناء على متطلبات فعلية مثل بحوث النخيل في العديد من دول الخليج، والبحوث الزراعية والموارد المائية في دول مثل مصر وسوريا والمغرب والسودان. كما بدأت البحوث الصناعية والنانوتكنولوجية والبيئية وحماية الموارد الطبيعية والعلوم الطبية والصحة العامة والبيوتكنولوجية تأخذ أولوية ملفتة في أغلب الدول العربية.

أولويات العلوم والتكنولوجيا في بعض الدول العربية

جدول رقم 2

الدولة	أولويات العلوم والتكنولوجيا
الأردن	تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.
	التكنولوجيا الحيوية وتطبيقاتها.
	علوم المواد المتقدمة التكنولوجية النانوية.
	تطوير نظام الإنذار الوطني المبكر لتلوث المياه.
	مصادر المياه وتحليلتها ومعالجتها وجمعها.
	الطاقة الجديدة والمتجددة.
	التعدين واستخلاص المعادن.
البحرين	أبحاث الطاقة.
	أبحاث البيئة.
	أبحاث المعلوماتية.
الجزائر	الزراعة والتغذية.
	موارد المياه.
	البيئة.
	مكافحة التصحر.
	التنقيب واستغلال المواد الأولية في الصناعة.
	تكنولوجيا متقدمة.

11. البهلول البيعقوبي، الموائمة بين مخرجات التعليم العالي وحاجات المجتمع في الوطن العربي، إعداد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب اليونسكو بالقاهرة - المؤتمر الثاني عشر للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، بيروت

أولويات العلوم والتكنولوجيا في بعض الدول العربية

تابع جدول 2

السعودية	الأمن المائي
	الاحتياجات الاستراتيجية للدفاع والأمن الوطني.
	قطاعات النفط والغاز والصناعات البتروكيميائية.
	الحفاظة على البيئة.
	استكشاف الموارد الطبيعية.
	الإلكترونيات والاتصالات والمعلومات
السودان	خدمة الشعائر الإسلامية.
	مكافحة الوبائيات والطفيليات والآفات.
	نقل التقنية في مجالات الطاقة والزراعة.
	تحسين البذور والمحاصيل وسلالات الحيوانات.
المغرب	تحسين جودة المياه.
	معرفة الموارد المائية والحفاظة عليها وتأمينها.
	التنمية الاجتماعية والاقتصادية والتقنية.
	تكنولوجيا الاتصالات والإعلام.
	الفلاحة في الظروف الصعبة.
	الابتكار ورفع القدرة التنافسية.
اليمن	تكنولوجيا الصناعات النفطية.
	الزراعة واستخدامات التكنولوجيا الحيوية لتحسين الإنتاجية.
	الري وتحلية المياه.
	تكنولوجيات صيد الأسماك وحفظها وتعليبها
	تكنولوجيات الصناعات الزراعية والحيوانية.
	تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.
تونس	الاستغلال الأمثل للموارد المائية.
	تكنولوجيا الطاقات المتجددة.
	الصحة ومراقبة الأمراض الجديدة والمتجددة.
	منطقة التبادل الحر وآثارها الاقتصادية والاجتماعية.
لبنان	العلوم الأساسية والصناعية والهندسية (الطاقة ومصادر الطاقة المتجددة، الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، علوم المواد، الصناعات الرائدة).
	البيئة والزراعة (المياه، حماية الموارد الطبيعية والبحرية، إدارة الكوارث الطبيعية، تلوث المناطق الساحلية والشاطئ).
	العلوم الطبية والصحية (مثل الصناعات الطبية وخدماتها).
	التنمية الاقتصادية والمجتمعية (البحوث الاجتماعية والألسنيات وتنمية مبادرات الإبداع)
	إدارة مصادر المياه وتنميتها.
مصر	الطاقة الجديدة والمتجددة.
	الزراعة والمصادر الغذائية.
	العلوم الحياتية.
	الاتصالات والمعلومات.
	الاستخدام السلمي للفضاء.
	العلوم الاجتماعية والإنسانية.

وبمراجعة لأبرز الاستراتيجيات التي حدّدت العام 2005 في مجالات العلوم والتكنولوجيا¹² يتبين أن القليل منها قد تمّ تحديثه خلال السنوات الخمس الأخيرة، وعلى الرغم من أنها تعبّر عن إدراك حقيقي للأولويات التي يحتاج إليها الواقع العربي، وتعكس في مجالات عديدة حرصاً مقبولاً من العلميين العرب على متابعة أبرز المستجدات العالمية في العلوم والابتكار. في حين تركّزت المبادرات الأكثر حداثة على إنشاء مراكز جديدة متخصصة تسعى لإثبات تميزها عن النمط السابق.

2 - 3 الموارد البشرية

تتفق كلّ الدراسات على أن مؤشر الموارد البشرية هو من أهم المؤشرات الدالة على أوضاع وآفاق ودور منظومة البحث والتطوير في المجتمع والاقتصاد، ويتساوى هذا المعيار في كلّ الدول الفقيرة والنامية والمتطورة. وهو يشمل عادة الموارد البشرية المتفرغة للبحث والعاملّة بشكل رئيسي في مراكز وهيئات البحوث، وأساتذة الجامعات الذين يكرسون جزءاً من وقتهم للبحث، بالإضافة إلى طلبة الدكتوراه، والذين يتحملون مجتمعين مسؤولية تنفيذ سياسات واستراتيجيات البحث والتطوير والابتكار. ويعدّ احتساب معادل الوقت الكامل للباحثين المتفرغين في المراكز البحثية أسهل من أقرانهم في الجامعات الذين يمارسون البحث بشكل جزئي. وقد تعدّ الحصول على بيانات من الدول العربية تفصل بين الباحثين وزملائهم الجامعيين، أو تشمل كلّ عناصر منظومة البحث والتطوير في البلد من مراكز بحثية وجامعات عامة وخاصة، على الرغم من المحاولات المضنية التي بذلتها منظمات عربية وهيئات دولية، وعلى الرغم من الإقرار اللفظي بأهميتها في كلّ خطابات القائمين على هذه المؤسسات. تتوزّع الموارد البشرية العلمية بشكل عام

من المستغرب أن أغلب الدول العربية لم تستخدم بشكل منهجي الرؤية المستقبلية كأداة لصياغة السياسات والاستراتيجيات قصيرة وطويلة المدى. ومن هذه الآليات الأكثر شيوعاً في الدول النامية والصناعية، طريقة Delphi التي استخدمت في الاستشراف الجماعي في مجال العلوم والتكنولوجيا، وطريقة Foresight وتستخدم على المستوى الوطني إلى جانب المستوى المؤسسي في الجامعات ومؤسسات البحث العلمي. ثم هناك الآليات الأكثر تداولاً على الصعيد العربي، وهي تلك المستخدمة للتخطيط الاستراتيجي مثل دراسة البيئة الداخلية والخارجية للمنظومة على المستوى المؤسسي وعلى مستوى الجامعات البحثية كأداة للاستشراف الجماعي لتحديد نقاط القوة والضعف، "سوات" (Strengths, Weaknesses, Opportunities, Threats) أو للإسهام في تحديد الأهداف الاستراتيجية المكملّة للآلية السابقة والمعروفة بمسمى "سمارت" (SMART: Specific, Measurable, Attainable, ...).

6 - 10 ديسمبر (2009).

12 المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لله الاستراتيجية العربية لتطوير التعليم العالي (2005).

http://www.unido.org/fileadmin/import/16959_DelphiMethod.pdf 13

http://foresight.gov.uk 14

15 تقرير المعرفة العربي للعام 2009 - نحو تواصل معرفي منتج (2010)، الفصل الخامس: الأداء العربي في مجال البحث والإبداع.

للجامعات درواً مركزياً وحيوياً وأساسياً في بناء المنظومة من خلال الموارد العلمية المهمة التي تحويها، وبالتالي لا يمكن الركون لأي تحليل لأوضاع البحوث إذا لم يأخذ موارد الجامعات بالاعتبار. وفي ما يتعلق بإجمالي عدد الباحثين (من المراكز والجامعات) فهي متقاربة بشكل لافت في دول **المغرب العربي** (في حدود 5000 باحث) بينما تتفاوت في دول **المشرق والخليج العربي** وتسجل انخفاضاً مقلقاً في بعضها. وفي الحالة المصرية، دلالات مهمة تستأهل التوقف عندها، فالأعداد المعلنة والتي تتجاوز 30 ألف باحث، تشكل من دون ريب، استثناءً على القاعدة المعروفة عربياً، من شأنها إذا ما توفرت لها الموارد المادية والأجواء الملائمة أن تحقق إنجازات رائدة، توازي كل ما يمكن تحقيقه في الدول العربية الأخرى مجتمعة. وفي الجدول رقم (3) معطيات تسهل المقارنة بين أوضاع بعض الدول العربية مع دولة تتمتع بمواصفات اقتصادية ومعرفية مشابهة (**تركيا**)، ودولة ناشئة عرفت في العقدين الماضيين نهضة تكنولوجية واقتصادية لا مثيل لها في التاريخ الحديث (**كوريا الجنوبية**). ولعل أبرز ما يمكن استخلاصه من دلالات واضحة لا تحتمل التأويل والجدل، تشير إلى أن ارتفاع مؤشر عدد الباحثين لكل مليون نسمة، من حوالى 650 (في **مصر وتركيا**) إلى ما يتجاوز 4500 في **كوريا الجنوبية**، أي أكثر من 7 أضعاف، هو الدليل الكفيل بتفسير التقدم التاريخي الذي حققته **كوريا الجنوبية** باعتماد سياسة وطنية تركز على تطوير الموارد البشرية الكفوءة في سبيل بناء اقتصاد وطني قائم على أسس ثابتة من الإبداع والمعرفة العلمية.

وفقاً لبيانات تعود للعام 2005¹⁶ وقد أضيف إليها حملة الماجستير العاملين في المراكز البحثية والجامعات، وبعض التحديث الوارد من بعض الدول. لهذه الأسباب لا يمكن الاعتماد على هذه البيانات كمؤشر يعبر بشكل كامل عن أعداد الباحثين، إلا في بعض الدول مثل **الأردن والجزائر والمغرب وتونس وقطر ومصر**.

تتوزع اختصاصات الباحثين العرب بشكل مواز لأبرز الأولويات العلمية المحددة ضمن السياسات المعلنة في الدول المعنية. كما يتوزع الباحثون بشكل أساسي بين علوم الطبيعة والهندسة والعلوم الاجتماعية (**الجزائر والمغرب وتونس**)، وفي محاور علوم الطبيعة والهندسة والزراعة في كل من **الأردن والكويت واليمن وقطر**. وعلى الرغم من غياب المعلومات عن دول عربية أخرى، يمكن التأكيد أنها تتوافق تقريباً مع التوجهات نفسها مع تسجيل أفضلية للعلوم الطبية في **لبنان والسعودية**.

كما يظهر أن نسبة الإناث تزيد في الإجمال على 20 % من مجموع الباحثين في الدول العربية، مع تسجيل استثناءات واضحة في البحوث الطبية في **الجزائر والمغرب والأردن وقطر**، حيث تجاوزت في بعضها نسبة 50 % من إجمالي الباحثين. وتشير المعطيات إلى الفوارق المهمة في عدد الباحثين (بمعدل الوقت الكامل) لصالح مؤسسات التعليم العالي حيث تتجاوز 4 أضعاف في **الجزائر** (4203 مقابل 805) و3 أضعاف في **المغرب** (3238 مقابل 1145) وتتساوى في **مصر** (14728 مقابل 15743) مع عدد الباحثين المتفرغين للبحث العلمي والعاملين في مراكز البحث والتطوير. ولهذه النتيجة أهمية بالغة في تحليل واقع واستشراف آفاق البحوث العربية، حيث يمكن الاستنتاج، أن

أعد بدعم ورعاية مشتركة من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، طبع في دبي، الإمارات العربية المتحدة.

2 - 4 الموارد المالية

لا يمكن اعتبار مؤشر الموارد المالية المخصصة للبحث والتطوير ظاهرة إيجابية على الصعيد العربي العام، على الرغم من بعض الاستثناءات التي بقيت في إطار دول خليجية كبرى (السعودية). فما يصرف على البحث العلمي العربي قليل ويكاد لا يذكر مقارنة بمجموعات الدول الأخرى، حتى الفقيرة منها، ويحتل العالم العربي في هذا الشأن موقعا ملاصقا لقارة أفريقيا، بمعدلات لا تتجاوز 0,2 % من إجمالي الدخل القومي العام. وفي بعض الدراسات¹⁷، تقارير بأن هذه النسبة قد وصلت مؤخراً لحوالي 0,4 %، فيما المعدلات العالمية للإنفاق على البحث والتطوير تجاوزت 3,73 % و 3,39 % و 3,37 % في كل من السويد واليابان وفنلندا على التوالي¹⁸، وتتراوح بين 2 و 2,5 % بشكل عام في أغلب الدول الغربية. وتتوفر دلائل أولية على أن الإنفاق قد وصل في تونس إلى 1,19 % عام (2008) وفي المغرب إلى 0,8 % (عام 2005)

من حوالى 650 باحثاً لكل مليون نسمة في كل من مصر وتركيا إلى ما يتجاوز 4500 في كوريا الجنوبية، أي أكثر من 7 أضعاف، هو الدليل الكفيل بتفسير التقدم التاريخي الذي حققته كوريا الجنوبية باعتماد سياسة وطنية تركز على تطوير الموارد البشرية الكفوءة في سبيل بناء اقتصاد وطني قائم على أسس ثابتة من الإبداع والمعرفة العلمية..

ثم انخفض إلى 0,64 % (عام 2006)¹⁹. وفي تقارير أخرى مؤشرات بأن الإنفاق زاد أيضاً في عمان وقطر والسعودية والإمارات بينما تراجع في باقي الدول. كما أن قطر قامت مؤخراً بتخصيص ما نسبته 2,8 % من الموازنة العامة للدولة لدعم البحث العلمي ولكن حتى تاريخه لم تتوفر بيانات رسمية تؤكد هذه التوجهات يمكن الاعتماد عليها. وعلى الرغم من ضالة الإنفاق العربي على منظومة البحوث والتطوير وندرة الموارد المخصصة لتحفيز الابتكار والإبداع، فإن القريبيين من مراكز القرار، وفي أغلب الدول العربية، يطرحون العديد من التساؤلات المحقة حول طريقة صرف الموازنات، والنسبة المرتفعة المخصصة لنفقات إدارية غير مجدية، وعدم استقرار الموازنات والفوارق غير المبررة من سنة لأخرى، وغياب الشفافية في إدارة واستعمال الموارد المخصصة في برامج ثنائية أو في البرامج الدولية التنافسية.

وهناك عامل آخر وهو نصيب الصناعة في الإنفاق على البحث والتطوير، وهو منعدم تقريباً في الدول العربية ولا يتعدى 3 % من إجمالي إنفاق البحث والتطوير، ويبدو هذا المؤشر أكثر وضوحاً في الدول الصناعية حيث تبلغ مساهمة الصناعة في تمويل البحوث العلمي ما يقارب 80 % . ومع ذلك فقد تكون هذه المقارنة غير عادلة، لأن هذا القطاع في الدول الصناعية المتقدمة يتمثل بشركات عملاقة وشركات متعددة الجنسيات تفوق ميزانياتها ميزانيات أغلب الدول النامية. فقد بلغ ما استثمرته كبرى الشركات العالمية في

عدد الباحثين لكل مليون نسمة

جدول رقم 3

الدولة	2000	2006	2007
الكويت	145,4	141,1	165,5
المغرب		647,3	
تونس	795,2	1587,8	
مصر			616,6
تركيا	347,3	591,8	680,3
كوريا الجنوبية	2334,1	4186,8	4627,1

Source: World Bank, Knowledge Assessment Methodology – KAM, 2009

16 نبيل عبد المجيد صالح، مؤشرات العلوم والتكنولوجيا بالدول العربية لعام 2006، الأليكسو واليونسكو مكتب القاهرة الأكاديمية العربية للعلوم (2008).

17 نبيل عبد المجيد صالح، مؤشرات العلوم والتكنولوجيا بالدول العربية لعام 2006، الأليكسو واليونسكو مكتب القاهرة الأكاديمية العربية للعلوم (2008)؛ 159-176. Badran, Adnan (2005). The Arab States, UNESCO Science Report, p.159-176.

18 تقرير المعرفة العربي للعام 2009 - نحو تواصل معرفي منتج (2010)، الفصل الخامس: الأداء العربي في مجال البحث والإبداع، أعد بدعم ورعاية مشتركة من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، طبع في دبي- الإمارات.

19 نبيل عبد المجيد صالح، مؤشرات العلوم والتكنولوجيا بالدول العربية لعام 2006، الأليكسو واليونسكو مكتب القاهرة الأكاديمية العربية للعلوم (2008)؛ نبيل عبد المجيد صالح، مؤشرات العلوم والتكنولوجيا بالدول العربية لعام 2008، اليونسكو مكتب القاهرة والأليكسو والأكاديمية العربية للعلوم والإيسيسكو، قيد الإعداد (2010).

لا يمكن اعتبار مؤشر الموارد المالية المخصصة للبحث والتطوير ظاهرة إيجابية على الصعيد العربي العام، على الرغم من بعض الاستثناءات مثل السعودية. فما يصرف على البحث العلمي العربي قليل ويكاد لا يذكر مقارنةً بمجموعات الدول الأخرى، حتى الفقيرة منها، ويحتل العالم العربي في هذا الشأن موقعاً ملاصقاً لقارة أفريقيا، بمعدلات لا تتجاوز 0,2 % من إجمالي الدخل القومي العام..

الحاجة الملحة لدى الهيئات الحكومية ومتخذي القرار وواضعي السياسات، وخصوصاً لدى الجهات الممولة الرسمية والخاصة، لتوضيح المخرجات المتوقعة من البرامج البحثية بهدف ترسيخ القناعة بمبررات استمرار الدعم المالي وإثبات جدواها العلمية والتقنية والمجتمعية على السواء. إلا أن المتعارف عليه في دراسات تتناول محاور عدّة وتغطي طيفاً من البلدان، هو الاكتفاء بتحليل المؤشرات الرئيسية لمخرجات البحوث والتطوير، وهي النشر العلمي وبراءات الاختراع.

البحث والتطوير العام 2007 ما يعادل 492 مليار دولار منها 330 مليار في مجال الكمبيوتر و142 في الإلكترونيات و109 في الرعاية الطبية و79 في مجال السيارات. وعلى الرغم من أن 94 % من هذا المبلغ (492) موزع ما بين **شمال أميركا** (209) و**أوروبا** (153) و**اليابان** (101)، وأن حصة كل من **الهند والصين** (3) وباقي العالم (26) تبدو متواضعة، فقد برزت تطورات جديدة خففت من الفوارق بين دول الشمال والجنوب. وهكذا يتحوّل معدل النمو (التراكمي لخمس سنوات بين 2002 و2007) لصالح **الهند والصين** وبقية أرجاء العالم، حيث سجلت معدلات نمو مرتفعة بلغت 25,4 % في **الهند** و15,2 % في **الصين** و8,7 % في باقي أرجاء العالم. بينما اكتفت **أميركا الشمالية** بما نسبته 8,7 % و **اليابان** 4,7 % و **أوروبا** 4,3 %. كما تؤكد هذه المؤشرات ضرورة إيلاء الموارد المالية المخصصة للبحث والتطوير الاهتمام والرعاية لزيادة القدرة التنافسية وتعزيز الاقتصاد الوطني. ومن البديهي استخلاص أن الإنفاق غير الرسمي على البحث العلمي في **الغرب** يمثل ظاهرة جديرة بالاهتمام، فهناك مؤسسات علمية تموّل بالكامل من التبرعات ولها دور عظيم الأهمية في دفع مسيرة العلم في **الغرب** خطوات كبيرة للأمام. وفي هذا السياق، يتبارى الاقتصاديون **الأوروبيون** في إجراء الدراسات حول جدوى الاستثمار في البحث العلمي والابتكار، حيث يتبين أن استثمار القطاع العام ببيورو واحد في البحوث والتطوير، يعطي مردوداً إضافياً على استثمار القطاع الخاص المخصص للبحث والتطوير، بما يتراوح بين 0,40 و0,93 يورو.

3. مخرجات البحث والتطوير

تتنوّع مخرجات البحوث والتطوير وتزداد مؤشراتها تعقيداً بشكل مواز للتطور المتسارع في هذا المجال على الصعيد العالمي. كما تتضح

جدول رقم 4 مردود الاستثمار ببيورو واحد في البحث والتطوير

المرجع	ما يضيفه يورو واحد
Commission staff working document, European Competitiveness Report 2004, Finland, Germany	0,93
Ali-Yrkko 2004 - Finland	0,86 - 0,62
Streicher et al. 2004 - Austria	0,40
Guelle & van Pottelsberghe 2003 - OECD countries	0,70
Lach 2000 - Israel	0,71

Source: From Adnan Shihab-Eldin, Role science and technology can play in influencing the future of the Arab World, Symposium on Science and Research in the Arab World, Cambridge, UK, 14 March, 2009

المصادر الشائعة لتمويل البحوث والتطوير

- القطاع العام، الحكومات، نسب محدّدة من الموازنة العامة أو الدخل القومي
- شركات ومؤسسات القطاع الخاص
- حوافز ضريبية للمؤسسات الخاصة
- رسوم محدّدة على أرباح الشركات الخاصة
- رسوم محدّدة من قطاعات استهلاكية (الاتصالات، بعض الخدمات)
- قروض ومنح مصرفية لدعم مؤسسات الإبداع والابتكار
- المشروعات البحثية التعاونية بين الباحثين وقطاعات الإنتاج والخدمات
- مصادر خاصة، وقف، هبات، ميراث، تبرّعات...

3-1 النشر العلمي

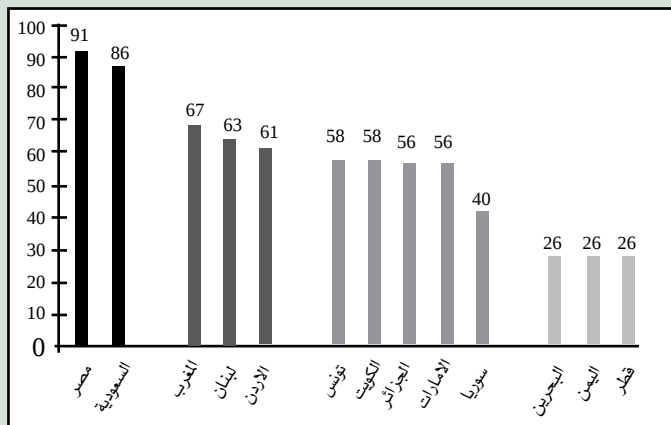
الأثر العلمي للمؤسسة مقارنة بالمتوسط العالمي للنشر للفترة نفسها. وقد أدخل على أدبيات النشر العلمي منذ فترة قصيرة مؤشر H. Index (ويعرف أيضاً بمؤشر هيرش Hirsch نسبة لمؤلفه ²¹ Jorge E. Hirsch)، الذي يقيس كلاً من الإنتاجية العلمية والأثر العلمي للباحث، وهو مبني على أكثر البحوث المنشورة للباحث وعدد الاستشهادات في بحوث الآخرين. ويمكن أن يطبق هذا المؤشر على المجاميع البحثية مثل الأقسام أو الجامعات أو الدولة.

ومن إشكاليات احتساب مؤشر النشر العلمي على الصعيد العربي، المزج غير المبرر بين البحوث المبتكرة المنشورة في المجلات المعترف بها على المستوى العالمي والمحكمة من لجان علمية مستقلة، وتلك التي تصدر في المجلات المحلية (التي لم تسجل ملخصاتها في قاعدة بيانات ISI-Web of Knowledge أو SCOPUS) أولئك المنشورة في وقائع المؤتمرات أو المقدمة كمحاضرات أو ملصقات Posters في مؤتمرات غير محكمة. وقد يعمد بعض الباحثين أو الجامعيين لنشر مقالاتهم العلمية في المجلات المحلية لخشيته من عدم قبولها في المجلات المرجعية العالمية، بينما تتزايد القيود الأكاديمية على العلميين لتحفيزهم للنشر في مجلات موثوقة ضماناً لجدوى البحوث وتسهيلاً للترقية الأكاديمية. أضف إلى ذلك أن أوضاع المجلات العربية ليست في أحسن حال، فهي تعاني من عدم انتظام الصدور، وغياب التحكيم المستقل والموضوعي، واللجوء لإغراق المجلات بنشر وقائع المؤتمرات والندوات من دون تحكيم. مما يؤدي إلى ندرة الاستشهاد بالبحوث المنشورة فيها وإلى عدم الاعتراف بمصداقية بعضها في الترقية الأكاديمية للباحث أو الأستاذ الجامعي. وقد أدركت بعض الجامعات والمراكز العربية

يتسم مؤشر النشر العلمي بدلالات واضحة عن مستوى ونوعية المعرفة والتقدم العلمي، ويمكن من خلاله قياس الإنتاجية العلمية والمستوى العلمي للأفراد والمؤسسات العلمية. ولعل أفضل السبل لضمان صدقية البيانات حول الإنتاج العلمي لأي دولة أو مؤسسة، الاقتداء بالمنهج المتبع على الصعيد العالمي، والذي يستعين بقواعد المعلومات المتخصصة والمشهود لها بالاستقلالية والصدقية. من المواقع المتاحة لهذه الغاية، على سبيل الذكر وليس الحصر، مواقع تومبسون رويترز - Thomson Reuters - وقاعدة المعلومات التابعة له Web of Knowledge - ISI والسفير - ELSEVIER - وقاعدة المعلومات سكوبوس - SCOPUS. وفي ما يتعلق بالمنهجية المتبعة في تقييم الأبحاث العلمية فقد تم اتباع موقع سكوبوس، الذي يعتمد على عدد الاستشهادات لكل وثيقة والتعاون الدولي ومتوسط أهمية المجلة ومتوسط

ترتيب الدول العربية وفقاً لمؤشر (H. Index)

الشكل رقم 1



Source: SCImago. (2007). SJR — SCImago Journal & Country Rank
Retrieved May7, 2010, from <http://www.scimagojr.com>

معلومات موثقة علمياً تقول إنّ دولاً عربية عدّة حافظت على ريادتها في البحث العلمي وتطويره، مصر ما زالت في الطليعة تليها السعودية وكلّ من تونس والجزائر والمغرب والأردن ولبنان.. كما ازداد عدد المنشورات العلمية بشكل لافت في كلّ الدول العربية..

المعطيات الناتجة عن استعراض حديث للمجلات الصادرة عن المؤسسات البحثية والجامعية العربية والموثقة تظهر النوعية الجيدة للبحوث الطبية وتميّز البحوث في دول كبرى (مصر والسعودية) وحتى في دول عربية تتمتع بموارد مالية وبشرية محدودة مثل لبنان وتونس والمغرب..

للمجلات العربية والتي تبلغ حوالى 500 مجلة.

• تحتلّ المجلات **السعودية والمصرية** و**اللبنانية والتونسية** المراتب الأعلى في مؤشر الموقع، ومن اللافت الإشارة إلى تميز المجلات المتخصصة بالعلوم الطبية في أغلب الدول.

• أما بخصوص مؤشر **هيرش H.Index** (يقيس كلاً من الانتاجية العلمية والأثر العلمي للباحث)، فهو الأعلى في كلّ من **السعودية ولبنان ومصر** وللمجلات الطبية تحديداً، مع تسجيل اختراق واضح لمجلة **بحرانية** في علوم الأرض.

تؤكد هذه البيانات معطيات متقاربة تظهر النوعية الجيدة للبحوث الطبية وتميّز البحوث في دول كبرى (**مصر والسعودية**) وحتى في دول تتمتع بموارد مالية وبشرية محدودة مثل **لبنان وتونس والمغرب**. إن أهمية عرض هذه المعلومات تكمن في ضرورة تركيز الجهود الجادة لتحسين مستوى الدوريات العربية وتجميع بعضها في

أهمية هذا التوجه، فبادرت خلال السنوات الماضية إلى إصدار مجلات علمية ضمن الشروط العالمية للنشر الموثق، ولكنها ما تزال في بداياتها، وتحتاج لتراكم كمي ونوعي لتثبت طابعها العلمي العالمي المميز.

ويثبت الجدول رقم 5 عدد المنشورات العلمية الموثقة حول 14 بلداً عربياً. ولا يمكن اعتبار مؤشر الموارد المالية المخصصة للبحث والتطوير ظاهرة إيجابية على الصعيد العربي العام، على الرغم من بعض الاستثناءات التي بقيت في إطار دول خليجية كبرى (**السعودية**). فما يصرف على البحث العلمي العربي قليل ويكاد لا يذكر مقارنة مع مجموعات الدول الأخرى، حتى الفقيرة منها، ويحتل **العالم العربي** في هذا الشأن موقفاً ملاصقاً لقارة أفريقيا، بمعدلات لا تتجاوز 0,2% من إجمالي الدخل القومي العام.

وفي استعراض للمجلات الصادرة عن المؤسسات البحثية والجامعية العربية والموثقة حديثاً (العام 2010) في موقع **ScImago** لتسع دول (الجدول رقم 6)، يتبين أن **السعودية** قد حافظت على تميزها (10 مجلات) تليها **مصر** (10 مجلات) بينما لم تتجاوز حصة بقية الدول 2 إلى 3 مجلات. وعلى الرغم من صدقية هذا الموقع واستقلاليته، لا بدّ من إبداء الملاحظات التالية:

• لا يمكن اعتبار هذا المسح كافياً للدلالة على عدد المجلات العلمية العربية الرصينة والتي تتوفر فيها مواصفات النشر العلمي المحكم. ففي **لبنان والأردن والكويت وقطر** وحتى في **السعودية ومصر ودول المغرب العربي** دوريات يتوجب ذكرها قبل المضي في استنتاجات محبطة.

• يتناول الجدول 36 مجلة عربية فقط، وهي نسبة متدنية جداً عن التقديرات المتداولة

إجمالي البحوث المنشورة في الدول العربية

جدول رقم 5

الدولة	1996	2000	2005	2008
الأردن	425	622	980	1532
الإمارات	344	422	1013	1273
البحرين	95	89	216	240
الجزائر	363	484	1123	2154
السعودية	1925	1824	2149	2725
السودان	95	99	161	273
الكويت	579	569	742	874
المغرب	801	1175	1275	1648
اليمن	32	40	73	115
تونس	426	731	1894	3116
سوريا	112	136	224	312
قطر	61	103	277	
لبنان	203	426	778	1070
مصر	2729	2833	4196	5559

Source: SCImago. (2007). SJR — SCImago Journal & Country Rank Retrieved July 29, 2010, from <http://www.scimagojr.com>

المجلات العربية مرتبة وفقاً للتقسيم الخاص بسكوبوس (SCOPUS)
لعام 2010

جدول رقم 6

H. Index	SJR Ranking	اسم المجلة	الدولة
0	0.027	Dirasat : Human and Social Sciences(1	الأردن
1	0.027	Jordan Medical Journal(2	
3	0.036	International Journal of Diabetes and Metabolism(1	الإمارات
3	0.029	Emirates Medical Journal(2	
20	0.185	Geo Arabia(1	البحرين
5	0.027	Bahrain Medical Bulletin(2	
2	0.027	Journal of the Bahrain Medical Society(3	
6	0.027	Arab Gulf Journal of Scientific Research(4	
14	0.058	Annals of Saudi Medicine(1	السعودية
5	0.052	Saudi Journal of Kidney Diseases and Transplantation(2	
17	0.048	Saudi Medical Journal(3	
2	0.032	Annals of Thoracic Medicine(4	
2	0.030	Saudi Journal of Gastroenterology(5	
6	0.030	Arabian Journal of Science and Engineering(6	
6	0.029	Saudi Pharmaceutical Journal(7	
3	0.029	Neurosciences(8	
1	0.028	Pan Arab Journal of Neurosurgery(9	
1	0.027	Institute Annual Catalysts in Petroleum Refining and Petrochemicals Symposium Papers(10	
1	0.027	Journal of the Social Sciences (1	الكويت
3	0.047	Archives de l'institute Pasteur de Tunis (1	تونس
7	0.033	La Tunisie médicale (2	
1	0.027	Journal of Emergency Medicine, Trauma and Acute Care (1	قطر
2	0.027	Qatar Medical Journal (2	
8	0.043	Le Journal medical libanais (Lebanese medical Journal (1	لبنان
8	0.039	Middle East journal of anesthesiology (2	
4	0.084	Journal of the Egyptian National Cancer Institute (1	مصر
3	0.051	The Egyptian journal of immunology (2	
12	0.042	Journal of the Egyptian Society of Parasitology (3	
4	0.037	The Journal of the Egyptian Public Health Association (4	
6	0.032	Middle East Fertility Society (5	
3	0.029	Egyptian Journal of Chemistry (6	
7	0.028	Engineering and Applied Sciences (7	
0	0.027	Alexandria Engineering Journal (8	
0	0.000	Arab Journal of Gastroenterology (9	
0	0.000	Egyptian Journal of Neurology, Psychiatry and Neurosurgery (10	

وفقاً لمؤشر H. Index الذي يقيس كفاءة المنظومة البحثية لكل دولة، من خلال النشر العلمي المميز الذي يستقطب الاستشهاد بنتائجه في المنشورات العلمية العالمية، تنتمي مصر والسعودية إلى المجموعة الأولى من بين 14 دولة عربية، بعد حصول هذه المجموعة على مؤشر مرتفع: مصر (91) والسعودية (86)، في حين ضمت المجموعة الثانية كلاً من المغرب (67) ولبنان (63) والأردن (61) .. أما المجموعة الثالثة فضمت كلاً من تونس والكويت (58) والجزائر والإمارات (56) وسوريا (40)، تليها مجموعة الدول التي ما زالت في بداية الطريق وضمت كلاً من البحرين واليمن وقطر (26) ..

وفي مجال آخر، تطرح بإلحاح تساؤلات حول الارتباط بين السياسات العلمية المعلنة في الدولة والاستراتيجيات المعتمدة لها من جهة، وما ينفذه الباحثون المعنيون في مراكز البحث والجامعات ويتركس بإنتاج علمي موثق من جهة أخرى. في موقع **SCImago** معطيات موثقة لاستخراج معلومات حول الأهمية النسبية لأبرز التوجهات العلمية، من خلال كثافة النشر العلمي المسجل حديثاً لبعض الدول. وبالإطلاع على هذه البيانات الموثقة والمقارنة يمكن استخلاص الآتي:

- يمكن الاستنتاج أن المعطيات المتوفرة عن تسع دول عربية ناشطة بالبحث، تشير بما لا يدعو للشك، إلى أن البحوث الطبية وبدرجة أقل العلوم الهندسية تأتي في مركز الصدارة من اهتمامات الباحثين العرب. تليها علوم الزراعة والكيمياء والفلك والأحياء. كما يتضح أن الإسهامات العربية في بعض المحاور العلمية الحديثة ما تزال في بداياتها (علم الوراثة، المعلوماتية، إدارة الأعمال، علوم المجتمع، ...).
- من شأن الاختلاف في التسميات وتصنيف المنشورات العلمية في اختصاص دون آخر أن يعطي انطباعات خاطئة. فبحوث قطاعات النفط والغاز والصناعات البتروكيميائية في **السعودية** تتوزع، ولا ريب، على عدد كبير من الاختصاصات مثل الكيمياء والهندسة والبيئة وعلوم المواد وعلوم الأرض، وينطبق ذلك أيضاً على علوم البيئة والزراعة والأحياء في أغلب الدول.

- هذه المعطيات هي عبارة عن توجهات عامة، تعطي أولوية لعلوم الطب والهندسة على حساب علوم وبحوث أساسية، ناتجة في أغلب الأحيان عن حاجة الباحثين للاهتمام بالموضوعات التي يتأمن لها التمويل المناسب والتي تؤدي إلى نتائج سريعة، وتلبّي متطلبات

دوريات متخصصة، فيكون بمقدورها الارتقاء إلى مستوى التوثيق والفهرسة في قواعد المعلومات العالمية، وهو هدف قريب المنال وليس مستحيلاً.

بالإضافة إلى المجلات العلمية، يتناول مؤشر **H.Index** بالتحليل مجمل أوضاع النشر العلمي في الدول. في (الشكل رقم 1) تصنيف لمجموعة من 13 دولة عربية، يؤكد مرةً جديدة ما سبق عرضه من معلومات حول كفاءة المنظومة البحثية لكل دولة، من خلال النشر العلمي المميز والذي يستقطب الاستشهاد بنتائجه في المنشورات العلمية العالمية. وبذلك يمكن تقسيم الدول، وفقاً لقيمة المؤشر، إلى أربع مجموعات متفاوتة بوضوح. المجموعة الأولى من دون منازع، والتي تحوز مؤشراً مرتفعاً وتضمّ كلاً من **مصر (91)** و**السعودية (86)**، والمجموعة الثانية التي يبدو أن باحثيها يسجلون إنجازات مهمة في النشر العلمي وسمعة عالمية واعدة وتضمّ كلاً من **المغرب (67)** و**لبنان (63)** و**الأردن (61)**، والمجموعة الثالثة التي تتمحور حول المعدل الوسطي للمؤشر وتضمّ كلاً من **تونس والكويت (58)** و**الجزائر والإمارات (56)** و**سوريا (40)**، تليها مجموعة الدول التي ما زالت في بداية الطريق وتضمّ كلاً من **البحرين واليمن وقطر (26)**. فبخلاف كلٍّ من **مصر والسعودية** التي تملك موارد بشرية أو مالية مهمة تسهّل بلوغ أعلى المراتب العربية، يمكن القول إن التميّز بنواتج البحوث والنشر العلمي تحديداً، لم يعد محصوراً بالدول الكبرى التي تملك موارد استثنائية، بل يمكن استشرافه حتى في مجتمعات علمية فتية تتصف بقدرتها على استقطاب الموارد الخارجية وبالحوافز الوظيفية التي بدأت بتطبيقها في بعض مؤسّساتها، كما هي الحال في دول المجموعة الثانية (**المغرب ولبنان والأردن**).

ثمة معطيات متوافرة تشير إلى أن البحوث الطبية وبدرجة أقل العلوم الهندسية تأتي في مركز الصدارة من اهتمامات الباحثين العرب.. تليها علوم الزراعة والكيمياء والفلك والأحياء.. كما يتضح أن الإسهام العربي في بعض المحاور العلمية الحديثة ما تزال في بداياتها: علم الوراثة، المعلوماتية، إدارة الأعمال، علوم المجتمع.. الخ..

من المعوقات الرئيسة التي تحدّ من قدرة المبدعين العرب على الانطلاق إلى آفاق أرحب، وتسجيل براءات اختراعاتهم في المكاتب الدولية، التكلفة الباهظة التي يتطلبها تسجيل ابتكاراتهم في المؤسسات الأميركية والأوروبية، وغياب الصناديق العربية الداعمة لذلك..

أو سلعة جديدة أو خط إنتاج جديد أو تحديث خطوط الإنتاج أو تطوير خدمات مميّزة.

يفتقد العالم العربي على الصعيدين الوطني والإقليمي لوجود مؤسسات مماثلة لتلك المنتشرة في العالم الصناعي، قادرة على استقطاب براءات الاختراع العربية والغربية، وحماية حقوق العلميين المبدعين على الصعيد التجاري، محلياً وعالمياً. وفي أغلب الأحيان يعتمد المبدعون على تسجيل ابتكاراتهم (محلية الطابع) لدى الهيئات المعنية في بلدانهم، مدركين سلفاً محدودية الحماية التي يمكن أن تضمنها لهم في ما قد لا يتجاوز حدود بلدهم. ومن المعوقات الرئيسة التي تحدّ من قدرة المبدعين العرب على الانطلاق إلى آفاق أرحب، وتسجيل براءات اختراعاتهم في المكاتب الدولية، التكلفة الباهظة التي يتطلبها تسجيل ابتكاراتهم في المؤسسات الأميركية والأوروبية، وغياب الصناديق العربية الداعمة لذلك.

في بعض المراسد العربية معطيات جزئية حول مؤشر براءات الاختراع المحلية في 6 دول أعطت في العقدين الماضيين دلائل إيجابية عن أوضاعها ومستوى النشر العلمي فيها. يعرض الجدول رقم (7) لتطور هذا المؤشر، بين 2004 و2008 للمقيمين وغير المقيمين، من دون أي معلومات عن ماهية الاختراع أو علاقته المباشرة بالتكنولوجيا، باستثناء ما تمّ اعتماده منها (تجارياً أو خدماتياً أو اقتصادياً) في كلّ بلد. وعلى الرغم من أن مصدر البيانات هو مكتب براءات الاختراع المصري الذي لم يشمل البيانات الكاملة لدول عربية أخرى، يمكن استخلاص الآتي:

• سجل بوضوح تطور تصاعدي في عدد براءات الاختراع بين أعوام 2004 و2006 و2008.

• تحافظ مصر على المرتبة الأولى تليها كلّ من السعودية والمغرب وبدرجة أقل تونس

هيئات حكومية وخارجية بالمضي في بحوث موجهة لمجابهة تحديات ملحة في البيئة والصحة العامة والمجتمع.

• لا تبتعد خيارات الباحثين ومنشوراتهم كثيراً عن التوجهات العامة المحددة في السياسات العلمية لكلّ من الدول المعنية. لهذه المقارنات أهمية استراتيجية لتتخذ القرار ومتابعي السياسات والباحثين عن جدوى البحوث. وهي تحتاج مثل غيرها من المؤشرات المستخرجة من قواعد المعلومات العالمية إلى المزيد من الجهود الطوعية والمنظمة لإمداد هذه المواقع ببيانات كل مؤسسة ودولة، تحاشياً للوقوع في فخ الانعزال، وارتكاب حماقة الابتعاد طوعاً عن المسيرة العلمية العالمية.

3 - 2 براءات الاختراع

يعتبر عدد براءات الاختراع والأهمية الاقتصادية للبلد المسجلة فيه مؤشراً متميزاً لمستوى الإبداع والابتكار في مجال العلوم والتكنولوجيا، وهو يعكس بدقة المنظومة البحثية على المضي في هذا المجال، كمرحلة أساسية في مسيرة طويلة، معقدة ومكلفة، يفترض أن تؤدي في حال إثبات جدواها العلمية والتقنية إلى اعتمادها في قطاعات الإنتاج والخدمات المعنية، وتحويل الابتكار إلى منتج

مكاتب براءات الاختراع العالمية

إطار 4

تشتر براءات الإختراع في قاعدة بيانات المنظمة العالمية للملكية الفكرية (WIPO) بالإضافة إلى مكاتب براءات الإختراع الوطنية. ومن أهم المكاتب المشهورة بتسجيل أكبر عدد من براءات الإختراع فيها: مكتب براءات الولايات المتحدة الأميركية (USPTO)، مكتب البراءات الأوروبية (EPO)، مكتب براءات اليابان (JPO)، إلى جانب مكتب براءات كوريا الجنوبية (KIPO) ومكتب براءات الصين اللذين يستقطبان منذ عدة سنوات عدداً وفيراً من براءات الإختراع من مصادر عالمية مختلفة. ومن المراجع الهامة في التعرف إلى براءات الإختراع، تقرير حديث صدر هذا العام تحت مسمى (Four Office Statistics Report) يجمع ما بين المكاتب الأربعة الأميركية والأوروبية واليابانية والكورية الجنوبية. ومن النقاط الواجب اتباعها في براءات الإختراع تحديد اسم المكتب مصدر البيانات، ودولة المنشأ، وما إذا كان مقدم البراءة مقيماً أم غير مقيم فيها، وتاريخ التسجيل (filing) وتاريخ المنح (grant).

في مقارنة لعدد البراءات العربية المسجلة عالمياً (بين 2005 و2009) يتبين أنها لم تتجاوز 475 براءة اختراع في 8 دول عربية، في حين أن ماليزيا وحدها توصلت إلى 566 براءة اختراع بجهود باحثيها ومبتكريها..

و2009)، حيث يتبين:

- تتقدم **السعودية** كل الدول العربية بما مجموعه 259 براءة اختراع تليها **الإمارات** (70) ثم **مصر** (51). وتظهر **الكويت** بعض التقدم مع المكتب الأميركي، بينما تشير معطيات **لبنان** و**تونس** و**المغرب** و**الأردن** إلى محدودية إمكانياتها في تسجيل براءات الاختراع في المكاتب العالمية، التي وإن توفرت، لا يمكن أن تضمن مردودية الاستثمار، فالعديد من براءات الاختراع يقبع سنين طويلة في أدرج المؤسسات المعنية وقد لا يجد من يعتمد على الرغم من أهميته أحياناً.
- يبدي العرب أفضلية للتسجيل في المكاتب الأميركية والأوروبية، في حين ما زال الانفتاح على **اليابان** في بداياته، ويتطور في كل من **السعودية** و**مصر** بشكل مواز لتطور العلاقات الثنائية الاقتصادية والتجارية.
- في مقارنة لعدد البراءات المسجلة عالمياً (بين 2005 و2009) يتبين أنها لم تتجاوز 475 براءة اختراع في 8 دول عربية، في حين أن **ماليزيا** وحدها توصلت إلى 566 براءة اختراع بجهود باحثيها ومبتكريها.
- في مراجعة عاجلة لما تعنيه هذه المؤشرات المحلية والدولية، يبدو أن مسيرة البحوث والتطوير التكنولوجي العربية ما زالت بعيدة

والأردن.

- يتفاوت عدد براءات الاختراع المسجلة في كل بلد بين المقيمين وغير المقيمين، لصالح الأفراد والشركات الأجنبية الساعين لتسجيل ابتكاراتهم وحماية استثماراتهم في البلد العربي المعني. وهذه الظاهرة تدل على اهتمام غير المقيمين بالأسواق العربية وبإمكانياتها الاستهلاكية والاقتصادية.
- ترتفع بشكل محسوس نسبة براءات الاختراع المسجلة وما سلك منها درب الاعتماد لغير المقيمين، بينما تبقى في مستويات أدنى في حالة المقيمين من أبناء البلد.
- تبدو في **المغرب** و**السعودية** ظاهرة ملفتة، فعدد براءات الاختراع لغير المقيمين، المعتمدة في كلا البلدين، يزيد أحياناً عن تلك المسجلة للمقيمين، مما يدل على أن هذه البراءات قد تم تسجيلها بداية في دول أخرى قبل أن تعتمد عربياً.
- وبالانتقال إلى براءات الاختراع العربية المسجلة في مكاتب غربية في **أميركا** و**أوروبا** و**اليابان**، يتبدل المشهد كلياً، ويتراجع الأداء العربي في مؤشر الإبداع التكنولوجي. في الجدول رقم (8) معطيات عن 8 دول عربية ومقارنة مع دولة **ماليزيا** خلال ثلاث سنوات (2005 و2007 و

براءات الاختراع المسجلة والمعتمدة في بعض الدول العربية للمقيمين وغير المقيمين.

جدول رقم 7

الدولة	2008				2006				2004			
	معتمدة		مسجلة		معتمدة		مسجلة		معتمدة		مسجلة	
	غير مقيم	مقيم	غير مقيم	مقيم	غير مقيم	مقيم	غير مقيم	مقيم	غير مقيم	مقيم	غير مقيم	مقيم
الأردن	-	-	-	-	1	10	428	75	56	4	141	42
الجزائر	-	-	-	-	400	79	611	58	249	27	334	58
السعودية	-	-	-	-	1002	42	419	119	172	2	395	81
المغرب	854	115	834	177	571	128	732	178	1219	-	457	104
تونس	5	-	26	-	3	-	9	-	2	-	223	46
مصر	❖280	❖81	❖1657	❖473	6	-	1481	❖481	4	64	312	382

Sources: World International Property Organization: wipo.int/ipstats/en/statistics/patents/

*Egyptian patent office.

كلاً من الكويت وقطر والإمارات والسعودية على التوالي، والثانية، في المراتب الوسطى وتضم كلاً من تونس والأردن وسوريا والمغرب، والثالثة، التي تقع في النصف الثاني من المؤشر وتضم كلاً من مصر والجزائر وعمان والبحرين.

3-3 تطور مؤشرات الإبداع

تتداخل المؤشرات البحثية ونواتجها لتعطي صورة واضحة عن المستوى العلمي والإمكانيات الإبداعية للبلد أو المنطقة. وقد لجأت لهذا المؤشر كل المنتديات والهيئات العالمية بهدف تحديد التوجهات الاقتصادية ورسم آفاقها. ولا يختلف الموقع العربي في مؤشر الإبداع عن المعطيات السابقة، خصوصاً لناحية تحديد الموقع العربي بالنسبة إلى المجموعات الجغرافية الكبرى في العالم. ويبيّن الجدول رقم (10) موقع المجموعة العربية المتخلف كثيراً عن بقية المجموعات في العالم وعن المعدل العالمي من جهة، والتطور السلبي لمؤشر الإبداع بين عامي 1995 و2009 من جهة أخرى. صحيح أن قيمة

عن تحقيق أحد أهم أهدافها ومخرجاتها، أي تسجيل المبتكر من نواتجها واعتماده محلياً وعالمياً، بدل الاكتفاء بالنشر العلمي والسعي للترقية الأكاديمية. لقد آن الأوان للتسليم بأن الآليات المعتمدة منذ الخمسينيات لم تثبت يوماً فعاليتها وقد فقدت جدواها، وأن الوضع الراهن، وعلى الرغم من تسجيل بعض الإضاءات، يتطلب رؤية جديدة ومنهجية عمل والتزام واحترافية، بإمكانها أن تستمد الكثير من تجارب دول مشابهة، لا تملك إلا جزءاً يسيراً مما يتوفر من موارد بشرية ومادية لدى معظم الدول العربية.

وإذا ما تمّ تجاوز المؤشرات الكمية حول براءات الاختراع العربية، يمكن مناقشة جدوى هذه البراءات من خلال بيانات الجدول رقم (9) الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي، والذي يعطي الدول رتبة من ضمن مجموعة من 127 دولة، حيث يتبين أن الدول المعنية بهذا التصنيف تتوزع إلى 3 مجموعات. الأولى، والمتقدمة نسبياً في الثلث الأول من المؤشر وتضم

ثمة تفاوت ملحوظ بين عدد براءات الاختراع المسجلة في مكاتب عربية أو في مكاتب الاتحاد الأوروبي وأمريكا واليابان. وفقاً لأرقام المكاتب العربية تحتل مصر الصدارة بين الدول العربية بينما تأتي السعودية عربياً في المركز الأول وفقاً لأرقام مكاتب الاتحاد الأوروبي وأمريكا واليابان. والأمر كله كاشف عن أزمة الرقم والمعلومة في مجال البحث العلمي في الوطن..

براءات الاختراع المسجلة في مكاتب الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية واليابان

جدول رقم 8

المجموع	2009			2007			2005			
	ياباني	أمريكي	أوروبي	ياباني	أميركي	أوروبي	ياباني	أميركي	أوروبي	
25	—	1	3	2	1	18	—	—	—	الأردن
70	—	9	15	2	20	15	1	5	3	الإمارات
259	—	23	76	25	20	52	6	18	39	السعودية
28	—	15	1	—	8	1	—	3	—	الكويت
20	—	3	2	3	1	7	—	1	3	المغرب
9	—	—	2	—	—	5	—	1	1	تونس
15	—	6	—	—	5	—	1	1	2	لبنان
51	—	3	5	6	12	13	1	7	4	مصر
566	—	181	35	16	173	18	18	98	27	ماليزيا

Sources: European Patent Office: Epo.org/patents/patent-information/free/open-patent-services.html;
United States Patent and Trademark Office: Uspto.gov/web/offices/ac/ido/oeip/taf/cst_all.pdf;
Japanese patent Office: jpo.go.jp/index_e/public_information.html

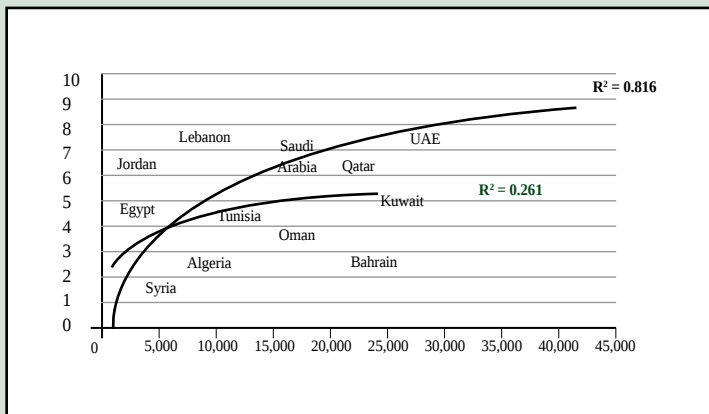


والعمل على تبنيها من مختلف القطاعات المجتمعية، وبرمجة تطبيقها، والالتزام بآليات التقييم المستمر من خلال إدارة شفافة ومرتنة. توصلت بعض المراكز العلمية العربية في العقدين الماضيين إلى تطوير العديد من التقنيات الهامة والقادرة على تقديم كمٍّ من

هذا المؤشر هي حاصل معدل كلّ الدول العربية في الشرق الأوسط والمغرب العربي، إلا أن الأمانة تقتضي إبراز بعض الفوارق المهمة بين هذه الدول والتي تبدو جلية من خلال مؤشر الإبداع بالنسبة إلى الدخل القومي وعدد السكان في البلد، حيث تتميز بعض الدول بمواقع أعلى من المعدل العالمي والمعدل العربي على السواء (لبنان والأردن ومصر) في حين تحافظ دول الخليج (السعودية والإمارات وقطر) على مواقع ملاصقة للمعدل العالمي (الشكل رقم 2).

الشكل رقم 2: تغيير مؤشر الإبداع بالنسبة إلى حصة دخل الفرد من الدخل القومي

(المعدل العربي باللون الأخضر والمعدل العالمي باللون الأسود)



Source: World Bank, Knowledge Assessment Methodology – KAM, 2008

تكامل القطاعين العام والخاص في مجال البحث العلمي

تبنى المؤسسات البحثية المميزة وتدار بمنهجية توازن بين ثلاثة مقومات مترابطة ومتكاملة: (1) توفر الموارد البشرية الكفوءة والموارد المالية المناسبة، (2) تشكيل كتلة بشرية حرجية من الأخصائيين المتمرسين في البحث والتطوير وتأمين الحوافز المادية والعلمية الملائمة لجذيرهم والتزامهم بالمؤسسة، (3) وضع سياسات علمية تتصف بالرؤية والموضوعية

جدول رقم 10: تطور مؤشرات الإبداع

المنطقة	1995	أحدث فترة
الشرق الأوسط وشمال أفريقيا	4.64	4.31
شرق آسيا والمحيط الهادي	6.82	6.88
أوروبا وآسيا الوسطى	9.29	9.19
أميركا اللاتينية	7.43	7.22
أوروبا الغربية	9.19	9.23
العالم	8.18	8.01

Source: From Adnan Shihab-Eldin, Role science and technology can play in influencing the future of the Arab World, Symposium on Science and Research in the Arab World, Cambridge, UK, 14 March, 2009

مؤسسة الفكر العربي

جدول رقم 9: جدوى براءات الاختراع في بعض الدول العربية (الرتبة من 127 دولة)

الدولة	الرتبة
الكويت	35
قطر	39
الإمارات	41
السعودية	49
تونس	66
الأردن	67
سوريا	69
المغرب	77
مصر	82
الجزائر	83
عمان	86
البحرين	86

Source: World Economic Forum. The Global Information: Technology, Report 2007 – 2008

إطار 5

في جدوى البحوث ونواتجها!

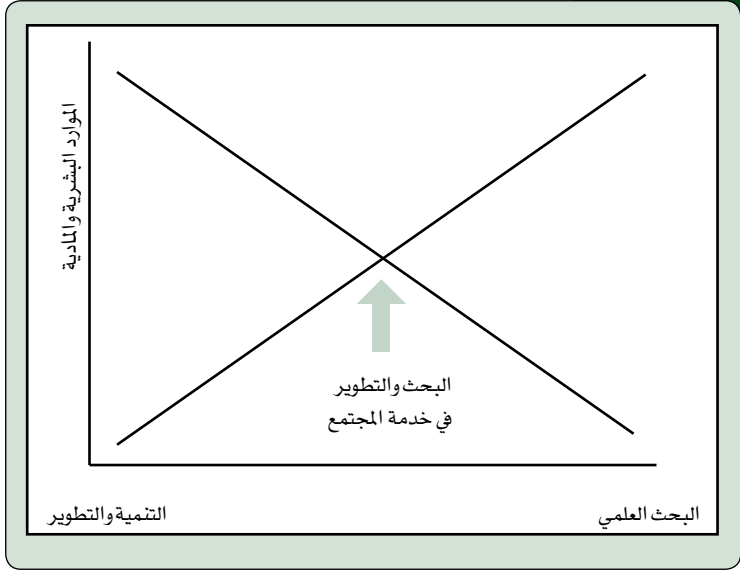
إذا ما أجرينا تقاطعاً للمعلومات الواردة في هذا المحور حول مدخلات ومخرجات البحوث العلمية، في أحد أكبر الدول العربية وأغزرها مؤسسات وموارد بشرية ومنشورات علمية، أي مصر، تبدو الفجوة شاسعة بين المدخلات والمخرجات مما يستدعي مبادرات عاجلة لمعالجتها. ففي مصر ما يعادل 30 ألف باحث بمعدل الوقت الكامل، ولديها 10 مجلات مصنفة في قاعدة معلومات سكوبيس، وقد صدر لباحثيها ما يفوق 5000 مقال علمي وسجلت 473 براءة اختراع محلية لم يعتمد منها إلا 81 في العام 2008، كما لم يزد عدد براءات الاختراع المصرية المسجلة في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية عن 8 براءات في العام 2009؛ وحيث إن الوضع في مصر لا يختلف عما هو عليه في بقية الدول العربية، فسوف يتم تحاشي احتساب الجدوى أو كلفة براءة الاختراع المحلية والعالمية.

الخدمات العلمية المباشرة للقطاعين العام والخاص. من شأن هذا التوجه أن يحقق إغراءات مادية وانفتاحاً مشروعاً للمساعدة في حلّ بعض مشكلات الصناعة والزراعة والبيئة والصحة العامة، ولكن المحاذير تكمن في انغماس هذه المراكز وباحثيها الكلي بإجراء التحليل والدراسات الميدانية والابتعاد عن إجراء البحوث المبتكرة التي تشكل عصب مهام الباحث أو الأستاذ الجامعي. لذلك على إدارة المراكز العلمية التنبيه لمخاطر الانزلاق نحو التقنيات والخدمات التي تؤمن مردوداً مالياً إضافياً للباحثين والتي تتم من دون ريب على حساب البحث العلمي الأصيل، والحفاظ على توازن، لا غنى عنه، بين البحوث من جهة ومبادرات خدمة المجتمع من جهة أخرى (الشكل رقم 3).

ومن السياسات المتداولة لتجاوز المعوقات الرئيسية التي تحدّ من تطور بعض المراكز العربية وابتعادها عن تحقيق أهدافها، تجاوز النقص في الموارد البشرية وزيادة التعاون العلمي الداخلي والخارجي، والنقص في الموارد المالية بالبحث عن موارد إضافية تؤمنها بعض البرامج العربية والدولية والأوروبية تحديداً، وضمان الصدقية العلمية بالتمسك بأخلاقيات العمل البحثي والإدارة الشفافة وزيادة القدرة التنافسية للمؤسسة وعدم الابتعاد عن قضايا المجتمع واحتياجاته.

رؤية لإدارة مراكز البحوث العلمية

الشكل رقم 3



البحث العلمي في الجامعات العربية

الجامعات "مشتل" بشري للبحث العلمي

تحتل مؤسسات التعليم العالي بشكل عام والجامعات بشكل خاص في الدول المتقدمة صناعياً مركزاً متقدماً في منظومة البحث والإبداع والتطوير ومكانة مركزية في تأمين الرفاه الإنساني، وذلك من خلال مهمتها الأساسية الكامنة في تكوين الموارد البشرية عالية الكفاءة اللازمة ليس فقط لقيادة عجلة الحياة والتنمية بمختلف أشكالها وميادينها، وإنما أيضاً للقيام بالبحث العلمي وتحديث المعارف وتطويرها.

ولا غلو في التأكيد أن الجامعات تشكّل "مشتل" الموارد البشرية التي تكوّن العمود الفقري لمراكز البحوث ومراكز التميز الأكاديمي والتقني التي تعوّل عليها قيادة التطوير المجتمعي ومد المجتمع بالوسائل والأساليب التي من شأن اعتمادها، كأساس للحكم الرشيد وللأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تحقيق الرفاه الإنساني.

1 - التوقعات العالمية بشأن إسهام التعليم العالي في البحث العلمي

من المتعارف عليه أن البحث العلمي يشمل الأنشطة التي تؤدي إلى توسيع نطاق المعرفة وتعميقها وتجديدها وتطوير استخداماتها. وتتكوّن هذه الأنشطة بشكل أساسي من التبحر العلمي وتوليف المعارف المتاحة، والنقد العلمي والأدبي والفني، والبحث المنهجي عن معارف جديدة، وتطوير استخدامات المعرفة والابتكار التقني والاجتماعي. ويؤدي ذلك كله إلى إنتاج

وثائق جديدة على شكل رسائل، أو أطروحات، أو مقالات، أو دراسات، أو تقارير، أو كتب، أو مراجع، أو برمجيات، أو غيرها، ونشر هذه الوثائق في الدوريات المتخصصة أو من خلال دور النشر أو غيرها من الوسائل، كما يؤدي إلى ابتكارات واختراعات وتسجيلها عند المؤسسات المتخصصة ببراءات اختراع.

وإذا كان هناك فائدة من القيام بالبحث العلمي ومن نشر نتائجه في رسائل وأطروحات، أو في دراسات وتقارير وكتب ومراجع فردية أو جماعية، فإن هذه الفائدة تبقى محدودة الأثر ولا يصل البحث العلمي إلى مبتغاه السامي بالسرعة المرجوة إلا من خلال نشر نتائجه في دوريات واسعة الانتشار ومن خلال تسجيل براءات الاختراع في المؤسسات المعنية. فمن خلال نشر نتائج البحث العلمي بالوسائل المتاحة، يمكن أن تتم إعادة البحث في سياقات أخرى أو مع عينات أخرى لمعرفة مدى تعميم النتائج والإسهام في التقدم المعرفي، والاستفادة من نتائج البحث لتطوير التطبيقات والممارسات المهنية، وإرساء هذه الممارسات على المعرفة الموثوقة، ولتحقيق الرفاه البشري من خلال تطوير السلع بمختلف أنواعها.

وقد أخذت بهذا المنحى مبادرات تعنى بترتيب جامعات مختلف دول العالم بناء على الإنتاجية البحثية لهذه الجامعات وبأثر البحوث التي تجريها على تقدّم المعارف. ومن ذلك ترتيب "شنغهاي" الشهير الذي يعطي 100 % من نقاط الترتيب لمؤشرات تعنى بنواتج البحث العلمي بمختلف أوجهها وبوقوع هذا البحث.

إذا كان هناك فائدة من القيام بالبحوث العلمية ومن نشر نتائجها في رسائل وأطروحات، أو في دراسات وتقارير وكتب ومراجع فردية أو جماعية، فإن هذه الفائدة تبقى محدودة الأثر ولا تصل البحوث العلمية إلى مبتغاه السامي بالسرعة المرجوة إلا من خلال نشر نتائجها في دوريات واسعة الانتشار ومن خلال تسجيل براءات الاختراع في المؤسسات المعنية..

في أحدث تصنيف معلن لجامعة شنغهاي سجّلت جامعتان عربيتان فقط اختراقاً مميّزاً، فوردت جامعة الملك سعود من ضمن مجموعة 301 - 400، بينما وردت جامعة البترول والمعادن من ضمن مجموعة 401 - 500 جامعة شملها مؤشر شنغهاي العالمي. أما في تصنيف مجلة تايمز البريطانية فقد جاءت جامعة الإسكندرية في المرتبة الـ 149 من بين مائتي جامعة..

والاستشهاد بأعمال هؤلاء، والنشر في مجلتي "الطبيعة" و"العلم" الشهيرتين بالانتقائية العالية لمؤلفي المقالات المقبولة للنشر فيها. ومن ذلك أيضاً ترتيب الجامعات بناءً على الأبحاث المنشورة في الدوريات المفهرسة عالمياً (في قاعدة بيانات ISI Web of Knowledge وSCOPUS).

2 - المكانة البحثية للجامعات العربية

في أحدث تصنيف معلن لجامعة شنغهاي صدر بتاريخ 15 آب/أغسطس 2010 سجلت جامعتان عربيتان فقط اختراقاً مميّزاً. فقد وردت جامعة الملك سعود ضمن مجموعة 301 - 400، بينما وردت جامعة البترول والمعادن ضمن مجموعة 401 - 500 جامعة شملها مؤشر شنغهاي العالمي. وقد تميزت الجامعتان السعوديتان من خلال مؤشرات "الباحثون الأكثر ذكراً في المنشورات العلمية في 21 محوراً علمياً مختلفاً" و"الزيادة المضطردة في النشر العلمي المفهرس عالمياً وكفاءة أداء الباحثين" في كل منها. من جهة أخرى غابت الجامعات العربية العريقة منها والحديثة بينما احتلت ست جامعات إسرائيلية مراتب متقدمة أحياناً بين الجامعات الخمسمئة الأولى. أما في تصنيف مجلة تايمز البريطانية للعام 2010، فلم

وتتمثل هذه المؤشرات بحصول خريجي الجامعة وأعضاء هيئات التدريس فيها على جوائز نوبل وميداليات فيلدس للتميز في الرياضيات،

الترتيب العالمي للجامعات

إطار 6

تجدر الإشارة إلى أن هناك ترتيبات وطنية، ولاسيما أوروبية وأميركية، وترتيبات عالمية متخصصة للجامعات تشدد بشكل أساسي على جودة البرامج التعليمية التي تقدمها الجامعات وجودة الحياة الجامعية ولا تلحظ للبحث العلمي سوى مكانة محدودة تقاس، بشكل عام، بقدر إسهام البحث العلمي في تجويد العمليات التعليمية/التعلمية. ومن هذه الترتيبات ما يلي:

U.S. News & World Report (USN&WR; U.S.A.)

Time Good Education Guide (UK)

Guardian ranking (UK)

Forbes (U.S.A.)

CHE Das Ranking / University Ranking (CHE; Germany)

Studychoice123 (SK123; the Netherlands)

Financial Times ranking of business schools and programmes (FT; global)

BusinessWeek (business schools, U.S.A. + global)

The Economist (business schools; global)

كما أن هناك تصنيفات لا تؤدي إلى ترتيب الجامعات على سلم. ومن هذه التصنيفات تصنيف مؤسسة كارنغي الأميركية

(أنظر: <http://classifications.carnegiefoundation.org>)

ومشروع التصنيف الأوروبي المعروف بمسمى U-Map (أنظر: <http://www.u-map.eu>)

من الترتيبات العالمية الأخرى التي تأخذ بالحسبان الإنتاجية البحثية للجامعات ما يلي:

The Times Higher Education/QS World Ranking -

The bibliometric Leiden Ranking - Center for Science and Technology -

Studies/CWTS, University of Leiden

The bibliometry-based ranking published by the Higher Education Evaluation - and Accreditation Council of Taiwan - HEEACT

لكن هذه الترتيبات تنشر لوائح لا تضم سوى بضع مئات من الجامعات؛ ولذلك لا تظهر فيها أي جامعة عربية.

1 أنظر التقرير الخاص بترتيب المؤسسات على الموقع الآتي والذي اعتمد على المقالات المنشورة في الدوريات المفهرسة في مجموعة Scopus التي تمتلكها مؤسسة Elsevier للنشر: 2 http://www.scimagoir.com/pdf/sir_2009_world_report.pdf تحتل جامعة المنصورة في مصر المرتبة 1001.

3 بناء على منهجية تومسون رويترز (أنظر: http://thomsonreuters.com/products_services/science/science_products/a-z/) وتضمن اللائحة 21 ميداناً من ميادين الاختصاص موزعة ما بين العلوم الأساسية (الرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها) والتطبيقية (الهندسة والزراعة والبيئة والقضاء وغيرها)، وعلوم الحياة والصحة، والعلوم الإنسانية (التربية وعلم النفس وغيرها) والاجتماعية.

4 يتوزع هؤلاء كالاتي: ستة في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، أربعة في جامعة الملك سعود، وواحد في جامعة الملك عبد الله للعلوم والتكنولوجيا.

5 <http://www.arwu.org>

6 <http://www.timeshighereducation.co.uk>

7 بدأت هذه المجلة ترتيب الجامعات منذ العام 2004 بمنهجية كانت تعتمد في 50 % من النقاط على آراء مستطلعين في التعليم العالي، وفي 50 % على مؤشرات موضوعية تخص الطلبة وأعضاء هيئات التدريس.

في إسرائيل وحدها ست عشرة مؤسسة جامعية أو بحثية ما بين الألف الأول في العالم، بينما ليس في مجمل الدول العربية سوى خمس أو ست مؤسسات جامعية ما بين الألف الأول في العالم..

يظهر تفحص مؤشر الاستشهادات بالأعمال البحثية المنشورة في الدوريات الموثقة عالمياً وفي مختلف الاختصاصات أن هناك أحد عشر شخصاً يعملون في جامعات عربية تظهر أسماؤهم بين أكثر المؤلفين العلميين الذين يستشهد بأعمالهم، وينتمي هؤلاء جميعاً إلى جامعات من السعودية. لكنّ المفارقة في الأمر هي أن من بين هؤلاء فقط يحمل جنسية عربية، بينما ينتمي الباقيون جميعهم إلى جنسيات أجنبية، آسيوية وأميركية وأوروبية..

من ناحية أخرى، يظهر تفحص مؤشر الاستشهادات بالأعمال البحثية المنشورة في الدوريات الموثقة عالمياً وفي مختلف الاختصاصات³ أن هناك أحد عشر شخصاً يعملون في جامعات عربية تظهر أسماؤهم بين أكثر المؤلفين العلميين الذين يستشهد بأعمالهم، وينتمي هؤلاء جميعاً إلى جامعات من السعودية⁴. لكنّ المفارقة في الأمر هي أن واحد فقط من بين هؤلاء يحمل جنسية عربية، بينما ينتمي الباقيون جميعهم إلى جنسيات أجنبية، آسيوية وأميركية وأوروبية.

كما يظهر تفحص هذا المؤشر أن هناك سبعة إلى عشرة أشخاص يحملون جنسيات عربية أو من أصول عربية يعملون في جامعات أجنبية، جلّها في الولايات المتحدة الأميركية، تظهر أسماؤهم

تذكر من بين الجامعات العربية سوى جامعة الإسكندرية وذلك في المرتبة الـ 149 من بين مائتي جامعة.

ويظهر ترتيب الجامعات بناءً على الأبحاث المنشورة في الدوريات المفهرسة عالمياً في مجموعة سكوبوس - السفير (الجدول رقم 11)¹، أنّ من أصل 2124 جامعة ومركز أبحاث مستقلة موزعة على جميع أنحاء العالم نشرت أكثر من 100 مقال في هذه الدوريات خلال الفترة 1996-2008، هناك 23 جامعة عاملة في الدول العربية تظهر من بينها (أي حوالي 1% فقط)، منها 11 جامعة في مصر، و4 في السعودية، و2 في كل من الأردن والإمارات العربية المتحدة، وواحدة في كل من الكويت، ولبنان، وسلطنة عُمان، والسودان. وتغيب عن هذه اللائحة بشكل لافت دول لديها جامعات عريقة ويفترض أن يكون فيها قدرات بحثية، بشرية ومالية، عالية مثل العراق وسوريا وتونس والجزائر والمغرب. ويلاحظ أيضاً من هذا الترتيب أن هناك مركزين للبحث العلمي، غير جامعيين، يظهران بين الـ 2124 مؤسسة الأولى في العالم. ويبلغ متوسط رتبة الجامعات في الدول العربية المرتبة 1413، بينما تبلغ المرتبة الوسيطة لهذه الجامعات 1344. وبذلك يقع المركز الوسيط مقابل الـ 63% الأول من المؤسسات.

في المقابل، نجد في إسرائيل 7 جامعات من بين الـ 806 الأولى، بمرتبة وسيطة تقابل المرتبة 302 وبمتوسط 363، أي في حدود ما نسبته 15% الأول في العالم، بالإضافة إلى 9 مراكز أبحاث غير جامعية بمتوسط قدره 981. أي أنّ في إسرائيل وحدها ست عشرة مؤسسة جامعية أو بحثية ما بين الألف الأول في العالم، بينما ليس في مجمل الدول العربية سوى خمس أو ست² مؤسسات جامعية ما بين الألف الأول في العالم.

مؤشرات ترتيب الجامعات التي تعتمد عليها جامعة شنغهاي وتلك التي تعتمد عليها مجلة تايمز البريطانية

إطار 7

يشكّل "الترتيب الأكاديمي لجامعات العالم" الذي تضعه سنوياً جامعة جياو تونغ في شنغهاي منذ العام 2003 أحد أشهر ترتيبين للجامعات في العالم، مع "ترتيب جامعات العالم"⁵ الذي تصدره مجلة تايمز البريطانية⁶. ويقارن ترتيب شنغهاي 1200 مؤسسة تعليم عالٍ ليستخرج منها الخمسمئة التي تحظى بأعلى النقاط بناءً على معادلة تأخذ بالحسبان ما يلي: عدد خريجي المؤسسة الحائزين على جوائز نوبل وميداليات فيلدس للتميّز في ميدان الرياضيات (10%); عدد العاملين في المؤسسة الحائزين على جوائز نوبل وميداليات فيلدس (20%); عدد الباحثين العاملين في المؤسسة المستشهد بأعمالهم في 21 ميداناً علمياً تغطّي مختلف الاختصاصات (20%); عدد المقالات التي ينشرها العاملون في المؤسسة في مجلتي الطبيعة والعلم (20%); قيمة مؤشري الاستشهاد في العلوم وفي العلوم الاجتماعية التي تحصل عليهما المؤسسة (20%); معدل أداء المؤسسة على مجمل المؤشرات السابقة نسبة لعدد أعضاء هيئات التدريس والباحثين فيها (10%).

أما مؤشرات ترتيب الجامعات المعدلة التي قرّرت مجلة تايمز البريطانية اعتمادها بدءاً من العام 2010⁷ فتعنى بما يأتي: معدل مداخل البحوث من الصناعة نسبة لعدد أعضاء هيئة التدريس (10%); نسب الطلبة وأعضاء هيئة التدريس الأجانب (10%); مجموعة من المؤشرات المؤسسية الخاصة بنسبة الطلبة الجدد لأعضاء هيئة التدريس، ونسبة الدكتوراه الممنوحة من أصل مجمل الشهادات الممنوحة، ونسبة الدكتوراه الممنوحة لكل عضو هيئة التدريس، والسمعة التعليمية للجامعة، ومداخل الجامعة لكل طالب (25%); مجموعة من المؤشرات البحثية تعنى بالمقالات العلمية المنشورة، والاستشهادات التي تحظى بها، والمداخل المخصصة للبحث العلمي، ونسبة مداخل البحث من السلطات الحكومية إلى المداخل من الصناعة، والسمعة البحثية للجامعة (55%).

وإذا كان ترتيب مجلة تايمز يأخذ بالاعتبار بعض خصائص مؤسسات التعليم العالي التعليمية والمالية وتنوّع الطلبة وأعضاء هيئات التدريس فإنه يعطي الوزن الأكبر للخصائص البحثية لهذه المؤسسات، بما في ذلك في ما يخصّ تخريج حملة الدكتوراه.

ويظهر مجمل هذه المؤشرات أن المؤسسات الجامعية والبحثية العربية متخلفة جداً عن الركب العالمي في ما يخص إنتاج المعرفة ذات الطابع العالمي.

3 - معوقات البحث العلمي في الجامعات العربية

تتوالى منذ أكثر من ثلاثة عقود وفي مختلف أرجاء العالم العربي الندوات والمقالات حول معوقات البحث العلمي في الجامعات العربية. وتجمع الآراء والدراسات المعنية بهذا الأمر على جملة من المعوقات يتخطى القسم الأكبر منها قدرة الجامعات على معالجتها منفردة. ومن ذلك، على وجه الخصوص، غياب سياسات واستراتيجيات وخطط وطنية للبحث العلمي، وضعف الإنفاق الوطني على البحث العلمي، وضعف علاقته بالمؤسسات الاقتصادية وتقاعس القطاع الخاص عن الإسهام في تقديم الدعم، وعدم توافر الموارد البشرية اللازمة كما ونوعاً وتسرب الكفاءات العلمية المتمرسّة والواعدة إلى الخارج..

لكن هذه الآراء والدراسات غالباً ما لا تعالج بالمستوى الكافي عوامل بمتناول مؤسسات التعليم العالي، مثل غياب الاستراتيجيات والخطط المؤسسية للبحث العلمي، وضعف الإنفاق المؤسسي على البحث العلمي، وغياب الاستراتيجيات المؤسسية لتكوين العدد الكافي من الباحثين وأعضاء هيئات التدريس المؤهلين للقيام بالبحث العلمي، وعدم توافر قواعد المعلومات البحثية وسائر الموارد المعرفية المطلوبة، وإغراق أعضاء هيئات التدريس بأعباء تعليمية عالية تعيقهم عن تخصيص

بين أكثر المؤلفين العلميين الذين يستشهد بأعمالهم. وبذلك يكون هناك علمي عربي واحد يعمل في جامعة عربية (في غير بلده) يستشهد بأعماله العلمية على شكل واسع في الأوساط العلمية العالمية. أما من حيث الميادين العلمية التي ينتمي إليها العلميون العرب الأكثر استشهاده بهم، فهناك غياب كامل لهم في أي من ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية.

القسم الأكبر من معوقات البحث العلمي يتخطى قدرة الجامعات العربية على معالجتها منفردة، ومن ذلك، على وجه الخصوص، غياب سياسات واستراتيجيات وخطط وطنية للبحث العلمي، وضعف الإنفاق الوطني على البحث العلمي، وضعف علاقته بالمؤسسات الاقتصادية، وتقاعس القطاع الخاص عن الإسهام في تقديم الدعم، وعدم توافر الموارد البشرية اللازمة كما ونوعاً وتسرب الكفاءات العلمية المتمرسّة والواعدة إلى الخارج..

ترتيب الجامعات ومراكز الأبحاث العربية بناء على الأبحاث المنشورة في الدوريات الموثقة عالمياً (في مجموعة سكوبوس- السفير) خلال الفترة 1996 - 2008

جدول رقم 11

المرتبة العربية	المرتبة العالمية	الجامعة	الدولة
1	592	القاهرة (بين 28 % الأول)	مصر
2	847	الكويت	الكويت
3	880	الملك سعود	السعودية
4	910	عين شمس	مصر
5	938	الملك فهد للبترول والمعادن	السعودية
6	1001	المنصورة	مصر
7	1014	الإسكندرية	مصر
8	1068	معهد الأبحاث الطبية	مصر
9	1159	الأميركية في بيروت	لبنان
10	1178	العلوم والتكنولوجيا الأردنية	الأردن
11	1227	السلطان قابوس	عمان
12	1321	الإمارات	الإمارات
13	1344	أسيوط	مصر
14	1366	المركز الوطني للأبحاث	مصر
15	1530	الزقازيق	مصر
16	1609	طنطه	مصر
17	1631	قناة السويس	مصر
18	1757	الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية	السعودية
19	1844	الأميركية في الشارقة	الإمارات
20	1855	حلوان	مصر
21	1901	الأزهر	مصر
22	1961	الهاشمية	الأردن
23	1966	المنوفية	مصر
24	2002	الملك فيصل	السعودية
25	2052	الخرطوم	السودان

ضمّنت رسالتها بشكل صريح الإسهام في تقدّم المعرفة، كما أنها ضمّنت البحث العلمي في موجبات عمل أعضاء هيئات التدريس، فمن النادر أن نرى تطبيقات عملية لهذين التوجّهين بما يضمن انخراط أعضاء هيئات التدريس في مشروعات وأنشطة بحثية غير تلك الهادفة إلى تسهيل ترقيتهم من رتبة إلى أخرى والتأثير على مسارهم الوظيفي. وغنيّ عن البيان أنّ من شأن تطبيق هذين التوجّهين بالشكل السليم النهوض بالبحث العلمي في الجامعات ليلا مس مصاف جامعات الدول المتقدمة.

ومن المبادرات الوطنية الجديرة بالتنويه في هذا المجال استراتيجيات البحث العلمي والتطوير التي اعتمدتها دول مثل لبنان والأردن وتونس، وأقرنتها ببعض الموارد المالية، والتي يعتمد تنفيذها بشكل أساسي على أعضاء هيئات التدريس في الجامعات، بينما نجد في بعض الدول الأخرى مثل المغرب والجزائر وليبيا ترجحاً في السياسات والتدابير الخاصة بالبحث العلمي في الجامعات.⁹ وفي الإمارات العربية المتحدة أعلنت وزارة التعليم العالي في العام 2008 عن إنشاء الهيئة الوطنية للبحث العلمي، لكن يبدو من المعلومات المتوافرة أن هذه الهيئة لم تعتمد بعد برامج بحثية متميّزة من شأنها النهوض بالبحث العلمي في الجامعات إلى المستويات المطلوبة.¹⁰ وفي المملكة العربية

الوقت الكافي للبحوث العلمية، وضعف البنى المؤسسية والأنظمة الإدارية لتأطير البحث العلمي وقيادته ومتابعة أنشطته وتسهيل القيام به ونشر نتاجاته والترويج لها وتعزيز استخداماتها، وتشتت مجموعات البحث العلمي وقلة التشبيك في ما بينها وضعف التعاون بين الجامعات، وعدم ملائمة الوسائل والقنوات المعتمدة للنشر العلمي.⁸

كما أن هناك معوقات موضوعية يبدو أنّ الباحثين العرب يضطّون عن بذل الجهد الكافي للتغلّب عليها. ومن ذلك، عدم امتلاك أعضاء هيئات التدريس للغات الأجنبية، ولاسيما اللغة الإنكليزية، وللمنهجيات التحريرية المعتمدة عالمياً للنشر في الدوريات العالمية المتخصصة، وصعوبة نشر الأبحاث العلمية في المجالات العالمية المرموقة.

وإذا كانت بعض الدول العربية قد اعتمدت سياسات واستراتيجيات وطنية للبحث العلمي والتطوير والإبداع (من ضمن مهام مراكزها البحثية)، فليس من الواضح بشكل عام إلى أيّ درجة تقوم هذه الاستراتيجيات على إسهام مؤسسات التعليم العالي وأعضاء هيئات التدريس، كما ليس من الواضح وقع هذه السياسات والاستراتيجيات على مجرى البحث العلمي في المؤسسات الأكاديمية.

وإذا كانت بعض الجامعات العربية قد

8 نادراً ما تذكر الدراسات عدم كفاية التجهيزات والوسائل والمواد اللازمة للبحث العلمي كمّاً ونوعاً كمعوق أساسي للبحث العلمي.

9 أنظر مثلاً المقالات الآتية:

- أحمد، أميمة (2008). البحث العلمي بالجزائر بين زيادة الميزانية وإزالة العقبات.

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/A1650ADA-5DC8-474A-B5C7-690F462827CD.htm>

- بن أعراب، عبد الكريم (بدون تاريخ). دراسة مقارنة ونقدية للبرنامجين الخماسيين للبحث العلمي في الجزائر (1999 - 2004 المنجز) و (2006 - 2010 المخطّط).

- <http://www.astf.net/SRO/sro4/Second20%scope20%of20%Arab20%science20%community20%and20%economics20%of20%scientific20%research/20%economics20%of20%scientific20%research/Accepted/366A.pdf>

- بن يوسف، عبد الإله (2006)، واقع البحث العلمي بالمغرب، ندوة تيار الاساتذة الباحثين المتقدمين بالمغرب، كلية العلوم والتقانات، المحمدية (22 إبريل 2006).

- http://groups.google.fr/group/ecpmaroc/browse_thread/thread/c8333d40f0bab5dc

- الحكومة المغربية تسعى إلى تشجيع البحث العلمي (2009):

<http://www.magharebia.com/cocoon/awi/xhtml1/ar/features/awi/features/2009/05/11/feature-02>

- البحث العلمي في المغرب في نقف مظلم (2010):

<http://www.almaghribia.ma/Paper/Article.asp?idr=17&idrs=17&id=105458>

10 أنظر بهذا الخصوص ندوة مركز الخليج للدراسات حول البحث العلمي في دولة الإمارات العربية المتحدة (2010).

ثمة صعوبات تواجه أعضاء هيئات التدريس في السعودية في مسيرة كتابة المقالات العلمية التي من شأنها أن تنشر في دوريات علمية محكمة وموثقة عالمياً، لكن المجتمع الأكاديمي في السعودية قد عوّض إلى درجة ما هذه الصعوبة بإنشاء دوريات علمية محكمة في ميادين مختلفة من ميادين العلوم الأساسية والتطبيقية وعمل على إدخالها في قواعد الدوريات الموثقة عالمياً.. فثمة مثلاً 8 دوريات علمية موثقة في قاعدة معلومات تومسون رويترز و20 دورية موثقة في قاعدة معلومات سكوبوس - السفير. وبذلك، تأتي المملكة في المرتبة الثانية بعد مصر في ما يخص عدد الدوريات المفهرسة في قواعد المعلومات العالمية..

السعودية انبثقت عن السياسة الوطنية للعلوم والتقنية والابتكار التي أقرت في العام 2007 خطط خمسية للعلوم والتقنية منفذة للسياسة رصد لها مبلغ تجاوز 8 مليار ريال (ما يعادل 2.1 مليار دولار أميركي) للخطة الأولى التي انتهت في العام 2010 والخطة الموسعة التي سيبدأ تنفيذها في العام 2011.

4 - العوامل الفاعلة في تعزيز المكانة البحثية للجامعات العربية

إذا نظرنا ملياً في المعطيات الواردة في الجدول رقم (11) أعلاه، والتي تبين ظهور 11 جامعة مصرية ضمن لائحة الجامعات العربية الأكثر إنتاجاً من وجهة نظر البحث العلمي الموثق عالمياً، تليها في ذلك أربع جامعات من المملكة العربية السعودية، وتواكبها جامعات فردية من بعض الدول العربية، لأمكن تحديد الخصائص التي تجعل الجامعات المعنية تظهر من ضمن لائحة الجامعات الأكثر إنتاجاً، وأهمها:

4 - 1 جامعات مصر

تمتاز جامعات مصر بكونها تتمتع بكتل حرجية من أعضاء هيئات التدريس ممن يحملون مؤهلات عالية. وعلى الرغم من العوامل التي يمكن أن تعيق القيام بالبحث العلمي ونشر نتاجاته في الدوريات العالمية، ولاسيماً إرهاب أعضاء هيئات التدريس بنصاب تعليمي عال لأعداد كبيرة من الطلبة بشكل لا يسمح بالتفرغ ولو الجزئي لأغراض البحث العلمي، وعدم امتلاك الكثير من أعضاء هيئات التدريس اللغات الأجنبية التي تتيح الكتابة بهذه اللغات والنشر في الدوريات المفهرسة عالمياً، فإن

في الجامعات المصرية أعداداً كافية من أعضاء هيئات التدريس تضمن إسهام، ولو عدد قليل منهم، في نشر مقالات علمية في دوريات محكمة وموثقة عالمياً.

ومن ضمن السياسة العامة بشأن تعزيز البحث العلمي في الجامعات المصرية، تمت مؤخراً إعادة تنظيم حوكمة البحث العلمي في الجامعات من خلال إنشاء إدارة عامة في كل منها تعنى بإدارة مختلف شؤون البحث العلمي، من الإشراف على وضع الخطط البحثية للقطاعات الأكاديمية في الجامعة، بما في ذلك الخطط الآيلة إلى تطوير التجهيزات العلمية المتوافرة والاستخدام الأمثل لها، إلى إدارة خدمات تمويل البحوث العلمية والتنسيق مع الجهات المانحة، المحلية والأجنبية، ووضع نظام للحوافز والجوائز وإدارته، والاهتمام بالنشر العلمي، والترويج لنتائج البحث العلمي محلياً وعربياً ودولياً.

أخيراً، وضعت جامعات مصر أنظمة حوافز مالية خاصة تشجع أعضاء هيئات التدريس على النشر العلمي، بخاصة في الدوريات العالمية المشهود لها¹¹. لكن يبدو أنّ نظام الحوافز هذا لم يؤدّ إلى انخراط الأعداد الكبيرة من أعضاء هيئات التدريس في البحث العلمي الجدير بالنشر على الصعيد العالمي، إذ إنّ أعداد المستفيدين من هذه الحوافز يبقى هامشياً نسبةً لأعداد أعضاء هيئات التدريس، كما يبدو أن الكثيرين من هؤلاء المستفيدين هم من مؤلفي أكثر من بحث منشور.

هناك إذاً في جامعات مصر العوامل الثلاثة الآتية التي تسهل وصول هذه الجامعات إلى مكانة ما في لوائح الترتيب الدولي للجامعات

11 مثلاً، اعتمد مجلس جامعة القاهرة بتاريخ 27/12/2006 نظام حوافز للنشر العلمي في الدوريات العالمية متدرّجة بناء على معامل الوقع لهذه الدوريات، يصل أقصاها إلى 50,000 جنيه مصري للمقالات المنشورة في الدوريات ذات معامل الوقع العالي مثل مجلتي للبيئة وللعلوم.

أنّ معدلات قبول المقالات للنشر في مثل هذه الدوريات والمنتديات إجمالاً تحيط من عزيمة أغليبيتهم للانخراط في الكتابة المضنية ووفقاً لتعليمات معقدة تفرضها هذه الدوريات.

لكن المجتمع الأكاديمي في السعودية قد عوّض إلى درجة ما هذه الصعوبة بإنشاء دوريات علمية محكمة في ميادين مختلفة من ميادين العلوم الأساسية والتطبيقية وعمل على إدخالها في قواعد الدوريات الموثقة عالمياً. فنجد مثلاً 8 دوريات علمية موثقة في قاعدة معلومات تومسون رويترز و20 دورية موثقة في قاعدة معلومات سكوبس - السفير. وبذلك، تأتي المملكة العربية السعودية في المرتبة الثانية بعد مصر في ما يخص عدد الدوريات المفهرسة في قواعد المعلومات العالمية¹⁴. كما تجدر الإشارة إلى الأهمية النوعية للخطط الوطنية للعلوم والتقنية والابتكار (الأولى منذ العام 2008 بدعم فاق 8 مليار ريال - ما يعادل 2.1 مليار دولار أميركي - والموسعة اعتباراً من العام 2011 والمدمومة بمبلغ 16 مليار ريال - (ما يعادل 4.3 مليار دولار أميركي) ودورها في خلق أجواء بحثية متميزة ضمن الجامعات السعودية، وبالتالي تطوير وتحسين المؤشرات المتعلقة بمخرجات البحوث العلمية فيها.

ويظهر التفتّص الدقيق للمعطيات المتوافرة حول خصائص أعضاء هيئات التدريس في الجامعات السعودية أنّ الجامعات التي تظهر في لوائح الترتيبات الدولية تعتمد بشكل واسع على خبرات وافدة، ولاسيما من دول آسيوية وغربية، متشبعة بضرورة القيام بالبحوث العلمية ونشر نواتجها على الصعيد العالمي، أو ملزمة بذلك في عقود عملها الصريحة أو الضمنية. مثلاً،

الأكثر إنتاجية بحثية، ولو لم تكن مكانة هذه الجامعات متقدمة بالقدر المطلوب. وهذه العوامل هي: العدد الكافي من أعضاء هيئات التدريس المؤهلين للقيام ببحوث علمية جديرة بالمستويات العالمية ولو بالحد الأدنى، وجود حوكمة واحدة وتأطير إداري فاعل لشؤون البحث العلمي، وجود حوافز مالية تشجّع على الانخراط بالبحث العلمي وتحمل مشقته والتعويض عن صعوبات نشره في الدوريات المحكمة والموثقة عالمياً.

في المقابل، يبقى جل أعضاء هيئات التدريس خارج هذه المعادلة، وإذا قاموا بأبحاث علمية وأدت هذه الأبحاث إلى النشر، فإنّ ذلك يبقى في إطار جغرافي محدود لا يتعدّى عادة الدوريات التي تصدرها الكلية أو الجامعة التي ينتمي إليها، أو على الأكثر البلد الذي ينتمي إليه عضو هيئة التدريس¹².

4 - 2 جامعات السعودية

لا شك أنّ في جامعات السعودية الكتل الحرجة من أعضاء هيئات التدريس الذين يمكن أن يسهموا في رفع منزلة هذه الجامعات في ما يخص النشر العلمي في الدوريات الموثقة دولياً. لكن من الواضح أنّ الحوافز التي تلحظها "اللائحة الموحدة للبحث العلمي في الجامعات السعودية"¹³ لا تكفي لتحفيز أعضاء هيئات التدريس على بذل الجهد المطلوب لكتابة المقالات العلمية التي من شأنها أن تنشر في دوريات علمية محكمة وموثقة عالمياً، بخاصة أنّ اللغة الأكثر استخداماً في هذه الدوريات هي اللغة الإنكليزية التي لا يتقنها عادة العديد من أعضاء هيئات التدريس العربية، كما

12 سلامة، رمزي، لله الدوريات التربوية العربية ونظم النشر والترقية. لله الندوة الإقليمية حول نظم النشر والترقية والتصنيف في الجامعات العربية، الجامعة الأميركية في بيروت، 11 - 12 شباط/فبراير 2010.

13 أنظر نسخة منها على العنوان التالي: http://old.jazanu.edu.sa/deanships/scientific_research/index.php?option=com_content&view=article&id=63&Itemid=79&lang=ar

14 أنظر الجدول رقم (12) أدناه الذي يعطي عدد الدوريات العلمية الموثقة في قواعد المعلومات الدولية في كل من الدول العربية.

من بين الجامعات التي تصدر الجامعات العربية في ما يخص النشر العلمي في الدوريات المؤتقة عالمياً جامعتان صغيرتان نسبياً هما الجامعة الأميركية في بيروت والجامعة الأميركية في الشارقة.. وإذا كانت الجامعة الأخيرة تعتمد على أعضاء هيئات تدريس تم اختيارهم بشكل أساسي من أميركا الشمالية، فإن الذي يميز الجامعة الأولى هو الالتزام بالفلسفة الأميركية لأعضاء هيئات التدريس والمشهورة بتسمية "أنشر أو اندثر" والتي تؤتي ثمارها في جعل هذه الجامعة الصغيرة نسبياً تتبوأ مرتبة بحثية مرموقة بين مصاف الجامعات في العالم..

وللمنهجيات المعتمدة عالمياً لتحليل المقالات العلمية، دعم مالي خاص للجامعات المعنية يؤدي إلى تخفيض الأعباء التدريسية لأعضاء هيئات التدريس في ما يخص معدل الطلبة لكل عضو هيئة تدريس وبما يسمح لهم بتخصيص بعض الوقت للبحوث العلمية والنشر، وإنشاء دوريات علمية متخصصة تتخطى الدوائر المؤسسية الضيقة وتضمن هذه الدوريات في قواعد المعلومات العالمية.

ومنذ الخطة الوطنية الأولى للعلوم والتقنية والابتكار التي بوشر بتنفيذها العام 2008 حدث تغير كبير في المعطيات والمؤشرات. حيث إنه منذ تم اتفاق ما قيمته 8.1 بليون ريال خلال هذه الفترة على مشاريع بحثية في الجامعات السعودية. وهناك أيضاً الخطة الوطنية الموسعة للعلوم والتقنية والابتكار التي تضمنتها خطة التنمية التاسعة التي أقرها مجلس الوزراء في شهر أغسطس/ آب 2010 والمتضمنة ميزانية تنفيذ هذه الخطة الموسعة والبالغة 16 مليار ريال وسيباشر تنفيذها اعتباراً من العام 2011.

4 - 3 جامعات عربية أخرى

من بين الجامعات التي تصدر الجامعات العربية في ما يخص النشر العلمي في الدوريات المؤتقة عالمياً جامعتان صغيرتان نسبياً هما الجامعة الأميركية في بيروت والجامعة الأميركية في الشارقة. وإذا كانت هذه الجامعة الأخيرة تعتمد على أعضاء هيئات تدريس تم اختيارهم بشكل أساسي من أميركا الشمالية،

شكل غير السعوديين 33 % من معادل الوقت الكامل لمجمل أعضاء هيئة التدريس في جامعة الملك سعود في العام 2008 - 2009، وبلغت نسبة الوافدين 45 % من الأعضاء ذوي الرتب الأكاديمية المتقدمة، أي التي يقوم البحث العلمي عادة على عاتقها¹⁵.

مع ذلك، لم يشكل الإنتاج البحثي المؤتق عالمياً لأعضاء هيئات التدريس في الجامعات السعودية خلال العام 2008 سوى ما يعادل مقالاً واحداً لكل ستة أعضاء هيئة تدريس من الرتب الجامعية الثلاث الأعلى والذين يحملون جميعاً شهادة الدكتوراه أو ما يعادلها. لكن، كيف يمكننا توقع إنتاجية بحثية عالية عندما نعلم أن المعدل العام للطلبة لكل عضو هيئة تدريس يبلغ 40 / 1¹⁶، بينما المعدل العالمي لا يتجاوز 16 / 1 في معظم مناطق العالم¹⁷ أما في الجامعات السعودية التي تحتل مكانة متقدمة على صعيد النشر في الدوريات المؤتقة عالمياً فيتحسن هذا المؤشر ليبلغ 17 / 1 في جامعة الملك سعود، 15,5 / 1 في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، 4,2 / 1 في جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية و 2,2 / 1 في جامعة الملك فيصل¹⁸.

في بعض جامعات السعودية أيضاً، العوامل الثلاثة الآتية التي تسهل وصول هذه الجامعات إلى مكانة ما في لوائح الترتيب الدولي للجامعات الأكثر إنتاجية بحثية، هي: عدد لا بأس به من أعضاء هيئات التدريس الوافدين والمؤهلين للقيام ببحوث علمية جديرة بالمستويات العالمية ولو بالحد الأدنى والممتلكين للغة النشر العالمية

15 أنظر: <http://ksu.edu.sa/AboutKSU/Pages/Factsandstatistics.aspx>

16 يبقى المعدل مرتفعاً نسبياً حتى في حال أخذت بالحسبان أعداد المحاضرين الذين لا يحملون شهادة الدكتوراه، إذ يبلغ المعدل عندذاك 30 / 1.

17 أنظر المعطيات بهذا الشأن على موقع معهد اليونسكو للإحصاء:

http://stats.uis.unesco.org/unesco/TableViewer/document.aspx?ReportId=136&IF_Language=eng&BR_Top-ic=0

18 في حال أخذت بالحسبان أعداد أعضاء هيئات التدريس من فئة المحاضرين، تتدنى هذه المعدلات لتصل إلى 13,7 / 1، 10 / 1، 3,6 / 1 و 22,5 / 1. أنظر المعطيات المتعلقة بهذه الجامعات وبسائر جامعات المملكة على موقع وزارة التعليم العالي:

<http://www.mohe.gov.sa/ar/Ministry/Deputy-Ministry-for-Planning-and-Information-affairs/HESC/universitiesStatistics/Pages/default.aspx>

تحتل المنطقة العربية الصدارة لجهة انخفاض أعضاء هيئات التدريس نسبة لأعداد الطلبة، وبالتالي فإنها تشهد ارتفاعاً شديداً في معدلات التأطير، حتى مقارنة مع دول إفريقية جنوب الصحراء التي أصبحت توازيها تقريباً في هذا المجال..

والبحثية، والتي يمكن عزو تصدّرها سائر الجامعات العربية إلى تراكيب خاصة من العوامل المسهّلة السابقة الذكر، من إنفاق عالٍ حقيقي²⁰ أو نسبي²¹ على الطالب الواحد أو على البحوث العلمية²²، ووجود كتل حرجية من أعضاء هيئات التدريس. وقد نجد بين هؤلاء عدداً لا بأس به من الملتزمين بالبحث العلمي، كما قد نجد في هذه الجامعات حوافز أو ضغطاً إدارية للقيام بالبحث العلمي ونشر نتاجاته، وخبرات وافدة تسهم بشكل فاعل في هذا المجال.

في الخلاصة، يظهر من مجمل المعطيات المتوافرة بشأن الجامعات العربية التي تحتل مكانة بارزة في مجال البحث العلمي على الصعيد العالمي أنّ عاملين اثنين يؤثّران بشكل حاسم في جعل هذه الجامعات تحتل مثل هذه المكانة، بينما لا تصل الجامعات العربية الأخرى إلى احتلال موقع متقدّم بين جامعات العالم. ويتمثّل هذان العاملان، من جهة، بوجود كتلة حرجية من الموارد البشرية الكفوءة والملتزمة بالإسهام بتقدّم المعرفة من خلال القيام بالبحث العلمي ونشر نواتجه على الصعيد العالمي، ومن جهة ثانية، بتمتّع الجامعة بموارد مالية عالية تسمح، ممّا تسمح به، إما باستقطاب أعضاء تدريس وافدين يتمتعون بقدرات بحثية عالية، أو بتخفيض الأعباء التدريسية لأعضاء هيئات التدريس بما يتيح لهم المجال للقيام بالبحث العلمي أو يسمح للجامعات بتضمين موجبات هؤلاء القيام بالبحوث ونشر نواتجه على الصعيد العالمي، أو بوضع حوافز خاصة لتعزيز القيام بالبحوث ونشر نواتجه على هذا الصعيد. لكن هذه الجامعات تبقى نادرة نسبياً في العالم العربي وهي تشكل الشواذ الذي يؤكّد القاعدة.

فإن الذي يميّز الجامعة الأولى هو الالتزام بالفلسفة الأميركية لأعضاء هيئات التدريس والمشهورة بتسمية "أنشر أو اندثر!" والتي تؤتي ثمارها في جعل هذه الجامعة الصغيرة نسبياً تتبوأ مرتبة بحثية مرموقة بين مصاف الجامعات في العالم.

وتبيّن المعطيات المتوافرة أن الجامعة الأميركية في بيروت تتميز عن سواها من الجامعات في الدول العربية بإنفاق عالٍ على الطالب يصل إلى حدود 17 ألف دولار سنوياً، وهي تضاهي في ذلك دولاً غنيّة مثل الكويت والإمارات العربية المتحدة اللتين تصرفان بسخاء على جامعاتهما الحكومية. كما أنها تتميز بمعدّل منخفض للطلبة مقابل أعضاء هيئة التدريس نسبة للمعدّلات العالمية يصل إلى 1/14، وهي بذلك تضاهي جامعات عريقة في الدول المتقدّمة صناعياً. أخيراً، تمتاز هذه الجامعة بارتفاع الميزانية المخصّصة للبحث العلمي نسبة لسائر الجامعات في الدول العربية والتي تقع في حدود 8,6% من الميزانية السنوية¹⁹ وبقدرة أساتذتها على استقطاب الدعم المالي المحلي والدولي لتمويل بحوثهم. وبذلك، يمكن اعتبار الجامعة الأميركية في بيروت من بين الجامعات البحثية، ولو أنّ حجمها صغير نسبة إلى جامعات العالم التي تصدر لوائح الإنتاجية البحثية.

وفي العالم العربي جامعات مثل جامعة الكويت، وجامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، وجامعة السلطان قابوس في سلطنة عمان، وجامعة الإمارات العربية المتحدة، والجامعة الهاشمية في الأردن، وجامعة الخرطوم، التي لا تتيح معلومات دقيقة حول خصائصها التعليمية

19 أنظر مؤسسة الفكر العربي (2009)، التقرير العربي الثاني للتنمية الثقافية، بيروت.

20 مثل جامعة الكويت وجامعة الإمارات العربية المتحدة.

21 كما هي حال الجامعة الهاشمية في الأردن التي تحظى بتمويل إضافي خاص من السلطات الحكومية نسبة لسائر الجامعات. (أنظر المرجع المذكور في الحاشية 15 أعلاه).

22 تمتاز جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية والجامعة الهاشمية عن غيرهما من الجامعات في الأردن بأنهما تنفقان النسبة الأعلى من ميزانيتهما على البحث العلمي (طوقان، 2006، نقلاً عن بطاح، 2007).

يشكل توافر الموارد البشرية والمالية المخصصة للبحث العلمي العاملين الحاسمين لظهور مؤسسات التعليم العالي العربية في مصاف المؤسسات ذات الإنتاجية البحثية على الصعيد العالمي، لكن هذين العاملين لا يختزلان مجمل المعادلة، فهناك عدد من العوامل المساندة التي تسمح بالتنبؤ بإمكان خرق الجامعات العربية بشكل أفضل جدار السمعة العالمية..

والقاعدة هي أن الجامعات العربية تفتقد الموارد البشرية المؤهلة للنهوض بالبحث العلمي كما ونوعاً، ولا تتمتع إجمالاً بموارد مالية عالية، أو إذا كان لديها مثل هذه الموارد فهي لا تخصص نسبة عالية منها لتعزيز البحث العلمي.

ولعل أهم مؤشر عن قصور الدول العربية في ما يخص الموارد البشرية يتعلق بتخلفها عن ركب مناطق العالم كافة بشأن معدلات التأطير أو نسبة الطلبة لكل عضو هيئة تدريس. إذ إن المعطيات الإحصائية المتوافرة تدل على أن المنطقة العربية تحتل الصدارة لجهة انخفاض أعداد أعضاء هيئات التدريس نسبة لأعداد الطلبة، وبالتالي فإنها تشهد ارتفاعاً شديداً في معدلات التأطير، حتى مقارنة مع دول إفريقية جنوب الصحراء التي أصبحت توازيها تقريباً في

هذا المجال. وإذا كان المعدل العالمي للتأطير، قد تراوح بين العامين 1999 و2005 ما بين 14 و16 طالباً لكل عضو هيئة تدريس، فإنه هذه المعدلات لم يتم تخطيها في السنتين المعنيتين سوى في إفريقيا (حيث يبلغ 24 / 1) وآسيا الجنوبية والغربية (حيث يبلغ 20 / 1)، وبحال أفضل من معدل المنطقة العربية (حيث يبلغ 25 / 1)²³. وتشير المعطيات المتوافرة إلى أن الدول العربية لم تتحسن في هذا المجال ما بين العامين 2005 و2007، بل أن بعضها شهد تراجعاً²⁴.

ويظهر تقدير حديث نسبياً²⁵ أن الجامعات العربية بحاجة إلى أكثر من مئة وخمسين ألف حامل دكتوراه لتأمين الحد الأدنى من أعضاء هيئات التدريس المؤهلين أكاديمياً للقيام بمهام التعليم الجامعي والبحث العلمي. والجدير بالذكر أن دراسة الاتجاهات الحالية تدل على أن الدول العربية بعيدة عن الخروج من هذا النفق المظلم. فمعدلات الالتحاق بالدراسات العليا في هذه الدول منخفض إلى حد كبير مقارنة بالمعدلات العالمية، وليس من شأنه أن يؤمن أعضاء هيئات تدريس يتحلون بمؤهلات عالية لسد الاحتياجات الحالية للتعليم العالي ولتأمين التأطير المناسب للأعداد المتزايدة من الطلبة المتوافدين على مؤسسات التعليم العالي²⁶.

من ناحية ثانية، تدل المعطيات المتوافرة²⁷

90 ألف باحث في الجامعات العربية!

إطار 8

بناءً على المعطيات المتوافرة، يمكن تقدير عدد أعضاء هيئات التدريس في الجامعات العربية بما يقارب 300,000. وإذا سلّمنا جدلاً بأنه في الحالات المثلى يمكن لعضو هيئة التدريس تكريس حوالي 30 % من وقت العمل للقيام بمختلف الأنشطة المتعلقة بالبحث العلمي، يكون لدى الجامعات العربية خزان بشري يساوي 90,000 باحث بدوام كامل، ينتظر منهم إنتاج بحثي يوازي أضعاف ما تنتجه جامعات دول مثل كندا²⁵ أو فرنسا²⁶. لكن يبدو أن الواقع بعيد كل البعد عن هذا الأمر.

23 أنظر الإحصاءات المتوافرة على موقع معهد اليونسكو للإحصاء: http://stats.uis.unesco.org/unesco/TableViewer/docu-ment.aspx?ReportId=136&IF_Language=eng&BR_Topic=0

24 أنظر الإحصاءات المتوافرة على موقع مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية: <http://www.sesrtic.org/baseind.php>

25 كان في العام 2008-2009 يعمل في جامعات كندا حوالي 42,000 عضو هيئة تدريس. وتقدر قيمة الأبحاث التي يقومون بها بأكثر من 10 مليارات دولار، حوالي 60 % منها تأتي من مصادر من خارج ميزانيات الجامعات. أنظر موقع رابطة الجامعات والمعاهد الكندية: http://www.aucc.ca/policy/quick-facts_f.html

26 كان في العام 2008-2009 يعمل في جامعات فرنسا حوالي 90,000 عضو هيئة تدريس، منهم حوالي 58,000 أستاذ باحث. أنظر: <http://www.enseignementsup-recherche.gouv.fr/cid20715/les-chiffres-cles-2008.html>

27 سلامه، رمزي (2007)، أحوال التعليم العالي في الدول العربية، مؤتمر المعرفة الأول. دبي: مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، 29-28 تشرين الأول/أكتوبر 2007.

28 أنظر مثلاً ما صرح به وزير التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر في العام 2004 حول حاجة هذا البلد إلى 24400 عضو هيئة تدريس جديد لسد النقص المتوقع في غضون العام 2008 وإلى 43300 عضو هيئة تدريس للارتقاء بمعدلات التأطير إلى المستويات العالمية، بالإضافة إلى كون 15 % فقط من أعضاء هيئات التدريس الذين على رأس عملهم ينتمون إلى الرتبتين المتقدمتين من الرتب الجامعية، والتي يعول عليها القيام بالبحث العلمي، وعدم قدرة النظام على تأمين الأعداد اللازمة للارتقاء بهذا المعدل. http://www.algeria-watch.org/fr/article/div/recrutement_enseignants.htm (Accessed April 6, 2009)

يظهر تقرير حديث نسبياً أنَّ الجامعات العربية بحاجة إلى أكثر من مئة وخمسين ألف حامل دكتوراه لتأمين الحد الأدنى من أعضاء هيئات التدريس المؤهلين أكاديمياً للقيام بمهام التعليم الجامعي والبحث العلمي..

الجامعية التي تنتج في إطارها. لكن المعلومات المتوافرة تكاد لا تتعدى اسم المؤلف وعنوان الأطروحة وتاريخ تقديمها. كما بادر اتحاد الجامعات العربية إلى إنشاء مركز لإيداع هذه الرسائل والأطروحات³¹. لكن التعاون مع هذا المركز من الجامعات الأعضاء متفاوت إلى حد كبير. كما أن هذا المركز لم يثبت جدواه، مثلاً من خلال اعتماد مرجعية موحدة للمعلومات حول هذه الرسائل والأطروحات مثل تلك المعمول بها في "الملخصات الدولية للأطروحات"³².

عدد الدوريات العلمية الصادرة في الدول العربية والمفهرسة في قواعد المعلومات العالمية

جدول رقم 12

البلد	عدد الدوريات المفهرسة في قاعدة معلومات تومسون رويترز	عدد الدوريات المفهرسة في قاعدة معلومات سكوبس - السفير	عدد الدوريات المفهرسة في قاعدة إينيس للعلوم الإنسانية والاجتماعية	المجموع
الأردن	7	5	5	17
الإمارات	3	5	1	9
البحرين	0	3	0	3
تونس	1	2	3	6
الجزائر	1	1	2	4
السعودية	8	20	2	30
سوريا	0	0	2	2
العراق	0	4	0	4
عمان	0	1	1	2
قطر	1	4	0	5
الكويت	2	6	1	9
لبنان	1	4	3	8
ليبيا	0	1	1	2
مصر	24	16	9	49
المغرب	2	2	6	10
مجموع الدول العربية	50	74	36	160
المجموع العام في قاعدة المعلومات	16539	28194	11403	56136

على أنَّ الجامعات الحكومية في معظم الدول العربية، عدا النفطية منها، تنفق قدراً محدوداً على الطالب الواحد، بينما لا يصيب البحث العلمي في جامعات الدول النفطية سوى القدر اليسير من الميزانية السنوية.

5 - عوامل مساندة

يشكل توافر الموارد البشرية والمالية المخصصة للبحث العلمي العاملين الحاسمين لظهور مؤسسات التعليم العالي العربية في مصاف المؤسسات ذات الإنتاجية البحثية على الصعيد العالمي. لكن هذين العاملين لا يختزلان مجمل المعادلة. فهناك بالطبع عدد من العوامل المساندة التي من شأنها تحسين القدرة على التنبؤ بإمكان خرق الجامعات العربية بشكل أفضل جدار السمعة العالمية. وفي ما يلي العوامل الأربعة الآتية التي تبدو ذات شأن في تعزيز المكانة البحثية للجامعات العربية، وهي: وسائل نشر نواتج البحث العلمي، التشبيك والتعاون، شروط ترقية أعضاء هيئات التدريس، الحريات الأكاديمية.

5 - 1 وسائل نشر نواتج البحث العلمي

يشكل نشر نواتج البحث العلمي إحدى الحلقات الرئيسة في عملية إنتاج المعرفة والاستفادة منها. فلا قيمة لبحث من دون نشر نتائجه. ويلاحظ المراقب أن الجامعات العربية قد اتخذت بعض المبادرات لنشر نواتج البحث العلمي، لكن هذه المبادرات تبقى خجولة إلى حد كبير ولا تفي بالمطلوب³⁰.

فقد بادر مثلاً بعض الجامعات العربية إلى نشر معلومات حول الرسائل والأطروحات

29 أنظر مؤسسة الفكر العربي (2009)، التقرير العربي الثاني للتنمية الثقافية.

30 تجدر الإشارة مثلاً إلى المبادرة التي قام بها اتحاد الجامعات العربية بإنشاء مجلة إلكترونية محكمة في ميدان التعليم العالي بتنسيق من جامعة العلوم والتكنولوجيا في صنعاء.

31 يقع هذا المركز في الجامعة الأردنية.

تفيد الأرقام أن مصر تحتل مركز الصدارة في ما يتعلق بتوثيق الدوريات عالمياً، يليها في ذلك المملكة العربية السعودية (في ما عدا الدوريات المتخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية)، فالأردن ثم المغرب في ما يخص الدوريات المتخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بينما تبقى المئات من الدوريات العلمية المنشورة في الدول العربية من دون أي واجهة على العالم الخارجي..

من أمثاله من الدوريات المفهرسة في قاعدة المعلومات فرنسيس التي تعنى بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والتي تحتوي على ما يزيد على 2200 دورية³⁵. ويبدو من تفحص ناشري هذه الدوريات أنّ قسماً منها تصدره مؤسسات بحثية أجنبية، وفرنسية بالذات، متجذرة في بعض أرجاء العالم العربي.

ويظهر الجدول رقم (12) السابق أعداد الدوريات العلمية المفهرسة في مجموعة تومسون- رويترز³⁶ التي تمتلك شبكة المعرفة وتصدر مؤشر الاستشهادات العلمية، وفي مجموعة سكوبوس-السفير³⁷ التي تصدر ترتيب الدول والجامعات بناء على إنتاجيتها البحثية، وفي قاعدة معلومات الإينيسيت للعلوم الإنسانية والاجتماعية التي جمعت الدوريات المفهرسة في جملة من قواعد المعلومات³⁸.

يظهر من هذا الجدول أنّ هناك 50 دورية تصدر عن مؤسسات من الدول العربية مفهرسة في قاعدة معلومات تومسون - رويترز والتي تحتوي على 16539 دورية تصدر في مختلف أنحاء العالم، أي ما يعادل 3 بالألف، يضاف إلى ذلك 54 دورية يصدرها ناشر تجاري أجنبي واحد اتخذ من الإمارات مقراً له نظراً للتسهيلات التي تمنحها هذه الدولة. أما في قاعدة معلومات سكوبوس - السفير فنجد 74 دورية عربية من أصل 28194، أي ما يعادل 2,6 بالألف، وفي قاعدة معلومات إينيسيت للعلوم

أو من خلال المتابعة الحثيثة للجامعات لكي تفي بالتزامها القيام بالإيداع، أو من خلال معالجة المعلومات المتاحة وإتاحتها لجمهور المستفيدين. ويبدو من المعطيات المتوافرة³³ أنّ إنجاز الرسائل والأطروحات نادراً ما يؤدي إلى نشر نتائجها في الدوريات العلمية، ولو المحلية. وبذلك، تبقى نتائج الجهد البحثي الذي يقوم به طلبة الدراسات العليا في الجامعات العربية متاحاً في نطاق ضيق لا يتعدى الجامعة أو الكلية التي ينجز فيها.

ويلاحظ المراقب في هذا المجال أن المجتمع الأكاديمي في الدول العربية بادر في الغالبية الساحقة من الأحيان بإنشاء دوريات خاصة بكل كلية أو مؤسسة تعليم عال على حدة، ولم يبادر، سوى في حالات نادرة إلى إنشاء دوريات وطنية أو عربية جامعة³⁴. ويظهر من المعطيات المتوافرة أن عدد الدوريات التي تتخطى حدود الكلية أو الجامعة التي تصدر عنها محدود جداً. كما أن من النادر أن تجد دوريات علمية عربية موثقة في قواعد المعلومات العالمية.

فقد تبين من التفحص الدقيق لقواعد المعلومات حول الدوريات المفهرسة عالمياً أن 10 فقط من الدوريات التي تصدر في الدول العربية مفهرسة في قاعدة المعلومات الفرنسية باسكال التي تعنى بالعلوم البحتة والتي تحتوي على ما يزيد على 3000 دورية بمختلف اللغات ومن جميع أنحاء العالم، كما أنّ هناك 7 فقط

32. Dissertation Abstracts International.

33 يبدو ذلك مثلاً في ميدان التربية من خلال مقارنة المقالات المنشورة في الدوريات التربوية مع الرسائل والأطروحات. أنظر قاعدة معلومات لشبكة المعلومات العربية التربوية (شبكة): www.shamaa.net.org

34 من الدوريات الجديدة بالذكر والتي تتخطى الحدود الضيقة للكلية والجامعة تلك التي يصدرها اتحاد الجامعات العربية والتي تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكو). لكن هذه الدوريات أيضاً تشكو من عدم انتشار مؤلفيها على مساحة العالم العربي.

35 تنتمي الدوريات الموثقة في باسكال إلى مصر (2)، وتونس (8). أنظر: <http://www.inist.fr/spip.php?article22>. بينما تنتمي الدوريات الموثقة في فرنسيس إلى الدول الآتية: لبنان (1)، سوريا (1)، مصر (2)، تونس (3). أنظر: <http://www.inist.fr/spip.php?article23>

36 Thomson Reuters Master Journal List: <http://science.thomsonreuters.com/cgi-bin/jrnlist/jlresults.cgi?PC=MASTER> 37 Scopus Elsevier: <http://www.info.scopus.com/scopus-in-detail/facts>

38 تجمع هذه القاعدة المعطيات المتوافرة بشكل أساسي في قواعد المعلومات الآتية: سكوبوس: 5624 دورية؛ السجل الأوروبي للدوريات في العلوم الإنسانية (ERIH): 5184 دورية؛ سجل الوكالة الفرنسية لتقييم الأبحاث والتعليم العالي (AERES): 5115 دورية؛ سجل الاستشهادات في العلوم الاجتماعية لمجموعة تومسون رويترز (AHCI-SSCI): 3918 دورية؛ قاعدة المعلومات فرنسيس: 2226 دورية؛ ما مجموعه 11403 دوريات مختلفة.

ثم المغرب في ما يخص الدوريات المتخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بينما تبقى المئات من الدوريات العلمية المنشورة في الدول العربية من دون أي واجهة على العالم الخارجي. في هذا الإطار، يمكن تصوّر أربع مستويات للنشر العلمي³⁹. يتوجّه المستوى الأول إلى

الإنسانية والاجتماعية نجد 36 دورية من أصل 11403، أي ما يعادل 3,2 بالألف. ويبدو من هذا الجدول أن مصر تحتل مركز الصدارة في ما يتعلق بتوثيق الدوريات عالمياً، يليها في ذلك السعودية (في ما عدا الدوريات المتخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية)، فالأردن

المعايير الدولية لتصنيف الدوريات العلمية

إطار 9

درجت مؤسسات عديدة حول العالم على تصنيف الدوريات العلمية، الأكاديمية والمهنية، بناء على معايير محدّدة⁴⁰. وقد أدّى ذلك إلى اعتماد تصنيفات متعدّدة وغير متطابقة في بعض الأحيان تقع بالإجمال في ثلاث مراتب يمكن تلخيصها كالآتي: الدوريات الممتازة، الدوريات الجيدة، الدوريات العادية. ويضيف بعض هذه التصنيفات مرتبة عليا محصورة بعدد قليل من الدوريات الأكاديمية يمكن تسميتها بالخارقة، بينما تصنيف مرتبة دنيا خاصة بالدوريات المهنية ذات الأثر المحدود نسبة إلى قريناتها.

وللوصول إلى تصنيف هذه الدوريات، يتمّ تقييمها بناء على معايير متنوّعة يمكن جمعها تحت العناوين الثلاثة الآتية: المعايير المتعلقة بمحتويات الدورية، المعايير المتعلقة بإدارة الدورية وبآليات النشر فيها، والمعايير المتعلقة بانتشار الدورية وبمكائنها. في ما يلي المعايير القصوى التي من شأن تلبيتها بشكل كامل تصنيف الدورية في مرتبة الدوريات الممتازة، بينما تؤدي تلبيتها الجزئية إلى تصنيف الدورية في المراتب الأدنى.

أولاً - المعايير المتعلقة بمحتويات الدورية:

- تتطرّق مقالات الدورية لموضوعات بحث متجدّدة.
- تنشر الدورية مقالات أساسية للتعمّق في حقول المعرفة التي تعنى بها.
- يتمّ في مقالاتها تغطية الأدبيات المعنية بشكل واسع وباستخدام أحدث المراجع المتوافرة، بما في ذلك الأدبيات العالمية.
- تكون خطط وطرائق وأساليب وأدوات البحث والتحليل مضبوطة بشكل دقيق ومبنية على أحدث ما توصّل إليه العلم في الميدان المعني والميادين ذات الصلة.
- تسهم المقالات التي تضمّنها الدورية إسهاماً كبيراً في تقدّم المعرفة في الميادين التي تتطرّق لها.
- ثانياً - المعايير المتعلقة بإدارة الدورية وبآليات النشر فيها:
- تتولّى إدارة الدورية هيئة تحرير مؤلفة من اختصاصيين مشهود لهم بالعلم بالموضوعات التي تتطرّق لها.
- تتكوّن هيئة التحرير من أشخاص ينتمون إلى مؤسسات عديدة غير مرتبطة عضوياً في ما بينها.
- يشارك في تحكيم المقالات المعروضة للنشر أشخاص من غير الذين ينشرون فيها.
- يتمّ تحكيم كلّ مقال معروض للنشر باثنين من الاختصاصيين أو أكثر يقدمون رأيهم خطياً بناء على استمارة معدّة مسبقاً وعلى سياسة تحرير واضحة تحدّد أهداف الدورية، ومجالاتها، والجمهور الذي تتوجّه إليه، وسائر الأمور التي تحدّد الشخصية الخاصة بالدورية.

- تنظر هيئة التحرير بالمقالات المعروضة للنشر أخذاً بالاعتبار رأي المحكّمين.
- لا تنشر الدورية سوى المقالات التي تحظى بتقدير عالٍ من المحكّمين ومن أعضاء هيئة التحرير؛ ولا تتجاوز عادة نسبة قبول المقالات 20 % أو 30 % من مجمل المقالات المعروضة للنشر.

ثالثاً - المعايير المتعلقة بانتشار الدورية وبمكائنها:

- تحظى الدورية بانتشار واسع، ولاسيّما على الصعيد العالمي، ويقدر ذلك بشكل خاص بعدد المشتركين بها وبتوزيعهم الجغرافي، ولاسيّما وجودها في أغلبية المكتبات الجامعية. ويتحمّ عادة بسبب ذلك أن تكون مقالات الدورية، أو على الأقل ملخصات وافية عنها، متوافرة باللغة الإنكليزية.
- تحظى الدورية بمكانة عالية عند أصحاب الاختصاص. ويقدر ذلك من خلال مؤشرات مثل صيت المسؤولين عنها، وقبول قادة الفكر والعلم الانضمام إلى هيئة تحريرها وإلى هيئة المحكّمين، وعدد المقالات التي يطلب مؤلفوها النشر فيها، وشهادة أصحاب الاختصاص بموقعها المميّز في عالم الدوريات.
- تحظى الدورية بتكثيف في عدد كبير من قواعد المعلومات المتخصصة.
- تحظى المقالات المنشورة في الدورية بعدد عالٍ من الاستشهادات في الكتابات المتخصصة.

5 - 2 التشبيك والتعاون في النشر المحكم

غني عن البيان أنّ الرقيّ بالنشر العلمي وتعزيز جودته يتطلب إقامة شراكات واسعة بين المختصين للإشراف على أهمية الموضوعات المطروحة للبحث وعلى جودة ما ينشر على الصعيد العالمي⁴¹. ويتطلب ذلك إنشاء دوريات متخصصة لا تنتمي إلى مؤسسة تعليم عالٍ بحدّ ذاتها بل تشرف عليها مجموعات من الباحثين المستقلين ينتمون إلى مؤسسات متعدّدة، تعتمد شروطاً للنشر وآليات للتحكيم تضمن الشفافية والموضوعية والحيادية والالتزام بالمعايير الأكاديمية من دون سواها من المعايير والاعتبارات.

ويتطلب ذلك أيضاً تشبيكاً وثيقاً ما بين أعضاء هيئات التدريس في مختلف مؤسسات التعليم العالي العربية. ولعل في جمعيات الكليات المتناظرة التي أنشأها اتحاد الجامعات العربية البراعم الأساسية لمثل هذا التشبيك والتي من شأن تفعيل عملها إنشاء دوريات علمية عربية متخصصة ذات بعد عربي وعالمي شامل لجعلها منبراً للأبحاث العلمية التي يقوم بها أعضاء هيئات التدريس في الجامعات والتي يمكن أن تكون ذات وقع يتخطى الحيز الوطني أو المؤسسي الضيق⁴².

ولا شك أنّ من شأن إنشاء مثل هذه الدوريات أن يشكل حافزاً للتنافس الشريف ما بين الباحثين لإثراء المكتبة العربية والعالمية

المجتمع الأكاديمي المحلي فيعالج مسائل خاصة بالمؤسسة التي يصدر عنها وينشر في وسائل النشر التي تتيحها المؤسسة نفسها. أما المستوى الثاني فيتمثل بالبحوث التي تعالج مسائل أو تتناول قضايا ذات بعد وطني ويتوجب أن ينشر في وسائل نشر متاحة على هذا الصعيد لتعميم الاستفادة منها في تكوين فكر وطني أو تطوير السياسات والممارسات الوطنية وغير ذلك. وفي المستوى الثالث قد يتطرق البحث العلمي إلى قضايا ومسائل ذات بعد أشمل من البعد الوطني، إن لجهة تناوله لقضايا أو معالجته لمسائل مطروحة على الصعيد العربي ككل أو على المستوى العالمي، أو لإسهامه في تطوير الفكر العربي أو الدولي أو في تطوير منهجيات البحث وأدواته، أو في تعريف العالم على أوضاع الدول العربية أو على إنجازاتها، وما إلى ذلك من أمور. عند ذلك، لا بدّ من إتاحة الفرص لمثل هذا البحث لأن ينشر على المستوى العربي الواسع أو على المستوى الدولي وباللغات التي من شأنها أن توصل الإسهامات العربية لمن يستطيع الاستفادة منها على الصعيد العالمي. وفي المستوى الرابع تبدو إعادة النظر في الوضع القائم على صعيد الدول العربية ككل وعلى صعيد كلّ دولة وكلّ مؤسسة للتعليم العالي على حدة، حاجة ملحة إذا ما أريد الرقيّ بالنشر العلمي العربي إلى مصاف المجموعات اللغوية المتقدّمة وتعميم الفائدة من البحث العلمي الذي يقوم به العلميون العرب.

39 سلامه، رمزي، لله الدوريات التربوية العربية ونظم النشر والترقية. لله الندوة الإقليمية حول نظم النشر والترقية والتصنيف في الجامعات العربية. الجامعة الأميركية في بيروت، 11 - 12 شباط/فبراير 2010.

40 من أشهر هذه التصنيفات ما يأتي: ISI Web of Knowledge of Thompson Reuters Co., with its SCI and SSCI (2500 periodicals), Journal Citation Reports, and Impact Factor (citation of a journal) : <http://isiwebofknowledge.com/> - European Science Foundation (ERIH) : <http://www.esf.org/research-areas/humanities/erih-european-reference-index-for-the-humanities/erih-initial-lists.html> - AERES : <http://www.aeres-evaluation.fr/La-liste-des-revues-scientifiques> - CNRS : <http://lirhe.univ-tlse1.fr/publications/Autres/revuesgrhclassement.pdf>

41 أنظر إطار 9.

42 يمكن التفكير مثلاً بإنشاء مجموعة من الدوريات العلمية المتخصصة تحت المسمى العام لله المجلة العربية لله، على أن يُعطف عليها المجال العلمي المعني، على غرار مجلات علمية متعدّدة يصدرها عدد من المؤسسات البحثية والجامعات المصرية. مثلاً، المجلة العربية لعلوم الصيدلة، وتتمّ ترجمتها إلى Arab Journal of Pharmaceutical Studies. ويتمّ توثيقها في قواعد المعلومات العالمية ويسهل الوصول إليها من خلال الكلمة المفتاحية Arab.

وليس الهيئات الوطنية المختصة بالمعادلات، بموجب إنتاج بحثي لا يرقى إلى المستوى المعهود لأطروحة الدكتوراه. ومن شأن هذه الممارسات أن تلغي مفاعيل أنظمة الترقية العلمية، وأن تجعل مهنة التعليم العالي كأي وظيفة من الوظائف الحكومية يتدرج شاغلها في مراتبها بناء على تراكم سنين الخدمة وتزكية رئيسه المباشر والإفادة بسلوكه المرضي.

وفي تحليل حديث للنصوص القانونية⁴³ التي ترعى ترقية الأساتذة الجامعيين في المغرب، يظهر غياب منطق الأهلية الأكاديمية للترقية في النصوص كما في النفوس. وتؤكد هذا المنحى دراسة ميدانية⁴⁴ مع عينة من أعضاء اللجان العلمية للترقية والتي تظهر أن أعضاء اللجان العلمية في المغرب يؤكدون أن "مسألة تقييم الأستاذ الجامعي عن طريق الإنتاج العلمي المرتبط بالبحث فكرة جديدة لم تعرف طريقها بعد إلى التوطين". أما في تونس⁴⁵، فيتبين أن هناك ثلاثة عوامل على الأقل تؤثر في تدني مكانة البحث العلمي في العمل الجامعي مع تأثيرها على شروط الترقية. أولها أن التحاق "العدد الكبير من الطلبة قد استدعى تأمين التأطير بقطع النظر عما يتولى ذلك فوفدت على الجامعة شرائح من المدرسين لا يمارسون البحث العلمي". كما أن مشروعات الإصلاح "التي تمت تحت شعار"الشراكة مع المؤسسة الاقتصادية"، حرمت الجامعة من القيام بدورها كمؤسسة إنتاج علمي وأكاديمي وتكاد تحولها إلى مؤسسة تكوين مهني". أخيراً، يبدو أن "الغموض في مقاييس التأهيل الجامعي (وهو

بالأبحاث العلمية ذات القيمة العالية، كما من شأنه أن يؤدي إلى إقامة علاقات تعاون في مجالات البحث نفسها. فمن المسلم به أنه، في معظم ميادين المعرفة، ليس بمقدور كل باحث على حدة أن يقوم بأبحاث علمية ذات وقع عالٍ. ولذلك، لا بد من إقامة مجموعات من الباحثين لتعزيز التعاون في مجالات البحوث كافة بدءاً بالتعاون بين المؤسسات الحكومية والخاصة في الدولة الواحدة، وصولاً إلى التعاون بين باحثين من مؤسسات دول متعددة على الصعيدين العربي والدولي.

5 - 3 شروط ترقية أعضاء هيئات التدريس

يدل تحليل ما توافر من نصوص تنظيمية على أن الجامعات الحكومية في الدول العربية قد اعتمدت، بشكل عام، المعايير الدولية في ما يخص الترقية من رتبة أكاديمية إلى أخرى، بشكل أساسي من حيث ضرورة تأمين المرشح لإنتاج بحثي وجوده في التعليم، وقد تضاف إليها خدمة الجامعة والمجتمع. لكن اللافت أن بعض الدول والمؤسسات، وبدعم من أعضاء هيئات التدريس، تعتمد تفريقاً بين الترقية العلمية القائمة على معايير الأداء، وما يسمى أو يمكن أن يسمى بالترقية الوظيفية القائمة على تراكم سني الخدمة مع إنتاج بحثي بعدد متدنٍ نسبياً أو من دون مثل هذا الإنتاج إطلاقاً. ومن ذلك، الترقية إلى رتبة الأستاذ المساعد من دون الحصول على الدكتوراه أو بناء على معادلة للدكتوراه تمنحها الجامعة نفسها،

43 التهامي، ضراري (2010). لله الأهلراطية (meritocracy) وأثارها على الوجود الأكاديمي لهيئات التدريس من خلال نموذج العلوم الإنسانية والاجتماعية بالجامعة المغربية. لله الندوة الإقليمية حول نظم النشر والترقية والتصنيف في الجامعات العربية، الجامعة الأميركية في بيروت، 11 - 12 شباط/فبراير 2010.

44 أوزي، أحمد (2010). لله اتجاهات الأساتذة وأعضاء اللجان العلمية نحو نظام الترقية في الجامعة المغربية. لله الندوة الإقليمية حول نظم النشر والترقية والتصنيف في الجامعات العربية، الجامعة الأميركية في بيروت، 11 - 12 شباط/فبراير 2010.

45 لبيض، سالم (2010). لله الجامعة التونسية: تجارب الإصلاح ووضع المدرس الباحث لله، الندوة الإقليمية حول نظم النشر والترقية والتصنيف في الجامعات العربية، الجامعة الأميركية في بيروت، 11 - 12 شباط/فبراير 2010.

أخرى في أرجاء المشرق والمغرب والخليج العربي. يدلّ انخراط أعضاء هيئات التدريس في هذه الممارسات على ضعف الثقافة بشأن ماهية العمل الجامعي وماهية الرتب الجامعية التي يتطلب الترقّي في سلمها سنوات طويلة من العمل الدؤوب، مع إنتاج علمي ملحوظ وأداء تعليمي ومهني متميّز. ويعزّز هذا المنحى اعتبار مهنة التعليم الجامعي كوظيفة حكومية ارتباطاً بمؤسسات التعليم العالي المباشر بالسلطات الحكومية وتحديد واجبات أعضاء هيئات التدريس بعدد من الساعات المكتبية والتدريسية وغيرها تشبه إلى حدّ بعيد دوام الموظفين (غالباً ما بين 25 و40 ساعة أسبوعياً) بدلاً من تحديدها بمهام تدريسية وبحثية وخدمية ومساءلة الفرد عن حسن إنجازها بدلاً من اشتراط الالتزام بدوام عمل قد يكون في غالب الأحيان عقيماً وغير منتج، إضافة إلى تضخيم النصاب التدريسي إلى ما يعادل ضعف ما يصيب عادة أعضاء هيئات التدريس في الدول الصناعية المتقدمة وتقليص الوقت الذي يمكن أن يخصصه عضو هيئة التدريس للبحث العلمي والتبحّر والكتابة⁴⁶ التي قد لا تتطلب حضوراً في المؤسسة، وإنما يتطلب جهداً مستقلاً بعيداً عن الأنظار، بخاصة في اختصاصات العلوم الإنسانية والاجتماعية والتربوية وما شابهها. وممّا يزيد المشهد قتامة تفشي ظاهرة إنشاء مؤسسات خاصة للتعليم العالي وعدم اعتماد معايير وطنية لترقية أعضاء هيئات

المدخل إلى الترقية) والضبابية في شروطه أدّى إلى تنامي الصعوبات في تطبيق تلك الشروط بسبب تعدّد التأويلات التي تحوم حولها، فانتشرت طفيليات الإقصاء والمحابة المستندة إلى خلفيات عدّة غير الخلفية العلمية، فعرفت الجامعة ظواهر غريبة بسبب الخوف من الإقصاء والحرمان من الحصول على التأهيل الجامعي". وتقتضي الأمانة العلمية الإقرار بأن هذا الوصف السلبي للأوضاع الأكاديمية ينطبق على عشرات الجامعات العامة والخاصة في دول

الجامعيون: بين البحث والترقية

إطار 10

تجدر الإشارة إلى أن الأعراف والممارسات الجامعية في أميركا الشمالية تقضي بتحديد المهام السنوية لعضو هيئة التدريس على شكل مسؤوليات مقررّات دراسية، والإشراف على عدد معين من طلبة الدراسات العليا، وإدارة أبحاث ممولة من جهات داخلية أو خارجية أو غير ممولة، وإنتاج بحثي، ومشاركة في مؤتمرات وغيرها، ومشاركة في مجالس ولجان، وما إلى ذلك من أمور، من دون ذكر أي دوام وما إليه. ويقدم كل عضو هيئة تدريس في نهاية كل سنة دراسية تقريراً سنوياً عن مجمل أنشطته وأعماله وإنجازاته وتصوّب مهامه اللاحقة نظراً للإنجازات السابقة وللالتزامات المستقبلية. واللافت في الأمر أن مجمل الأبحاث تدلّ على أن عضو هيئة التدريس في هذه الجامعات يقضي ما لا يقلّ عن خمسين ساعة أسبوعياً كعمد عام للوقت الذي يخصصه لمهامه الجامعية، وقد يصل ذلك عند البعض من المبتدئين بالتعليم أو من البجّة الأغزر إنتاجاً إلى سبعين ساعة أسبوعياً.

تدلّ المعطيات المتوافرة حول الإنتاج العلمي لأعضاء هيئات التدريس في الولايات المتحدة الأميركية على أن المعدّلات العامة لإنتاج الذين يعملون في مؤسسات جامعية تبلغ في غضون خمس سنوات، أي ما يعادل الفترة المطلوبة عادة للترقية من رتبة أكاديمية إلى أخرى، 6.5 مقالات منشورة في دوريات محكمة، و1.25 كتاباً أو دراسة أو تقريراً منشوراً، و2.25 مراجعة منشورة لكتابات وضعها آخرون، و3.25 مقالاً غير محكمة، و14.75 تقديماً في مؤتمر أو ندوة أو معرض⁴⁷.

أما في مؤسسات التعليم العالي العربية، فنظراً لشروط الترقية المتدنية نسبياً، لا شك أنّ هناك ابتعاداً شديداً عن مثل هذه الإنتاجية البحثية. مثلاً، أظهرت دراسة⁴⁸ في كلية الآداب في جامعة القاهرة أنّ متوسط عدد الأعمال العلمية التي ينتجها عضو هيئة التدريس في الكلية بلغ 1.35 عملاً علمياً في السنة، وأنّ معظم الإنتاج العلمي عبارة عن أوراق غير محكمة مقدّمة إلى مؤتمرات محلية، أو، على أقصى تقدير، منشورة في دوريات محلية تقتقر إلى التحكيم الجيد".

46 تقرير المعرفة العربي للعام 2009 - نحو تواصل معرفي منتج (2010). الفصل الخامس: الأداء العربي في مجال البحث والابتداع، أعد بدعم ورعاية مشتركة من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، طبع في دبي - الإمارات العربية المتحدة.

47 Cataldi, E.F., Bradburn, E.M., and Fahimi, M. (2005). 2004 National Study of Postsecondary Faculty (NSOPF:04): Background Characteristics, Work Activities, and Compensation of Instructional Faculty and Staff: Fall 2003 (NCES 2006-176). U.S. Department of Education. Washington, DC: National Center for Education Statistics. <http://nces.ed.gov/pubns2006/2006176.pdf> Accessed April 4, 2009

48 يونس، فيصل (2010). للنظام الترقيّات لأعضاء هيئة التدريس في الجامعة المصرية: نظرة من الداخل. الندوة الإقليمية حول نظم النشر والترقية والتصنيف في الجامعات العربية، الجامعة الأميركية في بيروت، 12-11 شباط/فبراير 2010.

5 - 4 الحريات الأكاديمية والإنتاجية البحثية

يتطلب إسهام الجامعات في تقدّم المعرفة التأكيد على التلازم بين دورَيّ التعليم والبحث العلمي لأعضاء هيئات التدريس، وإحداث التوازن ما بين مهماتهم التدريسية ومهامهم البحثية. وتزداد الحاجة إلى هذا التأكيد نظراً لأن أعضاء هيئات التدريس في مؤسسات التعليم العالي يشكلون الكتلة الأساسية للبحث العلمي في الدول العربية⁵¹، وذلك لندرة وجود مراكز أبحاث حكومية وغير حكومية مستقلة عن مؤسسات التعليم العالي وتعمل من خلال باحثين متفرّغين⁵². ويتأتّى من ذلك "الاعتراف بالمعرفة والبحث العلمي كمادة أولية رئيسية ومورد دائم"⁵³، وبالتالي تتمتع أعضاء هيئات التدريس بالحريات الأكاديمية، في التعليم، والبحث، والإنتاج المعرفي والأدبي والفني والتقني، والتعبير الفكري الحرّ والناقد، من دون ضغوط مؤسسية أو مجتمعية ومن دون تمييز، ليطمئنوا من سبر غور المعرفة وتوسيع نطاقها والرقى بها بحرية تامة.

ويدلّ تحليل الوثائق الرسمية التي ترعى عمل مؤسسات التعليم العالي على أنها تحترم بشكل عام المعايير الدولية بشأن الحريات الأكاديمية. لكن الدراسة المتعمّقة للممارسات تظهر أن معظم الدول العربية تفتقد إلى الشروط الأساسية لتحقيق هذه

التدريس فيها بغياب الأعراف الأكاديمية العريقة عن فكر مؤسسيها والمشرّفين عليها وتغييب هذه الأعراف عن ممارسات العديد من قياداتها الأكاديمية بفعل الضغوط التي تمارس عليهم من مالكي هذه المؤسسات ومن أعضاء هيئات التدريس فيها على حدّ سواء. فتجد بعض العاملين في هذه المؤسسات يتباهون برتب أكاديمية عالية اكتسبوها عن غير حقّ إذا طبّقت الأعراف الدولية بشأنها.

وتدلّ المعطيات المتوافرة عن المقالات المنشورة في دوريات محكمة وموثقة عالمياً⁴⁹ على أن معدّل الإنتاج البحثي السنوي المنشور في الدوريات المفهرسة عالمياً لأعضاء هيئات التدريس في الجامعات العربية خلال العقد الواقع ما بين 1999 و2008 يتراوح ما بين نصف بحث و35 بحثاً لكل مئة شخص بمتوسط قدره 5.8 أبحاث لكل مئة شخص. ويظهر الشكل رقم (4) ترتيب الدول تازلياً في ما يخصّ هذا الإنتاج⁵⁰.

غنيّ عن البيان أنه بغياب ثقافة الإنتاجية البحثية عند أعضاء هيئات التدريس فإنّ تدني توقعات المؤسسات تجاه هذه الإنتاجية والتساهل في منح الرتب الجامعية يؤدّيان إلى الخمول البحثي عند معظم أعضاء هيئات التدريس وإلى تدني الإنتاجية البحثية عندهم والاكتفاء بنشر البحوث في ما يتوافر من قنوات محكمة وغير محكمة، غالباً ما تكون محلية، بقصد الترقية لا أكثر.

49 أنظر: <http://www.scimagojr.com/countrysearch.php>

50 غاب الصومال عن الشكل لعدم توافر أي معطيات عن أعداد أعضاء هيئات التدريس فيه.

51 تقرير المعرفة العربي للعام 2009 - نحو تواصل معرفي منتج (2010)، الفصل الخامس: الأداء العربي في مجال البحث والإبداع، أعد بدعم ورعاية مشتركة من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم - طبع في دبي - الإمارات العربية المتحدة.

52 ينطبق هذا القول حتى على مصر، وهي البلد العربي الأكثر نشاطاً في البحث العلمي خارج إطار التعليم العالي. أنظر بهذا الشأن: Radi, Saadia (2005). La recherche scientifique et l'enseignement supérieur en Egypte, un état des lieux. Dossiers et documents N°19. Le Caire : CEDEJ, http://www.cedej.org.eg/article.php3?id_article=322. Accessed April 9, 2009.

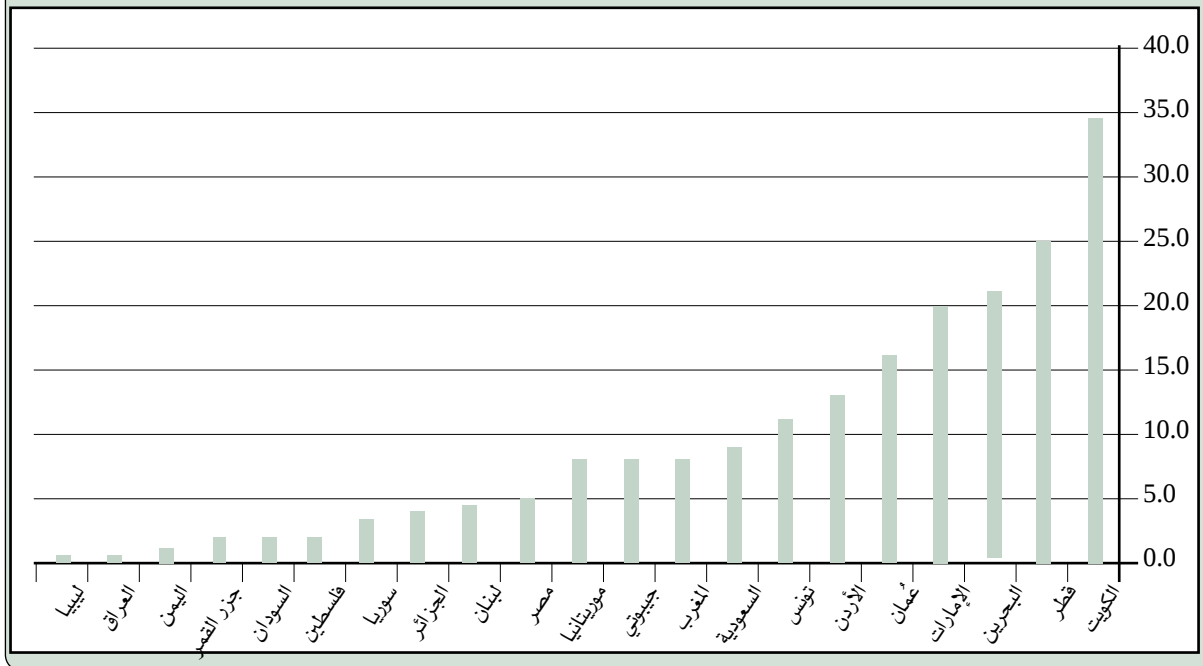
يشير المشهد الخاص بشروط ترقية أعضاء هيئات التدريس في البلدان العربية إلى تفشي ظاهرة إنشاء مؤسسات خاصة للتعليم العالي وعدم اعتماد معايير وطنية لترقية أعضاء هيئات التدريس فيها بغياب الأعراف الأكاديمية العريقة عن فكر مؤسسيها والمشرّفين عليها وتغييب هذه الأعراف عن ممارسات العديد من قياداتها الأكاديمية بفعل الضغوط التي تمارس عليهم من مالكي هذه المؤسسات ومن أعضاء هيئات التدريس فيها على حدّ سواء. وبعض العاملين في هذه المؤسسات قد يتباهون برتب أكاديمية عالية اكتسبوها عن غير حقّ إذا طبّقت الأعراف الدولية بشأنها..

منهم الولاء للأيديولوجية السائدة. ويبدو هذا الأمر بشكل صارخ في العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث تندر الدوريات العربية المتخصصة في هذه المجالات والمؤقتة في قواعد المعلومات العالمية، كما تندر المقالات المنشورة في هذه المجالات، بينما تكثر نسبياً المقالات المنشورة في الدوريات العلمية الموثقة عالمياً والتي تعنى بالعلوم البحتة والعلوم الطبية وما إليها. فكأنّ ليس للباحثين العرب أيّ إسهامات أو مكانة عالمية في الفلسفة والأخلاقيات، وعلوم اللغة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم القانون، والعلوم الاقتصادية والإدارية، وما إليها.

المعايير على أرض الواقع⁵⁴. فلا تزال معظم مؤسسات التعليم العالي تخضع بشكل مباشر للسلطات الحكومية ولا تتمتع حقاً بالاستقلالية الأكاديمية. وتعتبر هذه المؤسسات أعضاء هيئات التدريس كموظفين شأنهم في ذلك شأن الموظفين الحكوميين الخاضعين لجملة من القيود التي تحدّ من قدرتهم على السفر خارج أوطانهم، وتنظيمهم للقاءات وندوات ومؤتمرات أو مشاركتهم فيها، ونشر نتائج بحوثهم من دون رقابة مسبقة، ومشاركتهم في مناقشة السياسات العامة والمؤسسية وما إلى ذلك من أمور. كذلك، تتفرد السلطات الحكومية في تعيين المسؤولين عن مؤسسات التعليم العالي وتتوقع

شكل رقم 4

معدّل الإنتاج البحثي السنوي المنشور في الدوريات المفهرسة عالمياً لكل 100 من أعضاء هيئات التدريس في الجامعات العربية خلال العقد الواقع ما بين 1999 و 2008



53 تقرير وزارة التعليم العالي، الجزائر (2007)، ص. 26.

54 Salamé, Ramzi (2006). Academic Freedom in the Arab States – Summary. Beirut UNESCO Regional Bureau for Education in the Arab States

واقع البحث العلمي: تقصير على أكثر من صعيد

يشكّل أعضاء هيئات التدريس في الجامعات العربية، على الأقل من حيث المبدأ، الخزان الأساسي للبحث العلمي، لأسباب أساسية عديدة أهمها الانتشار الواسع للجامعات في مختلف أصقاع البلدان العربية، بينما لا نجد مثل هذا الانتشار لمراكز البحث العلمي المتخصصة. وفي حين يقدر حجم هيئات التعليم العالي العربية بما لا يقل عن 170 ألف شخص، فإن مؤهلاتهم العلمية ولاسيما تدريبهم المسبق على القيام بالأبحاث العلمية من خلال إنجازهم لرسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه، وتوقعات الجامعات نحوهم، على الأقل من حيث المبدأ، لجهة ضرورة إسهامهم في تقدّم المعارف والعلوم، من شأنها أن تفتح آفاقاً رحبة لتطوير البحوث والتنمية العربية.

لكنّ الواقع يدلّ على تخلف أعضاء هيئات التدريس في الجامعات العربية عن الركب العالمي أولاً في ما يخصّ الإنتاجية العلمية ثمّ في ما يخصّ نشر ما ينتج من أبحاث في قنوات بحثية تحظى بالاهتمام على الصعيد العالمي، إن من خلال فهرستها في قواعد المعلومات الأكثر انتشاراً على الصعيد العالمي، أو من خلال حظوتها باستشهادات من سائر العلميين. وتظهر المعطيات المتوافرة تقصيراً على أكثر من صعيد. فقليلة هي الدول العربية التي أعارت الاهتمام الكافي للبحث العلمي بمختلف أوجهه، من وضع استراتيجيات هادفة، وتمويل مناسب لأنشطته، وتثمين نتائجه في التنمية، وخطط وطنية لنشر نواتجه بشكل يساهم في تقدّم المعارف والعلوم على نطاق واسع. وقليلة هي مؤسسات التعليم العالي التي اعتمدت فعلاً الإسهام في تقدّم المعارف والعلوم كركيزة أساسية لأنشطتها وكموجب لا مفرّ منه لترقية

وقد يعزى هذا الأمر إلى غياب البيئة الاجتماعية الداعمة للبحرّيات الأكاديمية ووجود موضوعات محظور البحث عن الحقائق في ما يخصّها وتعميق المعرفة المتعلقة بها من خلال البحث العلمي الرصين والنقاش المجتمعي. وتتعلّق هذه المحظورات بما يعتبر في معظم الدول العربية موضوعات حسّاسة يجدر عدم التطرّق لها، مثل مناقشة الموضوعات والمعتقدات الدينية، والأمور المتعلقة بالأمن القومي والقوات المسلّحة ومكافحة الإرهاب والقضاء، والموضوعات التي تمسّ النظام السياسي ورئيس الدولة ورؤساء الدول الأخرى، وقد تصل أحياناً إلى الموضوعات المتعلقة بالتاريخ والجغرافيا، نظراً لما يمكن أن تنطوي عليه من حساسيات ما بين الدول وداخل كل دولة، كما قد تصل إلى الموضوعات المتعلقة بالعائلة والعلاقات الأسرية، والعلاقات المجتمعية، وحقوق الأقليات والمجموعات المهمّشة، وشؤون المرأة، والبنى الاقتصادية، وسواها من الموضوعات الإنسانية والاجتماعية.

في الخلاصة، يبدو المناخ المؤسسي والمجتمعي في غالبية الدول العربية غير مؤات للبحرّيات الأكاديمية بشكل مطلق.

ونتيجة للضغوط المختلفة التي يتعرّض لها أعضاء هيئات التدريس، يلاحظ أن معظمهم اعتمد سياسة الرقابة الذاتية والإحجام عن الدخول في نقاش كلّ مسألة قد تعتبر حسّاسة أو مثيرة للاعتراض من جانب أصحاب النفوذ. وقد أدّى ذلك إلى تقليص دور أعضاء هيئات التدريس في البحث العلمي وفي إنتاج المعرفة والمشاركة في نقاش المسائل التي يمكن أن تساهم في تطوير المجتمع ومؤسساته، كما في تكوين النخب الفكرية التي تتمتع بالفكر الناقد والتي من شأنها أن تقود عجلة التطوير في المجتمع.

يبدو أنه لن تكون هناك نقلة نوعية للبحث العلمي في أغلب الدول العربية من دون محاولة الرقي بنوعيته إلى المستويات العالمية، من خلال إطلاق الحريات الأكاديمية على أوسع نطاق، والتشبيك بين مجموعات الباحثين، والتشدد في شروط الترقية إلى الرتب الأكاديمية العليا، ومن دون أن يتم الاعتراف بقنوات نشره عالمياً كمراجع قيمة، من خلال تعزيز نوعيتها بناء على المعايير المعتمدة عالمياً، وفهرستها في قواعد المعلومات العالمية، وتعزيز الاستشهاد بها في دوائر البحث العلمي المشهود لها بالرصانة والتجدد والابتكار..

ينشرون نتائج أبحاثهم في الدوريات المفهرسة عالمياً، وتؤدي هذه الحوافز ثمارها من حيث الازدياد المضطرد لعدد المستفيدين من الحوافز وعدد الأبحاث المنشورة في الدوريات المفهرسة عالمياً.

لكن، يبدو واضحاً أنه لن تكون هناك نقلة نوعية للبحث العلمي في أغلب الدول العربية من دون محاولة الرقي بنوعيته إلى المستويات العالمية، من خلال إطلاق الحريات الأكاديمية على أوسع نطاق، والتشبيك بين مجموعات الباحثين، والتشدد في شروط الترقية إلى الرتب الأكاديمية العليا، ومن دون أن يتم الاعتراف بقنوات نشره عالمياً كمراجع قيمة، من خلال تعزيز نوعيتها بناء على المعايير المعتمدة عالمياً، وفهرستها في قواعد المعلومات العالمية، وتعزيز الاستشهاد بها في دوائر البحث العلمي المشهود لها بالرصانة والتجدد والابتكار.

أعضاء هيئات التدريس واستقرارهم الوظيفي. وبخلاف بعض الإضاءات التي تشكل استثناءات على القاعدة العامة، لا يبدو أن ضرورة الإسهام في تقدم المعارف والعلوم متأصلة في ذهنية أعضاء هيئات التدريس أنفسهم، كمكون أساسي من مكونات مهنة التدريس الجامعي، بالإضافة إلى النقص الواضح في أعضاء هيئات التدريس عالي الكفاءة، نسبة إلى التوسع الكبير والعشوائي في مؤسسات التعليم العالي وفي أعداد الطلبة الملتحقين بها.

يبقى أن هناك بصيص أمل في بعض أصقاع الدول العربية. فهي مثلاً جامعات في السعودية وسواها تركز بعض التمويل الخارج عن النمط المعتاد، لاستقطاب كفاءات وافدة منتجة بحثياً وقادرة على رفع المكانة البحثية لهذه الجامعات على الترتيبات العالمية للجامعات. وها هي بعض جامعات مصر تعزز الحوافز المالية لأعضاء هيئات التدريس الذين

دور البحث العلمي والإبداع في التنمية

البحث العلمي وتحديات التنمية

حدد تقرير تحديات التنمية في الدول العربية، الذي أطلقه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي وجامعة الدول العربية نهاية العام 2009⁵⁵، ستة تحديات رئيسة ومشابكة تواجهها دول المنطقة، وتشمل إصلاح المؤسسات، وتأمين فرص العمل، وتعزيز عمليات النمو وتمويلها لمصلحة الفقراء، وإصلاح نظام التعليم، وتنويع مصادر النمو الاقتصادي، وزيادة الأمن الغذائي والاكتفاء الذاتي في ظل القيود البيئية القائمة. ويلفت التقرير إلى أن معدلات التقدم نحو تحقيق الأهداف التنموية للألفية الثالثة في الدول العربية "لا ترقى إلى مستوى طموحات الشعوب العربية في تحقيق الطفرة التنموية المرجوة". كما حضّ التقرير الدول العربية "على اعتماد نهج اقتصادي جديد يعتمد على عنصرين مترابطين، هما التحول من نموذج نمو قائم على البترول والمواد الأولية لا يحقق التنمية المستدامة، إلى نموذج التنمية الذي يتوقف مقياس النجاح فيه على أداء القطاعات المنتجة، والحد من الفقر، وتمكين المرأة، وإيجاد فرص عمل جديدة".

بدأت الدول العربية في إقامة مراكز وطنية للبحث والتطوير بشكل متدرّج منذ أواسط القرن الماضي، إلا أن تأثيراتها التي قد تتجاوز

المنشورات العلمية والجهد الأكاديمي ما زالت محدودة في الإجمال. فمنذ مطلع التسعينيات باشر بعض الدول العربية في إنشاء مؤسسات خاصة لرعاية الإبداع وتطويره وتسهيل انتقاله إلى مرحلة التسويق والإنتاج الاقتصادي، كما عمدت دول أخرى إلى إقامة مؤسسات وطنية للترويج للاستثمار الصناعي.

1 - المردود المجتمعي والاقتصادي للمعرفة العلمية

يمرّ انتقال التجديد الإبداعي من المبدع إلى المستفيد النهائي بمراحل متعدّدة، تتضمّن استيعاب المستجدات الإبداعية ووضعها في أطر وقوالب تسهّل انتقالها واقتباسها من قبل مؤسسات الإنتاج والخدمات الوطنية، ومن ثم تطويعها وتوظيفها في مجالات تطبيقية جديدة. وتقاس قدرة الدول على امتلاك المردود الاقتصادي والمجتمعي للإبداعات والمستجدات المعرفية بعدد من المؤشرات⁵⁶، ومنها:

- القيمة المضافة المنتجة محلياً للفرد الواحد في السنة، بخاصة في الصناعة.
- القيمة المضافة في الصادرات الصناعية للفرد الواحد في السنة.
- نسبة التكنولوجيا عالية القيمة المضافة المنتجة محلياً بخاصة في الصناعة.

55 تحديات التنمية في الدول العربية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي المكتب الإقليمي للدول العربية وجامعة الدول العربية، 2009

World Economic Forum, WEF Global Competitiveness Report, 2010 56

الارتفاع الهائل في مداخل النفط والغاز في بعض الدول العربية مكنها من احتلال مراتب متقدمة في العديد من المؤشرات الدولية، باستثناء ربما الجزائر وليبيا، في حين بقي معظم الدول العربية الأخرى يراوح في مراتب وسطية أو متأخرة لغياب أي استراتيجيات وطنية تركّز على الأنشطة الإبداعية وتربطها عضويًا وبشكل تفاعلي مع التنمية المجتمعية الشاملة ومع قطاعات الإنتاج والخدمات بشكل خاص..

في معظم الدول العربية، تقلّ نسبة الصادرات الصناعية عن 15 % من مجمل الصادرات، باستثناء عدد محدود منها، مثل الأردن وتونس ولبنان والمغرب، وذلك بسبب غياب صادرات النفط والغاز في هذه الدول أولاً.. بالإضافة إلى اعتماد بعضها إقامة المناطق الصناعية الحرة، واتفاقيات الشراكة الخاصة مع الاتحاد الأوروبي كما هو الحال في تونس، ومع الولايات المتحدة بالنسبة إلى الأردن..

• نسبة التكنولوجيا عالية القيمة المضافة محلياً في الصادرات الصناعية. ويشير تقرير التنافسية العالمي⁵⁷ الصادر عام 2009 إلى تقدم الدول المنتجة للنفط والغاز في الخليج في ترتيب الدول في مؤشر التنافسية العالمي. فقد جاءت قطر العام 2009 كأول دولة عربية في مجموعة الدول الأربعين التي "تدفعها الابتكارات في المرحلة الثالثة من التنمية" التي ضمت أيضاً كلاً من الإمارات والبحرين. كما جاءت 5 دول عربية في المجموعة الثانية التي "تدفعها الفاعلية" فحلت تونس في المرتبة الثالثة من أصل 40 دولة والأولى عربياً في هذه المجموعة التي شملت أيضاً كلاً من عُمان والأردن وليبيا والجزائر؛ في حين حلت مصر وسوريا والمغرب في مراتب مختلفة في المجموعة الأولى التي "تحركها النسبة العالية في الموارد الطبيعية في اقتصاداتها".

تختلف المؤشرات المنشورة في تقارير التنافسية العالمية، كما تختلف بياناتها وتتناقض أحياناً. لهذا فمن الصعب المقارنة بين المؤشرات الصادرة عن مختلف المؤسسات الدولية للوصول إلى تحليل موضوعي حول تطوّر الدول العربية في المجالات المعرفية والإبداعية. لكن يمكن القول إن الارتفاع الهائل في مداخل النفط والغاز في بعض الدول العربية قد مكنها من احتلال مراتب متقدمة في العديد من المؤشرات الدولية، باستثناء ربما الجزائر وليبيا. في حين بقيت معظم الدول العربية الأخرى تراوح في مراتب وسطية أو متأخرة لغياب أي استراتيجيات وطنية تركّز على الأنشطة الإبداعية وتربطها عضويًا وبشكل تفاعلي مع التنمية المجتمعية

الشاملة ومع قطاعات الإنتاج والخدمات بشكل خاص.

في ما يلي بعض ما يمكن استنتاجه من دراسة عدد من المؤشرات ذات العلاقة الواردة في عدد من المراجع ذات المصادقية⁵⁸:

- في معظم الدول العربية، تقلّ نسبة الصادرات الصناعية عن 15 % من مجمل الصادرات، باستثناء عدد محدود منها، مثل الأردن وتونس ولبنان والمغرب⁵⁹ (الجدول رقم 13)، وذلك بسبب غياب صادرات النفط والغاز في هذه الدول أولاً، بالإضافة إلى اعتمادها إقامة المناطق الصناعية الحرة في بعضها، واتفاقيات الشراكة الخاصة مع الاتحاد الأوروبي بالنسبة إلى تونس، ومع الولايات المتحدة بالنسبة إلى الأردن، وكذلك بتأثير صادرات فروع بعض المصانع الأوروبية التي أقيمت في المغرب للاستفادة من تسهيلات العمالة فيها.

- يتراوح مؤشر الارتباط بسلسلة حلقات الإنتاج العالمية في الدول العربية بين متوسط ومتأخر، مما يعكس ضعف هذا الارتباط وعجز المؤسسات الإنتاجية على استيعاب التكنولوجيا الحديثة وتراجع قدرتها التنافسية.
- يتراوح مؤشر توفير رأس المال المبادر من متوسط إلى متدن في كل الدول العربية، ما يعكس حذر المستثمرين العرب وترددهم في إطلاق مشروعات التجديد الإبداعية، على الرغم من تراكم السيولة المالية في المنطقة. ومع ذلك فقد بدأت تظهر بعض المبادرات الخجولة التي ترعاها مؤسسات عربية غير حكومية لجمع المبدعين من الباحثين العرب مع المبادرين من المستثمرين في المنطقة بهدف تمويل انتقال

57 World Economic Forum, WEF Global Competitiveness Report, 2009

58 الإحصاءات الصناعية للبلدان العربية 2007-2001. لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، الإسكوا والمنظمة العربية للتنمية الصناعية والتعدين؛ World Economic Forum, WEF Global Competitiveness Report, 2009: مؤشرات البنك الدولي KAM. 2009

59 مؤشرات البنك الدولي KAM. 2005

60 الإحصاءات الصناعية للبلدان العربية 2001 - 2007، لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، الإسكوا والمنظمة العربية للتنمية الصناعية والتعدين.



نسبة الصادرات الصناعية والصادرات عالية التكنولوجيا

جدول رقم 13

البلد	نسبة الصادرات الصناعية (%) من مجمل الصادرات	نسبة الصادرات عالية التكنولوجيا (%) من مجمل الصادرات الصناعية
الأردن	72.0	5.2
الإمارات	24.0	10.2
البحرين	7.0	2.0
تونس	78.0	4.9
الجزائر	2.0	1.0
السعودية	9.0	1.3
سوريا	11.0	1.0
عمان	6.0	2.2
قطر	7.0	1.2
الكويت	7.0	1.0
لبنان	70.0	2.4
مصر	31.0	0.6
المغرب	65.0	10.1
اليمن	4.0	5.3

المصدر: مؤشرات البنك الدولي KAM ، 2009

النسبة المئوية لمساهمة الصناعات التحويلية في الناتج المحلي الإجمالي

جدول رقم 14

البلد	2001	2007
الأردن	12.8	15.3
الإمارات العربية المتحدة	13.8	12.4
البحرين	12.3	11.7
تونس	20.8	14.0
الجزائر	6.0	4.6
المملكة العربية السعودية	10.1	9.7
السودان	6.2	9.3
الجمهورية العربية السورية	6.1	2.6
العراق	1.8	2.1
عمان	8.3	10.0
فلسطين	12.3	10.9
قطر	6.1	7.8
الكويت	6.3	7.9
لبنان	12.3	11.4
الجمهورية العربية الليبية	4.9	1.7
مصر	17.9	17.8
المغرب	14.5	15.0
اليمن	6.0	7.2
إجمالي البلدان العربية	10.8	9.6

المصدر: الإحصاءات الصناعية للبلدان العربية 2001 - 2007، لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، الأسكو والمنظمة العربية للتنمية الصناعية والتعدين.

مشروعات إبداعية واعدة إلى مرحلة الإنتاج، وإقامة وحدات لرعاية المستجندات الإبداعية الواعدة في عدد من مراكز التميز التي أقيمت حديثاً في عدد من دول الخليج ومصر والمغرب العربي.

• تتدنى نسبة الصادرات عالية التكنولوجيا في كل الدول العربية فلا تتجاوز في أعلاها 10.2 % في دولة الإمارات، بسبب ما أقامته دبي من أنشطة حديثة (مدينة دبي لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والمدن الصناعية في جبل علي). كما تصل هذه النسبة في المغرب إلى 10.1 %، بسبب المشروعات المشتركة الفرنسية-الأوروبية التي تستفيد من التسهيلات الصناعية المتوفرة في المغرب والتي تعيد تصدير نواتجها مباشرة إلى مصانعها الأم في أوروبا.

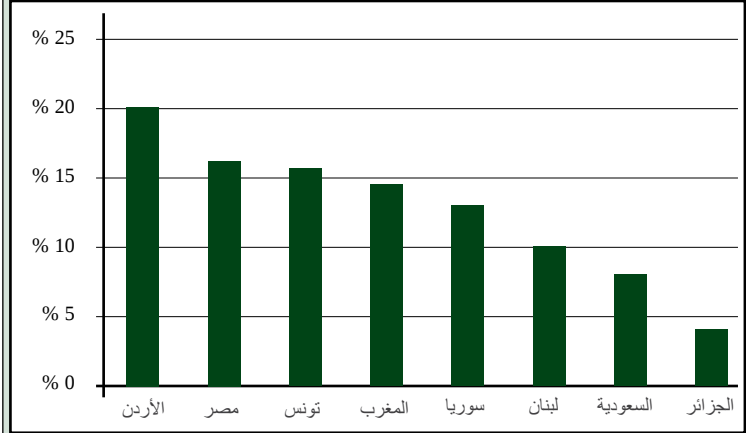
• تشير نشرة الإحصاءات الصناعية العربية إلى أنه خلال 6 سنوات، وتحديداً بين عامي 2001 و2007، لم تتغير نسبة الصناعات التحويلية من الناتج القومي المحلي في معظم الدول العربية. ما يعني استمرار النمط الاقتصادي نفسه وعدم تأثير السياسات الجديدة في إحداث تغيير يذكر لصالح تشجيع التجديد الإبداعي (الجدول رقم 14 والشكل رقم 5)⁶⁰.

• تشير الإحصاءات الصناعية للدول العربية إلى أن القيمة المضافة للعامل في الصناعات التحويلية في معظم الدول لم تشهد سوى زيادات طفيفة، ما يؤشر على تدنٍ ملحوظ في استيعاب التكنولوجيا الحديثة في هذه الصناعات، وبشكل خاص على تدني القيمة المعرفية لهذه الصناعات (الجدول رقم 15).

• تشير إحصاءات البنك الدولي KAM للعام 2009، أخذاً بالاعتبار للتطور الزمني منذ العام 1995، إلى أن مؤشر اقتصاد المعرفة في الدول العربية كافة ما زال يراوح دون المعدل

شكل رقم 5

% القيمة المضافة للصناعات التحويلية في الناتج القومي المحلي، 2008



المصدر: مؤشرات UNDP/POGAR: الإحصاءات العربية 2008.

2 - وضع الصناعات العربية واستيعابها للإبداع

تتميز الصناعات الثقافية في العالم بتحولها إلى اقتصاد المعرفة من جهة، وبتركز في الاستثمارات المدعومة لمواجهة الاحتباس الحراري ومواجهة الأزمة المالية العالمية من جهة أخرى. ومن سمات هذه الصناعات عالية التنافسية ما يلي:

- كثافة مدخلات المعرفة والإبداعات عالية القيمة المضافة؛

- تجاوب متسارع مع متطلبات السوق العالمية ورغبات المستهلكين، ومع حوافز مواجهة الأزمة المالية وتلك المرتبطة بالتوجه العالمي لمواجهة إشكالات الاحتباس الحراري وبشكل خاص في صناعات الطاقة البديلة.

- حسن إعداد الموارد البشرية الوطنية واستيعابها، والقدرة على استقطاب الاستثمارات والموارد المالية والتكنولوجية المحلية والعالمية. وتكشف مؤشرات الاقتصاد العالمي أن الأزمة المالية العالمية قد أدت إلى تراجع عالمي

إنتاجية العمالة العربية في الصناعات التحويلية

جدول رقم 15

إنتاجية العمالة تعبر عن متوسط نصيب العامل من القيمة المضافة للصناعات التحويلية بالأسعار الثابتة للدولار الأمريكي لعام 2000

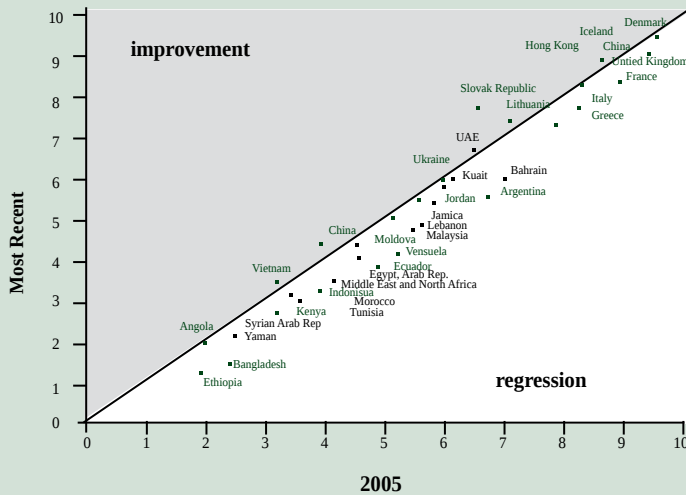
البلد	2001	2007
قطر	33,608	203,117
الإمارات العربية المتحدة	50,940	125,263
الأردن	8,983	17,561
فلسطين	6,828	13,990
اليمن	6,085	12,126
الجمهورية العربية السورية	2,708	11,045
تونس	11,493	9,851
السودان	6,407	6,588

المصدر: الإحصاءات الصناعية للبلدان العربية 2001 - 2007، لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، الأسكوا والمنظمة العربية للتنمية الصناعية والتعدين

61 لقد خصصت معظم الدول الصناعية، بما في ذلك الولايات المتحدة وأوروبا والصين، بمئات مليارات الدولارات للاستثمار في الطاقة المتجددة، من مراحل البحث والتطوير إلى مراحل الدعم المباشر لنواتجها وتحويلها إلى طاقة كهربائية، كما تشير إلى ذلك كل التقارير العلمية الدورية حول الطاقة.

مؤشر اقتصاد المعرفة (مقارنة أحدث المعطيات مع العام 2005)

شكل رقم 6



المصدر: مؤشرات البنك الدولي - KAM, 2010
http://info.worldbank.org/etools/kam2/KAM_page7.asp; Accessed on 9/5/2010

مؤشر التنافسية المسؤولة في الدول العربية 2009

جدول رقم 16

تشير هذه المؤشرات إلى الممارسات المسؤولة في الأعمال والتي ترتبط بقوة بالقدرة التنافسية والتنمية البشرية والتجديد الإبداعي وبشكل أقل بالأداء البيئي.

Responsible competitiveness index

الترتيب	البلد	الترتيب
64.3	الإمارات	1
64.1	قطر	2
63	الكويت	3
62.5	لبنان	4
62.1	البحرين	5
60.8	عمان	6
60	الأردن	7
59.4	مصر	8
58.6	تونس	9
58.3	السعودية	10
57.9	المغرب	11
57.3	الجزائر	12
56.9	سوريا	13
54.3	اليمن	14

المصدر: مؤشرات البنك الدولي
 Responsible Competitiveness in the Arab World, 2009

في الاستثمار في معظم الصناعات والخدمات للسنوات 2008 - 2010، ما عدا في صناعات الطاقة البديلة والمتجددة التي حافظت نسبياً على استمراريته نتيجة الحوافز الضخمة التي خصّصتها الدول الصناعية والصين والهند لتلبي التزاماتها في تخفيف انبعاثات غازات الاحتباس. ولهذا تتوسع بشكل كبير الاستثمارات في الطاقة الشمسية وطاقة الرياح، ولدرجة أقل في الطاقة النووية وفي خدمات ترشيد الطاقة⁶¹.

2 - 1 إسهام الاستثمار في الطاقة النظيفة

إن دراسة متأنية لنمو الاستثمارات الصناعية العربية تشير إلى أن الاتجاهات الحالية لهذه الاستثمارات ما زالت حذرة وتقليدية في قطاعات مضمونة الربح. وهي تختلف بشكل جذري عن التوجهات السائدة للاستثمارات الإبداعية في الاقتصاد العالمي. فعلى الرغم من التراجع النسبي في مداخل النفط والغاز في سنوات ما بعد الأزمة المالية العالمية، نتيجة انخفاض الطلب العالمي، ما زالت معظم الدول النفطية العربية تمتلك إمكانات مالية ضخمة؛ وما زالت الاستثمارات الرأسمالية العربية المتراكمة كبيرة في كل من القطاع الخاص والقطاع العام. لكن الاستثمارات العربية حافظت على توجهها الأساسي نحو الاستثمارات في البنى التحتية بالنسبة إلى القطاع العام، وفي المجالات مضمونة المردود الربحي بالنسبة إلى القطاع الخاص، مع تجنب واضح للاستثمارات في الصناعات الإبداعية، بل حتى في صناعات الطاقة البديلة إلا بشكل محدود.

2-2 السياسات الوطنية المحفزة

يرتبط نجاح عمليات التنمية بسياسات وطنية واضحة لتحفيز الإبداع والاستثمار

وتشجيع التصنيع، وحماية حقوق المبدعين والمستثمرين من رجال الأعمال المبادرين وجهودهم ومواردتهم، وذلك بسبب طول الفترة الزمنية التي يستلزمها أي إبداع للانتقال من مرحلة الفكرة الواعدة إلى الاندماج الاقتصادي المربح في المجتمع.

وتأخذ السياسات المحفزة صورا متعددة ومتنوعة ترتبط بالسمات الوطنية المحلية، كما تراعي الظروف الدولية، بما في ذلك قواعد منظمة التجارة العالمية التي قد تمنح الدعم المباشر للصناعات الوطنية. ومن سياسات الدعم المعتمدة في الكثير من الدول، والغائبة

إطار رقم 11

استثمار الطاقة الشمسية

تزداد الحاجة إلى الطاقة الكهربائية بشكل خاص في الدول العربية كافة، وبوتيرة متصاعدة، بسبب الزيادة السكانية، ونتيجة تحسن القدرة الشرائية والاستهلاكية للمواطن العربي. ومن المفيد الإشارة إلى المخططات العالمية للاستفادة من حزام الشمس في المنطقة العربية، مثل مشروعات Desertec والمخطط الشمسي للمتوسط التي خصّصت مئات مليارات الدولارات للاستفادة من هذه الطاقة على امتداد العقود القادمة. وقد أخذ بعض الدول العربية يسعى للاستفادة من الاستثمارات العالمية في صناعات الطاقة البديلة، وبشكل خاص المغرب التي أعلنت عن خطة عمل مفصلة للطاقة المتجددة تبلغ قيمتها أكثر من عشرين مليار دولار⁶² على مدى عشر سنوات، تموّل من مصادر مختلفة بما في ذلك البنك الدولي والاتحاد الأوروبي إلى جانب القطاع الخاص. وتتضمّن هذه الخطة برامج لتدريب القوى الماهرة الوطنية على البحث والتطوير في صناعات الطاقة المستدامة وتحلية المياه، وإدارة هذه البرامج. كما يتضمّن ربطاً كهربائياً مع أوروبا لتصدير فائض الكهرباء إليها. وهناك مشروعات مماثلة في الجزائر، خصوصا في حاسي مراح، حيث أقيمت مشروعات مشتركة بين شركات وطنية جزائرية وشركات ألمانية لإنتاج الطاقة الكهربائية، باستخدام مختلط للغاز الجزائري وبعض الطاقة الشمسية في مرحلة أولى، على أن تكون المراحل التالية للطاقة الشمسية بالكامل. وتتضمّن هذه المشروعات المشتركة الاستفادة من جزء من الطاقة المولدة لتحلية المياه، وإقامة شبكة ربط كهربائي لتصدير بعض الطاقة المولدة في الجزائر إلى ألمانيا؛ كما تتضمّن بناءً للقدرات البشرية الجزائرية لتتولّى مهام متزايدة في هذه المشروعات المشتركة، بما في ذلك مراحل البحث والتطوير والإبداع التكنولوجي والصناعي. أخيراً هنالك مشروعات في الطاقة الشمسية وطاقة الرياح في مصر مماثلة لما هو في المغرب والجزائر. إلا أن التركيز على التجديدات الإبداعية في كل هذه المشروعات ما زال في بداياته.

وتتضمّن مشروعات الطاقة الشمسية في دول المغرب العربي، ومثيلاتها التي يخطط لها في عدد من الدول العربية المشرقية، مثل مصر والأردن والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر، استثمارات في محطات مزدوجة الهدف لتوليد الكهرباء وفي الوقت نفسه لتحلية المياه لاستخدامات مختلفة؛ كما تتضمّن بناء قدرات بشرية وطنية لتطوير تقنيات تحلية المياه وتحسينها ورفع كفاءتها. وفي هذا بدايات توجّه للاستفادة من السوق العربية الواسعة في هذه المجالات، ولا بدّ من الإشارة إلى مبادرة مدينة مصدر⁶⁴ في أبو ظبي التي تتضمّن معهداً مصدراً للعلم والتكنولوجيا للبحث والتطوير والإبداع في إنتاج الطاقة النظيفة لتشمل لاحقاً إقامة صناعات تبني على نواتج المعهد والاستثمار فيها لنقلها إلى مراحل الإنتاج والتصنيع والقيمة الاقتصادية المربحة بالتشارك مع شركات عربية وأجنبية.

إطار رقم 12

إعداد القدرات البشرية والتكنولوجية العربية في مجال الطاقة النووية

شهدت مشروعات الطاقة الذرية فترة ازدهار على الصعيد العالمي في مطلع الستينيات من القرن الماضي تلتها فترة ركود، وتراجع بعد حادثي تري ميل أيلند في الولايات المتحدة وتشرنوبل في الاتحاد السوفياتي السابق، نتيجة التخوف الشديد من المخاطر البيئية والصحية التي تنتج عن أيّ حادث في مفاعل نووي. وقد عاد الاهتمام بهذه الطاقة في مطلع العام 2008 عندما وصل سعر برميل النفط إلى ما يزيد على 150 دولاراً. وتشهد سوق إنتاج الطاقة الكهربائية من الطاقة النووية نمواً ملحوظاً حالياً. إلا أن نسبة هذه الطاقة ما زالت تراوح حول 18 % من مجمل إنتاج الكهرباء على الصعيد العالمي.

ومؤخراً أبدى معظم الدول العربية اهتماماً بالطاقة النووية، وبشكل خاص إمكانات إقامة محطات نووية مزدوجة لتوليد الكهرباء وتحلية المياه. وقد عقد المؤتمر العربي الأول حول آفاق توليد الكهرباء وإزالة ملوحة مياه البحر بالطاقة النووية في تونس، في شهر يونيو/حزيران 2010 وكان من أهم توصياته:

- تنفيذ برامج تدريبية وتعليمية وإعداد دراسات حول كل ما يتعلق بإقامة المحطات النووية.
 - وضع استراتيجية عربية واضحة لقضايا الطاقة الذرية، بما في ذلك إنتاج الكهرباء وتحلية المياه، قبل البدء بإقامة محطات نووية.
 - تشجيع التعاون العربي الدولي، وبشكل خاص في تنمية القدرات العربية ونقل التكنولوجيا.
 - الاهتمام المسبق بقضايا البنى التحتية الوطنية والعربية المتعلقة بالطاقة النووية.
- تتطلب هذه التوصيات من تقييم موضوعي لمختلف برامج التكنولوجيا النووية العربية القائمة حالياً، فقد تمّ التأكيد على حق الدول العربية في امتلاك وتطوير القدرات البشرية والتكنولوجية للاستعمالات السلمية للطاقة النووية، وإقامة البنى التحتية الأساسية على أن يلي ذلك إعداد دراسات الجدوى الاقتصادية والتكنولوجية المتعلقة بإقامة محطات نووية لتوليد الكهرباء أو لتحلية المياه.

الاقتصادي والمجتمعي.

2 - 3 احتياجات السوق العربية

تبين دراسات تطوّر عمليات التصنيع في مختلف الدول الصناعية والنامية، أن نجاح إدماج مستجدات التكنولوجيا في قطاعات الإنتاج والخدمات (خصوصاً الإبداعات المحلية) يتركز على مدى تلبية هذه الإبداعات لاحتياجات السوق المحلية أولاً، وتالياً لاحتياجات أسواق التصدير. فوجود سوق محلية تتمتع بقوة شرائية كافية يسمح للمنتج الإبداعي باكتساب الثقة والموارد، والنجاح المحلي اقتصادياً ومجتمعياً يحقق مكاسب ربحية متنامية، بما يمكن المؤسسة الصناعية من الاستمرار ويسهل تصدير منتجاتها لاحقاً.

لهذا لا بدّ أولاً من تحديد الاحتياجات المجتمعية ذات الأولوية في الإبداع والاستثمار، وبشكل خاص، تحديد الاحتياجات واسعة الطلب التي قد لا تلبّيها المستجدات العالمية بشكل مباشر وكاف. ومن هذه الفرص المتاحة عربياً:

- سوق تقنيات وصناعات تحلية المياه، حيث تشكل دول الخليج العربية سوقاً ضخمة قد تكون الأولى والأوسع عالمياً، وتمثل إمكانات هامة للتجديد الإبداعي في هذه التقنيات. وتتوسع هذه السوق عالمياً مع زيادة الطلب على المياه العذبة وتقلص مصادرها.

- استثمار مصادر جديدة للطاقة غير الأحفورية (الطاقة الشمسية والطاقة النووية) في مشروعات تحلية مياه البحر وتلبية الطلب المتزايد على الطاقة الكهربائية في كلّ الدول العربية، وحتى النفطية منها.

- صناعة الغذاء في مراحلها كافة وتنوّع نواتجها. فالدول العربية تستورد معظم احتياجاتها من نواتج الصناعات الغذائية

إلى درجة كبيرة في معظم الدول العربية، ما يلي:

- الإنفاق على القسم الأكبر من مراحل البحث والتطوير، وعلى إعداد الموارد البشرية، سواء من خلال التعليم بمراحله كافة أم من خلال الدورات التدريبية المخصّصة لرفع كفاءة العاملين وتحديث معارفهم النظرية والعملية وتهيئتهم لاستيعاب المستجدات الإبداعية. من ذلك مثلاً، اسهام الدولة بنسبة عالية من تكاليف سماح المصانع "للمتدربين الشباب" بالتدرّب العملي فيها، وفي مراحل متعدّدة من مسيرتهم التعليمية والعملية.

- استخدام القوة الشرائية للدولة ومؤسساتها، بخاصة القطاع العسكري والأمني، لتوسيع الطلب على المستجدات الإبداعية الوطنية، وزيادة استخداماتها في السوق المحلية. وإقامة آليات لدعم الاستثمارات الإبداعية طويلة الأمد تراعي الظروف المالية الصعبة التي قد تمرّ بها هذه الاستثمارات في مراحلها الأولى، والتي قد تمتدّ لسنوات عدّة.

- إقامة صناديق ائتمان لمساندة الصادرات للنواتج الإبداعية، وبشكل خاص لتسهيل توفير موارد مالية لعمليات التصدير التي قد يتأخر مردودها المالي كثيراً، وإقامة صناديق رأس المال المبادر وتأمينه ضد المخاطر غير المتوقعة. كما تجدر الإشارة إلى أن هذه التوجهات قد انتشرت في الدول الصناعية وفي العديد من الدول النامية، إلا أن غالبية الدول العربية لم تسع بعد إلى بلورة سياسات وطنية صناعية عملية واضحة طويلة الأمد للتنمية الإبداعية المستقبلية. وحتى في بعض الدول التي صاغت مثل تلك السياسات، بما في ذلك الخطط التنموية الدورية، فإن آليات التنفيذ الفعلي لمثل تلك الخطط ما زالت دون الفعالية المرجوة القادرة على تحقيق اختراقات مثمرة في الوضع

في صناعات النفط والغاز والطيران وتحلية المياه.

ومن التجارب اللافتة في هذا المجال أيضاً اتفاقيات⁶⁶ بناء السفن بين دولة الإمارات وشركات فرنسية متعاقدة للتسليح. وقد أقيمت في الإمارات مصانع لتجميع الهليكوبترات لأغراض عسكرية ومدنية، من خلال شركة أبو ظبي لتكنولوجيا صناعة الطائرات. كذلك يمكن ذكر التاريخ القديم للصناعات الحربية المصرية (والعراقية)، على الرغم من أن تأثير هذه الصناعات على تشجيع التجديدات الإبداعية في الصناعات المدنية بقيت محدودة جداً.

2 - 5 دور اللغة المشتركة

في مراجعة لتاريخ عمليات التصنيع⁶⁷ في مختلف الدول المتقدمة والنامية، يتبين أن من العوامل المؤثرة بشكل حاسم في نجاح عملية التصنيع تنامي ثقافة علمية ولغة تقنية مشتركة تشمل العاملين كافة في مجال الإبداع وفي المجتمع. إن من شأن تنامي لغة علمية مشتركة بين الأطراف ذات المصلحة يسهل تبلور آليات عملية فاعلة في نقل المعرفة (المولدة محلياً أو المستوردة)، إذ يصبح من الأسهل "التفاهم" بين الأطراف المختلفة حول مضمون "المنتج أو الخدمة" والفوائد المجتمعية والاقتصادية المرجوة؛ كما تسهل هذه اللغة المشتركة التفاهم حول السمات التقنية والعلمية ذات العلاقة. لهذا توسعت المجتمعات العلمية والإنتاجية في الدول الصناعية في إقامة المؤسسات والجمعيات المتخصصة وفي عقد المؤتمرات والمعارض، ليس بهدف توسيع المعارف التقنية فقط، ولكن أيضاً

بنسب تتجاوز 70 % في أغلب دول المشرق والخليج. وتزداد نسبة الاستيراد بوتيرة عالية مع الزيادة السكانية السريعة وتحسن القدرة الشرائية للمواطن العربي. وتشمل هذه الصناعات التي تتضمن إمكانات واسعة للتجديد الإبداعي المحلي: تحديد معايير ضبط الجودة واحترام النوعية، حفظ الإنتاج الزراعي بالتعليب أو التبريد، والتعبئة والتغليف والنقل (بما في ذلك النقل المبرد)، وكذلك تقانات الري الحديثة واحتياجاتها الصناعية المختلفة.

2 - 4 إسهام الاستثمار في البحوث العسكرية

تستفيد مشروعات التسليح العربية ومشروعات التجهيزات الأمنية من موازنات حكومية ضخمة تركز بالكامل تقريباً على الاستيراد. وقد بدأ بعض الدول العربية برامج متعددة للاستفادة من مشروعات التسليح في دعم الصناعات الوطنية من خلال مشروعات التوازن. ففي السعودية⁶⁸، تم الاتفاق مع شركة جنرال إلكتريك على إقامة صناعات محلية لإنتاج توربينات ذات جودة عالمية، وتطوير المهارات والقدرات الوطنية، بما في ذلك التدريب المستمر في المعامل وبرامج البحث والتطوير بهدف زيادة القيمة المضافة محلياً وزيادة مشاركة الموارد البشرية الوطنية على المستويات كافة. ويتضمن هذا الاتفاق أيضاً إقامة مصانع محلية لإنتاج توربينات ذات محرك العنفات ومحركات الضغط والمضخات، مع كامل التطبيقات الممكنة لهذا الإنتاج في القطاعين العام والخاص في المملكة، بما في ذلك

ثمة فرص متاحة وذات أولوية في الإبداع والاستثمار عربياً، منها سوق تقنيات وصناعات تحلية المياه، حيث تشكل دول الخليج العربية سوقاً ضخمة قد تكون الأولى والأوسع عالمياً، واستثمار مصادر جديدة للطاقة غير الأحفورية (الطاقة الشمسية والطاقة النووية) في مشروعات تحلية مياه البحر وتلبية الطلب المتزايد على الطاقة الكهربائية في كل الدول العربية، وحتى النفطية منها، وصناعة الغذاء في مختلف مراحلها وتنوع نواتجها..

تستورد الدول العربية معظم احتياجاتها من نواتج الصناعات الغذائية بنسب تتجاوز 70 % في أغلب دول المشرق والخليج، وتزداد نسبة الاستيراد بوتيرة عالية مع الزيادة السكانية السريعة وتحسن القدرة الشرائية للمواطن العربي. وتشمل هذه الصناعات التي تتضمن إمكانات واسعة للتجديد الإبداعي المحلي: تحديد معايير ضبط الجودة واحترام النوعية، حفظ الإنتاج الزراعي بالتعليب أو التبريد، والتعبئة والتغليف والنقل، وكذلك تقانات الري الحديثة واحتياجاتها الصناعية المختلفة..

Global Arab Network, May 2010; www.globalarabnetwork.com; Accessed 5/2010 65

Global Arab Network, May 2010; www.globalarabnetwork.com; Accessed 5/2010 66

Scientific Culture and the Making of the Industrial West; Margaret C. Jacob; 1997, Oxford University Press 67

الاستثمارات العربية الحالية في تطوير إنتاج الكهرباء من الطاقة الذرية

إطار رقم 13

الأردن

أسّس الأردن هيئة الطاقة الذرية عام 2007، بعد تعديل قانون الطاقة النووية ليتضمّن عدداً من قضايا الأمن والأمان النوويين. كما أسّس هيئة مستقلة للرقابة والتشريعات النووية. وتدرس الهيئة حالياً 3 عروض لبناء المحطة النووية الأولى لتوليد الكهرباء على أن يعلن اختيار الشركة المنفذة مع نهاية عام 2010. كما يعدّ الأردن اتفاقية مفصلة مع الولايات المتحدة تتضمن قضايا البنى التحتية واللوجستية للطاقة النووية، بما في ذلك تخصيب اليورانيوم الطبيعي إلى مرحلة استخدامه كوقود في المحطة النووية. والمشروع الأول الذي يوشّر به في جامعة العلوم والتكنولوجيا هو مفاعل أبحاث من نوع البركة المفتوحة بسعة 5 ميغاوات يمكن زيادتها في المستقبل إلى 10 ميغاوات.

الإمارات العربية المتحدة

تم توقيع اتفاقيات تعاون مع الولايات المتحدة تلزم الإمارات بعدم القيام بأيّ عمليات تحويلية على مادة اليورانيوم، سواء التخصيب أم معالجة الوقود المنضب أم معالجة النفايات المشعة، على أن يعهد بذلك إلى شركات أجنبية متخصصة. وفي العام 2009 أصدرت دولة الإمارات القانون المتعلق بالطاقة الذرية، بما في ذلك إقامة السلطة الاتحادية للتشريعات والإجراءات والمراقبة وضبط كل الأنشطة النووية في الدولة. نهاية العام 2009 أنشأت هيئة اتحادية هي شركة الإمارات للطاقة النووية للإشراف على تنفيذ الأنشطة النووية كافة، بما في ذلك إقامة محطات توليد الطاقة. كما أنشأت الإمارات صندوق التخلص من المنشآت النووية المنتهية صلاحيته، لتضمن توفر الأموال للتخلص من كل النفايات المشعة، ولاسيما عند انتهاء صلاحية المفاعلات النووية لتوليد الكهرباء بعد 60 عاماً من تشغيلها.

الجزائر

تمتلك الجزائر خامات اليورانيوم الطبيعي بما يقدر بـ 56,000 طن يمكن استغلالها تجارياً ولكنها تفتقر للقدرات العلمية لتخصيب هذا اليورانيوم، بالإضافة إلى مفاعلين للأبحاث. مؤخراً أعلنت الجزائر عن برنامج لبناء محطات لإنتاج الكهرباء بواسطة الطاقة النووية (الأولى في العام 2020).

المغرب

يملك المغرب خامات الفوسفات التي تتضمن نسباً تجارية من اليورانيوم الطبيعي، وقد وقعت الشركة الفرنسية أريفا عقداً للاستفادة من هذه الموارد الطبيعية، كما أعلن المغرب عن نيته إقامة محطات نووية لتوليد الكهرباء، على أن تكون الأولى في الفترة 2022 – 2024. بينما يجري العمل حالياً على بناء مفاعل للأبحاث بقدرة 2 ميغاوات من نوع Triga قرب مدينة الرباط. كما باشر المغرب بإقامة البنى التحتية الضرورية، بما في ذلك التشريعات وإقامة هيئات الأمان النووي والوقاية من الإشعاع وإعداد الموارد البشرية المتخصصة.

السعودية

أعلن البرنامج الوطني النووي في ربيع العام 2010 ومن ضمنه إقامة مدينة الملك عبد الله للطاقة النووية والطاقات المتجددة، ويمتد البرنامج إلى حوالي 20 سنة، ويتضمّن دراسة إمكانات إقامة مخابر ومحطات لتخصيب الأورانيوم الطبيعي المتوفر في المملكة بكميات تجارية إلى الدرجات الكافية للاستفادة منه كوقود في محطات الطاقة النووية. كما تمّ اختيار الشركة الفنلندية Pori كشركة استشارية للمساعدة في إعداد دراسات الجدوى الاقتصادية والتقنية لمختلف مراحل إقامة محطة نووية لإنتاج الكهرباء، على أن تشمل أيضاً ما يلزم من برامج إعداد الكوادر البشرية السعودية التي ستزيد نسبتها في مختلف مراحل البرنامج.

مصر

تمّ اختيار الشركة الأسترالية Worley Parsons للاستشارات التقنية، للمساعدة في كلّ مراحل إنشاء محطة نووية إلى مراحل تشغيلها وإدارتها. كما أنجزت المؤسسات المصرية تحديث الدراسات السابقة، بما في ذلك دراسات مختلف المواقع المقترحة، خصوصاً موقع الضباع غرب الإسكندرية كأول موقع مفضل لإقامة محطة نووية لتوليد الكهرباء. بدأت مصر بإيفاد بعثات من الخبراء للتدريب على مختلف المجالات والأنشطة النووية للمشاركة في تسليم مختلف مراحل إدارة وتشغيل المحطات النووية المنوي إقامتها العام 2025، وهي 4 محطات بطاقة إجمالية تصل إلى 4,000 ميغاوات، على أن يبدأ تشغيل المحطة الأولى العام 2019.

الرخيصة، وصولاً إلى إقامة مخابر متقدمة للتجديد الإبداعي والبحث والتطوير ذات القيمة المضافة العالية والتي تسعى الشركات الكبرى من خلالها إلى الاستفادة من الموارد الوطنية عالية الكفاءة ولكن ذات التكلفة الأقل مقارنة بمثيلاتها في الدول الصناعية. والمبدأ المعتمد في هذه الشبكات العالمية هو وفق التسلسل التالي: التقليد، فالتجديد الإبداعي فالاختراع ثم الاندماج.

وتعتمد مرتبة الدول النامية، ومنها الدول العربية، في تسلسل الاندماج بنظم الإبداع والإنتاج العالمية على العديد من العوامل، أهمها: مهارة الموارد البشرية الوطنية المتوفرة وتكلفتها، وتوفير البنى التحتية المتقدمة واكتمالها وتكلفتها، وخصوصاً شبكات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وأخيراً سلامة البيئة المجتمعية العامة والضمانات التي تتوفر للمستثمرين ومؤسسات الخدمات والإنتاج الإبداعية الوطنية أو الأجنبية.

ومن العوامل المؤثرة في هذا المجال صيغ العقود التي تقيمها الدول النامية مع الشركات العالمية الكبرى لاستيراد التكنولوجيا في عمليات التصنيع. وإلى فترة قريبة، كانت معظم الدول العربية تعتمد على أسلوب استيراد التكنولوجيا بصيغة "المفتاح باليد" **Turn Key**، حيث القيمة المضافة المحلية متدنية جداً لأن الشركات الموردة تتولى المشروع من الألف إلى الياء، من دون أي مدخل وطني، ولاسيما من الموارد البشرية المختصة التي يمكن أن تكتسب الخبرة اللازمة لضمان استمرار المشروع وتطويره وتحديثه. إلا أن بعض الدول العربية بدأت تتجاوز ببطء مثل هذا الصيغ، وأخذت تفرض بنوداً في مختلف العقود تؤكد على ضرورة الزيادة المتنامية للمدخلات الوطنية في عمليات الإنتاج المحلية، سواء في تدريب الموارد

بهدف تطوير شبكات تواصل وبلورة لغة علمية وتقنية مشتركة. ومن المؤسف الإشارة إلى ندرة المؤتمرات العلمية والصناعية التي تنظم باللغة العربية، وكذلك إلى ندرة المعارض التقنية ذات المستوى عالي الإبداع في البلدان العربية. كذلك لا بد من الإشارة هنا إلى أن انتشار "لغة علمية مبسطة" في المجتمع يكون فاعلاً في تزايد وعي المواطن العادي بالمستجدات التكنولوجية وفوائدها، كما يسهل استيعاب العمالة لمتطلبات هذه المستجدات ويسهل تدريبها على متطلباتها.

2 - 6 الاندماج في شبكات الإنتاج والإبداع العالمية

إن التطور المتسارع في الاقتصاد العالمي وتنامي انتشاره، وبالتالي عولمة عمليات الابتكار والتجديد الإبداعي والإنتاج، تطرح فرصاً وأعباء لمعظم الدول النامية التي لم تصل بعد إلى مراحل متقدمة في عملية التصنيع. وتتمثل هذه الفرص بشكل أساسي في دخول هذه الدول في سلسلة شبكات الإنتاج العالمية **Internationally Integrated Production Networks**. ويكون هذا الدخول عادة في مراحلها الأولى، حيث القيمة المضافة متدنية، ثم السعي للوصول إلى مراتب هذه الشبكات لتزداد القيمة المضافة المحلية/الوطنية. وقد سارت في هذا الطريق دول نامية كانت إلى فترة قريبة متخلفة في مراحل التصنيع، مثل نمور الشرق الأقصى، تلتها بعد ذلك دول مثل **ماليزيا** و**اندونيسيا** والتي تعد الآن في طليعة الدول حديثة التصنيع.

وتلعب الشركات الكبرى متعددة الجنسيات دوراً حاسماً في شبكات الإنتاج والإبداع العالمية، وفي إدماج الدول النامية في مختلف مراحل الإبداع والإنتاج، بدءاً من إقامة مواقع تجميع للمنتج النهائي، حيث القيمة المضافة المحلية تكون محدودة وتكاد تنحصر في اليد العاملة

والخدمات، بحيث تنتشر فوائدها على أوسع نطاق ممكن من شرائح المجتمع. وتتوزع مجالات التجديد الإبداعي عالمياً إلى نواتج مراكز البحث والتطوير العلمية، والتجديدات في أساليب الإدارة والتطبيقات العملية، والاختراعات الفريدة التي قد ينجزها أفراد مبدعون. وفي التقييم الأولي لهذه المبادرات، التي تستحق أحياناً الثناء والتقدير، يبدو جلياً أن المؤسسات العربية المعنية بتطوير الصناعة الإبداعية لم تستطع بعد تحقيق إنجازات تتعلق بتنمية مقومات الإبداع الوطني وتحويله إلى قيمة فاعلة، وفي نقل التجديد الإبداعي والابتكار إلى الحياة الاقتصادية، على الرغم من الحاجة الماسة والتحديات الاقتصادية والبيئية والغذائية التي يواجهها العالم العربي.

البشرية وتحديث معارفها أم في إقامة وحدات للبحث والتطوير والإبداع أو تصنيع بعض المكونات محلياً. وأبرز مثل على هذه التجارب في الدول العربية هي "قوانين التوازن" -Off Set التي بدأت دول الخليج تعتمد منذ عقود وتسعى من خلالها إلى إعادة توظيف نسبة من استثمارات استيراد التكنولوجيا محلياً بما يتضمن زيادة المدخلات الوطنية وتدريب القوى البشرية، بخاصة في عقود التسلح العسكري والتجهيز الأمني.

الخاتمة

يقاس الإبداع في أي بلد بعدد براءات الاختراع التي تسجل لمواطنيه ويمدى اختراق نواتج هذا الإبداع إلى مختلف قطاعات الإنتاج

البنى المؤسسية الجديدة لبناء القدرات العلمية العربية

”حدائق التقنية ومراكز التميز“

سبل مبتكرة لحل معضلات التنمية

من جامعات ومعاهد للتعليم العالي والتدريب المهني ومخابر أبحاث. لكنها تقتصر في الوقت ذاته مراجعة لأنماط إدارة هذه المكونات وآليات تواصلها. كما تتضمن البنى المؤسسية الجديدة مكونات مستحدثة من أبرزها مراكز التميز وحاضنات التقنية¹.

يشير كثير من الدلائل إلى تزايد وعي حكومات الدول العربية بضرورة تبني سبل مبتكرة لمقاربة معضلات التنمية وتحديات المستقبل. وعلى الرغم من أن الدول العربية لم تشرع في بناء قدراتها الذاتية العلمية والتقنية منذ أمد بعيد، إلا أنها حققت قدراً ملموساً من الإنجازات. فهي موطن لعديد من المعاهد الجامعية ومراكز البحث التي قدّمت جهود العاملين فيها نتائج مفيدة، ولاسيما في مجالات الزراعة وإنتاج الأغذية والمياه والبيئة ومعالجتها.

ولمشروعات صياغة السياسات الوطنية للعلم والتقنية آثار مباشرة وغير مباشرة على ما حققته الدول العربية وما تخطط له من مبادرات ترمي للارتقاء بقدراتها العلمية والتقنية. ولا ريب أن العديد من المبادرات التي تشهدها اليوم دول في مشرق العالم العربي ومغربه هي ثمار الوعي الذي ولّته السياسات الوطنية بأهمية المدخلات العلمية والتقنية في بلوغ أهداف التنمية. إلا أن الدلائل

شهدت العقود القليلة الماضية، وما زال العالم يشهد، تقدماً لم يسبق له نظير في فروع العلم والتقنية تميّز بعمق واتساع رقعة آثاره وشمل سائر جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وطرح احتدام التنافس المستند إلى المعارف العلمية والتقنية الجديدة مقروناً بنشوء سوق عالمية مفتوحة ما شكّل تحديات جسيمة أمام المؤسسات التقليدية التي رعت في الماضي كل ما يتعلق بتوليد المعارف العلمية والتقنية ونشرها واستثمارها، من جامعات ومراكز للبحث وللبحث والتطوير أحياناً. وقد أدّى هذا التوجّه إلى بروز أنماط جديدة من البنى المؤسسية للعلوم والتقنية، كحدائق ومدن العلم والتقنية، لتكون ”أقدر“ من البنى المؤسسية النمطية على توليد معارف علمية متميزة لغايات محدّدة، من ضمن آليات متكاملة تتضمن نشرها وتطويعها ومن ثم استثمارها في منتجات وعمليات مبتكرة في صميم قطاعات الإنتاج والخدمات. وقد أطلقت خلال النصف الثاني من القرن الماضي مبادرات عديدة لبناء القدرات العلمية والتقنية تستند إلى هذه البنى المستحدثة. تركّزت بداية في الدول المتقدمة ثم انتشرت في الكثير من الدول النامية والساعية نحو التصنيع.

وتستند البنى المؤسسية الجديدة في البعض من جوانبها إلى مكونات كانت قائمة في السابق،

على الرغم من أن الدول العربية لم تشرع في بناء قدراتها الذاتية العلمية والتقنية منذ أمد بعيد، إلا أنها حققت قدراً ملموساً من الإنجازات.. فهي موطن لعديد من المعاهد الجامعية ومراكز البحث التي قدّمت جهود العاملين فيها نتائج مفيدة، ولاسيما في مجالات الزراعة وإنتاج الأغذية والمياه والبيئة ومعالجتها..

1 ولا ريب أن انتشار هذه المبادرات على نحو واسع وسريع نسبياً قد أدّى إلى التباسات ما تزال ماثلة اليوم. فقد تعطى البنى المؤسسية المتشابهة أسماء مختلفة. بينما قد يستخدم المصطلح الواحد في الإشارة إلى مبادرات تختلف عن بعضها اختلافات جوهرية.

المعلومات المناسبة حولها. ويشار حيثما أمكن ذلك إلى مبادرات ما زالت قيد الدرس ولم تسفر للآن عن نتائج على أرض الواقع². ويتناول الفصل كذلك أبرز المسائل المتعلقة بالتخطيط لتشييد البنى المؤسسية الجديدة.

1 - أنماط جديدة من مؤسسات العلم والتقنية

تسمح بنى مؤسسية مستحدثة تتضمن مراكز التميز البحثي وحدائق العلم والتقنية باستثمار الموارد المتاحة على نحو أكثر فعالية. وتحفز حدائق التقنية عمليات التجديد والابتكار من خلال الربط بين البحوث الأساسية والتطبيقية، من جانب أول، وبينها وبين أنشطة مؤسسات الأعمال المعنوية بالتصميم والإنتاج والتسويق، من جانب ثانٍ، مع ما يتضمن ذلك من إجراء البحوث التطبيقية التي تعدّ ضرورية لترجمة المفاهيم العلمية الجديدة إلى منتجات أو عمليات إنتاجية أو أطر لتقديم خدمات تقنية مستحدثة، من الممكن تطبيقها تجارياً، إذ يساعد وجود فعاليات البحث ومؤسسات الأعمال المعنوية بالتصميم والإنتاج والتسويق، في موقع واحد ومن ضمن أطر مؤسسية مؤاتية، تفاعلها وفقاً لنماذج لخطية تعبر إلى حدود أبعد عن آليات للتغيير التقني تتجاوز النماذج الخطية التي سادت في ما مضى. بحيث يتسنى استثمار العديد من الروابط والطروحات الناجمة عن أنشطة التجديد التقني والابتكار (الإطار 14). ولقد ابتكرت مصطلحات عديدة يشار خلالها إلى البنى المؤسسية التي أحدثت خلال العقود الماضية. فيشير مصطلح **القطب التقني**³ مثلاً، إلى مجمعات صناعية تستند إلى التقنيات

تشير إلى ضرورة استكمال ومراجعة سياسات واستراتيجيات العلم والتقنية في الدول العربية لتتماشى مع مستجدات ما برحت تظهر على أصعدة شتى؛ سياسية واجتماعية واقتصادية. ولا بدّ من استقراء الخبرات التي بدأت تتراكم لديها في تشييد واستثمار البنى المؤسسية الجديدة التي سبق ذكرها. واستثمار الدروس المستخلصة لإثراء سياسات واستراتيجيات العلم والتقنية، والتنمية الاقتصادية، بعامّة. إذ يعود البطء في استحداث البنى المؤسسية الجديدة والنجاح المحدود الذي أحرزه بعضها والفشل في إقلاع بعضها الآخر بالسياسات التي تمّ تبنيها والاستراتيجيات التي يتمّ تنفيذها على صعد شتى منها العلمي والتقني ومنها الاقتصادي والاجتماعي.

يتناول هذا الفصل نمطين من البنى المؤسسية الجديدة استحدثا في كثير من دول العالم؛ هما حدائق العلم والتقنية ومراكز التميز. ويتركز اهتمام الفصل على هذين النمطين لأسباب عديدة؛ من أهمها أنهما نالا في السنوات القليلة الماضية قسطاً كبيراً من الاهتمام في معظم دول العالم. ومن جهة ثانية فإن حدائق التقنية ومراكز التميز، أقرب مثلاً لجميع الدول العربية ومؤسساتها الجامعية والبحثية. ومن الممكن إن أحسن تصميمها وأفلحت إدارتها أن تسهم في إحراز الكثير من غايات سياسات التنمية العلمية والتقنية الوطنية. ويتطرق هذا الفصل بإيجاز لحاضانات التقنية التي تشكل مكونات أساسية في مراكز التميز وحدائق التقنية. كما يستعرض الفصل المبادرات الرامية لإحداث مراكز التميز وحدائق التقنية في الدول العربية حيثما توافرت

2 يعود هذا إلى شح المعلومات عن هذه المبادرات في بعض الأحيان، وخصوصاً عندما تكون في طور الدراسة أو التصميم. كما أن استحداث معظم ما هو متاح من معلومات من المصادر المعهودة؛ كمواقع الجامعات المعنوية ومراكز التميز التي تديرها وحدائق التقنية على شبكة الإنترنت لا يتمّ بوتيرة مقبولة في أغلب الأحيان.

3 قطب تقني Technopole

إطار رقم 14

النموذج اللاخطي للتغيير التقني

ومراكز للبحث يُشهد لها بالتفوق في مجال معين من مجالات العلم والتقنية؛ كحال القطب التقني المدعو "الطريق 128" بالقرب من مدينة بوسطن. وقد تتعاون الحكومات مع الشركات الكبرى في إنشاء الأقطاب التقنية، التي تتخذ في كثير من الأحيان طابعاً تخصصياً. والمثال الأبرز على الأقطاب التخصصية هي تلك التي شيدتها النمسا لتحقيق صلات متينة بين أنشطة التعليم العالي والتدريب التخصصي والبحث العلمي والتطوير التقني والصناعة وقطاع الأعمال⁴.

شاع استخدام مصطلح "حديقة" أو "واحة العلم والتقنية" التي تجمع الأنشطة البحثية والتعليمية والتدريبية والصناعية والخدمية في موقع جغرافي واحد. وذلك بحيث يسهل تبادل الخبرات والتعاون بين المؤسسات التي تعمل من ضمنها. ومن الوظائف الرئيسة لحداائق التقنية تقديم الدعم لعمليات نقل التقنية إلى مؤسسات الأعمال، ودعم مهاراتها التنافسية. والأمثلة على حداائق التقنية كثيرة. منها حديقة كمبريدج للعلم المختصة بتطبيقات التقنية في قطاع الرعاية الصحية وعلوم الحياة⁵. وتحتوي حداائق العلم والتقنية في معظم الأحيان شركات تستند أعمالها إلى التجديد المبني على تقنيات مستحدثة ومخابر للبحث والتطوير وفعاليات تعليمية وتدريبية وحاضنات لمؤسسات الأعمال الناشئة⁶.

ويفترض أن توفر حداائق العلم والتقنية بيئة جذابة لمؤسسات الأعمال التي تتركز أنشطتها الإنتاجية والخدمية ضمن مجالات تقنية يتسم التطور فيها بسرعة إيقاعه. وتتطلب بالتالي

تعاضد الوعي في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين بوجود تناقضات ضمن النموذج الخطي المعتمد لتمثيل التغيير التقني. إذ تبين أن المكاسب الاقتصادية والمجتمعية الناجمة عن المدخلات المستحدثة أثناء العمر الفعال لتقنية إنتاجية أو خدمية معينة كثيراً ما توازي المنافع المحققة من استثمار تقنيات جديدة كل الجدة. وبحلول ثمانينيات القرن الماضي أضحت نظريات التجديد التقني تنظر إليه على أنه عملية لاختلية متصلة؛ تتأثر بأفعال وردود أفعال المؤسسات المعنية والمستثمرين ضمن أطر ناظمة لاستثمار التجديد التقني، من تشريعات وعلاقات تعاقدية وفرص منظورة أو متوقعة لتطبيقات مستقبلية. ويمنح النموذج الجديد للتجديد التقني الدور الذي يلعبه مستثمرو التقنيات الجديدة أهمية أكبر مما منحه النموذج التقليدي. فمن المنظور التقليدي كان مستثمر التقنية الجديدة يعتبر مجرد مستقبل، جل ما يتسنى له انتقاء التقنية من بين ما يطرح في السوق من بدائل. بينما يقوم مُنتجو التقنية أو مطوّروها بالدور الأساس. إلا أن التحليل المعمق لتجارب التجديد التقني عبر عقود طويلة بين أن مستخدمي التقنية كثيراً ما يقومون بأدوار هامة في مجمل عمليات التجديد التقني. وأن هذا الدور لا يقتصر على المراحل الأولى التي تنطوي على انتقاء التقنية الجديدة المعروضة في السوق. بل يتعدى ذلك فيتناول مرحلتين أساسيتين في التغيير التقني، وهما تصميم المنشآت الإنتاجية أو الخدمية الجديدة التي تستثمر التقنيات المستحدثة، ثم إدماج هذه التقنيات في نظم الإنتاج وتأمين الخدمات المؤازرة. إذ توضح تجربة العقود الماضية أن المستثمر النشط للتقنيات الحديثة كثيراً ما يقوم بدور فاعل في هاتين المرحلتين. حيث يستفيد من تجارب مجموعة متنوعة من الشركات، وموردي المواد الأولية والمعدات وبيوت الخبرة الهندسية وخبراء الإدارة. كما يوظف خبراته الخاصة في التعامل مع التقنيات التي تم استبدالها في ما مضى من خلال عمليات سابقة للتغيير التقني. وأصبح من الواضح أن "مستخدمي" التقنية يلعبون دوراً مهماً في توفير تيار منظم بشكل أو بآخر من الابتكارات يتجاوز مجرد تدبير الاستثمار الرأسمالي. وخلال المراحل الأخيرة من توظيف التقنيات الجديدة يستفيد مستثمروها من مدخلات يستمدونها من مصادر خارجية إلى جانب مصادر ذاتية، بحيث يؤدي التفاعل بين المستثمر النشط للتقنية الجديدة والموردين الخارجيين للمعرفة التقنية دوراً ذا أهمية خاصة كمحرك للتغيير التقني.

وبالإضافة إلى ذلك، ونظراً لأن التغيير التقني ينطوي على قدر كبير من التعقيد، فإن النجاح يتطلب اعتماد أساليب كفوءة لتدقيق المعلومات بين المؤسسات والأفراد المعنيين من دون عوائق تقلص من فعالية العملية أو تزيد تكلفتها. ويؤكد هذا الحاجة إلى توثيق الروابط بين جانبي العرض والطلب في عمليات التغيير التقني وإحداث صلات متينة بين مختبر البحث والتطوير ومؤسسات الإنتاج والتسويق، من ناحية، وعلاقات متينة مع مصادر المعارف التقنية الأساسية والتطبيقية، من ناحية أخرى. وإذا كانت ردود الأفعال الواردة من جانب الإنتاج والتسويق ذات أهمية لإدخال تحسينات إضافية على التصميم والإنتاج والتسويق، كما يتطلب النموذج اللاخطي للتجديد التقني، فإن العمليات التي تنطوي على تجديد تقني جذري تحتاج إلى روابط أقوى مع مصادر المعارف الأساسية والتطبيقية، مما يدعم في نهاية المطاف تبني حداائق ومدن وأقطاب التقنية لإحداث التغيير التقني ونشره.

الجديدة وترتبط بين أنشطة البحث والتطوير والإنتاج الصناعي. وغالباً ما يستخدم هذا المصطلح في الإشارة إلى تجمعات ظهرت تلقائياً، أي من دون تخطيط مسبق، بجوار معاهد جامعية

4 حيث أنشئ قطب كرمز تقني للعمل في أبحاث التقنية الحيوية وأحد مجالات الطب الحديث الطب التجديدي؛ يسعى إلى إعادة توليد النسيج البيولوجية. وقطب تولن التقني الذي يهدف إلى توظيف التقنية الحيوية في رعاية البيئة وفي الزراعة. وقطب فينر نويشتات الذي يختص في مضمار هندسة النظم الميكروية وتقنيات النظم الطبية.

5 انظر موقع حديقة العلم في كامبريدج على الموقع: www.cambridge-science-park.com. تمّ الاطلاع على هذا الموقع في أيار/مايو 2010.

6 وهناك في الواقع أمثلة عن حداائق لا تمتلك جميع هذه المكونات معاً. ممّا يؤدي إلى تصنيف الحداائق أيضاً بحسب مكوناتها والمجالات التي تنال الأولوية في أنشطتها من ضمن زمر حداائق العلم وحداائق التقنية وحداائق الأبحاث وحداائق الابتكار. لكن معظم الحداائق تجسد خصائص مستمدة من أكثر من نمط تصميمي واحد. فهناك حداائق تقطنها شركات لها توجهات بحثية، ممّا يؤهلها لتسمية الحديقة البحثية، لكنها قد تضم في الوقت ذاته شركات تسعى للخروج بابتكارات قد لا تستند إلى أنشطة بحث معمقة، ممّا يؤهلها أيضاً لتسمية "حديقة ابتكار". وكثيراً ما تستخدم المصطلحات: حديقة التقنية وحديقة العلم وحديقة الابتكار والحديقة البحثية على أنها مرادفات الواحدة للأخرى.

تجمع "حديقة" أو "واحة" العلم والتقنية الأنشطة البحثية والتعليمية والتدريبية والصناعية والخدمية في موقع جغرافي واحد، إذ يسهل ذلك تبادل الخبرات والتعاون بين المؤسسات التي تعمل ضمنها.. ومن الوظائف الرئيسية لحداائق التقنية تقديم الدعم لعمليات نقل التقنية إلى مؤسسات الأعمال، ودعم مهاراتها التنافسية، والأمثلة على حداائق التقنية كثيرة، منها حديقة كمبريدج للعلم المختصة بتطبيقات التقنية في قطاع الرعاية الصحية وعلوم الحياة..

دول عربية عدّة بدأت تشهد قيام مدن العلم والتقنية، فأحدثت السعودية مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في ثمانينيات القرن الماضي، كما أحدثت مصر مدينة مبارك للبحث العلمي في مطلع القرن الحالي، وهي تنتمي إلى الجيل الثاني من مدن العلم والتقنية العربية.. أما مدينة مصدر في إمارة أبو ظبي فتتمثل جيلاً متقدماً من مدن التقنية على الصعيد العالمي..

العلمية والتقنية والصناعية. ويحتوي كثير من المدن حاضنات لمؤسسات الأعمال التي تستند أنشطتها إلى مدخلات علمية وتقنية مكثفة. كما تتضمن عادة مرافق سكنية وترفيهية.

ولقد قام البعض من الدول العربية، وعديد من دول العالم النامي بإحداث مدن للعلم والتقنية. فأحدثت **السعودية مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية** في ثمانينيات القرن الماضي. وتُعدّ **مدينة الملك عبد العزيز** من أولى "مدن العلم والتقنية" في المنطقة. لكن النظر إلى مهامها وما قامت به من أنشطة في ما مضى لا يؤيد اعتبارها مدينة للعلم والتقنية وفقاً للتعريف الدولية الراهنة. فهي مؤسّسة من مؤسسات القطاع العام، تتضمن جانباً فقط من المكونات الأساسية لمدن العلم والتقنية، إذ تحتوي معاهد للبحث ومحطات للدراسات الحقلية، تشارك من خلالها بتوليد المعارف العلمية والتقنية. كما تسهم أيضاً بعدد من الأنشطة الرامية لإعداد سياسات واستراتيجيات العلم والتقنية الوطنية. وتدير برامج الخطة الوطنية للعلوم والتقنية المكرّسة لدعم أنشطة البحث والتطوير في المملكة. وتوزّع المنح المخصّصة لتنفيذ هذه الخطط على جامعات المملكة. أي أنها تقوم مقام هيئة وطنية عليا لدعم البحث العلمي والتطوير التقني، لا يُمثل القطاع الخاص من ضمن هيكلها. إلا أن المدينة قامت مؤخراً بإنشاء حاضنة للأعمال وتتجه الآن لبناء علاقات وثيقة مع شركاء في قطاع الأعمال الوطني.

وقد أحدثت **مصر** في مطلع القرن الحالي **مدينة مبارك للبحث العلمي** التي تنتمي إلى الجيل الثاني من مدن العلم والتقنية العربية. أما **مدينة مصدر** في إمارة **أبو ظبي** (الإطار 15)

التواصل المستمر مع المنشآت البحثية. وتضع حداائق التقنية معايير محدّدة لانتقاء المؤسسات التي تستضيفها. وقد تضمّ الحداائق شركات تختص بتقديم المشورة الخاصة بنقل التقنية، بالإضافة إلى مشروعات لتأمين الخدمات الأساسية ومؤسسات مصرفية ووكالات حكومية، تهتم بقضايا الجودة ومعاييرها. وتعتبر حداائق العلم والتقنية بصورة عامة أقرب منالاً بالنسبة إلى الدول النامية من مدن العلم والتقنية.

أما **مركز التميز البحثي** فهو مصطلح يطلق على مراكز الأبحاث التي تتوافر لديها كتلة حرجة من الباحثين من مصاف النخبة في مجالات اختصاصهم، من الذين حققوا إنجازات يشهد بها أقرانهم، من خلال ما قدموا من إسهامات أدت إلى تطوير المجالات التي عملوا ضمنها. وتعمل مراكز التميز عادة في مجالات تقع عند حدود المعارف العلمية والتقنية، إذ يقصد منها الكشف عن تفاصيل في مجالات عملها تسمح بتطبيقات جديدة، بل ثورية، للعلم والتقنية تختلف اختلافاً جذرياً عن التطبيقات المعهودة.

ويستخدم مصطلح "مدن العلم والتقنية" في الإشارة لبنى مؤسسية واسعة النطاق، من حيث الرقعة الجغرافية ومجالات العلم والتقنية التي تغطيها⁷. ومن الأمثلة عنها **مدينة تسوكوبا للعلم في اليابان**. ويخطّط لإنشاء مدن العلم والتقنية وتدار أنشطتها بغية تقديم الدعم لشركات ومؤسسات للأعمال تحتاج أنشطتها إلى مدخلات علمية وتقنية مكثفة وإلى تواصل مستمر مع مراكز ومخابر البحث والتطوير ومعاهد التعليم العالي والتدريب التخصصي. وتتضمن مدن العلم والتقنية عادة طيفاً عريضاً من المؤسسات المؤازرة أو المساندة للأنشطة

7 بينما يمكن أن يتم تشييد بنى مؤسسية لدعم التنمية العلمية والتقنية مصممة أساساً لتتخذ أبعاد "مدينة للعلم والتقنية"، فمن الممكن أن تنشأ مثل هذه المدن نتيجة امتداد الحديقة عبر منطقة جغرافية واسعة وأن توسع أنشطتها لتشمل العديد من فروع العلم والمجالات التقنية.

إطار رقم 15

مدينة مصدر في إمارة أبوظبي

تشكل مدينة مصدر مجعماً ومقرّاً لتطوير واختبار التقنيات النظيفة⁸، حيث ستستخدم مصادر الطاقة المتجددة فقط لتشغيل مرافقها كافة. وتشغل المدينة مساحة 6 كيلومترات مربعة⁹ على بعد 17 كيلومتراً من وسط مدينة أبوظبي. بالقرب من مطار أبوظبي الدولي، وعلى مسافة قصيرة نسبياً من جزيرتي السعديات وياس. وتعتبر موقعاً مثالياً لإجراء أبحاث الطاقة النظيفة واختبار التقنيات الحديثة التي سيتم تطويرها إذ تصمم المدينة بحيث تكون حيادية الكربون وخالية من النفايات وتضحي أمثلة لدول العالم في مجال التنمية الحضرية المستدامة باستخدام مصادر الطاقة المتجددة.

بدأت أعمال بناء مدينة مصدر سنة 2008، ومن المقرر افتتاح المباني الأولى فيها في الربع الثالث من سنة 2010. وتقدر تكلفة بنائها بحوالي 22 مليار دولار أميركي. ومن المقدر أن يتخذ عدد من الشركات ومؤسسات الأبحاث المدينة مقراً للأنشطة البحثية والتجارية. فقد نجحت إدارة المدينة باستقطاب عدد من الشركات العالمية في مجال الطاقة التي ستحدث فعاليات بحثية ومراكز تميز متخصصة بعلوم وتقنيات الطاقة المتجددة. منها جنرال إلكتريك التي انضمت إلى مبادرة مصدر كشريك استراتيجي. وشركة شتايدر إلكتريك التي ستشيد مركزاً للابتكار يشمل وحدة للأبحاث والتطوير ومركزاً تقنياً للتميز سيركّز على الخروج بحلول مستدامة لمؤسسات الأعمال القادرة على تطوير وتوظيف وتعميم تقنيات الطاقة الجديدة. مما سيجعل المدينة مركزاً دولياً للأبحاث وأنشطة التطوير التقني في مجالات الطاقة المتجددة وتقنيات التنمية المستدامة. وهي اليوم من القطاعات الأسرع نمواً في العالم.

وسوف توفر مرافق المدينة السكن للمقيمين فيها من باحثين وعاملين في مؤسسات الأعمال التي تتخذها مقراً، ولزوارها المناطق المجاورة. ومن المرتقب أن يعيش هؤلاء جميعاً تجربة فريدة من خلال المشاركة الفعلية باختبار الابتكارات التقنية التي تطورها مراكز الأبحاث. أي أن مدينة مصدر ستكون حقل تجارب فعلياً للمناهج الجديدة في التخطيط والتصميم والهندسة والبناء والتشغيل لإنشاء مدن مستدامة بيئياً. بحيث يضحى ما يتم تطويره من تقنيات موثوقاً ويسمح بتقليص تكاليف تطوير مدن مستدامة أخرى في أنحاء المنطقة والعالم.

ومدينة مصدر جزء من مبادرة مصدر¹⁰ التي أطلقتها حكومة إمارة أبوظبي في نيسان/ إبريل سنة 2006 بغية تطوير التقنيات والحلول الخاصة بالطاقة المتجددة والنظيفة ومن ثم توظيفها واستخدامها تجارياً. وتتألف مصدر من وحدات الأعمال التالية، بالإضافة إلى ذراع استثماري تابع لها:

- وحدة مصدر كربون، التي تختص بتحسين كفاءة توليد الطاقة وتحويلها، ومشروعات الوقود المستعاضى بالنظيف وتقليص انبعاثات الكربون.
- وحدة مصدر للطاقة، المختصة بإنشاء مشروعات إنتاج الكهرباء من الطاقة المتجددة والاستثمار بنتائجها.
- وحدة مصدر للمشروعات المشتركة التي تقوم بإدارة صناديق مصدر للطاقة النظيفة: وهي مجموعة من الاستثمارات المشتركة ترمي لتأسيس محافظ استثمارية مباشرة في تقنيات الطاقة النظيفة والمتجددة.
- معهد مصدر للعلوم والتكنولوجيا الذي يعتبر أول مؤسسة أكاديمية وبحثية تركز اهتماماتها بصورة تامة لعلوم وتقنيات الطاقة البديلة والتنمية المستدامة. وسوف يمنح معهد مصدر للعلوم والتكنولوجيا شهادات الدراسات العليا في الأبحاث العلمية المتخصصة بالتعاون مع معهد ماساتشوستس للتقنية (MIT)، كما سيسعى لتطوير وتقديم برامج دراسية تركز على التعليم والبحث العلمي في مجالات الطاقة وتقنيات التنمية المستدامة والسياسات التي تحكم نشرها واستثمارها. ومن العناصر البارزة في رسالة المعهد القيام بالأبحاث الرائدة والهادفة إلى تأمين احتياجات الإنسان من الطاقة في المستقبل مع الاستجابة في الوقت ذاته لتحديات تغير المناخ. وتتسق مهام المعهد مع رؤية إمارة أبوظبي الهادفة إلى بناء اقتصاد المعرفة. وسيمثل المعهد مركزاً للأفكار الخلاقة ومصدراً للابتكار والتقنيات الحديثة، حيث سيتم تأهيل الطلبة ليصبحوا قادة المستقبل في مجال الطاقة والتنمية المستدامة. ويشكل معهد مصدر نواة لمناهج الدراسة متعددة الأوجه ومركزاً للبحوث المتطورة في أبوظبي، سيسهم بتحويل الإمارة إلى مركز رئيسي للتقنيات المتطورة والموارد البشرية الكفوءة. ومن المخطط أن يتعاون معهد مصدر مع معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، في القيام بأبحاث مشتركة وتطوير البرامج التدريسية وتقييم الأطر التدريسية والطلبة.

المعالم نسبياً من مجالات العلم والتقنية، وتتناول أنشطتها تحديداً أبحاث مصادر الطاقة المتجددة وترويج تطبيقاتها. ويستند جانب من مبادرات البنى المؤسسية الجديدة في بعض الأحيان إلى مبادرات للتنمية الحضرية، ومثال هذه المبادرات

فتمثل جيلاً متقدماً من مدن التقنية على الصعيد العالمي. إذ تجمع البنى المؤسسية والوظائف كافة التي يشملها مفهوم مدن العلم والتقنية، من معهد للعلم والتقنية ومراكز للبحث وفروع لشركات كبرى. كما تختص بمجالات محددة

8 انظر <http://www.masdar.ae/ar/Menu/index.aspx?MenuID=48&CatID=60&mnu=Cat>، تمّ الاطلاع على الموقع في حزيران/ يونيو 2010.

9 أو ستة ملايين متر مربع.

10 تمتلك شركة مبادلة للتنمية مبادرة مصدر وما تحتوي من وحدات.

11 يعود هذا إلى شح المعلومات عن هذه المبادرات في بعض الأحيان، بخاصة عندما تكون في طور الدراسة أو التصميم. كما أن استحداث معظم ما هو متاح من معلومات من المصادر المعهودة كمواقع الجامعات والمعنى ومراكز التميز التي تديرها وحدات التقنية على شبكة الإنترنت لا يتم بوتيرة مقبولة في أغلب الأحيان.

12 يتمّ تشييد مرافق المدينة ضمن حيز المدينة المنورة لكن خارج الطريق المحلق الثاني.

13 International Association of Science Parks

14 Technology Park

15 حديقة الأبحاث Research Park



مدينة المعرفة في المملكة العربية السعودية

إطار رقم 16

يتم الإعداد لإنشاء مدينة اقتصاد المعرفة ضمن نطاق المدينة المنورة¹² كمشروع من مشروعات القطاع الخاص؛ يبرز دور المدينة المنورة في التاريخ الإسلامي. ويخطط أن تشكل مدينة اقتصاد المعرفة قطباً للسياحة الدينية وموطناً لعدد من المؤسسات التعليمية المتطورة ومحطة لمؤسسات الأعمال وأحد محاور النقل العام الوطنية، إذ سينتهي عندها خط السكة الحديدية الذي يتم إنجازه ليربط مكة المكرمة وجدة بالمدينة المنورة.

ويتم تصميم المؤسسات التعليمية في مدينة اقتصاد المعرفة وفقاً لأساليب متقدمة؛ حيث ستضمن مدارس "ذكية" ومعاهد جامعية ومهنية تستخدم التقنيات الحديثة في أعمالها. وستضم المدينة مراكز بحث ومكتبة كبرى ومرافق متطورة للرعاية الصحية. كما يخطط لإنشاء فعاليات لاحتواء مؤسسات الأعمال تتخذ من تقنيات المعلومات والاتصالات محوراً لأنشطتها. وهذا بالإضافة إلى مرافق الضيافة ومعاهد لتدريب العاملين فيها.

ويبلغ رأسمال مشروع مدينة اقتصاد المعرفة 1.5 مليار دولار أميركي. وسيطرح مبلغاً قدره 30 بالمائة من رأس المال كسهم في الشركة التي ستمتلك مدينة اقتصاد المعرفة، التي تعتبر من أصغر المدن الاقتصادية الست التي تسعى المملكة جادة لإنجازها، إذ لا تتجاوز مساحتها 8 ملايين متر مربع. إلا أن المدينة تصمم بحيث تتسع لقاطنين يبلغ تعدادهم 150 ألفاً، ستحدث لأجلهم 30 ألف وحدة سكنية. ولكن يتوقع أن يولد المشروع فرصاً استثمارية قدرها ثمانية مليارات دولار أميركي. كما يتوقع أن يؤدي لنشوء 20 ألف فرصة للتوظيف.

"مدينة المعرفة" في السعودية (الإطار 16).

تتطلب جميع مبادرات بناء القدرات التقنية مستويات عالية من النضج في مؤسسات البحث والتطوير الوطنية وضمن المناخ المحيط بها. وي طرح تشييد البنى المؤسسية الجديدة تحديات كبيرة تتضمن جميع العناصر التي تعترض تنفيذ وإدارة أي من المشروعات الكبيرة. إذ يستوجب تفعيل الشراكة بين جهات حكومية وشركات من القطاع الخاص ومؤسسات جامعية وبحثة رفيعة المستوى لم يتم مثل لها في الماضي. وتحتاج لبناء جسور مع جهات خارجية من بينها البنى المماثلة في دول الجوار والدول المتقدمة وربما التعاون مع الشركات متعددة الجنسية. وبينما يستوجب إحداث مدن التقنية توظيف مقادير كبيرة من الموارد على مختلف الأصعدة، فإن حداق التقنية ومراكز التميز تطرح متطلبات محدودة نسبياً من حيث القوى العاملة والموارد الاستثمارية. وكما سبقت الإشارة ستتناول الفقرات التالية بقدر من التفصيل نمطين من أنماط البنى المؤسسية المكرسة لبناء القدرات العلمية والتقنية وتيسير استثمارها، هما **حداق العلم والتقنية ومراكز التميز**. كما ستقدم موجزاً عن المبادرات الرامية لإحداث هذه الحداق والمراكز في الدول العربية. وستشير حيثما أمكن ذلك إلى المبادرات التي ما زالت قيد الدرس والتي ربما لم تسفر للآن عن نتائج على أرض الواقع¹¹.

2 - حداق العلم والتقنية

يعتبر الاتحاد الدولي لحداق العلم¹³ أن مصطلح "حديقة العلم" يشمل مؤسسات تطلق عليها تسميات عديدة؛ منها "حديقة التقنية"¹⁴ و"حديقة الأبحاث".¹⁵ وتشترك أنماط الحداق بكونها مؤسسات تسعى لزيادة الثروات الوطنية أو المحلية من خلال تعزيز ثقافة التجديد وبناء

حداق الأبحاث والعلم والتقنية

إطار رقم 17

تستخدم لوصف النماذج المختلفة من حداق العلم والتقنية تعريف كثيرة متباينة. إلا أن العديد من الحداق العاملة في أنحاء العالم تقوم بهام تعود لأكثر من نمط أو صنف من الحداق. فثمة ما تجرى في حداق العلوم أنشطة من المفترض أن تتم من ضمن حداق الأبحاث أو حداق التقنية، وبالعكس. أي أن التعريف التي يقدمها هذا الإطار لا تطبق حرفياً في واقع الحال. حديقة الأبحاث: من أبرز أهدافها توليد وتطوير ونشر المعارف العلمية والتقنية. ولها صلات وثيقة بالجامعات ومراكز البحوث الوطنية والمتخصصة وصلات وثيقة كذلك بالجهات الرامية إلى تسويق مخرجات البحوث. ولا تحتاج حديقة البحث إلى كثافة مرتفعة من المنشآت قياساً بغيرها من أنماط البنى المؤسسية الجديدة. لكن من الواجب أن يتميز نتائجها بأصالة المحتوى العلمي وحداق المضمون التقني.

حديقة العلم: تتركز مهامها على نقل منتجات البحث التي تولدها مخابر الجامعات ومراكز البحث الوطنية والمتخصصة إلى مراحل تمكن من الكشف عن إمكانات تطبيقها. ويشكل نقل وتطوير التقنية وتطوير النماذج الإرشادية ونماذج التصنيع الكمي جوانب مهمة من أنشطتها. وترتبط أنشطة حديقة العلوم بالجامعات ومؤسساتها البحثية، كما تربطها صلات وثيقة أيضاً بمراكز البحوث الوطنية والمتخصصة. وتعرف رابطة حداق العلم في المملكة المتحدة¹⁶ حديقة العلم على أنها "مبادرة رامية لدعم المشروعات التجارية ونقل التقنية تتميز بأنها:

- تشجع وتدعم إطلاق واحتضان المشروعات القائمة على المعارف الجديدة؛
- تهيئ البيئة التي تسمح للمشروعات الأكبر حجماً والمشروعات الدولية بتنمية روابط وثيقة ومحددة مع مركز معين لخلق المعرفة من أجل تحقيق منافع متبادلة؛
- تتميز بصلات رسمية وعلاقات عمل مع مراكز توليد المعرفة، مثل الجامعات ومعاهد التعليم العالي والمؤسسات البحثية.

حديقة التقنية: يشكل السعي نحو التطبيقات التجارية للتقنيات الحديثة جوهر مهامها. وتتم ضمنها أعمال البحث التطبيقي الهادف إلى وسائل مستحثة إنتاجية أو خدمية. وتربطها بمراكز البحث والجامعات صلات قوية، وتتميز بمناخ جذاب ييسر توضع فعاليات البحث والتطوير والتأهيل المتميز ومؤسسات القطاع الخاص المحلية والأجنبية لديها.

العناصر كافة التي تبين ضرورة وجودها على مقربة من بعضها البعض ليسمح تفاعلها عن قرب بأداء أمثل. وشهد النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي طفرة في إنشاء حدائق العلوم في أنحاء العالم، حيث شيدت نسبة تقوى 23 % من الحدائق الناشطة الآن خلال تلك المدة. كما شهد العقد الأول من القرن الحالي إنشاء عدد ملموس من حدائق العلوم والتقنية. وقد شيدت معظم حدائق العلم والتقنية على مقربة من المدن أو من ضمنها. فبلغ نسبة الحدائق التي أحدثت في مناطق حضرية 66 % من المجموع. بينما تقع نسبة من الحدائق تقارب 27 % على مسافة لا تزيد على 25 كم من أقرب المدن إليها. وتشير إحصاءات الاتحاد الدولي لحدائق العلم أن نسبة كبيرة، تقارب 78 % من الحدائق الناشطة اليوم، قد وسّعت مرافقها منذ إنشائها¹⁶.

وعلى الرغم من أن المفهوم الأساس الذي تستند إليه **حديقة العلم والتقنية** قد اكتسب قدراً غير قليل من الوضوح عبر العقود الماضية، فمن أبرز النتائج التي يخرج بها الناظر إلى حدائق العلم والتقنية في أنحاء العالم هي أنه ما من نهج وحيد يمكن اعتباره مثلاً لتكوينها وإدارتها.

إذ تتفاوت حدائق العلم والتقنية من حيث تعدد توجهاتها وعدد المؤسسات التي تتخذها مقراً لأنشطتها. فقيماً يتعلّق بتوجهات الحدائق، تشير إحصاءات **الاتحاد الدولي لحدائق العلم** إلى أن نسبة متواضعة، تبلغ 16 % من الحدائق التي اشتركت في مسح لحدائق العلوم

القدرات التنافسية استناداً لمدخلات علمية وتقنية قامت بتوليدها أو تطويرها مراكز الأبحاث المستقلة أو الملحقة بالجامعات أو معاهد الدراسات العليا. وكثيراً ما يتمّ تطوير وتطوير التقنيات المستحدثة وتجسيدها من ضمن منتجات وخدمات قابلة للتسويق بناءً على تعاون وثيق بين مخابر الأبحاث ومؤسسات الأعمال أو الشركات التي تتخذ من حديقة العلم مقراً لها أو لفرع من فروعها. وستستخدم لاحقاً تسمية حديقة العلم والتقنية لتبيان اتساع المجالات التي تتناولها هذه البنى المؤسسية المستحدثة، فهي لا تقتصر على استثمار العلوم الأساسية والتطبيقية، بل كثيراً ما تتعدّى ذلك لتشمل تعديل تقنيات ناضجة أخضعت مجدداً لأبحاث تشدّ تعديلها لتضحي ملائمة لاستخدامات لم تطوّر أصلاً من أجلها (الإطار 17).

بدأت **حدائق العلم والتقنية** بالانتشار منذ منتصف القرن الماضي. وتذكر بعض المراجع أن تعدادها فاق 400 في أنحاء العالم، في العام 2007¹⁷. وأحدث معظمها بدايةً بالقرب من الجامعات أو من ضمن حرمها. إلا أن نجاح بعضها كثيراً ما يجذب المزيد من مؤسسات الأعمال والفعاليات المؤازرة والمرافق الخدمية بحيث تمتد لتشغل مساحات واسعة تؤهلها لأن تدعى **مدن العلم أو التقنية**. ومقابل هذا النمط التدريجي لنشوء وتوسع حدائق العلم والتقنية الذي شهدته سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، فقد أحدثت في عقده الأخير **حدائق العلم والتقنية** في عدد من الدول المتقدمة وبعض الدول النامية، بناءً على مخططات تضمّنت منذ البداية

16 أنظر موقع الاتحاد الدولي لحدائق العلم في المملكة المتحدة: <http://www.ukspa.org.uk>. تمّ الاطلاع على مضمون الموقع في أيار/مايو 2010.

17 تشير وثيقة وضعتها لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لإفريقيا إلى تواجد حوالي 700 حديقة للعلم والتقنية في العالم في العام 2003. والمراجع أن هذه الإحصائية تتبنّى تعريفاً مرناً لحدائق العلم والتقنية يضمّ طيفاً واسعاً من المؤسسات المشابهة. أنظر الوثيقة: Technology Parks, Incubation Centres, Centres of Excellence; best practices and business model development in North Africa and Southern Africa; January 2009. Call number E/ECA/CODIST/1/14 26 March 2009.

18 أنظر موقع الاتحاد الدولي لحدائق التقنية على العنوان: <http://www.iasp.ws/publico/index.jsp?enl=2>. وقد تمّ الحصول على المعلومات المذكورة في هذه الفقرة من الحيز اللمعنون "إحصائيات" في 2 حزيران/يونيو العام 2010.

- توافر قدر كاف من الأطر العاملة الملتزمة من المستويات المختلفة؛
- البيئة المحيطة وما تحتوي من مزايا طبيعية؛
- أنظمة متميزة للاتصالات، تتمثل باستثمار شبكة ذات سرعة مرتفعة¹⁹ للوصول إلى خدمات الإنترنت؛
- مرافق سكنية وترفيهية من مستوى جيد؛
- أنظمة المواصلات المتاحة قرب الموقع؛ من مطارات دولية وطرق سريعة ومحطات سكك الحديدية.

2 - 1 مكونات حقائق العلم والتقنية والأطراف المساهمة بها

يتطلب التوصل إلى فهم أفضل لحقيقة من حقائق العلم والتقنية النظر بتمعن إلى الأطراف المساهمة في تكوينها. وتصنف هذه الأطراف عموماً في مجموعتين، جهات مشاركة وجهات راعية. فيتضمن المشاركون مؤسسات الأعمال النزيلة أو المستأجرة والجامعات والمؤسسات البحثية وإدارة الحديقة. أما الجهات الراعية فمن المألوف أن تتضمن المؤسسات والشخصيات السياسية المحلية والوطنية المعنية بقطاع الأعمال وتلك المعنية بالتنمية العلمية والتقنية. وتعتبر شركات التنمية العقارية أحياناً من الجهات الراعية. يبقى للمعاهد التعليمية ومراكز البحث ومؤسسات الأعمال النزيلة الدور الأهم في تحديد طبيعة حديقة العلم والتقنية. فتنوع هذه المؤسسات من حيث مجالات تخصصها وحجم أعمالها وموضعها على سلم التقدم التقني وطموحاتها المستقبلية عوامل تحدّد توجهاتها وفلسفة إدارة حديقة العلم والتقنية وفرص نموها. وقد يتضمن نزلاء الحديقة نسبة طاغية من الشركات الناشئة الملمة

في العالم، تختصّ بفروع محدّدة من العلوم والتقنيات ولا تستضيف مؤسسات تعمل خارج حقل عملها. كما أنها لا تقوم بأنشطة تقع خارج هذه الحقول. وتعمل نسبة أكبر من الحقائق، تبلغ 40 % من الحقائق التي شاركت في المسح ضمن مجال أوسع من الاختصاصات، أي أنها شبه متخصصة. بينما تعتبر نسبة تبلغ 36 % من الحقائق ضمن كل المجالات الممكنة، أي أنها تعتبر عمومية التوجه.

وتقع معظم حقائق العلوم والتقنية من ضمن مناطق تكثر فيها الجامعات ومعاهد التعليم العالي. بحيث تشير إحصاءات الاتحاد الدولي لحدائق العلم إلى أن 60 % من حقائق العلوم والتقنية التي أسهمت في مسح قام به الاتحاد تقع ضمن دائرة قطرها 100 كم يوجد ضمنها ما لا يقل عن خمس جامعات. ويقع 21 % من الحقائق المشاركة في المسح على مقربة مما يزيد على 20 جامعة.

وتقدّم إدارة حقائق العلم والتقنية طيفاً من الخدمات للمؤسسات التي تقطنها تتفاوت هي أيضاً من حالة لأخرى تبعاً للظروف التشريعية والتنظيمية السائدة على الصعيد الوطني أو المحلي. وتوكل إدارة الحديقة في بعض الأحيان لشركات من القطاع الخاص على أن تكون مسؤولة أمام مجلس للإدارة يضم ممثلين عن قاطني الحديقة من مؤسسات تعليمية وبحثية وصناعية أو خدمية. ومن الخدمات التي تسعى حقائق العلم والتقنية لتقديمها، الخدمات المصرفية واللوجستية وخدمات الشحن والبريد السريع. وفي أغلب الأحيان تقوم شركات تتخذ من الحديقة مقراً لها بتأمين هذه الخدمات. ومن العناصر التي تعتبر أساسية لاجتذاب المستثمرين والتعاون في إنشاء البنى المؤسسية المستحدثة للعلم والتقنية:

- الموقع ونوعية المباني والمرافق المتاحة ضمنه؛

قبل انضمامهم إلى عالم الأعمال. وعلى الرغم من أن هذه الظاهرة آخذة في التزايد، يبقى الشكل التقليدي لتناقل المعارف التقنية، الذي ينجم عن تعاقد مؤسسات الأعمال مع معاهد الأبحاث، النمط السائد في الكثير من الحالات.

2- 1- 1 مؤسسات الأعمال ذات التوجه الخارجي

يعود بعض هذه المؤسسات إلى بيوت خبرة ومؤسسات استشارية لها علاقات مع مؤسسات أعمال أخرى في الحديقة وخارجها. وتتضمّن هذه المؤسسات إلى عداد نزلاء حدائق التقنية لتحسين سمعتها بين أقرانها. كما قد ترمي من خلال الانضمام إلى الحديقة إلى الاستفادة من المعارف التقنية النابعة أو المستقاة من المنشآت البحثية في الحديقة، وإيصالها إلى مراحل أبعد من النضج، وربما الإسهام في ما بعد بنشرها وتسويقها. وتشكل هذه المؤسسات غالبية نزلاء حدائق التقنية في الدول المتقدمة.

2- 1- 2 مؤسسات الأعمال ذات التوجه الداخلي

تتركز أنشطة هذه المؤسسات على استثمار مدخلات البحث والتطوير وتقديم الخدمات المتعلقة بأنشطة البحث والتطوير. وغالباً ما تمتلك هذه المؤسسات خبرات معمّقة في مجالات توليها الحديقة الأولوية. وكثيراً ما تتمتع مؤسسات الأعمال ذات التوجه الداخلي برؤوس أموال مساهمة تفوق نظيراتها خارج الحديقة. وفيما تعتبر مؤسسات الأعمال التي تتخذ أنشطة الحديقة محور أعمالها المتطلبات التمويلية ونقص البحوث التسويقية والتخطيط من المعوقات الأساسية لنموها، فمن نقاط الضعف التي

تماماً بالمنتجات المزمعة من دون أن تتوافر لها الخبرات التجارية اللازمة. كما قد تتضمّن الحديقة نسبة مرتفعة من شركات الخدمات وبيوت الخبرة الاستشارية التي تهدف إلى نقل ما لديها من خبرات، تتضمّن المعارف التقنية أو أساليب التسويق إلى مؤسسات الأعمال سواء داخل الحديقة أم خارجها. وتتضمّن بعض الحدائق مؤسسات نزيلة تمثّل فروعاً لشركات كبرى لها وجود مستقل خارج أسوار الحديقة. وغالباً ما تنشّد هذه الشركات الوجود ضمن الحديقة لإقامة علاقات وطيدة مع مؤسسات الأبحاث والشركات الأخرى التي تقطنها.

2- 1- 1 مؤسسات الأعمال الناشئة

هنالك دلائل واضحة على الدور الإيجابي الذي يمكن لحدائق التقنية القيام به، منها ارتفاع معدلات نجاح مؤسسات الأعمال التي تتخذ من حدائق التقنية مقراً لها، بالنسبة إلى معدلات النجاح المناظرة لدى مؤسسات الأعمال خارج مدينة أو حديقة التقنية²⁰. وهناك بصورة عامة ثلاثة أنواع من مؤسسات الأعمال الناشئة التي تستضيفها حدائق التقنية:

- مؤسسات لديها نتائج بحثية يمكن توظيفها ضمن منتجات مبتكرة أو معدلة قابلة للتسويق؛
- مؤسسات تمتلك منتجات معتادة يمكن تسويقها باستهداف مجموعة محدّدة من المستهلكين؛
- مؤسسات تكرّس جهودها لابتكار منتجات جديدة ومن ثمّ تصنيعها وتسويقها.

وكثيراً ما يقوم الباحثون بإطلاق مؤسسات الأعمال من الصنف الأول، في محاولة لاستغلال معارف أو مكتشفات توصّلوا إليها

19 أي عرض حزمة مرتفعة.

J. Bower, "Successful joint ventures in science parks," Long Range Planning, 26, 6 (1993), quoted in 20 Ferguson, Panacea or Let-down?, p. 14.

21 يستخدم تعبير المنتجات هنا في الإشارة إلى طيف واسع من النتائج التي تأمل مؤسسات الأعمال الخروج بها إلى السوق، بما يتضمّن "المنتجات" الخدمية.

حدائق التقنية يساهم في تخريج أطر تفي إلى حدود أكبر من السابق بمتطلبات مؤسسات الأعمال في الحديقة. إلا أن إحراز روابط وثيقة ومستدامة بين الجامعات ومؤسسات الأعمال لتحقيق غايات أكثر طموحاً يبقى من المهام الشاقة، حتى في الدول المتقدمة، مما يتطلب قدراً كبيراً من الجهود التي ينبغي أن تضطلع بها إدارة الحديقة، والجهات الحكومية المسؤولة عن التعليم العالي والبحث العلمي. وكما ذكر في مواقع كثيرة أخرى، يمكن للتشريعات والأنظمة التي تتبناها الحكومات تقديم حوافز لأنماط التعاون كما يمكنها أن تولد العديد من الحدود والعراقيل. وعلى أي حال، فإن تجارب حدائق التقنية في دول متقدمة ونامية تشير إلى تمكن مؤسسات الأعمال التي تواجه مشكلات علمية أو فنية من الحصول على العون من العاملين

تشكو منها نظيراتها خارج الحدائق نقص رؤوس الأموال وندرة العمالة الماهرة.

2-1-2 المؤسسات البحثية

تتضمن المنشآت البحثية التي تتخذ حدائق التقنية مقراً لها معاهد الأبحاث المستقلة، بالإضافة إلى الأقسام البحثية التابعة للجامعات ومؤسسات الأعمال الكبرى، وبعض جهات القطاع العام. ويتيح وجود المؤسسات البحثية ضمن الحديقة فرصاً أكبر لضمان الحصول على عقود البحث والتطوير من مؤسسات الأعمال النزيلة ومن الجهات الحكومية. ونظراً لأن البيئات السائدة في حدائق التقنية تحفز تكوين شبكات الماويل والتلزم الضمني فإن هذا يدعم فرص المعاهد البحثية للحصول على التعاقدات.

وبصورة عامة فإن وجود المؤسسات البحثية ومؤسسات الأعمال من ضمن حيز جغرافي واحد يؤدي إلى نشوء علاقات مهنية وشخصية تلعب دوراً مهماً في إنجاح عمليات نقل التقنية وتنمية القدرات البشرية على مغالبة الصعاب التي تعترض استثمارها. بحيث يعود التواصل بين معاهد ومراكز الأبحاث ومؤسسات الأعمال في بعض الأحيان إلى الصلات الشخصية التي كونها أصحاب مؤسسات الأعمال أو العاملون لديهم مع أساتذتهم أو أقرانهم السابقين الذين مكثوا في معاهد ومراكز الأبحاث. ويكتسب هذا النمط من التعاون أهمية كبيرة في صنف من أصناف حدائق العلم والتقنية تطلق عليه تسمية حديقة الأبحاث (الإطار 18).

2-1-3 الجامعات

يتجلى الكثير من الآثار الإيجابية المعهودة للجامعات في المجتمع بصفة عامة من ضمن حدائق التقنية. وتشير خبرات عديد من الحدائق إلى أن مجرد اندماج الجامعات في

أنماط التعاون في حدائق الأبحاث

إطار رقم 18

تنشأ حدائق الأبحاث عندما تتخذ مؤسسات الأعمال المكرسة للخروج بمنتجات²¹ مبتكرة موقعاً لها ضمن أو بجوار مراكز بحثية جامعية تتميز بنقاط قوة في مجال . مما يُيسر لها إقامة علاقات عمل وطيدة ويسرع نقل المنتجات والخدمات المطورة إلى السوق. وهناك تنوع كبير في أنماط العلاقات الممكنة بين الجامعات ومؤسسات الأعمال التي تتخذ من الحديقة موئلاً لأنشطتها، تعرض القائمة التالية بعض جوانبها:

- تمويل مشروعات البحث الجامعية استناداً إلى منح مباشرة تقدمها مؤسسات الأعمال؛
- الاشتراك بتمويل مشروعات ومقترحات بحثية مشتركة؛
- قيام الباحثين من الجامعات والفنيين من مؤسسات الأعمال بأنشطة مشتركة ضمن مؤسسات الحديقة، كدريس دورات تخصصية وتصميم وتشغيل مخابر أو تصميم مشروعات الأبحاث والتجارب الحقلية والتصنيعية؛
- تقديم الخبرة الاستشارية للمشروعات من قبل أساتذة الجامعات و الباحثين فيها؛
- توفير فرص لتوظيف خريجي الجامعة الواعدين في المشروعات القائمة بحديقة البحث؛
- التشارك باستخدام المعدات والكلفة والمتوفرة لدى الجانبين، كاستعانة بمرافق مؤسسات الأعمال في البحث والتدريب، واستعانة مؤسسات الأعمال بمرافق الجامعات ومكتباتها؛
- حصول العاملين في مؤسسات الأعمال على منح الزمالة والمنح المالية والمنح الدراسية في الجامعات؛
- منح فرص لطلاب الجامعات لاكتساب خبرات عملية والتدريب خلال عملهم الأكاديمي؛
- عقد ندوات ومؤتمرات مشتركة لتسويق منتجات الحديقة وأنشطتها من مشروعات علمية وتقنية وإنتاجية.

إطار رقم 19

التعاون بين الجامعات ومؤسسات الأعمال في "الحدائق"

في أقسام التدريس والبحث الجامعية أو من أخصائيي المكتبات والمعلومات، بل وحتى المشاغل الجامعية. وغالباً ما يأتي العون من الباحثين الجامعيين ضمن إطار عقود يقوم بمقتضاها فنيو مؤسسات الأعمال والباحثون بالتعاون لإنجاز مهام محدّدة وفقاً لخطط يتفق عليها. وقد تبرم مؤسسات الأعمال عقوداً مع الباحثين فرادى أو مع مختبر بحثي لحلّ مشكلة معيّنة، والخروج بنتائج يمكن تقييمها وفقاً لشروط أو معايير أداء معيّنة. ويتبع مثل هذا المنهج في الحالات التي يمكن فيها صياغة الأهداف وسبل العمل بصورة واضحة بناءً على خبرات سابقة للأطراف المعيّنة. وعلى الرغم من أن نقل المعارف من الجامعات إلى مؤسسات الأعمال ليس بالأمر اليسير عموماً، فبإمكان إدارة الحديقة إحراز الكثير من خلال تبني أساليب مناسبة (الإطار 19).

لكن وجود مؤسسات الأعمال والجامعات أو مراكز البحث على مقربة من بعضها البعض ليس إلا واحداً من الشروط الضرورية للنجاح في حيابة التقنيات الجديدة واستثمارها. وليستى هذا النجاح لا بدّ من التصدي لمجموعة من المواقف، منها نقص الخبرة لدى الباحثين الأكاديميين بمتطلبات مؤسسات الأعمال من الجوانب التجارية. وكثيراً ما تتسع الفجوة بين مؤسسات الأعمال من جهة والجامعات أو مراكز البحوث من جهة أخرى نتيجة سياسات ولوائح تنظيمية غير مؤاتية تتبنّاها هذه المؤسسات أو الجهات الحكومية المعيّنة. ومن الآليات المتبعة لتخطي الفجوة الناجمة عن اختلاف الأنظمة ونظم القيم السائدة لدى الأطراف المتعاونة في حدائق التقنية تصميم مشروعات محدّدة المعالم والأهداف تضمّ الجهات المتعاونة. وقد تتطلّب الظروف أحياناً وضع آليات من أنماط متعدّدة لنقل التقنية بين طرف وآخر. كما أن التحوّلات

يحجم بعض الأكاديميين عن التعاون مع مؤسسات الأعمال لأسباب عديدة، منها تباين في نسق القيم التي تحكم البحث العلمي عن النسق الذي يحكم مؤسسات الأعمال. فكثير من مؤسسات الأعمال يسعى لتحقيق الربح السريع بينما يسعى الباحثون، عامةً، نحو تفهم عميق للمسائل التي تطرح عليهم ويسعون لحيازة مكانة علمية مرموقة بين أقرانهم من خلال ما يستثنى لهم نشره من نتائج أصيلة. كذلك فإن التباين بين إيقاع الحياة الأكاديمية وتفاصيل العملية التعليمية وأساليب تقييم الأداء في مؤسسات التعليم يتعارض في كثير من الأحيان مع متطلبات مؤسسات الأعمال. فكثيراً ما يهتم الأكاديميون بالأبحاث الأساسية، بينما تتطلب مؤسسات الأعمال، في جميع الحالات، إنجاز الأبحاث التطبيقية. وغالبية الأساتذة والباحثين وطلابهم، هم بالتعريف معنيون بتوليد المعرفة ونشرها، وما قد يصحب ذلك من اكتساب مكانة مرموقة بين نظرائهم. وغالباً ما يعمل هؤلاء من ضمن نظم تعتبر فيها الأبحاث رفيعة المستوى، أو برامج التدريس التي تتسم بالإبداع، إنجازات تؤدي للحصول على مكانة أفضل. أما بالنسبة للقيم على مؤسسة الأعمال الناجحة، فلا يعدو البحث المتميز كونه وسيلة لتحقيق غايات معيّنة، كثيراً ما تتمثل بتحسين المنتجات أو الخدمات موضوع البحث ابتغاءً لزيادة أرباح المؤسسة. وتعدّ هذه الفروق منشأ لكثير من الصعاب التي تعيق التعاون بين الأكاديميين ومؤسسات الأعمال، إذ إن الأهداف المتباينة تؤدي لخلافات حول تفاصيل الأبحاث التي ينبغي إجراؤها وكيف ينبغي أن تجري، ومن ثم ما يمكن نشره من المعارف المكتسبة بنتيجتها.

وحتى حين تلحق الجامعة بتكوين أقسام وفرق بحثية مكرسة لمؤازرة قطاع الأعمال، فإن الكثير من الباحثين الجامعيين، حتى في البلدان المتقدمة، يميل إلى الاهتمام بالمشكلات التي تفسح المجال لبحوث طويلة الأجل تخدم أهدافاً عديدة، منها نشر بعض النتائج في الدوريات العلمية. وتوفر أسس لمشروعات طلبة الدراسات العليا. أما أنماط الأبحاث التي تنشدها مؤسسات الأعمال الصغيرة والمتوسطة، فغالباً ما تتطلب القيام بأنشطة بحثية محدودة النطاق والأجل. وكثيراً ما تُسند مؤازرة هذه المؤسسات إلى من هم أدنى مستوى، من حيث الخبرة والمؤهلات العلمية. ويشكو القيمون على مؤسسات الأعمال أحياناً عدم احترام سرية المعلومات من قبل الباحثين الذين يتداولون المعلومات الخاصة بعملهم ضمن البيئة المفتوحة نسبياً التي تعتبر أساساً للتعاون العلمي في الجامعات ومراكز البحث. ولكي يتم نقل التقنية بصورة مجدية لا بدّ من الخوض في مشروعات مشتركة تضمن التواصل الوثيق والمستمر بين الطرفين. ويتطلب هذا بدوره صياغة آليات وإرساء تقاليد تكفل حسن سير العمل المشترك وتضمن نشوء حوار ينطلق لدى الشروع بتطوير التقنية ونقلها، ويستمر خلال مراحل استثمارها التجريبي والحقلي ومن ثم التجاري، في نهاية المطاف. وهذا من دون إلحاق الضرر بأساليب العمل العلمي وبحيث يتم الحفاظ على سرية ما يتم الوصول إليه من معلومات تتصل مباشرة بالتطبيقات التجارية.

ويعتبر التغلب على هذه التفاوتات من التحديات الأساسية أمام الجامعات ومؤسسات الأعمال وصنّاع القرار المعنيين بنجاح الحديقة العلمية. والتوجه الأسلم يقضي بأن يستثنى للجامعة كمؤسسة الاستفادة من التعاون مع مؤسسات الأعمال. لذا يتوجب على الجهات المشرفة على الحديقة ضمان منافع متبادلة بين الجانبين. وبصورة عامة فإن انخراط الجامعات في حديقة العلم والتقنية يعزّز مكانتها، إذ يعبر عن إسهامها المباشر في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. كما أن الأبحاث التي تجريها الجامعة لحساب مؤسسات الأعمال كثيراً ما تسفر عن تطوير المناهج الدراسية وجعلها أكثر استجابة لاحتياجات السوق. وبالإضافة إلى التعاون في استثمار المرافق المشتركة لتدريب العاملين من الجانبين، فإن الصلات غير الرسمية بين أعضاء هيئتي التدريس والبحث في الجامعة والعاملين في مؤسسات الأعمال كثيراً ما تؤدي إلى تكوين شبكات محلية للمعرفة ولنشوء فرص أكثر التحاور وطرح المسائل التي تتسم باهتمام مشترك.

أما الفوائد التي يمكن لمؤسسات الأعمال التوصل إليها، من خلال وجودها ضمن حدائق العلم والتقنية، فتتمثل بحظوظ أكبر للإحاطة بالتطورات التقنية، ولتبني فرص التطبيقات التجارية الممكنة لبعض هذه التطورات في وقت مبكر. وهذا ما يمنحها الفرصة لاستغلال بعض التطورات التقنية قبل غيرها. ومن شأن التفاعل الوثيق بين الفئتين في مؤسسات الأعمال والباحثين من ذوي المهارات الرفيعة من ضمن أطر وقواعد ناظمة تضعها إدارة حديقة التقنية، أن يسمح بالتعرف إلى التطورات التقنية الجديدة وإنضاجها قبل أن يُقدّم المنافسون على ذلك.

بتقديم خدماته لدعم مؤسسات الأعمال بصورة عامة (الإطار 20).

نشأت حاضنات التقنية، وأواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن الماضي، كأداة لتنمية الصناعات والخدمات المستندة إلى التقنيات الحديثة. فتبنت بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية²² مشروعات لإحداث حاضنات التقنية والانتقال بنتائج الأبحاث الجامعية إلى الاستثمار التجاري. وقد اتسمت الجهود الرامية لإنشاء حاضنات التقنية في عدد من بلدان العالم بالتركيز على أولويات التنمية الوطنية واستهداف الكثير منها توطيق وتطويع تقنيات المعلومات والتقنية الحيوية، بوجه الخصوص. ويمكن لحاضنات التقنية القيام بدور مزدوج بالعمل لتحويل نتائج البحوث إلى منتجات وخدمات تجارية من ناحية، وتهيئة البيئة المناسبة لتدريب أصحاب الأعمال الناشئة من التقنيين، من ناحية أخرى. كما يمكن لحاضنات التقنية أن تدعم الاستخدام الفعال لرؤوس الأموال المتاحة من أجل تنمية القدرات الوطنية العلمية والتقنية. ومن الفوائد التي أثمرت بها مبادرات الحاضنات في عدد من بلدان العالم الصناعي خلق فرص جديدة للعمل ضمن الحاضنات وفي مؤسسات الأعمال حال تخرجها. كما أن إحداث حاضنات التقنية كثيراً ما يؤدي إلى توليد عمالة ثانوية في صناعات أخرى. ويتسم احتضان مؤسسات الأعمال المستندة إلى التقنية بتكلفة باهظة مقارنة باحتضان مؤسسات الأعمال المألوفة. وقد أحدث العديد من الحاضنات التقنية بالقرب من الجامعات أو ضمن حرمتها. ومن الأمثلة على أولى مشروعات الحاضنات التقنية "مركز تطوير التقنية المتقدمة" في الولايات المتحدة الذي أحدثه معهد جورجيا للتقنية، وكانت

التي تطرأ على مختلف الأصعدة تتطلب التطوير المستمر لآليات نقل التقنية القائمة في المجالات المختلفة. وقد أحدثت في بعض مدن العلم والتقنية وحدات متخصصة بمساندة عمليات نقل التقنية. بحيث تؤخذ بالاعتبار متطلبات المستخدم النهائي، والظروف القانونية والبيئية السائدة.

ومن ناحية أخرى قد يتم نقل التقنية من الجامعات إلى مؤسسات الأعمال من دون اتصال مباشر بينها وبين الباحثين أو المؤسسات التي يعملون بها. فهناك حالات عديدة تم فيها نقل التقنية من معاهد الأبحاث الجامعية ومراكز التميز البحثي إلى مؤسسات الأعمال من خلال وسطاء من الخبراء الاستشاريين أو مؤسسات الأعمال المتخصصة بتأمين الخدمات التقنية. وتشير بعض المراجع إلى هذا النمط من نقل التقنية بالنقل الهرمي. وبينما قد يؤدي اتباع هذا النمط لنشر التقنية إلى تقليص بعض المزايا الكامنة في الأسلوب المباشر لنقل التقنية، إلا أنه يسمح في الوقت ذاته بإزالة بعض الصعاب التي يعاني منها هذا الأسلوب الأخير. وفي جميع الأحوال فإن توافر الإمكانيات للنقل الهرمي لا يغني عن الحاجة إلى وجود مؤسسات الأعمال بالقرب من الجامعات أو المنشآت البحثية. حيث يتسنى لمؤسسات الأعمال ضمن الحديقة أن تتلقى المعارف التقنية من فريق الباحثين مباشرة ثم تقوم بنقلها إلى مستخدمين آخرين.

2 - 1 - 4 الحاضنات

تشكل الحاضنات إحدى المكونات الرئيسية في عدد من حقائق العلم والتقنية. وبصورة عامة تختص الحاضنات التي تقع ضمن هذه الحقائق بتنمية مؤسسات الأعمال التي تستند أنشطتها إلى التقنيات الجديدة. لكن بعضها يقوم أيضاً

البنى الأساسية وشحّ الدعم الفني المتخصّص ونُدرة المهارات الإدارية المتاحة بين التقنيين عامّة وشحّ المعلومات عن الأسواق المنشودة والتعقيدات التي قد تعترض التعامل مع دوائر الدولة. هذا بالإضافة إلى السماح بالتواصل مع مصادر الخبرة العلمية والتقنية الذي قد ينجم عن تموضع الحاضنة بالقرب من جامعة أو مركز للأبحاث. وحيث إن الحاضنات بعامّة غير قادرة على تأمين جميع هذه الخدمات، فإنّ الشروع بالشراكة مع مؤسسات مؤازرة وإبرام تحالفات واتفاقيات لتلّزيم بعض الأنشطة لمؤسسات أعمال متخصصة أضحت من الممارسات السائدة. وقد أضحت من المعتاد اختيار موقع الحاضنة من ضمن مناطق تتمّ تميّزها لتحفيز الأنشطة الإنتاجية والخدمية. بحيث يكفل ذلك الوصول إلى الخدمات الفنية واستثمار المنشآت المساعدة والبنى الأساسية وسبل التواصل مع الأسواق المنشودة. وبصفة عامة تعتبر الحاضنات ناجحة إذا أفلحت في ما يلي:

- توليد عائدات مناسبة على الاستثمارات التي وجّهت لإحداثها؛
 - تخريج تعداد مناسب من مؤسسات الأعمال وفرص العمل من ضمن فترات زمنية معقولة؛
 - تعزيز التنمية المستندة إلى مدخلات علمية وتقنية جديدة من ضمن المنطقة أو الجهة أو الدولة المعنية.
- وقد اتجهت دول عربية عديدة لإحداث حاضنات تشدّ الإنجازين الثاني والثالث. ويستند كثير من هذه المبادرات إلى تقنية المعلومات والاتصالات (الإطار 21).

مهمته الأساسية لدى إطلاقه في ثمانينيات القرن الماضي مؤازرة نشر التقنيات الجديدة وتحفيز انتقالها إلى السوق على صورة منتجات وخدمات جديدة أو مجدّدة.²³ ومن العوامل التي تؤيد إحداث الحاضنات بالقرب من الجامعات ومعاهد البحث التابعة لها ما ينجم عن ذلك من تفاعل مجدّد على المدى الطويل، بين أعضاء هيئتيّ البحث والتدريس في الجامعات والفنيين في مؤسسات الأعمال.

وبصرف النظر عن الأهداف التنموية التي قد تتبناها بعض الجهات المساهمة بمبادرات الاحتضان، فإنّ الحاضنة تعدّ مؤسسة تجارية مكرسة لتقديم الخدمات العامة والمتخصّصة لنزلائها من أصحاب مشروعات الأعمال. بل إنّ الحاضنات تستند عامّةً ضمن حدود متباينة إلى التنمية العقارية الكامنة أو المنشودة أصلاً من إحداثها. وتشير تجارب بعض الدول المتقدمة في العقود الأخيرة من القرن الماضي إلى تناقضات محتملة بين ربحية المشروعات القائمة على الاستثمارات العقارية وبين الأهداف بعيدة المدى لحاضنات التقنية من حيث التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة. إذ يؤدي الحرص على ربحية مشروعات الحاضنات من قبل الجهات المسؤولة عن إدارتها إلى قبول مستأجرين لا يتمتعون بتألف غاياتهم، حفاظاً على معدلات استثمار مجدية للمرافق المتاحة. ومن المنافع غير المباشرة للحاضنات نشر ثقافة المبادرة واجتذاب الصناعات الخدمية التي توظف العمالة الماهرة وشبه الماهرة.

ومن حيث المبدأ فإنّ حاضنات التقنية تسعى لتذليل التحديات التي تواجه مشروعات الأعمال لدى انطلاقها بما في ذلك ارتفاع التكاليف الثابتة وتعرّس الوصول إلى رؤوس المال وقصور

23 أسهم هذا المركز في ترويج البحوث الجامعية من خلال برنامج كُرس لهذا الغرض في العام 1991.

يعتبر احتضان مؤسسات الأعمال المبادرة من الآليات الفاعلة لتنويع مصادر الدخل الوطني وتوليد فرص عمل. وقد أحدثت أولى حاضنات الأعمال في الولايات المتحدة أوائل الستينيات. أما اليوم فتضم أميركا الشمالية ما يزيد على الألف حاضنة بحسب إحصاءات الاتحاد الوطني لحاضنات الأعمال في الولايات المتحدة. ويقدر أن الحاضنات في الولايات المتحدة أسهمت بإطلاق ما يزيد على 27 ألف شركة وأدت إلى توليد أكثر من مئة ألف وظيفة، وعائدات قاربت 17 مليار دولار العام 2005. وتشير إحصاءات الاتحاد الوطني لحاضنات الأعمال في الولايات المتحدة إلى أن 87 % من مؤسسات الأعمال المبادرة التي انتسبت إلى الحاضنات نجحت في التخرج منها وما زالت ناشطة في السوق خمس سنوات بعد تخرجها، وهي نسبة تفوق المعتاد (حوالي 50 %) بالنسبة إلى مؤسسات الأعمال التي يتم إنشاؤها خارج إطار الحاضنات في الدول المتقدمة. ويقدر المعدل الحالي لإحداث الحاضنات في أميركا الشمالية بأكثر من 70 حاضنة سنوياً²⁴. وفي الاتحاد الأوروبي يزيد عدد الحاضنات حالياً على 900 حاضنة، تولد أكثر من 40 ألف فرصة عمل جديدة سنوياً. وهذا على الأخص من أجل حملة الشهادات الجامعية. وتشير التقارير إلى أن معدلات نجاح الحاضنات في تخريج مؤسسات الأعمال في دول الاتحاد الأوروبي تزيد على 84 %. وقد انتشرت الحاضنات في الصين مؤخراً فأصبح عددها يداي 500 حاضنة. أما تعداد الحاضنات في العالم فيقدر بثلاثة آلاف حاضنة.

تتضمن منظومة الحاضنات عدداً من العناصر. فهي تستند إلى رواد الأعمال أو المبادرين الذين يحملون أفكاراً مبتكرة لتطويع أو استثمار تقنيات جديدة. وتتطلب الحاضنات توافر آليات لتمويل مؤسسات الأعمال المبادرة. من أهمها رأس مال المخاطر والدعم المالي الذي تقدمه الدولة والجهات المعنية بالتنمية المحلية. كما تقدم الحاضنات الخدمات الإدارية، ومنها تيسير تعامل إدارة الحاضنة ونزلائها مع الجهات الحكومية ومع المستوردين والمصدرين في الأسواق الوطنية والدولية. كما تقدم الحاضنات لنزلائها المشورة التقنية والعلمية والقانونية. وتستقبل حاضنة الأعمال الاعتيادية بالمتوسط حوالي عشرين شركة، تقدم لها إدارة الحاضنة الخدمات والمشورة العلمية والتقنية، كما توفر لها الخدمات الإدارية بتكلفة منخفضة. إلا أن أهم ما تقدمه الحاضنات من دعم لنزلائها يتجلى بتفاعلهم بعضهم مع بعض.

ويتباين مجال عمل الحاضنات من واحدة لأخرى. فمنها ما يتخصص بأنشطة إنتاجية أو خدمية محددة. بينما يتناول بعضها الآخر مجالات يتسع أو يضيق مداها من حالة لأخرى. وتتجه نسبة ملموسة من الحاضنات حديثة العهد نحو مجالات تستند إلى تقنيات جديدة كتطوير البرمجيات والتقنية الحيوية. إلا أن بعض الحاضنات تؤازر أيضاً الأعمال المبادرة ضمن مجالات يمكن أن توصف بالتقليدية كتصنيع المنتجات الغذائية أو اللدائن.

ومن الضروري أن تُصمم الحاضنة ضمن برامج وأنشطة أوسع نطاقاً، تستهدف، مثلاً، دعم قطاع إنتاجي أو خدمي معين أو النهوض بالإمكانيات الاقتصادية لمنطقة ما أو كجزء من المساعي الرامية لإنشاء تجمع صناعي. على أن يستجيب التصميم دوماً لمتطلبات قائمة يتم التثبت منها بإجراء دراسات تخطيطية واقعية وتفصيلية إلى أبعد الحدود. ولا بدّ في جميع الأحوال من تضمين خطط العمل تأمين الدعم المالي من خلال صناديق مكرسة لتنمية مؤسسات الأعمال وبرامج اقتراض مخصصة من المصارف الوطنية وبالإستعانة بآليات تتضمن رأسمال المخاطر.

وغالباً ما تؤدي الشراكة المدروسة بين القطاعين الخاص والعام لإنجاح مبادرات الحاضنات. وبوجه الخصوص فإن تأمين الدعم الأولي من الدولة أو القطاع العام يوفر فوائد جمة في المراحل الأولى من العمل. على أن تشهد المراحل التالية تراجعاً في دور الدولة ليبقى هذا الدور محصوراً بالإشراف العام ومراقبة الأداء والتزام إدارة الحاضنة بالقواعد المتفق عليها، في ما يتعلق مثلاً بتعويضات وأجور العاملين أو الشروط البيئية لعملها. والدقة في انتقاء نزلاء الحاضنة من المهام التي يجب تنفيذها بعناية، لكن من دون تشدد فائق. فالرقابة والتقييم المنتظمين كفيلان بحل المشكلات لدى نشوئها. أما شروط تخريج مؤسسات الأعمال من الحاضنات فتختلف بحسب طبيعة الحاضنة ونزلائها؛ لكن فترة الاحتضان تتراوح عادة بين ثلاث وخمس سنوات.

يعود لإدارة حاضنات التقنية الدور الأكبر في نجاحها. فمن المؤلف أن يُنتقى من تتوافر لديه الخبرة في البحث والتطوير وفي إدارة الأعمال لإدارة حقائق التقنية. أما إدارة الحاضنة فمن الضروري أن تسند لأصحاب الخبرة في قطاع الأعمال، على أن تتوافر لهم المشورة الفنية المتخصصة متى لزم ذلك. وفي جميع الأحوال لا بدّ أن تتضمن مجالس إدارة البنى المؤسسية المستحدثة ممثلين عن مؤسسات الأعمال والمستثمرين والعاملين ضمنها من سائر فئاتهم.

وبالإضافة إلى ذلك ينبغي أن تسعى إدارة الحاضنة سعيًا حثيثاً لإقامة الروابط على المستويين الوطني والدولي. وللحالفات الاستراتيجية مع الشركات المرموقة والناشطة في مضمار عمل الحاضنة أهمية كبيرة في حشد الدعم لها، وزيادة قدرتها التنافسية وفتح أسواق عالمية لنزلائها.

24 أنظر موقع الاتحاد الوطني لحاضنات الأعمال في الولايات المتحدة على الموقع: National Business Incubation Association. NBIA. تمّ الاطلاع على الموقع في أيار/مايو 2010.

إطار رقم 21

حاضنة "بدر" في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في الرياض

أنشأت مدينة الملك عبد العزيز العام 2008 أولى حاضنات الأعمال التي تنوي إطلاقها ضمن إطار الخطة الوطنية في عدد من مجالات التقنية الحديثة. وتختص الحاضنة التي أطلق عليها تسمية "بدر"، باستضافة مؤسسات الأعمال الناشئة التي ترمي إلى العمل في حقول تقنية المعلومات والاتصالات.²⁵ ومن أبرز شركاء المدينة في تأسيس وإطلاق خدمات الحاضنة الشركة السعودية للاتصالات، والبنك السعودي للتسليف والإدخار. وتشارك الغرفة التجارية الصناعية في الرياض وعدد من مؤسسات القطاع الخاص في هذه الحاضنة. ويستحوذ قطاع تطوير البرمجيات والاتصالات والوسائط المتعددة المراتب الأولى في دعم المشروعات المحالة للحاضنة. وقد تم تأسيس الحاضنة بناءً على دراسة جدوى اقتصادية وتقنية شاملة شارك فيها مختصون من مراكز بحثية في جامعة ستانفورد في الولايات المتحدة. وقد تبنت حاضنة "بدر" لتقنية المعلومات والاتصالات - منذ إطلاقها قبل عامين كأول حاضنة وطنية سعودية - 26 من مؤسسات الأعمال المبادرة، وبلغ عدد المشروعات المقيمة في نهاية العام 2009 نحو 162 مشروعاً فيما يفوق حجم الاستثمارات الحالية لمؤسسات الأعمال الناشئة 150 مليون ريال. ويتوقع لنحو سبع من مؤسسات الأعمال الناشئة التي تبنتها الحاضنة أن تصبح شركات تقنية عالية النمو، وأن تتمكن اثنتان منها تحقيق نحو 12 مليون ريال، وأن يتسنى لاثنتي عشرة مؤسسة أخرى تحقيق دخل إجمالي يقدر بنحو 290 مليون ريال.

ويتم تقييم أولوية المشروعات بناءً على مجموعة من المعايير وفق مناهج ثبت نجاحها في عديد من الحاضنات الأخرى في أنحاء العالم. حيث يتم اختيار المشروعات الأكثر صلة ببناء اقتصاد المعرفة. وقد استحوذت مشروعات البرمجيات والاتصالات والوسائط المتعددة المراتب الأولى في برامج عمل الحاضنة.

وتشرف لجنة برئاسة نائب رئيس مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية لمعاهد البحوث على أنشطة بدر. فتقوم اللجنة برسم التوجهات العامة وتقديم الإرشادات إضافة لتفعيل تواصل "بدر" مع المؤسسات الوطنية والدولية المعنية بمجالات عملها. بينما تتولى شركة أسترالية إدارة الحاضنة. وتسهم في برامج "بدر" وخدماتها مؤسسات وهيئات متخصصة من خلال مكاتب لها في موقع الحاضنة. من هذه المؤسسات الغرفة التجارية في الرياض وجمعية هندسة الاتصالات السعودية وجمعية الحاسبات السعودية وجمعية المخترعين السعوديين.

تشمل الخدمات التي تقدمها "بدر" لتقنية المعلومات والاتصالات في فترة الاحتضان مؤازرة المؤسسات التي تحتضنها في التوصل إلى التمويل ومصادر الدعم الأخرى. فتقدم برنامجين للمساعدة في التمويل وتسهيل الوصول إلى مصادر الدعم وهما منح قرضٍ بالتعاون مع بنك التسليف والإدخار السعودي، بحيث يقدم البنك قروضاً للمؤسسات المحتضنة بحسب احتياجاتها وفقاً لطبيعتها وحجمها وبناءً على خطة العمل النهائية المعتمدة من الحاضنة إضافة إلى التمويل من خلال المشاركة برأس المال من خلال صندوق المال الذي أسسته شركة الاتصالات السعودية لدعم أنشطة "بدر". وتحرص إدارة الحاضنة على تقييم الخدمات التي تقدمها لنزلائها من مؤسسات الأعمال الناشئة كما تسعى لاستطلاع آراء المؤسسات النزيلة واستبيان مواطن القوة والضعف في البيئة التي توفرها الحاضنة.

2 - 2 حدائق العلم والتقنية في بعض

الدول العربية²⁶

الدار البيضاء في المغرب والغزالية في تونس من
الحدائق الصغيرة نسبياً، فإن القرية الذكية في
مصر تعتبر من حدائق العلم والتقنية الكبيرة.
لكن مساحات الحدائق والميزانيات المرصودة
لها لا تعكس بالضرورة عدد الشركات التي
تستضيفها. فأصغر الحدائق، أي حديقة الدار
البيضاء للتقنية، تستضيف العدد الأكبر من
الشركات بالمقارنة مع الحدائق الأخرى التي
تضمنتها دراسة قامت بها لجنة الأمم المتحدة

تعتبر تونس والمغرب ومصر وقطر ولبنان من
الدول العربية التي قطعت أشواطاً ملموسة في
إنشاء حدائق العلم والتقنية. وقد أنشئت معظم
الحدائق في هذه الدول وغيرها من الدول العربية
في مطلع القرن الحالي. وتتفاوت الفعاليات التي
تم تأسيسها من حيث اتساع رقعتها وتعداد
المؤسسات المشاركة فيها. فبينما تعتبر حديقة

25 أنظر الموقع: http://www.aleqt.com/2010/04/24/article_383630.html؛ للصحيفة الاقتصادية الوطنية، العدد 6039، الصادر يوم السبت جمادي الأول 1431 الموافق

24 إبريل 2010، تم الإطلاع على المعلومات التي يعرضها الموقع في تموز/ يوليو العام 2010.

26 تستخدم هنا تسمية للحدائق التقنية في الإشارة إلى عدد من البنى المؤسسية التي أطلقت عليها تسميات مختلفة منها للقرية لله وللواحد لله وللله فطبله التقنية. وهذا لأن هذه التسميات تحمل جميعها دلالات متقاربة بالنسبة إلى البنى المؤسسية المختلفة في الدول العربية حالياً.

الاقتصادية لإفريقيا²⁷.

أما أعداد العاملين في الحداث ومراقفها فتتوقف إلى حد كبير على اتساع رقعة الخدمات التي تقدمها القرية لنزلائها من شركات ومعاهد ومخابر، وتتراوح كما هو متوقع من بلد لآخر. وهكذا فقد بلغ عدد العاملين في العام 2008 في مراقف القرية الذكية في مصر 12,000 عامل من جميع الفئات الوظيفية. أما تعداد العاملين في حديقتي الغزالة التونسية والدار البيضاء المغربية فقارب 1,400 عامل من جميع الفئات الوظيفية في كل منهما.

وكما هو الحال في عديد من حداث العلم والتقنية في البلدان النامية، والمتقدمة أحياناً، فإن تقنية المعلومات والاتصالات تستأثر بقسط ملموس من أنشطة حداث التقنية العربية. بل إن القرية الذكية في مصر مختصة بتقنيات المعلومات والاتصالات دون غيرها من التقنيات. ويتضمن عديد من حداث التقنية التي شيدت في الدول العربية حاضنات للأعمال، وبخاصة لمؤسسات الأعمال الصغيرة التي تعمل في مضمار تقنيات المعلومات والاتصالات. ومن الحداث التي تتضمن مثل هذه الحاضنات قطب الغزالة في تونس والقرية الذكية في مصر وحديقة الدار البيضاء في المغرب. وهذا لا يعني أن دولاً أخرى لم تشيد بعد حداث للتقنية لم تقم بإحداث حاضنات للتقنية. فسوريا وفلسطين اللتان لم تقوما لأن ببناء حداث تقنية شكلتا مؤسستين لاحتضان الأعمال الصغيرة والمتوسطة الناشطة في مضمار تقنيات المعلومات والاتصالات²⁸.

وتقع حديقتا تونس وقطر بجوار مؤسسات للتعليم العالي والبحث. كما أن حداث العلم والتقنية الأخرى تتفاعل من دون ريب مع

المؤسسات الوطنية المكرسة للبحث والتعليم العالي، وإن لم تشيد بجوارها. وفيما عدا قطب الغزالة التونسي، فإن الحداث الأخرى قد شيدت بناء على برامج مشتركة بين القطاعين العام والخاص. وبينما تدير شركة من شركات القطاع العام الحديقة التونسية، كلفت بإدارة الحداث الأخرى شركات من القطاع الخاص. في ما عدا حديقة العلم والتقنية التي تدار من قبل مؤسسة قطر التي تتخذ طابع المؤسسة المستقلة وإن كانت تتلقى دعماً سخياً من الحكومة القطرية.

وبصورة عامة، فإن المواقع المنتقاة لإقامة حداث العلم والتقنية في جميع البلدان التي تتوافر معطيات حولها مناسبة من أوجه عديدة؛ كقربها من مراكز وطنية للتعليم العالي والبحث العلمي ومن وسائل المواصلات الحديثة. أما من حيث الجهات التي قامت على تأسيسها فالحكومات ومؤسسات القطاع العام المكلفة من قبلها تقوم بالدور الأهم في تشييد مختلف أنماط البنى المؤسسية التي أحدثت في البلدان العربية. بل إن قطب التقنية التونسي تأسس بصورة كاملة تحت رعاية الحكومة. إلا أن القطاع الخاص يقوم بأدوار ملموسة في بعض الحالات، كما تم في مصر والمغرب.

ومن حيث الغاية من إحداث حداث العلم والتقنية، يبدو أن الأولوية تمنح في معظم الحالات لتأمين وظائف للخريجين الشباب. وبلي هذه الغاية على سلم الأولويات الرغبة باستقطاب الشركات الأجنبية ومتعددة الجنسية المرموقة لتأسيس فروع لها من ضمن الحداث، ابتغاءاً لمنافع أعم على صعيد الاقتصاد المحلي والوطني.

أما فيما يتعلق بإدارة الحداث، فالأسلوب

تعتبر تونس والمغرب ومصر وقطر ولبنان من الدول العربية التي قطعت أشواطاً ملموسة في إنشاء حداث العلم والتقنية، وقد أنشئت معظم الحداث في هذه الدول وغيرها من الدول العربية في مطلع القرن الحالي، وتتفاوت الفعاليات التي تم تأسيسها من حيث اتساع رقعتها وتعداد المؤسسات المشاركة فيها..

²⁷ يبلغ عدد الشركات التي تتخذ من قطب الغزالة مقراً لها 140 شركة.

²⁸ أنشئت هذه الحاضنة من قبل الجمعية السورية للحاسوب كمؤسسة غير حكومية وغير ربحية العام 2006.

التقنية في الدول العربية لم تبدأ العمل الجاد إلا منذ سنوات قليلة إلا أن بعضها قد أفلح في توليد عدد كبير نسبياً من فرص العمل. فبالاستناد إلى دليل **حديقة الدار البيضاء التقنية** للعام 2007، نجحت هذه الحديقة في توليد ألفي فرصة عمل. ومن جهة أخرى، أشارت خطط **القرية الذكية في مصر** السابقة إلى عزمها على توليد 120,000 فرصة عمل توزع على قرابة 120 شركة تعمل القرية على إطلاقها إلى السوق بنهاية العام 2008²⁹.

وفي ما يتعلق بمخرجات الحقائق من أوراق الأبحاث وبراءات الاختراع فالمعلومات شحيحة لكن النشرات المتاحة تشير إلى أن حقائق التقنية في **مصر وتونس والمغرب** قدّمت مساهمات ملموسة لصادرات هذه البلدان من منتجات وخدمات تستند إلى تقنيات المعلومات والاتصالات. كذلك فإن تقريراً وضع بنتيجة زيارات ميدانية لعدد من حقائق التقنية يشير إلى أن حقائق التقنية في كلٍّ من **مصر وتونس والمغرب** كان لها أثر إيجابي على البنى الأساسية لتقنيات الاتصالات المتاحة وعلى البيئة التمكينية ضمن هذه البلدان³⁰. ويشير التقرير ذاته إلى أن حديقتي **الغزالة والدار البيضاء** أسهمتاً بتحفيز صلات التعاون بين مؤسسات الأعمال التي تستضيفها ومعاهد التعليم والبحث التي أقيمت على أرضها. لكن التقرير ذاته يلحظ أن هذه الصلات اقتصرت إلى حدٍّ كبير على تدريب العاملين في مؤسسات الأعمال لدى مؤسسات مختصة واشتراك بعض الطلبة كمتدربين في برامج عمل فعلية لدى مؤسسات الأعمال. وقد

الغالب هو تكليف مجلس للإدارة بذلك. إلا أن بعض الحقائق يذهب أبعد من ذلك فيؤسّس مجلساً من الخبراء للنظر في القضايا الاستراتيجية والنظر إلى أداء الحديقة على أساس سنوي أو نصف سنوي. ومن الأمثلة عن الحقائق التي مضت في اتجاهات مماثلة **حديقة الدار البيضاء** التي شكّلت لجنة استراتيجية وقطب **الغزالة** الذي ألف مجلساً علمياً، بالإضافة إلى الآليات المعتادة من مجلس الإدارة.

ويتفاوت طيف الخدمات التي تقدّمها الجهات المشرفة على إدارة الحقائق من حالة لأخرى. كما أن عدداً من الحقائق يلزم تقديم بعض الخدمات لمؤسسات متخصصة من القطاع الخاص. ومثال **القرية الذكية في مصر** يشير إلى مثل هذا التوجه. وكما سبقت الإشارة فإن نسبة ملموسة من **حقائق التقنية** التي أسست في المنطقة العربية تتضمن حاضنات للأعمال أو هي بصدد إنشائها.

ويشير ما هو متاح من نشرات حول تقييم أداء الحقائق إلى أن الكثير منها يتبنّى معايير الأداء المعتادة والمتبعة في **حقائق العلم والتقنية** في أنحاء العالم. كعدد مؤسسات الأعمال التي تستضيفها الحديقة والشركات المبادرة التي تم إطلاقها والوظائف التي تم توليدها. ويبدو أن **حديقة الدار البيضاء** تتفرد لكونها قد أجرت مسحاً على درجة من الشمول في العام 2008 حول مدى تقبل الجهات التي تتعامل معها لسوية الخدمات التي تقدّمها وما يمكن تطويره من مناهج عملها. وعلى الرغم من أن حقائق

يتبنّى الكثير من الحقائق معايير الأداء المعتادة والمتبعة في حقائق العلم والتقنية في أنحاء العالم، كعدد مؤسسات الأعمال التي تستضيفها الحديقة والشركات المبادرة التي تم إطلاقها والوظائف التي تم توليدها.. وتتفرد حديقة الدار البيضاء لكونها أجرت مسحاً على درجة من الشمول في العام 2008 حول مدى تقبل الجهات التي تتعامل معها لسوية الخدمات التي تقدّمها وما يمكن تطويره من مناهج عملها.. وعلى الرغم من أن حقائق التقنية في الدول العربية لم تبدأ العمل الجاد إلا منذ سنوات قليلة، إلا أن بعضها أفلح في توليد عدد كبير نسبياً من فرص العمل، فبالاستناد إلى دليل حديقة الدار البيضاء التقنية للعام 2007، نجحت هذه الحديقة في توليد ألفي فرصة عمل.. ومن جهة أخرى، أشارت خطط القرية الذكية في مصر السابقة إلى عزمها على توليد 120,000 فرصة عمل توزع على قرابة 120 شركة تعمل القرية على إطلاقها إلى السوق في نهاية العام 2008.

29 هذه معلومات وردت في تقرير لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لإفريقيا الذي أشير إليه في ملاحظة سابقة (Technology Parks, Incubation Centres, Centres of Excellence; best practices and business model development in North Africa and Southern Africa; January 2009. Call number E/ECA/CODIST/1/14 26 March 2009)

30 المصدر هنا أيضاً هو تقرير لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لإفريقيا الذي أشير إليه في ملاحظة سابقة (Technology Parks, Incubation Centres, Centres of Excellence; best practices and business model development in North Africa and Southern Africa; January 2009. Call number E/ECA/CODIST/1/14 26 March 2009)

التي أنشئت أو التي يخطط لإنشائها أو التي يتم الآن تشييدها تتخذ من تقنيات المعلومات والاتصالات محاور أساسية لعملها. إلا أن نسبة ملموسة تستهدف أيضاً استثمار التقنية الحيوية في تطبيقات طبية وصيدلانية وللمعالجة الأغذية. كما يتجه بعضها لترويج الخدمات السياحية وتقنيات المعلومات والاتصالات المتعلقة بها. ومعظم المرافق التي تم تشييدها أو التي ما زالت في طور التخطيط أو التشييد تتضمن إمكانات لاحتضان الشركات المبادرة.

2 - 2 - 1 تونس

قطب الغزالة لتقنيات المعلومات: أنشئ قطب الغزالة لتقنيات الاتصالات على مساحة تبلغ 60,000 متر مربع في المدينة التقنية للاتصالات التي تمتد بدورها على مساحة تساوي 650,000 متر مربع. ويبعد قطب الغزالة بضعة كيلومترات فقط عن مطار تونس قرطاج. يستضيف قطب الغزالة الشركات التي تستند إلى التجديد التقني كركيزة لعملها. ومنها عدد من الشركات الدولية الناشطة في حقول تقنيات الاتصالات مثل ألكاتل وإريكسون الأوروبيتين وهواوي الصينية. ويهدف لتطوير آليات للتعاون بين الصناعة ومؤسسات البحث ومعاهد التعليم العالي. كما يسعى قطب الغزالة لتحفيز التعاون الدولي في مضمار تقنيات الاتصالات. انضم قطب الغزالة لتقنيات الاتصالات في العام 2000 إلى الاتحاد الدولي لحداائق العلم. كما تربطه اتفاقيات تعاون مع عدد من حداائق التقنية الأوروبية³².

حديقة صفاقس التقنية: تخطط الحكومة التونسية لإنشاء حديقة صفاقس التقنية على مساحة تبلغ 600,000 متر مربع في

أدى التعاون بين هذين الجانبين في قليل من الحالات فقط لإنجاز برامج مشتركة محدودة الأبعاد³¹ للبحث والتطوير.

ومن النقاط التي يتركز الاهتمام على رصدها في تتبع أداء حداائق التقنية الرضا الذي يشعر به نزلاء الحديقة عن مستوى الخدمات المتاحة ضمنها. وقد لوحظ أن نزلاء حداائق في مصر وتونس والمغرب قيّموا المنافع التي حصلوا عليها من جراء انضمامهم إلى الحديقة بصورة إيجابية. ومن نقاط القوة الرئيسة التي لقيت تقديراً خاصاً من قبل نزلاء حداائق التقنية في مسح ميداني قريب العهد لعدد من حداائق: قرب موقعها من مراكز النشاط الاقتصادي، وتوافر المساحات اللازمة للتوسع ورسوم الإيجار المعقولة وتوافر طيف عريض من الخدمات والفوائد المعنوية المترتبة عن سمعة مؤسسات الأعمال من جراء انضمامها إلى عداد نزلاء الحديقة.

أما نقاط الضعف التي يشار إليها من قبل النزلاء، فأهمها ضعف أو غياب التفاعل المنشود بين النزلاء، من جراء تواجدهم ضمن الحديقة ذاتها. كما تشكو بعض مؤسسات الأعمال من أن فعاليات البحث والتطوير التي تتخذ من الحديقة موثلاً لها لا تمتلك من الخبرات ما يكفي لدعم أنشطتها الخدمية أو الإنتاجية. من جهة أخرى، فإن شكوى معاهد التعليم وفعاليات البحث والتطوير تتركز على تسرب العاملين لديها باتجاه مؤسسات الأعمال الناشطة ضمن الحديقة.

تعطي الفقرات التالية نبذاً عن حداائق وواحات وأقطاب العلوم والتقنية في الدول العربية. وتبين أن العدد الأكبر من هذه الفعاليات قد أنشئ في السنوات العشر الماضية. كما تبين أن الأغلبية الساحقة من الفعاليات

31 يشير التقرير إلى " ... a few small research and development projects ... ".

32 أنظر موقع قطب الغزالة على الشبكة: <http://www.elgazalacom.nat.tn/ar>. تم الإطلاع على المعلومات التي يعرضها الموقع ١ يولي

ضمن مجالات من أبرزها تقنيات الطاقة المتجددة والمياه والبيئة وتطبيقات التقنية الحيوية النباتية. وقد حُصّصت الحديقة بمساحة تبلغ 730,000 متر مربع. وهي مكوّنة من خمس مناطق، الأولى مكرّسة للمصانع والورش المؤازرة لها، ومن الأنشطة التي تنجزها هذه الورش تيسير الانتقال بالنماذج التي يتمّ تطويرها ضمن مخابر البحث إلى حيز الإنتاج الكميّ. أما المنطقة الثانية فهي مخصّصة للأنشطة الأكاديمية ومن المقرر أن تضمّ المعهد العالي لعلوم البيئة والمعهد العالي لعلوم الحاسوب والمعهد العالي للدراسة التقنية. أما المنطقة الثالثة فتقوم ضمنها أنشطة البحث والتطوير وتضم ثلاثة مراكز عاملة الآن وهي مركز أبحاث تقنيات المياه ومركز أبحاث تقنيات الطاقة ومركز أبحاث التقنيات الحيوية. وتضمّ المنطقة الرابعة فعاليات مركز لنقل التقنية ولحاضنات الشركات المبادرة. أما المنطقة الخامسة في هذه الحديقة فهي مكرّسة للخدمات العامة بأنواعها. كما ترتبط حديقة برج سدريه التقنية باتفاقيات تعاون مع عديد من المؤسسات الوطنية والأجنبية ومنها مدينة صوفيا-أنتيبوليس الفرنسية.

حديقة سيدي ثابت التقنية: صُممت حديقة سيدي ثابت التقنية لتعمل ضمن مجالات التقنية الحيوية بالتركيز على العقاقير والأمصال المستخدمة في مجالات الطب البشري والبيطري وتتضمّن أربع مناطق رئيسة. الأولى منطقة مكرّسة لاحتواء المصانع ومرافق العمل المشتركة، ومنها ما صُمم لمؤازرة المؤسسات الصناعية على تخطي المشكلات التي تعترض المراحل الأولى من الإنتاج الصناعي. والمنطقة الثانية مخصّصة للأنشطة الأكاديمية وهي

مدينة صفاقس جنوب البلاد. وهذا كجزء من استراتيجية تهدف إلى تنمية المناطق الجنوبية. ومن المرتقب أن تتركز أنشطة الحديقة في تقنيات المعلومات والاتصالات وفروع الهندسة المتقدمة. وستجاور الحديقة جامعة صفاقس التي تعتبر من معاهد التعليم العالي الرائدة في مضمار العلوم والتقنية، بحيث يتسنى للجامعة دعم مشروع الحديقة، بالإضافة إلى مؤازرة غرفة الصناعة والتجارة في صفاقس. كما يتلقّى المشروع بعض الدعم من وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية.

حديقة سوسة التقنية: أنشئت هذه الحديقة على مساحة تقارب 600,000 متر مربع في ضواحي مدينة سوسة، وهي تبعد بضعة كيلومترات فقط عن مطار موناستير الدولي وعن المرفأ وخط السكة الحديدية الذي يربط سوسة بـ تونس العاصمة. وتتركز أنشطة الحديقة ضمن تقنيات المعلومات والاتصالات والإلكترونيات وفروع الهندسة المتقدمة. وقد تمّ إنشاء أربعة مصانع ضمن الحديقة لإنتاج مكوّنات السيارات ومعدات النقل.

حديقة بنزرت التقنية: أطلق مشروع حديقة بنزرت التقنية بموجب برنامج للتعاون بين حديقة بنزرت للأنشطة الاقتصادية ومؤسسة أغروبوليس في مونبلييه جنوب فرنسا. ومن المرتقب أن تتركز أنشطة الحديقة على تقنيات الأغذية ومعالجتها. وترتبط حديقة بنزرت للأنشطة الاقتصادية التي تحتضن الحديقة التقنية باتفاقيات للتعاون مع المنطقة الحرّة في قádiz في إسبانيا ومع منطقة جبل علي في الإمارات.

حديقة برج سدريه التقنية:³³ صُمم مشروع حديقة برج سدريه التقنية للعمل

33 أنظر الموقع: www.ecopark.rnrt.tn/en/index.htm. والموقع: <http://www.unido.org/index.php?id=o26781>. تمّ الاطلاع على المعلومات التي يعرضها هذان الموقعان في تموز/يوليو العام 2010.

3-2-2 البحرين

حديقة البحرين التقنية: تهدف الحديقة إلى تنمية واستثمار المهارات التي يمتلكها مواطنو البحرين وإلى توليد فرص استثمارية وبيئة خصبة لنشوء صناعات جديدة في المملكة. وتتركز أنشطة الحديقة التي تمولها مؤسسة مالية كويتية في مجالات تقنية المعلومات والاتصالات والرعاية الصحية والطبابة.

4-2-2 السعودية

حديقة الأمير عبد الله بن عبد العزيز للعلم: تأسست هذه الحديقة العام 2003 على مساحة تبلغ حوالى 300,000 متر مربع شمال جامعة الملك فهد للبترول والمعادن. وهي تتكامل إلى حد كبير مع الجامعة في توجهاتها. كما أن وجودها على مقربة من كليات العلوم والهندسة يولد فرصاً للتفاعل بين الشركات التي تتخذها مقراً لأعمالها والأخصائيين العاملين في هذه الكليات. وتعمل هذه الشركات من ضمن حقول متصلة بصناعة البترول والكيمياء كما يتنامى عدد نزلاء الحديقة من الشركات المختصة بتقنيات المعلومات والاتصالات.

حديقة جدة للتقنية الحيوية (بيوستي): من المخطط أن تنشأ حديقة جدة التقنية بجوار جامعة الملك عبد العزيز في جدة وستختص بأبحاث وصناعات تستند إلى التقنيات الحيوية. تجدر الإشارة إلى أن مجلس الوزراء السعودي أقر بتاريخ 19/10/1426هـ خطة التنمية الثامنة للمملكة بالقرار رقم (251) والتي نصت في الفصل الثاني منها على أن: "تسعى الخطة إلى تشجيع إنشاء الحدائق العلمية في الجامعات ومراكز الأبحاث، وتوجيه المزيد من الاهتمام لتشجيع

تحتوي الآن معهداً للطب البيطري ويتوقع أن تضم عدداً من المعاهد الأخرى في المستقبل القريب، منها المعهد العالي للتقنية الحيوية والمعهد العالي لتقنية المعلومات والمعهد العالي للمنتجات الصيدلانية. أما المنطقة الثالثة فهي مكرسة لمعاهد البحث والتطوير وتضم حالياً المركز الوطني للعلوم والتقنيات النووية والمعهد الوطني للأبحاث الكيميائية والفيزيائية. والمنطقة الرابعة من الحديقة مخصصة لإنشاء مركز لنقل التقنية ولحاضنات الشركات المبادرة.

2-2-2 الجزائر

قطب سيدي عبد الله للتقنية: يقع قطب سيدي عبد الله للتقنية على مسافة 30 كم من الجزائر العاصمة. وقد أنشئ على مساحة واسعة من قبل بلديتي المحلمة والرحمانية. ويتضمن الموقع ثلاث حدائق للتقنية: حديقة البستان للتقنية وحديقة ابن سينا للتقنية والحديقة السبيريانية. ويمكن لهذه الحدائق استيعاب شركات تختص بالتقنيات المتقدمة بالإضافة إلى تجمع صناعي يدعى حديقة سيدي بن نور. وتتركز مجالات التخصص التي يخطط أن تتولاها حديقة البستان في ثلاثة مجالات: التقنية الحيوية الخاصة بصناعة المواد الصيدلانية، والإلكترونيات وتقنيات المعلومات والاتصالات. وتشترك حديقة ابن سينا مع شقيقتها الأولى باختصاصين هما التقنية الحيوية الخاصة مع التركيز على الصيدلانيات وتقنيات المعلومات والاتصالات. كما تضيف مجالات هي السياحة والرعاية الصحية والطب والهندسة. وتتركز أنشطة الحديقة السبيريانية على تقنيات المعلومات والاتصالات وتقنيات الإعلام والتواصل. أما حديقة سيدي بن نور فتختص بالصناعات الزراعية والغذائية.

الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية و"مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين" والهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس والهيئة العامة للاستثمار³⁶.

التمويل المشترك وبرامج الأبحاث المشتركة بين الصناعة ومؤسسات القطاع العام، وقيام حاضنات الأعمال بهدف تحويل نتائج الأبحاث إلى تطبيقات تجارية وصناعية".

بيوت خبرة عالمية

وادي الرياض للتقنية³⁴: أنشأت جامعة الملك سعود وادي الرياض للتقنية لاستثمار مخرجات الأبحاث وتوطين التقنية والإسهام ببناء مجتمع واقتصاد المعرفة في المملكة العربية السعودية³⁵. ويستقطب المشروع الشركات الرائدة في مجالات منتقاة كما يسعى لموازنة المبدعين ولتحقيق التواصل بين المؤسسات البحثية المحلية والعالمية. وقد أجريت دراسات جدوى من قبل بيوت خبرة عالمية متخصصة في مجال الواحات العلمية استندت إلى حاجات السوق المحلية والعالمية والتوجهات العامة لخطط المملكة الاستراتيجية والمجالات البحثية التي تتميز بها الجامعة ثم بنتيجتها تحديد ثلاثة مجالات بحثية وتقنية لأنشطة وادي الرياض للتقنية هي: التقنيات الكيماوية وتقنيات المواد، والتقنيات الحيوية وتطبيقاتها الزراعية والبيئية، وتقنيات المعلومات والاتصالات.

وتتولى شركة أستحدثت بفضل استثمارات تم تأمينها من قبل القطاعين العام والخاص إدارة أنشطة الوادي وتأمين بيئة استثمارية وتعاونية منسجمة وفعالة. ويشرف مجلس إدارة الوادي على فريق عمل احترافي يتولى الإدارة التنفيذية. وتسهم في أنشطة وادي الرياض للتقنية مجموعة من المؤسسات المحورية في منظومة الإبداع الوطنية في السعودية تتضمن جامعة الملك سعود ومدينة

5-2-2 سوريا

حديقة العلم والتقنية السورية: شرع المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا في سوريا في منتصف العقد الماضي بدراسة استهدفت إنشاء حديقة العلم والتقنية السورية بالتعاون مع جهات دولية، منها اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا). ومن المتوقع أن تتضمن الحديقة حاضنة للتقنية وأن تقوم بتحويل نتائج الأبحاث التي ينجزها المعهد العالي إلى منتجات وخدمات قابلة للتسويق والاستثمار. وسيستند تصميم الحديقة إلى الخبرات التي تراكمت لدى المعهد من جراء ما قدم سابقاً، ويتابع تقديمه الآن، من خدمات لمؤسسات الأعمال والجهات الحكومية في عديد من المجالات: يركز معظمها على تقنيات المعلومات والاتصالات ويتعلق بعضها بتقنيات حماية البيئة. وذلك خصوصاً في إجراء قياسات ميدانية للمواد الملوثة الناتجة عن الأنشطة الصناعية ومخلفات التجمعات الحضرية، وفي مضمار استغلال مصادر الطاقة المتجددة لتسخين المياه وتوليد الكهرباء، وفي الأتمتة الصناعية.

6-2-2 مصر

مدينة مبارك للبحث العلمي وتطبيقات التقنية: تهدف المدينة بصورة أساسية إلى تطوير الصناعة في مصر من

34 أنظر الموقع: <http://rtv.com.sa/arabic/default.htm>. تم الإطلاع على المعلومات التي يعرضها الموقع في تموز / يوليو العام 2010.

35 أقر مجلس جامعة الملك سعود بتاريخ 20/11/1429 هـ في قراره رقم (1) بالتوصية باعتماد "مشروع وادي الرياض للتقنية وتأسيس شركة وادي الرياض القابضة" الذي تسعى الجامعة من خلاله إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، من أهمها: نقل التقنية وتوطينها.

36 أنظر الموقع: <http://www.gifted.org.sa/sp>.

ألف من العاملين.

وادي سيناء التقني: يسعى هذا المشروع إلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية في شبه جزيرة سيناء. وقد خُصّصت له مساحة واسعة تبلغ 72 كيلومتراً مربعاً، على الشاطئ الشرقي من قناة السويس شمال شرقي البلاد. ويعتبر وادي سيناء قطباً للتقنية، حيث سيضمّ العديد من المؤسسات العلمية والبحثية والتعليمية والتدريبية والصناعية والخدمية. وتتضمن المجالات التي ستعنى بها مؤسسات الوادي المختلفة تقنيات المعلومات والاتصالات والتقنيات الحيوية والإلكترونيات الصغيرة وتقنيات المواد الجديدة وتقنيات الطاقة المتجددة. وتشرف على تشييد منشآت الوادي وتشغيلها جهات عديدة، منها وزارة التعليم العالي ووزارة الدولة للبحث العلمي وصندوق التنمية الاجتماعية.

7-2-2 قطر

مؤسسة قطر، وحديقة العلم والتقنية القطرية: أنشئت مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع سنة 1995. ومن أبرز أهدافها تنمية العنصر البشري ليصبح رأس ماله مستداماً ويحل محل الثروات الباطنية المتمثلة بمخزون النفط والغاز. وتتعاون المؤسسة مع مجموعة من المراكز المتميزة في تخصصاتها، من خلال شراكات تستهدف في نهاية المطاف إدخال التغيير إلى المجتمع، مع الحرص على التراث والثقافة القطرية الفريدة وحمايتها. تشغل المدينة التعليمية في مؤسسة قطر مساحة تقارب مليون متر مربع في إحدى ضواحي مدينة الدوحة وتضمّ معظم مراكز المؤسسة وشركائها. تتضمن مدينة التعليم ضمن المؤسسة فروعاً لست جامعات أميركية مرموقة. كما تتضمن مؤسسة قطر مؤسسة تعنى بالبحث العلمي في دولة قطر وتدير الصندوق الوطني للبحث الذي

خلال استثمار نتائج البحث العلمي وتطبيقات التقنيات الجديدة. تشغل مدينة مبارك مساحة تفوق مليون متر مربع غربي الإسكندرية، التي تشكل مؤثلاً لـ 40 % من الصناعات المصرية. وقد بدأت الأعمال الإنشائية العام 1993، ثم دشنت المرحلة الأولى منها العام 2000. يشرف على أنشطة المدينة مجلس يرأسه وزير التعليم العالي وتستوعب المدينة عدداً كبيراً من مراكز البحث. ومن أبرز مجالات التقنية التي تعمل المدينة لترويج استثمارها: التقنية الحيوية وتقنية المعلومات وتقنية المواد متناهية الصغر أو تقنية النانو وتقنيات المواد الجديدة بعامّة. كما تتضمن المدينة عدداً من معاهد البحث وفعاليات التدريب المتقدم. من المعاهد التي تقطن مدينة مبارك: معهد الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية ومعهد أبحاث تقنية المعلومات ومعهد أبحاث المواد الجديدة ومعهد تطوير الإمكانات التقنية. ومن المعاهد والفعاليات الأخرى التي يتوقع أن تكون قد اتخذت المدينة مقراً لأعمالها معهد أبحاث الزراعة في المناطق الجافة ومعهد لأبحاث الكيمائيات ومعهد لأبحاث الصيدلانيات والصناعات التخمرية ومركز لتنمية الصناعات الصغيرة ومعهد لتنمية الصناعات الهندسية. وترتبط مدينة مبارك بعدد من الاتفاقيات الدولية مع مؤسسات في الاتحاد الأوروبي وفي الصين.

القرية الذكية: صُممت القرية الذكية لاجتذاب الصناعات والأنشطة الخدمية التي تستند إلى تقنيات المعلومات والاتصالات، وتغطي مساحة تقارب 1.3 مليون متر مربع على مسافة قصيرة من مركز العاصمة ومن مطار القاهرة الدولي. ولدى اكتمال تشييدها ستحتوي القرية الذكية ما يقارب ستين رقعة مخصصة لتشييد مؤسسات الأعمال المبادرة، بحيث تستوعب في نهاية المطاف ما يقارب 30

العلوم والتكنولوجيا الأردنية. وقد صمّمت الحديقة لتقوم بأنشطتها من ضمن منطقة حرّة تأسست بالقرب من عمّان العاصمة وعلى مسافة مناسبة من المطار وخصّصت بمساحة قدرها 4.5 كيلومترات مربعة، وستسعى المدينة لتسويق منتجاتها وخدماتها في الأردن والبلدان المجاورة.

9-2-2 الكويت

حديقة الكويت التقنية: درست لجنة ألفها مجلس التخطيط الأعلى في دولة الكويت جدوى إحداث حديقة للتقنيات المتقدمة. ومن المزمع أن تتركز جهود الحديقة على تكوين الأطر الخبيرة في عديد من مجالات العلم والتقنية التي تتميز بأولويتها في خطط التنمية الوطنية، وعلى حيازة وتطوير التقنيات الجديدة من مصادرها المحلية والدولية. كما يتضمّن تصميم الحديقة بنى أساسية تسمح بتقديم الخدمات للشركات صغيرة ومتوسطة الحجم المبادرة التي تتخذ التقنيات المتقدمة أساساً لعملها.

10-2-2 لبنان

قطب بريتيك التقني: تمّ تدشين قطب بريتيك التقني العام 2002، وهو أول مؤسسة من نوعها في لبنان في مقر رحب على مقربة من العاصمة. وله مقرّ آخر للإدارة والعلاقات العامة من ضمن حرم جامعة القديس يوسف في بيروت. وبرييتيك، كغيرها من المؤسسات المماثلة، تسعى لبناء الجسور بين معاهد البحث والتعليم العالي من جهة والشركات المبادرة والناضجة التي تحتاج إلى مدخلات علمية وتقنية للقيام بمهامها. كما أن قطب بريتيك يمتلك مقومات متميّزة للاتصالات تسمح للشركات التي تتخذ منها مقراً بإحداث

أسس في العام 2006 لدعم أنشطة البحث في قطر. ومن بين الفعاليات البحثية التي يخطّط لتشييدها تحت مظلة مؤسسة قطر مركز السدره للأبحاث الطبية الذي رصد لتشييده مبلغ يقارب 8 مليارات دولار أميركي ومن المنتظر أن يبدأ العمل في 2012.

تشكل حديقة قطر للعلم والتقنية جزءاً من منشآت مؤسسة قطر في الدوحة. ومن أبرز مهام الحديقة إحراز صلات وثيقة بين المؤسسات التعليمية والبحثية في مدينة التعليم ومجموعة من الصناعات الناشئة. وتقوم الحديقة خدمة لهذا الغرض بتأمين المقر والخدمات الأساسية لعدد من الشركات تتضمن مايكروسوفت وشل واكسون موبيل. وتتضمّن مجالات عمل الحديقة خدمات الطيران والبيئة وصناعة الغاز والبتروكيمائيات وتقنيات المياه والرعاية الصحية وتقنيات المعلومات والاتصالات. وحديقة العلم والتقنية القطرية حديثة العهد، إذ دشنت فعلاً في الشهر الثالث من العام 2009، لكنها تتميّز بمرافق رصد لتففيدها تجاوز 300 مليون دولار أميركي.

8-2-2 الأردن

حديقة الجامعة الهاشمية للتقنية: يتمّ تشييد هذه الحديقة في مدينة الزرقاء شمال شرقي البلاد بالتعاون مع إحدى الشركات متعدّدة الجنسية. وقد خصّصت للمدينة مساحة تبلغ 1.5 كيلومترات مربعة ضمن حرم الجامعة الهاشمية. وتتركز اهتمامات الحديقة على تقنيات المعلومات والاتصالات. كما يتوقّع أن تسهم في أنشطة الحديقة مؤسسات أخرى في الأردن.

المدينة السيبرانية: يتمّ تشييد هذه المدينة المكرسة لتقنيات المعلومات والاتصالات من ائتلاف شركات استثمارية تتعاون مع جامعة

ويعادل رأس مال هذه الشركة 5.2 مليون دولار أميركي، ولها مجلس إدارة خاص بها. تقدّم **حديقة الدار البيضاء للتقنية** خدمات شتى للشركات والمعاهد التي تتخذ الحديقة مقراً لها. وتمتدّ خدماتها إلى خارج القطر المغربي لتشمل عدداً من الدول في **الاتحاد الأوروبي**. ويؤمّن تقارب مؤسسات الأعمال الصغيرة والمتوسطة التي تقطن الحديقة مع الشركات المبادرة التي يتمّ احتضانها فرصاً للتعاون ولنشوء تحالفات لاحقة. وتتضمّن الحديقة فعاليات للتدريب من بينها مرافق للتعليم الإلكتروني. أما مجالات نشاط الحديقة فتتضمّن تقنيات المعلومات والاتصالات. وضمن هذا الإطار تقوم فعاليات تقطن الحديقة بتطوير البرمجيات لاستخدامات عديدة منها الرعاية الصحية وإدارة الأعمال والتعلم الإلكتروني وصناعة الإعلام. ولقد أبرمت الحديقة عدداً من اتفاقات التعاون من بينها ما يؤسّس للتعاون مع **قطب بريتيك التقني** في لبنان و**حديقة الغزالة** في تونس.

حديقة بوزنيقة التقنية: يتمّ تأسيس هذه الحديقة ضمن إطار مبادرة وطنية أطلقها **ملك المغرب** تحت التسمية **e-Morocco**. بناءً على اتفاق بين قطب التقنية الفرنسي **صوفيا أنتيبوليس** والحكومة المغربية. وتتركّز أنشطة الحديقة في مضمار تقنيات المعلومات والاتصالات. وقد خصّصت لها مساحة تفوق مليون متر مربع.

12-2-2 عُمان

واحة المعرفة في مسقط: أنشئت **واحة المعرفة في مسقط** بنتيجة اتفاق بين جهات من

شبكات فعالة مع زبائنها والمؤسسات التي تتعاون معها. تتركّز أنشطة **برييتك** حول عديد من مجالات التقنية منها تقنيات المعلومات والاتصالات وتقنيات الإعلام والتواصل وتقنيات الرعاية الصحية والبيئة ومعالجة الأغذية والطاقة. ويقوم **قطب برييتك** باحتضان عدد من مؤسسات الأعمال الناشئة التي نجح بعضها بإحداث شراكات مع مؤسسات تقنية كبرى في العالم³⁷.

مدينة الدامور التقنية³⁸: قامت الحكومة اللبنانية في مطلع القرن الحالي بدراسات لإنشاء **مدينة الدامور التقنية** لتطوير الإمكانات الوطنية في مضمار تقنيات المعلومات والاتصالات والإلكترونيات وتقنيات الرعاية الصحية والطب والتقنية الحيوية. وخصّص لإقامة المدينة موقع بجوار **بلدة الدامور جنوب بيروت** نظراً لقربها من المطار الدولي والعاصمة. ويتضمّن التصرّو الأساسي احتواء المدينة على حاضنات للتقنية. وقد يكون من المناسب إعادة دراسة الجدوى بحيث يؤخذ التطور التقني في المنطقة والعالم بالاعتبار. وقد برز حديثاً توجه نحو إحداث مدينة إعلامية تشترك مع مدينة التقنية في الموقع ذاته.

11-2-2 المغرب

حديقة الدار البيضاء التقنية: أنشئت **حديقة الدار البيضاء** العام 2001 على مساحة فعلية تبلغ 16,000 متر مربع³⁹. والحديقة تعود لشركة تأسست من خلال تحالف يضمّ وزارة الصناعة ووزارة التجارة ووزارة الاتصالات التي تمتلك في ما بينها 35 % من الأسهم وخمسة بنوك تمتلك الحصة المتبقية.

37 أنظر موقع قطب برييتك التقني: <http://www.berytech.org>. تمّ الاطلاع على الموقع في آب/أغسطس 2010.

38 يشار إلى مدينة الدامور التقنية في بعض النشرات بـ "منطقة بيروت للتقنية البازغة".

39 تفوق المساحة الإجمالية 29,000 متر مربع. لكن هذه المساحة تشمل مناطق لا يمكن استخدامها لأغراض الحديقة.

من المجالات، إلا أن توافر عوامل أخرى أسهم بالفعل في نجاح هذه المبادرة أو ظاهرة وادي السليكون الذي قامت مؤسساته ضمن الحديقة وحولها. ومن هذه العوامل توفر ما يلي:

- الخبرات الفنية المكثفة في مجالات معينة تزايدت الحاجة إليها في قطاعات إنتاجية وخدمية حيوية؛
- البنى الأساسية المؤاتية والشبكات الرسمية وغير الرسمية لتبادل المعلومات والمعارف؛
- رؤوس الأموال اللازمة لإحداث الشركات ضمن شروط تسمح بالمخاطرة وتقي المساهمين من مخاطر الفشل؛

• تقاليد تسمح بالتنقل بين الوظائف بتواتر يفوق المعتاد، بل تشجع هذا التنقل أساساً لنشر المعارف؛

• مشروعات إنتاجية وخدمية متفرعة عن التقنيات الجديدة يمكن لمؤسسات الأعمال القائمة الاستناد إليها.

وبصورة عامة فإن نجاح البنى المؤسسة الحديثة الرامية لبناء القدرات التقنية، من أقطاب تقنية وحدائق وواحات ومدن للعلم والتقنية ومراكز للتميز البحثي وسواها، تتطلب توافر أربعة عناصر أساسية:

- كتلة حرجة من مرافق البحث والتطوير للقيام بأبحاث ضمن المجالات التي يتركز عليها اهتمام مؤسسات الأعمال المشاركة؛
- معاهد للتعليم العالي والتدريب يمكنها إحراز روابط وثيقة بين أنشطة التدريب المتقدم والبحث؛
- شركات مقادرة تتطلب أعمالها مدخلات علمية وتقنية لا بدّ لتوفيرها من القيام بأنشطة مخصصة للبحث والتطوير؛
- مساحات للتوسع يمكن استخدامها لاستقبال الشركات الناشئة والفعاليات

القطاع الخاص والحكومة العُمانية. وتهدف من حيث المبدأ إلى توفير مناخ يمكن من ضمنه أن تتعاون المؤسسات البحثية والتعليمية مع مؤسسات الأعمال الصغيرة والمتوسطة والشركات متعددة الجنسية للقيام بأنشطة مستندة إلى التقنيات المستحدثة والتجديد ضمن بلدان **مجلس التعاون الخليجي**. وتقع **الواحة**، التي تبلغ مساحتها 680,000 متر مربع على مسافة 32 كيلومتراً من **مسقط** في بقعة تمتاز بجمال محيطها. ومن نقاط التركيز الأساسية لأنشطة **الواحة** تقنيات المعلومات والاتصالات والخدمات السياحية.

حديقة جامعة السلطان قابوس للعلم؛ تخطط جامعة السلطان قابوس لإنشاء حديقة للعلم تهدف للارتقاء بالقدرات الوطنية في مضمار البحث العلمي واستثمار التقنيات الجديدة في التنمية الاقتصادية عامة. وقد رصد لهذا الغرض تمويل من مصادر مختلفة بلغ 2.5 مليون دولار أميركي.

2 - 3 عناصر النجاح في مشروعات حدائق العلم والتقنية

تتحدث تقارير عديدة عن النجاح الباهر لبعض مشروعات حدائق العلم والتقنية. وتعتبرها وسيلة لا تخبى لتعزيز أنشطة الابتكار ونقل التقنية واحتضان المشروعات التجارية الناشئة وللتنمية الاقتصادية على الصعيدين المحلي والوطني. لكن يستحيل عملياً على هذه المؤسسات أن تحقق بمفردها جميع هذه المهام بصورة مرضية. وعلى الرغم من أن **حديقة ستانفورد** البحثية التي أدت إلى نشوء **وادي السليكون** قدمت العديد من الشروط اللازمة لنجاح أنشطة البحث والتطوير ومؤازرة مؤسسات الأعمال على استثمار التقنيات الجديدة في كثير

تقارير عدّة تتحدّث عن النجاح الباهر لبعض مشروعات حدائق العلم والتقنية، وتعتبرها وسيلة لا تخبى لتعزيز أنشطة الابتكار ونقل التقنية واحتضان المشروعات التجارية الناشئة وللتنمية الاقتصادية على الصعيدين المحلي والوطني، لكن يستحيل عملياً على هذه المؤسسات أن تحقق بمفردها جميع هذه المهام بصورة مرضية.. وعلى الرغم من أن حديقة ستانفورد البحثية التي أدت إلى نشوء وادي السليكون قدّمت العديد من الشروط اللازمة لنجاح أنشطة البحث والتطوير ومؤازرة مؤسسات الأعمال على استثمار التقنيات الجديدة في كثير من المجالات، إلا أن توافر عوامل أخرى أسهم بالفعل في نجاح هذه المبادرة أو ظاهرة وادي السليكون الذي قامت مؤسساته ضمن الحديقة وحولها..

ابتداء أعمال الإنشاء، لتبرز أهمية عناصر منتقاة من ضمن البيئة المحلية باعتبارها داعمة لتوطين واستثمار التقنية والتجديد بعامة.

من أبرز المميزات التي تجتذب المؤسسات للمشاركة في حداث العلم والتقنية والحاضنات في الدول النامية توافر المرافق والخبرات التقنية التي يصعب الحصول عليها من مصادر بديلة. وهكذا ينبغي على الجهات المسؤولة عن إدارة حداث وحاضنات التقنية في الدول العربية السعي الجاد لتأمين أوسع طيف ممكن من المرافق والخبرات التقنية التي لا تتوافر ببسر في البيئة المحيطة.

وقد تتضمن حداث العلم والتقنية حاضنات لمؤازرة مؤسسات للأعمال الصغيرة والمتوسطة لا تتضمن أنشطة نزلتها بالضرورة استثمار التقنيات الجديدة؛ إلا أنها قد تجني منافع عديدة من خلال التعاون مع الجهات الأكاديمية والبحثية لتحقيق أهداف تقع ضمن المجالات التالية:

- اكتساب المعلومات وتعميق المعارف المحورية المتصلة بالمنتجات والخدمات الجديدة التي تقع ضمن نطاق أولويات المشروعات التي تسعى لترويجها أو تشكل استكمالاً لأنشطتها الحالية أو تتيح لها فرصاً أكبر لتحسين مواقعها التنافسية:

- اكتساب معلومات موثوقة حول تقنيات وممارسات داعمة لاستثمار التقنيات الجديدة، كأساليب مخصصة لقياس الأداء ومراقبة النوعية أو الجودة، والمعلومات الخاصة بالقيود التي قد تنشأ على مجالات استخداماتها والنتائج الاقتصادية والاجتماعية المترتبة عن اعتمادها، وتدريب العاملين ضمن مؤسسات الأعمال على التعامل مع التقنيات الحديثة.

وكثير من هذه الأنشطة ينطوي على نقل التقنية بشكل أو آخر، ويتضمن فوائد أخرى

الإنتاجية والخدمية التي تتطلبها الأنشطة المستقبلية.

ويمر إحداث البنى المؤسسية الجديدة بمرحلتين أساسيتين. تبدأ الأولى بإقامة منشآت الحديقة، بما في ذلك المؤسسات البحثية والتعليمية والتدريبية وفروعها في الموقع. وليس من المعتاد أن يسفر عن هذه المرحلة الخروج بكثير من المبتكرات أو أن تؤدي لتوسيع فرص التوظيف إلى حدود بعيدة. حيث إن المؤسسات البحثية والتعليمية والتدريبية كثيراً ما تأتي إلى الحديقة مع أطرها البشرية. أما المرحلة الثانية فكثيراً ما تؤدي ثمارها بعد مضي أعوام قليلة على إنشاء الحديقة؛ نتيجة التعاون بين الأطر البحثية ومؤسسات الأعمال. كذلك فإن الخروج ببراءات اختراع ومنتجات أو خدمات تتضمن مدخلات تقنية جديدة وإطلاق مشروعات تجارية تبني على ما أحرز من مبتكرات وتولد فرصاً جديدة للعمل، يستغرق بعض الوقت. وهذه كلها عوامل قد تؤدي لبروز توجهات سلبية حيال مشروعات البنى المؤسسية الجديدة وإدارتها؛ قد تصل لإثارة الشكوك حول الحكمة من إحداثها. إلا أن التقييم المنصف للبنى المؤسسية الجديدة يجب أن يأخذ بالاعتبار المرحلة التي وصل العمل إليها. ومدى نجاحها في توليد ثقافة تؤيد المشروعات التجارية، وتسهم في صياغة الأطر القانونية والتسهيلات التمويلية المؤاتية، وما حققت من دعم للمجتمع المحلي. مما يؤكد أهمية الانتقاء الحصيف لموقع الحديقة والحاجة إلى وجود خطط للتنمية تشجع المجتمع المحلي على تقديم الدعم لمشروع الحديقة، إذ يشكل دعم سلطات الإدارة المحلية، والمجتمع المحلي عموماً، عنصراً حيوياً لنجاح حداث التقنية. ولذلك لا بد من إعداد لأطر تشريعية مؤاتية على صعيد الإدارة المحلية، والقيام بحملات التوعية وإحداث إدارة للعلاقات العامة منذ

المتقدمة والنامية على حدّ سواء حيث تستخدم هذه التسمية الآن للدلالة على تفوق مفترض أو فعليّ لمؤسّسات تعمل من ضمن طيف عريض من المجالات على نظيراتها. وتضمّ هذه المؤسّسات اليوم، إضافة إلى مؤسّسات البحث والتعليم العالي، معاهد للتعليم في المراحل المختلفة ومشافي ومؤسّسات للرعاية الصحية، وللتدريب المهني ولتقديم الخدمات الاجتماعية وللعديد من الغايات الأخرى. بل إن تسمية "مركز التميّز" تطلق أحياناً على بعض المؤسّسات حال إنشائها تعبيراً عن نية القائمين عليها للتفوق. والسمة الجامعة للمؤسّسات التي تطلق عليها صفة التميّز اليوم هي القدرة على استثمار المدخلات التقنية المستحدثة، والدينامية في تجديد هذه المدخلات، واستثمارها في كلّ ما تقوم به من أنشطة، وما تختصّ بتقديمه من خدمات، من حيث الشكل والمضمون وعلى صعيد الإدارة والتواصل مع الزبائن والشركاء. وبصورة عامة، يتمّ إنشاء مراكز التميّز في كثير من الحالات من قبل الجامعات أو بالاستناد إلى تحالفات بينها أو مع جهات حكومية أو شركات القطاع الخاص المرموقة. وفي جميع هذه الحالات يمثّل مركز التميّز، متى ما تمّ تشييده وتكاملت قدراته، مدخلاً للارتقاء بالقدرات الوطنية في مجالات اختصاصه. وبالنظر إلى العلاقة الجوهرية بين مؤسّسات التعليم العالي ومراكز البحث العلمي، يغدو التكامل بين هذين الصنفين من المؤسّسات على درجة كبيرة من الأهمية. والتميّز في أيّ منها غير قابل للتحقيق بموجب صدور صكوك إنشائها. بل لا بدّ من توافر شروط لا يمكن الوصول إليها قبل تراكم الخبرات والتأقلم مع الوسط المحيط والتعرض

كذلك، كالوصول إلى معدات أو أساليب إنتاجية أقلّ كلفة أو توظيف عاملين جدد ضمن اختصاصات تمكن مؤسّسة الأعمال من جني بعض ثمار التقنيات الجديدة من دون أن تختصّ هي بتوليدها أو نشرها أساساً.

3 - مراكز التميّز

تشكّل مراكز التميّز مكوّنات أساسية في منظومات العلم والتقنية والتجديد الوطنية. وتعود أصولها إلى مراكز "التعاون البحثي"، التي أنشئت نتيجة مبادرات قام بها أعضاء هيئة التدريس والباحثون في بعض جامعات الولايات المتحدة المرموقة، وذلك بناءً على إمكانات قائمة ضمن منظومات مكرسة للتعليم العالي والبحث العلميّ تتمتع بسجلّ متميّز أصلاً، من حيث منشوراتها ومنجزات العاملين فيها. وتطلق تسمية "مركز التميّز" في بعض البلدان المتقدمة على مؤسّسات بحثية ومعاهد تعليمية من قبل الهيئات الوطنية التي تشرف على أنشطة البحث والتعليم. وذلك استجابة لسياسات العلم والتقنية الوطنية التي وضعت أصلاً لتحفيز التميّز من ضمن مجالات تعتبر من أولويات التنمية الوطنية. كما تطلق هذه التسمية أحياناً على معهد تعليمي أو مؤسّسة بحثية من قبل الاتحاد الوطني أو الإقليمي أو الدولي الذي يُعني بالمجال الذي ينشط ضمنه المعهد التعليمي أو تعمل ضمنه المؤسّسة البحثية. وغالباً ما يتمّ هذا لتحفيز التنافس بين المؤسّسات على الأصعدة المختلفة، الوطنية أو الإقليمية أو الدولية. لكن العقود الأخيرة من القرن الماضي شهدت مرونة متزايدة في استخدام تسمية "مركز التميّز" في البلدان

السمة الجامعة للمؤسّسات التي تطلق عليها صفة التميّز اليوم هي القدرة على استثمار المدخلات التقنية المستحدثة، والدينامية في تجديد هذه المدخلات، واستثمارها في كلّ ما تقوم به من أنشطة، وما تختصّ بتقديمه من خدمات، من حيث الشكل والمضمون وعلى صعيد الإدارة والتواصل مع الزبائن والشركاء.

معاهد التقنية الهندية؛ مثال لمراكز التميز في مضمار التعليم العالي

إطار رقم 22

للمنافسة التي تُذكي السعي نحو التميز.

3 - 1 مراكز التميز في مضمار التعليم العالي

تقدّم تجربة معاهد التقنية الهندية مثالاً للتميز في مضمار التعليم العالي ضمن فروع العلم والتقنية (الإطار 22). وبيّن تاريخ هذه المعاهد أن النية لإحراز التميز تعود إلى مراحل مبكرة من نشأتها لتعكس على سويات الإنفاق وعلى الأساليب المتبعة في اختيار العاملين من المستويات المختلفة وعلى آليات التقييم وأنماط التحالف والتعاون التي اتبعت على الصعيدين الوطني والدولي. كما تبين تجربة معاهد التقنية الهندية الحاجة لقيام المواطنين إلى جانب من يعينهم من الخبراء الأجانب بإسهامات جوهرية في تكوين المفاهيم الأساسية وصياغة السياسات والاستراتيجيات ومعايير التقييم ومن ثم اكتساب الخبرات ونشرها واستثمارها وتسليم زمام تسيير المعاهد المتميزة بحيث يتم إحراز الغايات المرجوة ضمن الشروط الاقتصادية والاجتماعية القائمة وتلبية لأولويات التنمية المعتمدة. وكذلك ليستسنى إدخال التعديلات المناسبة بيسر ومرونة بناءً على معطيات تقييم الأداء كلما لزم ذلك.

وبصورة عامة، فإن إطلاق تسمية "مركز التميز" على معهد للتعليم العالي يطرح الكثير من المسائل. منها التوافق المعلن على تفوق المعهد من حيث ما يستخدم من آليات للعمل وما يحرز من نتائج. وفي كثير من الحالات تتجلى منجزات معاهد التعليم العالي بقبول خريجها حال تخرجهم للدراسات العليا أو للعمل في معاهد ومراكز للأبحاث يشهد لها بالتفوق على الصعيد الدولي، أو "باصطيادهم" من قبل الشركات الكبرى التي تنشأ التفوق والتميز على نظيراتها. ومن جانب عملي فلا

وُضع التصور الخاص بإنشاء هذه المراكز ونفذت في الخمسينيات وأوائل الستينيات، وكان من المتوقع أن "تخرج العلماء والتقنيين على أرقى المستويات لممارسة البحث العلمي والتصميم والتطوير والمساعدة في بناء قدرات الأمة ولتحقيق الاعتماد على الذات في تلبية الاحتياجات التقنية"⁴⁰. واكتسبت المعاهد منذ إنشائها سمعة عالمية لامتها في تدريس الهندسة، ونظراً لسوية البحوث التي كان أعضاء هيئة التدريس يقومون بها. وعلى الرغم من تباین البرامج التي تتبعها معاهد التقنية الهندية في أرجاء الهند فمن الممكن تلمس صفات مميزة ومشتركة تجمعها. أنشئت أولى معاهد التقنية الهندية Indian Institutes of Technology - IIT، لتخريج النخبة من المهندسين والتقنيين ليتولوا مسيرة الهند نحو التصنيع بعد استقلالها العام 1947. ورأى أولها النور العام 1950، ثم تلتها معاهد أخرى في أنحاء البلاد خلال خمسينيات وستينيات القرن الماضي. وبالنظر للنجاح الذي لقيته هذه المعاهد وحافظت عليه لعلو تلت إنشائها أحدثت على نسقتها مجموعة من المعاهد المختصة بتقنية المعلومات، أطلقت عليها تسمية المعاهد الهندية لتقنية المعلومات Indian Institutes for Information Technology - IIT. ويحق للطلاب من جميع أنحاء الهند الانتساب لأي من معاهد التقنية الهندية التي يبلغ عددها الآن 15 معهداً. ويتمتع الطلاب بحرية اختيار الاختصاصات التي سيدرسونها بناءً على امتحان قبول مشترك يعتبر من أفضل الامتحانات التنافسية للالتحاق بالتعليم العالي في العالم.

وينتقى أعضاء هيئة التدريس من بين خريجي المؤسسات الأكاديمية والبحثية الأرفع مستوى في العالم. وتمنحهم إدارة المعهد حرية تخطيط وتنفيذ برامج التدريس والبحث طبقاً لقناعاتهم وخبراتهم. وتتبع المعاهد نظاماً إدارياً مفتوحاً لا مركزياً، يخالف النظم التقليدية المتبعة في الجامعات الهندية الأخرى. تحصل معاهد التقنية الهندية على دعم سخّي من الحكومة وبعض المبرعين. فبينما تلتل معاهد الهندسة الأخرى ميزانيات سنوية تتراوح بين 2 - 4 ملايين دولار، ينال كل من معاهد التقنية الهندية ميزانيات تقع ضمن المجال 18 - 26 مليون دولار⁴¹. بحيث يمكنها إنشاء بنى أساسية متفوقة من مخابر وتجهيزات للبحث ومراكز للحاسوب وورش للعمل. كما أن نسبة أعضاء الهيئة التدريسية إلى الطلاب تتراوح بين 1:6 و 1:8⁴².

وتركز مناهج التدريس في مرحلة البكالوريوس تركيزاً شديداً على تفهم المبادئ الأساسية لا المعارف المتخصصة. كما تتميز بالمرونة حيث تتمتع المعاهد المختلفة بقدر كبير من الاستقلال في تغيير المناهج وتجديدها. أما برامج الدراسات العليا فتتميز بمسارات متعددة التخصصات بالتركيز على عنصر البحث. تعدّ معاهد التقنية الهندية من التجارب الهامة. وتقدّم أمثلة عديدة من الدول النامية في سبل الإصلاح الشامل للتعليم التقني العالي، على نحو يتجاوز المناهج ليتناول جوانب تلمس سياسات التعليم العالي من أساسها. وهذا بكلفة تبدو مقبولة تماماً بالنظر لما تنفقه دول العالم الصناعي وما قد يتم إنفاقه في معاهد استحدثت خلال العقد الماضي في بعض بلدان الخليج العربي. وعلى الرغم من الإنجازات المرموقة لمعاهد التقنية الهندية، فإنها تتعرض للانتقاد أحياناً بسبب ارتفاع كلفة برامج التعليم التي تقدمها نسبة لغيرها من المعاهد في الهند وبسبب ممارساتها النخبوية وعدم كفاية التفاعل بينها وبين المشروعات الصناعية. كما تُنتقد معاهد التقنية الهندية، ظلماً من قبل البعض، لتسببها بهجرة نخبة العقول الوطنية. وإن كانت هذه الهجرة قد بدأت بالتراجع مؤخراً. ويعود هذا إلى حد كبير إلى سياسات الشركات الكبرى متعددة الجنسيات التي بدأت بافتتاح فروع لها في الهند وتوظيف أعداد كبيرة من خريجي معاهد التقنية الهندية فيها⁴³.

ولقد أدت جملة من الصعوبات إلى تراجع نسبي في دور معاهد التقنية الهندية كمؤسسات طلبية وراثة. ولذا شكّلت في منتصف الثمانينيات لجنة كلفت بإجراء مراجعة شاملة لنظم عملها. وتناول تقرير مستفيض للجنة المقاصد والأهداف والبرامج الأكاديمية وأساليب الإدارة، كما تضمن توصيات لاستعادة المكانة الخاصة التي كانت تتمتع بها هذه المعاهد، ولتدعيم العلاقات بينها وبين أنشطة قطاعات الإنتاج والخدمات في الهند، وتحفيز هيئات التدريس وجعل أعضائها أكثر اهتماماً بالتعليم الفني العالي في الهند من خلال إنشاء الشبكات الإلكترونية وتطوير المناهج. وخلاصة القول إن نظام معاهد التقنية الهندية أدى إلى نتائج مبتكرة لم تكن المؤسسات الهندية التقليدية لتتيحها. ويعود الكثير مما حققته الهند من تقدّم في مجالات الفضاء والطاقة الذرية والاتصالات إلى ما قدّمه خريجوها هذه المعاهد. وتشهد السمعة العالمية لخريجي معاهد التقنية الهندية بفعالية النظم التي تتبعها.

بعض الدول لوضع خطط وطنية مخصصة لرعاية إحداثها.⁴⁴ وعلى الرغم من أن أهداف مراكز التميز البحثي تتباين في تفاصيلها، إلا أنها تتوافق في:

- دعم وتطوير الإمكانات البحثية والأنشطة المهنية المتصلة بمجال تخصصها؛
- تكوين بيئة ملائمة للتعاون بين التخصصات المختلفة؛

• مؤازرة الباحثين لإيصال ما أحرزوا من ابتكارات إلى حيز التطبيق الفعلي.

ومن أكثر أنماط مراكز التميز انتشاراً في الدول المتقدمة تلك التي أنشأتها جامعات مرموقة لاستثمار ما أحرزته مرافقها البحثية من منجزات علمية وما تتفرد به من أطر متفوقة. تقدم فنلندة مثلاً مفيداً عن هذا التوجه. إذ بدأت في مطلع القرن بإنجاز برنامجين وطنيين لإحداث مراكز تميز يفوق عددها الأربعين⁴⁵. ومن خصائص المبادرة الفنلندية استهدافها مراكز ومختبرات قائمة تتمتع بسجل مرموق أصلاً ولها خطط وغايات بحثية محددة، كما تضم باحثين يُشهد لهم بالتفوق. ومن المجالات التي تثار الاهتمام الأكبر من قبل المبادرة الفنلندية تلك المتصلة بعلوم الحياة بصورة عامة والتقنيات الحيوية والهندسة الوراثية وتطبيقاتها الطبية، بوجه الخصوص. كما تثار المركبات النانوية والبيئة قسطاً ملموساً من الاهتمام.⁴⁶

بصورة عامة، فإن اهتمام العديد من مراكز التميز التي أحدثت خلال العقد الماضي ينصب على اكتساب القدرة للتعامل مع تقنيات

بمعاهد التعليم العالي التي تتخذ التميز صفة لها أن تتمتع بآليات متطورة للعمل، تتضمن في فروع العلوم التطبيقية والتجريبية، مثلاً، توافر إمكانات وتجهيزات مخبرية متفوقة. كما تتمتع عموماً بقدرات متميزة للتواصل بين الأساتذة والطلبة والإدارة من جهة أولى، ونظرائهم في المعاهد المماثلة، من جهة ثانية. وفي جميع الحالات لا بد أن يتصل تميز معهد التعليم العالي بالسجل الأكاديمي لأساتذته. وفي الدول المتقدمة، وكذلك في عدد متزايد من الدول النامية، يرتبط تقييم هذا السجل بما ينشر أعضاء الهيئة التدريسية من أوراق علمية في الدوريات الدولية المحكمة والمرموقة ومن كتب ومراجع في مجالات اختصاصهم لقيت رواجاً واسعاً أو ما نجحوا في تطويره من مناهج ومنتجات تتضمن معارف علمية مستحدثة. وما تمكنوا من تأمينه من منح وموارد خارجية للبحث أو لتطوير مناهج تعليمية جديدة. وما حازوا عليه من جوائز عالمية. وغالباً ما تكون المنح والجوائز مصدراً لثقة أكبر بتميز المعهد والعاملين ضمنه عندما تقدم من قبل منظمات إقليمية أو دولية. وتؤكد معايير التميز في مضمار التعليم العالي بصورة واضحة الصلة الوثيقة بين التعليم والبحث العلمي. ومن خلال هذه الصلة تبرز أهمية العلاقة بين المعهد العالي الذي يدعي التميز والقطاعات الإنتاجية والخدمية التي تستثمر سائر مخرجاته.

3 - 2 مراكز التميز البحثي

تزايد تعداد مراكز التميز البحثي خلال العقدين الماضيين في جميع أنحاء العالم. وتسعى

44 أنظر التقرير Science, Technology and Innovation: Recent Policy Development in South Africa. تمّ الاطلاع عليه من الموقع: <http://www.oecd.org/dataoecd/25/35/2112129.pdf> في 17 من الشهر السادس (حزيران/ يونيو) العام 2010. 45 OECD Case Study on Innovation: The Finnish Biotechnology Innovation System; von Blankenfeld-Enkvist, et al. Turku School of Economics and Business Administration Business Research and Development Centre. <http://www.oecd.org/dataoecd/23/6/31669860.pdf>

46 يقدر مجموع المبالغ المخصصة لتغطية أنشطة هذين البرنامجين بحوالى 40.6 ملايين يورو، قدمت الأكاديمية الفنلندية القدر الأكبر منه، بينما قدمت الوكالة الوطنية للتقنية 7.7 ملايين يورو. كما أن الجامعات ومراكز البحث القائمة تسهم إسهامات ملموسة أيضاً في إنجاز البرنامجين.

47 عقد هذا الاجتماع في جامعة سرت بين 20 و31 من الشهر الرابع (نيسان/ إبريل) 2010. أنظر تقرير هذه الدورة على موقع الاتحاد: http://www.aaru.edu.jo/index.php?option=com_content&task=view&id=355&Itemid=6. تمّ الاطلاع

الجوانب المختلفة.

يأتي معظم الدعم الذي تقوم عليه مراكز التميز من مصادر خارج الجامعة الأم، كالشركات الكبرى أو المؤسسات الحكومية المعنية بالبحوث والسعي للبناء على نتائجها. وكثيراً ما تعمل مراكز التميز ضمن مجالات لها الأولوية على الصعيد الوطني، بحيث تمنحها الجهات الحكومية قدراً ملموساً من الدعم. ومن أبرز الغايات التي تسعى الحكومات إليها جراء الدعم الذي تقدمه لمراكز التميز، التوصل إلى الصدارة على المستوى الإقليمي أو الدولي، بحيث ينعكس هذا على مكانة الدولة من وجهات عديدة؛ منها العلمية والتقنية، من خلال ما يمكن لمركز التميز إنجازه من برامج بحثية وتعليمية رفيعة المستوى، وبالتالي الاقتصادية، وحتى السياسية.

يتوقف نجاح مراكز التميز البحثي، كغيرها من المبادرات الرامية إلى تنمية القدرات الوطنية العلمية والتقنية، على تفاعلها المجدي مع محيطها المؤسسي. فلا يمكن لمراكز التميز، على ما تمتلك من ميزات وما قد يخصص لها من موارد، أن تسهم في تنمية القدرات الوطنية العلمية والتقنية من دون تواصل بنّاء مع طيف من المؤسسات الوطنية الأخرى ضمن أطر تشريعية وترتيبات تنظيمية مؤاتية. والوسيلة المثلى لضمان حدود دنيا من تواصل مركز التميز مع محيطه وتأمين مناخ تشريعي وتنظيمي مؤاتٍ لعمله واستثمار أمثل لنتائج عمله تتمثل بسياسة وطنية شاملة للعلم والتقنية تؤمّن الأطر الناظمة والجامعة وتؤسس لإنشاء مراكز التميز المنشودة ولتتبع أداؤها والسعي المستمر لتطوير إمكاناتها.

وكثيراً ما تبني مراكز التميز علاقات الشراكة مع مراكز ومؤسسات أكاديمية أخرى بحيث يتسنى لها توسيع قاعدة المعارف

جديدة وبازغة منها المواد الجديدة وتقنية النانو والتقنية الحيوية والهندسة الوراثية والليزر وتقنيات المعلومات والاتصالات والطاقة المتجددة. وتحدّد مجالات وأولويات العمل الدقيقة في مراكز التميز البحثي من خلال تحليل معمق لنقاط القوة والضعف والمحددات والفرص. كما تنحو الهيئات المعنية لإحداث المراكز للاسترشاد بتجارب دول أخرى استهدفت تشييد مراكز تميز مماثلة. ومن المعايير الأكثر أهمية لتحديد مجالات العلم والتقنية التي يفترض أن تغطيها أنشطة المركز المزمع إمكانية الوصول إلى نتائج محدّدة من ضمن لائحة أولويات التنمية الوطنية في الأمد المتوسط، أي خلال خمس إلى عشر سنوات. ومن المؤشرات التي توضع لتتبع سير العمل ما يتعلق بالنتائج المعهودة للبحث من براءات اختراع وأوراق علمية وكتب وأطر مدربة من سوية النخبة وربما منتجات وخدمات تتضمن معارف مستحدثة يتم تطويرها استناداً إلى أنشطة أنجزها مركز التميز. ويمكن أن تتضمن المعايير المستخدمة لتقييم أداء مراكز التميز مؤشرات تتناول مدى إسهام المركز في برامج الأبحاث الإقليمية والدولية والعقود المبرمة مع الصناعة وما يترتب عنها من مخصصات يمكن استثمارها لبناء المختبرات وتدريب الأطر من مستوى النخبة؛ وبالتالي الدور الذي يؤديه المركز في الارتقاء بمستويات الإنفاق على البحث والتطوير على الصعيد الوطني. وغالباً ما يشمل اهتمام مركز التميز البحثي جوانب متعدّدة من الموضوعات العلمية أو التقنية التي تغطيها، بحيث يتطلب ذلك تعاون العاملين في طيف من الاختصاصات لتغطية موضوعات البحث على نحو متكامل. ويتم هذا التعاون في الكثير من الأحيان بتشكيل فرق عمل متعدّدة التخصصات تتكامل ضمنها المعارف والمهارات المطلوبة من

مألوفة كما تستند في نهاية المطاف إلى تقنيات وقواعد علمية راسخة. هذا بينما يتم تصنيف الأبحاث على أنها متميزة في أغلب الأحيان بالنظر لما تتجز على حدود المعارف العلمية وباستخدام أكثر التقنيات تطوراً. كذلك فإن فكرة التميز قد تغفل في الكثير من الحالات اعتبارات الكلفة مقابل الفعالية في الوصول إلى الغايات المنشودة أصلاً. ومن الانتقادات التي توجّه لفكرة التميز في الدول النامية أن إحداث مراكز التميز يؤدي إلى نشوء "جزر" تُمارس ضمنها أنشطة البحث وفقاً للقواعد السائدة في الدول المتقدمة لكنها لا تستجيب بالضرورة للاحتياجات الملحة التي تقع ضمن أولويات محيطها.

ومن الواضح أن العلاقة بين التميز البحثي وجهود التنمية الأساسية والشاملة ليست بال بسيطة. فمن الممكن الوصول إلى التميز في الأبحاث المتصلة بالتنمية من خلال التصميم الأمثل لمشروعات البحث وانتقاء آليات حصرية في تنفيذ هذه المشروعات وإخراج نتائجها بحيث يستنى للفئات المستهدفة استثمارها. كما يمكن أن يستهدف التميز أساليب التعاون والتواصل بين الجهات المعنية بتنفيذ الأبحاث ومتابعة نتائجها. ومن جهة أخرى يقوم إحداث مراكز التميز البحثي في مجالات العلم والتقنية المتقدمة، محاكاةً لنزعات تشأ وتنتشر في الدول المتقدمة؛ منها تحسين نوعية التعليم العالي في هذه المجالات والاندماج ضمن المجتمع العلمي العالمي. وانتقاد مفهوم التميز لأنه يسفر عن انقسام بين أنشطة البحث وجهود التنمية قد يكون صحيحاً فقط في الحالات التي تفشل فيها إدارة هذه المراكز في تصميم مشروعاتها بصورة تضمن الاستجابة لاحتياجات التنمية وتطبيق آليات مناسبة للتواصل بينها وبين محيطها. أما من حيث المبدأ، فليس هنالك ما يحول دون

والمهارات المتاحة لها. وفي معظم الأحوال فإن مراكز التميز البحثية تُنشأ وتدار بحيث تحافظ على علاقات وثيقة مع الجهات العاملة في مجالات مماثلة داخل الجامعة الأم والجامعات الوطنية الأخرى وخارجها. كما تسعى للتواصل مع مؤسسات صناعية أو خدمية تستثمر نتائج أبحاثها. ويتم هذا بوسائل عدة منها تمويل المراحل الأخيرة من الأبحاث التي قد يتوجب إجراؤها لقاء الاسهام باستثمار التقنيات الناجمة واستغلال ريع الترخيص باستثمار براءات الاختراعات. ويحتوي بعض مراكز التميز مرافق لاحتضان مؤسسات الأعمال التي تستند أنشطتها إلى منتجات أو خدمات تتضمن محتوى تقنياً متقدماً.

3 - 2 - 1 مراكز التميز البحثي والتنمية

يتساءل البعض حول ما إذا كانت فكرة التميز البحثي وفقاً للتعريف المتداولة مناسبة لمعالجة قضايا التنمية الأهم في الدول النامية، مع ما ينبغي أن توليه هذه الدول من اهتمام لمعالجة مسائل مثل تنويع مصادر الدخل الوطني والبطالة وحماية البيئة وغيرها. كما يشار إلى أن الدول المتقدمة تمتلك في غالب الأحوال الأدوات الضرورية لتحقيق التميز البحثي وللتثبت من إحرازه بالفعل، من خلال آليات راسخة للمراجعة والتقييم. أما الدول النامية فما زالت قاصرة عن ذلك بصورة عامة، بخاصة في الحالات التي لا تنشر فيها معاهد البحث في هذه الدول نتائج أبحاثها في الدوريات الدولية المحكمة. ويشار في السياق ذاته أيضاً إلى أن فكرة التميز البحثي تتناقض مع الحاجة إلى تناول قضايا لا تتطلب معالجتها بالضرورة تقنيات متقدمة. بل كثيراً ما تستدعي القيام بمسوحات حقلية تفلح في تناولها آليات تحليلية

سعت معظم الدول العربية بدايةً لإنشاء معاهد للأبحاث ضمن مؤسسات التعليم العالي وتمّ استحداث مراكز متخصصة للقيام بالأبحاث والتطوير التقني في موضوعات محدّدة تتصل بأولويات التنمية. ومن الأمثلة عليها مراكز بحوث المياه والزراعة التي أنشأتها **مصر وسوريا والسعودية وتونس والمغرب ولبنان** وعدد غير قليل من الدول العربية الأخرى. كما يجدر هنا ذكر مراكز تخصّصت بالتقنيات الجديدة، كتقنيات المعلومات والاتصالات والاستشعار عن بعد والطاقة الذرية، التي أنشأت في كلّ من **مصر وسوريا ولبنان والأردن والسعودية وتونس والمغرب** وفي بعض الدول العربية الأخرى. وفي جميع الحالات احتلّت العلوم التطبيقية مركز الصدارة في هذه المراكز.

على الرغم ممّا بذل من جهود، ما زال الناتج العلمي العربيّ، المتمثل بالمنتجات والخدمات التي تتجسد فيها التقنيات الجديدة وبراءات الاختراع والأوراق العلمية المنشورة في الدوريات الدولية المحكمة، أقلّ بكثير من المتوقّع بالنسبة إلى العديد من دول العالم، المتقدّمة منها والنامية. إلا أن هذا لا يعني أن المراكز التي تمّ إنشاؤها خلال العقود الماضية لم تحرز نتائج ثمينة في عدد من المجالات، في مضمار العلوم الزراعية والطبية مثلاً، بل يمكن اعتبار بعض مختبرات الأبحاث متميّزة بالنظر إلى آرائها حول برامج التنمية المحلية.

أما مراكز التميّز التي أنشأتها الدول العربية تحت هذه التسمية وبالأستناد إلى التعاريف السائدة الآن لمفهوم التميّز، فأعمارها لا تتجاوز عموماً بضعة سنوات. ولم يتبلور نتائجها ليسمح بتقييم ذي مغزى. حتى أن قرارات الدورة الثالثة والأربعين للمؤتمر العام لـ **الاتحاد الجامعات العربية** الذي عقد مطلع العام 2010⁴⁷ تضمنت النية لمخاطبة "الجامعات الأعضاء في

استخدام آخر ما توصلت إليه تقنيات المعلومات والاتصالات حداثةً لمحو الأمية واجتثاث الفقر في الأرياف والمناطق المحرومة في ضواحي المدن الكبرى. أو استثمار **الهندسة الوراثية** للحفاظ على التنوع الحيوي وعلى نباتات محلية آخذة بالانقراض أو تحقيق مستويات أعلى من الإنتاجية في زراعة محاصيل مقاومة للأمراض وقادرة على تحمل الجفاف.

ويبرز ما سبق ضرورة النظر إلى مفهوم التميّز البحثي بتمعّن، وتطويعه لضمان استجابة أمثل لقضايا ملحة في المجتمع من دون الانعزال عن التيارات العلمية والتقنية الرائدة، ولا سيما تلك التي اتضحت فرص تطبيقها لحلّ مشكلات تتصل بقضايا التنمية الوطنية والمحلية من الواجهات المختلفة. ويؤكد هذا التوجه الحاجة المتزايدة لتأمين البنى الأساسية التي تسمح بتوظيف مخرجات مراكز التميّز البحثي في مجالات تؤدي لمنافع حقيقية. كما يؤكد الحاجة لتبني ممارسات مجرّبة لتقييم أداء مراكز التميّز بحيث تحقق صلات وثيقة بينها وبين احتياجات محيطها ولا يؤدي إنشاؤها إلى أنماط مستحدثة من "هجرة الأدمغة" ومزيد من "تغريب" المختصين في فروع العلم والتقنية الجديدة عن مجتمعاتهم.

3-3 مراكز التميّز في الدول العربية

أنشأت دول عربية عدّة خلال القرن الماضي مراكز وطنية للأبحاث. وتعتبر **مصر والسعودية والكويت والأردن** من الدول العربية الرائدة في تأسيس مراكز وطنية تناولت مجالات عريضة نسبياً من القضايا المتصلة بالتنمية. ومن المجالات التي شهدت الاهتمام الأكبر في عديد من الدول العلوم والتقنيات المتعلقة بالإنتاج الزراعي ومعالجة الأغذية، والبيئة، والرعاية الصحية، والثروات الباطنية والطاقة. وقد

على الرغم ممّا بذل من جهود، ما زال الناتج العلمي العربيّ، المتمثل بالمنتجات والخدمات التي تتجسد فيها التقنيات الجديدة وبراءات الاختراع والأوراق العلمية المنشورة في الدوريات الدولية المحكمة، أقلّ بكثير من المتوقّع بالنسبة إلى العديد من دول العالم، المتقدّمة منها والنامية، غير أن هذا لا يعني أن المراكز التي تمّ إنشاؤها خلال العقود الماضية لم تحرز نتائج ثمينة في عدد من المجالات، في مضمار العلوم الزراعية والطبية مثلاً، بل يمكن اعتبار بعض مختبرات الأبحاث متميّزة بالنظر إلى آرائها حول برامج التنمية المحلية..

القومي للأبحاث في مصر. وتقدم بعدئذ صورة عن مراكز التميز التي سعت وتسعى السعودية لإنشائها من خلال خطتها الاستراتيجية للعلم والتقنية. وتقدم ختاماً أمثلة عن المساعي الموجهة لإحداث مراكز تميز تعنى بقضايا ذات أبعاد إقليمية ودولية.

3 - 3 - 1 مبادرات نحو التميز في التعليم العالي

يستضيف عدد من دول منظمة التعاون الخليجي الآن فروعاً لجامعات من الدول المتقدمة. ويعود معظم هذه المبادرات لمؤسسات مرموقة للتعليم العالي من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، وفرنسا مؤخراً. إلا أن دولة قطر والسعودية تأتيا في مقدمة هذه الدول، في السعي لإحداث مراكز للتميز في مضمار التعليم العالي. وتتصف هذه المبادرات بحدثة عهدها، بحيث لا يمكن التوصل إلى تقييم معمق لأدائها ومساهماتها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. بينما تقدم مبادرة أقدم عهداً نفذت في سوريا في الربع الأخير من القرن الماضي نموذجاً مغايراً للسعي نحو التميز في مضمار التعليم العالي. تعرض الفقرات التالية لملامح أساسية لمدينة التعليم في قطر وجامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية في السعودية والمعهد العالي للعلوم التطبيقية والتقنية في سوريا⁴⁸.

3 - 3 - 1 مدينة التعليم في دولة قطر

تقدم مدينة التعليم في دولة قطر مثالاً عن سعي دول الخليج لإنشاء فروع لبعض الجامعات

الاتحاد للتعرف إلى مراكز التميز العلمي في التخصصات المختلفة على أن يصار إلى تبني هذه المراكز ودعمها وإخطار جميع الجامعات العربية بها.

ويرى الناظر إلى المبادرات الرامية لإحداث مراكز التميز اليوم ثلاثة أنماط أساسية من التوجهات. يسعى البعض من الدول العربية بموجب أولها لإحداث مؤسسات تشد التميز في مضمار التعليم العالي، وقد تقوم من ضمنها أنشطة للبحث. بينما يتم بناءً على النمط الثاني من التوجهات إحداث مراكز للتميز البحثي من ضمن جامعات قائمة. بحيث تنجز هذه المراكز الأبحاث المعمقة في مجالات كالمواد الجديدة والتقنية الحيوية وتقنيات المعلومات والاتصالات. ويتم وفقاً للنمط الثالث تأسيس مراكز تميز تقوم بالأبحاث المتقدمة في مجالات طبية في الوقت الذي قد تقدم خلاله خدمات الرعاية الصحية. وبينما تتسم بعض المبادرات من النمط الأخير بالاستقلالية، فإن معظمها يرتبط بمعاهد جامعية أو مستشفيات قائمة، بحيث يمكن اعتبارها إجمالاً حالة خاصة من النمط الثاني من مراكز التميز، أي مراكز الأبحاث المتخصصة والتي تشد التفوق ضمن مجال عملها.

تعطي الفقرات التالية نبذة عن مراكز التميز في الدول العربية التي تتوافر المعلومات حولها. فتقدم نبذة عن الأنشطة الرامية إلى إحداث معاهد متميزة للتعليم العالي. ثم تصف بإيجاز بعض المبادرات الرامية إلى تأسيس مراكز للتميز البحثي، فتتناول أنشطة مركز التميز للعلوم المتقدمة الذي أحدث ضمن المركز

على التقرير من هذا الموقع في حزيران/ يونيو العام 2010.

48 يشار إلى أن نصف المنتسبين إلى هذه الفروع هم من القطريين. وأن ما تبقى من الطلبة يمثلون 45 جنسية من أنحاء العالم. انظر موقع مدينة التعليم في مؤسسة قطر: <http://www.qf.org.qa/output/Page17.asp>. تم الاطلاع على الموقع في الشهر الرابع (نيسان/ إبريل) 2010.

49 ترجمة مصطلح "Grandes Ecoles" من الفرنسية.

50 يعود قسط كبير من نجاح سوريا بتأسيس كلية لهندسة المعلومات في جامعة دمشق لما قدمه خريجو المعهد العالي من معارف وخبرات

والاجتماعية في قطر ودول الخليج.

وعلى الرغم من الفروق الشاسعة بين الشروط المحلية والدولية التي تحيط بالمبادرة الرائدة التي تقوم بها مؤسسة قطر، وما سبقها من مبادرات مماثلة رمت إلى التميز في دول أخرى ضمن المنطقة العربية وخارجها، من المفيد النظر إلى النهج الذي تسعى دولة قطر من خلاله لإنشاء مراكز التميز في التعليم العالي، مع الأساليب التي تبنتها مبادرات سابقة سعت نحو غايات مشابهة في دول أخرى في المنطقة والعالم.

3-3-1 - 2 جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية في السعودية

تتشهد جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية، التي افتتحت رسمياً في العام 2009 في مدينة تول، شمال مدينة جدة، التميز في مضماري الأبحاث والتعليم العالي. وتتضمن الجامعة أربعة أقسام أكاديمية هي قسم علوم الأرض وعلوم وهندسة البيئة، وقسم العلوم الحيوية والهندسة الحيوية، وقسم الرياضيات وعلوم وهندسة الحاسوب، وقسم العلوم والهندسة الفيزيائية والكيميائية. ومن المقرر أن تمنح الجامعة شهادات في عدد من التخصصات العلمية والهندسية تشمل الرياضيات التطبيقية والحاسوب والكيمياء والبيولوجيا والبيئة والكهرباء والميكانيك. كما تتضمن الجامعة مراكز بحثية متعددة التخصصات تتناول الحفز الكيميائي والاحتراق النظيف والعلوم البيولوجية الحاسوبية والنمذجة الهندسية وعلوم وهندسة البحر الأحمر وعلوم وهندسة الطاقة ومصادر الطاقة البديلة وتحلية المياه وإعادة استخدامها. تتركز الجهود البحثية في جامعة الملك عبد الله على إيجاد حلول للمشكلات المتعلقة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية. حيث يضم برنامج الأبحاث في الجامعة أربعة محاور

التي يشهد لها بالتفوق في الدول المتقدمة. وقد أحدثت مؤسسة قطر مدينة التعليم في مطلع العقد الماضي كمؤسسة خاصة لا تسعى للربح. وتتركز أنشطة المدينة على التعليم بمختلف مراحلها، مع التركيز على التعليم العالي وتخريج أطر من مستوى النخبة في عدد من المجالات تتضمن الطب وإدارة الأعمال والهندسة. كما تتضمن أنشطة المؤسسة والمدينة القيام بالبحث العلمي وتعزيز التنمية المحلية.

تتضمن مدينة التعليم في مؤسسة قطر ست جامعات: جامعة فرجينيا كومونويلث في قطر التي تأسست العام 1998، وكلية وايل كورنيل للطب في قطر التي تأسست العام 2002، وجامعة تكساس (A&M) في قطر التي تأسست العام 2003، وجامعة كارنيجي ميللون في قطر التي تأسست العام 2004، وكلية جورج تاون لدراسات الشؤون الدولية التي أحدثت العام 2005، وجامعة نورث وسترن في قطر التي أنشئت العام 2008. وقد شهد العام 2008 بداية تدريس صفوف الهندسة الأولى في جامعة تكساس (A&M). كما شهد العام ذاته تخرج الدفعات الأولى من برامج التدريس التي قامت بها هذه الجامعة وكذلك تخرج الدفعة الأولى من الطلبة الذين أتموا دراسات المرحلة الأولى في الطب البشري في كلية وايل كورنيل للطب وتخرج الدفعة الأولى من طلبة جامعة كارنيجي ميللون في قطر.

ومن المتوقع أن تفتح فروع الجامعات الممثلة في مدينة التعليم خلال السنوات المقبلة بتكوين مراكز تميز في مضمار التعليم العالي. كما يتوقع أن تسهم هذه الفروع بتقديم اسهامات حيوية على الصعيدين الوطني والإقليمي مع تزايد تعداد خريجها من مواطني قطر والدول المجاورة وانهماكهم في أنشطة فروع الجامعات التي تخرجوا منها وفي جهود التنمية الاقتصادية

تقدم مدينة التعليم في قطر مثلاً عن سعي دول الخليج لإنشاء فروع لبعض الجامعات التي يشهد لها بالتفوق في الدول المتقدمة. وتتضمن هذه المدينة ست جامعات: جامعة فرجينيا كومونويلث (1998)، كلية وايل كورنيل للطب (2002)، جامعة تكساس (A&M) (2003)، كلية جورج تاون لدراسات الشؤون الدولية (2005)، جامعة نورث وسترن (2008). لكن النجاح الأمثل لهذه الجامعات مازال يتوقف على توفير بنى تحتية وطنية لها وعلى وجه الخصوص في مجال الهيئة التدريسية المتاحة..

دراسة الشعاب المرجانية والتيارات المائية ومصائد الأسماك في البحر الأحمر واستزراع الأحياء والنباتات المائية، والمساحة البحرية لتقديم وصف شامل لجغرافية البحر الأحمر الفيزيائية، وإجراء دراسات للنظم البيئية الطبيعية للشعاب المرجانية تقدم أساساً لرصد البيئة الساحلية على المدى البعيد. وستعمل الجامعة مع علماء المعهد لتأسيس مركز الأبحاث البحرية في الجامعة، والمعهد الفرنسي للبحر للتعامل في برامج أبحاث الطاقة النظيفة واستخلاص غاز ثاني أكسيد الكربون من الهواء والحفز الكيميائي والنمذجة الرياضية في الهندسة الكيميائية.

3-3-1-3 المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتقنية في سوريا

يعتبر المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتقنية في سوريا من أولى المبادرات العربية الساعية للتميز في مضمار التعليم العالي والبحث العلمي. إذ تأسس المعهد في سبعينيات القرن الماضي مستنداً إلى اتفاقية للتعاون بين المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتقنية ومجموعة المدارس الكبرى الفرنسية⁴⁹، لإعداد الطلبة المتفوقين في امتحانات الشهادة الثانوية إعداداً خاصاً يتيح لهم الالتحاق بالمدارس الكبرى في فرنسا لمتابعة الدراسة الجامعية. وتركز الإعداد الخاص الذي ناله هؤلاء الطلبة على تحصيل اللغات وتمتين معارفهم في الرياضيات والعلوم الأساسية. وكان التدريس والتقييم يتم بمعونة من أساتذة فرنسيين من المعاهد المرموقة التي كان الطلبة يوفدون إليها لاحقاً، وذلك لنيل شهادات الهندسة ومن ثم شهادات عليا ضمن تخصصات تضمنت تقنيات المعلومات والاتصالات والأنتمة والإلكترونيات

استراتيجية: الموارد والطاقة والبيئة، والعلوم والهندسة الحيوية، وعلوم وهندسة المواد، والرياضيات التطبيقية والحوسبة. وقد تمّ تجهيز مختبرات الأبحاث في الجامعة بأحدث الأجهزة والمعدات. ومن الأمثلة على ذلك:

- الحاسوب العملاق الأول من نوعه في المنطقة الذي تمّ تصميمه بالتعاون مع شركة آي بي إم بحيث يستثنى له إجراء 222 تريليون عملية حسابية في الثانية؛
- مختبر واقع افتراضي تمّ بناؤه بالشراكة مع جامعة كاليفورنيا ليمنح الطلبة والباحثين في الجامعة القدرة على تحويل البيانات إلى هياكل ثلاثية الأبعاد؛

- غرفة نظيفة مجهزة بأحدث الأدوات لدعم البحوث في مجال المواد المتقدمة، والتقنية الحيوية، والإلكترونيات والضوئيات، والأنظمة الإلكترونية ميكانيكية الميكرومترية والنانومترية؛
- تجهيزات متقدمة تستخدم مطيافية الرنين النووي المغناطيسي ومطيافية رامان ومرافق للفحص المجهرى بالمسح الضوئي وإنفاذ الإشعاع وغيرها من التجهيزات المصممة لدراسة السطوح والمواد على المستوى النانومتري؛

- مختبر للموارد الساحلية والبحرية يقدم الخدمات لسفن الأبحاث في مجال الاستكشافات والكائنات البحرية؛
- مختبرات التقنيات الجينومية والبروتيومية المجهزة بالإنسالات والمعدات المؤتمتة لدراسة سلاسل الحمض النووي والتحليل الجيني وتفحص العمليات الخلوية.

وترتبط الجامعة باتفاقيات للتعاون مع عدد من المعاهد المرموقة منها معهد وودز هول لعلوم المحيطات لتعزيز الأبحاث في مجالات تتضمن

تشهد جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية، التي افتتحت رسمياً في العام 2009 في مدينة تول في شمال مدينة جدة، التميز في مضماري الأبحاث والتعليم العالي. وتتضمن أربعة أقسام أكاديمية هي: قسم علوم الأرض وعلوم وهندسة البيئة، وقسم العلوم الحيوية والهندسة الحيوية، وقسم الرياضيات وعلوم وهندسة الحاسوب، وقسم العلوم والهندسة الفيزيائية والكيميائية. كما تتضمن الجامعة مراكز بحثية متعددة التخصصات تتناول الحفز الكيميائي والاحتراق النظيف والعلوم البيولوجية الحاسوبية والنمذجة الهندسية وعلوم وهندسة البحر الأحمر وعلوم وهندسة الطاقة ومصادر الطاقة البديلة وتحلية المياه وإعادة استخدامها..

ولإسهاماتهم ضمن هيئة التدريس في هذه الكلية. كما قدّم خريجو قسم هندسة الإدارة في المعهد إسهامات ثمينة على أصددها مماثلة.

تأسس ضمنها **المعهد العالي** تختلف من عدة نواح جوهرية عن الظروف التي أحدثت ضمنها مدينة التعليم في قطر. لكن من المفيد إلقاء نظرة متمعنة في المستقبل إلى هاتين التجربتين بخاصة لانطلاقهما من طرفي نقيض، من حيث الموارد المالية التي خصّصت لتأسيسهما ولاستدامة أنشطتهما، ومدى انهماك الأطر الوطنية في التخطيط لهما، ومن ثم إدارة أعمالهما، وما حققته من منجزات وتكامل مؤسسي على الصعيد الوطني.

3-3-2 مبادرات للتميز البحثي

أنشئت خلال السنوات القليلة الماضية في عدد محدود من الدول العربية، على رأسها **مصر والسعودية** مراكز للأبحاث تستهدف التميز في مجالات محددة تتناول التقنيات الحديثة. وعلى الرغم من حداثة عهد هذه المراكز فإنها قد تقطع أشواطاً ملموسة خلال فترات وجيزة. إذ أنها تبني في الحالتين على مخزون ملموس من الخبرات في مجالات الاختصاص التي تتصدى للعمل بها. كما أنها تتمتع في الحالتين أيضاً بخبرات أجنبية تقدمها مؤسسات بحثية مرموقة في دول متقدمة. وفيما يلي صورة موجزة عن هذه المراكز العربية.

3-3-2-1 مركز التميز للعلوم

المتقدمة في مصر

أنشئ مركز التميز للعلوم المتقدمة من قبل **المركز القومي للأبحاث في مصر** مطلع العام 2008⁵¹، وتتضمن رسالة هذا المركز السعي لتحويل نزف العقول من مصر إلى كسبها. كما تتضمن بناء القدرات الوطنية في مجالات العلوم المتقدمة وإنجاز أبحاث أساسية وتطبيقية في

الميكروية وهندسة الإدارة. وهذا بحيث تشكلت كتلة حرجة من الأطر التدريسية التي أمكن بالاستناد إليها افتتاح أقسام تخصصية في **المعهد العالي** لاستقبال وتخريج المزيد من الطلبة المتفوقين بعد خوضهم المرحلة الإعدادية التي سبق ذكرها. ومن المآخذ التي ترد في نقد نموذج المعهد العالي اقتصاره على عدد محدود من الاختصاصات. لكن يُشهد في الوقت ذاته للمعهد العالي نجاحه في تخريج مجموعة من الأطر المتفوقة أثمرت، في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي بوجه الخصوص، بتوطين خبرات تدريسية، وبحثية أيضاً، ضمن مجالات لم تكن متاحة في الماضي. وعلى الرغم من أن السوية المتفوقة التي تمتّع بها خريجو المعهد أدت إلى اصطيادهم من قبل مؤسسات الأعمال الفرنسية، والأوروبية عموماً، إلا أن أعداداً ملموسة كانت تعود للإسهام في تطوير قدرات المعهد وتوسيع رقعتها. ومما يميّز تجربة المعهد العالي أنه زوّد **سوريا** بالرعيل الأول من مهندسي المعلوماتية الذين قادوا سعيها نحو توطین هذه التقنية وتجديرها خلال العقدين الماضيين⁵⁰.

والواقع أن مقارنة النموذج الذي اتبع في تأسيس وإدارة **المعهد العالي في سوريا** بالنموذج الذي تتبعه مدينة التعليم في **مؤسسة قطر** مثلاً غير ممكنة لأسباب عديدة. منها أن تقييم "تجارب" من هذا النوع غير ذي دلالة قبل انقضاء فترة كافية على الشروع بها، تقدر بعقد ونيف من الزمن على أقل تقدير. وبينما تسمح "تجربة" **المعهد العالي** بتقييم ينطوي على بعض العمق، فإن هذا غير ممكن الآن في حالة **مدينة التعليم في قطر**، إذ لم تمض على تأسيس فروع جامعاتها فترة كافية. كذلك فإن الظروف التي

أنشئ مركز التميز للعلوم المتقدمة من قبل المركز القومي للبحوث في مصر مطلع العام 2008 وتتضمن رسالة هذا المركز السعي لتحويل نزف العقول من مصر إلى كسبها. كما تتضمن بناء القدرات الوطنية في مجالات العلوم المتقدمة وإنجاز أبحاث أساسية وتطبيقية في العلوم المتقدمة من قبل فرق متعددة التخصصات..

51 أنشئ مركز التميز للعلوم المتقدمة بناء على مشروع كان المركز القومي للأبحاث قد أطلقه العام 2006. أنظر الموقع: <http://ceas-nrc.org/pages.php?id=2>، الذي تمّ الاطلاع عليه في حزيران/ يونيو العام 2010.

سنتين أو ثلاث سنوات بعد عودتهم من الإيفاد، ليتسنى لهم الإسهام في تطوير إمكانات مركز التميز من الجوانب المختلفة.

ويقدم الجدول رقم (17) لائحة بمشروعات الأبحاث التي أجريت خلال السنتين 2007 - 2008 و 2008 - 2009. ويبين الجدول تضاعف تعداد الأبحاث التي طرحت من قبل جهات وطنية أو التي تنفذ لصالحها أو بالتعاون معها. كما يبين الجدول ازدياداً نسبياً في تعداد الأبحاث المشتركة مع جهات دولية. ويقابل الزيادة في هذين الصنفين من الأبحاث تناقص في تعداد الأبحاث التي يتم تنفيذها لصالح المركز القومي أو بناء على تكليف منه.

ويعطي الجدول رقم (18) لائحة بتعداد الأوراق التي نشرتها مجموعات الأبحاث في مركز التميز في الدوريات الدولية والبراءات الممنوحة لها والجوائز العلمية التي حازتها في الفترة 2007 - 2009. ومن الجدير بالذكر أن البراءات التي نالها مركز التميز تنقسم بالتساوي بين تلك التي منحت من قبل جهات دولية وتلك التي منحتها الجهة الوطنية المسؤولة. ويلاحظ أن تعداد الأوراق العلمية المنشورة في الدوريات الدولية والجوائز التي نالتها مجموعات البحث بقي ثابتاً في العامين الذين توافرت المعلومات حولهما.

3-3-2 مراكز التميز البحثي في السعودية

تتضمن الخطة الوطنية الأولى للعلوم والتقنية والابتكار في السعودية مشروعات

العلوم المتقدمة من قبل فرق متعددة التخصصات. ويقوم مركز التميز بأبحاث رفيعة المستوى كما يسعى لتدريب الباحثين الجدد من سوية النخبة في أبحاث التقنية الحيوية وتقنية النانو والطاقة المتجددة والصيدلانيات. ويستمد مركز التميز الأطر البحثية العاملة لديه من الباحثين الذين يوفدهم المركز القومي للدراسة للخارج. ويُنتقى المختصون في مجالات تقع من ضمن اهتمامات مركز التميز للعلوم المتقدمة للعمل فيه لمدة

أبحاث مركز تميز العلوم المتقدمة في مصر

جدول رقم 17

نسبة التبدل (%)	2009 - 2008	2008 - 2007	
35-	26	40	أبحاث المركز القومي
100	16	8	أبحاث وطنية
43	33	23	أبحاث دولية
6	75	71	المجموع

مجموع الأوراق المنشورة في الدوريات الدولية والبراءات الممنوحة والجوائز العلمية التي منحت لمركز تميز العلوم المتقدمة

جدول رقم 18

2009 - 2008	2008 - 2007	
90	93	الأوراق المنشورة في الدوريات الدولية
5	4	البراءات الممنوحة ⁵²
10	10	الجوائز العلمية ⁵³

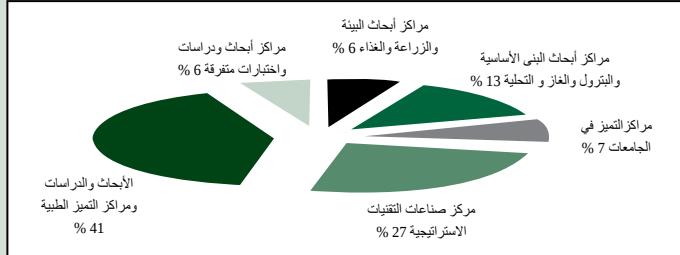
52 يتوزع تعداد البراءات على صنفين من الجهات المانحة. فهي تمنح إما من قبل إحدى مكاتب براءات الاختراع في دول العالم أو من قبل الدائرة الوطنية المختصة. وقد منحت جهات دولية مركز التميز براءتين في العام 2007 - 2008، من أصل أربع براءات حصل عليها ذلك العام. ثم منحت هذه الجهات ثلاث براءات، من أصل خمس، في العام التالي.

53 يتوزع تعداد الجوائز العلمية على ثلاثة من المصادر: الدولية وتلك التي يمنحها المركز القومي وجوائز الدولة. وقد نال مركز التميز جائزة دولية واحدة في العام 2007 - 2008 وجائزتين دوليتين في العام التالي.

54 وثائق الخطة الوطنية الأولى للعلوم والتقنية والابتكار في المملكة العربية السعودية، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، العام 2010.

شكل رقم 7

المخطط: مخصصات برنامج تطوير قدرات البحث العلمي والتطوير التقني ضمن الخطة الوطنية الأولى للعلوم والتقنية والابتكار في السعودية (مجموع مخصصات البرنامج: 2.3 ريال سعودي)



ويتضمن برنامج آخر يتم تنفيذه ضمن إطار الخطة الخمسية الأولى، هو برنامج نقل وتوطين وتطوير التقنية، برامج فرعية تهدف لتشييد المناطق الصناعية ومراكز التميز وحاضنات التقنية. تفوق الميزانية المكرسة لهذه البرامج الفرعية 100 مليون دولار أميركي. وتتضمن مخصصاته إنشاء واحة للعلوم في جامعة الملك سعود، كُرس لها مبلغاً يقارب 14 مليون دولار أميركي. كما تتضمن مخصصات هذا البرنامج قرابة 28 مليون دولار أميركي، أو 16 % من المخصصات الإجمالية للبرنامج، ستستخدمها وزارة التجارة والصناعة لإنشاء مركز يقوم بتطوير وتنمية أنشطة المنشآت الصغيرة والمتوسطة ووحدة لتطوير وتوطين الصناعات التقنية⁵⁷.

وتتضمن الخطة الخمسية الأولى للعلوم والتقنية والابتكار أيضاً المزيد من المشروعات الرامية لإحداث مراكز تميز بحثي تسهم مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالتخطيط في

تسعى لتحسين تنافسية الاقتصاد الوطني وتنويع مصادر الدخل الوطني وتوليد فرص جديدة للعمل وتأمين مستويات أفضل من الرعاية الصحية (الشكل رقم 7). ومن هذه المشروعات ما ينشد إحداث مراكز للتميز وحاضنات للتقنية ومراكز لتوطين وتطوير التقنيات الحديثة. وقد كُرس لتنفيذ هذه المشروعات ما يقارب 670 مليون دولار أميركي، أو ما يزيد على 32 % من المخصصات الإجمالية للخطة الأولى⁵⁴. وتنفذ هذه المشروعات ضمن برنامج "تطوير قدرات البحث العلمي" الذي يشكل جانباً مهماً من الخطة الأولى للعلوم والتقنية في المملكة. ويلخص المخطط التالي توزع مكونات برنامج تطوير قدرات البحث العلمي على المراكز ومجالات الأبحاث⁵⁵. ويلاحظ أن هذا البرنامج يولي قسماً كبيراً من الاهتمام لإنشاء مراكز التميز الطبية وللأبحاث والدراسات المتعلقة بشؤون الرعاية الصحية. إذ كُرس لهذه المراكز نسبة تقارب 41 % من مخصصات البرنامج الإجمالية⁵⁶. كذلك فإن تقنيات الصناعات الإستراتيجية تال قسماً غير قليل من الدعم، إذ تقارب المخصصات المكرسة للمركز الذي سيتولى أنشطة محورية في هذا المضمار 27 % من إجمالي مخصصات البرنامج. ويجدر الذكر هنا أن الأبحاث المتصلة بالبتروك والغاز وتحلية المياه تال مخصصات إضافية من برنامج آخر مختص بحياسة التقنيات المتقدمة والاستراتيجية، إضافة لما كُرس لها من ضمن برنامج قدرات البحث العلمي لإنشاء مركز متخصص في البتروك والغاز والتحلية.

55 تشمل مراكز الأبحاث والاختبارات المتفرقة التي يشير إليها المخطط مراكز تعنى بدراسات وأبحاث الجودة ونظم الحكومة الإلكترونية والخدمات الاجتماعية، بينما تتضمن الزمرة التي يشير إليها المخطط بمراكز البنى الأساسية والبتروك والغاز وتحلية المياه مراكز لأبحاث الطرق والطاقة الكهربائية والخدمات البلدية.

56 تال أمراض كالسكري وآفات جهاز الدورة الدموية والأورام السرطانية قدرًا ملموساً من العناية.

57 كذلك كُرس مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنية ما يقارب 16 بالمائة من مخصصاتها ضمن إطار الخطة الخمسية الأولى للعلوم والتقنية لإنشاء خمس حاضنات تقنية في جامعات المملكة.

58 تشد الدول المتقدمة والدول الساعية إلى التصنيع في العالم مثل هذه الغايات من خلال طيف واسع من الإجراءات تتضمن الإعفاءات

- والأنشطة البحثية.
- استقطاب الموهوبين والباحثين والمهنيين لإيجاد الحلول المبتكرة والتقنيات الجديدة؛
- تنشيط العمل الجماعي ضمن وبين التخصصات المعنية؛
- تقديم الدعم والمساعدة التقنية والبحثية للجهات والمؤسسات التي تحتاجها داخل الجامعة الأم وخارجها؛
- دعم الشراكة بين الباحثين والعلماء والجهات الحكومية والخاصة بغية ابتكار تقنيات متطورة؛
- الإسهام في تأهيل قوى عاملة متخصصة وقادرة على المنافسة؛
- تطوير برامج تعليمية في موضوعات تخصصية ضمن برامج الدراسات العليا.
- وفي ما يتعلق بمراكز التميز التي تشد الوصول إلى تقنيات صناعية معيّنة وترسيخها، في مجالات كصناعة التكرير والبتروكيماويات والتآكل مثلاً، ترمي مراكز التميز البحثي لأهداف منها:
- توليد مخترعات وابتكارات في مجالات منتقاة تتلاقى مع أولويات الصناعة؛
- تطوير منتجات وعمليات إنتاجية تسفر عن قيم إضافية أفضل وتكاليف إنتاج أدنى؛
- تعزيز تنافسية الصناعات الوطنية وتكاملها مقارنة بنظيراتها في أنحاء العالم.

3 - 4 مقومات نجاح مراكز التميز في الدول العربية

- لقد عززت مراكز التميز نقل التقنية ونشرها في عديد من دول العالم. وتفيد قصص النجاح والإخفاق التي شهدتها العقود القليلة الماضية إلى عدم وجود منهج وحيد أو وصفة فريدة تضمن نجاح مراكز التميز في كل البلدان وضمن جميع المجالات. وعلى الرغم من أن الدول العربية تشترك في الكثير من الخصائص،

إنجازها. ومن الأمثلة على هذه المراكز مركز تميز الحياة الفطرية في الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، ومركز تميز لأبحاث ودراسات البترول والغاز سيستحدث ضمن وزارة البترول، ومركز تميز لأبحاث الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية تستضيفه مستشفى الملك فيصل التخصصي، ومركز تميز لأبحاث ودراسات تقنيات المحافظة على البيئة لدى الرئاسة العامة للأرصاد.

من جهة أخرى أطلقت وزارة التعليم العالي ضمن إطار الخطة الخمسية الأولى للعلوم والتقنية والابتكار مبادرة "مراكز التميز البحثي" لإحداث مراكز تميز تسعى إلى تلبية الحاجة لمزيد من التعاون في المشروعات التي يتطلب إنجازها تضافر العاملين في تخصصات متعددة والتي تتسم بأهداف متوسطة وبعيدة المدى لا يمكن لمعهد أو مركز وحيد أن يحققها بمفرده. وسيتم بنتيجة مبادرة مراكز التميز البحثي دعم وإنشاء مراكز تميز بحثية ضمن جامعات المملكة يُراد منها إحراز مركز الصدارة ضمن تخصصاتها وتوجهاتها البحثية على المستوى الوطني والإقليمي، وربما الدولي أيضاً. يتضمن الجدول رقم (19) لائحة بهذه المراكز التي كرس لإحداثها ميزانية تفوق 130 مليون دولار أميركي. وتتضمن خطط الإنجاز المرسومة لمعظم المراكز الأهداف العامة التالية:

- بناء قواعد علمية وبحثية متميزة وتوظيفها لحل المشكلات المعقدة؛

- خلق بيئة مناسبة لمساعدة الباحثين للتوصل إلى حلول ابتكارية لمشروعات معيّنة؛
- إنجاز أنشطة بحثية واعدة بآثار اجتماعية وبيئية واقتصادية مباشرة وتعزيز تنافسية الصناعات السعودية؛
- تشكيل شبكة للتواصل والشراكة مع الوحدات المماثلة من حيث مجالات الاهتمام

مراكز التميز البحثي التي أنشئت بدعم من وزارة التعليم العالي في السعودية خلال العامين 2007 و2008

جدول رقم 19

مركز التميز البحثي	الجامعة المضيفة	مهام رئيسية
مركز بحوث المواد الهندسية	جامعة الملك سعود (2007)	إجراء بحوث تتناول المواد الهندسية بأنواعها، وتقديم الدعم والمساعدات التقنية والبحثية الممكنة للجهات والمؤسسات التي تحتاجها داخل الجامعة وخارجها.
مركز التميز لبحوث الجينوم الطبية	جامعة الملك عبد العزيز (2007)	إنجاز أنشطة البحث في مضمار الأمراض التي تعود إلى خلل جيني، وتطوير طرق تحليلية حديثة تستثمر الحاسوب لدراسة جينات محدّدة تتعلق بأمراض معيّنة.
مركز التميز في تكرير البترول والبتروكيماويات	جامعة الملك فهد للبترول والمعادن (2007)	إجراء بحوث أساسية وتطبيقية في مجالات تكرير البترول والبتروكيماويات والمحفزات وعلم تكنولوجيا البوليمرات، وتوليد مفاهيم جديدة ومليكيات فكرية، تؤدي إلى إنتاج منتجات قيمة إضافية محسّنة ذات مستوى أعلى، وتخفيض تكاليف الإنتاج.
مركز التميز البحثي في النخيل و التمور	جامعة الملك فيصل (2007)	تكريس مكانة النخيل في المملكة تراثياً واقتصادياً واجتماعياً والإسهام في تحقيق الأمن الغذائي في المملكة.
مركز التميز البحثي في التقنية الحيوية	جامعة الملك سعود (2007)	تطوير الإمكانيات البحثية في مجال التقنية الحيوية، وتحسين مستوى الدراسات العليا في الجامعة من خلال الربط بين التعليم والبحث العلمي المتميز في التقنية الحيوية، والتركيز على حل مشكلات محدّدة في المجالات الزراعية والطب والعقاقير.
مركز التميز البحثي في الدراسات البيئية	جامعة الملك عبد العزيز (2007)	دراسة تلوث بيئة البحر الأحمر والتلوث الغذائي وتلوث مياه الشرب ورصد تلوث الهواء والضوضاء والتلوث الإشعاعي وإدارة المخلفات الصلبة والتقييم البيئي للمشروعات التنموية ومكافحة الأمراض المعدية ذات المصدر البيئي مثل حمى الضنك.
مركز التميز البحثي في الطاقة المتجددة	جامعة الملك فهد للبترول والمعادن (2007)	استثمار الطاقة الشمسية وطاقة الرياح من خلال تقنيات خلايا الوقود وتقنيات تخزين الطاقة وأنظمة التحكم المتقدمة، والقيام بدراسات حول اقتصاديات الطاقة المتجددة، سعياً نحو اقتصاد مبنى على مواد الطاقة البديلة كالهيدروجين والميثانول.
مركز التميز البحثي في أبحاث الحج والعمرة	جامعة أم القرى (2007)	تطوير البيئة العمرانية ووسائل النقل وإدارة الحشود والتحكم بها وتوطين التقنيات المتقدمة وتطبيقاتها في خدمة الحجاج.
مركز التميز البحثي في تطوير تعليم العلوم والرياضيات	جامعة الملك سعود (2008)	تطوير تعليم العلوم والرياضيات وأبحاثها وتقديم الدعم العلمي والتربوي للمؤسسات التعليمية على المستوى المحلي والعربي والعالمي.
مركز التميز البحثي في التآكل	جامعة الملك فهد للبترول والمعادن (2008)	معالجة مشكلات التآكل وتطوير برامج مشتركة مع الصناعة وابتكار وسائل محلية لمراقبة التآكل بغية الحيلولة دونما حصول أعطال كارثية في قطاع الصناعة.
مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (2008)	تقديم المشورة الفقهية للجهات الحكومية والأهلية من مصارف أو شركات أو مؤسسات صحية أو خدمية.
مركز التميز البحثي في تحلية المياه	جامعة الملك عبد العزيز (2008)	القيام بالأبحاث الأساسية والتطبيقية في مجالات تحلية المياه، وتقييم طرق التحلية الحرارية والغشائية والحيوية والكيميائية للمياه تقنياً واقتصادياً وبيئياً وتقييم وتحسين المواد الإنشائية المستخدمة فيها.
مركز التميز البحثي في هشاشة العظام	جامعة الملك عبد العزيز (2008)	التوصل إلى معارف جديدة تسمح بتشخيص وعلاج وإدارة هشاشة العظام والخروج بممارسات سريرية مناسبة، وتطوير تقنيات علاجية متطورة تستند إلى التقنية الحيوية، والارتقاء بالوعي العام بمخاطر هشاشة العظام.
مركز التميز البحثي في أمن المعلومات	جامعة الملك سعود (2008)	تقديم الحلول والخدمات الاستشارية المتخصصة في مضمار أمن المعلومات، والقيام بدراسات وأبحاث تؤهل المركز للريادة في هذا المضمار على الصعد الوطنية والإقليمية والعالمية.

أنظر إلى الموقع: <http://www.mohe.gov.sa/ar/Secretariats-and-committees/Research-centers-of-excellence/Pages/crc2.aspx>

لا يمكن للبني المؤسسية التقليدية العربية من جامعات ومراكز للبحث مجابهتها بيسر وكفاءة. وعلى الرغم من أن البني المؤسسية الجديدة، من مدن وحدائق وواحات وحاضنات، تفلح عادة في سدّ العديد من الثغرات التي عانت منها البني السابقة، فإنها، على أهميتها، ليست كافية إن لم يتوافر مناخ مؤاتٍ، وترتيبات إدارية تتضمن سياسات وطنية وأطر تشريعية وتنظيمية ومؤسسية، بالإضافة إلى الموارد المالية والبشرية القادرة والمؤسسات المساندة والمؤازرة، في مجالات القياس والمعايرة ومراقبة الجودة.

4 - 1 البني المؤسسية الجديدة وسياسات العلم والتقنية

شكّد معظم الدول العربية مكّونات في منظومات العلم والتقنية الوطنية خلال النصف الثاني من القرن الماضي، من دون الاستناد إلى سياسات وطنية شاملة وواضحة المعالم للعلم والتقنية. بينما تمثل هذه السياسات الأساس الموضوعي من أجل بناء قدرات مستدامة تسمح بالتنافس في الأسواق الدولية وتعمّ فوائدها شرائح المجتمع كافة، كما تلعب دوراً أساسياً في التنسيق بين منظومات التعليم العالي من جهة والمؤسسات الإنتاجية والخدمية من جهة أخرى، وفي تعزيز آليات نشر التقنية وفي إزالة العقبات التي تواجه التعاون الإقليمي والدولي وفي إصلاح مؤسسات التعليم العالي والبحث والتطوير وضمان تكيّفها مع التطورات التقنية المتسارعة.

كما أن سياسات العلم والتقنية تكفل الحد الأدنى من الموارد لأنشطة البحث والتطوير والتعليم العالي التخصصي. وهي أنشطة لا غنى عنها لتمكين منظومات العلم والتقنية والتجديد من استدامة أنشطتها وتطوير ذاتها في الأمد

فإن أنظمتها الاقتصادية تتسم باختلافات واضحة، وهذا بخاصة في ما يتعلق باشتراك الدولة في تخطيط الاقتصاد وإدارته. ويحتم هذا تصميم المبادرات الوطنية لتتلاءم والنظام الاقتصادي في البلد المعني والموارد المتاحة له وأولويات التنمية التي يتبنّاها والاستراتيجيات التي يتبعها لمقاربة أهدافه.

وتتمتع المبادرات المكرّسة لوضع السياسات الوطنية للعلم والتقنية، ولصيغة استراتيجيات ملائمة لتنفيذها، بأهمية رئيسة في السعي نحو إحراز قدرات تقنية مفيدة على الصعيد العملي. كما أن تطوير البيئة الملائمة للتجديد من الجوانب التشريعية والتنظيمية شرط لا غنى عنه على هذا المسار. إذ إن البيئة التشريعية والتنظيمية مسؤولة لأبعد الحدود عن فرص تأمين الموارد المالية واستدامتها والإمكانات المستقبلية لتكوين الأطر المؤسسية وتجميع الخبرات وتدريب العاملين من المستويات المختلفة. وفي نهاية المطاف فإن مستوى النضج الذي يميّز البني المؤسسية العلمية والتقنية عامل حاسم في النجاح. كذلك شأن المقدرة على تصميم البني المؤسسية الجديدة من تجمعات تقنية - صناعية وشبكات المؤسسات وإدارتها. والنجاح في بناء قدرات علمية وتقنية متميّزة تشمل بمنافعها شرائح المجتمع كافة يتطلب تأزر الحكومات وهيئات المجتمع المدني والمنظمات الدولية المعنية في تنفيذ جوانب محدّدة من المشروعات الوطنية الرامية لإحراز هذه القدرات.

4 - 2 أطر لإنشاء البني المؤسسية الجديدة

برزت خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي ومطلع القرن الحالي تحديات جديدة في حيازة التقنيات الحديثة وتطويرها وتطويرها ونشرها

البنى المؤسسية الجديدة، من مراكز تميز وحدائق وحاضنات للتقنية. وذلك بالتشاور الوثيق مع مؤسسات القطاعين العام والخاص ومؤسسات المجتمع المدني. ومن المتوقع أن يؤدي بناء مثل هذه الشراكة إلى تحقيق النتائج المرجوة إذا استند إلى معلومات وتحليل معمقة حول احتياجات هذه القطاعات وتناسبتها على الصعيد الإقليمي والدولي وحول المسارات المحتملة للتقدم التقني في المجالات التي تهم الأولويات الوطنية في مجالات الإنتاج والتطوير.

4-2 التشريعات والترتيبات التنظيمية

يتطلب إنشاء البنى المؤسسية الجديدة مثل مدن التقنية والحاضنات ومراكز التميز، وتوفير المرونة اللازمة لحسن أدائها، سنّ تشريعات وترتيبات تنظيمية مؤقتة، تفنقر إليها معظم الدول العربية، حيث تضع هذه التشريعات والترتيبات عوائق جسيمة في وجه التعاون بين مراكز الأبحاث التابعة للجهات الحكومية وجهات القطاع الخاص، وحتى القطاع العام، التي تحتاج لاستثمار مخرجات البحث والتطوير. كما ينبغي إفصاح المجال في حقول منتقاة لتعاون مراكز البحث والتطوير مع الجهات الإقليمية والدولية ضمن مبادرات متعددة الجنسية، حيث يخلف قصور التشريعات آثاراً سلبية ملموسة على التعاون بين الجهات الوطنية والأجنبية.⁵⁹ ولا بدّ للدول العربية من متابعة ما قامت به دول مثل ماليزيا وتركيا وفنلندا وإيرلندا خلال العقدين الماضيين من تعديلات على نظمها الضريبية في سياق التحول نحو اقتصاد قائم على المعرفة، بحيث يتسنى لها التوصل إلى خبرات وأسواق أرحب مما هو متاح لها الآن ضمن حدود وعلى الصعيد

الأبعد. وفي الكثير من الحالات يُعزى الفشل في بناء القدرات العلمية والتقنية، أو قصورها في تحقيق ما حُطّط لإنجازه، إلى غياب الرؤية والإطار الشامل والتنسيقي الذي تقدمه السياسات الوطنية الشاملة للعلم والتقنية.

أما وقد دخل العالم مرحلة جديدة يحتم فيها التنافس المستند إلى المدخلات العلمية والتقنية والتجديد المستند إلى هذه المدخلات في سائر قطاعات الإنتاج والخدمات، فمن الواجب إعادة النظر في الأطر التي حكمت في الماضي عمليات بناء القدرات العلمية والتقنية. ومن الضروري أن تولي المؤسسات المعنية بالتنمية الاقتصادية في الدول العربية اهتماماً خاصاً بتطوير سياسات واستراتيجيات العلم والتقنية والتجديد وصياغة السبل التي من شأنها تحفيز القطاع الخاص للقيام بدور أكبر في تنفيذها من خلال الإسهام في توليد ونشر المدخلات التقنية الضرورية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية والاستثمار في مجالات تؤدي إلى التجديد التقني⁵⁸ وخلق مؤسسات الأعمال الصغيرة والمتوسطة التي تسهم في تطوير ونشر عناصر التجديد التقني والابتكار وتطبيقاتها إلى جوانب عديدة من حياة المواطنين. والخطوة الأولى التي يتوقع أن تقوم بها المؤسسات المعنية بالتنمية الاقتصادية القيام بتحليل معمق وتفصيلي لنقاط القوة والضعف التي يتصف بها الاقتصاد الوطني يمكن البناء عليها وانتقاء الأنماط المناسبة من المبادرات وتوجهاتها وتقديم الدعم لها. ثم لا بدّ من تولي هيئات قريبة من مركز القرار السياسي والاقتصادي مهام وضع السياسات الوطنية للعلم والتقنية والخطط الضرورية لإنجاز الاستراتيجيات المبنية عليها مع ما تتضمنه من مبادرات لتشييد

الضريبية وتقديم المساعدة المباشرة وغير المباشرة للتدريب والتزود بمقومات التجديد التقني.

59 يبقى العديد من المشروعات الاستثمارية مجمداً على الرغم مما يبذل من جهد في معظم الدول العربية لتنظيم المنتديات والمؤتمرات الدولية الرامية إلى تشجيع الاستثمارات الأجنبية. وفي تقرير صحفي حديث العهد نسبياً يشار إلى أن قيمة المشروعات المجمدة في إحدى

والمحافظة على سوية متميّزة لأنشطتها. ومن المصادر الشائعة التي تستخدم لهذا الغرض بنود الميزانية الوطنية المكرسة للمشروعات التنموية. وكثيراً ما يصنف الدعم المالي المقدّم لمبادرات العلم والتقنية ضمن بنود الإنفاق الاستثماري. فمن شأن الاستثمار بمبادرات العلم والتقنية تدعيم أداء منظومات العلم والتقنية والتجديد الوطنية، ومن ثم قدرة مؤسسات الأعمال الوطنية على المنافسة في السوق الإقليمية والدولية، مما يؤدي بدوره إلى فوائد تنعكس إيجاباً على الاقتصاد الوطني. وإذا ما صممت المبادرات والشروط المحيطة بعملها على نحو سليم، فمن المرجح أن تؤدي إلى نشوء حلقة حميدة يقود فيها تحسن التنافسية إلى منافع اقتصادية واجتماعية تنعكس على جهود التنمية بعامة وعلى مستويات الأطر البشرية التي يمكن توظيفها في مبادرات موازية أو مكملّة بخاصة.

4 - 5 استكمال البنى الأساسية في منظومات العلم والتقنية العربية

ما زالت عناصر محورية ضمن البنى الأساسية لمنظومات العلم والتقنية والتجديد الوطنية غائبة أو منقوصة الفعالية في عدد من الدول العربية. ومن هذه العناصر هيئات المعايير، ومعاهد علوم القياسات، ومراكز اختبار المواد والتصديق عليها وإدارة الجودة وحماية البيئة والمحافظة على الطاقة وغير ذلك. كما لا بدّ من تجنيد وتحفيز قدرات المنظمات غير الحكومية كغرف التجارة

الإقليمي. ومن الضروري أيضاً وضع قواعد لعمل البنى المؤسسية المستحدثة لتتلافى تحويلها إلى مجرد استثمارات عقارية بدلاً من مؤسسات لإنتاج المعرفة ونشر التقنية واستثمارها.

4 - 3 الأطر البشرية العاملة في البنى المؤسسية الجديدة

من القضايا التي اعترضت وما زالت تنتقص من كفاءة مؤسسات القطاع العام العاملة في مجالات الأبحاث والتطوير التقني في عديد من الدول العربية، تدني الرواتب والمكافآت والحوافز التي تمنح للعاملين فيها بالمقارنة مع ما يتلقاه نظراؤهم في القطاع الخاص. وعلى الرغم من ضرورة تكريس المثل التي حثت بالباحثين في القطاع العام لانتقاء البحث العلمي مهنة لهم، فلا بدّ أيضاً من منح الأكاديميين والباحثين لدى الجهات الحكومية حوافز توازي ما يقدمون من جهد، وتجاري ما يناله العاملون في مجالات مشابهة في القطاع الخاص.⁶⁰ وبما أن معظم الجامعات ومراكز البحث في الدول العربية تنتمي إلى القطاع العام، فلا بدّ من صياغة الأطر القانونية والتنظيمية بحيث يتيسّر نقل مخرجات البحث والتطوير من المؤسسات الأكاديمية والبحثية إلى حيز الاستثمار التجاري.

4-4 الموارد المالية

لا بدّ للحكومات من توفير قسط كافٍ من الموارد المالية اللازمة لبناء القدرات التقنية

الدول العربية تربو على الخمسين مليار دولار. ويعزو الخبراء هذا القصور إلى الأساليب البيروقراطية المتبعة في دراسة وتنفيذ المشروعات وتختلف النظم المصرفية. أنظر الموقع: <http://www.uaeec.com/news-action-show-id-19047.htm>. تم الإطلاع على الموقع في حزيران/ يونيو 2010.

60 تجدر الإشارة إلى أن فرنسا، مثلاً، توجهت في العام 1999 لوضع الأطر القانونية اللازمة لدعم وتحفيز التعاون بين المؤسسات الأكاديمية والحكومية والشركات الخاصة. ولا بدّ بصورة عامة من اتخاذ التدابير اللازمة لتجنب تضارب المصالح الذي قد يسببه الولاء المزدوج للمؤسسات الأكاديمية والحكومية من جهة ومشروعات الشركات التي قد تنشأ بناءً على نتائج البحث والتطوير التي ساهموا بإخراجها أو التي يقومون بمساندتها، من جهة أخرى.

61 هنالك من يقول بأن مثل هذا الدعم جوهري ولولاه فإن كثيراً من المبادرات المزدهرة اليوم مثل صوفيا أنتيبولس، في فرنسا، ومدينة الحسن للعلم، في الأردن، وغيرهما لم تكن لترى النور أبداً.

محورية، كالتعلم والتدريب عن بعد، والتجارة الإلكترونية؛

• التوصل إلى دعم رفيع المستوى لمبادرات العلم والتقنية على المستويين الوطني والمحلي، إذ يسفر مثل هذا الدعم عن إزالة العقبات وخلق بيئة خصبة للتشاور واتخاذ القرارات ضمن أزمّة معقولة.⁶¹

5 - 1 المفاهيم والأنشطة التمهيديّة

تستند مبادرات إحداث البنى المؤسسية الجديدة عادةً إلى مفاهيم رئيسة تتصل مباشرة بالخطط الوطنية الرامية إلى تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية. وتوضع هذه المفاهيم بناءً على أنشطة تمهيدية تتضمن إجراء مسح مستفيضة وتحليل معمقة تتناول أولويات التنمية واحتياجاتها من منظومة العلم والتقنية الوطنية، والمدخلات العلمية والتقنية، بصورة عامة. كما تتضمن الأنشطة عقد لقاءات استشارية تضم الجهات المعنية كلها ليتسنى تعريف المفاهيم الرئيسة بصورة مشتركة وبحيث يتسنى تحديد الأهداف الرئيسة وأنماط الإجراءات وبدائلها إبان وضع الاستراتيجيات التفصيلية لاحقاً. فلا بدّ من التشاور مع المنظمات الحكومية وغير الحكومية المعنية، بما في ذلك معاهد التعليم العالي ومراكز الأبحاث، واتحادات غرف الصناعة والتجارة والزراعة والمؤسسات المالية وفقاً لأنماط البنى المؤسسية المزمعة.

5 - 2 دراسات الجدوى الفنيّة والاقتصادية

تعتبر دراسة الجدوى المتّزنة من الشروط الأساسية للنجاح. بينما يؤدي التفاؤل المفرط والتقليل من أهمية الصعوبات والعوائق المحتملة، إلى الفشل في آخر المطاف. لذلك لا

والصناعة والزراعة واتحادات المنتجين ونقابات العمال والفنيين. فعلى الرغم من أن مصالح أعضاء هذه المنظمات تتأثر إلى حدود كبيرة بمدخلات التجديد والتطوير التقنيّ، إلا أنها نادراً ما تضع القضايا المتصلة بهذه المدخلات على لوائح أنشطتها، بل هي تتخذ في معظم الأحيان موقف المتفرج ونادراً ما تشارك في صياغة السياسات والاستراتيجيات الوطنية الرامية لاستثمار التقنيات الجديدة في القطاعات التي تمسّها. ومن المفيد التأكيد على أهمية توافق البنى المؤسسية التي يتم إحداثها ضمن مجالات المعايير والمواصفات وضبط الجودة مع النظم العالمية أو الإقليمية، كالنظم التي تتبعها دول الاتحاد الأوروبي مثلاً.

5 - منهجيات استحداث البنى المؤسسية الجديدة

يتطلب التخطيط لبناء القدرات العلمية والتقنية والتجديد المستند إليها التسليم بدايةً بأن ما يصلح من ممارسات ضمن أطر ومجالات اقتصادية واجتماعية معيّنة لا يصحّ في جميع الأطر والمجالات. فلا بدّ من تطويع الأفكار الأساسية لتناسب متطلبات البيئة السائدة، دون الأخذ بعناصر هذه البيئة على أنها من المسلمات التي لا بدّ من التعايش معها، بل من خلال منظور يسمح بتعديلها وتطويرها أيضاً. لكن العوامل الأساسية للنجاح في استحداث البنى المؤسسية الجديدة تتضمن:

- إشراك القطاع الخاص بتخطيط وتصميم وإدارة البنى المستحدثة؛
- وضع مناهج تركز على الاعتبارات المتعلقة بالطلب ولا تسمح لجانب العرض بالتوسع من دون حدود؛
- تحفيز التطبيقات الرائدة في مجالات

على التحفيز وتنشيط الاستثمار ومراقبة الأداء، بينما يمكن أن تتولّى السلطات المحلية دور المستثمر والشريك، وللمؤسسات الأعمال أدوار تركز على مرونة القطاع الخاص وقدرته على المبادرة، أما الجامعات فخير ما تسهم به تقديم الخبرات والأطر البشرية التي تتحلّى بالمهارات الرفيعة. ثم لا بدّ من استقراء تجارب البلدان والمؤسسات التي حققت النجاح سابقاً ضمن مجالات لها الأولوية بالنسبة إلى البلدان العربية. وهذا بخاصة من حيث المناهج التي تجعل بعض الأطر التشريعية والترتيبات التنظيمية جذابة بالنسبة إلى مؤسسات الأعمال والمستثمرين من الداخل والخارج.

بدّ من صياغة مبادرات بناء القدرات استناداً إلى دراسات جدوى موضوعية وجديّة وعميقة؛ توضح الجوانب الإيجابية والسلبية للمشروع وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. ويجب أن تأخذ دراسة الجدوى بالاعتبار آراء السلطات المعنية المبنية على تفهم دقيق وتفصيلي للمشروع المزمع، إذ لا بدّ لهذه السلطات من المشاركة في اتخاذ القرارات حول القضايا الحيوية مثل نطاق وموقع المبادرة ومراحل إنجازها. كما ينبغي أن تنظر دراسة الجدوى بالعمق إلى الأولويات الوطنية وإلى توزيع القدرات والموارد البشرية الوطنية وإمكانات تطويرها بحسب الحاجة.

5- 3 خطط العمل التفصيلية

كثيراً ما تفتقر خطط العمل الرامية إلى تنفيذ مبادرات مؤسسات العلم والتقنية إلى التفاصيل حول أساليب تنفيذ المبادرات وأنماط العلاقات التي ينبغي أن تتحقق بين مكوناتها. لذا لا بدّ أن يسبق التخطيط التفصيلي جميع الأنشطة الأخرى من تخطيط هندسي للموقع وتأمين الاستثمارات اللازمة، والحاجة لوضع خطط تفصيلية نابعة من ضرورة الاستجابة لأنماط العلاقات ومتطلبات التعاون بين مكونات حدائق العلم والتقنية ومراكز التميز، وإلا أضحت المنشآت ذات طابع عمومي لا يفي بالمتطلبات التي كثيراً ما تكون ملحة لتجاوز بعض المكونات أو تباعدها، بل قد يتمّ تركيب هياكل ومعدات لتهدم في وقت لاحق أو تعيق الانتفاع الأمثل بالموقع مستقبلاً.

5- 4 توزيع العمل بين الجهات المشاركة

يعزّز توزيع العمل بين المؤسسات المعنية فرص نجاح المبادرات الرامية إلى إستحداث البنى المؤسسية الجديدة. فالحكومات أقدر

5- 5 شبكات البنى المؤسسية الجديدة

تبرز أهمية الشبكات الإقليمية أساساً في مبادرات البنى المؤسسية الجديدة عندما تفتقر هذه البنى إلى كتلة حرجة من الأطر الماهرة ويصغر حجم السوق المحلية وتكثر القيود على الموارد الاستثمارية في الدول المتجاورة. وتستغلّ بعض المبادرات الإقليمية الطابع الخاص للمناطق الحرة من أجل تبسيط إجراءات الإدارة والتعاون. وفي بعض الأحيان تلعب التحالفات الاستراتيجية بين مؤسسات الأعمال في دول نامية متجاورة والشركات متعدّدة الجنسية دوراً مهماً في إنجاح المبادرات الإقليمية. فكثيراً ما يتسنى من خلال هذه التحالفات توطيد معايير دولية لجودة المنتجات والممارسات مع ضمان مستويات مرتفعة من الاستثمار الأجنبي المباشر. ومن المفيد تحرّي إمكانات توسيع المفهوم السائد لهذه الشبكات بحيث يتجاوز النطاق التقليدي ويشمل الشبكات الافتراضية التي توحد جهود الأطراف والجهات التي تغطي مجالات تقنية ووظيفية معيّنة، وحيث تثمر هذه الشبكات بتنسيق أدوار الجهات

والأرياف. ومن المنافع غير المباشرة التي يمكن تلمسها نتيجة تشييد البنى المؤسسية الجديدة تحسن في نوعية التعليم وارتفاع في مستوى الاستثمارات المخصصة لنقل واستثمار التقنيات الجديدة وتعزيز تنافسية القطاعات التي تتفاعل معها.

وعلى الرغم من أن بعض الدول العربية، وعلى رأسها تونس ومصر والمغرب والسعودية والإمارات، قد أحدثت نماذج عديدة من البنى المؤسسية الحديثة على أراضيها، فإن الحاجة ماسة للمزيد منها، كي يتسنى لها مواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية التي تحملها السنوات والعقود المقبلة. كما أن إحراز النتائج المثلث من تشييد البنى المؤسسية الجديدة مرهون بتوافر مبادرات وأنشطة موازية يكمل بعضها بعضاً على أصعدة من أبرزها:

- تصميم سياسات تحدّد الأولويات الوطنية في مجالات العلم والتقنية، واستراتيجيات تتضمن آليات مناسبة للتنسيق بين الأنظمة والمؤسسات القائمة وتقلّص العوائق التي تواجه نشر التقنية وتكفل زيادة الإنفاق المجدي على أنشطة البحث والتطوير والتجديد بأنماطه المختلفة؛

- إعادة النظر في الأطر التشريعية والتنظيمية وإصلاحها لتتماشى مع احتياجات قطاعات الاقتصاد الوطني، وذلك من خلال تيسير الجهود الرامية إلى نقل التقنية ودعم مشروعات التجديد وإقامة روابط وثيقة بين مؤسسات البحث والتطوير، التي يتولّى القطاع الحكومي والجامعات شؤونها من جهة، ومؤسسات الأعمال من جهة أخرى؛

- تنمية وتطوير الموارد البشرية العاملة في فروع العلم والتقنية والتي تقوم باستثمار المدخلات العلمية والتقنية من خلال أنماط مستحدثة للتعليم العالي والتدريب المهني؛

المشاركة. ويمكن إن أحسنت إدارتها أن تتناغم مع وتأثر التجديد التقنيّ على الصعيدين المحليّ والوطنيّ وما يتبع ذلك من امتلاك قدرات تنافسية وإحراز أهداف تنموية.

نحو سياسة لدعم مراكز التميز العلمي

أثبتت مدن وحدائق التقنية كفاءتها في الربط بين عالم الصناعة والجامعات. كما تبين تجارب العديد من حاضنات التقنية فعالية في نشر التقنيات المستحدثة كقواعد لإطلاق مؤسسات الأعمال الصغيرة والمتوسطة. وتمكّنت مراكز التميز من توليد مدخلات ضمن حقول التقنيات المتقدمة، يمكن استثمارها في قطاعات الإنتاج والخدمات التقليدية بدلاً من تقنيات متقدمة فقدت أو تضاءلت قدراتها التنافسية. ويمكن إذا ما تم تأسيس حدائق وحاضنات التقنية ومراكز للتميز في ظل سياسات لتنمية القدرات العلمية والتقنية مرتبطة بسياسات للتنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة، إحراز منافع ثمينة تتمثل بتمتين أو اصر التعاون بين الجامعات والمشروعات الصناعية في حلّ مشكلات الصناعة، وتوليد بيئة توازر الابتكار وتشجّعه من خلال تعزيز الروابط بين المؤسسات البحثية من ناحية ومؤسسات الأعمال الإنتاجية والخدمية من ناحية ثانية، ومؤازرة الشراكات القائمة على التقنيات المستحدثة. كما تقدّم البنى المؤسسية الجديدة منافع أعم وأشمل إذ تؤسّس لإعادة هيكلة الاقتصاد وتنويع مصادر الدخل الوطنيّ ولتحقيق استثمار أمثل للموارد الطبيعية وإدخال عناصر التجديد إلى القطاعات التقليدية والاستجابة لتوقعات المواطنين المتصاعدة، وبخاصة تأمين فرص العمل للشباب منهم وتأمين حلول مجدية لعدد من المشكلات البيئية في المناطق الحضرية

مهمة في تأمين البيئة الصالحة لبناء القدرات العلمية والتقنية. فالحكومات تتحمل المسؤولية الأولى في اعتماد التشريعات والتنظيمات التي تؤازر تقدم البحث والتطوير وتعزز التوجه نحو مشروعات لا تسفر عن نقل التقنية فحسب، بل تؤدي إلى تملك أسباب تطويرها وتطويرها. كما يمكن لاتحادات الشركات الناشطة في مضمار الصناعة والزراعة والخدمات القيام بأدوار مهمة أيضاً في السعي لإنشاء بيئات تشريعية وتنظيمية مواتية، ومؤازرة الشركات ومؤسسات الأعمال الناشئة في تعاونها مع البنى المؤسسية الجديدة من حداثق للعلم والتقنية والحاضنات ومراكز للتميز البحثي.

والإدارات الحكومية المعنية، كما هو حال الجامعات والمؤسسات البحثية والتنمية، غالباً ما تكون أقدر وأكثر ملاءمة للحلول الطويلة الأجل في بناء القدرات العلمية والتقنية. فالقطاع الخاص، بما عهد عنه من تعجل لجني نتاج استثماراته، كثيراً ما يفشل في بذل جهود مستدامة. كما أن المنظمات غير الحكومية غالباً ما تشغل بمشكلات تنمية أكثر إلحاحاً، وهي تفتقر في معظم الأحيان إلى الموارد الملائمة. لذلك فإن انتهاج أساليب تستثمر في أن واحد قدرة الحكومات على السعي نحو أهداف استراتيجية بعيدة المدى، وتستغل حيوية ومرونة مؤسسات القطاع الخاص، وتوظف العزيمة التي تمتلكها المنظمات غير الحكومية، هي الكفيلة بتحقيق النتائج المثلى.

• تعزيز قدرات البنى المؤسسية الوطنية من خلال برامج للتعاون والشراكة بين البنى المؤسسية الوطنية المستحدثة، ونظيراتها في الدول المجاورة وفي بلدان أخرى في أنحاء العالم.

ولكي تؤدي مبادرات تشييد البنى المؤسسية الجديدة ثمارها لا بد من اعتبار أولويات التنمية من منظور واسع يتضمن إحراز مردود اقتصادي مناسب لقاء ما تم استثماره من موارد ويشمل في الوقت ذاته الوصول إلى أهداف اجتماعية تتضمن مثلاً تأمين فرص عمل للمواطنين وتشغيل قطاع الأعمال الصغيرة والمتوسطة. وتشهد أيضاً الوصول بالقدرات العلمية والتقنية إلى مستوى يمكن المؤسسات المعنية من الإسهام في المزيد من أنشطة التنمية العلمية والتقنية منفردة ومتعاونة مع نظيراتها في محيطها الإقليمي وفي رحاب العالم.

كما يتوجب توخي العناية لتجنب خلط وممارسات تتحول فيها مبادرات تشييد البنى المؤسسية الجديدة إلى استثمارات تقتصر على التنمية العقارية، من دون أثر ملموس على تنمية القدرات العلمية والتقنية. وتشكل دراسات الجدوى القائمة على الواقع ودقة التصميم المستندة إلى إدراك معمق لجانب الطلب قبل جانب العرض، والإدارة الجيدة التي تسهم فيها شركات القطاع الخاص عناصر أساسية للنجاح.

وفي كل ما سبق تضطلع الحكومات بأدوار

اللغة العربية والفجوة التقنية

تجسير الفجوة بين العربية والحاسوب

يُجمع الاختصاصيون في مجالات اللغة والتقنية على أن اللغة العربية لم تتل ما ينبغي لها من عناية بحيث يضحى التعامل معها باستخدام الحاسوب سيراً كما هو الحال مع اللغة الإنجليزية بخاصة، واللغات اللاتينية الأصل بعامة، علماً بأن توصّل البشر إلى المعارف من خلال لغتهم واستخدامها لتوليد معارف مستحدثة شرط أساسي من شروط التنمية المتوازنة والعادلة والمستدامة. ولن يسعف اللغة العربية وأهلها نفاذ القلة من الملمين باللغات الأجنبية إلى مصادر المعلومات ومناهل المعرفة، بل سيؤسس ذلك لانفصام المجتمعات واندحارها أمام هيمنة ثقافية مأزومة أصلاً.

يتطلب التوصل إلى معدلات لاستخدام اللغة العربية على شبكة الإنترنت بما يداني ما هو قائم الآن بالنسبة إلى لغات العالم الأخرى جهوداً كبيرة على مستويات عدّة. ومن الوجهة التقنية فقط يتطلب الوصول إلى معدلات مقبولة لاستخدام اللغة العربية اكتساب جملة من القدرات الضرورية للتعامل مع اللغة ذاتها، وصياغة وتنفيذ مبادرات طموحة على الصعيدين الوطني والإقليمي بحيث تعود اللغة العربية أداة فاعلة لإنتاج المعارف بشتى فروعها.

1 - تقنية المعلومات والاتصالات في الدول العربية

دخل الحاسوب البلدان العربية منتصف ستينيات القرن الماضي. وسادت في كثير

من الأوساط حينئذ نظرة سطحية مفادها أن الحاسوب سيصنع المعجزات، فيؤسّس لإصلاحات إدارية ويلغي الحاجة إلى الكثير من الإجراءات المضيئة من دون جهد كبير. إلا أن هذه النظرة تبدلت خلال العقود التالية من خلال التجارب التي خاضتها شركات وإدارات عديدة باستخدام حواسيب الجيل الثاني والثالث في الأعمال المالية والإدارية والإحصائية. ونظراً للقدرات المحدودة التي امتلكتها البلدان العربية آنذاك لم تتمتع هذه التطبيقات بالكفاءة والفاعلية التي تميّزت بها نظيراتها في الدول المتقدمة. وفي كثير من الحالات استخدم الحاسوب كجهاز متطوّر لطباعة الجداول الإدارية والإحصائية من دون التمكن من استغلال إمكاناته التقنية للتحليل والاستشراف.

وكان معظم التعامل مع هذه الحواسيب يتمّ دوماً باللغة الإنكليزية، بينما تميّز التعامل مع اللغة العربية، والعديد من لغات العالم الأخرى، في العقود الأولى من نشأة وانتشار الحوسبة، فلم يعد ترميز الحروف العربية وبرمجيات تسمح بمعالجة أولية لنصوصها¹.

وتزامن ظهور وانتشار الحاسوب الصغر أو minicomputer خلال سبعينيات القرن الماضي مع تحولات جذرية في عدد من التطبيقات ومع نشوء سبل لإدخال المعطيات مباشرة بواسطة المحطات الطرفية terminals. كما أضحت ربط هذه المحطات ممكناً بواسطة خطوط الهاتف، وبدأت صلة تعاظم مداها خلال ما

تشير أحوال تقنية المعلومات والاتصالات في الدول العربية إلى وجود فروق شاسعة بينها، وإلى احتدام هذه الفروق أيضاً بين شرائح المجتمع في الدول العربية ومناطقها.. كما تشير المعطيات إلى أن الفجوة الرقمية ضمن كل من البلدان العربية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمستويات الدخل والتعليم، ومتعلقة بمدى إتقان مستثمري التقنية للغات الأجنبية والإنكليزية بخاصة.. وهذا ليس منطقياً لأن النفاذ إلى الخدمات التي تحملها التقنيات الحديثة ينبغي له أن يكون متاحاً أمام شرائح المجتمع كافة وبلغتها الأم أيضاً..

1 "أداء البلدان العربية في التطبيقات المعلوماتية؛ عبد الإله الديوه جي، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، 2008.

حجر الزاوية في التنمية المعاصرة وأداة لا غنى عنها لبناء مجتمعات المعرفة العربية. وقد قطعت الدول العربية أشواطاً ملموسة في اكتساب هذه التقنيات ونشرها خلال العقدين الماضيين، إلا أن نظرة متمعة إلى أحوال تقنية المعلومات والاتصالات في الدول العربية (الجدول رقم 20) تؤكد فروقاً شاسعة بينها.

وتستخدم الفروق أيضاً بين شرائح المجتمع في الدول العربية ومناطقها. لكن الفجوة الرقمية ضمن كل من البلدان العربية تحتاج إلى دراسة متمعة. وهناك ما يشير إلى أنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمستويات الدخل والتعليم، ومتعلقة بمدى إتقان مستثمري التقنية للغات الأجنبية والإنكليزية بخاصة. ولا يعتبر من المنطقي أن يحتاج من شاء استثمار تطبيقات التقنية اللغات الأجنبية، بل من الطبيعي أن يتسنى النفاذ إلى الخدمات التي تحملها التقنيات الحديثة لشرائح المجتمع كافة بلغتها الأم. ولو اقتصر استغلال التقنيات الحديثة على من يتقن هذه اللغات فلن يؤدي ذلك إلا لمزيد من التشرذم والانقسام وما يليهما من التطرف.

وبالرجوع إلى معطيات مؤشر وضعه **الاتحاد الدولي للاتصالات** يصنّف بموجبه 154 من بلدان العالم وفقاً لعدد من العناصر الخاصة بالبنى الأساسية والتمكينية للوصول إلى تقنية المعلومات والاتصالات واستثمارها، يبدو أن الدول العربية تحتل مراتب متأخرة. فلا تقع بين الدول الخمسين الأول في ترتيب بلدان العالم التي يغطيها تقرير حديث العهد للاتحاد الدولي للاتصالات سوى ثلاث دول هي: **الإمارات (32) والبحرين (42) وقطر (44)**. بينما تقع عشر دول عربية، تتضمن **مصر وسوريا والمغرب والجزائر**، وهي من أكثر الدول العربية تعداداً، ضمن النصف الثاني من البلدان التي يغطيها

تلا من العقود بين الحاسوب وتقنية الاتصالات. وأضاف ظهور الحاسوب الشخصي في النصف الثاني من عقد السبعينيات بعداً فائق الأهمية إذ أدى متضافراً مع الإنترنت إلى دخول تقنية المعلومات والاتصالات إلى طيف غير متناه من التطبيقات².

تشكّل تقنية المعلومات والاتصالات اليوم

تعداد السكان واستخدام الإنترنت في بعض البلدان العربية

جدول رقم 20

معدل الزيادة بين 2009 - 2000	نسبة نفاذ السكان إلى الإنترنت (%)	مستخدمو الإنترنت وفقاً لآخر الإحصاءات (بالآلاف)	مستخدمو الإنترنت عام 2000 (بالآلاف)	
907	55.3	403	40	البحرين
8100	12.0	4,100	50	الجزائر
1271	2.6	19	1.4	جيبوتي
3597	21.1	16,636	450	مصر
2300	1.0	300	12	العراق
1153	25.4	1,595	127	الأردن
567	37.1	1,000	150	الكويت
215	23.5	945	300	لبنان
3130	5.1	323	10	ليبيا
519	16.3	557	90	عمان
916	14.4	356	35	فلسطين
1353	52.3	436	30	قطر
1100	1.9	60	5	موريتانيا
10343	33.4	10,443	100	المغرب
3781	27.1	7,762	200	السعودية
13900	10.2	4,200	30	السودان
11783	16.4	3,565	30	سوريا
3400	33.4	3,500	100	تونس
384	74.1	3,558	735	الإمارات
2367	1.6	370	15	اليمن

* الضفة الغربية؛ † نسبة مستخدمي الإنترنت إلى تعداد السكان.

المصدر: موقع إحصاءات الإنترنت في العالم؛ <http://www.internetworldstats.com/stats.htm>

يشير مؤشر الاتحاد الدولي للاتصالات الذي صُنّف بموجبه 154 من بلدان العالم وفقاً لعدد من العناصر الخاصة بالبنى الأساسية والتمكينية للوصول إلى تقنية المعلومات والاتصالات واستثمارها، إلى أن الدول العربية تحتل مراتب متأخرة. فلا تقع بين الدول الخمسين الأولى في ترتيب بلدان العالم سوى ثلاث دول هي: الإمارات (32) والبحرين (42) وقطر (44). بينما تقع عشر دول عربية، تتضمن مصر وسوريا والمغرب والجزائر، ضمن النصف الثاني من البلدان.

لئن كان معدل تزايد مستخدمي اللغة العربية على شبكة الإنترنت (وهو الأعلى من ضمن مجموعة اللغات العشر الأولى على الشبكة) قد داني 2300 % خلال الفترة 2000 - 2009، إلا أن تعداد مستخدمي الإنترنت من المتكلمين باللغة العربية نسبةً إلى مستخدمي الإنترنت في أنحاء العالم يقارب 3.3 % .. وهي نسبة تقارب تلك الخاصة بمستخدمي الإنترنت من المتكلمين باللغة الفرنسية نسبةً إلى مستخدميهم في أنحاء العالم والبالغة 3.2 % . ولئن آتت هذه النسبة المتعلقة بالدول العربية في المرتبة السابعة بين اللغات العشر الأولى استخداماً على شبكة الإنترنت، فإنها تبقى أدنى من نسبة تعداد سكان الدول العربية إلى مجموع سكان العالم.

خلال الفترة 2000 - 2009 (الجدول رقم 21). ولاشك أن تزايد مستخدمي اللغة العربية للإنترنت يبشر بإسهامات مقبلة لها في النهوض بالأداء المعرفي العربي وبتحقيق فرصا ثمينة لاستثمارها من أجل نشر المحتوى الرقمي بالعربية. إلا أن وجود هذه اللغة على الشبكة ما زال دون المتوسط العالمي، كما أن أهمية هذا المؤشر الإيجابي قد تنقلص إلى حدود كبيرة لدى انتشار أجيال مقبلة من تقنيات الشبكة تتطلب تعرف النصوص، إذ ستبرز حينذاك بصورة حادة مشكلات جوهريّة تعانها اللغة العربية في تفاعلها مع تقنية المعلومات.

ويوضح (الشكل رقم 8) تنامي تعداد مستخدمي الإنترنت بازدياد حصة الفرد من الدخل المحلي الإجمالي، مقاساً بمكافئ القوة الشرائية المعادل بالدولار الأميركي في بلدان العالم (النقاط السوداء) وفي الدول العربية (النقاط الخضراء)، وتبين الدائرة البرتقالية اللون المتوسط العالمي. ويبين هذا الشكل أن تزايد متوسط حصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي لا تحفز على استخدام الإنترنت بالدرجة التي تؤدي إليها زيادة مماثلة في العالم بأسره. ومن المرجح أن هذا يعود من جهة أولى إلى مدى استجابة المحتوى الرقمي باللغة العربية لاحتياجات مواطني الدول العربية ومؤسساتها، ومن جهة أخرى، لمستوى إتقان القاطنين في الدول العربية للغات أجنبية تيسر لهم استخدام الإنترنت لمختلف الأغراض. وما تزال شبكات الاتصالات التي يمكن من

التقرير. وتحتل دول أخرى مثل المغرب (101) والسودان (120) واليمن (124) وموريتانيا (134) مراتب متخلفة على سلم الاتحاد الدولي للاتصالات.

1-1 الدول العربية وشبكة الإنترنت

فاق عدد مستخدمي شبكة الإنترنت بالعربية مطلع العام 2008، ستين مليوناً من تعداد سكان البلدان العربية. أي ما يوازي معدل اختراق للإنترنت يداني نسبة قدرها 17 % من سكان الدول العربية. وتقع هذه النسبة دون المتوسط العالمي الذي يقارب 27 %، كما تعدّ من الأدنى بين نسب اختراق فئات المتكلمين بلغات العالم العشر الأولى للشبكة. وعلى الرغم من أن نسبة النفاذ هذه تداني النسبة المقابلة للمتكلمين بالصينية للإنترنت، فإن نسبة الاختراق من أجل اللغة العبرية تبلغ 66 %. وهي تقع في مصاف النسب التي حققتها لغات العالم الحية المستخدمة في دول متقدمة كاليابانية والألمانية. أما تعداد مستخدمي الإنترنت من المتكلمين باللغة العربية نسبةً إلى مستخدمي الإنترنت في أنحاء العالم فيقارب 3.3 %. وهي نسبة تأتي في المرتبة السابعة بين اللغات العشر الأولى استخداماً على شبكة الإنترنت، لكنها أدنى من نسبة تعداد سكان الدول العربية إلى مجموع سكان العالم.

أما معدل تزايد مستخدمي اللغة العربية على شبكة الإنترنت فهو الأعلى ضمن مجموعة اللغات العشر الأولى على الشبكة، إذ داني 2300 %

2 الديوه جي، في المصدر السابق.

3 قياس مجتمع المعلومات؛ الاتحاد الدولي للاتصالات؛ مؤشر تطور تقنية المعلومات والاتصالات، 2009.

من الموقع: <http://www.itu.int/ITU-D/ict/publications/idi/2009/index.html>

4 من المؤلف اعتبار جميع القاطنين في بلد ما من المتكلمين بلغته. إلا أن هذا لا ينطبق بدقة كبيرة في بعض البلدان العربية ذات تعداد السكان العرب المنخفض نسبياً ووجود مرتفع للوافدين.

Internet penetration rate 5

6 البالغ حوالي 314 مليون نسمة وفقاً لتقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (2007 - 2008). لكن إحصائيات الموقع الذي استقيت منه

جدول رقم 21

اللغات العشر الأولى بترتيب تعداد مستخدميها على شبكة الإنترنت

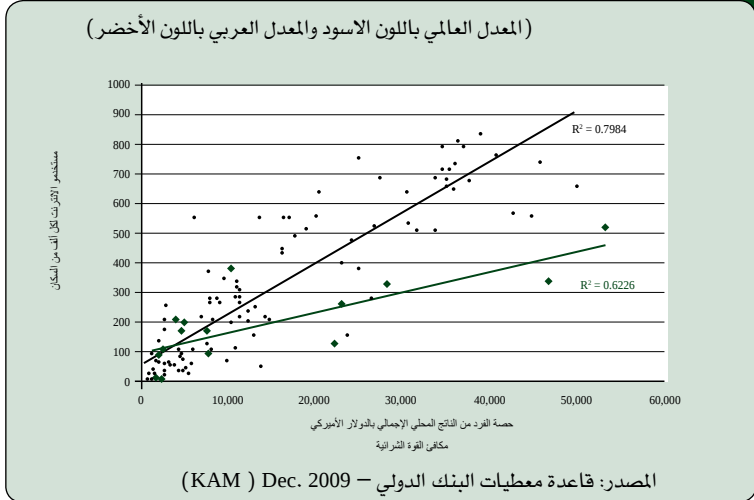
اللغات العشر الأولى	مستخدمو الإنترنت بحسب اللغة (بالملايين)	اختراق الشبكة بحسب اللغة %	نمو اللغات على الإنترنت % 2009 - 2000	نسبة مستخدمي الإنترنت إلى المجموع %	تعداد مستخدمي اللغة 2009 (بالملايين)
الإنكليزية	499.21	39.5	251.7	27.7	1,263.83
الصينية	407.65	29.7	1162.0	22.6	1,373.86
الإسبانية	139.85	34.0	669.2	7.8	411.63
اليابانية	95.98	75.5	103.9	5.3	127.08
البرتغالية	77.57	31.4	923.9	4.3	247.22
الألمانية	72.34	75.0	161.1	4.0	96.39
العربية	60.25	17.5	2297.7	3.3	344.14
الفرنسية	57.02	16.9	375.2	3.2	337.05
الروسية	45.25	32.3	1359.7	2.5	140.04
الكورية	37.48	52.7	96.8	2.1	71.17
اللغات العشر الأولى	1,492.60	33.8	379.2	82.8	4,412.42
باقي اللغات	309.74	13.2	525.3	17.2	2,355.39
المجموع العالمي	1,802.33	26.6	399.3	100.0	6,767.81

خلالها النفاذ إلى خدمات الإنترنت في الدول العربية ذات مواصفات متدنية. إذ يتمّ النفاذ إلى الإنترنت في كثير من الدول العربية من خلال خطوط تقل سرعة نقل المعطيات عبرها مئات المرات عما تتمتع به دول متقدمة، وحتى بعض الدول النامية. كما أن عرض حزمة الاتصال⁷ بشبكة الإنترنت يتفاوت بين واحدة من الدول العربية وأخرى. ولحصة المستخدم من عرض حزمة الإنترنت أهمية محورية في النفاذ إلى خدمات التعليم والصحة والارتقاء بأنشطة البحث والخدمات الحكومية، خصوصاً من أجل التطبيقات التي تتطلب معالجة متخصصة للنصوص العربية التي تتميزّ بالتعقيد في جميع الأحوال.

وقد تمكنّ بعض الدول العربية، مثل اليمن والسودان وليبيا وفلسطين، من زيادة قيمة عرض الحزمة المتاحة للمستخدم بصورة كبيرة، تجاوزت العام 2007 في حالة اليمن مثلاً، ثلاثين ضعفاً ما كانت عليه العام 2002. إلا أن هذه الدول كانت تمتلك قدرات متدنية للغاية في الماضي، لذا فإن ما أحرزت من تقدم نسبيّ باهر لا يعدّ كافياً لنشر تطبيقات تقنية المعلومات والاتصالات التعليمية والبحثية على نطاق واسع. ومن الملاحظ أن بعض الدول التي كانت تتمتع العام 2002 بمستويات مرتفعة نسبياً من حيث عرض حزمة النفاذ الدولية لم تتمكن خلال السنوات الماضية من زيادة عرض حزمة النفاذ الدولية للمستخدم إلى حدّ كبير. وبغض النظر عن أن قدرًا محدوداً من التحسينات قد أدخل على النفاذ إلى الشبكة في بلدان مثل لبنان وسوريا والأردن، على سبيل المثال، فإن التفسير المناسب لتدني مرتبة هذه الدول وغيرها هو

شكل رقم 8

مستخدمو الإنترنت لكل ألف من سكان دول العالم والدول العربية مقابل حصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي



المعلومات حول اللغات المستخدمة على الشبكة تشير إلى 357 مليون متكلم بالعربية.

7 يُستخدم مصطلح عرض الحزمة لتقدير معدل تناقل المعطيات عبر شبكة الإنترنت. ويقاس هذا المعدل بوحدة "البتة في الثانية bits per second". وتستخدم وحدة "بتة لكل نسمة" هنا للدلالة على إمكانات نفاذ المواطنين إلى الإنترنت بفضل البنى الأساسية الوطنية والصلوات التي تربطها بالشبكات العالمية، بوساطة تشمل السوائل (الأقمار الصناعية) وشبكات الألياف البصرية optical fiber والأسلاك النحاسية التقليدية. وبما أن تناقل المعطيات عبر هذه الوسائط يتم بسرعات مختلفة، فإن عرض الحزمة المتاحة يتأثر بعرض

ينبئ تحري المحتوى الرقمي العربي، وهو الدليل الأصدق لمدى استثمار وإنتاج المعرفة بالعربية، أن الدول العربية ما زالت مقصرة بالنسبة إلى عدد من المعايير.. وتظهر إحصائيات حديثة العهد نسبياً تدني محتوى الإنترنت من الصفحات بالعربية.. فنسبة هذه الصفحات إلى إجمالي صفحات الإنترنت لا يتجاوز الواحد بالألف من التعداد الإجمالي للصفحات على الشبكة..

الإنترنت في بعض الدول العربية إلى السياسات التي انتهجت من قبل حكوماتها، ومن الواجب أن تمضي هذه الحكومات إلى أبعد مما وصلت إليه في التصدي للصعوبات التي تجابه شرائح عريضة في المجتمعات العربية في استثمار التقنية، فتعطي الأولوية لتطوير المحتوى العربي وتملك التقانات القادرة على معالجة المحتوى. ولا بد أيضاً من تبني أساليب مبتكرة تيسر للأميين ولن يفتقر إلى المهارات الحاسوبية إمكانات للتفاعل مع الحواسيب والنفاذ إلى الإنترنت باستخدام تقنيات مؤاتية من أعددة وبرمجيات.

2 - المحتوى الرقمي العربي

ينبئ تحري المحتوى الرقمي العربي، وهو الدليل الأصدق لمدى استثمار وإنتاج المعرفة بالعربية، أن الدول العربية ما زالت مقصرة بالنسبة إلى عدد من المعايير.. وتظهر إحصائيات حديثة العهد نسبياً⁸ تدني محتوى الإنترنت من الصفحات بالعربية.. فنسبة هذه الصفحات إلى إجمالي صفحات الإنترنت لا تتجاوز الواحد في الألف من التعداد الإجمالي للصفحات على الشبكة⁹. وتشير هذه النسبة إلى تدني حجم المحتوى الرقمي العربي بالنسبة إلى ما يقابله في لغات أخرى. إلا أن عدد المواقع والصفحات العربية يتزايد بمعدلات مرتفعة، فقد بلغ معدل النمو السنوي للصفحات التي تتضمن المحتوى العربي بين العامين 2005 و2006 مثلاً 55 %¹⁰، لكن هذه النسبة ما زالت أدنى من النسبة المقابلة لزيادة تعداد الصفحات التي وضعت بالإنجليزية خلال الفترة ذاتها، والتي بلغت 63 % . وتطغى النصوص على غيرها من أنماط

تزايد تعداد مستخدمي الإنترنت على نحو يفوق كثيراً ما يتم إحرازه من تحسينات على إمكانات النفاذ إلى الشبكة في هذه الدول. وفي ما يتعلق بنوعية النفاذ إلى شبكة الإنترنت في العام 2007 فإن الدول الثلاث الأولى التي تمتلك نسباً مرتفعة لعرض حزمة النفاذ الدولية للمستخدم هي البحرين وقطر والإمارات، تليها دولتان في المغرب العربي هما المغرب وموريتانيا. ومن اللافت أن فلسطين تتمتع بنسب مرتفعة لهذا المؤشر، مما يدل على إمكانية قيام المعاهد والمؤسسات المعنية باستخدام تطبيقات متقدمة لسد الثغرات في نظم التعليم والبحث لديها. وهي ناجمة، بالدرجة الأولى، عن الأوضاع التي تعانيها في الضفة والقطاع من حصار وحواجز تعيق حركة الطلبة والباحثين.

ولتكلفة النفاذ إلى شبكة الإنترنت أثر بالغ على وتيرة استخدام الشبكة بالنسبة إلى شريحة عريضة من مواطني الدول العربية. ومن المشجع أن أسعار النفاذ في معظم الدول العربية تقل عن القيمة المتوسطة لدول العالم مجتمعة. وتقل تكلفة النفاذ في مصر عن القيم السائدة في أي من الدول العربية، بل هي أدنى منها في كثير من دول العالم المتقدمة. كما تقل تكلفة النفاذ إلى الإنترنت إلى حد كبير في عشر من الدول العربية، وتقارب نصف قيمة المتوسط العالمي في ست من الدول العربية (مصر والجزائر ولبنان واليمن والأردن وتونس)، بينما ترتفع بصورة ملموسة في ثلاثة (السودان وموريتانيا وجيبوتي)، وهي دول ما زال عليها أن تقطع أشواطاً ملموسة، حتى بالنسبة لباقي الدول العربية، في حيازة تقنيات المعلومات والاتصالات. ويعود انخفاض كلفة النفاذ إلى

الحزمة التي تميز كلاً من الوسائط.

8 إحصائيات مركز بحوث الاقتصاد الرقمي في دبي "مدار".

9 الذي يربو الآن على 40 مليار صفحة.

فئات ذوي المداخل المحدودة وممن لم ينالوا التعليم الكافي لاستخدام التقنيات الحديثة. وقد بات من الضروري تغيير هذا المنحى، إذ أضحى الربط بين الأهداف التنموية التي تشهدها حكومات الدول والمؤسسات المعنية بالتنمية، مع ما تتيحه التقنيات الحديثة من قدرات تخدم المواطنين ومجتمعاتهم والبيئة المحيطة بهم، من الضرورات الملحة.

2-1-1 التعليم

تشمل الوسائل المعلوماتية الأجهزة والبرمجيات العامة كمعالجات النصوص والجدولة وإعداد الشرائح التوضيحية ومقاطع الفيديو كوسائط لإيصال الأفكار والمفاهيم للطلاب. ومعظم هذه الوسائط معرّب بصورة سطحية وقابل بالتأكيد لمستويات أعمق من التعريب. وتتيح تقنية المعلومات بتطبيقاتها المتعددة مسارات جديدة في قطاع التعليم، يمكن إن أحسنت إدارتها تكريس مكانة اللغة العربية. وكما أثبتت تجارب حديثة العهد في العديد من الدول النامية، فمن الممكن أن يتم هذا من دون المساس بنوعية العملية التعليمية وكفاءتها، بل مع طرح إمكانات لتطوير العملية التعليمية وتوثيق صلتها بالتحديات التقنية والثقافية الراهنة. لكن عدداً من الدراسات يشير إلى أن الإنفاق على تقنية المعلومات في قطاع التعليم في مختلف بقاع العالم غير كافٍ لتحقيق التطور المنشود في المخرجات التعليمية.¹⁰ ومن أسباب ذلك غياب التوازن بين مدخلات العملية التعليمية من مناهج وأساليب، من جهة، والعناصر المستحدثة التي تتطلبها تقنية المعلومات، من أجهزة وبرمجيات لتطوير العملية التعليمية، من جهة أخرى.

المحتوى السمعية والمرئية، كما أن هذه النصوص تظهر على مواقع الشبكة كما ترد في أصولها المطبوعة، أي من دون تطويع يتلاءم مع الإمكانيات التي تتيحها الأوساط الرقمية.¹¹ أما عن الموضوعات التي يتناولها المحتوى الرقمي باللغة العربية اليوم فتشير الدلائل إلى أن الكثير منها يقتصر على عدد محدود من المجالات لا يثري المعارف المرتبطة بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية. كما أنها نادراً ما تعالج المجالات العلمية والتكنولوجية والفكر بصفة عامة. بل إن قسماً ملموساً من المحتوى الرقمي العربي تغلب عليه نزعات انعزالية ومتطرفة، وصلته واهية بمجتمعات المعلومات والمعرفة التي تنشأ دول المنطقة بناءها.

2-1-2 المحتوى الرقمي العربي وتطبيقات تقنية المعلومات

يرتبط مستقبل المحتوى الرقمي بالعربية على الشبكة بانتشار تطبيقات تقنية المعلومات في التعليم والبحث العلمي والخدمات الاجتماعية والصحية والخدمات الحكومية والتجارة والأعمال، وتوليد المحتوى الرقمي المتعلق بكل هذه التطبيقات، بالإضافة إلى حفظ التراث الثقافي والبناء عليه. وتتناول الفقرات التالية التعليم والبحث العلمي وصناعة المحتوى نظراً لأهمية هذه الموضوعات في بناء مجتمعات المعرفة العربية وتعميم ما يترتب عن ذلك من منافع تنموية على شرائح المجتمع كافة. سيطرت على صناعة الأعتدة والبرمجيات أنماط من التنافس أعطت الجوانب التقنية مركز الصدارة؛ ويتجه التطور الذي تشهده منتجات التقنية بصورة عامة نحو الفئات التي تتمتع بالقدرة الشرائية المرتفعة دون غيرها من

10 تتضمن نسبة من هذه الصفحات المحتوى بالعربية والإنجليزية في آن واحد.

11 كثيراً ما يتم نقل المحتوى إلى الأوساط الرقمية من دون إغناؤه بإضافة الكلمات المفتاح والوصلات الفائقة للتعليق النصي hypertextin

Knowledge Maps: ICT in Education. Washington, DC: infoDev / World Bank, Trucano, Michael. 2005¹²

على الرغم من أن الخطط التي أعلنتها دول عربية، منها السعودية والإمارات وقطر والكويت وعمان ومصر والأردن وتونس، تعكس اهتماماً متزايداً بالمحتوى الرقمي المخصص للتعليم، إلا أن التوجهات الاستراتيجية والممارسات تفيد بأن المبادرات القائمة قد تمحورت حول التعليم النظامي.. وهي لا تتيح الاستفادة مما توفره الأوساط الرقمية من تكامل بين نمطي التعليم الأساسيين: النظامي واللا نظامي. ومن شأن مثل هذا التكامل، متى تحقق، أن يؤدي إلى نقلة نوعية في الممارسات التربوية تسمح للناشئة والبالغين على حد سواء بالتوصل إلى إمكانات التعلم الذاتي والمستمر مدى الحياة..

والمواقع التعليمية ذات العلاقة بكفاءة عالية؛

- تأمين الوصول إلى محتوى تعليمي متميز وربط المدارس بمصادر المعارف عبر الإنترنت.

ومن الأولويات وثيقة الصلة بمستقبل اللغة العربية وتفاعلها مع تقنية المعلومات تعريب الوسائل المكرسة لتعليم التقنية ذاتها ونشر المعارف المتصلة بها. فما زالت المواد المتداولة باللغة العربية من ضمن هذه المجالات شحيحة وضحلة من الجانبين الأكاديمي والعملي، ومعظم ما ينشر في الدوريات الرائجة لا يتعدى استعراض الأعتدة والبرمجيات المستحدثة التي تسعى الشركات الكبرى لتسويقها من دون قيمة مضافة، ومن دون النسب المرجوة. وقد لا تشكل اللغة العربية أداة عملية مهمة للمحترفين والمهنيين، إلا أن أهميتها في مراحل التعليم أمر لا خلاف حوله. وقد لا يشكل استخدام اللغة العربية للبرمجة هدفاً بحد ذاته، إلا أنه يسمح ببناء القدرة على التحليل الوصفي **الخوارزمي** للمسائل، ويسمح للشباب بإتقان الأسس التحليلية بلغتهم الأم في مراحل التحصيل المبكرة، بحيث يضحى التحول إلى اللغات الأخرى بعد إتقان المفاهيم الأساسية أمراً يسيراً.

2-1-2 البحث العلمي

تتأثر أنشطة البحث العلمي والتطوير التقني أكثر من غيرها من المجالات بما تقدمه تقنية المعلومات والاتصالات من إمكانات للوصول إلى منابع المعرفة واستخلاصها وتطويرها واستثمارها في شتى قطاعات الإنتاج والخدمات. وتتيح أنشطة البحث والتطوير فرصاً هامة لتكريس اللغة العربية أساساً لبناء مجتمعات المعرفة في الدول العربية. وتقع نقطة الانطلاق

وعلى الرغم من أن الخطط التي أعلنتها دول عربية، منها **السعودية والإمارات وقطر والكويت وعمان ومصر والأردن وتونس**، تعكس اهتماماً متزايداً بالمحتوى الرقمي المخصص للتعليم، إلا أن التوجهات الاستراتيجية والممارسات التي يمكن تبنيها تفيد بأن المبادرات القائمة قد تمحورت حول التعليم النظامي، وهي لا تتيح الاستفادة مما توفره الأوساط الرقمية من تكامل بين نمطي التعليم الأساسيين: النظامي واللا نظامي. ومن شأن مثل هذا التكامل، متى تحقق، أن يؤدي إلى نقلة نوعية في الممارسات التربوية تسمح للناشئة والبالغين على حد سواء بالتوصل إلى إمكانات للتعلم الذاتي والمستمر مدى الحياة.

والحاجة أضحت ماسة لمعالجة متسقة لمجموعة من العوامل البشرية والمادية المؤسسية. بحيث تشير تجارب عدد من الدول إلى أن استخدام تقنية المعلومات في قطاع التعليم أدى إلى نتائج إيجابية تجلت بتطوير المهارات على حل المسائل وتحسين مخرجات العملية التعليمية عندما أوليت العناية الكافية لتكامل العناصر التالية: 13 14 15

- النفاذ إلى الإنترنت وتحسين نوعيته، من دون إهمال المناطق والمجتمعات المهمشة في المدن والأرياف؛

- استثمار الوسائط المتعددة واكتساب القدرة على تطويرها باستمرار؛
- زيادة عدد الحواسيب في المدارس (معدل عدد الطلاب لكل حاسوب) وتدريب الأطر التدريسية بصورة ملائمة؛
- بناء الشبكات المحلية في المدارس والمعاهد التعليمية وتحسين نوعيتها؛
- إتاحة الفرص للوصول إلى الإنترنت

التي لا بدّ من تأمينها للمواطنين بلغتهم الأم. ويطرح تعامل الحاسوب مع اللغات كثيراً من القضايا. فعلى الرغم من أن تقنية المعلومات قد قطعت شوطاً بعيداً في التعامل مع اللغة الإنكليزية بخاصة، واللغات لاتينية الأصول بعامة، إلا أن أخصائيي تقنية المعلومات لا يرون أملاً في الوصول إلى التفاعل الأمثل بين اللغة والآلة من دون اللجوء إلى أساليب الذكاء الاصطناعي. بل يسعى البعض لتطوير البرمجيات واستخدام الحواسيب فائقة الأداء لتتسنى محاكاة المدارك اللغوية التي يتمتع بها الدماغ البشري. وقد أدت الجهود التي بُذلت في هذا المضمار إلى نشوء فروع جديدة من العلوم والتقنيات المرتبطة بها كعلم اللسانيات الحاسوبية computational linguistics. وليس من المبالغة القول بأن تقنية المعلومات قد حفزت الكثير من الأبحاث التي تتناول النظم اللغوية. وبعض ما أجري من أبحاث يسعى للخروج بتقنيات معلوماتية جديدة، تتحرر من المعماريات architectures الحاسوبية التقليدية التي تلائم التطبيقات الحاسوبية والعلمية، ولا يمكنها التعامل مع اللغات وتعقيداتها. وعلى الرغم من أن الكثير من الأبحاث على الأصعدة المختلفة لم تؤت بعد ثمارها، إلا أن مستقبل العلاقة بين التقنية واللغة واعد بنقدم ملموس يعود الفضل فيه إلى التطور على صعيد الأعتدة التي تزايدت ساعاتها وسرعتها، وما زالت تزداد بحيث تسمح بمقاربات طموحة في مضمار الذكاء الاصطناعي، على وجه الخصوص.

والمسألة تفوق من حيث العمق والاتساع مجرد إدراك الحاسوب لمعاني النصوص أو النطق بها أياً كانت اللغة التي يتعامل معها. فاللغة ليست بالكيان البسيط، وأفاز اللغة أياً كانت تحمل في

ضمن معاهد الدراسات العليا، حيث يتمّ تدريب أطر البحث العلمي من المستويات الرفيعة، ولدى مراكز البحث والتطوير الوطنية، وحيث يتمّ توليد المعارف العلمية المستحدثة وتطوير وتطوير التقنيات. ويبرز دور تقنية المعلومات والاتصالات في هذا المضمار على عدد من الأصعدة، منها بالطبع ما يرتبط بإسهامها في معالجة مشكلات اللغة العربية في مجالات الاختصاص المختلفة. والفرص متاحة هنا للتعاون الدولي مع الجهات المعنية باللسانيات اللغوية وتطوير برمجياتها، بالإضافة إلى تعاون الجهات المعنية في المنطقة العربية.

ومن الإسهامات التي يمكن أن تقدمها تقنية المعلومات والاتصالات من أجل مستقبل اللغة العربية في مضمار البحث العلمي بناء الشبكات الوطنية والإقليمية المتخصصة بالأبحاث التدمية والبيئية والرامية إلى نشر تطبيقات التقنية وتطويرها وتيسير الوصول إلى المراجع والمعاجم والبرمجيات. وتتطلب الجهود في هذا المضمار أيضاً تنشيط الشراكات الإقليمية في حقول تتميز بالأولوية من أجل دول المنطقة، كاستخدام المياه ومعالجتها ومكافحة التصحر وتوزيع مصادر الطاقة والرعاية الصحية.

3 - اللغة العربية والتقنية¹⁶

تتجاوز آثار اللغات الجوانب الاجتماعية، مع ما لها من أهمية في حقول التربية والثقافة، وتتعداها إلى مجالات الاقتصاد والسياسة. ولقد أسهمت تقنية المعلومات في تعميق الآثار الاقتصادية وتشعبها ونشرها على رقعة أوسع بكثير ممّا مضى. إذ تستخدم تطبيقات تقنية المعلومات اليوم في العديد من المجالات، منها التعليم والتجارة والخدمات الحكومية والصحية

تطرح صعوبات جمّة في التعامل مع اللغة العربية، سواء أكان هذا التعامل آلياً أم قام به المترجمون من البشر، الفوضى في التشكيل واستخدام الفواصل والتنقيط وغيرها من الشارات التي تنظم معاني النصوص وغاياتها، ممّا يتطلّب وضع نظام قياسي متكامل يتمّ تبنيه من قبل كلّ الوسائط التي تستخدم هذه اللغة. ومن القضايا التي أعاقَت استثمار التقنية في التعامل مع اللغة التلكؤ في اعتماد رموز موحدة

للحروف العربية والالتزام الدقيق بحركاتها (الإطار 23). فلم يتسنّ للدول العربية منذ ستينيات القرن الماضي تبني رموز موحدة لحروف العربية وحركاتها تمهّد لتعامل تقنية المعلومات مع اللغة العربية ونصوصها بصورة مجدية. وتغلّب الإصرار على طرق موروثّة لكتابة حروف اللغة العربية على الاهتمام بجوهر اللغة ذاتها، فمُنحت أشكال الحروف وتغيرها من موقع إلى آخر في كتابة كلمات العربية، من الأهمية ما فاق العناية بقضايا من شأنها تيسير تعامل الحاسوب مع اللغة. وتسبب التأخر في وضع أشكال موحدة للحروف العربية والالتزام بحركاتها بـقصور العديد من التطبيقات المتصلة بمعالجة اللغة، منها التطبيقات الخاصة باللسانيات وتوثيق المعلومات واسترجاعها. ومن المتوقع أن تؤدي ممارسات ومواقف كهذه، إن استمرت، إلى قصور في أساليب معالجة اللغة العربية بواسطة عديد من تقنيات المعالجة الآلية المتاحة الآن وتلك المنظورة في المستقبل القريب.

3 - 2 معالجة اللغات الطبيعية

تهدف الأبحاث في مضمار معالجة اللغات الطبيعية إلى الخروج بأدوات برمجية منها

معظم الأحيان معاني شتى تتعدد وتباين بتعدد وتباين واضعها وسامعها أو قارئها واتساع مداركهم. والصعوبات التي تجابه تعامل تقنية المعلومات مع لغات كالإنكليزية، مثلاً، كثيرة على الرغم من بساطة بنيتها ومهما تضاعلت مرونة تراكيبها. أما الصعوبات التي تجابه اللغة العربية فتتفوق ما تعانيه لغات أخرى بمراحل نظراً لتعقيد بنيتها ومرونة تراكيبها الفائقة وغنى مفرداتها.

3 - 1 خصائص اللغة العربية

يشكّل الاشتقاق الصرفي واحداً من أبرز مميزات عائلة اللغات السامية. وتتفوق اللغة العربية بغنى سبل الاشتقاق فيها عن شقيقاتها ضمن هذه العائلة. وعلى الرغم من أن هذا الغنى يعقد تعامل الآلة معها، إلا أن الاشتقاق الصرفي في اللغة العربية يتبع قواعد منتظمة تجعلها أقرب إلى الكيان الجبري¹⁷ فيبسّط معالجة الآلة للنصوص العربية. إلا أن اللغة العربية تتميز بعدد من الخواص الأخرى التي تعقد تعامل تقنية المعلومات معها، منها تعدّد أوجه الصرف المتاحة، والمثال الأقرب تعدّد صيغ الجمع. ومن الخصائص الأخرى التي تميّز اللغة العربية وتعقد تعامل الآلة معها، في الوقت ذاته، المرونة التي يمكن بموجبها صياغة الجمل العربية، من تقديم وتأخير وإضمار وحذف وتورية وإبدال لمفرداتها. هذا بالإضافة إلى الطول المفرط للجملة الذي اعتاد عليه كُتّابها، وتعدد اللهجات والازدواجية اللغوية للفصحى والعامية وجنوح الكثيرين لاستخدام مفردات وتراكيب مستقاة من اللغتين الإنكليزية والفرنسية من دون سبكها وتطويعها وفقاً لقواعد محدّدة. ومن الممارسات التي

من القضايا التي أعاقَت استثمار التقنية في التعامل مع اللغة التلكؤ في اعتماد رموز موحدة للحروف العربية والالتزام الدقيق بحركاتها، فلم يتسنّ للدول العربية منذ ستينيات القرن الماضي تبني رموز موحدة لحروف العربية وحركاتها تمهّد لتعامل تقنية المعلومات مع اللغة العربية ونصوصها بصورة مجدية..

مهماً في بناء البوابات وتطويرها على الشبكة والتعامل مع محرّكات البحث. ويُتوقع أن تنتشر تطبيقات معالجة اللّغات الطبيعية إلى حد كبير في المستقبل ضمن الهواتف الخلوية والمساعدات الرقمية الشخصية. ومن المرجّح، إن تم تنفيذ المبادرات الوطنية المعلنة في العديد من الدول العربية، أن تتمتع منتجات المعالجة بسوق واسعة في الدول العربية تشمل التطبيقات والخدمات المضافة القابلة للتشغيل على منصات متنوعة وأن تُقيم تعزيزيز المحتوى الرقمي العربي وإثرائه في قطاعات التعليم والسياحة والخدمات العامة. تعود الأبحاث الرامية إلى معالجة اللغات الطبيعية إلى خمسينيات القرن الماضي. وتزداد أهميتها مع تطوّر معارف البشر وتوسعها وتغلغل تقنية المعلومات والاتصالات في جوانب نشاطهم اليوميّ. تشمل الأبحاث في مضمار معالجة اللّغات الطبيعية عدداً من المحاور منها: فهم اللّغات الطبيعية وتعرّف الصوت والكلام وتدقيق النصوص وتصحيحها. ويتصدّى عدد من المعاهد والمخابر المعنيّة بمعالجة اللّغات الطبيعية لمسألتين أساسيتين هما القواعد والشكل، من جهة أولى، والدلالة، من جهة ثانية. وتتجه بعض الأبحاث نحو تحسين نظم المحادثة والإجابة الآلية بحيث يتسنى التخابط مع المستخدم بلغته ولهجات متنوعة. ومن المؤكد أن تكتسب أبحاث معالجة اللّغات الطبيعية المزيد من الأهمية مع دخول الأجيال المقبلة شبكة الإنترنت حيّز الاستخدام الفعليّ. وقد أدّى التقدّم المحرّز في معالجة اللّغات الطبيعية إلى انتشار وتعقيد التطبيقات المتاحة على الشبكة وإلى إضفاء بعض سمات "الذكاء" عليها وإكسابها القدرة على تمثيل المفاهيم

التخابط مع الحاسوب بلغة المستخدم وتعرّف الكلام آلياً وإعادة تركيبه والترجمة الآلية. كما ترمي بالإضافة لما سبق إلى الارتقاء بالتطبيقات الدلالية للّغات الطبيعية، ممّا ينعكس على مجالات شتّى تتضمن الترجمة الآلية، والتنقيب عن المعلومات والتصنيف الآليّ، وبناء منظومات دعم القرار الودودة للمستخدم. ومعالجة اللّغات الطبيعية ضرورية لاسترجاع المعلومات وتبويبها والترجمة الآلية والتعامل مع شبكة الإنترنت، إذ تؤدي معالجة اللّغات الطبيعية دوراً

حروف العربية وحركاتها¹⁸

إطار رقم 23

من الجوانب التي أثارت الجدل حول اللّغة العربية ومعالجتها باستخدام تقنية المعلومات منذ سنين عديدة تقليص عدد الرموز التي يمكن باستخدامها كتابة النصوص العربية. فالكتابة المخطوطة أو المطبوعة لا تعدو كونها تعبيراً عن اللّغة، أما معالجة اللّغة فغير محكومة بشكل الحرف، لكنها تضحي أيسر كلما قلّ عدد الرموز التي تكتب بها. ويدعو اللّغويون دوماً إلى تبسيط الكتابة لتحقيق الهدف الأساس وهو نشر النتاج المعرفي والبناء عليه ضمن أوسع رقعة ممكنة، جغرافياً واجتماعياً، ويعود تغيير شكل الحرف في الكلمة بتغير موقعه أصلاً إلى الزمن الذي سادت فيه الكتابة اليدوية. ولقد اتبعت اللّغات اللاتينية أنماطاً مشابهة لكتابة العربية قبل انتشار الطباعة الآلية، إلا أن الشعوب الأوروبية سعت آنذاك لاستخدام الحرف المعياري الذي لا يختلف شكله بحسب موقعه ضمن الكلمة، فاختصرت الجهد وبسطت صناعة الكتب ممّا أسهم بنشر لغاتها في أرجاء العالم. من جهة أخرى يسّر التطور التقني معالجة الرموز وتغييرها بواسطة برمجيات بسيطة نسبياً، فظهرت أجهزة تتضمن ما يسمى بخوارزميات تحليل السياق context analysis algorithms، وهي برامج مدمجة ضمن أجهزة الإدخال والإخراج تمكّن المستخدم من إدخال شكل واحد للحرف يقوم جهاز الإدخال بتحويله آلياً إلى الشكل المناسب لموقعه في الكلمة قبل عرضه على الشاشة أو طبعه. وهكذا استخدمت الوسائل التقنية المستجدة لإبقاء حال الطباعة العربية مشابهة للكتابة اليدوية. لكن برمجيات تحليل السياق تضيف حلقة لا ضرورة فعلية لها إلى سلسلة عمليات معالجة اللّغة العربية وتزيد من تعقيد معالجتها بالوسائل المتاحة. وربما شكّل انتهاز الأسلوب الذي اتبعته كتابة اللّغات اللاتينية الحل الأمثل، والحد الأدنى لتمثيل النصوص العربية غير المشكولة يتحقق باستخدام 31 رمزاً هي عبارة عن الأحرف الثمانية والعشرين، إضافة إلى الهمزة والتاء المربوطة والألف المقصورة، كما أن العرب اعتادوا قراءة النصوص غير المشكولة. إلا أن هذا الوضع يؤدي في الكثير من الحالات إلى أخطاء تجانب قواعد النحو، وتؤدي إلى خلل في نقل المعاني. وبرامج البثّ الإذاعي والتلفازي حافلة بالأمثلة على ذلك، فالحركات ضرورية لفهم معنى النصّ العربي، وإهمالها يحدّ من انتشار اللّغة وتعلمها بالشكل الصحيح، وقد يستمرّ تدني مستوى إتقان اللّغة العربية من جيل إلى آخر بسبب إهمال التشكيل. والحدّ الأدنى من الرموز التي يمكن من خلالها توليد الحركات المطلوبة ستة رموز هي الفتحة والضمة والكسرة والمدّة والشدة والسكون. ويمكن توليد التوين في معالجة النصوص من خلال فتحتين أو ضمّتين أو كسرتين متعاقبتين تظهزان عند الطباعة أو العرض بالشكل المألوف.

16 "الفصل التاسع" من كتاب د. نبيل علي ووثائق أخرى وضعها بناء على تكليف اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا).
17 من الجبر الرياضي.

المتوسطة والصغيرة. وليس من المبالغة اعتبار صناعة المحتوى الرقمي العربي فرصة ذهبية لإحراز التكامل العربي وللانفتاح على العالم معاً. وفرص نجاح هذه الصناعة كبيرة حتى لو اقتصر سوقها على مواطني الدول العربية الذين يفوق عددهم الآن 350 مليون نسمة، نظراً للاعتماد المتزايد على شبكة الإنترنت في شتى الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية. فاستخدام الإنترنت باللغة العربية (الجدول السابق رقم 21) تزايد بمعدلات تفوق ما يناظرها من اللغات الأخرى. كما بذلت الدول العربية جهوداً ملموسة في السنوات الأخيرة لدعم نشر المحتوى الرقمي العربي على الإنترنت، إلا أن هذه الجهود ما زالت غير كافية مقارنة مع الجهود التي بذلتها وتبذلها شعوب أخرى في هذا المجال. فما زال عدد الصفحات المدونة باللغة العربية على الإنترنت ضئيلاً مقارنة بالصفحات باللغات الأخرى، ويعزى قصور المحتوى الرقمي العربي إلى أسباب من أبرزها:

- غياب استراتيجية لصناعة المحتوى الرقمي العربي على الصعيدين الوطني والإقليمي؛
 - ندرة الأطر المتخصصة وقصور في مواكبة التقنيات المستحدثة في كثير من الأحيان؛
 - قلة مشروعات البحث والتطوير الرامية إلى إثراء المحتوى الرقمي العربي، ولا تخفى هنا ضرورة تصدي بعض هذه المشروعات للقضايا الاجتماعية والاقتصادية، إضافة للقضايا التقنية، التي تعيق انتشار هذا المحتوى واستثماره؛
 - النفاذ المحدود للإنترنت في كثير من الدول العربية وتفاوت كبير في هذا النفاذ بين شرائح المجتمع والأعمار.
- يتطلب تعميم تطبيقات تقنية المعلومات في مجتمع ما إنتاج ونشر المحتوى الرقمي بلغة أفراد. ولقد وضعت أدوات تسمح بمعالجة

والمعرفة. ومن التقنيات التي تطوّر لهذه الغايات: الأنتولوجيات ontologies، والشبكة الدلالية semantic web وتقيب الشبكة web mining.

4 - أدوات المحتوى الرقمي العربي

يطرح استخدام اللغة العربية على الإنترنت فرصاً وتحديات عديدة ومتداخلة تتطلب توسيع قاعدة مستخدمي هذه اللغة والارتقاء بمكانتها على الشبكة. ويستوجب هذا تبني سياسات ومبادرات مؤاتية، والدخول في شراكات إقليمية ودولية تسمح بالقيام بأبحاث حول اللغة، من جهة، وسبل التعامل الآلي معها، من جهة أخرى. هذا إضافة إلى إنتاج ونشر المحتوى الرقمي المتعلق بالدول العربية ببعض اللغات الأجنبية.

ومن المتوقع أن تتخفف باستمرار تكلفة النفاذ إلى الإنترنت في المناطق النائية. كما سيتسارع اندماج تقنية المعلومات والاتصالات بوسائط الإعلام مع انتشار البنى الأساسية التي تتيح استخدام الحزمة العريضة. ممّا سيزيد الفرص والخيارات المتاحة أمام المواطنين للحصول على الخدمات التعليمية والإعلامية والثقافية والصحية والحكومية. وهذا إضافة إلى تنشيط قطاع الأعمال وتنمية المجتمعات المهمشة في الأرياف والمدن. بيد أن استثمار هذه الفرص مرهون بتطبيق سياسات عربية واضحة توائم بين ما تتطلبه تقانة الاتصال من استثمارات ضخمة، وبين كفاءة الحق الاجتماعي لكل فئات المواطنين في الاستفادة من تقنيات الاتصالات والمعلومات.

من جهة أخرى، فإن صناعة المحتوى الرقمي تفتح الأبواب واسعة أمام الاستثمار في نشر تقنيات المعلومات والاتصالات، وتؤمن فرصاً ثمينة لعمل الشباب وإنشاء مؤسسات الأعمال

تهجئة الكلمات العربية، بحيث يتسنى استخدام النصوص للمعالجة اللاحقة، كالتدقيق النحوي أو الترجمة الآلية، مثلاً. وتتضمن بعض الأنظمة ملامح تعزز قدرتها على اكتشاف الأخطاء الناجمة عن عدم توافق الكلمات المتجاورة، حيث يمكن أن تكون الكلمات سليمة من حيث تهجئتها وخاطئة نحويًا بالنظر إلى السياق الذي تفرضه الكلمات المتجاورة. ومثال ذلك مقدرة بعض النظم على استبدال "لم يأتي الرجل" بـ "لم يأت الرجل". أو استبدال "أتت البنات الحاسرتين" بـ "أتت البنات الحاسرتان". بدلاً من إحالة أخطاء كهذه إلى مراحل لاحقة، كالتدقيق النحوي الذي يتسم بتعقيد مفرط.

4 - 3 نظام التشكيل التلقائي

يعتبر تشكيل النصوص العربية ضرورة ملحة لتخليصها من اللبس. ويتطلب التشكيل الآلي الجاد المرور بمرحلة إعراب الجمل آلياً. يعتمد النظام المتاح حالياً للتشكيل التلقائي على العلاقات التركيبية المحلية لأجزاء الجمل، وبعض البيانات المعجمية - النحوية من أجل تحديد الكلمات المتعلقة بالأفعال وما يشق منها. ومن الضروري القيام بالأبحاث الكفيلة بتطوير برمجيات تسمح بمعالجة النصوص غير المشكولة أو النصوص المشكولة جزئياً وتحويلها إلى نصوص مشكولة كلياً. وعلى الرغم من أن الخوارزميات المطلوبة تصميمها للتشكيل الآلي لا بد أن تتسم بكثير من التعقيد، إلا أن تشجيع الأبحاث في هذا المجال ضروري لأن التشكيل مرتبط بالمعنى، ولا بد من التوصل إلى المعنى بغية استخدام الكثير من التطبيقات المتاحة

المحتوى ونشره، لكن معظمها ما زال غير قادر على إحداث الأثر المطلوب. كما أن المساعي الرامية إلى متابعة تطويرها ما تزال دون الحدود المقبولة. في ما يلي موجز لأبرز هذه الأدوات واستعراض لأحوال الترجمة الآلية. وقد خصصت الترجمة الآلية بقدر من التوسع يفوق ما خصت به الأدوات الأخرى نظراً لأهميتها في إثراء المحتوى المعرفي بالعربية، من جهة أولى، ونقل ذخائر اللغة العربية إلى لغات العالم الأخرى، من جهة ثانية. كما سوف يتم تناول مجموعة من أدوات المصدر المفتوح التي يمكن استثمارها وتطويرها لبناء المحتوى العربي وإثرائه ونشر اللغة العربية على الشبكة وتأمين البنى الأساسية من مواد مرجعية وأساليب للمعالجة الآلية.

4 - 1 تعرف الحرف العربي بواسطة

الماسح البصري¹⁹

تتعلق دقة تعرف الحرف العربي بواسطة المسح البصري بجودة النص الذي تتم معالجته. والماسح الآلي المتاح الآن قليل الفائدة لمسح النصوص العربية التي تمت طباعتها بالقوالب الرصاصية التي كانت تستخدم الطباعة في الماضي، حيث تزيد نسبة الأخطاء في مسح هذه النصوص إلى حدود كبيرة، مما يعيق استخدام الماسح للتعامل مع السجلات الصحافية والكتب التي تمت طباعتها قديماً بهذا الأسلوب. والقدر الأكبر من التراث الأدبي الذي وضع خلال القرون القليلة الماضية نشر باستخدام هذه التقنية²⁰.

4 - 2 مدقق التهجئة

تسمح النظم المتوفرة في السوق بتدقيق

18 "أداء البلدان العربية في التطبيقات المعلوماتية؛ عبد الإله الديوب جي، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، 2008.
19 من المرافقات المقترحة لمصطلح الماسح الضوئي الماسح البصري أو القارئ الآلي، حيث أن المقابل لكلمة optical هو بصري وليس كلمة للضوئي لله.

20 بينما يشير نبيل علي إلى نسب تقع بين 80 و 85 % من أجل دقة الماسحات المتاحة، فإن موقع شركة صخر يشير إلى أن نظام القارئ الآلي الذي طور لمسح النصوص المطبوعة بالعربية تميز بكفاءة تتجاوز 99 % من أجل النصوص المطبوعة باستخدام تقنيات طباعة جيدة

4 - 5 المحلل الصرفي والإعراب الآلي

يمهد المحلل الصرفي لمعالجة النصوص آلياً بتحليل بنية الكلمة العربية، فيعدّ النصّ المعالج للفهرسة أو الإعراب أو الترجمة الآلية. وتتوافر الآن نظم تجارية لتحليل الصرفي يتميز البعض منها بالقدرة على إدماج عناصر تسمح بالتحليل الدلالي والصرفي والمعجمي. كذلك فإن استخدام الأجيال التالية من تطبيقات معالجة اللغات الطبيعية، التي تتضمن نظم الفهم الآلي للنصوص، يفرض تطوير نظم آلية كفوءة لإعراب الجمل العربية، وهو ما لم يتمّ بعد.²³

4 - 6 محركات البحث العربية

يسود محرك بحث غوغل البحث في النصوص العربية على الإنترنت، وهو يلبي مطالب المستخدم العادي ضمن حدود ضيقة ولا يلبي متطلبات البحث المعمق من أجل تطبيقات ثقافية وتعليمية. ويعود ذلك إلى أن محرك غوغل متعدّد اللغات ولا يراعي الخصائص البنوية للكلمة العربية.²⁴ ويعمل النظام على أساس الكلمة كما تبدو في النصّ، من دون النظر إلى أصلها المعجمي الذي يتمثل بصيغ قد يفوق عددها في اللغة العربية المئات. وذلك نتيجة لتعدد المشتقات التي يمكن توليدها بإصاق اللواحق والسوابق. لذا فإن محرك غوغل عاجز عن توسيع نطاق البحث استناداً إلى كلمة البحث التي يقدمها الباحث. وعلى سبيل المثال، عندما يراد البحث باستخدام كلمة "ثمرة" لا يعود

من أجل اللغات الأخرى. كذلك فإن النجاحات الجزئية في هذا الاتجاه تفيد في التوصل إلى أساليب مبتكرة للمعالجة الآلية.

4 - 4 المدقق النحوي

لا بدّ من تأسيس المدقق النحوي على نظام قوي لإعراب الجمل العربية ولتحديد مواضع الخطأ النحوي على مستوى الجملة، ومن ثمّ يستخدم المحلل الصرفي لتحديد أخطاء التهجئة على مستوى الكلمة. وهناك نظامان للتدقيق النحوي من تطوير شركتي "صخر" و"كولتك" ولا يستخدم أيّ منهما نظاماً للإعراب الآلي، بل يعتمدان على تخزين أنماط الخطأ النحوي ضمن أنماط سياقية على صورة سلاسل من الكلمات المتعاقبة. ويشير اختبار أجري باستخدام هذين المدققين²¹ إلى أن مدقق "كولتك" يتميز بأدائه في الجمل التي تتسم ببساطة تركيبها. أما إذا ارتفع مستوى تعقيد الجمل، واستندت تراكيبيها إلى قواعد متقدمة، كأن تتضمن عناصر العطف المتكرر والشرط والاستفهام، فينخفض أدائه انخفاضاً ملحوظاً. أما أداء مدقق "صخر" فإن أدائه يتراوح بين المقبول والجيد بغض النظر عن المستوى اللغوي للعبارة التي استخدمت في الاختبار. والنظامان عاجزان تماماً حيال الأخطاء النحوية التي ترد ضمن الكلمات والعناصر النحوية المتباعدة، وليس بمقدور أيّ منهما ضبط إعراب أواخر الكلمات في الجمل الطويلة، وهي كثيرة الورد في النصوص العربية.²²

لا بدّ من تأسيس المدقق النحوي على نظام حاسوبي قوي لإعراب الجمل العربية ولتحديد مواضع الخطأ النحوي على مستوى الجملة، ومن ثمّ يستخدم المحلل الصرفي لتحديد أخطاء التهجئة على مستوى الكلمة. وهناك نظامان للتدقيق النحوي من تطوير شركتي "صخر" و"كولتك" ولا يستخدم أيّ منهما نظاماً للإعراب الآلي، بل يعتمدان على تخزين أنماط الخطأ النحوي من ضمن أنماط سياقية على صورة سلاسل من الكلمات المتعاقبة. والنظامان عاجزان تماماً حيال الأخطاء النحوية التي ترد من ضمن الكلمات والعناصر النحوية المتباعدة، وليس بمقدور أيّ منهما ضبط إعراب أواخر الكلمات في الجمل الطويلة، وهي كثيرة الورد في النصوص العربية..

و96 % من أجل النصوص التي استخدمت تقنيات أدنى نوعية في إخراجها.

21 أنظر الموقع <http://www.wahajr.net/hajrvb/showthread.php?t=402818711&xp=405205109> تمّ الاطلاع على الموقع في آب/ أغسطس 2010.

22 يعطي الموقع عائد لشركة مايكروسوفت <http://support.microsoft.com/kb/325735/ar> لائحة بالمشكلات التي تواجه المدقق النحوي الذي يستخدمه نظام Microsoft Office XP. ويتضمن عبارات تشي بنوعية التدقيق النحوي الذي يمكن الحصول عليه مثل: "جنب إلى جنباً الأصلي النص مع الترجمة لعرض هنا انقر"، و"يعمل هذا التحديث على تصحيح مشكلة المقترحة نفس الكلمة عن الأخطاء الإملائية عندما الأحرف الكبيرة أو الأحرف حالة أحرف مختلطة اتبع بعلامة اقتباس أحادية في مستند لغة فرنسية."

23 تجدر الإشارة هنا إلى النظام الأولي الذي عملت شركة صخر على تطويره سابقاً، ويبدو أنها توقفت الآن مكتفية بنظام تقريبي للتشكيل التلقائي.

للخروج بنظم أكثر تقدماً لمعالجة المحتوى العربي.

4 - 9 تعرّف الكلام وتوليده

تستخدم نظم تعرّف الكلام العربي الأكثر كفاءة الأسس الإحصائية²⁵. إلا أن معدلات الخطأ في تعرّف الكلام ما زالت مرتفعة²⁶، ولا بدّ من دمج المقاربات الإحصائية مع أساليب تسمح بالمعالجة الصرفية والنحوية والمعجمية من أجل الوصول إلى منتجات مقبولة. كذلك شأن توليد الكلام، إذ تحتاج النظم الآلية لتوليد الكلام إلى مزيد من التطوير حتى يقترب الكلام العربي المولّد آلياً من مستوى الجودة التي تمّ تحقيقها فعلاً من أجل لغات أخرى. وبالطبع فإن تعدد اللهجات المنطوقة بالعربية يضيف إلى الصعوبات الناجمة عن التعقيدات الضمنية، الصرفية والنحوية. إلا أن عدداً من فرق البحث تشبّط الآن في جامعات ومراكز أبحاث عربية وفي جامعات أجنبية بغية الوصول إلى نظم موثوقة لتمييز الكلام بالعربية وتوليده. والعديد من المشروعات البحثية التي يتمّ إنجازها الآن في جامعات أميركية وأوروبية تقع ضمن نطاق مبادرات تمويلها وكالة مشروعات أبحاث الدفاع المتقدمة في الولايات المتحدة²⁷ Defense Advanced Research Projects Agency - DARPA. أما في الدول العربية فتعدّ جامعة الملك سعود ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في السعودية والمعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا

المحرك بمواقع أو مصادر تتضمن "أثمار" أو "ثمار"، وإذا قدم الباحث الفعل "يفصح" لا تأتي النتائج بصيغه التصريفية مثل "أفصح، تفصح، يفصحون...". وتوجد بالإضافة لمحرك غوغل أربعة محركات بحث للنصوص العربية على الإنترنت هي عربي وأين وتايا إت وأنكوش. وهناك مواقع أخرى للبحث لكن من الأصوب اعتبارها فهارس أو أدلة بحث directories search تتضمن قوائم وعناوين المواقع العربية.

4 - 7 أدوات النشر الإلكتروني

وتطوير المواقع

ما زال من الواجب تطوير أدوات للنشر الإلكتروني على الشبكة تفوق إمكانات النظم المتاحة الآن ومنها نظام الكتاب الإلكتروني e-book الذي طوّر من قبل مايكروسوفت، والذي أجريت محاولة لتعريبه. ويبقى أداء هذا النظام متدنياً بسبب إغفاله خصائص اللغة العربية الصرفية والنحوية.

4 - 8 نظم الفهرسة والاستخلاص

الآلي

بادرت شركة صخر بطرح بعض نظم آلية للفهرسة والاستخلاص الآلي تستند إلى أسس إحصائية، وذلك لاستخلاص كلمات مفتاحية keywords، وتحديد موضوعات النصوص واستنباط جمل تدلّ على مضامينها. ومن الواجب تطوير النظم التي قامت على تقنيات متقدمة سواء في استخدام النماذج اللغوية الإحصائية أم في تحليل بنية السرد العربي

يسود محرك بحث غوغل البحث في النصوص العربية على الإنترنت، وهو يلبي مطالب المستخدم العادي من ضمن حدود ضيقة ولا يلبي متطلبات البحث المعمق من أجل تطبيقات ثقافية وتعليمية. ويعود ذلك إلى أن محرك غوغل متعدد اللغات ولا يراعي الخصائص البنيوية للكلمة العربية..

24 هذا مقارنة بالبنية البسيطة للكلمة الإنكليزية التي صمم النظام لأجلها.

25 تستخدم مجموعات بحثية، في جامعة كارنيجي ميللون مثلاً، برنامج سفينكس-4 الذي وضع بلغة "جافا" وهو متاح ضمن نطاق البرمجيات مفتوحة المصدر. كما تستخدم مشروعات الأبحاث في هذا المضمار مخزون محطات الإذاعة والتلفزة كرسيد يتمّ استناداً إليه تصميم ومن ثم تدريب البرمجيات.

26 تشير المراجع إلى عدد من النظم المتاحة للاستخدام التجاري من بينها نظم طوّرت من قبل صخر وآي بي إم. وتتراوح معدلات الأخطاء بين 9 - 15 بالمائة. ممّا يستدعي التدخل البشري للوصول إلى نتائج لا تتضمن الإلتباس.

27 تقع المشروعات المتعلقة بمعالجة اللغات وتعرّفها ضمن إطار مبادرة "استثمار اللغة العالمية المستقلة" - Global Autonomous Lan-

اللجنة بالفعل إلى تقليص مخصصات أبحاث الترجمة الآلية لعقدين من الزمن، إلى أن ظهرت الحواسيب الأكبر والأسرع التي كان بمقدورها التعامل مع مقادير فائقة الحجم من المعطيات، فاستعادت أبحاث الترجمة الآلية عنفوانها الأسبق.³¹ ومنذ مطلع القرن الحالي بدأ حقل الترجمة الآلية يتلقى المزيد من الدعم نتيجة لاهتمام مؤسسات الدفاع والأمن في الدول الغربية، وفي الولايات المتحدة بوجه الخصوص، بالترجمة من وإلى لغات كالعربية والأفغانية اللتين تستخدمان في المناطق التي تقوم فيها قوات هذه الدول بعمليات عسكرية. وكذلك لجمع المعلومات الاستخباراتية من خلال أنظمة مراقبة الهاتف والتراسل عبر خطوط الهاتف المحلية والدولية وباستخدام الإنترنت. ويضاف إلى ما سبق أن عدداً من الشركات التي تعمل على شبكة الإنترنت رأت في تطوير منظومات كفاءة للترجمة الآلية فوائد تجارية حدثت بها لتمويل الأبحاث في هذا المضمار. كما يشهد حقل الترجمة الآلية قدراً ملموساً من النشاط بسبب سعي شركات الهاتف المحمول لتضمين منظومات مبسطة للترجمة الآلية ضمن منتجاتها، وكذلك نظراً للتوسع الذي تشهده السياحة في أنحاء العالم وحاجة السياح إلى مجموعة متزايدة من الخدمات، يتم السعي لأتمتتها وخفض تكلفتها بتقليص دور العنصر البشري في تأديتها. أثمر تحويل الموارد نحو أبحاث معالجة

في سوريا من المراكز الناشطة في أبحاث تعرف الكلام.²⁸

4 - 10 الترجمة الآلية

نظراً لعدد من العوامل، من بينها متطلبات الجيل المقبل للشبكة، تتزايد الحاجة لمنظومات موثوقة للترجمة الآلية. وفي واقع الحال فإن الترجمة الآلية ما زالت من أعقد المسائل في حقل معالجة اللغات الطبيعية والذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence (AI).²⁹ وعلى الرغم من أن أول ما كتب حول الترجمة الآلية يعود إلى القرن السابع عشر، فإن ولادة هذا الحقل تعود بالفعل إلى أربعينيات القرن الماضي متزامنة مع ظهور الحاسوب الإلكتروني. وعلى الرغم من بساطة المنظومات التي استخدمت آنذاك فإن النتائج التي تم الوصول إليها باستخدام معاجم ثنائية وقواعد أولية لترتيب الجمل بدت مشجعة أول الأمر. إلا أن عدم إحراز تقدم يذكر في خمسينيات وستينيات القرن الماضي أدى في الولايات المتحدة مثلاً إلى تشكيل لجنة مختصة العام 1966،³⁰ كلّفت بدراسة أوضاع الترجمة الآلية وسبل النهوض بها. وجدت هذه اللجنة أن أساليب الترجمة الآلية التي كانت تستخدم حينئذ كانت تستغرق أزمنة أطول وتؤدي نتائج أقل دقة كما كانت أكبر تكلفة من الترجمة البشرية. وأوصت بتحويل المخصصات التي كانت تتركز لأبحاث الترجمة الآلية لأبحاث معالجة اللغات الطبيعية. وأدت توصية هذه

guage Exploitation - GALE

28 أنظر مؤلفات العتيبي والغامدي حول تعرف الكلام المهتوف (تعريف من الأمثلة حديثة العهد عما وضع ضمن هذا النطاق) بحث بعنوان: "Speech Recognition System of Arabic Alphabet based on a Telephony Arabic Corpus" ليوسف عجمي العتيبي ومنصور الغامدي وفهد العتيبي. وقد تم الاطلاع على هذا البحث من الموقع: <http://www.springerlink.com/content/j6207wx494197114> في آب / أغسطس العام 2010.

29 تعتبر معالجة اللغات الطبيعية أحد حقول الذكاء الاصطناعي واللغويات الحاسوبية Computational Linguistics وتتناول بالدرجة الأولى دراسة تفهم اللغات آلياً وتوليد اللغات الطبيعية.

30 لجنة المشورة حول معالجة اللغة الطبيعية ALPAC - Automatic Language Processing Advisory Committee
31 أنظر الكتاب "Empirical Machine Translation and its Evaluation"; مؤلفه J. A. G. Linares؛ على موقع الجمعية الإسبانية لمعالجة اللغات الطبيعية: <http://www.sepln.org/monografiasSEPLN/monografia-jgimenez-sepln.pdf> شباط / فبراير 2009. الاطلاع على الموقع في شهر آب / أغسطس العام 2010.

البرمجيات المتاحة كاللغتين العربية والصينية. لكن هذا لا يعني البتة بأن منظومات الترجمة الآلية من أجل لغات أخرى أكثر استخداماً وشيوعاً قد بلغت الحدود المتقدمة والمرضية من الدقة. ومن النظم الأكثر شيوعاً واستخداماً للترجمة من وإلى العربية³⁴:

- نظام غوجل متعدد اللغات الذي يتبنّى النهج الإحصائي، ويعبئه تدني جودة النص المترجم خصوصاً في ترجمة النصوص الإنكليزية إلى العربية. ونظام غوجل ذو أساس إحصائي تماماً، لذا يتوقع أن تبقى جودة الترجمة الممكنة بواسطته ذات حدود قصوى متدنية، وهو غير صالح لترجمة الكتب والوثائق العلمية أو لدعم برامج اكتساب اللغات الأجنبية من قبل الناطقين بالعربية.

- نظام سيستران وهو أقدم نظام للترجمة من الإنكليزية إلى العربية، ويتبنّى ما يعرف بـ **النموذج التحويلي** transfer model، وهو ذو أساس لغوي ومعجمي متواضع. وقد تعثرت محاولات متكررة لتحسين أدائه عبر العقود الثلاثة التي انقضت منذ ظهوره.

- نظام صخر الذي يستخدم النموذج التحويلي المستند إلى القواعد اللغوية والبيانات المعجمية. لكن أدائه لا يفوق أداء نظام غوجل ذي الأساس الإحصائي. ويرجع ذلك إلى ضعف الأساس اللغوي- المعجمي الذي يستند إليه ممّا يحدّ كثيراً من احتمالات تطويره وتحسين جودة مخرجاته.

- نظام مسبار للترجمة من الإنكليزية إلى العربية وهو يشبه نظام صخر إلا أنه يقلّ عنه من حيث جودة النصّ المترجم.

اللغات الطبيعية³² بتمهيد السبيل أمام تبدّل نوعي في توجهات أبحاث الترجمة الآلية. فقد تمّ خلال هذه الفترة جميع الكثير من الموارد اللازمة لتغذية بحوث الترجمة الآلية و"تدريب"³³ برمجيات الترجمة وأنشئت قواعد معرفة لمؤازرة أنشطة التطوير التقنيّ في مضمار الترجمة الآلية. إلا أن معظم هذه الموارد كان مرتبطاً بلغات واسعة الاستخدام كالإنكليزية والفرنسية والألمانية في دول متقدمة كدول **الاتحاد الأوروبي**، مثلاً. على أية حال فإن أبحاث معالجة اللغات الطبيعية أدت إلى نشوء آليات أمكن بواسطتها تفكيك معضلات الترجمة الآلية إلى عدد أقل صعوبة من المسائل. فمن حيث المبدأ تستند نظم الترجمة الآلية الآن إلى نهجين أساسيين، الأول إحصائي والثاني تحليلي، كما تطوّر نظاماً تجمع بين النهجين معاً. ولا بدّ من التدخل البشري للحصول على نتائج مفيدة باستخدام أيّ من النظم المتاحة، إلا أن بعض النظم قد يفلح بالخروج بترجمات آلية بحته إذا ما تمّ "تدريبه" لترجمة نصوص حول موضوعات محدّدة، كالنشرات الجوية، أو نشرات أسواق المال، مثلاً.

4 - 10 - 1 نظم للترجمة الآلية على الإنترنت

توجد على شبكة الإنترنت الآن مواقع عدّة لتقديم خدمات الترجمة الآلية، إلا أن أدائها لا يوازي من حيث الدقة ما يمكن للمترجم الخبير أن يقدمه، وبوجه الخصوص اللغات التي تتميّز بخصائص تعقّد التعامل معها من قبل

على شبكة الإنترنت الآن مواقع عدّة لتقديم خدمات الترجمة الآلية غير أن أدائها لا يوازي من حيث الدقة ما يمكن للمترجم الخبير أن يقدمه، وبوجه الخصوص اللغات التي تتميّز بخصائص تعقّد التعامل معها من قبل البرمجيات المتاحة كاللغتين العربية والصينية..

32 وفقاً لتوصية اللجنة التي شكلت في ستينيات القرن الماضي لمراجعة التقدم المحرز في مضمار الترجمة الآلية.

33 يشير هذا المصطلح إلى استخدام برمجيات تسمح لنظم الترجمة بتحسين أدائها من خلال مقارنة النصوص التي تتم ترجمتها آلياً بنصوص مترجمة من قبل خبراء.

34 "مسح للمحتوى الرقمي وبرمجياته وتطبيقاته وتقييم احتياجاته"، دراسة ضمن مشروع تعزيز تطوير صناعة المحتوى الرقمي العربي في حاضنات تقنية المعلومات والاتصالات أعدّها الدكتور نبيل علي العام 2008، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا).

4 - 10 - 3 تقييم برمجيات الترجمة الآلية

يشير عدد من الدراسات حديثة العهد إلى أن الأساليب المستخدمة لتقييم برمجيات الترجمة الآلية لم تصل إلى النضج المطلوب. أما تقييم الترجمة من قبل خبراء فهو مكلف ويتطلب في الحالة المثالية مراجعة النص المترجم من قبل أكثر من خبير للتوصل إلى قدر أكبر من الموضوعية. يقدم (الإطار 24) مثالاً لتقييم بعض البرمجيات شائعة الاستخدام من أجل الترجمة الآلية من وإلى الإسبانية. ويبرز ضرورة الاستعانة بالخبراء من أجل الوصول إلى نسب مقبولة من الأخطاء في النصوص المترجمة آلياً حتى من أجل اللغات الأوروبية التي لقيت اهتمام الباحثين والتي لا تعاني من الصعوبات التي تواجهها لغات كالعربية.

4 - 10 - 2 مقارنة لأداء نظم للترجمة الآلية من اللغتين العربية والصينية

يقوم المعهد الوطني للمعايير والتقنية في الولايات المتحدة بتنفيذ برامج تتضمن دعم أبحاث الترجمة الآلية وتقييم النظم التي تم تطويرها. ويتم تقييم هذه النظم بمقارنة ما ترجم من نصوص بترجمة للنصوص ذاتها قام بها مترجمون خبراء. ويبيّن الجدول رقم (22) نتائج الاختبارات التي أجريت لمقارنة عدد من النظم التي طوّرت لترجمة النصوص العربية والصينية إلى الإنكليزية. وقد تمّ استخدام أسلوب آلي للتقييم طوّره شركة آي بي إم (IBM)، بحيث تتراوح نتائج تقييم النظم بين صفر وواحد (وهو الحد الأعلى ويعني تطابقاً تاماً بين النص الذي تمّ ترجمته آلياً والنص المرجعي الذي ترجمه خبير)، وقد أتت النتائج لتشير بوضوح إلى نتائج متدنية في الحالتين العربية والصينية (لا يمكن استخدام النصوص التي تحرز نتائج بالقرب من منتصف مجال التقييم أو من دونه قبل تدخل بشري لإجراء مراجعة كاملة للترجمة، ممّا ينفي الفائدة منها إلى حدّ بعيد). كما يتبين أيضاً أن النظام الأنجح هو ذلك الذي طوّر من قبل شركة غوغل، فالنتائج التي أحرزها هذا النظام من أجل ترجمة النصوص العربية تفوق من حيث جودتها النتائج التي تمّ الحصول عليها من أجل ترجمة النصوص الصينية. كذلك الأمر بالنسبة لباقي الأنظمة التي اشتركت في الاختبار بترجمة نصوص عربية وصينية في ما عدا نظام سيستران.³⁵

نتائج اختبار الترجمة الآلية أجراه المعهد الوطني للمعايير والتقنية

جدول رقم 22

ترجمة من الصينية إلى الإنكليزية	ترجمة من العربية إلى الإنكليزية	النظام
0.3531	0.5131	غوغل (GOOGLE)
0.3073	0.4657	آي إس آي (ISI)
0.2571	0.4646	آي بي إم (IBM)
0.3000	0.4497	يو إم دي (UMD)
0.2827	0.4348	جامعتا جون هوبكنز وكامبريدج (JHU-CU)
0.2513	0.3970	جامعة أدنبره (EDINBURGH)
0.1471	0.1079	نظام سيستران (SYSTRAN)
0.0542	0.0772	نظام ماتر (MITRE)

35 أسهمت في الاختيار نظم لم تسع لترجمة النصوص العربية والصينية بل اقتصرت اسهاماتها على الترجمة من لغة دون الأخرى. ولا يتضمن هذا الجدول النتائج التي أحرزتها، علماً بأنها متدنية عموماً.

إطار رقم 24

تقييم نظم للترجمة الآلية من الإسبانية إلى الإنجليزية

هذه الشركات من منتجات مجانية، ذات أداء غير مرضٍ بصورة عامة، إلى تعثر جهود البحث المحلية وُضُمور التمويل المخصص لها.³⁷ ومن العوامل التي تعيق جهود التطوير المحلية لنظم الترجمة الآلية من وإلى اللغة العربية العناية المحدودة التي تنالها من قبل الجهات المعنية حكومية كانت أم ضمن القطاع الخاص. ومما يثبط جهود القطاع الخاص في الدول العربية أن الشركات الكبرى الناشطة في مضمار تقنيات المعلومات والاتصالات تتبنى نماذج أعمال تعتمد على تقديم طيف من الخدمات المجانية، منها نظم متواضعة الأداء للترجمة الآلية، وتستثمر الإعلانات لشدّ كلف التطوير المحدود الذي بذل لتطوير هذه النظم. وهو توجه يجعل مؤسسات الأعمال العربية عاجزة عن المنافسة حتى عندما تفلح بتطوير منتجات بديلة تتميز من بعض الأوجه على ما تقدّمه الشركات العالمية الكبرى، بحيث يتوارى تدريجياً أيّ جهد محليّ لتطوير برمجيات اللغة العربية ذات نوعية متميزة، وتقع المجتمعات العربية تحت رحمة هذه الشركات في ما يخصّ أولى مقومات ثقافتها، اللغة العربية.³⁸

تحتاج أدوات المحتوى إلى اهتمام استثنائيّ من قبل المؤسسات الحكومية والجامعات والمعاهد البحثية والمؤسسات المختصة والمعنية بمستقبل اللغة العربية وتحقيق مجتمع واقتصاد المعرفة في الدول العربية. ولا يتوقع أن يكون للتقنيات التي سيتمّ تطويرها ربح سريع الذي كثيراً ما تتوخاه مؤسسات القطاع الخاص، ويحفزها

من أكثر النظم البرمجية المستخدمة للترجمة الآلية بين اللغات الشائعة على شبكة الإنترنت سيستران Systran وإس دي إل SDL ووردلينغو WorldLingo وإنترتران InterTran. ولتبيين إمكانيات هذه البرمجيات أجريت تجربة تمت بموجبها ترجمة عشرين جملة اقتطفت من كتاب تمهيدّي باللغة الإسبانية إلى اللغة الإنجليزية.³⁶ وقد تبين بنتيجة هذه التجربة أن نظام إس دي إل فاق سواه من النظم الآلية من حيث دقة الترجمة. إذ تمكّن من ترجمة جملتين بدقة وسبع جمل على نحو يسمح بفهم الترجمة بصورة صحيحة، بينما تمكّن نظام سيستران من ترجمة أربع جمل على هذه الصورة. وتمكّنت المنظومتان إس دي إل وسيستران من ترجمة ست جمل من الممكن فهمها إلا أنها تتضمن أخطاء نحوية. وبنتيجة الاختبار حلّ نظام إس دي إل في المرتبة الأولى، إذ بلغ معدل الدقة في الجمل التي ترجمها 75 % . أما سيستران ووردلينغو فحازتا معدل قدره 55 % وحلّ نظام إنترتران في المؤخرة بمعدل بلغ 10 % . ولم يتمكن خبير الترجمة الذي أسهم بتقييم المنظومات الآلية من فهم تسع من الجمل التي ترجمتها سيستران، أو توصل إلى صورة خاطئة لدلولها. وعلى الرغم من أن الخبير اعتبر منظومتي سيستران ووردلينغو متفوقتين من حيث قابلية تفهم الترجمات التي خرجت بهما، إلا أن نظام إس دي إل كان أكثر دقة من حيث مدلول الجمل باللغة المصدر، أي الإسبانية. وبطبيعة الحال فإن تفوّق نظم برمجية للترجمة الآلية من أجل لغة أو مجموعة محدودة من اللغات لا يعني بالضرورة تفوقها على سواها في الترجمة الآلية من وإلى لغة أخرى.

4 - 10 - 4 واقع الترجمة الآلية من وإلى العربية

على الرغم من نشوء جهود محدودة في العقدين الماضيين إلا أن الحالة الراهنة تقوم على التسليم الكامل وغير المشروط بما تقدّمه شركات تقنية المعلومات الكبرى. وقد أدّى طغيان ما تطرحه

36 أنظر الورقة "Spanish-to-English Translation Using the Web" التي قدمها M. W. Aiken و Z. Wong في المؤتمر السنوي السابع والثلاثين لمعهد الجنوب الغربي لعلوم القرار الذي عقد في بريكتاون - أوكلاهوما في الولايات المتحدة الأميركية. تمّ الاطلاع على الورقة على الموقع <http://www.swdsi.org/swdsi06/Proceedings06/Papers/IBT04.pdf> في شهر آب/ أغسطس العام 2010. تتضمن برمجيات الترجمة الآلية المتداولة الآن نظام سيستران وهو أقدم نظم الترجمة من الإنجليزية إلى العربية، ويتبنى ما يعرف بالنموذج التحويلي، وهو ذو أساس لغوي ومعجمي متواضع، ممّا يفسر تعثر المحاولات التي أجريت لتحسين أدائه منذ ظهوره قبل ثلاثة عقود تقريباً. ونظام صخر ثنائي الاتجاه للغتين الإنجليزية والعربية. وهو يستند إلى النموذج التحويلي. ولا يفوق أدائه بكثير أداء نظام غوغل ذي الأساس الإحصائي. ونظام مسبار من إنتاج شركة ATA software للترجمة من الإنجليزية إلى العربية وهو يشبه في كثير من الأوجه نظام صخر إلا أنه يقل عنه من حيث جودة النصوص المترجمة.

38 "مسح للمحتوى العربي الرقمي وبرمجياته وتطبيقاته وتقييم احتياجاته"، دراسة ضمن مشروع تعزيز تطوير صناعة المحتوى الرقمي العربي في حاضنات تقنية المعلومات والاتصالات أعدها الدكتور نبيل علي العام 2008 لـ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا).

يمثل عقبة أمام إدخالها وتطوير أدائها من قبل المستثمرين المحليين.

ولقد أضحت البرمجيات مفتوحة المصدر واسعة الانتشار في أنحاء العالم، وباتت تؤدي وظائف أساسية في نشر تطبيقات تقنية من بينها تطبيقات عسكرية وأمنية تعتبر من أشد المجالات حاجة للوثوقية أو الاعتمادية. بل إن بعض الشركات التي تختص بتطوير البرمجيات وتسويقها تستثمر مكوّنات مفتوحة المصدر في البرمجيات الامتلاكية التي تتبعها للزبائن. ومن حسن الطالع أن تصميم كثير من البرمجيات المفتوحة يتمّ بحيث تقبل التطوير لمطالبي لغة معيّنة أو التطبيقات الخاصة بسوق محدّدة. والخلاصة أن البرمجيات مفتوحة المصدر تتسم بميزات أهمها:

- خفض تكاليف التطوير نتيجة حرية النفاذ إلى مكتبات الرمز المشترك؛
- خضوعها لجهود التطوير والأقلّمة باستمرار ممّا يؤدي لإيقاع سريع في إصداراتها ولسرعة انتشارها وتوظيفها؛⁴⁰
- إمكانات للتلاؤم مع النظم القائمة.
- ومن المرجح أن تؤدي الاضطرابات الاقتصادية العالمية والشبوع المتزايد للتجهيزات المعلوماتية لانتشار البرمجيات مفتوحة المصادر على نطاق أوسع. فيتوقع أن تمثل نسبة البرمجيات المفتوحة المصدر 20 - 50 % من سوق البرمجيات، خلال السنوات القليلة المقبلة.⁴¹ ومن أهم القطاعات التي ستتأثر

على توظيف الاستثمارات المؤاتية وتوظيف الموارد البشرية المناسبة. ومن الأساليب التي ينبغي أن تولّى القسط الأكبر من الاهتمام بهذا الصدد عقد شراكات بحثية بين معاهد الأبحاث العربية بحيث تطرح نتائج الأبحاث ضمن نطاق المصدر المفتوح، فيتسنى البناء عليها في أبحاث وأنشطة تطويرية مستقبلية. وهناك بوادر مشجعة لمثل هذا التوجّه لكنها قد لا تكون كافية لمجابهة الصعوبات التي لا ينكرها أي من العاملين في هذا الحقل المعرفي.

5 - البرمجيات مفتوحة المصدر

Open source software

من العقبات التي تعيق انتشار تطبيقات تقنية المعلومات باللغة العربية الدعم المحدود الذي تناله البرمجيات مفتوحة المصدر في المنطقة العربية.³⁹ والبرمجيات مفتوحة المصدر رمزها coding متاح للجميع وقابل للتوسيع والتوزيع بحرية، ممّا يسمح لمطوّريها بمراجعتها واختبارها ومن ثمّ التشارك في إثرائها وتحسين أدائها على نحو أسرع، مقارنة بالبرمجيات الامتلاكية، التي تطوّرّها شركة معيّنة وتحتكر رمزها، ممّا ينفي فرص الابتكار والمراجعة والاختبار. هناك على سبيل المثال عديد من الإضافات المفيدة للمستخدم العربي في منظومات التدقيق الهجائي والنحوي المدمجة ضمن النسخة العربية من **برمجيات وورد** التي تسوقها شركة **مايكروسوفت** لمعالجة الكلمات، إلا أن إغلاق باب التعديل من قبل هذه الشركة

39 ما زالت معظم الجهود الحالية في مضمار البرمجيات مفتوحة المصدر فردية. وهناك مبادرة مشجعة يقوم بها موقع Arabeyes.com من أجل تسهيل الجهود وتقديم الدعم لمطوري البرمجيات مفتوحة المصدر في مجال التعريب، وقد أطلقت عبر هذا الموقع عدّة مشروعات لهذا الغرض تركز على إدخال إضافات وتعديلات على تطبيقات قائمة بالفعل. وقد بادر بعض المؤسسات في سوريا خلال السنوات القليلة الماضية بتكثيف نشاطها في مضمار البرمجيات مفتوحة المصدر، إذ يستخدم عدد ملموس من المؤسسات السورية نظام التشغيل Linux وبرمجيات أخرى مفتوحة المصدر.

40 بما أن المكوّنات الرئيسة لبرمجيات المصدر المفتوح مطوّرة من قبل مجتمعات الممارسين في أرجاء العالم، فإن توظيف الحلول التي تقدّمها يتمّ بسرعة تفوق ما يمكن توظيفه باستخدام البرمجيات الامتلاكية التي غالباً ما تقوم بتطويرها مجموعات محدودة من المبرمجين العاملين في الشركات.

41 هذا بناء على استفتاء أجرته الشركة نورث بريدج North Bridge في العام 2008، والذي أسهمت فيه قرابة 120 شركة تستخدم

مستقبلاً بالبرمجيات المفتوحة المصدر:

- تطبيقات النشر على الشبكة وإدارة المحتوى،
- برمجيات الشبكات الاجتماعية،
- برمجيات مؤسسات الأعمال التي تضم طيفاً واسعاً من التطبيقات والتقنيات الهادفة إلى جمع المعطيات وتخزينها والنفوذ إليها لمؤازرة نظم اتخاذ القرار.

تمثل البرمجيات مفتوحة المصدر خيارات مناسبة للحصول على نظم التشغيل والتطبيقات المختلفة بتكلفة منخفضة، مع حرية التعديل بحسب الحاجة. ولا بدّ لذلك من ملائمة هذه البرمجيات مع اللغة العربية، لتشكّل وسيلة لنشر المحتوى العربي الرقمي على الإنترنت، وإدارته. وكذلك من أجل تطوير البرمجيات المناسبة للمستخدم العربي بتكلفة منخفضة. وقد اقتصرنا التطبيقات العربية التي تعتمد البرمجيات مفتوحة المصدر إلى حدّ كبير على مجالات محدودة، منها تعليم اللغة العربية وتقديم خدمات على مواقع الويب، بينما الفرص سانحة للتوسع في قطاعات التطبيق الأخرى. ولا يمكن ذلك إلاّ بنشر الوعي والمعرفة لدى المهندسين والفنيين العاملين في مجال البرمجيات، خلال مرحلة التعليم الجامعي، وعبر "تجمعات المطورين الافتراضية" لتداول تطوير البرمجيات مفتوحة المصدر وتعديلها. ويبرز هنا دور المؤسسات الحكومية وغير الحكومية في تشجيع تجمعات مبرمجي المفتوح⁴² بتنمية القدرات التقنية فيها، منفردة ومتعاونة، وتشكيل مجموعات العمل المتخصصة، وإرساء البنى الأساسية لصناعة البرمجيات وسنّ

التشريعات واللوائح الناظمة لها.⁴³ والحكومات العربية، شأنها شأن كثير من حكومات الدول النامية، فقد آثرت الاستفادة ممّا توفره شركات البرمجيات، وبخاصة مايكروسوفت، من دعم فنيّ تقدّمه الحزم التجارية الجاهزة، على بذل الجهد اللازم لتطوير قدراتها الذاتية. هذا مع أن الاهتمام بالبرمجيات مفتوحة المصدر يشكّل السبيل الأمثل لإقامة صناعة برمجيات وطنية تستوجب تدريب الأطر الفنية لصيانتها وتعديلها. ولدى عدد من البلدان العربية كتلة حرجة من هذه الأطر يمكن البناء عليها لتطوير قواعد تقنية مناسبة.

5- 1 برمجيات مفتوحة المصدر

لتوليد ونشر المحتوى الرقمي العربي

إن العديد من حزم البرمجيات مفتوحة المصدر متوافر لدعم أنشطة شتى في مجالات التعليم والبحث وإدارة الأعمال ولتقديم الخدمات الحكومية ولتوليد ونشر المحتوى الرقمي بالعربية. وقد تمّ تصميم الكثير من هذه النظم أصلاً بحيث تتقبّل التعامل مع لغات عدّة. وبينما تمّ تعريب قسط ملموس من هذه النظم بصورة متكاملة، تستمر المساعي لتعريب نظم أخرى أو بعض مكوناتها جزئياً لدعم احتياجات مستخدمي اللغة العربية. وهناك مبادرات عربية محدودة لتعريب هذه البرمجيات أو إضافة مكونات يمكن توليفها استجابة لبعض مطالب المستخدم العربي. أما الجهات المؤهلة للقيام بأنشطة التعريب والتطوير فهي في الدرجة الأولى معاهد

البرمجيات المفتوحة المصدر لبيان مدى استخدامها الحالي لهذه البرمجيات، مقارنة بالبرمجيات الامتلاكية.

42 غالباً ما تقود الحكومات ركب البرمجيات مفتوحة المصدر كي لا تقع النظم الحكومية الحساسة تحت رحمة الشركات الموردة لحزم البرامج الجاهزة. وقد كانت حكومة الصين سباقة في استخدام المصادر المفتوحة في جميع الأجهزة الحكومية، كما طوّرت النسخة الصينية لنظام التشغيل مفتوح المصدر Linux.

43 تمثل الخطة التي نفذتها تايبان لإدخال برمجيات المصدر المفتوح في كثير من التطبيقات نموذجاً تجدر دراسته والاقتداء به من جوانب عدّة.

44 ملخصات مشروعات الخطة الوطنية الأولى للعلوم والتقنية في المملكة العربية السعودية، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، 2010.

أنشطة معاهد الأبحاث العربية في مضمار اللغة العربية وتقنية المعلومات والاتصالات

تتضمن برامج الأبحاث في العديد من الدول العربية أنشطة تتعلق مباشرة بتفاعل اللغة العربية مع تقنية المعلومات والاتصالات واستخدامها على الإنترنت. ومن الأمثلة على ذلك ما تقوم به معاهد بحثية في المملكة العربية السعودية من مشروعات⁴⁴ ترمي لتيسير الاستخدام الذكي للغة العربية على الحاسوب وضمن شبكة الإنترنت. وعلى سبيل المثال، ينجز فريق بحثي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مشروعاً يهدف لتطوير خوارزميات algorithms متكاملة لضغط نصوص اللغة العربية والبحث ضمنها. ومن ميزات النظام الذي يسعى الباحثون لتطويره أنه يأخذ بالاعتبار خصائص اللغة العربية، بحيث ستبني الخوارزميات على الخصائص الاشتقاقية والصرفية والنحوية للغة العربية. وستؤدي مخرجات المشروع لتسريع نقل النصوص العربية على الشبكة، وأرشفة البيانات واسترجاعها من النصوص المضغوطة والبحث ضمنها.

ويهدف مشروع آخر تقوم بإنجازه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى تطوير مفهرس عربي آلي ذكي يراعي طبيعة وخصائص المحتوى العربي على الإنترنت بشكل يجعل استخلاص هذا المحتوى أكثر كفاءة ودقة. ويمكن تلخيص منجزات المشروع العلمية بدراسة تصاميم المفهرسات العربية الآلية وإعداد إطار عام لتقييمها وتطويرها؛ وبناء مفهرس عربي آلي باستخدام تقنيات متطورة. وستوضع البرمجيات التي يتم تطويرها بمتناول الباحثين ليتسنى استخدامها لبناء وتحسين المكتبات الرقمية ومحركات البحث العربية والأدلة الإلكترونية وكذلك تحسين قدرات البحث على الإنترنت من قبل المستخدم العربي.

وفي جامعة الملك فهد للبترول والمعادن يتم إنجاز مشروع يهدف للتعرف إلى النصوص العربية المكتوبة بخط اليد. فعلى الرغم من النجاح الذي حظيت به لغات أخرى كاللغات اللاتينية والصينية واليابانية لم يلقَ التعرف إلى الكتابة العربية المكتوبة بخط اليد الاهتمام ذاته. ويتضمن المشروع وضع قاعدة بيانات للكتابة العربية اليدوية تشمل أنماطاً عديدة من الخطوط المكتوبة، تشكل قاعدة لتقييم نظم التعرف إلى الكتابة العربية اليدوية. ومن الغايات المنشودة لهذا البحث رقمنة المخطوطات القديمة، إضافة إلى استخدامات نتاج المشروع البحثي من قبل الأفراد وفي المعاملات التجارية ولقراءة عناوين الرسائل ألياً.

ويسعى مشروع آخر، يتم إنجازه في جامعة الملك فهد أيضاً، لتطوير نظام للتعرف الآلي إلى الكلام باللغة العربية وباستخدام لهجات متباينة. وسيستند العمل في هذا المضمار إلى أنشطة أنجزها الفريق البحثي سابقاً بالتعاون مع مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. ويهدف المشروع إلى تطوير تطبيقات تصلح للتسويق التجاري، يمكن أن تستند إليها نظم للترجمة الفورية الآلية من وإلى العربية. وسيتم في إطار هذا المشروع اختبار طرق حديثة لبناء الجيل الجديد من نظم التعرف على الكلام، تتضمن تقنيات الشبكات العصبية neural networks الاصطناعية.

كما يهدف عدد من مشروعات الأبحاث في تقنية المعلومات إلى مؤازرة الموقعين، فيقوم فريق بحثي في جامعة الملك سعود، مثلاً، بتنفيذ مشروع يرمي إلى تطوير نظام متكامل يمكن المكفوفين من استخدام الحاسب الآلي وجعل التواصل بين المبصر والكنيف أكثر مرونة وفاعلية. بينما يرمي مشروع يقوم بتنفيذه فريق بحثي في جامعة الملك عبد العزيز إلى تطوير نظام يسمح للمعوقين الذين فقدوا القدرة على الحركة بالتحكم بالبيئة المحيطة بهم بقراءة إشارات الدماغ. ويستهدف مشروع آخر يقوم بتنفيذه فريق بحثي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بناء مترجم افتراضي يعتمد على بنية الجملة لتحويل النص العربي إلى لغة الإشارة السعودية، وذلك بحيث يتسنى للصم في المجتمع السعودي، التواصل مع من حولهم والحصول على المعلومات دون مساعدة مكثفة. وذلك باستخدام برمجيات تستند إلى تقنيات معالجة النصوص والإشارة والصور والبيانات الحاسوبية computer graphics. ومن المخطط أن يتم استناداً إلى نتائج البحث تطوير نظم قابلة للتركيب على أجهزة الهاتف المحمول ترتبط مع شبكة الاتصالات المحلية.

ويتم العمل على مشروعات أخرى يتم إنجازها بالتعاون بين مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في السعودية والمعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا في سوريا. ومن ثمار مشروعات البحث في مضمار تطبيقات تقنية المعلومات والاتصالات واللغة العربية، التي ستجد قريباً طريقها إلى شبكة الإنترنت، المعجم الحاسوبي التفاعلي الذي ترعى مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية تنفيذه، وسيطرح لتطويره لاحقاً وفقاً لآليات المصدر المفتوح.

في الدول العربية للتعرف إلى الكلام وتمييز اللهجات (الإطار 25)، إلا أن مراجعة الأدبيات المتاحة تفيد بأن الجهود التي بذلت سابقاً في هذه المجالات وغيرها من الحقول المرتبطة باللغة العربية تكاد لا تلامس ما هو مطلوب وضروري لضمان مستقبل مقبول لها على شبكة الإنترنت. ومن العوامل التي أعاقَت وما زالت تعيق بذل جهود توازي المطلوب، الاستسلام شبه التام لموردي المنظومات الحاسوبية التي تتعامل مع اللغة العربية.

ويبدو المستقبل القريب واعداً من جوانب عديدة. إذ تتضمن استراتيجيات التقنية التي أضحت تشكّل جانباً محورياً ضمن خطط التنمية الوطنية واستراتيجياتها في عدد من الدول العربية مبادرات تتناول تمكين اللغة العربية من التفاعل البناء مع الأوساط الرقمية. فقد أطلق بعض الدول العربية مبادرات وطنية في مضمار اللغة العربية وتقنية المعلومات والاتصالات، منها مبادرة الملك عبد الله للمحتوى العربي واللجنة الرئاسية التي شكلت في سوريا لرعاية اللغة العربية أساساً لمجتمع المعلومات. وهناك مؤشرات عن تنامي الجهود الإقليمية الرامية إلى دعم اللغة العربية من أبرزها مبادرة رئيس مؤسسة الفكر العربي لعقد القمة العربية الثقافية الأولى في العام 2011 (الإطار 26).

تقنية المعلومات في خدمة اللغة العربية: أوجه التطوير

ترتبط تقنية المعلومات أكثر من غيرها من التقنيات الحديثة باللغة وأنماط استخدامها. ذلك أن مدخلات ومخرجات هذه التقنية هي

الدراسات العليا والبحث العلمي وحاضنات التقنية والأعمال المتصلة بها، بحيث تقوم مثل هذه المؤسسات بدور رائد في دول العالم لتطوير البرمجيات مفتوحة المصدر ودعم تطبيقاتها. وعلى الرغم من نشوء شبكات من خبراء البرمجيات مفتوحة المصدر في الدول العربية، إلا أن الحاجة ماسة لتشكيل المزيد من هذه الشبكات والربط بينها.

6 - أنشطة بحثية حول تطبيقات تقنية المعلومات والاتصالات باللغة العربية

استحدثت جامعات عديدة في أوروبا والولايات المتحدة مجموعات للبحث تتناول مسائل تتعلق باللغة العربية العامية والفصحى وتقنية المعلومات. وقد أنشئ القسط الأكبر من هذه المجموعات من ضمن أقسام جامعية معنية بالحوسبة واللغويات. كما أن العديد من الجامعات ومراكز الأبحاث في دول الشرق والمغرب العربيين قد أحدث أقساماً أو شكّل وحدات بحثية تتناول مسائل تتعلق باللغة العربية وتعاملها مع تقنية المعلومات والاتصالات. هذا بالإضافة إلى مجموعات البحث الخاصة التي أحدثتها الشركات الكبرى الناشطة في مضمار تقديم خدمات تقنية المعلومات والاتصالات، مثل مايكروسوفت وغوغل وأوراكل.⁴⁵ وتقوم معاهد للتعليم العالي والبحث العلمي في دول عربية مثل السعودية والمغرب ومصر وسوريا وبعض دول الخليج أيضاً بأنشطة بحثية في مضمار اللغة العربية وتقنية المعلومات والاتصالات. ويتّجه اهتمام الباحثين

45 يشير نبيل علي مثلاً إلى أن تقنيات المحتوى في المنطقة العربية هي الآن محتكرة من قبل ثلاث شركات كبرى، بحيث تتولّى مايكروسوفت "توريد برامج معالجة المحتوى ونظم تشغيل خادמות مواقعه ونظم تشغيل حواسيب مستخدميه في حين تتكفل أوراكل بمهمة بناء قواعد البيانات وتتولّى غوغل الشق الخاص بالبحث." أنظر الدراسة التي أعدها الدكتور نبيل علي العام 2008 للجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، تحت العنوان "مسح للمحتوى العربي الرقمي وبرمجياته وتطبيقاته وتقييم احتياجاته: ضمن مشروع تعزيز تطوير صناعة المحتوى الرقمي العربي في حاضنات تقنية المعلومات والاتصالات.

عام 2009 أطلق رئيس مؤسسة الفكر العربي الأمير خالد الفيصل الدعوة إلى عقد قمة ثقافية عربية، ولاقت الدعوة موافقة القمة العربية التي عُقدت في سرت- ليبيا في آذار/ مارس العام 2010 على عقد هذه القمة في العام 2011. وتضمن البند 14 من إعلان "سرت" الصادر عن القمة:

"وجّهنا للإعداد لعقد قمة ثقافية عربية لصياغة رؤية ثقافية مستقبلية للدول العربية ولتوفير أشكال الدعم كافة للمؤسسات الثقافية والمبدعين والكتاب العرب للارتقاء بالإبداع العربي في مختلف المجالات".

ومن ثم شكّلت لجنة تحضيرية من جامعة الدول العربية ومؤسسة الفكر العربي ومنظمة اليونسكو، واتفق على أن تتولى مؤسسة الفكر العربي تنظيم لقاء يعدّ للقمة الثقافية العربية الأولى، ويمهد لوضع مجموعة من التوصيات في هذا الشأن. يخصّ نصّ الوثيقة الختامية الصادرة عن اللقاء التحضيري الأول للقمة الذي عقد في تموز/ يوليو من العام ذاته "إنفاذ اللغة العربية" بالأولوية، فقد تضمن بنوداً تتناول وضع الخطط الرامية إلى:

- تشخيص أوضاع اللغة العربية بتعيين المشكلات ونقاط الضعف التي تعاني منها وتحديد أسبابها، والتعرف إلى التحديات التي تواجهها.

- توفير معلومات ومعطيات وإحصاءات تتيح التعرف إلى أوضاع اللغة العربية على صعيد كل بلد عربي على حدة، وعلى صعيد العالم العربي كله.

- تخصيص ملف للغة العربية في التقرير السنوي الذي تعدّه مؤسسة الفكر العربي.

- دعوة كل المؤسسات العربية لأن تكون مؤتمراتها كلها، بما فيها مؤتمرات الشباب، باللغة العربية.

وضمن الإطار الدستوري والقانوني تضمنت توصيات اللقاء الأول:

- تفعيل المواد المتعلقة باللغة العربية في الدساتير أو النظم الأساسية للحكومات العربية، التي تنصّ على أن اللغة العربية الفصحى هي اللغة الرسمية للبلدان العربية، وذلك بإصدار الأنظمة والتشريعات التي تحمي اللغة العربية وتعزّز مكانتها في جميع المجالات.

- إقرار سياسة لغوية واضحة لدعم اللغة العربية، على الصعيدين الرسمي والشعبي، وبصورة خاصة في قطاعات التعليم والاقتصاد والإعلام والتقنية.

- إنشاء مجلس أعلى للغة العربية، يرتبط مباشرة بالقمة العربية، يتولّى دراسة أوضاع اللغة العربية في البلدان العربية، ورسم السياسات والاستراتيجيات ومتابعة تنفيذها. ويكون له فروع في كل بلد عربي.

وفي قطاع التعليم تضمنت توصيات اللقاء الأول الدعوة لاعتماد اللغة العربية لغة للتدريس والبيئة التعليمية والبحث العلمي، في جميع مراحل التعليم، مع العناية بتعليم اللغات الأخرى. وحثّ وزارات التربية والتعليم في البلاد العربية على إعداد مدرّسي اللغة العربية إعداداً ملائماً وتطوير مناهج اللغة العربية. وفي مجال الإعلام أوصى اللقاء الأول بتعزيز العلاقة بين اللغة والهوية والتأكيد على توسيع نطاق استخدام اللغة العربية الفصحى في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية وتشجيع إنتاج المواد والبرامج الإعلامية المعدة باللغة العربية الفصحى.

كما تضمنت توصيات اللقاء التمهيدي الأول للقمة بنوداً تخصّ دعم المحتوى الرقمي العربي على شبكة الإنترنت منها:

- التأكيد على أهمية عدم وضع أية قيود محلية أو دولية تؤثر على حرية تداول المعلومات والبيانات والآراء؛

- وضع سياسات رشيدة ومتوازنة للتعامل مع الشركات العالمية في تقنية المعلومات بهدف ضمان الإسهام العربي الفعال في صناعة المحتوى الرقمي؛

- توحيد قوانين الملكية الفكرية الواجب تطبيقها في العالم العربي بشكل لا يعيق إثراء المحتوى العربي على الإنترنت، وسدّ الفجوة في تشريعات الإنترنت بشكل يضمن الحفاظ على الخصوصية الفردية ولا يتعارض مع حرية التعبير والنشر وتبادل المعلومات؛

- الشروع في الحفاظ على الذاكرة العربية الرقمية عن طريق أرشفة المخزون الرقمي وتوثيقه؛

- رأب الفجوة الرقمية المتفاقمة لغة العربية واعتبارها اللغة الأساسية لصناعة المحتوى الرقمي العربي واستغلال إمكانات حوسبتها التي تتيحها تقنية المعلومات والاتصالات في ذلك.

وعلى صعيد الترجمة وترشيدها اقترح اللقاء التمهيدي الأول للقمة تأسيس "هيئة عربية للترجمة والنشر" تتمثّل فيها كل الدول العربية، وأهم مراكز الترجمة والمؤسسات الأكاديمية ودور النشر العربية، ونخبة من الخبراء المختصين. بحيث توكّل إلى هذه الهيئة مهمة الإشراف على ترجمة أهم الأعمال الإنسانية من العربية وإليها وتشكيل لجنة تبلور المقترح وتصوغ الركائز والأهداف والأولويات والاستراتيجيات وآليات التنفيذ، توطئة لعرض ما تخلص إليه على القمة الثقافية المزمع عقدها. ومن الجدير بالذكر أن التوصيات الخاصة بالترجمة الآلية لم تقدر بنوداً تتناول الترجمة الآلية.

46 استقيت المعلومات التي يتضمنها هذا الإطار في آب / أغسطس 2010 من موقع مؤسسة الفكر العربي:

http://www.arabthought.org/index.php?option=com_content&task=blogcategory&id=28&Itemid=172

بأبحاث اللغة ومعالجتها وأنماط وجودها واستخدامها على الشبكة.

وقد استند الأسلوب الذي اتبع في المعالجة الآلية للعديد من اللغات إلى تطويع التقنيات لتتماشى مع الكيان اللغوي. إلا أن حدود الإمكانيات التقنية المتاحة، وبصورة خاصة الحدود التي ما زال ذكاء الآلة يقف عندها، تتطلب من جهة أخرى القيام بإدخال تطوير محدود على اللغة أحياناً. والإصرار على الحلول التقنية من دون القيام بمثل هذا التطوير، لتلائم اللغة مع التقنيات المتاحة، يستوجب كلفاً مفرطة من الجوانب الثقافية والاقتصادية والحضارية.

ولا بدّ من تحديد أوجه الإصلاح والتطوير بناء على بحث بدأ بعضه منذ حين، لكن استمراره يحتاج لدعم يفوق بكثير ما نال حتى الآن. ومن الواضح أن الإصلاح والتطوير المطلوبين لا بد أن يتناولوا قضايا متباينة في العمق والأثر، من مراجعة شكل الحروف وتشكيلها إلى الخروج بقواعد مبتكرة للنحت والاشتقاق وتعريب مفردات اللغات الأخرى. فالسعي نحو مستقبل زاهر للغة العربية لا يكون بإهمال تعليم اللغات الأخرى والحد من التفاعل مع ثقافتها، بل إن العكس هو الصحيح. وما أدل على ذلك من أن اللغة العربية بلغت أوجها، وأضحت لغة عالمية المدى للعلوم والتقنية والتجارة والفنون، عندما تفاعلت مع لغات وحضارات العالم فتقبلت الغنيّ وجانبت الفثّ منها.

تتطلب صعوبة المسيرة المقبلة والعقبات التي تعترضها تشييد بنى في شتى مجالات الحياة العلمية والثقافية والفنية تضمن صياغة وتنفيذ سياسات للتنمية الوطنية:

المعلومات التي لا بدّ أن يتداولها أفراد المجتمع بلغته. وقد يبدو للوهلة الأولى أن البلدان العربية تمتلك من القدرات الاقتصادية وحجم السكان ما يمكنها من فرض احتياجات لغتها على مصنّعي الأجهزة والبرمجيات، إلا أن هذا لم يكن صحيحاً في الماضي وما يزال غير صحيح اليوم. ومن الأسباب الرئيسة في ذلك أن التطوير التقني يتم لدى الشركات الكبرى المنتجة من دون إسهامات تذكر من قبل المؤسسات الوطنية، التي لا تمتلك من القدرة ما يمكنها من القيام بالتطوير التقني بنفسها. وللشركات الكبرى غايات وممارسات لا تتطابق، بل تتعارض، في كثير من الأحيان مع التنمية الرشيدة في المجتمعات النامية.

وقد تصبح الصورة مؤاتية إلى حدّ أكبر في المستقبل. فاهتمام شركات تقنية المعلومات والاتصالات الدولية بالسوق العربية يتنامى ويتخذ أبعاداً تتجاوز ما سبق.⁴⁷ على الرغم من ذلك فإن الخشية تبقى قائمة في ألا يتجاوز هذا الاهتمام القضايا السطحية التي تحفز المستهلك على ابتلاع العتاد الحاسوبي والبرمجيات من دون التطرق إلى بعض القضايا الرئيسة التي تعيق استخدام اللغة العربية بالنحو الأمثل على الشبكة. ولا بديل لضمان استخدام كهذا من إطلاق ورعاية مبادرات لتنمية المحتوى العربي وتطوير تقنيات العتاد والبرمجيات الكفيلة بوضع اللغة العربية في مكانة الصدارة. ومن المبادرات التي ينبغي منحها الأولوية تلك التي تركز على مناهج تشاركية وتعاونية بين المطورين والمستثمرين والمؤسسات المعنية باللغة والتقنية، أي بما يماثل نهج المصدر المفتوح في تطوير البرمجيات، ويتجاوزه في كل ما يتعلق

47 من الأدلة التي تشير إلى تزايد اهتمام شركات تقنية المعلومات بالسوق العربية ابتداءً من شركة مكتوب الأردنية، التي كانت تقدم خدمات الإنترنت والتواصل، بمبلغ يعتقد أنه قارب أو فاق 150 مليون دولار أميركي. ومن المقرر استمرار مكتوب بتقديم خدماتها للجمهور العربي واستفادتها إلى حدود تفوق ما سبق من التقنيات التي طورتها ياهو.

بينها، وتطوير النظم ووضع معايير مشتركة للتطبيقات التقنية. ومن المجالات الرئيسية التي تستوجب العناية الخاصة، تطوير نظم آلية للفهرسة والاستخلاص والترجمة استناداً إلى أبحاث لغوية معمقة بدلاً من الحلول السطحية المتاحة الآن. وتشكل الأبحاث في مجالات الذكاء الاصطناعي محوراً مهماً في هذا المضمار، كذلك شأن التوثيق المستدير للغة العربية وبناء معاجم لغوية حديثة.

ومن عوامل القوة التي يمكن الاعتماد عليها أيضاً الحماسة التي تبديها بعض القيادات السياسية العربية في دفع التنمية التقنية وبناء مجتمعات المعلومات والمعرفة في بلدانها، والوعي السائد بأن اللغة العربية حجر الأساس في هذه المجتمعات. كما أن الخبرات المتوافرة محلياً وإقليمياً وفي أنحاء العالم، إن كان على صعيد تقنيات المعلومات ونظمها أم في أبحاث اللسانيات، تشكل رصيماً ثميناً يؤسس لمستقبل اللغة العربية وأهلها.

- تضع العربية في مكانة الصدارة فعلاً عند سعيها لبناء مجتمعات المعرفة؛
 - تهدف إلى إصلاح اللغة العربية وتطوير تعليمها استناداً إلى أبحاث علمية معمقة؛
 - ترعى الإبداع في معاهد التعليم بمستوياتها المختلفة؛
 - تسعى لامتلاك التقنيات الحديثة وتطويرها وتوظيفها؛
 - تحفز على إحداث مؤسّسات الأعمال المعنية باللغة والتقنية وتطبيقاتها؛
 - تتخذ من التفاعل والانفتاح على لغات العالم وثقافته النهج الأساس؛
 - تدعم التعاون العربي والدولي في البحث والتطوير التقني من دون اتخاذ شرطاً للمضي قدماً.
- كما يتطلب اللحاق بالموجة الثانية لمعالجة اللغات الطبيعية وتهيئة اللغة العربية للمناخ الذي ستحلّه الشبكة الدلالية خلال السنوات القليلة المقبلة، تبني برامج للأبحاث والتنسيق

آليات جديدة لدعم البحوث العربية

ترابط البحث العلمي في الإطار العربي والدولي

جهود عربية لكن مشتتة

على الرغم من التحسن الجوهري الحاصل في القدرات العلمية والتكنولوجية لمعظم الدول العربية، تبرز الحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى إقامة شبكات الترابط لتشبيك الباحثين والمؤسسات البحثية بغية التجديد المعرفي وتعزيز ثقة الباحث العربي بنفسه ليكون لاعباً مبتكراً في ظل هذه البيئة التنافسية التي فرضتها وتفرضها العولمة الشرسة..

”الشبكة” كبنية تنظيمية ومعرفية اقترنت بالاقتصاد المعرفي (أو الشبكي)، وسرعان ما وظفت لخدمة التعاون الدولي في البحث العلمي والابتكار، وأكسبت الترابط الشبكي، أو ما يسمى بالتشبيك كمفهوم وآلية، على أثر هذا التوظيف مدلولاً اقتصادياً هاماً.

وهكذا نمت شبكات البحث والتطوير والابتكار عبر المؤسسات والدول، هادفة جميعها إلى رفع الكمونات الابتكاري للمؤسسات عن طريق المساعدة في عملية بناء القدرات وتأمين الكفاءات وتبادل الخبرات مع النظراء. إن ما يضمن فاعلية هذه الشبكات المعرفية وجود شراكات بين مختلف الجهات المعنية بتوليد المعرفة واستثمارها، وما يزيد من أهميتها بالنسبة إلى الدول ذلك الدور الحيوي والفاعل المناط بها في تحويل المنظومة الوطنية للعلوم والتقانة إلى منظومة وطنية للابتكار.

وفي البلدان العربية التي لا زالت تعاني من التششت في جهودها الوطنية في البحث والتطوير والابتكار، على الرغم من التحسن الجوهري الحاصل في القدرات العلمية والتكنولوجية لمعظمها، تبرز الحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى إقامة شبكات الترابط لتشبيك الباحثين والمؤسسات البحثية من أجل التجديد المعرفي وتعزيز ثقة الباحث العربي بنفسه ليكون لاعباً مبتكراً في ظل هذه البيئة التنافسية التي فرضتها وتفرضها العولمة الشرسة، سواء على

من المسلم به في الوقت الراهن، أن التعاون العلمي الدولي بات يمثل أداة متعاظمة الأهمية في بناء القدرات العلمية والتكنولوجية وتعزيز المنظومة الوطنية للابتكار. ولطالما مكّن التعاون الدولي في مجال البحث العلمي العلماء والباحثين في مختلف الدول من مواكبة المستجدات العلمية في حقولهم، وخلق المعرفة المشتركة ونشرها، بالإضافة إلى تمكين البلدان ومؤسساتها من تجاوز الثغرات المعرفية وندرة الموارد. ولا عجب أن نجد اليوم أن ما يزيد على خمس الإنتاج المعرفي العالمي منشور عن طريق التأليف العالمي المشترك (International co-authoring). وقد أمكن تطوير التواصل بين الباحثين بفضل البيئة التمكينية المتنامية التي وضعتها ثورة المعلومات والاتصالات في تصرفهم في أغلب دول العالم، وسهولة التنقل عبر الحدود. ومن المظاهر اللافتة أيضاً أن التعاون البحثي الدولي قد أضحى عنصراً مفتاحياً من عناصر استراتيجية العولمة لأي مؤسسة أو بلد.

وإذا كانت الثورة الصناعية قد أفرزت المصنع كأهم بنية تنظيمية إنتاجية اقترنت بالاقتصاد الصناعي، فإن ثورة المعلومات أفرزت

المستوى العربي أم على المستوى العالمي.

1 - الترابط البيئي الإقليمي والعالمي، خلفية نظرية

شهد العقد الماضي ولادة تيارين متناميين يخصّان المنظومة العالمية للعلم والتكنولوجيا وهما¹: تدويل البحث والتطوير (Internationalization of R&D) وعولمة الابتكار (Globalization of Innovation). وقد تجلّى تدويل البحث والتطوير من خلال مظاهر مختلفة، أهمها:

- تزايد إنفاق الشركات متعددة الجنسيات Multi-National Corporate -MNCs على البحث العلمي في الخارج (تصرف شركتا HP و IBM أكثر من ثلث ميزانيتها الخاصة بالبحث والتطوير خارج الولايات المتحدة).

- انتشار الشركات متعددة الجنسيات في العالم بالقرب من مكامن البحث العلمي والابتكار بما في ذلك الدول النامية، حيث ترافق ذلك مع إحداث وحدات بحث وتطوير R&D Units، ومختبرات فنية بالإضافة إلى إحداث مراكز تميز شبكية عالمية تتبع لهذه الشركات.

- إقامة شراكات استراتيجية مع مراكز البحوث الحكومية في العالم، وهي في الواقع نموذج لشراكة العقل المبتكر المنتشر في جميع أنحاء العالم من جهة، مع الخبرات المميزة في التطوير والتمويل والتسويق التي تمتلكها

الشركات متعددة الجنسيات من جهة أخرى. وما تجدر الإشارة إليه هو أن أكثر من نصف "الشراكات الاستراتيجية" القائمة في الولايات المتحدة حالياً هي شراكات عالمية². كمثال على هذا الاتجاه نذكر حالة المخبر الوطني لأبحاث الكيمياء في الهند National Chemical Laboratory - NCL الذي يعمل حالياً لصالح كبريات الشركات الكيميائية متعددة الجنسيات مثل GE و Du Pont و Ciba Geigy وغيرها³.

- نشوء شبكات البحث العلمي كبنية تنظيمية جديدة عزّزتها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

أما عولمة الابتكار⁴ فهو تيار حديث مكمل للأول، اقترن بظهور شبكات الابتكار العالمية (Innovation Networks)، بتحريض من الشركات التي تحاول الامتداد عالمياً إلى مواقع أجنبية افتراضية للتزود بالابتكار، خصوصاً أن شبكات الابتكار هذه لا تتطلب تجاوراً لمواقع البحث والتطوير مع مواقع الإنتاج. ونتيجة لهذا التوجه أصبح بالإمكان تطوير وإنتاج منتجات "كونية" كنواتج لأنشطة بحث وتطوير متعددة المواقع تجمع مواهب وقدرات متميزة من اقتصادات متعددة⁵. يعتبر المحللون الاقتصاديون أن شبكات البحث العلمي والابتكار العالمية سوف تمثل موجة التزود الخارجي (Outsourcing) الثانية⁶، إشارة إلى الموجة الأولى التي سادت في سنوات الثمانينيات من القرن الماضي، والتي تمثلت بالتصنيع خارج

1 Krishna, V. V. and Sujit Bhattacharya (2009), Internationalization of R&D and Global Nature of Innovation Emerging Trends in India, Asia Research Institute, Working Paper Series No. 123
2 Hirwani R.R. (2000)، Globalization of R&D – A Perspective from a Developing Country
3 Proceedings for International Seminar on Accreditation and Certification of Research and Technology Organizations, WAITRO
4 Innovation: Is Global the Way Forward? A joint study by Booz & Company and INSEAD, 2006
5 Edler J and Ebersberger B, (2005), Globalization and National Innovation Systems: Empirical Trends and Policy Challenges, Presentation at the 13th Annual Seminar of the Association for Technology Implementation in Europe: Chances and Challenges for SMEs in a Globalised Innovation System", Berlin

شبكات للبحث والابتكار

إطار رقم 27

والسلبية، منها مثلاً تقصير دورة البحث والتطوير وتقصير زمن الاختراق للأسواق العالمية، وكذلك تقصير دورة حياة المنتج الجديد في الأسواق.

2 - التشبيك البحثي والابتكاري

إن المشهد المعرفي/الابتكاري العالمي اليوم هو أشبه ما يكون بمنظومة بيئية كونية Ecosystem Global تعمل فيها الشركات والجامعات والمراكز البحثية والحكومات معاً وبشكل مترابط وفق مقاربة شبكية للابتكار. في هذه المنظومة مؤسسات بحثية وأكاديمية وشركات في حالة حراك دائم عبر الحدود بحثاً عن شراكات تعاونية، تتمكّن الشركات عبرها وبسهولة من قطف ثمار الابتكارات الناتجة عن هذه الشراكات. في الواقع تشير الإحصائيات العالمية⁵ إلى أن 91 % من الشركات الألف الأكثر إنفاقاً على البحث والتطوير في العالم تنفذ أنشطة ابتكارات خارج بلدان إدارتها الرئيسية.

تؤمّن شبكات البحث والتطوير والابتكار أطر عمل وآفاقاً رحبة تساعد على تجاوز العديد من المعوقات التي تعاني منها مؤسسات العالم النامي، وعلى تحقيق قدرة تنافسية أكبر وتخفيف وطأة التحديات الناجمة عن العولمة والتحول نحو الاقتصاديات القائمة على المعرفة. ويتبلور ذلك من خلال (أ) دعم وتعزيز قدرات الأفراد والمؤسسات وبالتالي إنشاء كتلة حرجة من الباحثين ذوي الخبرة في مجالات محدّدة، (ب) تقاسم تكلفة البحث والتطوير وتلافي ازدواجيتهما، (ج) تعزيز المناهج متعدّدة الاختصاصات Multidisciplinary والمشاركة بين القطاعات، (د) تطويع البحوث كما ونوعاً من

بشكل عام تعرف شبكات البحث والتطوير والابتكار⁷ بأنها "ترتيبات مشتركة تعتمد على قوى فاعلة متنوعة تمثل مجموعة اللاعبين في الشبكة، ومنهم الباحثون والمؤسسات البحثية والشركات، وتكون مهمة هذه القوى الفاعلة تحقيق أهداف ومهام مشتركة، مستخدمة موارد مشتركة وفق جدول أعمال متفق عليه ومحدد بشكل جيد".

في عالم البحث والتطوير والابتكار تصنف الشبكات إلى صنفين أساسيين: شبكات البحث والتطوير (أو شبكات ما قبل التنافسية)، و شبكات الابتكار (أو شبكات التنافسية) التي تعد وسيلة تمكن الشركات من الوصول إلى خارج جدرانها للعثور على مصادر جديدة للأفكار. وغالباً ما تتضمن شبكات الابتكار أنشطة بحث وتطوير، وبالتالي مرحلة تشارك تكون شبه خالية من المنافسة.

في تقريب المسافات!

إطار رقم 28

أدى التقدم الهائل في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى بعث المزيد من الدينامية والحيوية في عملية التشبيك والترابط بين مؤسسات البحث العلمي والابتكار وإلى تحرير الشبكات من الاتكال على القرب المادي. في الواقع جعلت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من هذه الشبكات تنظيمياً فعالاً و متميزاً للإثراء المعرفي عن طريق⁸ المساعدة على ترميز المعرفة الضمنية (Implicit knowledge) ونشرها، وإتاحة التعلم المستمر والتدريب أثناء العمل. كما أن قانون الشبكات المعروف بـ Metcalf's Law الذي يثبت بأن نفعية الشبكة (التي يعبر عنها بالمحتوى المعلوماتي المتوفر على شبكة) يتناسب مع مربع عدد المربوطين بهذه الشبكة، يؤكد على دور الشبكة كبيئة للإثراء المعرفي.

البلد الأم متسببة في تفكيك سلاسل الإنتاج والتوزيع الوطنية لتكتسب هي الأخرى بعداً عالمياً. لقد وجّه هذان التياران الأنظار إلى الطرق والآليات التي باتت الاقتصاديات العالمية تتعامل وتتكامل بموجبها، حيث لم تعد التعاملات المالية والتجارية تمثل الآليات الوحيدة للتعامل، بل أضيفت إليها مؤسسات المعرفة ومنظومات الابتكار المنتشرة في أرجاء العالم. أدّت هذه التوجهات الجديدة إلى خلق جملة من القوى المحركة التي زادت من حدة عولمة البحث العلمي والابتكار، بحيث نتج عن ذلك عدد من المؤشرات الجديدة الإيجابية

Radjou N, Innovation Networks: Forrester Research, Global Progress Report 2006 5

Jaruzelski B and Dehoff K (2008), Beyond Borders, The Global Innovation 1000, Booz Allen Hamilton 6

7 إقامة شبكات البحث والتطوير والابتكار في البلدان العربية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (إسكوا)، 2005

Hatakenaka S, New Developments in International Research Collaboration, International Higher Education, 8

No 50, winter 2008



2-2 التجربة الفنلندية

ومن آسيا إلى أوروبا وتجربة فنلندا التي حققت اختراقاً بتحويل اقتصادها التقليدي إلى اقتصاد قائم على الابتكار مكتسبة بذلك درجة عالية من القدرة التنافسية على المستوى العالمي، ومعتمدة على دورها القوي كبلد منتج لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وإذا أردنا الاطلاع على الطبيعة الشبكية للاقتصاد المعرفي الفنلندي يكفي أن نذكر تجربة شركة نوكيا التي حققت إنجازاً مذهلاً في الانتقال خلال عقد من الزمن من منتج محلي لأجهزة الهواتف النقالة إلى أكبر منتج عالمي متعدد الجنسيات لهذا النوع من الهواتف، وذلك بفضل نهج إقامة الشبكات والتجمعات الذي تم تبنيه على المستوى الوطني من قبل الوكالة الوطنية للتكنولوجيا في فنلندا.

أما على المستوى الوطني فلقد ترجمت فنلندا اهتمامها بتأسيس شبكات البحث والتطوير، بإنشائها الوكالة الوطنية للتكنولوجيا (TEKES) التي أخذت على عاتقها تشجيع القوى الفاعلة في المنظومة الوطنية للابتكار كالجامعات والمؤسسات البحثية وشركات القطاع الخاص على التشبيك في ما بينها، وقدمت لها المزيد من الدعم المالي لتمويل برامج بحثية مشتركة. وكمثال عن جهود هذه الوكالة في دعم إقامة شبكات البحث والتطوير يمكن ذكر الشبكة الشمالية للبحث البيئي المعروفة بـ (NorNet) والتي تضم حالياً 11 مؤسسة بحثية وطنية في الحقول المتعلقة بالبيئة ملتفتين حول جامعة أولو.

2-3 التجربة الإيرلندية

تمثل التجربة الإيرلندية نموذجاً آخر يتمثل في إقامة مؤسسة مركزية ذات بنية شبكية، تعنى بالتعاون العلمي والصناعي والتقني لجذب

حيث شموليتها وكمونها الابتكاري.

ينطلق مفهوم الشبكات من أن المعرفة ليست حكرًا على أحد، وأن استخدامها من طرف أو مؤسسة معينة لا يستثني إمكانيات استخدامها من قبل الآخرين أو يقلل منها. وتأتي الشبكات منسجمة مع كفاءات التعلم الخاصة بالتعامل مع المعرفة، فشبكات البحث والتطوير تعمل على تعزيز كفاءة نقل واستيعاب المعرفة من الخارج ونشر المعرفة، بينما تعمل شبكات الابتكار بالإضافة إلى ذلك على تعزيز كفاءة إنتاج المعرفة واستثمار المعرفة في تطوير المنتجات والخدمات.

2-1 التجربة الصينية والهندية

أرست الاقتصادات البازغة والصاعدة مثل الصين والهند بفضل هذه البنية الحديثة معاني جديدة للتعاون الدولي والترابط البحثي⁸. وكما هو معروف اليوم أسهمت شبكات البحث العلمي والابتكار التعاونية التي ربطت المؤسسات الصناعية الأميركية بهذين البلدين إسهاماً واضحاً بالنجاح الذي حققه وادي السيليكون في كاليفورنيا، والذي ظلّ ينهل من طفرة البرمجيات وتكنولوجيا المعلومات الحاصلة في الهند ومن التكنولوجيا الإلكترونية المتقدمة في الصين. تجدر الملاحظة هنا إلى أن النجاحات العلمية والتكنولوجية لهذين البلدين لم تأت فقط من العمالة الرخيصة فيهما، فقد حققت الصين والهند اختراقات مهمة في جذب استثمارات وأنشطة البحث والتطوير العالمية، وهذا ما سعت إليه اقتصادات عريقة في أميركا الشمالية وأوروبا منذ عقود، وهي الآن تلهث وراء إقامة الروابط مع اقتصادات معرفية صاعدة مثل الصين والهند، ليس لمرحلة التصنيع النهائي فقط، بل أيضاً لمرحلة البحث والتطوير.

2 - 4 التجربة الكورية الجنوبية

أما كوريا الجنوبية¹⁰ فقد قدّمت نموذجاً آخر تمحور حول مراكز البحث الإقليمية التي أنشئ منها ما يزيد على 37 مركزاً موزعة على أقاليم البلد الخمسة عشر، في مجالات متنوّعة من مجالات البحث والتطوير كالتكنولوجيا البيئية والإلكترونيات والبيوتكنولوجيا. وقد كان لهذه المراكز الإقليمية أكبر الأثر في التشبيك مع المؤسسات ذات العلاقة، ممّا أدّى إلى إقامة مجتمعات محلية للعلم والتكنولوجيا وتجمعات للبحث والتطوير والابتكار. وكمثال على هذه المراكز الإقليمية نورد مركز البحث حول معدات أشباه الموصلات SERC - Semiconductor Equipment Research Center الذي تأسس العام 1996 من رحم جامعة هوسيو وسرعان ما شبك مع خمس جامعات محلية ومعهدين للبحث، أدّى تعاضد أنشطتها أن أصبح المركز محوراً رائداً لشبكات البحث في مجال أشباه الموصلات في إقليم شنيونان - آسان، وأدّى بالتالي إلى تشكيل تجمع ابتكار استثنائي في الإقليم.

3 - الآثار المباشرة لتشبيك البحث العلمي والابتكار

أحدث تشبيك البحث العلمي بين المؤسسات والعلميين والشراكات وتنامي ظهور البيئات الشبكية والشبكة كمفاهيم وآليات معتمدة للتعاون، تحولات بنيوية وأثراً مباشراً على العملية الابتكارية وطبيعة الابتكار العلمي والتقني.

الاستثمارات الخارجية في هذه المجالات. فقد شكّلت وكالة التطوير الصناعي IDA التي تولّت عملية التنمية قصة نجاح قائمة بذاتها حيث أوصلت إيرلندا إلى الترتيب الأول في مصاف الدول المستفيدة من موجة شبكات الابتكار⁹. وبالفعل، استطاعت إيرلندا من خلال هذه الوكالة أن تبني اقتصاداً حديثاً نابضاً بالحياة ومفعماً بالتقانة، وأن تصبح قاعدة تصديرية مثالية بالنسبة للشركات متعددة الجنسية التي تهدف إلى اختراق السوق الأوروبية. وإذا أردنا تلخيص نجاح الوكالة بمؤشر واحد فيكفي أن نذكر أنه في العام 2006 وصل طيف الشركات الأجنبية المستثمرة في إيرلندا إلى 980 شركة وقررت 135487 فرصة عمل. وما يضاعف النجاح هنا الانتقائية العالية التي تميّزت بها في اختيار هذه الشركات التي اتسمت جميعها بمستوى عالمي متميّز من التقانة العالية وبكمون ابتكاري عال واستعداد كبير للبحث. وكمثال على الاندفاع الكبير للوكالة في الاستثمار في البحث والتطوير، فقد تبين أنها مؤلّت في العام 2006 ما مجموعه 54 مشروعاً استثمارياً بحثياً كبيراً بلغت قيمتها الاستثمارية 470 مليون يورو، بينما كانت هذه القيمة 140 مليون دولار العام 2004 و 260 مليون دولار العام 2005. قد امتدّت هذه الاستثمارات على طيف واسع من الأعمال والقطاعات، واقتترنت جميعها باستثمارات أجنبية، وهذه خصوصية كبيرة ميزت الانطلاقة الإيرلندية في البحث والتطوير التقني فأعطتها فرصة لتحقيق القفزة التنموية المسماة بـ القفزة الضفدعية Leapfrogging في مجال نقل وتوطين التقانة، عن طريق جلب الاستثمارات الخارجية في البحث والتطوير والابتكار.

⁹ Ireland's expanding innovation landscape, IDA Annual report 2006, http://www.idaireland.com/news-media/publications/annual-reports/accesible-versions/Build03/research_and_innovation.html

Chung S, Korean Development and Innovation Policy: Any Lessons? World Bank Rapid Innovation Action 10 .Learning (RIAL) Workshop, Beirut, July 5-6, 2010

3-1 بيانات ابتكارية افتراضية

أفسحت البنى الشبكية المجال واسعاً أمام ظهور العديد من البيئات العلمية الابتكارية كمراكز التميز البحثية والمخابر الافتراضية والحاضنات الافتراضية والجامعات الافتراضية، كما أفسحت هذه البنى الجديدة المجال لتشكيل **شبكات من الأفراد** Networks of Individuals لأغراض التعلم أو البحث العلمي والابتكار، وذلك باستخدام الشبكات الإلكترونية سواءً داخل المؤسسة الواحدة أم بين فروعها أم عبر العالم باستخدام شبكة الإنترنت¹¹.

3-3 الابتكار الجماعي

ولعل أهم أثر للتشبيك والشبكات على الابتكار هو تغير النموذج الإرشادي أو **الانزياح المفهومي** (Paradigm Shift) الذي طال مفاهيم وآليات الابتكار وتمثل بـ **ظاهرة الابتكار التعاوني** أو **الجماعي** أو **المفتوح** Open Innovation. يعود جوهر هذا التحول المفهومي المهام في الأصل إلى كون الابتكار عملاً جماعياً في طبيعته. إن ما يميز جميع الأنظمة الابتكارية، إن كانت على مستوى فريق عمل أم مؤسسة صغيرة أم متوسطة أم كبيرة أم على المستوى الوطني، أن اللاعبين المبتكرين نادراً ما يبتكرون لوحدهم، وعلى الأخص في الدول المتقدمة التي تتعامل مع منظومات إنتاجية معقدة تفرض تفاعلاً مباشراً بين جميع الأطراف المشاركة في هذه المنظومات (فعاليات البحث والتطوير والتسويق داخل المؤسسة الواحدة، المؤسسات بين بعضها، المؤسسة مع المحيط الاقتصادي أو القانوني أو السياسي...)، حيث يؤدي هذا التفاعل إلى عملية تعلم دائم واستغلال مجدٍ للموارد المعرفية المتاحة بشكلها المرمز والمضمر¹² Codified and Tacit، وبذلك تأتي العملية

3-2 ديمقراطية الابتكار

أصبح العالم أكثر ابتكاراً وازداد الكمون الابتكاري فيه حيث تلعب المنتجات والخدمات والعمليات الناتجة عن الابتكار دوراً متنامياً في حياة المواطنين عبر مساحة متزايدة من الكرة الأرضية. وبالفعل فقد انتقلت أجزاء كبيرة من العالم إلى ما يسمى بـ **اقتصاد الابتكار** Innovation Economy، أما بقية الأجزاء فقد بدأت تلحق بها بسرعة. وفي السياق عينه، أضحت الابتكار أكثر ديمقراطية ولم يعد مرتبطاً بالتقدم التكنولوجي، فقد حفزت التقنيات الابتكارية إدخال تحسينات في حقول متنوعة كالقروض الصغيرة وتنظيم الشركات والتعلم وفي نوعية الخدمات. ومن الأمثلة الجيدة على ذلك القروض الصغيرة والميسرة التي تمكن أصحاب الدخل المحدود من بدء شركات أعمال جديدة بتكلفة منخفضة، وبرامج الكمبيوتر المجانية ذات المصدر المفتوح التي تنتجها مجتمعات أهلية لا تبغي الربح، مثل نظام تشغيل الكمبيوتر **لينوكس** أو متصفح الإنترنت **فاير فوكس**. كما أن الابتكار لم يعد حكراً

11 نجيب عبد الواحد وواثق رسول آغا، "الابتكار في مجتمع المعرفة"، ورقة مقدمة إلى المؤتمر التاسع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الدول العربية، دمشق 15 - 18 كانون الأول/ديسمبر 2003.

12 نجيب عبد الواحد وأصف دياب، "دور التعليم العالي والبحث العلمي في بناء مجتمع المعرفة"، ورقة مقدمة إلى المؤتمر التاسع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الدول العربية، دمشق 15 - 18 كانون الأول/ديسمبر 2003.

والمسماة: "البيئة المفتوحة لتطوير الرقائق الإلكترونية" (Open Ecosystem for Chip) R&D) حيث تضمنت هذه الشبكة تسعة من العملاقة في هذا المجال أمثال **Advanced Micro Devices, Sony, Toshiba, Freescale Semiconductor** ... إلخ، كما أن في النجاح الباهر لشركة **Apple** في مجمل الابتكارات التي تجسدت في هواتفها المحمولة i-phone خير مثال على الاختراقات التي حققها ويمكن أن يحققها نموذج الابتكار المفتوح، فنجاح iPhone لا يعود فقط لقدرة موظفي **Apple** على العمل معاً في مختلف مجالات الخبرة، بما فيها الموسيقى والهاتف والتصوير الرقمي والإنترنت، بل أيضاً للعمل مع المبتكرين والمبدعين الخارجيين الذين عملوا وفق النموذج التعاوني المفتوح على تطوير أكثر من مئة ألف برمجية يحتويها جهاز I-phone. ويمثل وادي السيليكون في كاليفورنيا، حيث الابتكار هو الصناعة الرئيسية لهذه المنطقة، مثالاً آخر للبيئة التعاونية المفتوحة التي تسخر الذكاء الجماعي لخدمة الابتكار عبر شبكات الابتكار المنتشرة.

من الواضح إذاً أن الابتكار المفتوح يعتمد على الذكاء الجماعي وتأمين البيئة التمكينية لاستثمار الذكاء لدى المجتمعات الأهلية¹⁶. ومن المنتجات الجانبية "الذكية" للابتكار المفتوح نشوء شركات وسيطة تستقطب الذكاء الجماعي لتوظفه لصالح الشركات الكبرى الطالبة للابتكار المفتوح، وتقدمه لها كسلعة وفق نموذج

الابتكارية نتيجة تفاعل وتعاقد بين الأفراد والشركات والمؤسسات المتعاونة في ما بينها. إن الأمثلة وقصص النجاح عن الابتكار المفتوح عديدة، فقد أعطت شركة **IBM** أول مثال للتطبيق "الثوري" لنموذج الابتكار المفتوح¹⁵ عندما أطلقت شبكتها للابتكار المفتوح

الابتكار المفتوح

إطار رقم 29

هنري تشيزبرو، أستاذ في جامعة بيركلي، هو أول من استخدم مصطلح "الابتكار المفتوح" العام 2003¹³ حين عرفه بأنه "نموذج يفترض أن بإمكان المؤسسات، بل ويتوجب عليها، أن تستخدم الأفكار الخارجية بالنسبة إلى المؤسسة والداخلية معاً، وأيضاً السبل الداخلية والخارجية المؤدية إلى الأسواق". وهكذا يمكن للمدراء والقادة في الابتكار المفتوح استجراح قيمة أكبر من مواردهم المتوفرة من دون الحاجة لإطلاق برامج تطوير شاملة. في هذا المجال، تتمكّن الشركات من الاستفادة من الشبكات الفعالة والولوج إلى القدرات التطويرية الخاصة بالآخرين، ممّا يسمح بتوليد دورة ابتكار. لقد عبرت مجلة ماكينزي الفصلية في تقريرها لعام 2008 أن "شبكات الابتكار الفعالة تسمح لأناس بمعارف مختلفة وسبل مختلفة لمعالجة المشكلات بأن تتقاطع أفكارهم وتتلاقح"¹⁴.

الابتكار الشبكي في وادي السيليكون

إطار رقم 30

يعدّ مركز سيليكون فالي في ولاية كاليفورنيا، أنجح نظام تعاوني للابتكار في عصرنا هذا، وأحد الأنظمة التي تعتمد بدرجة عالية على تلاقح الأفكار في ما بين ابتكاراته التكنولوجية العديدة والابتكارات الأخرى. في العام 1968 عرض دوغ انغليبارت أول نموذج تجريبي لنظام كمبيوتر شخصي حديث. تميّز العرض بوجود أول فارة كمبيوتر يراها عامة الناس. أدخل هذا الكمبيوتر النصّ التفاعلي، مؤتمرات الفيديو، المؤتمرات عن بعد، البريد الإلكتروني، والنصّ المترابط. لم يسمّ أنغليبارت العرض "نظام كمبيوتر شخصي جديد"، بل أعطاه العنوان الغريب "مركز أبحاث زيادة الذكاء الإنساني". لم يهدف جهاز انغليبارت لصنع أجهزة كمبيوتر أكثر ذكاء، بل كان يعلّق بصنع أفراد أكثر ذكاء (عن طريق التشبيك). كما كان من المقرر أن تتصل أجهزة الكمبيوتر الشخصية هذه ببعضها البعض كي يتمكن الناس من العمل سوية لحل المشكلات، ليشكلوا بذلك هيئة ذكاء جماعية قد تتمكّن من حل الكثير من المشكلات التي يصعب حلها من دون الربط الشبكي للكمبيوترات الخاصة بهم. كانت هذه الفكرة جامحة في ذلك الوقت، ولم يفهمها سوى القليل من الناس. أصبحت تلك الرؤية اليوم واقعاً بوجود الإنترنت، والهواتف الخليوية التي هي أجهزة كمبيوتر شخصية صغيرة، وتطبيقات الشبكات الاجتماعية.

المراجع: شبكة النّيا المعلوماتية

<http://www.annabaa.org/nbanews/2009/12/059.htm>; Accessed 01/09/2010

Chesbrough, H.W. (2003), Open Innovation: The new Imperative for Creating and Profiting from 13 Technology, Boston: Harvard Business School Press

Bughin J et al (2008), The Next Step in Open Innovation, McKinsey Quarterly. Accessible at https://14www.mckinseyquarterly.com/next_step_in_open_innovation_2155

.Radical Collaboration: Lessons from IBM's innovation factory (2007), Special Report 15 Accessible at: http://www.businessweek.com/innovate/content/aug2007/id20070830_258824.htm

Butcher, D. R., (2009), Harnessing Collective Innovation 16 Accessible at: <http://news.thomasnet.com/IMT/archives/2009/08/designing-an-innovation-network-creativity-team-building-ideas.html>



InnoCentive : شركة مزودة للابتكار المفتوح

أطار رقم 31

تأسست شركة InnoCentive التي أطلقت في العام 2001 من قبل إيلي ليلي، وتعد نفسها اليوم نموذجاً حديثاً لبيع نتائج الأبحاث والابتكارات التي تحصل عليها وفق النموذج المفتوح. توفر الشركة وسيلة للبحث عن حلول للمشكلات التقنية خارج آليات الأبحاث التقليدية وبنى التطوير الثابتة. فترسل لعملائها (التي تسميهم الباحثين عن الحلول) المشكلات عبر موقع إنترنت إلى جانب مكافأة مالية لأفضل حل يمكن أن يقدم خلال وقت معين. أما عن زبائن تلك الشركة الذين يشتررون هذه الحلول فهم في الغالب شركات ضخمة تلجأ إلى شركة InnoCentive للبحث عن علامة تجارية جديدة أو أفكار جديدة لمنتجاتهم. توفر الشركة إمكانية الوصول إلى موقعها على الإنترنت لأكثر من 100 ألف يقدمون الحلول بأمل الفوز بالمكافأة. كما تسهل نشر وصياغة هذه المشكلة وتعرضها على موقعها في إطار من الخصوصية يراعي اتفاقات حماية الملكية الفكرية وتحصل بالتالي على حلول وأبحاث من قبل مواهب عشرات آلاف العلماء من دون زيادة التكاليف الثابتة للشركة.

في تحليل تناول 166 مشكلة نشرها موقع InnoCentive.com من قبل شركات ضخمة في مجال الصناعات الكيميائية والدوائية، تبين أن الباحثين كانوا في ما مضى يقضون من 6 أشهر إلى سنتين في محاولاتهم لحل مثل هذه المشكلات داخل شركاتهم، ومن دون نجاح مضمون. لكن من بين 166 مشكلة علمية نشرت على الموقع تم حل 49 مشكلة من قبل جمهور InnoCentive، وهذا بحد ذاته نجاح باهر لأفراد نافسوا مختبرات بحثية كبيرة. والأهم من ذلك، فقد تبين أن مبتكر الحل (الذي يفوز بالحل الأفضل للمشكلة) قد أمضى في المتوسط 74 ساعة فقط للوصول إلى حل، وهو رقم ضئيل جداً مقارنة مع فترة 6 إلى 24 شهراً غير مجدية كانت تستغرقها حلول الشركات الكبيرة للأبحاث. والسبب في تلك النتيجة التي تكاد لا تصدق بسيط نوعاً ما، وهو أن صاحب الحل يعرف الحل مسبقاً، إذ إن InnoCentive تساعد الباحثين عن طريق معلومات موجودة مسبقاً وموزعة على جمهورها العريض البالغ مئة ألف عالم. وفي 72.5 % من مجمل الحالات، فإن الذي يحظى بالحل يقوم فقط بإعادة استخدام حل موجود مسبقاً في مهمة سابقة تم حلها في سياق مختلف، وفي معظم الحالات فإن الحل يكون من خارج مجال خبرة واختصاص من يجده.

المراجع: <http://www.we-magazine.net/we-create-mass-customization-and-beyond-in-ara-bic>; Accessed 01/09/2010

ومستخدمي الإنترنت والمؤسسات الكبرى العاملة في مختلف القطاعات من جهة أخرى، بشكل يتيح لمستخدمي الإنترنت والوسائط التقنية المتقدمة التمتع بما يشهده العالم من ثورة معرفية وثقافية شاملة، من دون أن يؤثر ذلك على حقوق المبدعين المادية والمعنوية¹⁸. وفي أساس هذا المفهوم المتقدم جهود عدد من المؤسسات غير الحكومية وغير الربحية مثل، **مؤسسة المشاع الإبداعي Creative**

التزويد الخارجي (Outsourcing). كمثال على هذه الشبكات الوسيطة نذكر: Flintbox, Verticali, InnoCentive, Innovation Exchange, (Hypios), InnovationXchange, NineSigma, Starmind, yet2.com, MillionBrains, and One Billion Minds in India, ... etc

3 - 4 المشاع الفكري مقابل الملكية الفكرية

ترافق الانفجار المعرفي وما نتج عنه من بيانات تمكينية مسهلة للولوج إلى التكنولوجيا الجديدة مع قيود قانونية تقصّ مضاجع الدول النامية التي تعاني بشدة من القوانين المحددة للملكية الفكرية والمعيقة لعملية النهل الحرّ من المخزون المعرفي والتقني المتوفر¹⁷. فقد حمل الانفجار المعرفي في طياته العديد من الإشكالات التقنية والقانونية المتعلقة بحقوق المؤلفين والمبدعين، وصلاحيات النشر والاقتباس، وتحميل المعلومات عن شبكة الإنترنت وغيرها من الوسائط المتقدمة، وكيفية استخدام هذه المعلومات والاستغلال التجاري لها.

ولكن ذلك لم يحل دون مبادرات فردية وجماعية لمكافحة الحصرية القانونية، وبالفعل بدأت التيارات والتكتلات تعمل معاً من خلال شبكة الإنترنت لخلق منتجات تنافس وأحياناً تغلب منتجات الشركات العملاقة. فكان أن بزغ عصر المصادر المفتوحة و"المشاع الفكري"، نجم عنه نشوء العديد من المنظمات غير الربحية التي هدفت إلى تنظيم استخدام الإنترنت، ووضع التشريعات اللازمة بين مبدعي الأعمال الفنية والأدبية والعلمية والإعلامية من جهة،

Corres, C.M., (2005), How intellectual property rights can obstruct progress, Science and Development 17 Network, Accessible at <http://www.scidev.net/en/science-and-innovation-policy/opinions/how-intellectual-property-rights-can-obstruct-prog.html>

Lee, J, The Neglected Role of Non-Profit Organizations in the Intellectual-Commons Environment, A PhD 18 Dissertation Submitted to the Stanford Law School, May, 2009

4 - واقع الدول العربية لجهة الترابط والتشبيك

يختلف مشهد الترابط المعرفي العربي-العربي بشكل عام اختلافاً جذرياً عن نظيره العالمي حيث يتمحور الترابط العربي حول أنماط خجولة من التعاون الثنائي بين المؤسسات التعليمية والبحثية، ولا غرابة أن نجد في كثير من الأحيان حالات من التعاون العربي تتم تحت مظلة برامج التعاون الدولية، وبخاصة عندما تعطي هذه البرامج الأولوية للتعامل مع تجمعات إقليمية، كما هو الحال في برامج التعاون التي يديرها الاتحاد الأوروبي.

مع تدني المؤشرات العربية في البحوث والتطوير والابتكار وغياب الرؤية الكفيلة بتجاوز المعوقات السياسية التي تحدّ من تبادل الخبرات وتكامل الموارد، ازدادت المخاوف من بقاء المنطقة العربية في حالة تخلف عن باقي دول العالم في إقامة اقتصاد المعرفة. وقد أطلقت مبادرات ثنائية وإقليمية وعربية عدّة تفاوتت درجات نجاحها وجدواها، من دون أن تحجب الإجماع على أهميتها الاستراتيجية في بناء مجتمع المعرفة العربي.

يشكل اتحاد مجالس البحث العلمي في الدول العربية مثلاً حياً لآليات الترابط البحثي العقيمة والمترهلة. لقد كان من أبرز أهداف اتحاد مجالس البحث العلمي العربية التخطيط لإجراء مشروعات بحوث مشتركة

Commons، ومؤسسة حدود الإلكترونيات
Electronic Frontiers Foundations،
ومؤسسة البرمجيات الحرة
Free Software Foundation، ومؤسسة المعرفة العامة
Public Knowledge.

على الرغم من أن الصراع لا يزال قائماً لإيجاد توازن أمثل بين عالم المشاع الفكري وحماية الملكية الفكرية، إلا أن تعزيز التوزيع الواسع والحرّ للمعرفة والمعلومات يعتبر أمراً أساسياً للدول النامية، ولن يتحقق إلا بتبني نموذج المشاع الفكري مع ضمان تلقي المؤلفين والمخترعين الحماية الملائمة لأعمالهم.

المشاع والملكية الفكرية

إطار رقم 32

يشير مصطلح "المشاع الفكري" الماكس لمصطلح "الملكية الفكرية" إلى مواد ومعلومات لا تؤمن حمايتها حقوق الملكية الفكرية. وتتوفر المعلومات في عالم المشاع الفكري لاستعمالها من جانب العامة من دون شرط الحصول على إذن مسبق أو فرض قيود على إعادة استعمالها. وتأتي مؤسسة المشاع الإبداعي¹⁹ على رأس المنظمات غير الربحية المعنية بتطبيق مفهوم المشاع الفكري والتي توصلت إلى عقد اتفاقيات مع الجهات العاملة على الإنترنت من مزودي خدمات الوب ومدراء المحتوى وصولاً إلى المستخدمين الراغبين بتداول المحتوى الرقمي بشكل قانوني. ونظمت أشكال السماح بالنشر على الإنترنت، وطبيعة الحقوق التي يمكن للمؤلف والمبدع أن يتنازل عنها بشكل جزئي، من أجل انتشار أكبر للمعرفة، وإيصال إبداعه إلى أكبر قدر ممكن من البشر، مع الحفاظ على حقوقه الأساسية في نسب العمل له، وحصر الفائدة التجارية بشخصه. كما وضعت في الاستثمار أنماط رخص معمول بها في "المشاع الإبداعي" والرموز المستخدمة على نطاق الإنترنت لكل منها، واقترحت برنامجاً للملكية الفكرية تمّ اعتماده من قبل 52 دولة في العالم، وهناك ترجمة لهذه الرخصة باللغة العربية يُعمل عليها في الأردن²⁰. هذا وقامت منظمات وهيئات دولية مثل اليونيسكو²¹، ومؤتمر القمة العالمية للأمم المتحدة حول مجتمع المعلومات، والمجلس الدولي للعلوم، ولجنة قاعدة بيانات العلوم والتكنولوجيا، بتركيز اهتمامها على أهمية المشاع الفكري بالنسبة للدول المتطورة والنامية على حدّ سواء²².

19 الموقع الرسمي: <http://creativecommons.org/>

20 الأوس للنشر يرفع افتتاح نشاطات المشاع الإبداعي في سوريا
<http://www.discover-syria.com/news/5220>

UNESCO Publishes Policy Guidelines Related to Governmental Public Domain Information, Paris, (2004): 21
http://portal.unesco.org/ci/en/ev.php-URL_ID=15863&URL_DO=DO_TOPIC&URL_SECTION=201.html

22 أهمية الملك العام المشاع (2008)،

<http://www.america.gov/st/business-arabic/2008/April/20100629112149x0.4585382.html>

يشكّل اتّحاد مجالس البحث العلمي في الدول العربية مثلاً حياً لآليات الترابط البحثي العقيمة والمترهلة، قام الاتّحاد حتى الآن بإنشاء سبع روابط لم يتمكّن معظمها من تحقيق الأهداف التي أحدثت من أجلها، حيث انحصرت نشاطاتها في أحسن الأحوال، في تبادل الزيارات وعقد اجتماعات موسمية أو إقامة دورات تدريبية في تخصصاتها، من دون أن يكون هناك قيم مضافة تعبّر عن الترابط العلمي في ما بينها.

بعض البرامج البحثية البينية المشتركة التي عمد بعض الدول العربية إلى إطلاقها وفق اتفاقيات ثنائية مشتركة أبرمت بين الحكومات، مثلت بداية، ولو خجولة، لمساعي ترابط بحثي عربي يمكن البناء على تجربتها وتعميمها بسهولة بين دول عربية متجاورة جغرافياً وتتّصف بموارد وتطلّعات متشابهة.

على حوض البحر المتوسط.

أطلق **الاتّحاد الأوروبي** برامج السنوات الخمس "الإطارية" اعترافاً منه بالدور الذي يمكن للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي الاضطلاع به، وبهدف مواكبة احتدام المنافسة الصناعية في السياق العالمي، وسعيًا لتحسين نوعية حياة مواطنيه. وقد بدأ التعاون الدولي يأخذ حيزاً في هذه البرامج بدءاً من **البرنامج الإطاري الخامس** FP5 الذي امتدّ خلال الفترة 1998 - 2002 وسمح فيه بالمشاركة لأول مرّة لباحثين من خارج **الاتّحاد الأوروبي**. ثم جاء **برنامج الإطار السادس** FP6 الذي امتدّ خلال الفترة 2002 - 2006 وتتضمّن ميزانية خاصة قدرها 315 مليون يورو لدعم التعاون الدولي العلمي والتكنولوجي بإشراك الباحثين من خارج دول المنظومة الأوروبية، وذلك في جميع المجالات العلمية والبحثية التي حدّدها البرنامج.

استمتت المشاركة العربية في **البرنامج الإطاري الخامس** بالتواضع حيث لم يتجاوز حجمها 54

بين الأقطار العربية ودعمها وتسيير تنفيذها ومتابعة تقدمها. وإيماناً بأهمية تنفيذ هذا الهدف بالصورة المرجوة قام مجلس الاتّحاد بتكليف أمانته العامة لإعداد مشروع نظام أساسي للروابط العلمية المتخصصة والتي تضمّ في عضويتها المراكز والمؤسسات والهيئات ذات الاختصاصات المتماثلة. قام الاتّحاد حتى الآن بإنشاء سبع روابط لم يتمكّن معظمها وللأسف من تحقيق الأهداف التي أحدثت من أجلها، حيث انحصرت نشاطاتها في أحسن الأحوال، في تبادل الزيارات وعقد اجتماعات موسمية أو إقامة دورات تدريبية في تخصصاتها، من دون أن يكون هناك قيم مضافة تعبّر عن الترابط العلمي في ما بينها.

أما خارج هذه الروابط فيمكن التحدث عن بعض البرامج البحثية البينية المشتركة التي عمدت بعض الدول العربية إلى إطلاقها وفق اتفاقيات ثنائية مشتركة أبرمت بين الحكومات. وعلى الرغم من أن غالبية هذه البرامج والاتفاقيات بقيت دون مستوى الطموح من حيث الأنشطة والفعاليات البحثية المشتركة التي تمّ تفعيلها من خلال هذه البرامج، إلا أنها تمثّل بداية، ولو خجولة، لمساعي ترابط بحثي عربي يمكن البناء على تجربتها وتعميمها بسهولة بين دول عربية متجاورة جغرافياً وتتّصف بموارد وتطلّعات متشابهة.

4 - 1 الواقع العربي في مجال الترابط العلمي على المستوى الدولي

يشارك الباحثون العرب في العديد من برامج التعاون البحثي العلمي والتقاني التي تطلقها المؤسسات البحثية الأوروبية والأميركية، وأبرزها **البرامج الإطارية التابعة للاتّحاد الأوروبي** FPs والتي تشكّل نموذجاً للتعاون بين دول الشمال والجنوب، وفي إطار الدول المشرفة

برنامج التعاون البحثي السوري - اللبناني

إطار رقم 33

أطلق هذا البرنامج في العام 2001 ضمن إطار الاتفاق الخاص بالتعليم العالي والبحث العلمي بين الحكومتين السورية واللبنانية، وذلك بهدف تعزيز الترابط العلمي والبحثي بين الباحثين السوريين ونظرائهم اللبنانيين. ينفذ البرنامج حالياً بين الجامعات والهيئات والمراكز العلمية السورية من جهة والجامعة اللبنانية والمجلس الوطني للبحوث العلمية في لبنان من جهة أخرى، ويقدم دعماً مالياً وفق صيغة تعاقدية مباشرة مع الباحث، بحيث يتمّ تمويل البرنامج مناصفة بين الجانبين السوري واللبناني. وقد تمّ حتى الآن تنفيذ ستة وثلاثين بحثاً علمياً، بالإضافة إلى سبعة مشروعات تمّ التعاقد عليها مؤخراً من ضمن إطار الإعلان السابع، وذلك في مختلف فروع المعرفة، بحيث اختيرت موضوعات البحوث من ضمن المسائل العلمية التطبيقية ذات الاهتمام المشترك للبلدين في مجالات الطاقة المتجددة والزراعة والمياه والصحة والعلوم الهندسية والبيئة. وقد حقّق البرنامج بعضاً من أهدافه، ولاسيما لناحية تنشيط البحث العلمي المشترك من خلال تشبيك الجامعات ومراكز وهيئات البحث العلمي السورية مع نظيراتها اللبنانية، وإنشاء روابط واعدة بين الباحثين من البلدين نتيجة للتواصل العلمي في ما بينهم وبخاصة عبر الأيام البحثية السورية اللبنانية، وتطوير آلية للبحوث المشتركة على أسس عقدية أثبتت نجاحها، مما مكن الطرفين من تعميمها على عدد من البرامج البحثية المشتركة مع دول أخرى.

وفي نهاية العام 2009 وقّعت **المفوضية الأوروبية** اتفاقيات لتحديد الأولويات البحثية المشتركة، إضافة إلى المجالات ذات الاهتمام المشترك مثل الطاقة والتنمية المستدامة والبيئة، مع كلٍّ من **الأردن ومصر وتونس والمغرب**.

وبالإضافة إلى البرامج الإطارية أطلق العديد من الدول العربية مبادرات تعاون ثنائية مع بعض الدول/المؤسسات البحثية الأوروبية. من هذه المبادرات يمكن ذكر العديد من البرامج الثنائية بين **دول المغرب العربي ومصر ولبنان** من جهة ودول **أوروبية كفرنسا وإيطاليا وألمانيا والسويد** من جهة ثانية. وتعمل هذه البرامج على تمويل مشروعات بحوث ثنائية وتشجيع التبادل العلمي ونقل التكنولوجيا ورعاية طلبة الدكتوراه معتمدة على تمويل متساوٍ من الدولتين المتعاقدتين، وتمثل حالياً نموذجاً للترابط العربي - الدولي (الأوروبي).

4 - 2 مبادرات واعدة بالترابط مع المؤسسات العالمية

تشهد بعض الأنظمة التعليمية العربية للتعليم الأساسي والتعليم العالي الكثير من الاهتمام على التدريب المهني وتطوير المناهج

مشروعاً بحثياً توزّع معظمها على قطاعات المياه وإدارة الأراضي وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات²³.

أما **البرنامج الإطاري السادس** فقد شهد قفزة نوعية في المشاركة العربية (الجدول رقم 23)²⁴ بلغت 10 أضعاف المشروعات المقبولة في برنامج الإطار الخامس، وأظهرت نمطاً متميّزاً من الرغبة في التعاون والتشبيك مع دول الشمال الأوروبي ودول عربية أخرى وأبرزت قناعة متزايدة لدى الباحثين العرب بأهمية البحث عن موارد مالية إضافية والاندماج في المنظومة الأوروبية. وقد سجلت أعلى النسب في المشروعات المقبولة والتمويل ضمن الإعلان السادس في كلٍّ من **الجزائر ولبنان**، وتقاربت نسب الدول العربية الأخرى المشاركة.

وفي **البرنامج الإطاري السابع للبحث والتطوير التكنولوجي FP7** اتّسع الدعم المالي ليصل إلى 50.5 مليار يورو في عموم **الاتحاد الأوروبي**، وليحتلّ بالتالي مركز الصدارة في تعزيز البحث والتطوير في المنطقة العربية، وبخاصة في بلدان حوض البحر المتوسط. وقد بوشر في العام 2009 بتشكيل شبكة من المنظمات البحثية في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في **الاتحاد الأوروبي والبلدان المتوسطية الشريكة**.

بدأ التعاون الدولي يأخذ حيزاً في برامج السنوات الخمس "الإطارية" الذي أطلقه الاتحاد الأوروبي بدءاً من البرنامج الإطاري الخامس للبحث والتطوير التكنولوجي (1998-2002) (FP5)، ثم برنامج الإطار السادس (2002-2006) (FP6)، وفي حين اتسمت المشاركة العربية في البرنامج الإطاري الخامس بالتواضع ولم يتجاوز حجمها 54 مشروعاً بحثياً توزّع معظمها على قطاعات المياه وإدارة الأراضي وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، شهد البرنامج الإطاري السادس قفزة نوعية في المشاركة العربية بلغت 10 أضعاف المشروعات المقبولة في برنامج الإطار الخامس، وأظهرت نمطاً متميّزاً من الرغبة في التعاون والتشبيك مع دول الشمال الأوروبي ودول عربية أخرى. وفي البرنامج الإطاري السابع (FP7) اتّسع الدعم المالي ليصل إلى 50.5 مليار يورو في عموم الاتحاد الأوروبي، وليحتلّ بالتالي مركز الصدارة في تعزيز البحث والتطوير في المنطقة العربية وبخاصة في بلدان حوض البحر المتوسط...

المشاركة العربية في برنامج الإطار السادس الأوروبي

جدول رقم 23

المجموع	مصر	سوريا	الأردن	فلسطين	المغرب	تونس	لبنان	الجزائر	
2271	469	122	245	101	528	448	173	185	المشروعات المقدمة
523	91	24	50	21	123	110	48	56	المشروعات الفائزة
% 23	% 19	% 20	% 20	% 21	% 23	% 25	% 28	% 30	نسبة النجاح

23 إقامة شبكات البحث والتطوير والابتكار في البلدان العربية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (إسكوا)، 2005
www.ec.europa.eu/research/fp6, 2007 24

تعبيراً عن الأهداف الاستراتيجية لبعض الدول العربية في تحويل اقتصادها إلى اقتصاد قائم على المعرفة والتكنولوجيا، برزت بعض المبادرات العربية الواعدة عبر ارتباطها بعلاقات شراكة مع المؤسسات العالمية، ومن ذلك جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية (KAUST) التي وقّعت شراكات مع بعض من أفضل المؤسسات الأكاديمية العالمية، بما في ذلك الجامعات البريطانية مثل أكسفورد Oxford وكامبريدج Cambridge إضافة إلى أمبيريال كوليج Imperial College، وكذلك تحالف التميز والتفوق الأكاديمي بين جامعة الملك عبد الله في السعودية وجامعة كامبردج وأمبيريال كوليدج الذي سيغطي مع كامبردج أبحاث العلوم الحيوية والهندسة الحيوية، في حين سيغطي مع إمبيريال كوليدج الهندسة وعلوم المواد.. كما تقود مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية عمليات البحث والتطوير السعودية منذ العام 1977..

الله ما يسمى بتحالف التميز والتفوق الأكاديمي الذي سيغطي مع كامبردج أبحاث العلوم الحيوية والهندسة الحيوية، في حين سيغطي مع إمبيريال كوليدج الهندسة وعلوم المواد.

وتقود **مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (KACST)** عمليات البحث والتطوير السعودية منذ العام 1977 حيث تقوم حالياً بتنفيذ برنامج بقيمة 16 مليار ريال (ما يعادل 4.3 مليار دولار أميركي) في إطار الخطة الخمسية الأولى والموسعة (التي تنتهي في العام 2014) لتطوير البنية التحتية للعلوم والتكنولوجيا في **المملكة العربية السعودية**. وفي العام 2009، قامت المدينة بعقد مجموعة شراكات مع **أنتل وأي بي أم ووكالة أبحاث الفضاء الأميركية (ناسا)**، وغيرها.

ومن ناحية أخرى تبذل دول مجلس التعاون الخليجي جهوداً لجذب الشراكات والاستثمار في مجالات البحث والتطوير والابتكار. فقد تم تدشين **حديقة قطر للعلوم والتكنولوجيا (QSTP)** بتكلفة 600 مليون دولار في آذار/مارس 2009. وتعدّ هذه الحديقة جزءاً من **مؤسسة قطر** وتقع في **مدينة قطر التعليمية**، التي تستضيف أيضاً الحرم الجامعي لست من الجامعات الأميركية. ومن المقرر أن تصبح قطباً دولياً معترفاً به للأبحاث والابتكارات وريادة الأعمال. وبحلول نهاية العام 2009، تم تأسيس 25 شركة في **حديقة قطر للعلوم والتكنولوجيا**، مع التزامات بمبلغ يزيد على 225 مليون دولار للاستثمار في مجالات البحث والتطوير وذلك للفترة 2008 - 2013 تتضمن: **شيفرون Chevron** و**سيسكو Cisco** وشركة **جنرال إلكتريك GE**، و**مايكروسوفت Microsoft**، و**رولز رويس Rolls-**

إضافة إلى القيام بتحديثها بهدف رفع مستوى تدريس الرياضيات والعلوم، وتشجيع ثقافة البحث والتطوير والابتكار، وجميع ذلك يتم عبر آليات تعاون خارجي وروابط قوية مع أهم المؤسسات العالمية الرائدة²⁵.

باعتباره أحد أهدافها الاستراتيجية، تهدف **المملكة العربية السعودية** إلى تحويل اقتصادها إلى الاقتصاد القائم على المعرفة والتكنولوجيا. وتعدّ **جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية (KAUST)** البالغة تكلفتها 2.6 مليار دولار، والتي تم افتتاحها في أيلول/سبتمبر 2009 محورا لهذه الاستراتيجية. تعتمد هذه الجامعة التي حصلت على وقفٍ مقداره 10 مليار دولار على مبدأ التعليم المشترك، ممّا يجعلها ومنذ تأسيسها واحدة من الجامعات الأكثر ثراء في العالم. وقد وقّعت شراكات مع بعض من أفضل المؤسسات الأكاديمية العالمية، بما في ذلك الجامعات البريطانية مثل **أكسفورد Oxford** و**كامبريدج Cambridge** إضافة إلى **أمبيريال كوليج Imperial College**.

تعدّ **جامعة أكسفورد** واحدة من الجامعات العالمية الأربع التي قامت بكسب شراكة **جامعة الملك عبد الله** في ما يخصّ الأبحاث العالمية. وقد حصل **مركز أكسفورد الجديد للرياضيات التطبيقية (OCCAM)** على منحة سنوية تقدر بحوالي 25 مليون دولار على مدى خمس سنوات. وسوف تقوم أبحاث (OCCAM) بإيجاد حلول رياضية للمشكلات الحقيقية في العالم والتي لها أهمية خاصة بالنسبة إلى **المملكة العربية السعودية**، بما في ذلك الزراعة واستخدام الأراضي وإدارة مكامن النفط. تشكّل **جامعة كامبردج وأمبيريال كوليدج مع جامعة الملك عبد**

Tarbus, S (2010), Strength in knowledge – MENA accelerating research, development and innovation, 25 Global Arab Network, Accessible at <http://www.english.globalarabnetwork.com/201004075427/Technology/strength-in-knowledge-mena-accelerating-research-development-and-innovation.html>

الفضائية إلى اتفاقيات مع العديد من شركات تكنولوجيا الطيران في الشرق الأوسط وأوروبا والهند. وتتطلع دبي أيضاً لتصبح مركزاً عالمياً للبحث والتطوير والابتكار الإلكتروني، إذ تمّ بناء كلٍّ من واحة دبي للسيليكون لتكون حديقة للتكنولوجيا العالية لصناعة الإلكترونيات الدقيقة وأشياء الموصلات، ومدينة دبي العالمية للطيران كمركز وحيد وشامل للإلكترونيات الطيران.

4 - 3 يقظة عربية في التشبيك التكنولوجي

شهدت الساحة العربية مؤخراً ولادة عدد من شبكات البحث والتطوير والابتكار العربية والعالمية، وجميعها يعدّ واعداً ومحفزاً للترباط البحثي على المستوى الفردي والمؤسّساتي. ومن هذه الشبكات:

الشبكة العربية لنقل التكنولوجيا والابتكار²⁶

أخذت وزارة التجارة والصناعة في مصر المبادرة لتأسيس الشبكة العربية لنقل التكنولوجيا، التي تهدف إلى إنشاء شبكة بين الدول العربية لتبادل التكنولوجيا والوفاء بالاحتياجات التكنولوجية للصناعة والخدمات في الدول العربية. شارك في عملية التأسيس حتى الآن عشر دول عربية، وتهدف هذه الشبكة إلى:

- نقل وتوطين التكنولوجيات الصناعية الحديثة والمتطورة للصناعات العربية المختلفة.
- فتح قنوات الاتصال بين البحوث والتطبيقات الصناعية المتطورة.
- تطوير الإنتاج الصناعي وزيادة قدرته

Royce ووليامز Williams F11.

تحرص قطر على تشجيع الأبحاث في مجال الطاقة النظيفة والحد من انبعاثات الكربون. وقد تمّ التعاون بين شركة شلّ SHELL وشركة قطر للبترول وإمبريال كوليدج وحديقة قطر للعلوم والتكنولوجيا، من خلال مشروع بحث مشترك لمدة عشر سنوات في موضوع كربونات قطر ولإنشاء مركز بحوث لتخزين الكربون بقيمة 70 مليون دولار، ويقوم فريق مؤلف من 20 باحثاً من إمبريال كوليدج بالبحث في مجال احتجاز الكربون وتخزينه في خزانات الكربونات.

وتسعى أبو ظبي ودبي بقوة إلى إقامة شراكات في مجال البحث العلمي والتطوير التقاني حيث تراهن في ذلك على المؤسّسات التي تمتلكها للخوض في هذه الاستثمارات الطموحة، ومن بين هذه المؤسّسات الشركة المتقدمة للاستثمار التكنولوجي (AITC) وشركة مبادلة للتنمية. وقد انتقلت شركة (AITC) بشكل حاسم لتأمين سوق لها في أشباه الموصلات من خلال إقناع صانع الرقائق الأميركي AMD، حيث تمتلك شركة مبادلة للتنمية حوالى 20 في المائة من أسهمها، بالتخلص من عمليات السباكة وتأسيس شركة جديدة مقرها كاليفورنيا هي Globalfoundries. وفي حين يتمّ التحكم فنياً في هذه الشركة الجديدة من قبل AMD، تملك AITC 66 % من الأسهم، بحيث ستكون القوة المالية وراء أيّ عملية تملك مستقبلية، وآخرها كان شركة في سنغافورة لتصنيع أشباه الموصلات. كما تسعى أبو ظبي أيضاً إلى تطوير تقنيات الطيران، بحيث توصلت وحدة مبادلة للتنمية

يتيح تياراً تدويل البحث العلمي وعولمة الابتكار، فيما لو أحسن استثمارهما، العديد من الفرص للدول العربية من أجل تحقيق المزيد من الترابط في مجال البحث العلمي والابتكار، لما في ذلك من إيجابيات ترتبط باستثمار القدرات العلمية للحد من هجرة العقول، وتعزيز القدرات الابتكارية والبحثية الوطنية وثقافة الأعمال في أذهان العلميين، ورغد الصناعة الوطنية بشراكات جديدة مثمرة..

والابتكار، لما في ذلك من إيجابيات ترتبط باستثمار القدرات العلمية للحد من هجرة العقول، وتعزيز القدرات الابتكارية والبحثية الوطنية وثقافة الأعمال في أذهان العلميين، ورغد الصناعة الوطنية بشراكات جديدة مثمرة. لذلك فإن تحسين القدرة على الابتكار يتعلّق بخلق المنظومة البيئية المناسبة التي من شأنها إطلاق الذكاء الجماعي الخلاق لفئات المجتمع، وتشجيع النظام المتكامل أو التعاوني للابتكار، وإتاحة التدفق الحرّ للمعلومات أمام المجتمع بكلّ مكوّناته.

اكتسب الترابط الشبكي مفاهيم جديدة زادت في نموّ شبكات البحث والتطوير وزادت من أثرها في رفع الكمون الابتكاري

"يوميد كونكت" و"جاينت"

إطار رقم 34

يوميد كونكت، مشروع قامت بتمويله المفوضية الأوروبية في إطار عمل البرنامج الإقليمي لرابطة تنمية الشرق الأوسط (ميديا)، مستندة إلى بروتوكول الإنترنت لخدمة هيئات البحث والتعليم في منطقة البحر المتوسط، ومتصلة بشبكة جيانت التي تغطي مجمل أوروبا. وتعمل شبكة يوميد كونكت على إحداث طفرة نوعية في نطاق وامتداد شبكات الاتصال المتخصصة بالبحث والتعليم في منطقة البحر المتوسط وربطها بأوروبا عن طريق الشبكة الأوروبية للبحث والتعليم. وقد تم تمويل المشروع حتى حزيران 2006 بمبلغ عشرة ملايين يورو من برنامج المفوضية الأوروبية "يوميديس" الذي يسعى للترويج لمجتمع المعلومات في المنطقة. وقد تولت شركة دانتي عملية التنسيق لهذا المشروع. وشريكاتها في منطقة المتوسط هي الشبكات القومية للبحث والتعليم في الدول التالية: الجزائر، قبرص، مصر، الأردن، لبنان، مالطة، المغرب، السلطة الفلسطينية، سوريا، تونس، تركيا. أما شريكاتها الأوروبيات فهي الشبكات القومية للبحث والتعليم في كل من اليونان وإيطاليا وإسبانيا وفرنسا.

أما شبكة جيانت فهي مشروع تشارك في تمويله المفوضية الأوروبية بموجب البرنامج الإطاري الخامس للبحث والتنمية. والشركاء هم 26 شبكة أوروبية وطنية للبحث والتعليم، إلى جانب دانتي التي تؤدي دور المنسق بربطها لما يزيد على 3500 مؤسسة للبحث والتعليم في 32 دولة أوروبية من خلال اتصالها المباشر بـ 28 شبكة وطنية وإقليمية للبحث والتعليم. إلى جانب توفيرها لربط دولي سريع لمناطق أخرى في العالم، توفر جيانت أعلى سعة وأكبر تغطية جغرافية من أي شبكة مماثلة لها في العالم. وهي في الوقت ذاته تمكن الباحثين من التنافس على الصعيد الدولي، عن طريق إمدادهم بشبكة ذات عمود فقري عالي المستوى يوفر الخدمات ووسائل الاتصال ذات السعة الضخمة، والتي تعدّ ضرورية لأعمال البحث على هذا المستوى.

التنافسية في الأسواق العالمية.

- تعزيز المهارات الفنية والتقنية وتدريب الكوادر الصناعية.
- تبادل الخبرات الفنية والتكنولوجية.
- إيجاد الحلول التكنولوجية للمصاعب والمشكلات الصناعية.
- تسويق المنتجات والخامات الصناعية بين الأعضاء في الشبكة لدعم التكامل الصناعي.

عرب كراش

أول شبكة اجتماعية عربية للابتكار والريادة²⁷ تقدّم الإرشاد لرجال الأعمال الرواد في أنحاء العالم كافة. منذ إطلاقها في العام 2008، نما الموقع ليصبح الأكثر قراءة بين المدونات التكنولوجية في العالم العربي، بحيث يتصفّحه شهرياً أكثر من 30 ألف زائر. وهذا الموقع القائم على مبدأ التدوين الاحترافي أصبح المصدر الرئيسي للمعلومات حول آخر التطورات التكنولوجية ذات العلاقة بالعالم العربي. وقد أطلقت نسخة عربية تعتمد على صحافة المواطن ولاقت نجاحاً كبيراً. تقدّم **عرب كراش** أدوات وتطبيقات لدعم وتعزيز العاملين في القطاع التقني والبيئات التقنية الداعمة، وتضمّ في عضويتها رواد الأعمال والعلماء والأكاديميين والمشروعات الصاعدة والشركات البادئة والمؤسسات والمنظمات الداعمة ومزودي الخدمات والمستثمرين.

فرص عولمة الابتكار

يتيح تياراً تدويل البحث العلمي وعولمة الابتكار، فيما لو أحسن استثمارهما، العديد من الفرص للدول العربية من أجل تحقيق المزيد من الترابط في مجال البحث العلمي

استطلاع الآفاق المستقبلية لاستثمار الشبكات عن بزوغ نماذج من الابتكار المفتوح تعتمد على نموذج المصدر المفتوح للجميع في البحث والتطوير، أو ما بات يعرف بالمشاع الفكري. ويتيح هذان النموذجان، أي الابتكار المفتوح والمشاع الفكري، عدداً من الفرص أمام الدول النامية، مما يدعو الدول العربية إلى الإسراع في محاكاة هذه النماذج وتطوير بيئات المشاع الفكري كونها بيئات مساندة للابتكار.

للمؤسسات. وقد بيّنت المعطيات السائدة أن الدول العربية لا زالت تعاني من التشتت في جهودها الوطنية في البحث والتطوير والابتكار، وتفتقر إلى الترابط والتشبيك بين مؤسساتها البحثية، وأن الحاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى إلى إقامة هكذا شبكات، على غرار النماذج الأوروبية أو الأوروبية - المتوسطية (برامج الإطار) بغية التجديد المعرفي وتعزيز ثقة الباحث العربي بنفسه. كما كشف

من هجرة الأدمغة إلى بناء مجتمعات الشتات المعرفية

ناقوس خطر مازال يدق

وعرض للتحول الذي طرأ على طريقة التعامل عالمياً مع هذه الظاهرة، مبرزاً القراءة الواقعية لها والقاضية بضرورة الاستفادة من المهاجرين وبناء الشراكات معهم، محولاً إياها من نمط لمهاجرين مطالبين بالعودة إلى بلادهم، إلى نمط لمجتمع شتات معرفي في المغترب. كما يعرض هذا المحور الإطار المفهومي لمجتمعات الشتات المعرفية ورصداً لمجتمع الشتات المعرفي العربي والكمون العلمي الواعد الذي يتمتع به، على الرغم من حالة التشتت التي يعيشها.

1 - هجرة الأدمغة العربية: نزف في زمن العولمة

تسبب نضوج مفهوم الاقتصاد المرتكز على المعرفة لدى الدول المتقدمة والنامية، وبروز دور البحث العلمي والابتكار كعنصر أساسي في استراتيجية التنمية الاقتصادية، بازدياد مضطرد في هجرة العقول من الدول النامية إلى الدول الصناعية. فلقد استطاع بعض الدول المتقدمة، الجاذبة للأدمغة المهاجرة، بخاصة الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأميركية وكندا، توظيف هذه الهجرة بما يخدم أهدافها الآنية والمستقبلية، مستفيدة من النبوغ الذهني المتطور لهؤلاء المهاجرين، بينما أغفلت العديد من الدول الأخرى، الطاردة للأدمغة، ولاسيما دول العالم الثالث ومنها الدول العربية، هذه الظاهرة، ممّا أدى إلى خسارتها الجسيمة

اتسعت هجرة الكفاءات العلمية من الدول العربية إلى الدول الغربية كثيراً خلال العقدين الأخيرين نتيجة عوامل متعددة سياسية واقتصادية وعلمية، ولا زالت هذه الهجرة ترمي بثقلها على تطوّر المجتمعات العربية وتقدّمها، وبخاصة على مسيرة البحث العلمي والإبداع. ولطالما دقّ الكثيرون ناقوس الخطر محذرين من العواقب السلبية لما اصطلح على تسميته بنزح الأدمغة الفتاك، وعقدوا المؤتمرات والندوات لبحث وسائل الحدّ منها وكيفية استعادة بعض هذه الأدمغة إلى موطنها، لكن دون جدوى. الأمر الذي حداً بمعظم الدول إلى الاستثمار في برامج ومشروعات لتحويل مشكلة نزح الأدمغة إلى مكسب، بعدما برهنت تجارب عالمية عديدة على فاعلية دور الشتات العلمي في تدوير المعرفة من أجل التنمية، بخاصة بعدما أثبتت التجارب والدراسات أن مشكلة نزوح الأدمغة ذات صلة وثيقة بسياسات العلم والتقانة وأنظمة البحث والتطوير والابتكار للبلدان النامية بشكل عام، والعربية بشكل خاص.

تستهدف الدراسة موضوع هذا المحور واقع العلميّين العرب في المغترب وسبل النهوض بمجتمعات الشتات المعرفية العربية وكيفية تسخيرها لتعزيز منظومات البحث العلمي والابتكار في بلدانها الأم. كما يتناول أبعاد هجرة الأدمغة العربية وتطوّرها في زمن العولمة

هناك أكثر من مليون خبير واختصاصي عربي من حملة الشهادات العليا أو الفئتين المهرة، من المهاجرين العاملين في الدول المتقدمة، وتضم أميركا وأوروبا 450 ألف عربي من حملة الشهادات العليا وفق تقرير مؤسسة العمل العربية. وتؤكد التقارير أن 54 % من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلادهم، وأن 34 % من الأطباء الأكفاء في بريطانيا ينتمون إلى الجاليات العربية، وأن مصر وحدها قدمت في السنوات الأخيرة 60 % من العلميين العرب والمهندسين إلى الولايات المتحدة، فيما كانت "مساهمة" كل من العراق ولبنان 15 % . وشهد العراق ما بين 1991-1998 هجرة 7350 عالماً تركوا بلادهم بسبب الأحوال السياسية والأمنية ونتيجة الحصار الدولي الذي كان مفروضاً على العراق آنذاك..

المتقدمة، بحيث تضم أميركا وأوروبا 450 ألف عربي من حملة الشهادات العليا وفق تقرير مؤسسة العمل العربية. وتؤكد هذه التقارير أن 54 % من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلادهم، فيما يستقر الآخرون في الخارج. ومن الأرقام الدالة أيضاً أن 34 % من الأطباء الأكفاء في بريطانيا ينتمون إلى الجاليات العربية، وأن مصر وحدها قدمت في السنوات الأخيرة 60 % من العلميين العرب والمهندسين إلى الولايات المتحدة، فيما كانت "مساهمة" كل من العراق ولبنان 15 % . وشهد العراق ما بين 1991 - 1998 هجرة 7350 عالماً تركوا بلادهم بسبب الأحوال السياسية والأمنية ونتيجة الحصار الدولي الذي كان مفروضاً على العراق آنذاك.

وبالاستناد إلى بعض التقديرات³، فإن الخسائر التي منيت بها الدول العربية بسبب هجرة العقول قدّرت بحدود 11 مليار دولار في سنوات السبعينيات. كما تضاعفت هذه الخسائر خلال 4 عقود من الزمن حوالى عشرين مرة لتصل في العقد الحالي إلى حدود 200 مليار دولار تقريباً. "إذا افترضنا أن تعلم أحد المهاجرين العرب يكلف بلده في المتوسط عشرة آلاف دولار، فإن ذلك يعني تحويل 18 مليار دولار من الأقطار العربية إلى الولايات المتحدة وأوروبا كل عام⁴." ولطالما تردّدت هذه المقولة على ألسن العديد من المفكرين، حتى الغربيين منهم، في أن الدول العربية ومعها سائر الدول النامية، تقدّم "مساعداً" إلى البلدان المتقدمة عبر تأهيلها هذه الكفاءات، ثم تصديرها إليها لتفيد من خبراتها العلمية،

لهؤلاء العلماء لا كمواطنين فحسب، بل كأدمغة وخبرات وإمكانات متطورة باتت ضرورية ومؤكدة في ظل الحركة المتسارعة للتنمية. لقد اعتبرت منظمة اليونسكو هجرة العقول على أنها "نوع شاذ من أنواع التبادل العلمي بين الدول يتسم بالتدفق في اتجاه واحد ناحية الدول المتقدمة، أو ما يعرف بالنقل العكسي للتكنولوجيا"، باعتبار أن هجرة العقول تعدّ نقلاً مباشراً لأحد أهم عناصر الإنتاج، وهو

العنصر البشري¹. تشير تقارير ودراسات أصدرتها كل من جامعة الدول العربية ومؤسسة العمل العربية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، عبر تقارير التنمية الإنسانية العربية²، إلى أن المجتمعات العربية باتت أكثر من أي وقت مضى بيئة طاردة للكفاءات العلمية. فهناك أكثر من مليون خبير واختصاصي عربي من حملة الشهادات العليا أو الفئتين المهرة، من المهاجرين ويعملون في الدول

تشنت العقول العربية في المهجر

إطار رقم 35

وفق دراسة أعدها مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية في الإمارات العربية المتحدة (أيار/ مايو 2004)، فإن الإحصاءات الأولية تشير إلى وجود 284 ألف أستاذ جامعي مهاجر في مجال العلوم الهندسية والتطبيقية، و179 ألف في مجال العلوم الحياتية والزراعية، و152 ألف في مجال الصحة، و225 ألف في العلوم التطبيقية والرياضية، و136 ألف في مجال العلوم الإدارية (المجموع حوالى 750 ألف عالم وخبير عربي). وهذا يعني أن نسبة العقول العربية المشاركة في التقدم العلمي والتربوي والتكنولوجي في الدول المتقدمة تصل إلى 2 % من مجموع العلميين المتميزين فيها. وعلى الرغم من صعوبة تقدير الآثار السلبية الناتجة عن هذا النزف المستمر، إلا أنه يمكننا بسهولة أن نتصور، وبطريقة عكسية، مدى التطور الذي كان من الممكن تحقيقه عربياً، وفي الدول المصدرة للموارد البشرية بالذات، في حال تمت المحافظة على نسبة 30 أو 50 % منهم في أوطانهم. ولا سيما أن معظم هذه الدول "المستنزفة" شهدت منذ العام 2004 أزمات اقتصادية وسياسية متلاحقة، وأن حرمان هذه الدول من قسم هام من رأس مالها البشري يعني في أبسط الأحوال تغييب الكتلة الحرجة اللازمة للبناء المعرفي، وبالتالي تكريس وضعيّة التخلف العلمي والتقني والإنتاجي والحد من إمكانيات تطوير التعليم والإدارة.

1 مجلة البرلمان العربي، السنة/22، العدد /1982 (كانون الأول / ديسمبر 2001) ص3.

2 خالد غزال "نزيف الأدمغة العربية الذي يفاقم التخلف" جريدة الحياة، 27 نيسان/إبريل 2010.

3 د. منى محمد الحسيني عمار، "هجرة العقول البشرية من الدول العربية إلى الدول المتقدمة"، بحث منشور على الإنترنت - www.imamu.edu.sa.

4 ريفيين برنز في كتابه "القرن المالي"، نقلاً عن المرجع (3) أعلاه.

قُدِّرت الخسائر التي منيت بها الدول العربية بسبب هجرة العقول بحدود 11 مليار دولار في السبعينيات، ثم تضاعفت هذه الخسائر خلال 4 عقود حوالى عشرين مرة لتصل في العقد الحالي إلى حدود 200 مليار دولار تقريباً.. هذا مع الافتراض بأن تعلم أحد المهاجرين العرب يكلف بلده في المتوسط عشرة آلاف دولار، وأنه يتم تحويل 18 مليار دولار من الأقطار العربية إلى الولايات المتحدة وأوروبا كل عام..

تجذب ثلاث دول غربية (الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وكندا) نحو 75 % من العقول العربية المهاجرة.

تتعدد الأسباب التي تدفع الأدمغة العربية إلى الهجرة، فمنها ما يتصل بعوامل داخلية، ومنها ما يعود لأسباب موضوعية تتعلق بالثورة التكنولوجية والتقدم العلمي الذي لا يزال الغرب حقله الفعلي. وبغض النظر عن هذه الأسباب التي باتت معروفة، إلا أن الظاهرة تبقى من دون أي معالجة، أو حتى ملامح رؤية للمعالجة والاستفادة من هذه الطاقات العلمية المهدورة.

2 - من خيار استعادة الأدمغة إلى خيار مجتمعات الشتات

2-1 تغيير التعاطي مع هجرة الأدمغة

على الرغم من نجاح بعض الدول خلال العقدين الماضيين في استعادة جزء من علمائها المهاجرين في الخارج بفضل سياسات محدّدة شأن الصين والهند ودول آسيوية أخرى، إلا أن جميع الدلائل تؤكّد أن معظم الدول النامية، وعلى رأسها الدول العربية، لم تنجح حتى الآن في كبح جماح التيار المتزايد لهجرة تلك العقول أو حتى في الاستفادة منها أثناء وجودها في بلدان المهجر.

لكن ثمة توجّهات تبلورت منذ مطلع التسعينيات بنيت على نظرة أكثر عقلانية وواقعية إلى هذه الظاهرة. انطلقت هذه النظرة من القناعة بإمكانية الاستفادة من ظاهرة الهجرة بدلاً من شجب آثارها السلبية والمطالبة بعودة الأدمغة كما كان حال الدعوات عديمة الجدوى في الماضي. لقد تمخض عن

وهو أمر يوجب على الدول المستقطبة للموارد البشرية تعويضاً إلزامياً للدول النامية المنتجة لهذه الموارد.

لكن هذا النزف لا زال مستمراً وللأسف، فبحسب تقرير المعرفة العربي الأول⁵ 2009، يمكن تصنيف كل الدول العربية في مجموعة الدول الطاردة للكفاءات العلمية، باستثناء الدول الخليجية. وتأتي سوريا ومصر في مقدمتها وذلك بقيمة 2.3 لمؤشر هجرة الأدمغة (المعتمد ضمن منهجية قياس المعرفة للبنك الدولي لعام 2008 والذي يتدرج من واحد أي الأعلى هجرة، إلى 7 أي الأقل هجرة). من ناحية أخرى، ولإدراك الحجم الحقيقي لهذا النزف المستمر، لا بدّ من إيراد بعض المعطيات المتاحة وفقاً لإحصائيات جامعة الدول العربية ومنظمة العمل العربية ومنظمة اليونسكو، حيث يتبين الآتي⁶:

- حوالى مائة ألف من أرباب المهن وعلى رأسهم العلماء والمهندسين والأطباء والخبراء يهاجرون كل عام من ثمانية أقطار عربية هي لبنان وسوريا والعراق والأردن ومصر وتونس والمغرب والجزائر. كما أن 70 % من العلماء الذين يسافرون إلى الدول الغربية للتخصّص لا يعودون إلى بلدانهم .

- منذ العام 1977 حتّى الآن، هاجر أكثر من 750000 عالم عربي إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

- يسهم الوطن العربي في ثلث هجرة الكفاءات من البلدان النامية بخاصة.

- تدلّ التقديرات أن 50 % من الأطباء و23 % من المهندسين و15 % من العلميين من مجموع الكفاءات العربية يهاجرون إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا. في حين

5 تقرير المعرفة العربي للعام 2009 - نحو تواصل معرفي منتج، الفصل الخامس: الأداء العربي في مجال البحث والإبداع، أعد بدعم ورعاية مشتركة من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، دبي - الإمارات.
http://www.shabablek.com/vb/showthread.php 6 . تموز/يوليو 2010

برزت منذ مطلع التسعينيات نظرة أكثر عقلانية وواقعية لظاهرة هجرة الأدمغة، تفيد بإمكانية الاستفادة من ظاهرة الهجرة بدلاً من شجب آثارها السلبية والمطالبة بعودة الأدمغة وقد تمخض عن ذلك سعي العديد من الدول المصدرة للعقول، أو الطاردة لها، إلى بناء شراكة وتعاون مع علمائها المغتربين في الخارج.. وقد أثبتت تجارب عديدة في دول المنطقة (سوريا، لبنان، الأردن، مصر، المغرب، تونس....) جدوى هذه الشراكة الواعدة. لقد أصبح هناك اليوم ما يعرف بالشبكات الرقمية للجاليات Digital Diaspora Networks أو مجتمعات الشتات الإلكترونية e-Diaspora التي أثبتت جدواها في إحداث "انقلاب" في مفهوم هجرة ونزف الأدمغة، وتحويله إلى نمط من أنماط استعادة الكفاءات بتسهيل عملية التشارك في المعرفة ونقل التكنولوجيا إلى البلد الأم..

ذلك سعي العديد من الدول المصدرة للعقول، أو الطاردة لها، إلى بناء شراكة وتعاون مع علمائها المغتربين في الخارج. وقد أثبتت تجارب عديدة في دول المنطقة (سوريا، لبنان، الأردن، مصر، المغرب، تونس....) جدوى هذه الشراكة الواعدة. فالكثير من العلماء العرب الذين عملوا ويعملون اليوم على تطوير أعرق المراكز العلمية والجامعية والبحثية والصناعية في الغرب، يتجاوبون بتلقائية وحماسة مع الدعوات المهنية التي يتلقونها للمشاركة من مواقعهم في البرامج الوطنية القائمة في مراكز البحث والجامعات العربية.

شكل هذا التوجه الجديد منعطفاً هاماً، بل تغيراً في طريقة التعاطي مع موضوع الهجرة بشكل عام والعلميين المغتربين بشكل خاص، ولا سيما أن منطق العولة والبيئة التمكينية التي وفرتها ثورة المعلومات والاتصالات أبقى مهاجري اليوم، بخلاف مهاجري الأمس، في حالة اتصال دائم مع محيطهم الأصلي من خلال البنى الشبكية الجديدة التي استحدثوها بالتنسيق مع بلدانهم. لقد أصبح هناك اليوم ما يعرف بـ **الشبكات الرقمية للجاليات** Digital Diaspora Networks أو **مجتمعات الشتات الإلكترونية** e-Diaspora التي أثبتت جدواها في إحداث "انقلاب" في مفهوم هجرة ونزيف الأدمغة، وتحويله إلى نمط من أنماط استعادة الكفاءات بتسهيل عملية التشارك في المعرفة ونقل التكنولوجيا إلى البلد الأم⁷.

هكذا بزغ مفهوم خيار **مجتمع الشتات** أو ما يسمى **Diaspora Option** الذي يكرّس حقّ الإنسان بالهجرة وينظر إلى مسألة الهجرة على أنها لفائدة كلا البلدين، البلد الأم والبلد

المهاجر إليه. وقد اعتمد هذا النموذج الجديد الذي اصطلح على تسميته **نزف الأدمغة المفيد** (Beneficial brain drain) أو **كسب الأدمغة** (Brain gain) على مبدأ أن العلماء المغتربين يمكن أن يشكلوا في مغترباتهم مجتمع الشتات العلمي، ويحافظوا على ولائهم لبلدهم الأم مع بقائهم في المغرب. كما أن بإمكانهم الإسهام جدياً في تنمية بلدهم الأم عن طريق نقل المعرفة والتقانة التي تؤدي إلى تنمية الابتكار في بلدهم وبالتالي الإسهام بتنميته اقتصادياً واجتماعياً. إن آلية نقل المعرفة هذه تتم بشكل أساسي عن طريق شبكات اصطلح على تسميها بـ **شبكات مجتمع الشتات المعرفي** Knowledge Diaspora Networks التي تربط العلميين المغتربين ببلدانهم الأم.

لقد توجّ بزوغ مفهوم مجتمع الشتات المعرفي وما رافق ذلك من نشوء لشبكات نقل المعرفة وما حقّقه من كسب للأدمغة، ظهور مصطلح جديد باسم **دوران الأدمغة** Brain Circulation الذي اعتبر بديلاً لمصطلح نزف الأدمغة، والذي صكّه **Saxenian** العام 2003⁸ في محفل وصفه للروابط القائمة بين **مجتمع الشتات التايواني** في وادي السيليكون وبين أقرانهم في تايوان، واصفاً دوران الأدمغة على أنه "نموذج لدينامية جريان المعرفة بشكل مستمر وفي الاتجاهين". وسرعان ما امتدت هذه الظاهرة إلى الجالية الصينية والهندية ممّا حدا بالدولتين إلى إدخال مفهوم دوران الأدمغة في صلب استراتيجياتهما التنافسية، عن طريق الاستثمار الفعال لشبكات مجتمع الشتات المعرفي، ولدفع عجلة الابتكار فيهما⁹.

Martin Grossman, "Diaspora Knowledge Flows in the Global Economy", E-Leader Budapest 2010 7
Saxenian, A, "Brain circulation and capitalist dynamics: The Silicon Valley-Hsinchu- Shanghai Triangle". The 8
Center for Economy and Society. CSES Working Paper Series. Paper # 8. 2003
Saxenian, A. "The New Argonauts: Regional Advantage in a Global Economy". Harvard University Press, 2007 9
Barre, R., Hernandez, V., Meyer J.B. & Vinck, D. « Scientific Diasporas : How can Developing Countries Ben- 10

إسهام الجاليات العلمية المقيمة في أميركا في الإنتاج المعرفي الأميركي

إطار رقم 36

- خلال الفترة 1990 - 2004، أكثر من نصف حملة جائزة نوبل الأميركيين في العلوم كانوا من المهاجرين و37% منهم حصلوا على تعليمهم الجامعي خارج الولايات المتحدة.
- في العام الدراسي 2004 - 2005، بلغت نسبة الأجانب من طلاب الدكتوراه في الاختصاصات الهندسية 60% والماجستير 40%.
- الأمريكيون من أصل أجنبي والمولدون خارج الولايات المتحدة يشكلون:
 - أكثر من 25% من المتقدمين إلى مسار التأصيل الأكاديمي (Tenure Track)
 - 60% من مجتمع الباحثين بعد الدكتوراه (Postdoctoral)
 - 43% من درجات الدكتوراه الممنوحة في مجال العلوم والهندسة
 - 44% من الاسم الأول لمؤلفي الأبحاث المنشورة في مجال العلوم
- في العام 2007، أكثر من نصف العلماء الأجانب الباحثين في المعاهد القومية للصحة (NIH) والبالغ عددهم 2800 كانوا من أصل آسيوي.
- في العام 2006، بلغ نصيب الجاليات العلمية من براءات الاختراع الأميركية المسجلة 25%
- بلغ نصيب الجاليات من البراءات المسجلة في كبريات الشركات 72% من العدد الإجمالي لدى Qualcomm 65% لدى Merck 64% لدى GE 60% لدى Cisco Systems
- أكثر من 40% من طلبات براءات الاختراع العالمية المقدمة من الحكومة الأميركية أصحابها باحثون من الجاليات المقيمة في أميركا¹¹.

أشكالاً عديدة، من أهمها الشبكات العلمية Scientific Networks وشبكات الأعمال أو رواد الأعمال Business or Entrepreneurs Networks والشبكات المهنية Professional Networks. نمت هذه الشبكات خلال العقدين الماضيين نمواً مضطرباً لتشهد على نجاعة وغلبة خيار مجتمع الشتات Diaspora Option والانتشار السريع له. ولقد رصد ¹² Leclerc & Meyer تطور انتشار هذه الشبكات في العالم كما وردت في المراجع المختصة وعلى مدى أعوام متتالية، فأحصى:

- 41 شبكة خاصة بدول متقدمة ونامية¹³
- 106 شبكات علمية بحثية وخاصة بالدول النامية¹⁴

2-2 مجتمعات الشتات المعرفية

تعرف مجتمعات الشتات المعرفية في المغرب¹⁰ بأنها "مجتمعات ذاتية التنظيم مؤلفة من علماء ومهندسين مغتربين يعملون لتنمية بلدهم أو إقليمهم الأم، وبشكل رئيسي في مجالات العلم والتقانة والتعليم". تمتلك هذه المجتمعات كموناً علمياً عالياً وتلعب دوراً مهماً في خدمة مؤسسات دول الاغتراب. ويمكن تلخيص هذا الدور على الشكل التالي:

- زيادة رأس المال الفكري للدولة المضيفة من القوى العاملة المؤهلة تأهيلاً عالياً، وذلك عن طريق زيادة أنشطة البحث والتطوير في البلد المضيف، وزيادة الالتحاق في برامج الدراسات العليا، وزيادة التعاون العلمي مع البلد الأم والحراك المعرفي (Knowledge Spillovers).

• الإسهام المهم في النمو الاقتصادي للبلد المضيف بفضل روح الابتكار وريادة الأعمال التي غالباً ما تتمتع بها هذه المجتمعات.

2-3 البيئات الشبكية لمجتمعات الشتات المعرفية

في تواصلها البيئي وتواصلها مع البلد الأم، تبنت مجتمعات الشتات المعرفي مفهوم التنظيمات الشبكية وهو ما اعتمد بتسميته شبكات مجتمع الشتات المعرفي Diaspora Knowledge Networks - DKN التي اتخذت

efit from their Expatriate Scientists and engineers" ? Paris, france, Institut de Recherche pour le Development, IRD Editions, 2003
Anwar Aridi, "Science & Technology Diasporas", 2010 Annual Meeting of the American Association for the Advancement of Science, February 11 18-22, 2010 San Diego, CA
Leclerc, Eric and Meyer, Jean-Baptiste (2007) 'KNOWLEDGE DIASPORAS FOR DEVELOPMENT', Asian Population Studies, 3: 2, 153 — 168
MEYER, J.-B. & BROWN, M. (1999) Scientific Diasporas: A New Approach to the Brain Drain, UNESCO MOST Working Paper Series 41: 1_22
Barre, R., Hernandez, V., Meyer J.B. & Vinck, D. « Scientific Diasporas : How can Developing Countries Benefit from their Expatriate Scientists and 14 engineers" ? Paris, france, Institut de Recherche pour le Development, IRD Editions, 2003
LOWELL, L. & GEROVA, S. (2004) Diasporas and Economic Development: State of Knowledge, World Bank, Washington, DC 15
MEYER, J.-B. & WATTIAUX, J.-P. (2006) 'Diaspora knowledge networks: Vanishing doubts and increasing evidence', International Journal on 16 Multicultural Societies, vol. 8, no. 1, pp. 4_24

أما في ما يتعلق بانتماء هذه الشبكات وبالبلدان الأم المولدة لها (بالتنسيق طبعاً مع مجتمعات الشتات في الخارج)، فقد بينت الدراسات أن الطفرة الأهم قد تركزت في الدول الآسيوية¹⁵، حيث يتبين أن 57 % من الشبكات الفعالة تعود إلى مجتمعات الشتات الآسيوي¹⁷ (الجدول رقم 24 والشكل رقم 9).

- 61 شبكة خاصة بدول متقدمة ونامية¹⁵
- 158 شبكة خاصة حصراً بالدول النامية¹⁶
- في العام 2005، 57 % منهم لمجتمع الشتات الآسيوي
- 191 شبكة خاصة بدول متقدمة ونامية¹⁷

2 - 4 دور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

تقودنا طفرة الشبكات التي رافقت بزوغ مجتمعات الشتات المعرفية إلى الحديث عن الدور الذي تلعبه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في نقل المعرفة من مجتمعات الشتات إلى بلدانها الأم، وبالتالي تكريس خيار دوران الأدمغة. لقد فاقت الإنترنت جميع أدوات الاتصال السابقة في تغطيتها الجغرافية وتجاوز الحدود والمسافات، وفي خلق مجتمعات الحوار الاجتماعي، بل في خلق جيل من المهاجرين "الموصولين" ببلدانهم¹⁹، والتواقين للبحث عن فرص اقتصادية وتعليمية فيها. كما تتضمن الأدبيات²⁰ العديد من المواقف والآليات التي تمكن المهاجرين عبرها من الإسهام في تخفيف الفجوة الرقمية في أوطانهم في العديد من المجالات، ومنها:

- اجتماعية وثقافية: منتديات افتراضية، لقاءات شبكية بين مفكرين في المهجر وصناع

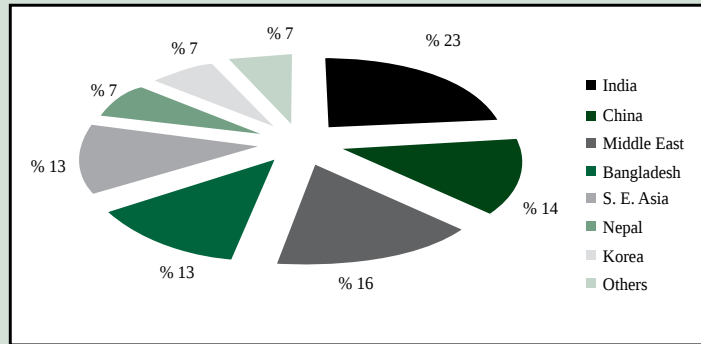
توزع شبكات مجتمع الشتات المعرفي على مناطق العالم¹⁸

جدول رقم 24

المنطقة من العالم	عدد الشبكات المكتشفة	عدد الشبكات الفعالة في 2005	عدد البلدان الأم
أميركا اللاتينية	25	15	9
أفريقيا	51	27	11
آسيا	82	56	18
المجموع	158	98	38

توزع الشبكات وفق بلدانها الأم في آسيا

شكل رقم 9



المصدر: Meyer & Wattiaux, 2006

- TOBIN, S. & SALLEE, N. (2006) One Million Secret Agent: A Report on Diaspora, Drains and Development, Kea, New Zealand Talent Community 17 Abroad. (Online) Available at: [http:// www.keanewzealand.com/index.html](http://www.keanewzealand.com/index.html)
- MEYER, J.-B. & WATTIAUX, J.-P. (2006) 'Diaspora knowledge networks: Vanishing doubts and increasing evidence', International Journal on 18 Multicultural Societies, vol. 8, no. 1, pp. 4_24
- .Diminescu D (2008). The connected migrant: an epistemological manifesto. Social Science Information, 47. 565-579 19
- Gueron, J. and Spevacek, A. M. (2008). Diaspora-development nexus: The role of ICT. USAID 20 Knowledge Services Center. Available at: <http://www.unitar.org/ny/sites/default/files/Hannafin%20ICT%20Diasporas.pdf>
- Martin Grossman, "Diaspora Knowledge Flows in the Global Economy", E-Leader Budapest 2010 21
- /http://www.unesco.org/new/en/social-and-human-sciences/themes/social-transformations/international-migration/projects 22
- Cai, H. & Welch, A. R. (2009) The Chinese Knowledge Diaspora in The Development of Chinese Research Universities: A case Study of the 111 23

مشروع اليونسكو لشبكات مجتمعات الشتات المعرفي

إطار رقم 37

قرار في البلد الأم،

- **علمية وتقنية:** تشبيك بحثي مؤسّساتي، استشارات تقنية، تحفيز مبادرات إنشاء شركات تكنولوجيا بادئة (Technology Start-ups)،
- **تنمية اقتصادية:** المساعدة في تقديم فرص عمل عن بعد Telework، ومساعدة رواد الأعمال المحليين في تسويق منتجاتهم في الخارج عبر الإنترنت.

لقد تم الترويج لنهج "المعلوماتية الاجتماعية" Social Informatics المعتمد على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات باعتباره العلاج المحتمل لنزف الأدمغة وتمّ تبنيه من قبل العديد من أبرز وكالات التنمية الدولية على مدى العقود الماضية. وتتلخص الاستراتيجيات الرئيسية التي تبنتها اليونسكو (الإطار 37) لتحقيق هذه الأهداف، في (1) الإسهام في الترويج لمقاربة كسب الأدمغة من خلال استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، و(2) تطوير آليات وأدوات فعالة لتطوير روابط التعاون والتشارك في المعرفة، و(3) تعزيز شبكات مجتمعات الشتات، و(4) تحسين نفاذ مجتمعات الشتات إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وقد بدأ مشروع شبكات مجتمعات الشتات المعرفي التابع لليونسكو في العام 2005 بالتصدي لهذه الأهداف ووضع التدابير الكمية والنوعية للتضامن الاجتماعي. ورافق المشروع إطلاق أكثر من 150 شبكة مجتمعات شتات معرفي على شبكة الإنترنت. وقد اتسعت مساحة خيار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى هيئات دولية أخرى مثل وكالة المساعدات الأمريكية USAID التي تبنته أيضاً كوسيلة لمقاربة نزف الأدمغة وردم الفجوة الرقمية.²¹

يعدّ برنامج الهجرة الدولية التابع لمنظمة اليونسكو من أشهر البرامج التي اعتمدت هذا النهج ووضعت كأولى أولوياتها تعزيز قدرات واستدامة وفعالية شبكات مجتمعات الشتات الهادفة إلى استعادة الأدمغة من خلال استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. يؤكّد موقع المنظمة على الاعتقاد المتفائل بإمكانية استخدام هكذا نهج كسلاح استراتيجي للحدّ بشكل غير مباشر من نزف الأدمغة، "سيؤدي استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى الانتقال من نزف الأدمغة إلى كسب الأدمغة، معتبرين مجتمع المهاجرين في المغرب كموناً بشرياً مؤهلاً وأحد الأصول القومية التي يمكن الاعتماد عليها. وعلى هذا يمكن لمجتمعات الشتات أن تخلق دينامية تنموية من خلال تسهيل تبادل المعلومات ونقل التكنولوجيا وتوسيع لأعمال جديدة سعياً إلى ربط الوطن بالنظام الاقتصادي العالمي".

3 - تجارب عالمية

3 - 1 قصص نجاح صينية

بدأت استراتيجية الصين الناجحة في التعامل مع علمائها في المغرب بخيار استعادة الأدمغة ثم استمرّت نجاحاتها مع تبنيها خيار مجتمع الشتات ودوران الأدمغة. يُعدّ مجتمع الشتات الصيني في المغرب، والذي تركّز في الولايات المتحدة الأمريكية، من أكبر المجتمعات المغتربة في العالم حيث يوجد خارج الصين ما يقارب مليون من الذين تمّت تسميتهم صيني مهني وراء البحار²² Overseas Chinese Professionals OCP، منهم:

- 62500 دكتور في العلوم والهندسة كانوا يعملون في الولايات المتحدة في العام 2003.
- 32000 طالب صيني حازوا شهادة دكتوراه في الولايات المتحدة في العام 2007 من أصل 142000 طالب أجنبي.
- 2600 عالم بيولوجيا حازوا منصب التأسي الأكاديمي Tenure Position بينهم 800 أستاذ يعملون في جامعات بحثية مرموقة في 34 ولاية²³.

.Project. The International Conference on Diaspora for Development. World Bank, Washington, D.C

Ding, S. (2007, Winter). Digital diaspora and national image building: A new perspective on Chinese diaspora study in the age of China's rise. Pacific Affairs, 80(4). 627- 649

البداية إلى الدور الحيوي والواعد لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات كأداة تمكينية أساسية في بلورة خيار دوران الأدمغة، فتمكّنت بحسن استثمارها لهذه التكنولوجيا من أن تخلق من شبّية الشتات الصينية مجتمع الشتات الرقمي Digital Diaspora القادر على استغلال جميع الإمكانيات التي وفّرها مجتمع المعلومات العالمي، الأمر الذي انعكس بشكل مباشر على صورة التنمية الاقتصادية في الصين²⁴، وأضحت تقنيات الإنترنت قاعدة أساسية لتشبّك الجيل الجديد من مجتمع الشتات الصيني، فالعديد من المهاجرين الجدد، ولا سيما من البرّ الرئيسي للصين، تولدت لديهم عقلية الزائر المؤقت ورغبة قوية للبقاء على اتصال بالوطن الأم. وكان لذلك تأثير عميق ليس على السياسة الخارجية فقط بل على التنمية الاقتصادية للصين، لدرجة أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ساعدت الصينيين المغتربين في أميركا في الحفاظ على هويتهم العرقية.

3 - 2 قصص نجاح هندية

تقترن قصص النجاح الهندية مع مجتمعات شتاتها بشكل رئيسي بتطوّر الهند في تكنولوجيا المعلومات والاختراقات التي حققتها في مجال صناعة البرمجيات. فلقد تنبّهت الحكومة الهندية إلى الكمون العالي الذي تتمتع به مجتمعات الشتات المعرفي الهندية في الولايات المتحدة، وعلى الأخص في وادي السيليكون معقل الصناعات المعلوماتية الأميركية، وبالتالي استطاعت هذه المجتمعات أن تلعب دور الشريك المؤسس ورائد الأعمال في تطوّر هذه الصناعة في البلد الأم من خلال المساهمات الرئيسية التالية:

• تهجير Off-shoring خدمات المعلوماتية التي تحتاجها الولايات المتحدة إلى الهند وخلق

وقد عمدت الصين منذ انفتاحها الاقتصادي في أواخر السبعينيات إلى إصدار ما يزيد على خمسين قانوناً وتشريعاً وإطلاق العديد من البرامج لتسهيل التعامل مع الصينيين المغتربين وجذبهم للعودة إلى بلدهم. يلخص الجدول رقم (25) الجهود المبذولة والبرامج التي أطلقتها الصين من ضمن إطار خيار استعادة الأدمغة عن طريق التحفيز والترغيب، والأثر الذي أحدثته هذه الجهود منذ منتصف التسعينيات. من ناحية أخرى تنبّهت الصين منذ

تنبّهت الصين منذ البداية إلى الدور الحيوي والواعد لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات كأداة تمكينية أساسية في بلورة خيار دوران الأدمغة، فتمكّنت بحسن استثمارها لهذه التكنولوجيا من أن تخلق من شبّية الشتات الصينية مجتمع الشتات الرقمي Digital Diaspora القادر على استغلال جميع الإمكانيات التي وفّرها مجتمع المعلومات العالمي، الأمر الذي انعكست إيجابياته بشكل مباشر على صورة التنمية الاقتصادية في الصين..

البرامج التي أطلقتها الصين ضمن إطار خيار استعادة الأدمغة

جدول رقم 25

اسم البرنامج	الجهة المسؤولة	تاريخ الإطلاق	الأثر
مئة موهبة	أكاديمية الصين للعلوم (CAS)	1994	عودة 1122 باحث مغترب لغاية 2008
الصندوق الوطني للمتميزين	المؤسسة الصينية الوطنية للعلوم الطبيعية NSFC	1994	دعم 366 من حاملي الدكتوراه العائدين خلال الفترة 1994 - 2004
ضوء الربيع	وزارة التعليم MOE	1996	دعم 12000 باحث منذ إطلاق البرنامج
برنامج Cheung Kong لمنح الباحثين	وزارة التعليم MOE	1998	دعم 1308 باحث خلال الفترة 1998 - 2007
برنامج الشراكة العالمي للفرق البحثية المبدعة	أكاديمية الصين للعلوم (CAS) ووزارة الخارجية	2001	لغاية 2005، تم تشكيل 35 فريقاً بحثياً شارك فيه 224 باحثاً مغترباً و362 باحثاً محلياً
أسبوع رواد الأعمال والباحثين العائدين	منظمة الشبّية الشيوعية وجمعية الباحثين العائدين	2001	مشاركة 3400 باحث عائد من 26 بلد خلال الفترة 2001 - 2008
(HOME) لنساعد وطننا الأم بمواهبنا العائدة	مؤسسة الصين للعلوم والتكنولوجيا	2004	عودة 375 باحثاً لغاية 2008 شاركوا في 156 مشروعاً في تكنولوجيا المعلومات
مواهب من وراء البحار في خدمة الوطن	المكتب الصيني لعمال ما وراء البحار	2005	300 رجل أعمال صيني مغترب وجدوا شركاء لهم في شركات صينية، 2006
ألف موهبة	قسم الأعمال في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني	2008	توظيف 126 موهبة العام 2008

الحرص الصيني على الربط مع مجتمع الشتات

إطار رقم 38

لتلمس مدى حرص الحكومة الصينية على الاستفادة من الفرص التي وفرتها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، من المفيد ملاحظة²⁵ كثرة المواقع الحكومية الصينية الموجهة نحو مجتمعات الشتات المهنية في الخارج. من أمثلة ذلك: موقع باحثي الصين في الخارج (www.chisa.edu.cn) الذي أنشأته وزارة التعليم، وموقع مجتمع الشتات الصيني على الشبكة العالمية (www.hslmw.com) و (www.liuxue.net)، والمواهب الصينية وراء البحار (www.chinatalents.gov.cn) والأكاديمية الصينية للدراسة في الخارج والتعليم المستمر (www.castalents.ac.cn). من ناحية أخرى أصبحت الشبكات الاجتماعية أداة هامة بتصرف العلماء الصينيين في المغرب، والكثير من المواقع التي تتضمن ميزات الويب 2.0 أصبحت متاحة. فعلى سبيل المثال يتضمن موقع الصينيين وراء البحار (http://www.overseaschinese-network.com) أقساماً مخصصة للمدونات ومنديات الحوار.. الخ.

نجاحات هندية

إطار رقم 39

من الشواهد الدالة على مساهمات ونجاحات الجالية الهندية في المغرب:

- خلال العام 2003 أقامت مئة شركة متعددة الجنسيات مراكز بحثية لها في الهند بالتنسيق مع علماء هنود عائدين.
- خلال العام 2006 فقط، عيّنت شركة Reddy للصناعات الدوائية ما يزيد على مئة عالم عائد إلى الهند.
- أكثر من نصف الباحثين من حملة الدكتوراه العاملين في مختبر IBM البحثي في الهند هم من النود العائدين من الولايات المتحدة الأمريكية.
- 34 % من الباحثين العاملين في مركز GE في الهند هم من الهنود العائدين من الولايات المتحدة الأمريكية²⁶.
- 19 شركة برمجيات من أصل العشرين شركة الأولى في الهند أسسها ويديرها رواد أعمال هنود عائدین²⁷.

من قبل الحكومات ولم تحظ بالدعم المالي والمستدام من قبلها. نذكر من هذه الحالات¹² شبكة **Red Caldas** في كولومبيا التي أحدثت العام 1991 (توجهت إلى 27 بلداً وضمت 874 عالماً قبل أن تتلاشى العام 2004)، وبرنامج **مجلس العلوم والتكنولوجيا في الفلبين** الموجه إلى العلماء المغتربين، وشبكة **South Africa Network of Skills Abroad - SANSA**

فرص تزويد خارجي Outsourcing في الهند لهذه الخدمات. إن نموذج الأعمال الهندي المعتمد على التصدير في مجال تكنولوجيا المعلومات بعد سنوات الثمانينيات يعود الفضل فيه إلى الشركات التي أقامت جاليات الأعمال الهندية مع الصناعة الأمريكية في هذا المجال^{12، 13}.

- تطوير قطاع تكنولوجيا المعلومات في الهند، وذلك من خلال ابتكار نماذج أعمال جديدة قائمة على التزويد الخارجي Business Process Outsourcing والانتقال بالصناعة المعلوماتية الهندية إلى العالمية، والترويج لنموذج التزويد الخارجي للبحث والتطوير^{12، 26}.

تجدر الإشارة إلى أن الهند اتخذت جملة من التدابير التنظيمية وأنشأت مؤسسات مختصة أسهمت بفعالية في إنجاح هذه التجربة، منها وزارة خاصة مسؤولة عن الهنود في الشتات وشبكات مقامة بمبادرة من المغتربين أو من الحكومة الهندية واتفاقيات ثنائية مع الحكومة الأمريكية، بالإضافة إلى حوافز أساسية كالسماح بازدواجية الجنسية، وعقد مؤتمرات سنوي للهنود المغتربين، وتسهيلات لتعيين العلماء الهنود العائدين في الجامعات الهندية، وبرنامج منح وإقامات علمية²⁷.

3-3 وقصص فشل

تجدر الإشارة إلى حالات إخفاق عديدة في بعض الدول النامية، فقد اعترت مسيرة الجمعيات أو الشبكات الخاصة بمجتمعات الشتات المعرفية، وبخاصة تلك التي تم إحداثها

Biao, X. (2008). A ritual economy of 'talent': China and overseas Chinese professionals. Working paper 60. Centre on Migration, Policy and Society. 25 University of Oxford.

Khadria, B. (2004), Migrations of Highly Skilled Indians: Case Studies of IT and Health Professionals. STI Working Paper, OECD 26.

Seguin et al, (2006), Scientific Diaspora, Science, 312 27.

Wadhwa, V. (2009), Tapping Talent in a Global Economy: A Reverse Brain Drain. Issues in Science and Technology. The National Academies of Sciences.

Asian Development Bank (2004), Developing the Diaspora, Third Coordinating Meeting on International Migration Manillam Asian Development Bank.

مؤشر على حجم هذه المساهمة ونوعيتها، والتي قدرت بما نسبته 2 % من الإنتاج المعرفي العالمي³⁰. في الإطار (40) باقة مختارة على سبيل المثال لا الحصر لعلماء عرب مرموقين أبدعوا في مراكزهم ولا زالوا في عز عطائهم.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة، هل حقاً يشكل هذا المجتمع العلمي العربي في المغرب مجتمع الشتات المعرفي؟ وهل بدأ في بلورة ذاته في ظل هذا الانزياح المفهومي كي يتمكن من ركوب موجة مجتمع الشتات ودوران الأدمغة؟ وهل هناك أي تحرك استراتيجي عربي فعلي في هذا الاتجاه؟ إن الوقائع ما زالت تشير وللأسف، إلى أن مجتمع الشتات العربي بمبذعيه وكموته العلمي الواعد، ما زال في مرحلة الملمة الشتات، وبالتالي لم تظهر حتى الآن أي دلائل على اعتماد استراتيجيات واعدة من أي من الحكومات العربية منفردة أو مجتمعة.

من المشروعات اللافتة، مبادرة العلماء العرب المقيمين في الغرب العام 1992، بالتنسيق مع اتحاد الجامعات العربية، بإطلاق مشروع لحصر الكفاءات العربية في الخارج، بعد أن قاموا بإنشاء شبكة للعلماء العرب في المهجر أسموها شبكة العلماء والتكنولوجيين العرب في الخارج والتي تعرف اختصاراً باسم الستا (ALSTA). تهدف هذه الشبكة إلى الكشف عن مواقع الكفاءات في الدول الغربية ورصد إسهاماتها في مسيرة التقدم العلمي الحديث، وذلك كخطوة أولى لإعداد دليل متكامل عنهم يوضع في متناول أصحاب القرار السياسي والأكاديمي والصناعي والاقتصادي في العالم العربي. في العام 1999 بوشر بتنفيذ المشروع، إلا أن العمل توقف نتيجة أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، ولم يعاود العمل بالمشروع إلا في شهر آب /أغسطس من العام 2007³⁰.

التي تأسست العام 1998 (بلغ عدد المنتمين إليها 2200 عالم في 60 بلداً)، وشبكة South Africa Diaspora Network التي تأسست العام 2001.

4 - مجتمع الشتات أو الشتات المعرفي العربي

يتمتع مجتمع الشتات المعرفي العربي من دون أدنى شك بكمون علمي عال في المغرب، ويتمركز بشكل رئيسي ضمن مجتمع شتات عالمي في الولايات المتحدة وكندا وبعض الدول الأوروبية مثل بريطانيا وألمانيا وفرنسا بالإضافة إلى استراليا. وإذا كنا لا نملك معلومات وإحصائيات مباشرة ودقيقة عن حجم المساهمة التي تقدمها الجاليات العلمية العربية المقيمة في المغرب في الإنتاج المعرفي للدول التي تستضيفها، إلا أن نظرة إلى المراكز المرموقة التي يحتلها العديد من علمائنا العرب المغتربين تعدّ خير

... ومن العلماء العرب الذين أبدعوا في المغرب

إطار رقم 40

- أحمد زويل: عالم كيمياء مصري وأول عالم عربي يفوز بجائزة نوبل في الكيمياء العام 1999 عن اكتشافه العلمي المعروف باسم (ثانية الفيمتو) وهي أصغر وحدة زمنية في الثانية.
- شارل عشي: عالم فضاء لبناني ومدير مختبر الدفع النفاث JPL في وكالة الفضاء الأميركية، ناسا، وكان مسؤولاً عن رحلات عدّة للمكوك الفضائي.
- عبد العالي العوضي: عالم الطب الحيوي المغربي، تولى رئاسة المجلس الدولي للطب الحيوي والتكنولوجيا الحيوية في الولايات المتحدة، وهي هيئة رأت النور بمبادرة منه.
- فاروق الباز: عالم فضاء مصري ومدير مركز أبحاث الفضاء والتحكم الاستشعاري في جامعة بوسطن، عمل في أول رحلة لهبوط الإنسان على القمر، حيث أسهم في اختيار مواقع الهبوط على سطحه.
- منير حسن نايفة: عالم الفيزياء الفلسطيني الذي يعد أحد أبرز علماء الفيزياء في القرن العشرين إذ ارتبط اسمه باكتشاف أسرار جديدة للذرة وأسس ما بات يعرف بكيمياء الذرة المفردة.
- إلياس زيرهوني: عالم الطب الشعاعي الجزائري وأستاذ التصوير الشعاعي التشخيصي في جامعة جون هوبكنز، والمدير الخامس عشر لمعاهد الصحة القومية NIH 2002 - 2008 في الولايات المتحدة الأميركية.
- فواز علب: سوري الجنسية وعالم في التكنولوجيا الإشعاعية الكهربائية، عمل مديراً لأحد مراكز أبحاث الفضاء Space Terahertz Technology في وكالة الفضاء الأميركية، ناسا، وهو حاصل على ميدالية توماس إديسون في الكهرباء.
- مصطفى السيد: عالم فيزياء مصري حاصل على ميدالية العلم للعام 2009 في الولايات المتحدة الأميركية.

من جهتها قامت مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع بتحرك واعد وطموح بعقد المؤتمر التأسيسي للعلماء العرب المغتربين في مدينة الدوحة في نيسان/إبريل 2006، وتمحورت رؤيته حول بناء شراكة "تؤمن إسهام العلماء العرب في المهجر في دعم البحث العلمي في العالم العربي"، وعلى الرغم من طموح الأهداف ومشاركة نخبة من العلماء والكفاءات العربية المهاجرة بلغت حوالى 200 من مختلف التخصصات، إلا أن الجهود لم تثمر حتى الآن عن مبادرات عملية محسوسة.

وفي مصر، وقع جهاز حكومي العام 2010 بروتوكول تعاون مع جمعية أهلية تدعى جمعية عصر العلم³¹ لإجراء حصر دقيق لحجم الإنجازات التي حققها العلماء المصريون في الخارج، وكيفية الاستفادة منها.

لم تقتصر المبادرات العربية على ما سبق ذكره، وبقيت جميعها في مراحل أولية ولم تتجاوز إلا نادراً عتبة النوايا. وهكذا يصعب الحديث عن قصص نجاح عربية، فقد واجهت كل مشروعات إقامة شبكات معرفية عربية في المهجر بالإضافة إلى غياب التمويل المستمر، تحدياً أساسياً، شكل حكماً مسبقاً بالفشل، وتمثل بالإخفاق في امتلاك قاعدة بيانات دقيقة وشاملة عن الكفاءات العلمية المستهدفة في المغرب (لأسباب لوجستية أو لغياب الثقة بجدوى التوجه والقيمين عليه)، أو من حيث الأثر (Impact) في البلد الأم المعني.

5 - توجهات ملزمة

تنطوي التجارب العالمية والعربية، بنجاحها وفشلها، على العديد من الدروس الواجب

شبكة العلماء والتكنولوجيين الفلسطينيين في الشتات (PALESTA) أطلقت الشبكة وزارة التخطيط والتعاون الدولي الفلسطينية في العام 1996 بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وهي شبكة تعتمد على الإنترنت للاستفادة من المعرفة والخبرة العلمية والتكنولوجية لفلسطينيين الشتات لصالح التنمية الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين. تسجل الشبكة الفلسطينية نجاحاً نسبياً فهي تضم 1300 منتسب، وقاعدة بيانات عن الخبراء.

شبكة العلماء والتقنيين والمبدعين السوريين في المغرب (NOSTIA) تأسست في العام 1998 بهدف تحقيق التواصل بين العلماء والخبراء السوريين وأقرانهم الذين هاجروا إلى الخارج. وهي منظمة غير حكومية ملتزمة بدعم القطاعين العام والخاص في سوريا لطرح وتقديم أحدث التقانات والأساليب العلمية على جميع الأصعدة. نجحت نوستيا في بناء الشبكة من خلال القيام بالعديد من النشاطات مثل الندوات والمؤتمرات المختلفة في مجالات المعلوماتية والاتصالات والمياه والطاقة، وعقد عدد من اتفاقيات التعاون بين أعضاء نوستيا ومؤسساتهم العلمية من جهة وعدد من الجامعات السورية من جهة أخرى.

"بعد مرور حوالى 10 سنوات على التجربة السورية، يجب الإقرار بأن تنامي الانطباع العام بأن دور المؤسسات الاغترابية يقتصر على إقامة المؤتمرات، وغياب الاستجابة لما يطرحه المغرب السوري من أسئلة جوهرية قد أدّى إلى ردة فعل تمثل انكماشاً، كي لا نقول إحباطاً، لدى الكثير من المغتربين. في الواقع، إن غياب الآليات الواضحة لاستثمار الطاقات الاغترابية، وغياب آليات المتابعة وعدم الوضوح في الأدوار بين المغرب والمؤسسات المحلية، وكذلك غياب الإمكانيات المادية التي يجب أن ترافق الاستثمار العلمي، هو ما جعل من تجارب نوستيا تقف عند حد معين، معطياً بذلك الانطباع الخاطئ بمحدودية دور المؤسسات الاغترابية" (من تقييم خاص بالشبكة أعدّه باسل سليمان، رئيس سابق لمجلس أمناء شبكة نوستيا).

استعراضها تمهيداً لبلورتها في صيغة توجهات وآليات عمل تساعد على رسم معالم طريق مفتوح ومحفز للحكومات العربية، كي تمسك بناصية الاستفادة من رأس مالها المعرفي النازح. ومن أبرز هذه التوجهات:

- يحتاج الالتزام بخيار مجتمع الشتات المعرفي إلى استراتيجية وطنية متكاملة، مدعومة من أعلى مستويات صنع القرار في الدولة، مبنية على رؤية وآفاق موضوعية، وبعيدة عن الإدارة المباشرة للأجهزة الحكومية.
- يشكّل مستوى ونوعية ومرونة المؤسسات في البلد الأم عاملاً محدداً في إنجاح أي مبادرة علمية نابعة من مغترب³²، وعاملاً مفتاحياً

www.alyaum.com/issue/page.php?IN=12482&P=8

31 خطة مصرية للاستفادة من العقول المهاجرة، صحيفة الحياة اللندنية، 14 آب 2010

Anand et al., (2009), The Globalization of Health Research: Harnessing the Scientific Diaspora. Academic Medicine, 84(4), p. 529 32

بشكل براغماتي تقتضي تعاون ثلاث جهات أساسية ذات صلة، الدولة الأم، والدولة المضيفة للعلماء المغتربين، والمؤسسات التي يعمل فيها هؤلاء العلماء (الجامعات ومراكز الأبحاث) على اعتبار أن هذه المؤسسات توجد في دول متقدمة وتتمتع باستقلالية عن حكوماتها في سياساتها.

في ما يتعلق بالدولة الأم، الرغبة ببناء وجذب مجتمع الشتات المعرفي في المغرب، تشكل العناصر التالية جزءاً من خطة تحرك متكاملة، أهمها:

- ضرورة وجود مؤسسة ناضجة، بعيدة عن الترهل لرعاية وتنظيم أمور العلماء المغتربين (أثبتت وزارات المغتربين والمؤسسات المماثلة في الدول العربية عدم جدواها)، وأن يكون بمقدور هذه المؤسسة أن تتدخل بشكل دائم ومكثف لتقديم ما يلزم من الدعم المالي والفني والإداري والسياسي لشبكات الشتات المعرفية.

- ضرورة توفير حزم حوافز مجزية لاستقطاب العلماء العائدين، والتركيز على البيئات الشبكية لمجتمعات الشتات المعرفية، وتوفير نظام إدارة معلوماتي لهذه الشبكات Network Information System، وإقامة تحالفات وشراكات أعمال مع المغتربين، والتركيز على استهداف الأفراد من ذوي المهارات العالمية ورجال الأعمال الناجحين ممن يمكنهم المساعدة في تأمين فرص عمل في بلدانهم.

- تنظيم حملات إعلامية تسهم في إشهار قصص النجاح، وتأمين آليات تمويل لمشروعات بحثية مشتركة مع الباحثين من مجتمع الشتات، ومواءمة المتطلبات العلمية والفنية للبلد الأم مع التوجهات المهنية لشبكات الشتات، وتنظيم

للأثر الذي يمكن أن يحدثه المغترب، وليس بريق المغترب وحجم موارده³³. كما أن المقدرة على استيعاب معارف ومهارات المغترب وتوافر كتلة حرجية أساسية من العلميين والفعاليات الأكاديمية، تعدّ عوامل حاسمة في إنجاح عملية نقل المعرفة والتكنولوجيا³⁴.

- تتناسب درجة الاستفادة من خيار **مجتمع الشتات** مع مستوى منظومة العلوم والتقانة والابتكار والمناخ الاستثماري القائم في البلد الأم. فتطوير آليات الاستفادة من الكفاءات العلمية في الخارج يعدّ عملية طويلة الأمد، تتطلب سياسات حكومية واضحة حيال مجتمعات الشتات تتوجه إلى العلميين والأكاديميين والمهنيين ورواد الأعمال على السواء، وتركز على بعض القطاعات التنموية النوعية، آخذة بعين الاعتبار أهداف المغتربين ومتطلباتهم وتجنب الأعمال الخالية من الرؤية والأفق، والتي تبدأ ولا تنتهي.

5 - 1 الإطار المؤسسي

إن أي خطة لمقاربة مجتمعات الشتات المعرفي

”محنة العلم والعلماء العرب في الداخل والخارج“

إطار رقم 42

”إن تطوير البحث العلمي في العالم العربي لا ينفصل عن معالجة مسألة اغتراب العلماء ونزف العقول المستمر منذ عقود، إذ إن عودة هؤلاء العلماء أو الاستفادة من أبحاثهم، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، تشكل مهمة رئيسية من مهام أي برنامج تنمية عربية جدي. لكن مشكلة اغتراب هؤلاء العلماء ليست في الواقع إلا الوجه الآخر لاغتراب العلماء العرب في بلدانهم نفسها. وسيكون من الصعب الاستفادة من المغتربين منهم ما دامت الظروف التي دفعتهم إلى الهجرة أو البقاء في المغتربات والنعمل فيها لم تتغير في بلدانهم الأصلية. فمن الصعب أن تتحوّل البيئة الطاردة للعلم والعلماء إلى بيئة جاذبة لهما بمجرد بناء شبكة بحثية أو حتى مدينة علماء.

المرجع: من مقال لبرهان غليون في صحيفة الاتحاد الإماراتية بتاريخ 26 نيسان - إبريل 2006.

العولة و 11 سبتمبر وأثرهما في التطور العلمي عربياً

إطار رقم 43

تجاوزت تداعيات أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) 2001 أبعادها السياسية، لتلقي بظلالها السلبية على مجال التبادل العلمي والثقافي. ويبدو الأمر أحياناً وكأنه محاولة لمنع العرب من امتلاك القدرات العلمية والتكنولوجية الحديثة أو تطويرها. واتضح ذلك مثلاً في ما يتعرض له المبعوثون العرب في الخارج راهناً من مضايقات، وعرقلة منح تأشيرات الدخول للشباب، حتى بالنسبة إلى من يريد استكمال السنوات الدراسية المتبقية، والتضييق على إفاد مزيد من الشباب العربي لمختلف الجامعات ومراكز البحث العلمي في الدول الغربية، للحصول على الدكتوراه والماجستير في المجالات العلمية المتطورة. ويلاحظ عموماً أن الغرب، وبخاصة الولايات المتحدة الأميركية، لم يعد يفتح جامعاته ومعاهده ومراكزه البحثية أمام مبعوثي العرب بالقدر الذي كان في الماضي، لا سيما في مجالات وتخصصات علمية معينة. وفي مذكرة بعنوان "الدفاع القومي والتعليم"، حددت وزارة الخارجية الأميركية التخصصات "الحساسة" بالموضوعات الآتية: تكنولوجيا الذرة، الصواريخ، التوجيه الإلكتروني، الطيران، التصوير عن بعد، تكنولوجيا تحديد الأهداف، الليزر، المواد الجديدة، نظم الطاقة الموجهة بالليزر، تكنولوجيا المعلومات، الإلكترونيات الدقيقة، السبائك فائقة الأداء، تكنولوجيا الروبوت وغيرها. وتعد هذه التخصصات من علوم العصر ولا غنى لباحث أو لدولة عن التعمق فيها ومتابعتها. فحظرها على هذا النحو سيعيق مسار التقدم فيها، في عدد من دول الجنوب لاعتمادها على المستجندات في ما يسمى بـ "العلوم الحاكمة". ويمكن وصف هذه الإجراءات بأنها نوع من التمييز العنصري علمياً.

المراجع: مصطفى عبد العزيز مرسي، مقال في جريدة الحياة بتاريخ 13/12/2004

عملية إنشاء الشركات والمحافظ الاستثمارية وتبسيطها، ورعاية المشروعات الصناعية وتأمين قوانين الاستثمار السهلة.

• ضمان بيئة علمية مشجعة للابتكار ومنظومة ابتكار ديناميكية، وسياسة وطنية موجهة للعلم والتقانة والابتكار، وتحقيق نظام مؤسّساتي تسوده الحوكمة الرشيدة والقيم المهنية.

أما في ما يتعلق بحكومات الدول المضيفة، فهي مطالبة بتشجيع ورعاية شبكات مجتمع الشتات المعرفية، وبتقديم مختلف التسهيلات اللازمة لـ **دوران الأدمة** Brain Circulation للعلماء المغتربين، وعدم ممارسة أيّ سياسات انتقائية أو ضغوط تقيد حركتهم لجهة سفرهم إلى بلدانهم الأم أو لجهة الاختصاصات العلمية التي يحملونها.

وفي ما يتعلق بمؤسّسات الدولة المضيفة، وعلى الرغم من أن التعاون المرجو من طرف هذه المؤسّسات لا يدخل ضمن إطار الاستراتيجية الوطنية لبناء مجتمع الشتات المعرفي، إلا أنه ذو أثر كبير في إنجاحها. ويمكن ضمان تعاون هذه المؤسّسات عن طريق إبرام اتفاقيات ثنائية معها تستهدف بناء شراكات علمية وعلى بعض الإجراءات العملية، ومنها:

• استحداث آليات غياب قصيرة (Mini Sabbaticals) خاصة بالعلميين المغتربين، وتسهيل قضاء فترات "بعد الدكتوراه" (Post Docs) في الوطن الأم.

• تخصيص ميزانيات لتغطية المهمات القصيرة الهادفة إلى التعاون مع مؤسّسات البلد الأم، واعتبار هذا التعاون جزءاً من المهام الأساسية للأكاديمي أو الباحث.

• السماح للباحثين المغتربين بالعمل في مشروعات مع أقرانهم في الوطن الأم، والإشراف المشترك على بحوث الدكتوراه ومشروعات التطوير التكنولوجي.

الاستفادة من علماء المهجر: كيف السبيل؟

استهدف هذا المحور الاستدلال إلى سبل النهوض بمجتمعات الشتات المعرفية العربية بهدف تسخيرها لتعزيز منظومات البحث العلمي والابتكار في بلدانها الأم. إن معالجة مسألة العلماء المغتربين في الشتات والاستفادة من معارفهم، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، تشكل مهمة رئيسية من مهام أيّ برنامج تنمية عربية جدي. وهي مهمة ملتصقة بتطوير البحث العلمي في المجتمعات العربية ولا تنفصل عنها. كما أن المعطيات السائدة تدلّ على أن الكفاءات العربية ستبقى في حال من عدم الاستقرار، بين مهاجر ووافد، إلى أن تتمكن المجتمعات العربية من الانخراط في مشروع نهضوي متكامل، يتبنّى سياسة وطنية للعلم والتقانة والابتكار، ويتعهد بناء منظومة ابتكار ديناميكية تسمح لهذه العقول بالإسهام ولو عن بعد بنقل معارفها القيمة إلى المحيط العلمي في أوطانها.

المعلوماتية

التواصل الثقافي العربي على شبكة الإنترنت

الفضاء الإلكتروني: عالم ثقافي مواز

واقع البنية المعلوماتية العربية من منظور ثقافي

مفهوم التواصل الرقمي

منهجية قياس التواصل الثقافي العربي عبر شبكة الإنترنت

عينة البحث
منهجية البحث

أي ثقافة رقمية يبحث عنها العرب؟

لكل إنتاج ثقافي مستهلكوه
كيف تواصل الجمهور رقمياً في 20 فرعاً ثقافياً؟
السمات العامة لاستهلاك الثقافة رقمياً وحدود انتشارها عبر الفروع الثقافية
استهلاك المحتوى الثقافي للقضايا العامة
نتائج وتحليلات سمات مستهلكي الثقافة العربية الرقمية وأدائهم
نقاط القوة
نقاط الضعف

أي محتوى رقمي ينتجه العرب؟

منتج الثقافة ومستهلكها عبر المواقع وجهاً لوجه

التحديات والفرص في إنتاج الثقافة العربية رقمياً واستهلاكها

المنتجون
المستهلكون
خلاصات مشتركة

الفضاء الإلكتروني: عالم ثقافي موازٍ

كظاهرة جديدة بالرصد والمتابعة والتحليل، لما تحمله - في تقديرنا - من أهمية بالغة لجهود التنمية الثقافية وجهود احتواء تأثيرات عصف التكنولوجيا بالثقافة، ومثل هذا الرصد والتحليل مطلوب لاستشراف ومعرفة كيف استجابت الثقافة العربية لهذه الرياح، وإلى أي حد تأثرت بها، بما يعمل في النهاية على إضاءة الصورة أمام صانعي القرار وواضعي استراتيجيات التنمية الثقافية في العالم العربي من زاوية مهمة وهي: كيف يتواصل ويتفاعل منتج الثقافة ومستهلكها أو المثقف والجمهور معاً في العالم الموازي الجديد؟.

مفهوم التواصل الثقافي الرقمي

يشير مصطلح "التواصل الثقافي الرقمي" إلى أنه معني بظاهرة تقوم على وجود معادلة مكونة من طرفين متميزين، الأول هم منتجو الثقافة من المؤلفين والمبدعين في شتى المجالات، والثاني هم مستهلكو الثقافة ومتلقوها في صورتها الرقمية، ولكي تنشأ علاقة رقمية بين الطرفين فمن المتعين عليهما أن يستخدمتا تكنولوجيا المعلومات والإنترنت

تتبع الثقافة العربية حالياً، شأن العديد من المجالات الأخرى، تحت عصف شديد وواضح من رياح التكنولوجيا، وهذا العصف بات يحدث فيها تغييراً وقلقلةً جديرين بالرصد والتحليل.

ولعل أبرز تأثيرات هذا العصف أنه أفرز "عالمًا ثقافيًا موازيًا" للتيار الثقافي السائد والتقليدي، وهذا العالم الموازي أصبح يمتلك من الفاعلية والقوة ما يحتم على قادة الثقافة، وفي مقدمتهم مخططو استراتيجيات وبرامج التنمية الثقافية، أخذه في الاعتبار، فرياح التكنولوجيا "باتت تشكل تهديداً للهوية، وقد انتاب الجميع قلق بالغ على مصير هويتهم من جراء هذه التكنولوجيا الساحقة، ووصل هذا القلق إلى حد توقع أن تقضي التكنولوجيا المعلوماتية على التنوع الثقافي مثلما كادت أن تقضي سابقتها الصناعية على التنوع البيولوجي¹.

وفي قلب العالم الثقافي الموازي وما يحمله من تحديات ومخاطر وفرص يبرز "التواصل الثقافي الرقمي" وحالة إنتاج واستهلاك الثقافة عبر الإنترنت في العالم العربي

1 د. نبيل علي محورية الثقافة في مجتمع المعرفة : رؤية عربية مستقبلية بحث مقدم إلى ندوة الثقافة العربية في ظل وسائط الاتصال الحديثة 8-10 مارس 2010.

نرصد ونحلل معادلة إنتاج واستهلاك الثقافة على الإنترنت، سنعتبر أن إنتاج الثقافة الرقمية مقصود به "أي عملية لعرض أو تحديث أو كتابة أو إتاحة أي مادة أو محتوى ثقافي على الإنترنت أو الإضافة إليها أو المشاركة في تطويرها بأي صورة من الصور". أما استهلاك الثقافة الرقمية فمقصود بها "أي عمليات للمطالعة والقراءة والاستماع والمشاهدة والبحث عن المحتوى الثقافي أو زيارته أو التعليق عليه أو تنزيله من الإنترنت أو التفاعل معه بأي صورة من الصور".

وأدواتها المتنوعة في الإمكانيات ومستوى النضج والسرعة كقناة للاتصال والتواصل والتفاعل وتبادل الفعل ورد الفعل.

دور وظيفي أدائي للإنترنت

وانطلاقاً من أن هذا الملف داخل التقرير مَعْنَى باستشراف توظيف تكنولوجيا المعلومات في عمليات التنمية الثقافية وأفاق هذا التوظيف في العالم العربي، فإن الهدف الأساسي للدراسة هذا العام يتمثل في "رصد وتحليل الكيفية التي قام من خلالها منتجو الثقافة ومستهلكوها في العالم العربي بتوظيف الإنترنت من أجل تدعيم وتنمية علاقة التواصل والتفاعل في ما بينهما، بعبارة أخرى هدف البحث هو التعرف على الدور الوظيفي أو الأدائي للإنترنت في تنمية العلاقة بين منتج الثقافة ومستهلكها، من دون التطرّق بالطبع إلى ما يحدثه هذا التواصل من تأثيرات على المحتوى الثقافي نفسه وتطوره".

معنى الإنتاج والاستهلاك الرقمي

ومن المهم هنا الإشارة إلى أننا ونحن

واقع البنية المعلوماتية العربية من منظور ثقافي

العربي خلال العام 2009 كانت كالتالي:
- في مؤشرات تقنيات المعلومات والاتصالات في الرؤى الحكومية، حدث انخفاض طفيف في معيارين للقياس، هما معيار مشروعات الحكومات العربية من تقنيات المعلومات ومعيار تقنيات المعلومات والاتصالات بالرؤى الحكومية، بينما طرأ تقدم طفيف في معيارين هما مستوى تقنيات المعلومات في قائمة أولويات الحكومة ومعيار نجاح الحكومات في الترويج لتقنيات المعلومات داخل المجتمعات العربية.

تحسّن بالأداء الحكومي

- في مؤشرات الأداء الحكومي وتقنيات المعلومات والاتصالات، حدث تقدم وتحسّن طفيف في المعايير الأربعة التي تضمّها هذه المجموعة، وهي مستوى تدريب موظفي الحكومة على التقنيات وتوافر الخدمات الإلكترونية بالإنترنت وتفعيل تقنيات المعلومات في تطوير الأداء الحكومي وانتشار تقنيات المعلومات بالمكاتب الحكومية.

تراجع بالاتصالات

- في مؤشرات البنية التحتية لقطاع الاتصالات، حدث تراجع في ثلاثة معايير من المعايير الستة الموجودة في هذه المجموعة وهي المعيار الخاص بعدد خطوط التليفون لكل 100 نسمة في العالم العربي، ومتوسط تكلفة الاشتراك التليفون الشهري بالنسبة إلى دخل الفرد، حيث سجّل هذا الاشتراك ارتفاعاً واضحاً خلال العام 2009، وتكلفة مكالمة

تعتبر البنية المعلوماتية العربية التحتية بمكوناتها وعناصرها المختلفة - شبكات اتصالات وشبكات معلومات وحاسبات والإنترنت بمواقعها وخدماتها - هي القناة التي تتحقق من خلالها جميع أشكال التواصل الثقافي الرقمي في العالم العربي بين منتجي الثقافة ومتلقيها ومستهلكيها، وانطلاقاً من ذلك سنقدّم في ما يلي عرضاً موجزاً لأوضاع البنية المعلوماتية في العالم العربي وذلك كتمهيد ضروري يوضّح أوضاع وملامح الأداة أو القناة الأساسية المستخدمة في هذا النوع من التواصل في العالم العربي.

وكما كان الحال في العام الماضي أعتمد هذا الجزء على البيانات والمعلومات المتاحة عن أوضاع تكنولوجيا المعلومات والإنترنت في الوطن العربي بقاعدة البيانات التفاعلية على الإنترنت الخاصة بالتقرير العالمي لتقنية المعلومات الصادر عن منتدى دافوس الاقتصادي العالمي في 25 مارس 2010، وعنوانها <http://www.insead.edu/v1/gittr/wef/main/home.cfm>

تراجع وتحسّن في البنية التحتية

يوضّح الجدول رقم "1" أوضاع مستويات النضج في البنية التحتية المعلوماتية في العالم العربي من المنظور الثقافي خلال العام 2008 مقارنة بأوضاع العام 2009، والتي أوردها التقرير العالمي لتقنية المعلومات الصادر في 25 مارس 2010، (جدول رقم 1) ويكشف الجدول أن التراجعات التي حدثت في أوضاع البنية المعلوماتية التحتية في العالم

المعيار	العالم	العربي	مشتريات الحكومة من تقنيات المعلومات	مستوى تقنيات المعلومات في قائمة أولويات الحكومة	تقنيات المعلومات والاتصالات بالرؤية الحكومية	نجاح الحكومة في ترويج تقنيات المعلومات بالمجتمع			
مؤشرات تقنيات المعلومات والاتصالات في الرؤى الحكومية	2008		3.89	4.61	4.18	4.41			
	2009		3.83	4.66	4.17	4.42			
	دول أخرى	ماليزيا	4.58	5.67	5.39	5.30			
		كوريا	4.38	5.44	5.32	5.25			
		ألمانيا	3.93	5.20	4.43	4.76			
	2009	إسبانيا	3.60	4.33	4.12	3.82			
المعيار	العالم	العربي	مستوى تدريب موظفي الحكومة على التقنيات	توافر الخدمات الإلكترونية بالإنترنت	تفعيل تقنيات المعلومات وتطور الأداء الحكومي	مستوى انتشار تقنيات المعلومات بالمكاتب الحكومية			
مؤشرات أداء الحكومة وتقنيات المعلومات والاتصالات	2008		3.84	3.45	58.17	57.20			
	2009		3.86	4.55	61.64	59.39			
	دول أخرى	ماليزيا	4.89	0.63	5.47	5.40			
		كوريا	4.66	1.00	5.78	5.98			
		ألمانيا	5.18	0.55	4.94	5.33			
	2009	إسبانيا	3.86	0.77	4.61	4.60			
المعيار	العالم	العربي	عدد خطوط التليفون لكل 100 نسمة	متوسط تكلفة الاشتراك التليفوني الشهري من دخل الفرد	تكلفة مكالمات المحمول بالنسبة لمتوسط دخل الفرد	عدد مشترك التليفون المحمول بين كل 100 نسمة	عدد مشترك التليفون السريع بين كل 100 نسمة	سهولة توافر خطوط التليفونات الجديدة	
مؤشرات البنية المعلوماتية (قطاع الاتصالات)	2008		12.88	2.21	0.16	70.95	2.05	5.84	
	2009		10.88	8.84	0.27	72.28	3.58	5.93	
	دول أخرى	ماليزيا	15.89	7.67	0.24	102.59	4.93	5.93	
		كوريا	44.29	6.90	0.50	94.71	32.00	6.14	
		ألمانيا	62.48	19.19	0.18	128.27	27.47	6.58	
	2009	إسبانيا	45.41	34.30	0.71	111.67	20.22	5.93	
المعيار	العالم	العربي	متوسط سرعة الربط الدولي بالإنترنت بالميجا ثانية لكل 100 نسمة	عدد حاسبات الإنترنت المؤمنة لكل مليون نسمة	نسبة تكلفة اشتراك دي إس إل شهريا من الدخل الشهري	متوسط عدد الحاسبات لكل 100 نسمة	متوسط عدد مستخدمي الإنترنت بين كل 100 نسمة		
مؤشرات البنية المعلوماتية (الإنترنت وتقنيات المعلومات)	2008		5.63	19.62	679.43	10.30	17.95		
	2009		14.39	27.87	46.29	19.57	18.76		
	دول أخرى	ماليزيا	23.37	27.34	37.74	23.15	55.80		
		كوريا	45.49	695.90	26.62	58.14	76.50		
		ألمانيا	255.51	549.59	28.25	65.45	75.33		
	2009	إسبانيا	111.57	170.14	25.43	40.04	56.74		
المعيار	العالم	العربي	متوسط عدد البراءات لكل مليون نسمة	درجة حرية الصحافة	إتاحة قوانين لها علاقة بتقنيات المعلومات والاتصالات	مستوى استقلالية القضاء	مستوى فعالية الإطار القانوني	مستوى حماية الملكية الفكرية	القدرة على الإبداع والابتكار
مؤشرات البنية الإبداعية	2008		0.59	4.43	3.71	4.54	4.19	4.03	2.89
	2009		1.22	4.46	3.81	4.37	3.94	4.02	2.78
	دول أخرى	ماليزيا	5.63	4.19	5.15	4.21	4.40	4.51	4.08
		كوريا	155.97	5.09	5.60	4.08	3.75	4.20	4.71
		ألمانيا	108.06	6.67	5.43	6.41	5.12	5.72	5.87
	2009	إسبانيا	6.79	5.92	4.54	4.07	3.64	4.31	3.66
المعيار	العالم	العربي	جودة نظام التعليم	الإنفاق على التعليم	جودة تعليم الرياضيات والعلوم	التسجيل الجامعي	الوصول للإنترنت بالمدارس	جودة كليات الإدارة	
مؤشرات أوضاع التعليم (نظام التعليم)	2008		3.52	3.72	4.04	25.39	3.41	3.80	
	2009		3.64	3.59	4.13	26.00	3.64	3.93	
	دول أخرى	ماليزيا	4.84	5.51	4.81	30.24	4.53	4.78	
		كوريا	3.97	3.85	5.19	93.67	6.23	4.48	
		ألمانيا	4.66	4.43	4.53	43.60	4.58	4.96	
	2009	إسبانيا	3.38	3.92	3.34	68.91	4.34	5.83	
المعيار	العالم	العربي	جودة مؤسسات البحث العلمي	توافر خدمات البحوث والتدريب محليا	اتفاق المؤسسات على البحوث	التعاون البحثي بين الصناعة والجامعة			
مؤشرات أوضاع التعليم (التعليم والتدريب)	2008		3.75	3.83	3.03	3.12			
	2009		3.49	3.87	2.89	3.20			
	دول أخرى	ماليزيا	4.73	4.85	4.34	4.63			
		كوريا	5.03	4.61	4.94	4.56			
		ألمانيا	5.77	6.03	5.76	5.25			
	2009	إسبانيا	4.18	4.82	3.55	3.74			
المعيار	العالم	العربي	صادرات التقنيات العالية لإجمالي الصادرات	سهولة الوصول للمحتوى الرقمي	جودة المنافسة في قطاع الاتصالات وتقنيات المعلومات	مدى استيعاب التقنيات داخل المؤسسات	مدى استخدام الإنترنت تجاريا	واردات خدمات تقنيات المعلومات والاتصالات	
مؤشرات البنية الاقتصادية والتجارية	2008		0.90	4.46	4.12	4.93	3.87	17.91	
	2009		0.83	4.61	3.57	5.04	4.27	16.72	
	دول أخرى	ماليزيا	36.61	5.19	6.00	5.39	4.96	38.35	
		كوريا	29.19	6.32	6.00	5.96	6.19	38.99	
		ألمانيا	11.55	6.06	6.00	6.00	5.79	40.58	
	2009	إسبانيا	3.76	5.42	6.00	5.11	4.47	48.43	

تشير الأرقام الملونة باللون الأخضر في أرقام العام 2009 إلى المعايير التي حدث فيها تراجع عن العام 2008، والأرقام الملونة باللون الرمادي إلى المعايير التي حدث فيها تقدم عن العام 2008.

محلياً وإنفاق المؤسسات على البحوث والتعاون البحثي بين الصناعة والجامعة.
- في مؤشرات البيئة الاقتصادية والتجارية، حدث تحسّن في أربعة معايير هي سهولة الوصول للمحتوى الرقمي وجودة المنافسة في قطاع الاتصالات وتقنيات المعلومات ومدى استيعاب التقنيات داخل المؤسسات ومدى استخدام الإنترنت تجارياً، بينما طرأ تراجع على معيارين هما صادرات التقنيات العالية بالنسبة لإجمالي الصادرات العربية وواردات خدمات تقنيات المعلومات والاتصالات.

ملاحق ثابتة للعام الثاني

وبصورة إجمالية يكشف الجدول رقم "1" عن وجود تراجعات في 13 معياراً من معايير التقييم وحدث تقدّم وتحسّن في 29 معياراً من معايير التقييم وثبات معيار واحد بلا تغيير، ولكن أوجه التراجع وأوجه التقدّم لم تكن حادة أو كبيرة بالصورة التي تغير جوهرها من ملامح الصورة التي تمّ شرحها تفصيلاً في تقرير العام الماضي، إذ لا تزال السمات أو الملامح العامة لبنية مجتمع المعلومات العربي من المنظور الثقافي ثابتة كما هي في مجملها أو في عناصرها الأساسية التي ذكرناها في تقرير العام الماضي ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

- تتوافر لبرامج التنمية الثقافية في العالم العربي حالياً مساحة معقولة من البنية المعلوماتية التي يمكن اتخاذها كنقطة انطلاق أو كمنصة أولية نحو التوظيف الثقافي لتقنيات المعلومات والاتصالات، آخذاً في الاعتبار قابلية هذه البنية للتجدد والتطور والتوسع والإضافة، وذلك انطلاقاً من الالتزام الحالي لدى الحكومات العربية بدعم تشييد وصيانة وتوسيع نطاق البنية الأساسية لتقنيات المعلومات والاتصالات حالياً ومستقبلاً، وإجمالاً يهيئ

المحمول بالنسبة إلى متوسط دخل الفرد، وفي المقابل تحسّنت المعايير الخاصة بعدد مشترك التليفون المحمول بين كلّ 100 نسمة وعدد مشترك الخطوط السريعة بين كلّ 100 نسمة، وفي توافر خطوط التليفونات الجديدة.
- في مؤشرات البنية المعلوماتية الخاصة بالإنترنت وتكنولوجيا المعلومات، حدث تحسّن في خمسة من المعايير الستة التي تضمّها هذه المجموعة وهي معيار متوسط سعة الربط الدولي بالإنترنت وعدد حاسبات الإنترنت الخادمة المؤمنة لكلّ مليون نسمة وتكلفة اشتراك الخطوط عالية السرعة "الدي إس إل" الشهري ومتوسط عدد الحاسبات لكلّ 100 نسمة ومتوسط عدد مستخدمي الإنترنت بين كلّ 100 نسمة، في ما ثبت المعيار الخاص بنسبة تكلفة 100 كيلوبايت ثانية من الدخل الشهري.

الإبداع؛ 3 خطوات للأمام 4 للخلف

- في مؤشرات البيئة الإبداعية، حدث تحسّن في ثلاثة معايير هي متوسط عدد البراءات لكلّ مليون نسمة ودرجة حرية الصحافة وإتاحة قوانين لها علاقة بتقنيات المعلومات والاتصالات، وطرأ تراجع على أربعة مؤشرات أخرى هي مستوى استقلالية القضاء وفعالية الإطار القانوني ومستوى حماية الملكية الفكرية والقدرة على الإبداع والابتكار.
- في مؤشرات أوضاع التعليم، حدث تحسّن في خمسة معايير هي جودة نظام التعليم وجودة تعليم الرياضيات والعلوم والتسجيل الجامعي والوصول للإنترنت بالمدارس وجودة كليات الإدارة، وحدث تراجع في المعيار الخاص بالإنفاق على التعليم.
- في مؤشرات البحث والتدريب، تراجع معيار جودة مؤسسات البحث العلمي وحدث تحسّن في توافر خدمات البحوث والتدريب

هذه الفرصة قابلة للتطوير والتحسين وجاهزة للاستغلال، لكنها في الوقت نفسه عرضة للضياع والتلاشي إذا ما تركت لفترة من دون رعاية وتنمية وجهد رصين في استغلالها، وهو ما يتعين أن يعيه كل من يخطط أو ينفذ مشروعاً أو برنامجاً للتنمية الثقافية في العالم العربي.

تحدي الفئات المحرومة

- تمثل الشرائح المحرومة من الاستفادة من إمكانيات تقنيات المعلومات والاتصالات أو التعامل معها تحدياً كبيراً أمام جهود توظيف هذه التقنيات في التنمية الثقافية في العالم العربي، ذلك لأن محدودية انتشار البنية المعلوماتية بالمجتمعات العربية - بخاصة خارج بعض دول الخليج الغنية - يجعل النسبة الأكبر من سكان العالم العربي تحت وطأة الفجوة الرقمية.

- ثمة ارتباط شديد بين التنمية الثقافية ومقومات البيئة الإبداعية السائدة، كما أن هناك ارتباطاً ممتداً بين فرص نشر وتوظيف تقنيات المعلومات والاتصالات ومقومات البيئة الإبداعية، ومن سوء الحظ أن العديد من مقومات البيئة الإبداعية المطلوبة للطرفين غير مؤاتية في العالم العربي، وهو ما يشكل تحدياً جديراً بالاعتبار عند التفكير في التوظيف الثقافي لتقنيات المعلومات والاتصالات.

أزمة تدني التعليم

- يشكل الوضع المتدني لجودة نظم التعليم في العالم العربي تحدياً كبيراً أمام التوظيف الثقافي للبنية المعلوماتية، سواء المتاحة حالياً أم التي تتطور مع الوقت، لأن نظم التعليم ركيزة أساسية من ركائز الثقافة في أي مجتمع، وبالتالي فإن الثقافة الحقة لا يمكن إنتاجها ونشرها بنجاح في بيئة جاهلة،

هذا الوضع فرصة لحدوث تواصل ثقافي رقمي ملحوظ وقابل للنمو مع الوقت.

- إذا ما أخذنا في الاعتبار أن مستخدمي الإنترنت والحاسبات وخطوط الاتصالات هم في العادة أقرب للفئات التي حصلت على مستوى معقول من التعليم وذات قدرة معيشية ومادية متوسطة أو فوق المتوسطة، فإن هذه الشريحة من السكان التي يدور عددها حول 50 مليون نسمة ما بين مستخدمين للشبكة أو مالكين للحاسبات تعتبر نواة محيط اجتماعي سكاني ثقافي قابل لأن ينجز تواصلًا ثقافياً رقمياً بصورة متنوعة.

فرصة لدعم التنمية الثقافية

- يهيئ الاستعداد الموجود لدى الجهات الحكومية والخاصة والأفراد للإنفاق على امتلاك وتشغيل تقنيات المعلومات والاتصالات تربة سابقة الاستعداد أمام مخططي ومنفذي برامج التنمية الثقافية لكي يستخدموها في زرع وتوطين جهود التنمية الثقافية، على اعتبار أن من لديه استعداد للدفع في امتلاك أدوات تقنيات المعلومات والاتصالات يكون مهتماً بصورة أو بأخرى وبدرجة أو بأخرى لتحمل بعض أو كل الأعباء المادية التي قد يتطلبها التوظيف الثقافي لتقنيات المعلومات والاتصالات.

- ثمة مؤشرات دالة على وجود قدر لا بأس به من المهارات والنجاح في الاستفادة من تقنيات المعلومات عملياً وتوليد قيمة مضافة منها، وهذه في حد ذاتها نقطة بداية جيدة إلى حد ما أمام التواصل الثقافي الرقمي، حيث يمكن للقائمين على هذه الجهود الاطمئنان إلى أن منتجهم المتولد عن التوظيف الثقافي لتقنية المعلومات والاتصالات سيجد مستخدمين مسلحين إلى حد كبير بالمهارات المطلوبة لاستخدامه وتوظيفه والحصول على قيمة مضافة من ورائه، وكما هو واضح فإن

المتاحة أشبه بطرق جرى تعبيدها لكي يأتي المنتج الثقافي الرقمي الأجنبي ويستعمر العقل العربي بدون أدنى مقاومة بل وبالبنية المعلوماتية التي تحمل الإنسان العربي تكاليفها.

- تؤسس فجوة الثقة بين ما تعرضه المؤسسات الرسمية العربية من خدمات معتمدة على تقنية المعلومات حالياً لفجوة مماثلة ستعترض طريق التوظيف الثقافي للتقنية حال البدء فيها بصورة جادة، ومثل هذا التحدي سيظل قائماً حتى تستطيع المؤسسات الثقافية الرسمية العربية تقديم محتوى ثقافي صادق ورسين وجدير بالإنفاذ إلى عقول وقلوب مواطنيها وعبور فجوة الثقة وبيني مكانها جسراً للتواصل.

فجوة التشريعات الثقافية

تمثل التشريعات الثقافية المستحدثة واحدة من أهم الحلقات التي فرضتها وتغذيها ثورة المعلومات والاتصالات باستمرار، خاصة في ما يتعلق بحقوق النشر والملكية الفكرية وقضايا الإبداع الثقافي وغيرها، والحاصل أن استجابة العالم العربي لهذا الجانب متفاوتة من حيث السرعة والنضج إلى حد كبير، وجاءت في معظمها بطيئة وقاصرة، وهو ما يشكل تحدياً أمام التوظيف الثقافي لتقنية المعلومات والاتصالات خاصة في ما يتعلق بالأطر القانونية الحاكمة لحقوق التأليف والنشر والملكية الفكرية وغيرها من القوانين ذات الصلة المباشرة والثيقة بالإبداع الثقافي عبر الفضاء الإلكتروني الرقمي.

وقد استفادت مئات المجتمعات حول العالم ثقافياً من إمكانات تقنية المعلومات والاتصالات في هذا الصدد، والآن هناك اتجاه قوي في المشهد الثقافي العالمي يمضي تحت شعار "المعرفة من خلال التشبيك"، أو

سواء كانت هذه البيئة مسلحة بأرقى أدوات تقنية المعلومات أم محرومة منها، وفي ضوء المؤشرات المتدنية حول جودة نظم التعليم في معظم الدول العربية يظل هناك هاجس قوي حول مدى النجاح الذي يمكن أن يتحقق في جهود التوظيف الثقافي لتقنيات المعلومات.

- معظم الدول العربية مصنفة على أنها إما شديدة الفقر أو فقيرة أو متوسطة، وتحقق دخلاً منخفضاً لمواطنيها إلى الدرجة التي تجعل تكلفة المكاملة الشهرية أو الاشتراك الشهري في خدمة الخدمات أو اقتناء حاسب معضلة حقيقية تلتهم جزءاً لا يستهان به من دخل الفرد، والقلّة القليلة من الدول العربية هي الغنيّة التي تتمتع بفوائض تحقق دخلاً عالية لمواطنيها تمكنهم من تحمل تكلفة استخدام تقنيات المعلومات والاتصالات سواء في التنمية الثقافية أم غيرها، وهذا الوضع سوف يشكل تحدياً أمام جهود التوظيف الثقافي لتقنيات المعلومات في العالم العربي.

- تركز أوضاع البحث العلمي والتدريب في العالم العربي تحت وطأة ظروف عديدة غير مؤاتية بالمرّة، وهو أمر ينسحب تلقائياً على جهود البحث والتطوير في مجال التوظيف الثقافي لتقنيات المعلومات والاتصالات، الأمر الذي يصنع تحدياً عميقاً على الأجل البعيد، لكونه مرتبطاً بإعادة صياغة أوضاع البحث العلمي ككل داخل العالم العربي ووضعه في المكانة التي يستحقها ومنحه الدور الذي يتعين أن يلعبه في مسيرة التنمية.

قلة الحاسبات المؤمنة.. عقبة

- يشكل تدني عدد الحاسبات العربية الخادمة المؤمنة الحاملة للمحتوى على الإنترنت تحدياً لا بد من الانتباه إليه جيداً في جهود التنمية الثقافية، وإلا ستصبح البنية المعلوماتية

في ضوء المؤشرات المتدنية حول جودة نظم التعليم في معظم الدول العربية يظل هناك هاجس قوي حول مدى النجاح الذي يمكن أن يتحقق في جهود التوظيف الثقافي لتقنيات المعلومات..

استغلال قوة التكنولوجيا في الربط والتشبيك لتحقيق تنمية ثقافية ومعرفية قائمة على التواصل والتبادل المستمر للبيانات والمعلومات والمعارف بين مجموعات من البشر.

وتطوّرت فكرة التشبيك والربط الثقافي عبر الإنترنت حتى ظهر ما يعرف "بالمجتمعات التخيلية"، وهي مواقع على الشبكة تمثل نقطة التقاء لمجموعة من الأشخاص يتواصلون معاً من خلالها باستخدام نظم القوائم البريدية أو التراسل الفوري والمحادثة والردود والحوارات المطوّلة ومجموعات الأخبار وغيرها من أساليب التواصل الجماعي، ويكون القاسم المشترك بينهم قضية ذات اهتمام مشترك أو التخصص المهني أو التوافق في الهوايات والاهتمامات.

وتشير أرقام البنية التحتية المعلوماتية في العالم العربي لعامي 2008 و2009 والسابق عرضها بصورة موجزة إلى أن مسار "المعرفة من خلال التشبيك" يفرض نفسه بقوة كمسار من مسارات توظيف تقنية المعلومات كرافعة للتنمية الثقافية، وذلك للقيام بما يلي:

- تشبيك أدبي يربط ما بين الأدباء العرب من القاصين والشعراء والنقاد في مجتمع تخيلي واحد أو عدة مجتمعات تخيلية تلتزم التوجهين السابقين المتعلقين بحرية تداول المعلومات والمصادر المفتوحة لتبادل المساهمات والآراء لاستعراض الإبداعات الجديدة لصغار وكبار الأدباء وإدارة حوار جاد حولها وتحقيق مستوى من التواصل الداخلي في ما بينهم، فضلاً عن التواصل الخارجي مع الجمهور العام.

- تشبيك ثقافي مؤسسي يحقق نوعاً من الربط والمشاركة في ما بين المؤسسات الثقافية العربية كوزارات الثقافة وغيرها من المؤسسات المشابهة بما يفتح الطريق

نحو حركة تنسيق جادة في جهود التنمية الثقافية الرسمية، تعتمد على تبادل المنافع وتكامل المصادر والموارد المتاحة للبلدان العربية، فالبعض يملك ذخيرة تراثية عريضة وضاربة في القدم والبعض الآخر يملك موارد مالية وفريق ثالث يملك خبرات وكوادر ذات قدرات متنوعة في العمل الثقافي والتنمية الثقافية، ومن خلال مجتمع تخيلي للمؤسسات الثقافية الرسمية العربية يمكن القفز بعيداً فوق العديد من المشكلات والعوائق الروتينية السائدة والمعضلات السياسية المزملة والانطلاق في تعاون طوعي سريع وسهل يمكن أن يحقق مردوداً إيجابياً قد يبدأ بسيطاً لكنه قابل للتعاظم مع الوقت.

- تشبيك فني على صعيد السينما والموسيقى والمسرح يتيح تواصل ومشاركة جادة بين مراكز الإنتاج الفني الرئيسية في العالم العربي بالقاهرة وبيروت والخليج والمغرب العربي وغيرها، ويفتح مجالات للتعاون وتبادل الأفكار والمشروعات المشتركة وإعادة عرض التراث الفني العربي عبر الإنترنت.

- تشبيك بحثي وعلمي لربط مؤسسات البحث العلمي والعاملين بها وتحقيق قدر من المشاركة في الأفكار والإبداعات وتبادل النتائج وفتح نقاشات أكاديمية وعلمية حولها، وكذلك تبادل المعلومات والبيانات المتعلقة بالموضوعات العلمية ذات الصبغة المشتركة كقضايا التصحر وندرة المياه وتحلية مياه البحر والتلوث البيئي.

- تشبيك ومشاركة سياسية خاصة في القضايا ذات الصبغة القومية، وهو أمر تجلّى بوضوح حيال قضايا الصراع العربي - الإسرائيلي واحتلال العراق وقضايا

تشير أرقام البنية التحتية المعلوماتية في العالم العربي لعامي 2008 و2009 إلى أن مسار "المعرفة من خلال التشبيك" يفرض نفسه بقوة كمسار من مسارات توظيف تقنية المعلومات كرافعة للتنمية الثقافية..

عامل ثقة، وأن إمكانات اللقاء والتبادل مع محترفين تحفز الموهبة للاحتراف والرغبة في التعلّم، وهكذا يدعم التعلّم شعور الانتماء إلى مجموعة معرفية معيّنة.

إن استخدام الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات كوسيلة للإتاحة الدائمة للمعارف بصورة إحترافية للمبدعين والموهوبين سمح بنشر الفنّ والإبداع القائم على المعرفة وبدأ يكسر احتكار الوسائل التقليدية الناقلة للمعرفة للمبدعين، وفي مقدمتها المؤسسات التعليمية والأكاديمية والكتب والمواد المطبوعة، ومن هنا فإن الفرصة سانحة أمام مشروعات التنمية الثقافية العربيّة والمؤسسات القائمة عليها لكي تتبنّى سلسلة من الخطط والمشروعات المعنية بالتنمية الثقافية العربيّة بهدف إتاحة معارف من نوع الدراسات النقدية والقصائد الشعرية والمسرحيات الجديدة بين أدباء شبان وكبار ينضون في مجموعات مهنية محترفة، وإتاحة البرامج الدراسية والمحاضرات الأكاديمية ولوحات الفنّ التشكيلي بين تجمعات الفنانين التشكيليين المنضوين في قوائم مهنية محترفة، وإتاحة أفلام السينما ومكتبات السيناريو وكتب التراث والفقه بشكل دائم وعلى نطاق واسع بين محترفي كتابة السيناريو وصناع السينما، إلى غير ذلك من المجموعات المهنيّة ذات العلاقة بالإبداع الثقافي، وإذا تمّت صياغة هذه الجهود بطريقة احترافية تناسب احتياجات المبدعين العرب في كلّ اتجاه، فإن ذلك يمكن أن يحقق توظيفاً فعالاً وسريعاً لتكنولوجيا المعلومات في إنجاز ما يعرف "بالإبداع من خلال إتاحة المعرفة".

السودان وغيرها، حيث تشكلت العديد من الروابط والمجموعات التي تضمّ ناشطين سياسيين وفي مجال حقوق الانسان في الوطن العربي وغيرها للعمل بصورة مشتركة.

- تشبيك في مجال النشر والإعلام والكتب والمكتبات والتراث، لفتح قنوات لتبادل المعارف والكتب في مختلف المجالات من خلال المكتبات الرقمية والمستودعات الإخبارية والإعلامية التخيلية المفتوحة، ومستودعات النشر الرقمي والمدونات والشبكات الاجتماعية وغيرها، ممّا يتيح موارد ثقافية هائلة أمام المواطن العربي للنيل منها طوال الوقت بصورة مجانية أو بتكلفة زهيدة.

ثقافة الإبداع والفنّ القائم على المعرفة: "الإبداع من خلال إتاحة المعرفة"

في هذا السياق تبرز المجموعات المهنيّة عبر الإنترنت كآلية يمكن لمشروعات وبرامج التنمية الثقافية العربيّة توظيفها لدعم الإتاحة الدائمة للمعرفة أو المعارف التي يمكن للموهوبين الاستفادة بها في صقل مهاراتهم وقدراتهم على الإبداع، فالحاصل أن أعضاء مثل هذه الشبكات ينقلون معارفهم ومهاراتهم للآخرين، خصوصاً في ما يتعلق بالتواصل ما بين الأجيال، فهي تتيح للأساتذة تقديم خبراتهم بشكل دائم ومتجدد للشباب للاستفادة منها، وقد عرف منذ زمن طويل أن شعور الانتماء للمجموعة المحترفة هو

مفهوم التواصل الرقمي

ومستخدميه ويحدّد لكلّ منهم صلاحيات بعينها، ثم راحت هذه الأدوات تنشئ قنوات لتبادل معلومات وأفكار وآراء بين أطراف لا يحكمها إطار مؤسسي وليس بينها من علاقة سوى الاستخدام المشترك للشبكة ومواردها المفتوحة للجميع.

استمرّ التطور وبدأت تظهر أشكال من التواصل الإنساني تشمل تبادل المعلومات والرأي والنقاشات على فترات متباعدة زمنياً، بمعنى أن الأدوات والتكنولوجيات المستخدمة كانت - على سبيل المثال - تجعل من المحتّم على من يطرح رأياً أو يبيّث بمعلومة أو مشاركة في قضية ما يحدث حولها الجدل أن ينتظر لفترة ربما تطول لساعات أو أيام حتى يتعرف إلى ردود وملاحظات واتجاهات الآخرين حيال ما يطرحه، وبالتالي كان التواصل في مجمله يجري ببطء وبصعوبة واضحة، وبالتزامن مع ذلك كان موضوع التواصل الإنساني ذا طابع علمي تقني متخصص كاد أن يكون مغلقاً على قضايا المعلوماتية بفروعها المختلفة.

من التواصل البطيء إلى السريع

بمرور الوقت بدأت هذه الأدوات والتكنولوجيات تتطوّر وتتسع، فمن الناحية الأدائية بدأت تنتقل من الأدوات التي تحقّق تواصلًا بطيئاً إلى الأدوات التي تحقّق تواصلًا سريعاً وصل الآن إلى ذروته بحدوث التواصل اللحظي أو الفوري، كما أصبحت تتسم بمزيد من السهولة في الاستخدام ورخص التكلفة، حتى بات باستطاعة أيّ شخص استخدامها

إن التواصل الإنساني عبر الوسائل الرقمية - وخصوصاً الإنترنت - لم يظهر فجأة، بل تشكّل عبر رحلة طويلة من التطور المستمر. ففي البداية لم يكن التواصل الإنساني الرقمي ذا استخدامات سياسية أو تجارية أو ثقافية، بل ظل محصوراً في الطبيعة التقنية والتخصصية لفترة طويلة، وترافق التحول صوب الاستخدام الثقافي لوسائل الاتصال الرقمية مع ما شهدته هذه الوسائل من تقدّم تقني أضفى المزيد من السهولة على استخدامها.

وعملياً تشكّل الإنترنت أكبر وسيط للتواصل الرقمي، وما عداها يمثل شذرات بسيطة إما في طريقها للاضمحلال والانزواء لكونها ظهرت قبل الإنترنت أو تنافست معها وخسرت المعركة، أو كونها وسائل جديدة تعيش على التوازي مع الشبكة ولا تزال في أطوارها الأولى، ولذلك سنركز على رحلة تطور التواصل الإنساني الرقمي عبر الإنترنت، كمثال جيد وأكثر تعبيراً من غيره عن نشأة الظاهرة وتطورها.

جذور التواصل الرقمي

تعود جذور التواصل الإنساني الرقمي عبر الإنترنت إلى النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي، حينما نجحت بعض الأدوات والتكنولوجيات المختلفة على الشبكة في أن تتجاوز الشكل المحدود لتبادل البيانات داخل شبكات المعلومات، الذي يتمّ بين طرفين أو عدّة أطراف تعمل وفق إطار مؤسسي داخل منشأة أو هيئة أو أكثر ومغلق على أصحابه

باستخدام وسائل وأدوات الاتصال الرقميّة كشبكات الاتّصالات وشبكات المعلومات والإنترنت وأجهزة البثّ والاستقبال وقواعد البيانات ووسائل التخزين والتداول المثبتة في الحاسبات، والأجهزة المحمولة باليد أو عبر أجهزة متحركة وما يستخدم معها من أدوات وآليات لتداول المعلومات رقمياً على نطاق واسع كالبريد الإلكتروني والمواقع الإلكترونية في إنتاج أو تداول أو تبادل النصوص والصور والتسجيلات الصوتية والمرئية الخاصة بالمعلومات التي يجري توظيفها في تسيير وإدارة تفاصيل الحياة اليومية سواء بالاطلاع أم المشاركة أم النشر أم المتابعة على المستوى الفردي أم الجماعي، وبالمنتجات والخدمات القابلة بذاتها للإنتاج والتداول رقمياً أو التي تستخدم وسائل الاتصال الرقميّة في إنتاجها وتداولها، وبناء أو عرض أو المشاركة في الاتجاهات والمواقف والفعاليات حيال القضايا المختلفة الإبداع والإنتاج المعرفي والحضاري بشتى صورته.

التواصل الثقافي الرقمي

من رحم ظاهرة التواصل الإنساني الرقمي العامة وما شهدته من تطوّر، انبثق "التواصل الثقافي الرقمي" كظاهرة فرعية تستخدم ما أتاحتها الظاهرة العامة من مزايا وإمكانات في تسهيل عملية إنتاج واستهلاك الثقافة عبر الإنترنت.

ويلاحظ في هذا الصدد أن التواصل الثقافي الرقمي بصورته الجماهيرية الواسعة جاء متأخراً مقارنة بأشكال أخرى من التواصل الإنساني التي سبقته، كالتواصل التجاري والتقني والأكاديمي، والتواصل الأدائي أو الوظيفي بين الجماعات المهنية ذات الطابع المميّز، من مهندسين وأطباء وغيرهم.

بمجرد اكتساب بعض المهارات البسيطة التي يمكنه الحصول عليها بالتدريب والتعلّم الذاتي، ومن ناحية الانتشار والجماهيرية انفتحت على مجالات جديدة وانتقلت من التخصصية إلى العموم، ومن دائرة المعلوماتية المغلقة على أصحابها والمهتمين بها إلى رحابة عالم السياسة والأدب والثقافة والفنّ والاجتماع والترفيه والعقيدة وغيرها.

الملايين يتواصلون رقمياً والسياسة والثقافة على الخط

أدى ذلك كلّ إلى تحفيز أعداد هائلة من البشر حول العالم للدخول في مجال التواصل الإنساني عبر الإنترنت وفضاءاتها الإلكترونية، وبالطبع فإنّ الزيادة الرهيبة في أعداد المستخدمين كانت تعني في الوقت نفسه تنوعاً وانفتاحاً واسعاً في الاهتمامات والقضايا المطروحة للنقاش من قبل المشاركين الذين باتوا يعبرون بصورة متزايدة عن المجتمع الإنساني بكلّ فئاته وتنوعاته، ومن ثم دخلت قضايا السياسة والاجتماع والثقافة والشؤون الدولية على الخط واحتلت الواجهة، هذا علاوة على أن نجاح التكنولوجيا في توفير أدوات التبادل الفوري للمعلومات والآراء وإجراء النقاشات الحية حفز المزيد من الناس على المشاركة ورفع عنهم إحساسهم بالملل والنفور الذي كان سائداً في المرحلة الأولى.

المفهوم والمغزى

في ضوء المراحل التي مرّت بها رحلة التواصل الإنساني الرقمي وما قدمته من إمكانيات وما أسفرت عنه الممارسات العملية من خبرات في التواصل بين مستخدميها يمكن تعريف ظاهرة التواصل الإنساني الرقمي بأنها "قيام أيّ فرد أو مجموعة من الأفراد

لأقصى الحدود الممكنة من كل الآليات والأدوات التي وفرتها التكنولوجيا ويزخر بها فضاء الإنترنت، حتى بات من المتاح أن نعرفه على أنه "قيام منتجي الثقافة ومستهلكيها من الأفراد والجماعات والمؤسسات والهيئات والجهات الرسمية وغير الرسمية باستخدام وتوظيف وسائل الاتصال الرقمية وعلى رأسها الإنترنت كقناة لإنتاج وتبادل وتداول وإدارة ونشر واستهلاك المنتج الثقافي والإبداع المعرفي والحضاري بمختلف صوره، ولبناء وتكوين توجهات ومواقف وفعاليات تتعلق بالثقافة والمشاركة فيها، ولبناء وإدارة علاقات بين منتجي الثقافة وبعضهم البعض أو مستهلكيها وبعضهم البعض".

وعملياً يتيح التواصل الثقافي الرقمي فرصاً لا محدودة في مجال التنمية الثقافية، فعلى جانب منتج الثقافة أو المبدعين يتيح آفاق رحبة في مجال إنتاج ونشر الوعي الثقافي، وتوصيل المنتج الثقافي إلى قطاعات واسعة من الجماهير بصورة سريعة رخيصة ربما لم يكن بمقدور المبدع أو المثقف امتلاكها والتمتع بمزاياها من قبل، وعلى جانب متلقي الثقافة ومستهلكيها يتيح فرصاً لا محدودة أيضاً في الحصول على المنتجات الثقافية واستهلاكها طازجة فور إبداعها إذا كانت جديدة، بل والوصول إليها بسهولة ويسر مهما كانت قديمة أو مضى عليها مئات السنين ومن مختلف بقاع الأرض، وفوق ذلك إمكانات واسعة للتفاعل مع المثقف الذي أبدع أو الناقد الذي يرصد أو المستهلك الآخر الذي يتذوق بحرية وسرعة وسهولة لم تكن معهودة من قبل.

كل هذا يعني أن رياح التكنولوجيا تعصف بالثقافة فتحدث فيها تغييراً وقلقلة جديرين بالرصد والتحليل، خصوصاً أن هذه الرياح ليست في كل أحوالها فرصاً ومزايا، بل في

وعلى الرغم من حداثة النسبية، يتسم التواصل الثقافي الرقمي بكونه جاء بقدر كبير من العنفوان والانتشار والقوة الجماهيرية، ومرجع ذلك إلى أن الغالبية الساحقة من أشكال الثقافة هي بطبيعتها أشياء قابلة لأن يتم التفكير فيها والتخطيط لها وإنتاجها وتداولها ونشرها واستهلاكها والتعليق عليها والتأثير فيها والتأثر بها بصورة رقمية وفي فضاء رقمي بالكامل.

ففروع الثقافة من أدب وشعر وسينما وغناء وموسيقى وفلكلور وفكر وغيره، جميعاً قابلة لأن تتحرك بسهولة وحرية في فضاء رقمي بصورة رقمية، ما بين المبدع أو المنتج والمتلقي أو المستهلك، فالأغاني والأفلام والألحان والقصص والروايات والمسرحيات والكتب والخرائط والصور والإبداع التشكيلي جميعها إنتاج ذهني يكون في إحدى مراحلها في صورة لامادية قابلة أن توضع في صورة رقمية تتداول وتسافر عبر الأسلاك وتشاهد عبر الشاشات، ويتم التفاعل معها واستهلاكها افتراضياً عبر الساحات.

ولذلك حينما وصلت الإنترنت - كوسيط للتواصل الإنساني الرقمي - إلى مرحلة التواصل شبه اللحظي ثم اللحظي، عملت على الفور كمهاد فسيح تهادى فوقه التواصل الثقافي بكل سهولة ويسر محققاً فضاء ثقافياً موازياً للفضاء الثقافي الواقعي بصوره التقليدية وعلى رأسها الورق، وكل يوم يكتسب التواصل الثقافي الرقمي أرضاً جديدة يزداد فيها إنتاج واستهلاك الثقافة مع الوقت، حتى أصبح واقعاً لا يمكن تجاهله في استراتيجيات وخطط التنمية الثقافية في أي دولة حول العالم.

وتؤكد حالة التواصل الثقافي الرقمي عالمياً أن هذا النوع من التواصل الإنساني استفاد

الإنترنت، فإن الأوعية أو القنوات المستخدمة في تفعيل هذه الظاهرة تتمثل في مجموعة من الأدوات والآليات محدودة العدد، تأتي في مقدمتها المواقع والمنشآت والقوائم البريدية والمدونات والشبكات الاجتماعية وشبكات الفيديو، حيث تُستخدم هذه الأدوات كقنوات لإنتاج أو نقل أو استهلاك المحتوى أو مادة التواصل الإنساني الرقمي بكل أشكاله عبر الإنترنت، ومن هنا فإنه عند رصد وتحليل أنشطة إنتاج واستهلاك الثقافة العربية على الإنترنت، التي تتم في إطار ظاهرة التواصل الثقافي الرقمي ككل، لا بد من التوجه مباشرة إلى قنوات أو أوعية التواصل التي تربط بين منتج الثقافة ومستهلكها عبر الشبكة، فهذه

بعض جوانبها تحديات ومخاطر، وهو ما يستدعي رصد وتحليل ظاهرة التواصل الثقافي الرقمي العربي على الإنترنت حالياً من زاوية منتج الثقافة ومتلقيها عسى أن يساعد هذا الرصد في استشراف كيف استجابت الثقافة العربية لهذه الرياح، وإلى أي حد تأثرت بها، وهو ما يعمل في النهاية على إضاءة الصورة أمام صانعي القرار وواضعي استراتيجيات التنمية الثقافية في العالم العربي.

منهجية قياس التواصل الثقافي العربي عبر شبكة الإنترنت

على الرغم من تشعب وتنوع وضخامة حجم ظاهر التواصل الإنساني الرقمي عبر

رياح التكنولوجيا تعصف بالثقافة فتحدث فيها تغييراً وقلقلة جديرين بالرصد والتحليل، خصوصاً أن هذه الرياح ليست في كل أحوالها فرصاً ومزايا، بل هي في بعض جوانبها تحديات ومخاطر، وهو شأن يستدعي رصد ظاهرة التواصل الثقافي الرقمي العربي وتحليلها من زاوية منتج الثقافة ومتلقيها..

إجمالي عينة مفردات البحث موزعة على قنوات التواصل وعلى الفروع الثقافية المختلفة

جدول رقم 2

الفرع وقناة التواصل	المواقع	المدونات	المنتديات	فيس بوك	القوائم البريدية	يوتيوب	إجمالي
آثار وعمارة	1	0	0	0	0	0	1
أدب	6	9	5	5	9	1	35
إعلام	2	2	0	4	0	1	9
تراث	0	0	0	2	3	7	12
ثقافة	5	0	13	0	14	2	34
سينما	7	8	3	13	14	3	48
شعر	7	16	2	13	6	13	57
غناء	5	1	3	0	5	4	18
فعاليات ثقافية	0	0	0	4	0	0	4
فنون جميلة	6	4	5	4	7	3	29
كتب	1	5	0	10	2	3	21
لغة	0	0	6	0	0	0	6
مسرح	3	4	1	7	5	4	24
موسيقى	3	0	2	6	2	1	14
مؤسسات	4	0	0	12	1	1	18
نشر	0	1	0	5	1	0	7
إجمالي	50	50	40	85	69	43	337

الشبكة طبقاً لما تظهره نتائج محركات البحث العالمية الكبرى وفي مقدمتها غوغل، وكما هو ملاحظ فإن هذه الفروع شملت الآثار والتراث والشعر والأدب والمؤسسات والمسرح واللغة والفنون الجميلة والكتب.. الخ.

منهجية البحث

عند الرصد والاستكشاف تمّ تصميم مصفوفات للتحليل تراعي خصوصية كل قناة أو وعاء تواصلي يستخدمه منتج الثقافة ومستهلكوها في تبادل المواد الثقافية على الإنترنت، حيث تشكّلت مصفوفة تحليل تكاد تكون واحدة تقريباً لكل من المواقع والمنتديات والمدونات، ثم مصفوفة فيها قدر بسيط من التغيير للفييس بوك كنموذج للشبكات الاجتماعية، ومصفوفة تحليل قائمة بذاتها للقوائم البريدية وكذلك الحال بالنسبة إلى اليوتيوب لاختلاف الطبيعة التقنية لكل منهما عن أي قناة تواصل أخرى.

اختلافات منهجية

وقد عكست هذه الاختلافات التقنية نفسها على منهجية التحليل وجمع البيانات واستخلاص النتائج، ولذلك ستظهر الجداول والأرقام الخاصة بالمواقع والمدونات والمنتديات والفييس بوك بصورة مشتركة، بينما ستظهر التحليلات الخاصة بكل من اليوتيوب والقوائم البريدية بشكل منفرد ومستقل عن الجميع، وإن كان فريق البحث قد حاول قدر الاستطاعة استخلاص بعض القواسم المشتركة بين الجميع عند التحليل النهائي.

وقد صممت مصفوفة التحليل الخاصة بمجموعة الأربعة "المواقع والمنتديات والمدونات وصفحات الفييس بوك" بحيث تقدّم في النهاية قياساً لمجموعتين من المعايير هما:

الأوعية أو القنوات هي التي تستخدم في نقل المادة الثقافية من منتجيها إلى مستهلكيها وكذلك في إنتاجها واستهلاكها، وبالتالي فإن رصدها وتحليل محتواها يضع أيدينا تلقائياً وبالضرورة على المادة الثقافية المقدمة بصورة رقمية من منتجي الثقافة ومبدعيها، كما يضع أيدينا في الوقت نفسه على كيفية تلقي المستخدمين أو الجمهور هذه المادة وكيف تعاملوا معها واستهلكوها. (جدول رقم 2)

عينّة البحث

انطلاقاً من ذلك تمّ تحديد عينّة ممثلة للأدوات والقنوات المستخدمة في التواصل الثقافي الرقمي العربي عبر الإنترنت، تتضمن أبرز ست قنوات على الإنترنت وهي: "المواقع، المدونات، المنتديات، القوائم البريدية، الفييس بوك ممثلاً للشبكات الاجتماعية، واليوتيوب ممثلاً لشبكات الفيديو".

337 مفردة بحث

وفي كل قناة أو أداة تمّ فحص عينّة من المفردات التي ينشئها ويستخدمها منتج ومقدمو الثقافة العرب وهم يتواصلون رقمياً مع جمهورهم، وقد تشكّلت العينّة كما هو وارد في الجدول رقم "2" من إجمالي 337 مفردة، والمقصود بالمفردة هنا الأداة التي يستخدمها كل طرف ينتج الثقافة، سواء كان شاعراً أم ناشراً أم مؤسسة أم أديباً أم قصاصاً أم حتى المعجبين به، وسواء تجسدت في شكل موقع أم مدونة أم صفحة على الفييس بوك أم قناة فيديو على يوتيوب أم قائمة بريدية، وكما يوضّح الجدول فإن العينّة تضمّنت مفردات من القنوات الست الرئيسية، وجرى توزيع هذه المفردات على 16 فرعاً من فروع الثقافة المختلفة، بحسب الانتشار والحضور والوزن النسبي لكل فرع ثقافي على

أولاً: مجموعة المعايير الخاصة بمنتجي الثقافة وعارضيه على الإنترنت وتشمل:

• طبيعة منتج المادة الثقافية المقدمة (أفراد، مؤسسات رسمية، منظمات مدنية غير حكومية، شركات خاصة)، كميّار يحدّد ثقل ومستوى جهد كلّ جهة من هذه الجهات في تقديم وإنتاج الثقافة عبر الفضاء الرقمي.

• نطاق الانتشار الذي اختاره منتج المادة الثقافية للتواصل مع جمهور الفضاء الرقمي الذي رأى أنه هدفٌ للتواصل أو لاستهلاك وتلقي مادته الثقافية، وقد تحدّدت نوعية النطاق ما بين نطاق مفتوح على كلّ الجمهور بلا عوائق أو قيود في الاستخدام، أو نطاق مغلق على فئة معيّنة كأصحاب مهنة واحدة أو شريحة من الجمهور بناء على شروط معيّنة، أو نطاق غير محدد.

• سن الجمهور الذي اختار منتج الثقافة أن يخاطبه (أطفال، شباب، بالغون، مسنون).

• المستوى التعليمي للجمهور الذي اختار منتج الثقافة أن يخاطبه (عال، متوسط، تحت المتوسط).

والهدف من هذين المعيارين هو الوقوف على توجهات القائمين على الثقافة ومنتجيهما نحو اختيار جماهيرهم وأي شرائح من الجماهير يستهدفونها ويرغبون في أن تتلقى وتستهلك وتتواصل مع ما يقدمونه من محتوى ثقافي.

• نمط المحتوى أو المادة الثقافية المقدمة من قبل منتجي الثقافة، (النصوص، الصور، الصوت، الفيديو، أم خليط متنوع من كلّ ذلك)، على اعتبار أن ذلك يؤثّر على مدى استفادة منتجي الثقافة من الإمكانيات التي تتيحها تعددية الوسائط في تقديم المحتوى الثقافي للجمهور، وفي إنتاج وعرض المحتوى الثقافي عبر الفضاء الرقمي.

• مستوى التحديث والتجديد والإضافة الدورية

التي يقوم بها منتجو الثقافة للمحتوى الثقافي الذي يجري عرضه أو إنتاجه عبر الفضاء الرقمي، (وهل هو محتوى ثابت، متجدد، تفاعلي، متنوع يضم أكثر من نمطاً؟)، ويرصد هذا المستوى حجم وثقل نوعية المحتوى من حيث التجدد والثبات والتفاعلية والتنوع في كلّ من النصوص والصور والصوت والفيديو في أدوات وقنوات التواصل الثقافي التي يشملها كلّ مسح على حدة، ويعطي نقاطاً من مئة نقطة لكل نوعية داخل المفردات التي شملها المسح بصورة إجمالية، وذلك لقياس مدى التفاعلية والتواصل ما بين عرض وإنتاج الثقافة واستهلاكها عبر الفضاء الرقمي.

• مستوى تفاعلية مقدّم المادة أو المحتوى الثقافي مع جماهيره التي تتواصل معه عبر الموقع أو المدوّنة أو المنتدى، وذلك بقياس ما يقدمه من مساهمات أصلية أو ردود على ملاحظات ورسائل ومساهمات تصله من الجمهور، ويقاس هذا المعيار مستوى تفاعلية القائم بالثقافة في خمسة مستويات هي: تفاعل عال جداً، عال، متوسط، منخفض، لا يوجد، وذلك على اعتبار أن اهتمام القائم على عرض المحتوى الثقافي بالتفاعل مع الجمهور يُعدّ من المؤشّرات الإيجابية على التفاعلية والحياة بين إنتاج الثقافة واستهلاكها رقمياً.

ثانياً: مجموعة المعايير الخاصة بقياس التفاعل والاستهلاك الذي حظي به منتج الثقافة من قبل الجمهور وتشمل:

• مستوى إقبال الجمهور على المحتوى الثقافي المقدّم، وذلك بقياس حجم الجمهور، ويختلف المقياس من قناة تواصل لأخرى، ففي المواقع يستخدم تصنيف موقع "http://www.alexa.com/siteinfo"

يوتيوب وضعية خاصة

أما مصفوفة التحليل الخاصة باليوتيوب فتضمّنت معايير عدّة للرصد والقياس تتناسب مع طبيعة الموقع كشبكة للفيديو، وشملت هذه المعايير عدد المشتركين في كلّ قناة فيديو وعدد المقاطع المعروضة وعدد مرات مشاهدة كلّ مقطع وعدد التعليقات على كلّ مقطع وعدد التعليقات على القناة كلّ، ونصيب كلّ مقطع أو فيديو من التعليقات، ونصيب كلّ مشترك في القناة من المشاهدات والتعليقات، ومتوسط المعدل الزمني لتجديد مقاطع الفيديو بالإضافة إليها، أيّ عدد التحديثات على القناة مقارنة بعدد الأيام والأسابيع والشهور التي تلت إنشاءها وحتى زيارتها وإخضاعها للتحليل.

معايير مستقلة للقوائم البريدية

وفي النهاية صُممت مصفوفة التحليل الخاصة بالقوائم البريدية بهدف قياس المعايير التالية: "عدد أعضاء المجموعة، متوسط أعداد الرسائل في الشهر، إجمالي أعداد الرسائل من يناير إلى مارس 2010، معدل التواصل بالنسبة المئوية، إجمالي أعداد الرسائل"، وذلك كبيانات أساسية للتحليل، كما تضمّنت المصفوفة مجموعة من المعايير لقياس حالة التواصل داخل كلّ قائمة بريدية على حدة، وتضمّنت هذه المعايير "أطراف قناة التواصل، خيارات وصلاحيات إرسال المشاركات، خيارات وصلاحيات إرفاق الملفات، خيارات وصلاحيات مشاهدة المحتوى، خيارات وصلاحيات الانضمام للمجموعة، خيارات وصلاحيات الإشراف، خيارات وصلاحيات إنشاء الصفحات، خيارات وصلاحيات الظهور والحجب، خيارات وصلاحيات الارتباط بموقع خارجي".

وهو من أشهر المواقع على الإنترنت التي تقيس مستوى الزيارات التي يتلقاها كلّ موقع على الشبكة، ويقدم الموقع قائمة موحدة طبقاً لعدد الزيارات التي يتلقاها أيّ موقع على الشبكة، فالموقع رقم واحد هو الأكثر زيارة وجماهيرية وتأثيراً على الإطلاق على مستوى العالم، يليه الثاني وهكذا، وفي المدونات بعدد التدوينات وعدد الردود والتعليقات، وفي المنتديات بعدد الأعضاء وعدد الموضوعات المطروحة للمشاركة والنقاش وعدد المشاركين، وفي الفيس بوك بعدد المرتبطين بالصفحة وعدد المشاركات إلى آخره.

● نمط المحتوى أو المادة الثقافية المقدمة من قبل الجمهور كإسهام وتفاعل مع مقدّم المحتوى ومنتجه الأصلي، على اعتبار أن هذه الإسهامات تدلّ مبدئياً على أن الجمهور قرأ أو شاهد أو استمع للمحتوى الثقافي المقدّم أيّ استهلكه بصورة أو بأخرى ثم قرر التفاعل مع القائم على إنتاجه أو عرضه، ويقاس هذا المعيار نمط مساهمات الجمهور من حيث "النصوص، الصور، الصوت، الفيديو، أم خليط متنوع من كلّ ذلك".

● مستوى تفاعلية الجمهور مع المادة المقدمة ومع منتج الثقافة، وهل مستوى هذه التفاعلية "عال جداً، عال، متوسط، منخفض، أم لا يوجد"، على اعتبار أن مستوى التفاعل مع المحتوى الثقافي المعروض يُعدّ مؤشراً على مدى الإقبال عليه واستهلاكه.

● مستوى التحديث والتجديد في الإضافات والردود والإسهامات المقدمة من قبل الجمهور تجاه المحتوى الثقافي المقدّم أو تجاه القائم بإنتاج المادة الثقافية، وذلك لأن كثرة التحديث والتجديد تُعدّ هي أيضاً، من علامات التواصل والتفاعل والإقبال على استهلاك وربما إعادة إنتاج المنتج الثقافي المعروض بالإضافة إليه وتحسينه.

أي ثقافة رقمية يبحث عنها العرب؟

مستهلكو الثقافة أن يستهلكوه.

لكل إنتاج ثقافي مستهلكوه

إذا كانت المواقع والمنتديات والمدونات والقوائم البريدية ومجموعات الفيس بوك واليوتيوب هي أوعية التواصل الرقمية الرئيسية التي يمكن من خلالها قياس مدى تواصل منتجي الثقافة مع مستهلكيها من الجمهور العام، فإن محركات البحث ومتصفحات الإنترنت هي الأداة الأبرز التي يمكن من خلالها تتبع ورصد توجهات الجمهور العام في تواصله مع منتجي الثقافة وفي استهلاكه للثقافة، لأن أي فرد من الجمهور يلجأ عادة - إن لم يكن دائماً - إلى محركات البحث ويستخدمها كمعبر أولي يصل من خلاله إلى من يريد التواصل معه أو ما يريد استهلاكه، ومن هنا فإن البيانات الدالة على عمليات البحث من حيث العدد والتصنيف والتوقيت تعد وسيلة مهمة تكشف إلى حد كبير عن الشخصيات والموضوعات والقضايا والمؤسسات التي يرغب جمهور الشبكة في التواصل معها واستهلاكها رقمياً.

ويأتي محرك البحث غوغل على رأس محركات البحث المتاحة على الشبكة، باعتباره المحرك الذي يستحوذ على الحصة الأكبر من عمليات البحث عبر الشبكة عالمياً، وداخل غوغل توجد العديد من الأدوات والتكنولوجيات التي يمكن من خلالها استخلاص بيانات خام دالة على طبيعة عمليات البحث الجارية عبر الإنترنت والتي تدل بدورها على ما يريد

أداة جيدة لتوفير البيانات

وقد وجد فريق البحث أن "أداة الكلمات الرئيسية أو المفتاحية Keyword Tool " التي وفرتها محرك بحث غوغل في الآونة الأخيرة تعدّ من أفضل الأدوات التي يمكن الاعتماد عليها في الوصول إلى البيانات الخام الدالة على عمليات البحث الجارية عبر الموقع، وما يكمن داخلها من دلالات ترصد توجهات مستهلكي الثقافة نحو استخدام الإنترنت كقناة للتواصل الرقمي مع منتجي الثقافة، وذلك للأسباب التالية:

1. تعرض هذه الأداة إحصاءات خاصة بمتوسط العدد التقريبي شهرياً لطلبات البحث المطابقة لنتيجة كل كلمة رئيسية يتم إدخالها في الأداة، وذلك ضمن عمليات البحث التي تجري على غوغل وشبكة البحث في فترة الاثني عشر شهراً الأخيرة، وتتضمن هذه الإحصائية عدد الزيارات في جميع البلدان واللغات.

2. تُتيح إمكانية إنشاء قوائم كلمات رئيسية شاملة وذات صلة من وجهة واحدة بسيطة.

3. تمّ تصميم الأداة بمرونة كاملة لتناسب مع الطريقة التي تودّ استخدامها بها.

4. وعند استخدام هذه الأداة تتم كتابة كلمة البحث المفتاحية أو الرئيسية في الخانة المخصصة لذلك بصفحة الأداة، ثم يتم

مجموعة مختارة من الكلمات المفتاحية الخاصة بالثقافة بفروعها المختلفة، فإن ذلك يمكن أن يقدم مؤشراً جيداً على الكيفية التي يستخدم بها مستهلكو الثقافة الإنترنت في التواصل مع منتجي الثقافة واستهلاك منتجاتهم، باعتبار أن هذه الأداة تقدّم رصدًا وتتبعاً لسلوك وقع بالفعل من قبل جمهور مستخدمي الشبكة، عبر محرك البحث الأشهر عالمياً والذي يستوعب ما يزيد على ثلاثة أرباع عمليات البحث الجارية عالمياً عبر محركات البحث الرئيسية على الشبكة يومياً.

مثال للتوضيح

إصدار أمر البحث فيعرض محرك البحث قائمة نتائج تتضمن كل عمليات البحث التي أجريت على غوغل في فترة الاثني عشر شهراً الأخيرة باستخدام هذه الكلمة بمفردها أو بمشتقاتها أو ببعض الإضافات عليها أو بالجمال التي احتوت عليها، وذلك باللغة التي كتبت بها كلمة البحث المفتاحية.

لو كنا نريد أن نعرف عدد عمليات البحث التي تمت على كلمة "شاعر" باللغة العربية على الإنترنت خلال 2009، فيمكن الدخول على صفحة هذه الأداة في أي وقت من شهر يناير 2010، وكتابة كلمة شاعر في خانة البحث، وفي هذه الحالة سنحصل على نتيجة تعرض قائمتين، الأولى تتضمن عمليات البحث التي تضمنت كلمة شاعر سواء كانت عملية البحث التي استخدمها الجمهور مقصورة فقط على كلمة شاعر أم كانت كلمة شاعر جزءاً من جملة مثل "شاعر المليون" أو "ديوان شاعر" إلخ، وقائمة ثانية تعرض كلمات البحث التي كتبها جمهور الإنترنت وكانت تتضمن مشتقات أو إضافات من وإلى كلمة شاعر، مثل "شعر" أو "الشاعر"، أو كلمات قريبة منها في المعنى مثل "قصيدة".

وتتيح غوغل تنزيل قائمتي نتائج البحث في ملفين منفصلين في صيغة برنامج الجداول الإلكترونية الشهير إكسل excel من مايكروسوفت، الأمر الذي يوفر للباحث البيانات الخام في صورة سهلة قابلة للتصنيف والتحليل باستخدام البرنامج المذكور.

بهذا الشكل تتيح هذه البيانات الخام التعرف إلى عمليات البحث التي قام بها مستخدمو الإنترنت باللغة العربية عن كلمة مفتاحية رئيسية معينة خلال عام، وإذا ما أمكن استخدام

الكلمات المفتاحية المستخدمة في تتبع ما سعى الجمهور للتواصل معه واستهلاكه من ثقافة رقمية خلال 2009

جدول رقم 3

الفئة	الكلمات المفتاحية المستخدمة				الإجمالي
ثقافة	ثقافة				1
مؤسسات ثقافية	وزارة ثقافة	مؤسسات ثقافية			2
فن تشكيلي	فنان تشكيلي	فن تشكيلي			2
فنون	فن	فنون			2
مسرح	مسرح	مسرحية			2
سينما	افلام	سينما			2
نشر	نشر	دور النشر	دار نشر		3
آثار	آثار	متحف			2
تمثيل	ممثلة	ممثل	تمثيل		3
موسيقى	موسيقى	موسيقار	ملحنون	ملحن	5
غناء	مطربة	مطرب	غناء	أغاني	4
تراث	تراث	الفلكلور			2
صحافة	جرائد	صحافة	صحف	مجلات	4
أدب	رواية	روائي	قصة قصيرة	أدب	4
كتب وكتاب	كتب	كاتبة	كاتب	كتاب	5
شعر	شعراء	شعر	قصيدة	شاعرة	5
مكتبات	مكتبات	مكتبة			2
منتديات ثقافية	منتديات ثقافية				1
فكر	فكر				1
معارض كتب	معارض الكتب	معارض الكتب			2
الإجمالي					54

منهجية الحصول على البيانات الخام

تأسساً على ذلك صمم فريق البحث مصفوفة للكلمات المفتاحية مكونة من 54 كلمة مفتاحية تغطي 20 فرعاً من فروع الثقافة، كما هو موضح في الجدول رقم "3"، كما تم تتبع سلوك مستخدمي الإنترنت حيال 12 من القضايا الثقافية المثارة على الساحة لقياس مدى الإقبال على استخدام الإنترنت في الحصول على منتج ثقافي يتعلق بهذه القضايا بفرض استهلاكه، أو على الأقل التواصل مع المعنيين بهذه القضايا، وهي: (إصلاح سياسي، فكر عربي، تنوير، مذهبية، حقوق الإنسان، ديمقراطية، حرية، إسرائيل، أميركا، طائفية، فلسطين، عربي" والكلمة المفتاحية الأخيرة "عربي وعربية" كان الغرض منها رصد عمليات البحث الجارية عن القضايا أو الموضوعات والأشياء المشتركة بين العرب والتي تظهر فيها العروبة أو العربية كقاسم مشترك.

وطبقاً لخصائص أداة البحث السابقة أنتجت الـ 54 كلمة مفتاحية الموضحة في الجدول السابق 123 ملفاً إحصائياً يضم كل ملف في المتوسط 150 كلمة بحث مستقاة مما كتبه الباحثون على الإنترنت باللغة العربية عن التواصل الثقافي (بمتوسط عام 123×150 = 18450 كلمة)، كما أنتجت كلمات البحث المفتاحية المستخدمة في رصد توجهات الباحثين باللغة العربية نحو الـ 12 قضية عامة المشار إليها 26 ملفاً إحصائياً، يضم كل ملف في المتوسط 75 كلمة بحث مستقاة مما كتبه الباحثون على الإنترنت باللغة العربية عن هذه المجموعة من القضايا العامة بمتوسط عام 26×75 = 1950 كلمة.

تجهيز البيانات الخام للتحليل

تم دمج الملفات وتخفيضها إلى 20 ملفاً

إحصائياً تمثل الفروع الثقافية الرئيسية وهي (ثقافة، مؤسسات ثقافية، فن تشكيلي، فنون، مسرح، سينما، نشر، آثار، تمثيل، موسيقى، غناء، تراث، صحافة، أدب، كتب وكتاب، شعر، مكتبات، منتديات ثقافية، معارض كتب، فكر)، وتضمنت عملية الدمج:

- تمطيط البيانات إملأياً ولغوياً
- تصنيفها بحسب الموضوع
- ضم عمليات البحث التي استخدمت كلمات متشابهة في الوصول للهدف نفسه.
- إلغاء التكرار في الألفاظ والكلمات المستخدمة في عمليات البحث حتى لا تظهر تضخماً غير واقعي في عدد عمليات البحث.
- إلغاء عمليات البحث الخاصة بكلمات إباحية وخارجة.

11 مساراً للبحث والتحليل

وبعد الدمج تم تقسيم كل ملف من الـ 20 إلى أقسام فرعية بحسب موضوع أو مسار البحث الذي اختاره الجمهور، وهو يسعى لاستهلاك الثقافة والتواصل مع منتجها. وقد أسفرت عملية التجهيز والفهرسة عن وجود أحد عشر مساراً بحثياً موضوعياً داخل عمليات البحث التي جرت في كل فرع من فروع الثقافة العشر الموضحة سلفاً، وهذه المسارات الأحد عشر هي: (مؤسسات، قضايا، موارد، دول فعاليات، عام، عصور، فروع، إبداعات، مبدعون، منشآت ثقافية). ويهمننا هنا التأكيد مرة أخرى على أن هذه المسارات البحثية تم استخلاصها من التحليلات والفهرسة التي أجراها فريق البحث على الكلمات الواردة في عمليات البحث التي قام بها جمهور الإنترنت وكتبها عبر غوغل، ولم يضعها فريق البحث بشكل مسبق، أي أن الجمهور وسلوكه البحثي وتوجهاته

كان القصد استهلاك ثقافة دولة أو مجتمع ما أولاً وليس مثقفاً أو منتجاً ثقافياً بعينه، كالبحث عن التراث المصري والشعر السعودي والرواية السورية... إلخ.

- فعاليات: والمقصود بها عمليات البحث التي استهدفت التواصل مع فعاليات ثقافية بعينها، بغرض استهلاك محتوى ثقافي متعلق بها، كندوات أو معارض كتب أو مهرجانات شعرية أو تظاهرات ثقافية كان يتم طلبها بالاسم.

- عام: مقصود بها عمليات البحث التي تمت بكلمات عامة لا تحمل دلالة أو تصنيف بعينه، بل تسعى لاستهلاك أي منتج ثقافي يمكن الوصول إليه من كلمة بحث مفتاحية عامة، ففي الشعر مثلاً نجد كلمات عامة من نوع "الشعر، قصيدة، الشاعر، قصائد، أشعار، للشعر، بيت شعر، الشعراء".

- عصور: وهي عمليات البحث التي حاول من خلالها جمهور الإنترنت الوصول إلى منتجات ثقافية في عصر من العصور بغرض استهلاكها، كعمليات البحث التي استهدفت التواصل مع الشعر العباسي، أو الآثار القبطية المصرية، أو المسرح اليوناني والأدب في العصر الأموي... إلخ.

- فروع: ويقصد بها عمليات البحث التي استهدفت الاستهلاك والتواصل مع فروع معينة داخل القسم أو الفرع الثقافي محل التحليل. فتحت الكلمة المفتاحية "أدب" كانت هناك عمليات بحث استهدفت التواصل مع فروع أدبية عديدة عبر عنها جمهور الإنترنت من مستهلكي الثقافة بـ (أدب الأطفال، الأدب الشعبي، أدب الرحلات، الأدب المهجري، الأدب الساخر... إلخ)

- إبداعات: ويقصد بها عمليات البحث التي سعى من خلالها الجمهور لاستهلاك

نحو استهلاك الثقافة الرقمية هو صاحب هذه المسارات ومنشئها الحقيقي وليس فريق البحث، ويمكن شرح هذه المسارات ومدلولاتها كالتالي:

- مؤسّسات: ويقصد بها عمليات البحث التي استهدفت التواصل مع واستهلاك المواد الثقافية الخاصة بالمؤسّسات الثقافية الرسمية والعامة المنوط بها إدارة قضايا وملفات ثقافية معينة وتتولى مسؤولية التخطيط لتنميتها وتحسينها مثل هيئات الكتاب وقصور الثقافة ومؤسّسات السينما وغيرها.

- قضايا: والمقصود بها عمليات البحث التي سعى من خلالها الجمهور لاستهلاك منتجات ثقافية ذات علاقة مع القضايا المرتبطة بفرع ما من فروع الثقافة وتبين أن الجمهور يبحث عن معلومات وبيانات حولها ليتواصل مع الآخرين في ما يطرحونه من أفكار وآراء حولها، فعلى سبيل المثال تحت الكلمة المفتاحية "ثقافة" كان جمهور الإنترنت الذين اهتموا بها يبحثون عن قضايا ثقافية من نوع "بناء الثقافة، إدارة الثقافة، دور الثقافة، التنمية الثقافية، خصائص الثقافة، صناعة الثقافة.. إلخ".

- موارد: ويقصد بها عمليات البحث التي استهدفت الوصول أو التواصل مع المواقع والمصادر التي توقع الجمهور أن يحصل منها على منتج ثقافي قابل للاستهلاك بصورة مباشرة كتوزيع الكتب والأغاني والأفلام والنصوص الكاملة للأعمال الشعرية والروائية، أو المنتديات التي تضمّ قوائم بليوجرافية عن الثقافة والمثقفين إلى غير ذلك.

- دول: وهي عمليات البحث التي قصد أصحابها من خلالها التواصل مع عناصر أو مفردات ثقافية تابعة لدولة عربية بعينها، أي

البحث التي سعى من خلالها أصحابها للاستهلاك أو التواصل مع المنتج الثقافي لمنشآت ثقافية محددة وبالاسم، كمسرح معين أو مكتبة ودار للكتب أو دار سينما أو ما شابه.

وطبقاً للفروع الرئيسية للثقافة والتقسيمات الموضوعية داخل كل فرع، تكون لدى فريق البحث مصفوفة تضم 20 فرعاً و11 تقسيماً موضوعياً كما هو موضح في الجدول رقم "4"، وهي عناصر للتحليل أنتجت ما إجماله 31 جدولاً أصبحت هي المادة الخام الأساسية التي استخدمها فريق البحث في الحصول على مؤشرات ترصد وتكشف سمات سلوك الباحثين

منتجات ثقافية وإبداعية محددة بالاسم، كطلب البحث عن فيلم بالاسم، أو رواية بالاسم أو مسرحية بالاسم أو أغنية بالاسم إلى غير ذلك.

- مبدعون: ويقصد بها عمليات البحث التي سعى من خلالها الجمهور استهلاك إبداعات ومنتجات لمتقف أو مبدع بالاسم وبصورة محددة، كعمليات البحث التي استهدفت الإنتاج الثقافي للشاعر نزار قباني أو الممثل عادل إمام أو الروائي نجيب محفوظ... إلخ.

- منشآت ثقافية: ويقصد بها عمليات

مصفوفة تحليل سلوك المستهلكين وتضم 20 فرعاً ثقافياً و11 مساراً تحليلياً جميعها مستقاة من عمليات الاستهلاك المنفذة من قبل الجمهور

جدول رقم 4

الفرع والمسار	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11
مؤسسات	قضايا	موارد	دول	فعاليات	عام	عصور	فروع	إبداعات	مبدعون	منشآت ثقافية	
1	ثقافة										
2	مؤسسات ثقافية										
3	فن تشكيلي										
4	فنون										
5	مسرح										
6	سينما										
7	نشر										
8	اثار										
9	تمثيل										
10	موسيقى										
11	غناء										
12	تراث										
13	صحافة										
14	أدب										
15	كتب وكتاب										
16	شعر										
17	مكتبات										
18	منتديات ثقافية										
19	معارض كتب										
20	فكر										

من بين 320 مليون عملية بحث يقوم بها العرب شهرياً على شبكة الإنترنت، احتلت السينما والغناء 60 % من هذا الرقم والباقية توزعت 40 % على ثمانية عشر فرعاً آخر من فروع الثقافة...

والتواصل مع المحتوى الثقافي ومنتجات الثقافة في كل عنصر من العناصر العشرين على حدة.

1 - الاستهلاك الرقمي للسينما

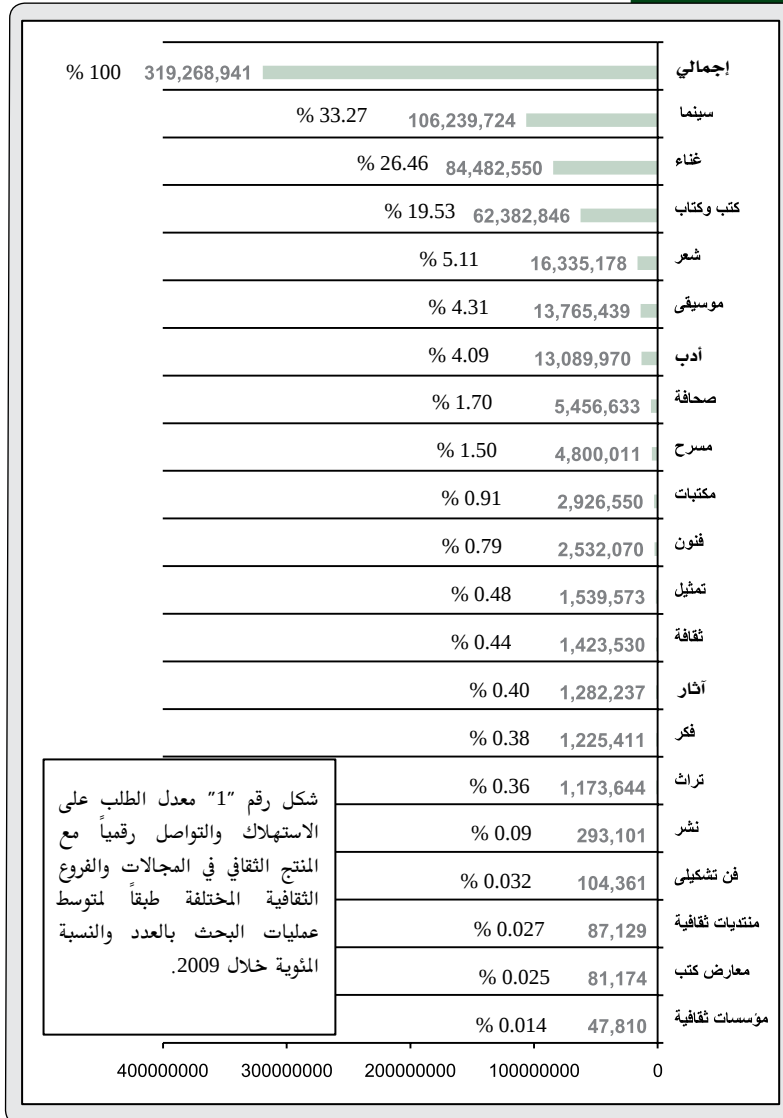
كشفت عمليات الرصد والتحليل التي يشير إليها الشكل رقم "2"، أن متوسط عدد عمليات البحث التي استهدفت الاستهلاك والتواصل مع المنتج الثقافي السينمائي ومنتجاته رقمياً من قبل الجمهور العربي على الإنترنت يبلغ

شكل رقم 1

باللغة العربية على الإنترنت وهم يتواصلون مع منتجي الثقافة ويستهلكون المنتجات الثقافية في مختلف العصور، وحدث الشيء نفسه مع الكلمات المفتاحية المتعلقة بالقضايا العامة، حيث تم دمج الملفات الإحصائية في مجموعة من الجداول الخاصة بكل كلمة مفتاحية على حدة، وفي المباحث التالية نستعرض نتائج عمليات الرصد والاستكشاف التي جرت خلال الدراسة، سواء رأسياً في كل فرع من الفروع العشرين على حدة، أو أفقياً من خلال تناول سمات توجهات الجمهور للتواصل الثقافي الرقمي طبقاً للمسارات الموضوعية الأحد عشر السابقة.

كيف تواصل الجمهور رقمياً في 20 فرعاً ثقافياً؟

تم تقسيم الثقافة إلى 20 فرعاً، وجرى استخدام 54 كلمة مفتاحية تم توزيعها على الفروع العشرين بمعدلات تراوحت بين كلمة وخمس كلمات، على النحو الموضح في شكل رقم "1"، وقد أسفرت عملية الرصد والاستكشاف والتحليل التي تمت على بيانات العام 2009 أن متوسط إجمالي عمليات البحث التي استخدمها الباحثون عبر الإنترنت باللغة العربية في تواصلهم مع فروع الثقافة العشرين كان 319 مليوناً و268 ألفاً و941 عملية بحث في المتوسط شهرياً، كان في مقدمتها السينما ثم الغناء ثم الكتب والكتاب فالشعر فالموسيقى فالأدب فالصحافة فالمرح فالكليات فالفنون فالتمثيل فالثقافة فالآثار فالفكر فالتراث فالنشر فالفن التشكيلي فالمنتديات الثقافية فمعارض الكتب وأخيراً المؤسسات الثقافية، أنظر شكل رقم "1"، وفي ما يلي عرض نتائج وتحليلات توضح الكيفية التي سعى من خلالها جمهور الإنترنت للاستهلاك

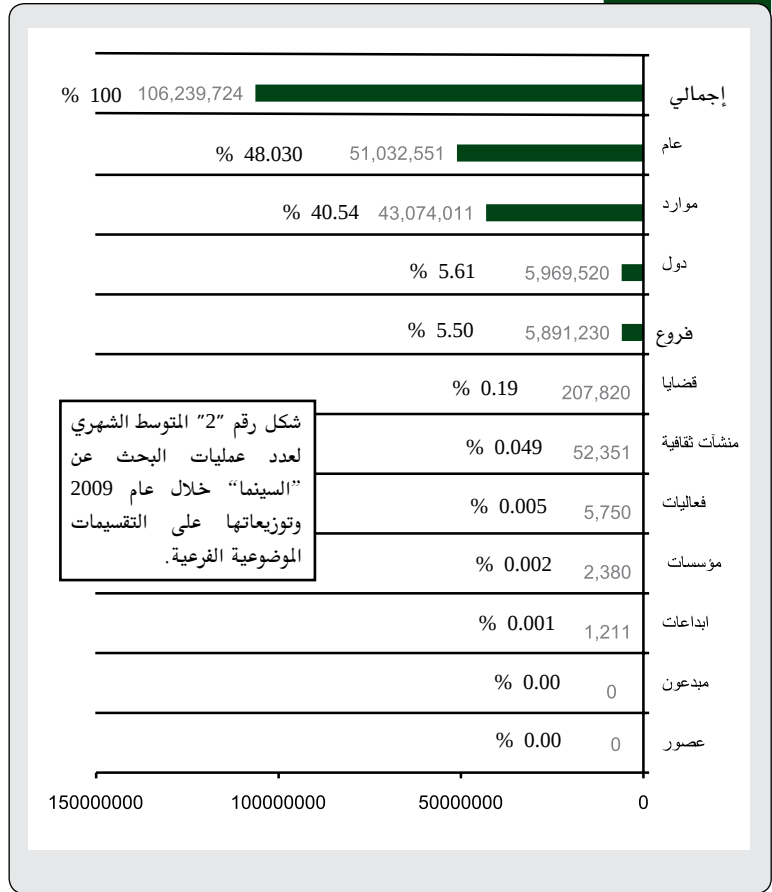


شكل رقم 2

نوعاً ما، فهي تكتب كلمات بحث تقودها في الغالب إلى معلومات أو مشاهدة مختصرات أو غيرها مما يخص الأفلام على الرغم من أنها كانت تستهدف في الأساس الوصول إلى نسخ من الأفلام نفسها لتنزيلها على الحاسبات الخاصة بها.

مواقع تنزيل الأفلام هي الهدف

وفي المرتبة التالية تأتي نوعية أعلى قليلاً في مهارات البحث، حيث استخدمت عبارات بحث تقودها مباشرة إلى المواقع والأماكن التي توجد فيها نسخ من الأفلام على الشبكة، قابلة للتنزيل والاستهلاك على الحاسبات، وظهرت هذه النوعية من كلمات البحث في التقسيم الموضوعي تحت اسم "موارد" كما تمّ شرحها في التمهيد الخاص بهذا الفصل، وتشكل هذه الفئة حوالي 40 % من عمليات البحث التي استهدفت التواصل مع السينما واستهلاكها، وعلى الرغم من أن هذه الفئة تأتي إجمالاً في المرتبة الثانية بين التقسيمات الموضوعية، فإن المفردات المستخدمة فيها جاءت في المرتبة الأولى بين كلمات البحث المستخدمة في استهلاك السينما والتواصل معها على الإطلاق، والتي بلغت بعد تصنيفها وإزالة تكراراتها 195 مفردة، حيث احتلت كلمة "تحميل أفلام" المركز الأول وبلغ معدل استخدامها من قبل الجمهور 39 مليوناً و926 ألفاً و200 مرة في المتوسط شهرياً، وهكذا فإن 88 % من عمليات استهلاك السينما والتواصل معها كانت تستهدف الوصول إلى الأفلام إما بصورة غير مباشرة كما هو الحال في عمليات البحث بكلمات عامة من قبل غير المحترفين في عمليات البحث، أو بصورة مباشرة باستخدام كلمات محددة من قبل الجمهور الأعلى احترافاً والأكثر امتلاكاً لمهارات البحث.



106 ملايين و239 ألف و724 عملية بحث في المتوسط شهرياً خلال العام 2009.

بحث بكلمات عامة

وكانت عمليات البحث بكلمات عامة غير محددة المجال أو المسار تتصدر التقسيمات الموضوعية الداخلية للسينما وتشكل تقريباً نصف متوسط عمليات البحث الشهرية، حيث تشكل 48 % من إجمالي العمليات البحثية، وبمراجعة الكلمات البحثية وتحليل مضمونها يمكن استنتاج أن الشريحة التي تستخدم هذه النوعية من كلمات البحث في استهلاك الأفلام تتسم في الغالب بامتلاك مهارات بحث بدائية

من إجمالي متوسط عدد عمليات البحث، وفي هذه النسبة الضئيلة للغاية نجد عمليات البحث التي تسعى للتواصل مع القضايا السينمائية وفي هذا الصدد تبرز قضايا مثل أفضل الأفلام وقصص الأفلام وتاريخ السينما والسينما والمسرح، وعمليات البحث التي تسعى للتواصل مع فروع متخصصة من السينما، وعلى رأس الفروع التي تمّ رصدها أفلام الكرتون 3 ملايين و686 ألفاً و600 عملية شهرياً، يليها أفلام الرعب ثم أفلام الحركة ثم أفلام الاغتصاب التي بلغ متوسط عمليات البحث الساعية للتواصل معها 74 ألف عملية شهرياً.

يلفت النظر أيضاً أن هذا الجمهور العريض من الباحثين عن الاستهلاك والتواصل رقمياً مع السينما لم يظهروا سعياً ملحوظاً نحو التفاعل مع الفعاليات السينمائية وعلى رأسها مهرجانات السينما المنتشرة في الوطن العربي، فإجمالي متوسط عمليات البحث الخاصة بهذه النوعية يبلغ 5750 عملية، وهو رقم بالغ الضآلة إذا ما قورن بالرقم الإجمالي الذي يزيد على 106 ملايين عملية شهرياً.

لا نصيب لمهرجانات السينما

تأتي في هذه الفئة أيضاً عمليات البحث الساعية للتواصل مع المنتديات الثقافية الخاصة بالسينما، والمؤسسات الرسمية والخاصة المسؤولة عن السينما، ويندر أن نجد من يسعى للاستهلاك والتواصل مع فيلم بعينه أو بالاسم، ولم يحدث هذا إلا مع ثلاثة أفلام فقط خلال العام 2009، كما تغيب تماماً الرغبة من قبل الجمهور لاستهلاك أي محتوى أو منتج ثقافي خاص بالمبدعين في السينما على مستوى السيناريو والتصوير والإخراج والتواصل معه.

مهارات الأقلية أعلى

أما النسبة الباقية من عمليات البحث والتي تشكل تقريباً 12 %، فهي تمثل عمليات البحث التي استخدمت فيها كلمات أكثر تحديداً، وتدل على أنها في الغالب صادرة عن جمهور أكثر اقتراباً من السينما كفن وصناعة وساحة للإبداع، وهي بدورها انقسمت إلى مستويين الأول يشكل 10 % من إجمالي متوسط عمليات الاستهلاك والتواصل مع السينما، وهو يسعى استهلاك السينما والتواصل معها في دولة أو شعب معين، واللافت للنظر في هذه النوعية أن من يفضلون البحث عن السينما العربية عموماً من دون تحديد لدولة أكثر ممن يبحثون عن التواصل مع السينما الأجنبية، لكن من يبحثون عن السينما الأجنبية أكبر ممن يبحثون عن أيّ سينما تابعة لأيّ دولة عربية بما فيها السينما المصرية، فمثلاً في حين يصل متوسط عدد عمليات البحث التي استهدفت التواصل مع السينما المصرية إلى 700 ألف و200 عملية شهرياً، يصل عدد العمليات الساعية للتواصل مع السينما الأجنبية إلى مليون و749 ألفاً شهرياً، أما باقي السينمات العربية كالسورية والتونسية والمغربية وغيرها فالإقبال على استهلاكها والتواصل معها ضعيف.

المركز الثاني للسينما الهندية

ومن الأمور اللافتة للنظر أيضاً أن عمليات البحث عن السينما الهندية تأتي بعد السينما المصرية مباشرة، وأكبر من البحث عن أيّ من السينمات العربية الأخرى، كما أن متوسط عمليات البحث التي تستهدف التواصل مع السينما الإسرائيلية باللغة العربية واستهلاكها يصل إلى 9900 عملية بحث شهرياً.

أما المستوى الثاني من الفئة غير الساعية للحصول على الأفلام فيشكل 2 % تقريباً

متدن، فضلاً عن أن الهوة تتسع بين مهارات ارتكاب جرائم المعلومات وفعالية ومثانة البيئة التشريعية المضادة لها والسائدة في المنطقة العربية.

2 - الاستهلاك الرقمي للغناء والطرب

وصل متوسط عدد عمليات البحث باللغة العربية عبر الإنترنت والتي استهدفت الاستهلاك والتواصل مع الغناء والطرب إلى 84 مليوناً و482 ألفاً و550 عملية شهرياً في 2009، ويشرح الشكل رقم "3" توزيعات هذا الرقم، وقد تصدرتها عمليات البحث التي استخدمت فيها كلمات البحث العامة مثل "أغاني - أغنية - غناء - الأغنية .. إلخ"، وبلغت الكلمات المستخدمة في هذا النوع من عمليات البحث 81 كلمة، أكثر من 80 % من عمليات البحث التي سعى القائمون بها للاستهلاك والتواصل مع الأغاني، وهي نتيجة لا تختلف كثيراً عما يلاحظ في السينما من أن الرغبة العامة والساحقة لدى جمهور الإنترنت تنصرف إلى التواصل مع الأغنية كمنتج نهائي يميلون بل ويحبون تعاطيه واستهلاكه عبر الاستماع.

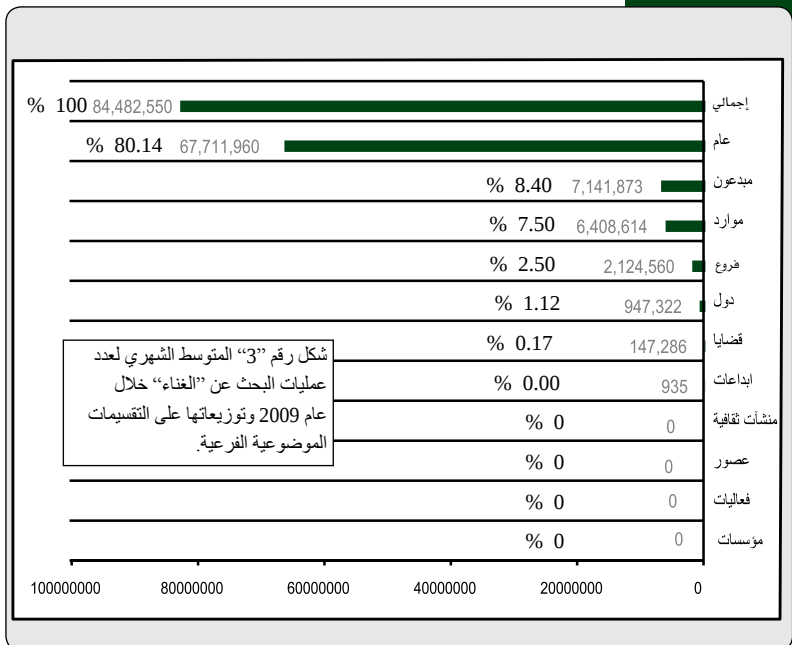
السعي لمبدعي الأغنية في المقدمة

لكن اللافت للنظر أنه في مجال الأغنية هناك رغبة أوضح للتعامل مع مبدعي الأغنية خاصة من المطربين والمطربات وكتاب الكلمات، حيث تمثل عمليات البحث التي استهدفت التواصل مع مبدعي الأغنية 8.4 % في حين كانت هذه النسبة صفر في المائة عند البحث عن الأفلام والسينما.

من الملاحظ أيضاً أن البحث عن المواقع والمصادر أو الموارد التي يمكن الحصول من

وعبر هذا العدد من عمليات البحث وتقسيماته الموضوعية السابقة يمكن القول إن الاستهلاك والتواصل الرقمي للجمهور العربي أو الباحث بالعربية مع السينما ينصب بصورة ساحقة على التواصل مع الأفلام كمنتج سينمائي نهائي يوظف بصورة استهلاكية النزعة، يحكمها البحث عن الترفيه السريع، بل والشاذ أحياناً كما هو الحال عند من يفضلون التواصل مع أفلام الرعب والاغتصاب، ويحمل هذا التوجه الطاغى نحو استخدام الإنترنت كوسيلة للحصول على الأفلام كصورة من صور الاستهلاك والتواصل مؤشراً بأن جمهور الإنترنت العربي - كغيره من الجماهير الأخرى عالمياً - ينظر للإنترنت كقناة "مجانية" لتوفير الأفلام والتمتع بها، وهو توجه يتعين أن يحسب له القائمون على صناعة السينما حسابه، لتأثيره على اقتصادياتها في مراحل الإنتاج والتوزيع، وأنماط المشاهدة، خصوصاً أن الوعي بقضايا الملكية الفكرية في الوطن العربي

شكل رقم 3



أعلى 10 مطربين ومطربات مطلوبين للاستهلاك طبقاً لعمليات البحث خلال 2009

جدول رقم 5

المطرب	متوسط عمليات البحث	المركز	المطربة	متوسط عمليات البحث	المركز
تامر حسني	2742150	1	أم كلثوم	89081	1
عمرو دياب	2011675	2	وردة	73400	2
فضل شاکر	695863	3	جنان	40610	3
مصطفى كامل	647041	4	نجاحة	39400	4
مساري	201480	5	شادية	31500	5
عماد بعرور	61770	6	أصالة	29100	6
عبدالحليم حافظ	28220	7	فيروز	18493	7
وائل كفوري	27420	8	صباح	14800	8
وائل جسر	24763	9	فايزة احمد	14800	9
جورج وسوف	23528	10	ليلى غفران	12820	10

خلالها على الأغاني وتحميلها تأتي خلف عمليات البحث التي تستهدف التواصل مع المبدعين أو تحديداً المطربين والمطربات، وهنا أيضاً اختلاف طفيف عما هو حاصل في السينما التي جاء فيها البحث عن مواقع تحميل الأفلام تالياً لعمليات البحث بالكلمات العامة، وهذا يدلنا على أن التواصل مع الأغنية رقمياً واستهلاكها يختلف عنه مع السينما، حيث يتراجع قليلاً الاهتمام بالتواصل مع الأغنية كمنتج، لينافسه الاهتمام بالتواصل مع المطرب أو المطربة كمبدع. (جدول رقم 5) وعلى رأس الذين سعى جمهور الإنترنت للتواصل معهم عبر استهلاك معلومات أو أغان أو غيرها تخصصهم جاءت أم كلثوم ووردة وجنان ونجاحة الصغيرة وشادية من المطربات، وتامر حسني وعمرو دياب وفضل شاکر ومصطفى كامل من المطربين، ويعرض الجدول رقم "5" قائمة أكبر عشر مطربات كنّ مطلوبات للاستهلاك الرقمي في عمليات البحث عبر الإنترنت خلال 2009، وكذلك قائمة بعشرة مطربين، وذلك من بين قوائم تضم 104 مطربين و118 مطربة بلغ متوسط عمليات البحث عنهم جميعاً ستة ملايين و408 آلاف و614 عملية بحث شهرياً.

و990 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وتنتهي بالغناء القبلي الذي نال 36 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وفي ما بينهما هناك غناء الأفراح والأطفال والسبوع والغناء القديم والغناء الحزين والغناء عموماً... إلخ.

لا مكان للشعبية في الغناء

من الأمور الجديرة بالملاحظة أن النعرة الشعبية في البحث عن الأغنية ضئيلة بصورة كبيرة لدى جمهور الإنترنت العربي، فمن بين 84 مليون عملية بحث في المتوسط شهرياً تسعى للاستهلاك والتواصل مع الأغنية ومبدعيها، هناك 947 ألف عملية فقط في المتوسط تسعى لاستهلاك أغان على أساس قطري وشعوي، مثل البحث عن الغناء المصري والخليجي.. إلخ، وفي هذه القائمة تتصدر عمليات البحث الساعية للتواصل مع الغناء المصري القائمة بعمليات بحث تبلغ 612 ألفاً و501 عملية

احتفاء بالغناء الشعبي

ليس هذا هو الملمح الوحيد في ما يتعلق بالتواصل الرقمي مع الأغنية، فالملاحظ كذلك أن البحث عن لون غنائي بعينه له حضوره القابل للملاحظة، فهناك أكثر من مليوني عملية بحث شهرياً تسعى لاستهلاك ألوان بعينها من الغناء والتواصل معها، حيث تمّ رصد 53 لوناً من الغناء يسعى جمهور الإنترنت لاستهلاكها والتواصل معها، تبدأ بالغناء الشعبي الذي حظي بـ 727 ألفاً

وثقافتها على الإنترنت يقفز بالجمهور فوق الاختلافات القطرية والنعرات الشعبية ويجعل المواطن العربي يبحر عبر الإنترنت بحثاً عن فنّ عربي، وهذا عكس ما يحدث في مجالات أخرى، وعكس العديد من الصور النمطية التي يروجها البعض حول الإنترنت باعتبارها أداة لبثّ الفرقة والتناذب.

بعد ذلك تتضاءل عمليات البحث والرغبة في الاستهلاك والتواصل رقمياً في مسارات أخرى، مثل قضايا الغناء التي نالت 147 ألف عملية بحث في المتوسط شهرياً، وتركزت حول تعريف الغناء وتحليل الغناء والتدلع في الغناء وألعاب الغناء وتعلم الغناء والموهبة والغناء، وحدثت ضالة ممّاثلة في ما يتعلق بالاهتمام باستهلاك الإبداعات والأغاني التي يتمّ البحث عنها بالاسم والتواصل معها والتي تصل إلى 975 عملية في المتوسط شهرياً، وبعد ذلك يلاحظ انعدام عمليات البحث تماماً عن المنشآت الثقافية الخاصة بالأغنية والغناء عبر العصور والمؤسسات القائمة على أمور الأغنية سواء في القطاع الخاص أم الحكومي، والفعاليات الخاصة بالأغنية كالمهرجانات والاحتفالات.

نخلص من الأرقام والتحليلات السابقة إلى أن السعي للاستهلاك والتواصل الرقمي مع الأغنية يشكل قناة لنشر الأغنية وثقافتها والترويج لمطربها بصورة كبيرة باتت تناطح إن لم تكن تتفوق أحياناً على مجالات تسويق الأغنية التقليدية ووسائل التواصل مع القائمين عليها.

3 - التواصل مع الكتاب واستهلاك الكتب رقمياً

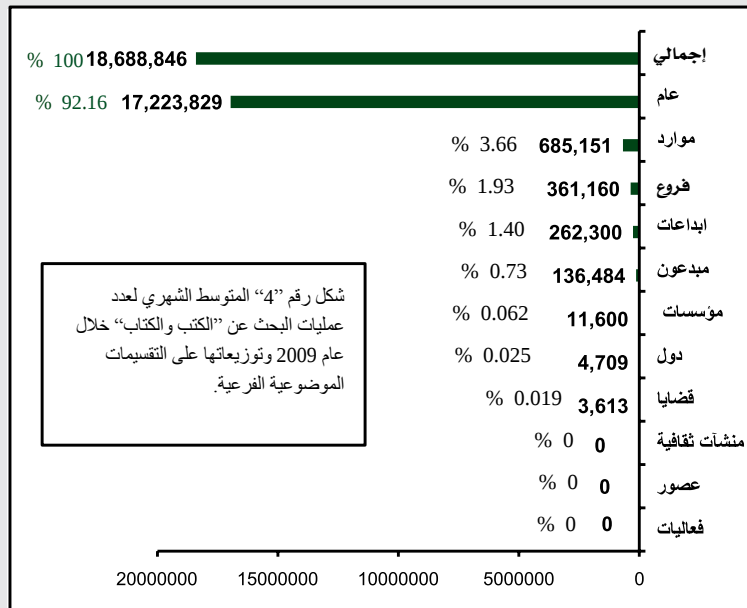
بلغ متوسط عدد عمليات البحث الشهري التي استهدفت الاستهلاك والتواصل مع

في المتوسط شهرياً، يليه الغناء السوداني فالمغربي فالعراقي في قائمة تضمّ 18 كلمة بحث استخدمت على أساس قطري وشعوبي. والشيء نفسه موجود في البحث عن المطربين والمطربات، فالجمهور لا يتذكر جنسية أو وطن المطرب أو المطربة وهو يبحث أو يرغب في التواصل وإنما يتذكر كونه فقط مطرباً عربياً، ففي مقابل 6 ملايين و615 ألفاً و568 عملية بحث تتمّ شهرياً عن المطربين بالاسم بعيداً عن الوطن أو الجنسية كانت هناك 6320 عملية بحث في المتوسط شهرياً تبحث عن مطربين على أساس الجنسية أو الشعب الذي ينتمي إليه، وفي مقابل 513171 عملية بحث سعت لاستهلاك والتواصل مع مطربات بعيداً عن الجنسية والوطن كانت هناك 2743 عملية في المتوسط تسعى للاستهلاك والتواصل مع مطربات على أساس جنسيتهنّ ووطنهنّ.

هذه الظاهرة في الاستهلاك والتواصل الرقمي مع الأغنية تؤكد أن فنّ الأغنية

عروبة الأغنية هي الصفة الأبرز على شبكة الإنترنت بينما تتراجع النزعات الشعبية والشوفينية إلى نحو 1.13 % فقط وهي نسبة الأغاني التي يبحث عنها العرب لمطربين من خارج أقطارهم العربية..

شكل رقم 4



من العمومية وعدم التحديد الواضح لعملية البحث، واستخدمت هذه الكلمات في أكثر من 17 مليون عملية بحث في المتوسط شهرياً.

القصص والروايات الدافع الأول

وعلى الرغم من العمومية الغالبة على هذه النوعية من الكلمات، فإن هناك ملمحاً لا تخطئه العين، وهو أن السعي للاستهلاك والتواصل مع القصص والروايات كان هو الهدف وراء العدد الأكبر من عمليات البحث، فقائمة الـ 51 كلمة العامة كان من بينها ثلاث كلمات هي قصص وقصة وقصة قصيرة بلغ متوسط عدد مرات استخدامها في الشهر تسعة ملايين و470 ألفاً و500 مرة، تشكل حوالى نصف عمليات البحث الإجمالية عن الكتب والكتاب، وهذا يعكس وجود حالة من الإقبال واسع النطاق بين جمهور الإنترنت على القصة والرواية، وجود شغف بالاستهلاك والتواصل الرقمي مع هذا اللون الثقافي والأدبي، ولعل في هذا الشغف ما قد يبدد القلق الذي يبدىه البعض من أن الإنترنت أضعفت عادة القراءة عموماً، والإقبال على الأدب خصوصاً وغيرت من ميول وتفضيلات قطاعات واسعة من الشباب والكبار تجاه الكتب والكتاب، فهي هو جمهور الشبكة يقبل على البحث والتواصل رقمياً مع القصة والرواية بمعدلات ربما تفوق من يزورون المكتبات ودور النشر والمعارض الواقعية.

وكما هو الحال مع السينما والغناء تأتي النسبة الضئيلة الباقية من عمليات البحث الساعية للاستهلاك والتواصل مع الكتب والكتاب والتي تناهز الـ 8% ممن يمتلكون مهارات جيدة في البحث، ومن يستخدمون كلمات بحث أكثر تحديداً، تتوجه مباشرة إلى السؤال عن التنزيل والحصول على الكتب من

الكتب والكتاب رقمياً 18 مليوناً و688 ألفاً و846 عملية بحث في الشهر كما يوضح الشكل رقم "4"، وهو رقم جعل الاستهلاك والتواصل مع الكتب والكتاب يحتل المركز الثالث في التسلسل العام بين فروع الثقافة العشرين التي خضعت للرصد والتحليل، واللافت في هذا النوع من التواصل أن الغالبية الساحقة من الباحثين عن الاستهلاك والتواصل الرقمي مع الكتب والكتاب يستخدمون كلمات بحث عامة من دون تحديد، ربما بصورة أكثر انتشاراً مما يحدث في السينما والغناء، بحيث شكلت هذه النوعية من الكلمات البحثية 92% من إجمالي متوسط عمليات البحث عن الكتب والكتاب.

كتب بلا اختيارات مسبقة

وإذا كانت هذه النتيجة من الناحية التقنية تعكس قدراً واضحاً من البدائية في مهارات البحث وقدرات توظيف الإنترنت كوسيلة للتواصل، إلا أنها تدلّ من ناحية أخرى على أن جمهور الإنترنت الساعي للاستهلاك والتواصل الرقمي مع الكتب والكتاب ليس له اختيارات مسبقة في ما يبحث عنه أو يسعى للتواصل معه، بل لديه في الأغلب الأعم شغف بالبحث عن الكتب والكتاب عموماً بلا تمييز أو تحديد واضح في ما يتعلق بالمؤلف أو تخصص الكتاب أو مكان إنتاجه وطبعه إلى غير ذلك، ويدلنا على ذلك أن أعلى كلمات البحث التي استخدمت في هذا المسار كانت كلمة "قصص" وبلغ متوسط عمليات البحث بهذه الكلمة شهرياً ستة ملايين و120 ألفاً عملية بحث، تليها كلمة "كتاب" واستخدمت في البحث بمتوسط ثلاثة ملايين و350 ألف مرة شهرياً، تلتها كتب بمعدل مليون و830 ألف مرة في المتوسط شهرياً، وضمت قائمة كلمات البحث العامة 51 كلمة على هذا المنوال

الطبخ ومؤلفيها قائمة هذه النوعية وسجل الرصد وجود 52 ألفاً و900 عملية بحث عن كتب الطبخ في المتوسط شهرياً، تلتها الكتب التعليمية فالإسلامية فالتاريخية، وجاءت الكتب النفسية في ذيل هذه القائمة التي ضمت 45 كلمة بحث استخدمها جمهور الإنترنت ووصل إجمالي عمليات البحث التي تمت على أساسها إلى 361 ألفاً و160 كلمة في المتوسط شهرياً. أنظر الجدول رقم "6".

أما من اختاروا الاستهلاك والتواصل مع الكتاب والبحث عن نوعية معينة منهم فكانوا يبحثون عن كاتب سيناريو أو كاتب ساخر أو كاتب مسرحي أو كاتب صحفي، وهؤلاء يصدرون شهرياً 2966 عملية بحث شهرياً، وهناك من يبحثون عن قصص وكتب وإبداعات بعينها، فمثلاً نجد 5400 عملية بحث في المتوسط شهرياً تسعى للتواصل رقمياً مع كتب مصطفى محمود، و2900 عملية بحث تسعى للوصول لكتب أنيس منصور، و1300 تسعى لكتب محمد حسنين هيكل، وهناك كذلك 136 ألفاً و484 عملية بحث يسعى أصحابها للتواصل مع كتاب ومؤلفين بالاسم، و49 كاتبة من مختلف أنحاء الوطن العربي تصدرهم كاتبة باسم معاني ثم الكاتبة وداد الكواري، بالإضافة إلى قائمة كتاب يتقدمهم شكسبير وطه حسين بعمليات بحث تصل في المتوسط إلى 49 ألفاً و500 عملية شهرياً لكل منهما، ثم توفيق الحكيم بـ 18100 عملية بحث في المتوسط شهرياً، لكن هذه النوعية من عمليات البحث تتسم بالضآلة حيث لا تشكل سوى 0.73 % من إجمالي عمليات البحث الساعية للتواصل مع الكتب والكتاب.

عزوف عن مؤسسات الكتب

ويشير الرصد والتحليل إلى عزوف جمهور

مختلف الأنواع والتخصصات، وهذه النسبة تترجم في 44 مليون عملية بحث في المتوسط شهرياً من الجمهور المستخدم للغة العربية، ويدل على ذلك نوعية الكلمات المستخدمة في البحث والتواصل.

فهناك 243 ألفاً و800 عملية بحث في المتوسط شهرياً تسعى وراء استهلاك الكتب المتاحة مجاناً على الإنترنت ويمكن تحميلها على الحاسبات، ولا يحدد أصحابها نوعية معينة للكتب، بل يريدونها فقط مجانية، وهذا يعكس شغفاً كبيراً وواضحاً بالبحث عن الكتب والطلب على القراءة يسعى أصحابه إلى تجاوز عقبة السعر لكي يصلوا إلى ما يريدون ويتواصلون معه.

كتب الطبخ تحتل الصدارة

هناك كذلك من يسعون للاستهلاك والتواصل مع كتب وكتاب بعينه، وفي ما يتعلق بالبحث عن نوعية معينة من الكتب كانت هناك أمور لافتة، حيث تصدرت عمليات البحث الساعية للاستهلاك والتواصل مع كتب

من بين متوسط عمليات البحث الشهري على الكتب على شبكة الإنترنت تستأثر كتب الطبخ وحدها بنسبة 22 % من اهتمام العرب...!

ترتيب لأكثر 10 نوعيات من الكتب طلباً للاستهلاك الرقمي خلال 2009 طبقاً لعمليات البحث عنها

جدول رقم 6

نوع الكتب	متوسط عمليات البحث عنها شهرياً
كتب الطبخ	52900
كتب تعليمية	50600
الكتب الإسلامية	36320
كتب تاريخية	25480
كتب عربية	19200
كتب علمية	16100
كتب متنوعة	15000
كتب طبية	11800
كتب الإدارة	10200
كتب الحاسب	9000

في الاستهلاك والتواصل مع الشعر والشعراء إلى 127 كلمة، صدرت على أساسها 11 مليوناً و601 عملية بحث، وتصدرتها كلمة "الشعر" بواقع مليونين و740 ألف كلمة وقصيدة بواقع مليون و830 ألف كلمة، والشاعر بواقع مليون و220 ألف كلمة، وكما هو الحال مع الكتب والكتاب بدت النسبة الغالبة من جمهور الإنترنت الساعي للاستهلاك والتواصل رقمياً مع الشعر والشعراء شغوفة بالبحث عن الشعر بصورة عامة، من دون تحديد للون شعري أو مدرسة شعرية أو شاعر بعينه أو شعر في وطن ما أو عصر تاريخي إلى غير ذلك، لأن الهدف الأسرع والأكبر الذي يسعى إليه هؤلاء هو الوصول إلى "شعر" و"قصيدة" قبل أي شيء آخر.

نزار قباني الأكثر مطلوبة

ما زال المتنبّي هو أحد أكثر الشعراء العرب المطلوبين على شبكة الإنترنت إذ يأتي في المرتبة الثانية مباشرة بعد الشاعر نزار قباني..

أما النسبة الباقية والتي تمثّل ما يناهز ثلث الجمهور الذي يسعى للاستهلاك والتواصل مع الشعر وعالمه رقمياً، فانشغلت أول شيء بمبدعي الشعر من الشعراء والشاعرات العرب قديماً وحديثاً وحاولت الاستهلاك والتواصل معهم رقمياً، عبر البحث عن إنتاجهم الشعري وتنزيل نصوصه والدخول على مواقعهم ومندياتهم ومتابعة أعمالهم ومسيرتهم الشعرية، وبلغت عمليات البحث التي سعى أصحابها للاستهلاك والتواصل مع شعراء بعينهم وبالأسم مليونين و173 ألفاً و925 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وقد أسفرت عمليات التحليل عن ظهور قائمتين إحداهما للشعراء والأخرى للشاعرات، وتضم قائمة الشعراء التي سعى الجمهور للتواصل معهم 95 شاعراً من مختلف الأجيال والمدارس والعصور، يتصدرهم نزار قباني الذي حظي بعمليات بحث وسعي للتواصل مع

الساعين للاستهلاك والتواصل الرقمي مع الكتب والكتاب عن التواصل مع المؤسسات القائمة على أمور الكتب والكتاب سواء في القطاع الحكومي أم الخاص، حيث لم نرصد سوى 11 ألفاً و600 عملية بحث في المتوسط شهرياً تسعى للتواصل مع المؤسسات كان معظمها حول دار الكتب المصرية، واشتد العزوف أكثر عن التواصل مع القضايا ذات العلاقة بالكتب والكتاب، ولم تكن القضايا التي سعى الباحثون للتواصل حولها ذات قيمة من حيث الكم أو الكيف. أما الرغبة في التواصل مع الفعاليات الثقافية الخاصة بالكتاب فمعدومة تماماً ولم تسجل حولها أي عمليات بحث.

4 - الاستهلاك الرقمي للشعر والتواصل مع الشعراء

احتل متوسط عدد عمليات البحث التي سعى أصحابها للاستهلاك والتواصل رقمياً مع الشعر والشعراء والقصاصات والدواوين الشعرية في المركز الرابع بين عناصر أو فروع منظومة الثقافة، وكما يوضح الشكل رقم "5" فقد بلغ عدد عمليات البحث الخاصة بالشعر 16 مليوناً و335 ألفاً و178 عملية بحث في المتوسط شهرياً.

بحث عام عن الشعر

لم يختلف الأمر عن الفروع السابقة من حيث استحواذ عمليات البحث بكلمات عامة غير محددة الهدف على النسبة الأكبر من عدد عمليات البحث في هذا الصدد، لكنه لم يكن ساحقاً كما هو الحال بفروع أخرى، حيث شكلت عمليات البحث العامة 71 % فقط وليس 92 % كما هو الحال مع الكتاب، ووصل عدد كلمات البحث العامة المستخدمة

الفَيْصَل وأحمد شوقي وغيرهم، أما قائمة الشعراء فضمّت 70 شاعرة عربية من مختلف المدارس والتوجهات والعصور أيضاً، تصدرتهن الشاعرة نجاح المساعيد بعمليات بحث بلغت 20 ألفاً و820 عملية بحث شهرياً في المتوسط، وتلتها لميس فساد الصباح وغيرهن. أنظر الجدول رقم "7".

البحث عن ألوان الشعر

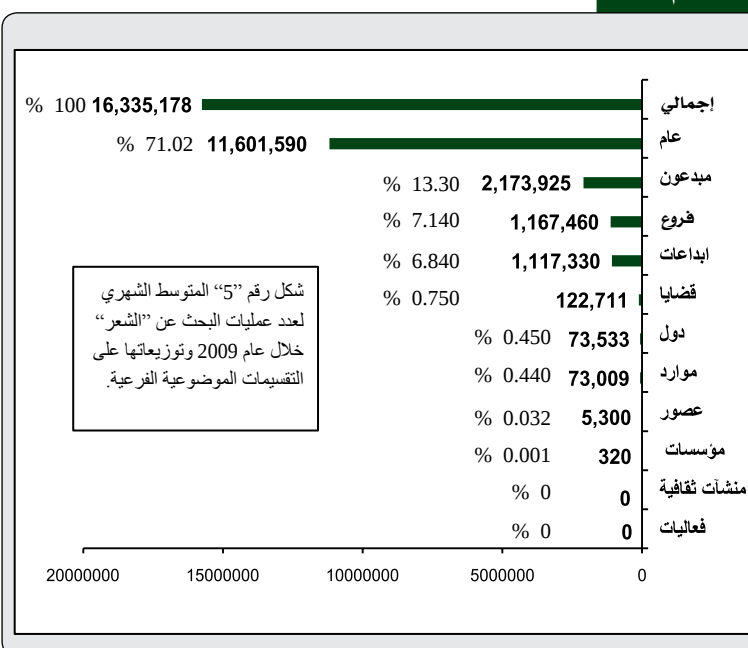
واتجاه الأغلبية نحو الاستهلاك والتواصل رقمياً مع الشعر بصفة عامة ثم مبدعيه في مرتبة تالية لم يحل دون ظهور فئة ثالثة من العارفين أكثر بأمور الشعر ومدارسه وأنماطه وأنواعه، وجدت في الإنترنت وسيلة للاستهلاك والتواصل مع هذا العالم على طريقتها، فراحت تسعى لأنواع أو ألوان بعينها من الشعر، وهكذا تشكّلت قائمة من كلمات البحث تضم 46 كلمة، كلّ منها حاول أصحابها الوصول من خلالها إلى نوعية معينة أو لون شعري معين، وأنتجت هذه القائمة مليوناً و167 ألفاً و460 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وجاء على رأسها شعر الحب والغزل يليه شعر المدح ثم الشعر الحزين ثم شعر الرثاء ثم المسموع فالشعبي فشعر العتاب والرومانسي والنبطي وشعر الهجاء... إلخ.

اهتمام ضئيل بقضايا الشعر ومنتدياته

تضاءلت بعد ذلك الرغبة في التواصل رقمياً مع الشعر في مساراته الأخرى، فوجدنا نفراً ضئيلاً يهتمّ بقضايا الشعر ويصدر 122 ألفاً و711 عملية بحث شهرياً حول قضايا مثل تحليل القصيدة والشعر الحرّ ونقد القصيدة وشرح الشعر وأهم الشعراء وغيرها، وظهر الفتور واضحاً بشدة في التعامل مع مواقع

إنتاجه وعالمه الشعري بلغت 953 ألفاً و880 عملية بحث شهرياً، تلاه المتنبي الذي حظي بعمليات بحث بلغت 141 ألفاً و460 عملية شهرياً في المتوسط ثم محمود درويش وخالد

شكل رقم 5



ترتيب أكبر 10 شعراء وشاعرات طلباً للاستهلاك طبقاً لمتوسط عمليات البحث في 2009

جدول رقم 7

الشاعر	متوسط عمليات البحث	الشاعرة	متوسط عمليات البحث
نزار قباني	953880	نجاح المساعيد	20820
المتنبي	141460	لميس أبو شعر	18100
محمد الشاعر	110000	سعاد الصباح	9146
محمود درويش	106360	نهي نبيل	8328
خالد الفيصل	101200	إيمان البكري	4539
أحمد شوقي	79800	عيدة الجهني	3102
ياسر التويجري	79400	الخنساء	2760
رثاء	74000	ردينة الفيلاي	1963
عباس جيجان	70700	الجهني	1300
حامد زيد	62100	نازك الملائكة	720

المتوسط شهرياً وتناولت الشعر الجاهلي وشعر العصر العباسي، وهكذا بدا التواصل الشعري رقمياً محتفياً بالأساس بالشعر أولاً وبمبدعيه وشعرائه ثانياً ثم فروعه ثم إبداعاتهم، وفي ما وراء ذلك لم يعره التفاتاً، وهي نتيجة لا بأس بها تؤكد أن مكانة الشعر لا تزال قائمة عند شريحة لا يستهان بها من المواطنين العرب الذين وجدوا في الإنترنت وسيلة للاستهلاك والتواصل مع الشعر حتى ولو من خلف ظهر الحضور الرقمي للشعراء أنفسهم الذين عجزت مواقعهم ووسائل تمثيلهم رقمياً في جذب اهتمام الجمهور.

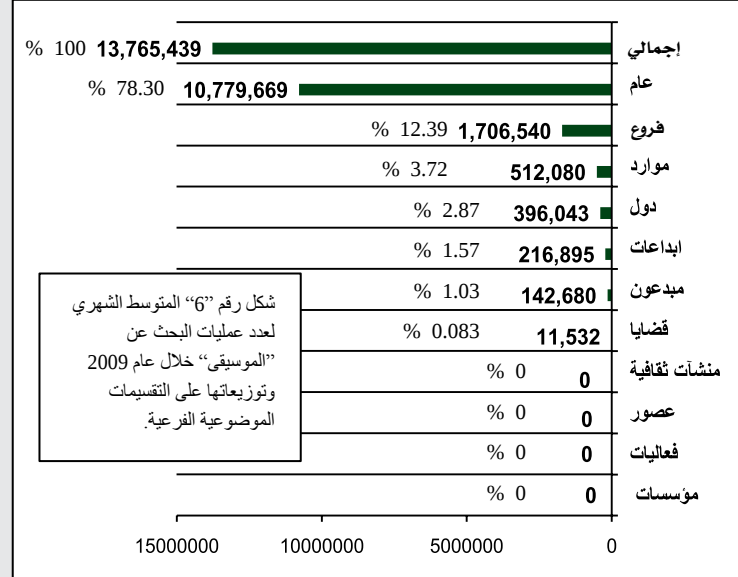
5 - استهلاك الموسيقى الرقمية

اتسم تواصل الجمهور رقمياً مع الموسيقى ببعض السمات تميزه عن غيره من أشكال التواصل السابقة، والمقصود بالموسيقى هنا هو عمليات البحث التي سعى أصحابها للاستهلاك والتواصل مع ألحان وقطع موسيقية في حد ذاتها بغض النظر عن ارتباطها بالفناء والمطربين والمطربات، حيث سعى أصحابها للاستهلاك والتواصل مع اللحن والملحن والموسيقار وليس المطرب والمطربة والأغنية وكلماتها، ويتضح من الشكل رقم "6" أن النسبة الغالبة من عمليات البحث تتم من خلال كلمات بحث عامة تسعى إلى الموسيقى والألحان والملحنين والموسيقين بلا دلالات محدّدة، وشكل هذا النوع من الاستهلاك أكثر من ثلاثة أرباع عمليات البحث (تحديداً 78.30 %) تقدّمها كلمات بحث مثل "موسيقى" التي استخدمت في عمليات بحث بلغت في المتوسط 274 ألف عملية شهرياً، وكلمة "نغمات" التي بلغ متوسط استخدامها 150 ألف مرة، وكلمة "ألحان" 100 ألف مرة، ويحمل هذا المؤشر كل

الشعراء ومنتدياتهم كوسيلة للتواصل، وفضلت الغالبية الساحقة الوصول للشعر عبر ما تتيحه محركات البحث مباشرة، وعملياً لم تظهر عمليات بحث تذكر مواقع لشعراء محددين بالاسم إلا في ثلاث حالات هي مواقع الشاعر **إيمان بكري ونجاح المساعيد ونهى نبيل**، ويدلّ هذا التوجه على أن مواقع الشعراء لا توفر للجمهور هدفاً يمكن السعي إليه، كما تدل على أن الاستهلاك والتواصل الرقمي مع الشعر وعامله يتم في مجمله من خارج المواقع الرسمية للشعراء، حيث يقوم آخرون في المنتديات العامة والمواقع الثقافية الكبرى أو حتى مدونات ومواقع تابعة للمعجبين بالشعراء بعبء بناء المحتوى الخاص بالحضور الرقمي للشعراء على الشبكة، وهذه سمة تعكس ضعفاً في حضور الشعراء العرب المباشر على الشبكة وفي مدى إقبالهم على استخدام هذا الوسيط الرحب في مبادلة الجمهور السعي للتواصل الرقمي.

ولم تكشف التحليلات عن أن جمهور الإنترنت يأبه كثيراً أو يسعى لبذل أيّ جهد يتعلق بالاستهلاك والتواصل رقمياً مع المؤسسات والمنشآت الثقافية ذات العلاقة بالشعر وقضاياها، أو يتنبه كثيراً أو يلتفت إلى جنسية أو وطن الشاعر، ولا يقيم وزناً للفعاليات الشعرية المختلفة ولا يلتفت لها حيث لم تسجل أيّ عمليات بحث سعى أصحابها للتواصل مع فعاليات شعرية كالمهرجانات الشعرية وحتى برامج الشعر ومسابقاته في الفضائيات، ولم يكن هناك مؤشر على اهتمام جمهور الشبكة بالبحث عن الشعر أو التواصل معه وفق عصوره الزمنية الممتدة من العصر الجاهلي حتى اليوم، فعمليات البحث التي سعى أصحابها للتواصل من خلالها مع الشعر طبقاً لعصر ما لم تتعد 5300 عملية بحث في

شكل رقم 6



شهرياً، وتلتها موسيقى الأغاني فالموسيقى الحزينة فالهادئة فموسيقى المسلسلات ويأتي في النهاية موسيقى البيانو والكماني والراي والجيتار، ولعلها نتيجة غير متوقعة بعض الشيء أن تأتي الموسيقى الكلاسيكية على رأس أنواع الموسيقى التي يسعى جمهور الإنترنت لاستهلاكها والتواصل معها رقمياً، بخاصة مع الصورة الذهنية السائدة عن أن مستخدمي الشبكة في الأغلب من الشباب الذي يميل إلى ألوان أخرى من الموسيقى، ولكن لا غرابة في ذلك لأن هذا التواصل يأتي من قبل شريحة الجمهور التي تستخدم كلمات بحث أكثر تحديداً وتتمتع بمهارات بحث أفضل في مجال الموسيقى وهم غالباً جمهور أكثر قرباً وتخصصاً في عالم الموسيقى.

موسيقى بحسب "الهوية"

من الأمور التي تميز الاستهلاك والتواصل الرقمي مع الموسيقى أن السعي للتواصل مع الموسيقى على أساس الهوية الوطنية أو الجنسية يتقدم على الكثير من المسارات أخرى، حيث بلغ المتوسط الشهري لهذا النوع من عمليات البحث 396 ألفاً و 43 عملية، تصدرها البحث عن الموسيقى الخليجية ثم التركية فالعربية فالمغربية فالهندية وجاءت الموسيقى الأندلسية والمصرية في نهاية هذه القائمة التي ضمت موسيقى ثلاث عشرة دولة.

أما نسبة الساعين للوصول إلى مواقع تمثل مصادر وموارد للحصول على ألحان ونغمات موسيقية بغية استهلاكها فجاءت في المرحلة الثالثة ضمن الترتيب العام بمعدل عمليات بحث بلغت 513 ألفاً و 80 في المتوسط شهرياً، متقدمة على عمليات البحث التي استهدفت التواصل مع ألحان ونغمات بعينها وبلغت 216

المعاني التي ذكرت في معرض الحديث سابقاً عن عمليات البحث التي توجهت إلى كلمات البحث العامة.

بحث متخصص عن الموسيقى

لكن ما يميز التواصل مع الموسيقى عن غيره من أشكال الاستهلاك والتواصل الثقافي الأخرى هو توزيع باقي النسبة على مسارات التواصل المتبقية، فاللافت أن الموسيقى هي أول فرع ثقافي يضع فيه الجمهور الاستهلاك والتواصل مع الفروع التخصصية في مرتبة تالية للبحث العام، وفي هذا الصدد تطالعنا الأرقام بأن الجمهور خصص مليوناً و 706 آلاف و 540 عملية بحث في المتوسط شهرياً من أجل الاستهلاك والتواصل مع أنواع وتقسيمات بعينها من الموسيقى، و تضمنت قائمة اهتمامات الجمهور في هذا الصدد 38 نوعاً من أنواع الموسيقى تتصدرها الموسيقى الكلاسيكية بواقع 389 ألفاً و 580 عملية بحث في المتوسط

يبين الاستهلاك والتواصل الرقمي مع الموسيقى أن السعي الموسيقي على أساس الهوية الوطنية أو الجنسية يتقدم على الكثير من المسارات الأخرى حيث بلغ المتوسط الشهري لهذا النوع من عمليات البحث 396 ألفاً و 43 عملية، تصدرتها الموسيقى الخليجية ثم التركية فالمغربية والهندية، وجاءت الموسيقى المصرية في نهاية القائمة..

الاعتماد على كلمات البحث العامة بصورة غالبية أو كاسحة كما سبق ورأينا مع فروع الثقافة السابقة، ففي هذا الفرع وكما يوضح الشكل رقم "7" تقدّمت كلمات البحث الأكثر تحديداً ودلالة على كلمات البحث العامة بفارق كبير، وتجسّد ذلك في أن عمليات البحث التي سعى أصحابها للاستهلاك والتواصل من خلالها مع فروع أدبية بعينها كانت في الصدارة واستحوذت على تسعة ملايين و562 ألفاً و761 عملية بحث في المتوسط شهرياً، من بين 13 مليوناً و89 ألفاً و970 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وهو ما يمثل 73.05 % من إجمالي عمليات البحث عن الأدب.

35 فرعاً للأدب مطلوبة للاستهلاك

لوحظ في هذا السياق أن الفروع الأدبية التي سعى الجمهور لاستهلاك منتجاتها الأدبية جاءت في قائمة تضم 35 فرعاً أدبياً،

ألفاً و895 عملية بحث، وقد تضمّنت قائمة الألحان التي طلبت بالاسم 98 لحناً، جاء على رأسها لحن باسم سالم، ثم مونا مور ثم لحن نور، ثم لحن وتمضي الأيام، ثم تيتانيك ثم لحظة وداع.

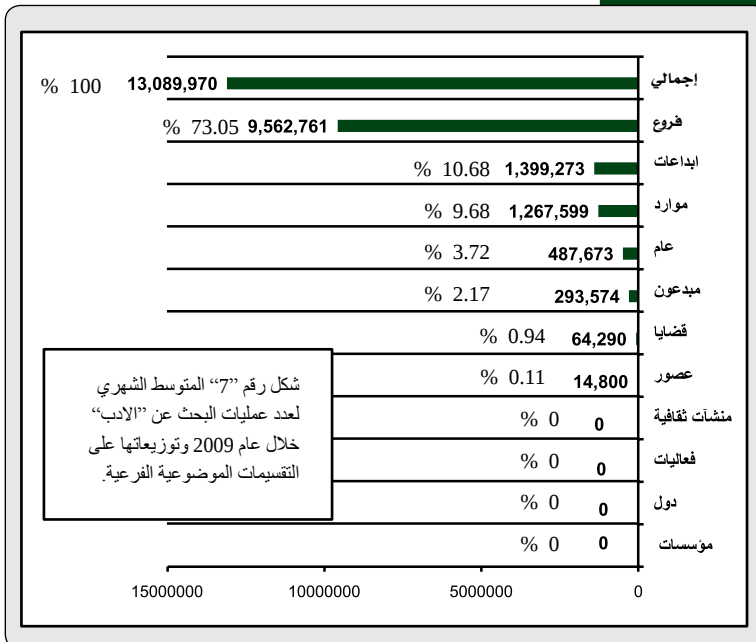
تلى ذلك عمليات البحث التي استهدفت التواصل مع المبدعين من الملحنين والموسيقيين وبلغت 143 ألفاً و680 عملية بحث في المتوسط، عكس ما حدث في الأغنية التي كان السعي فيها للاستهلاك والتواصل مع المطربين والمطربات يسبق السعي للوصول إلى الأماكن التي تعرض الأغاني، وهذه السمة لا تميز الموسيقى عن الغناء فقط، ولكن عن باقي الفروع الثقافية السابقة الأخرى، وفي ما يتعلق بعمليات البحث الساعية للتواصل مع الملحنين ومبدعي الموسيقى ظهرت قائمة تضم 20 موسيقاراً وملحناً على رأسهم عمر خيرت ثم بيتهوفن ثم محمد عبد الوهاب ثم حسين الجسمي ثم عمر خورشيد.

أما القضايا الموسيقية فكان الإقبال على التواصل معها بالغ الضالة ولم يتجاوز 11 ألفاً و532 عملية بحث في المتوسط شهرياً، تركزت في الغالب على تعلّم الموسيقى وأنواعها وتعريفاتها، في ما انعدم تماماً أي اهتمام بالتواصل الرقمي مع المنشآت الثقافية الموسيقية من معاهد وأكاديميات، وكذلك مع المؤسسات الرسمية القائمة على أمور الموسيقى، والموسيقى عبر العصور والفعاليات الموسيقية المختلفة من حفلات ومهرجانات وما شابه.

6 - استهلاك الأدب والتواصل مع الأدباء رقمياً

في استهلاكه للأدب وتواصله مع الأدباء كسر جمهور الإنترنت النمط السائد في

شكل رقم 7



شهرياً ثم سؤال عن مؤلف كتاب **البداية والنهاية** بعمليات بحث بلغت 1719. "أنظر الجدول رقم 8".

أما قائمة الروايات التي سعى جمهور الإنترنت لاستهلاكها والتواصل معها أو مع مؤلفيها فضمت 128 رواية كان متوسط عمليات البحث عنها 796 ألفاً و949 عملية بحث شهرياً، وقد تصدرت هذه القائمة روايات حدد الجمهور أسماءها كالتالي **"التوحيد والجامع والتفسير، والروضة والحب وأهل الكهف والجفر وتحفة العروس وبداية ونهاية واللص والكلاب وأحفاد الشيطان إلى آخر القائمة"**، ولو نظرنا إلى بعض الروايات الشهيرة في الأدب العربي التي وردت في القائمة مثل روايات **نجيب محفوظ** سنجد أن رواية **بداية ونهاية** تحظى في المتوسط بـ 25 ألفاً و90 عملية بحث شهرياً، في ما تحظى رواية **اللص والكلاب** بـ 25 ألفاً وبين القصيرين بـ 5400 عملية بحث، و**زقاق المدق** 2990، وهذه الأرقام تعكس تواصلاً رقمياً قوياً مع **نجيب محفوظ** أمام المبيعات الشهرية لهذه الروايات داخل المكتبات ودور النشر الواقعية.

تصدرها الكتاب **فالقصة القصيرة** فالرواية فأدب الأطفال والأدب الشعبي والأدب المقارن وأدب الرحلات، وانتهت بالأدب المسرحي وأدب التراسل والأدب الوجداني وأدب الرسالة، وذلك بحسب التصنيفات المستخلصة مما كتبه الجمهور.

ليس هذا فقط النمط الوحيد الذي كسره الساعون لاستهلاك الأدب رقمياً، ففي المركز التالي للفروع الأدبية جاءت الإبداعات الأدبية، وهي الأعمال الأدبية والأدباء الذين سعى الجمهور للتواصل معهم واستهلاك منتجاتهم بالاسم، سواء اسم المؤلف والأديب أم اسم العمل الأدبي نفسه، وفي هذا المسار بلغت عمليات البحث مليوناً و399 ألفاً و273 عملية بحث في المتوسط شهرياً تمثل 10.68 % من إجمالي البحث عن الأدب، وقد تضمنت قائمة الكتب التي يبحث عنها الجمهور بالاسم 86 جملة بحث تضمنت سؤالاً عن مؤلف كتاب من الكتب، وكان في مقدمة هذه القائمة سؤالاً عن مؤلف كتاب **النفقات** الذي بلغ متوسط عمليات البحث عن مؤلفه 3500 عملية بحث

تأتي رواية الأديب العربي الراحل نجيب محفوظ على رأس قائمة الروايات المطلوبة على شبكة الإنترنت وبمتوسط بحث شهري قدره 25 ألف عملية بحث..

ترتيب أكبر 10 مؤلفي كتب طبقاً لعدد مرات السؤال عنهم

جدول رقم 8 أ

كتب الدين والتراث في الصدارة

وكانت الكتب التي سعى الجمهور لاستهلاكها والتواصل معها رقمياً وسأل ويبحث عنها بالاسم 14 كتاباً، تصدرها كتاب **شمس المعارف** الذي حظي بـ 74 ألف عملية بحث في المتوسط شهرياً، يليه **صحيح البخاري** 60 ألفاً و500 عملية بحث و**لسان العرب** 40 ألفاً و500، و**رياض الصالحين** وقصة الحب بواقع 33 ألفاً و100 عملية بحث لكل منهما، و**صحيح مسلم** 22 ألفاً و200 ثم كتاب **نهج البلاغة** 18 ألفاً و100 وفقه السنة 14 ألفاً و800، وكما هو واضح فإنها جميعاً تقريباً كتب دينية متنوعة.

الكتاب والسؤال حول مؤلفه	متوسط مرات السؤال شهرياً
من هو مؤلف النفقات	3500
من هو مؤلف كتاب البداية والنهاية	1719
من هو مؤلف كتاب لسان العرب	1534
من هو مؤلف كتاب رياض الصالحين	1390
من هو مؤلف كتاب الرحيق المختوم	1243
من هو مؤلف كتاب المال والعمل	1074
من هو مؤلف كتاب تاريخ الخلفاء	1060
من هو مؤلف كتاب الحاوي في العصر العباسي	890
من هو مؤلف كتاب زاد المعاد	885
من هو مؤلف سلسلة العبقريات	867

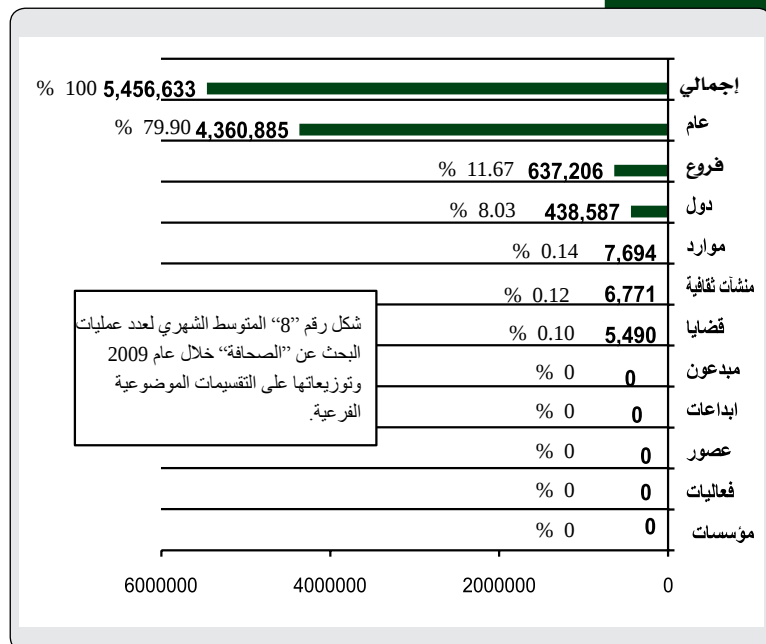
القضايا الأدبية: ضالة الحجم وتنوع كلمات البحث

أما القضايا الأدبية فبلغت 267 ألفاً و490 عملية، لكنها تميّزت بتنوع وغزارة كلمات البحث المستخدمة التي سعى من خلالها جمهور الإنترنت للتواصل مع قضايا أدبية معيّنة، حيث ضمت قائمة البحث في القضايا الأدبية 48 كلمة أو جملة بحثية، وتصدرتها قضايا مثل تلخيص القصة وتلخيص الرواية وتحليل الرواية والأدب والغربة ونقد الرواية ونظرية الأدب والخطاب الروائي وأنواع الأدب ونقد القصة والواقعية في الأدب والرومانسية في الأدب العربي إلى غير ذلك. وفي الذيل جاءت العمليات التي اهتم أصحابها بالاستهلاك والتواصل مع عصور أدبية بعينها، وكانت في المجلد 14 ألفاً و800 عملية في المتوسط شهرياً في قائمة موزعة على ثمانية عصور أدبية حسبما صنّفها الباحثون، وهي الأدب الحديث والعباسي والأموي والأدب

جاءت بعد ذلك عمليات البحث التي سعى أصحابها للوصول إلى المواقع أو الأماكن التي يرونها كمصادر يحصلون من خلالها على الأعمال الأدبية أو يصلون من خلالها إلى الأدباء والروائيين والقصاصين، وقد وصل متوسط هذه النوعية إلى مليون و267 ألفاً و599 عملية بحث شهرياً، وركزت على مواقع تنزيل الروايات والقصص ومواقع الموسوعات والمنديات والنوادي الأدبية الرقمية.

تلي ذلك عمليات البحث المعتمدة على الكلمات العامة وبلغت 487 ألفاً و673 عملية بحث في المتوسط وضمت قائمة الكلمات المستخدمة فيها 18 كلمة بحث عامة، وتصدرتها كلمات مثل "الأدب، أدب، الأدب المغربي، أدب وشعر، أروقة الأدب"، وشكلت 3.72%، وهي نسبة معكوسة تقريباً مقارنة مع المسارات السابقة التي كانت عمليات البحث بالكلمات العامة لا تقل فيها بحال من الأحوال عن 70%. ويجري تفتيت الباقي على مسارات التواصل العشرة الأخرى.

شكل رقم 8



حقّق كتاب شمس المعارف أعلى معدل بحث على شبكة الإنترنت في العام 2009 (74000 عملية بحث شهرياً) يليه كتاب صحيح البخاري (60500) ثم لسان العرب (40500) ورياض الصالحين وقصة الحب (33100) عملية بحث لكل منهما) وصحيح مسلم (22000) ثم كتاب نهج البلاغة (18000) وفقه السنة (14000) ..

والتواصل مع صحف ومجلات على أساس التخصص أو الفرع أو النوع، وفي هذا الصدد سجل الجمهور 637 ألفاً و206 عمليات بحث في المتوسط شهرياً تمثل 11.67% من إجمالي عمليات البحث في هذا المسار، واستخدام كلمات بحث استهدفت بالأساس التواصل مع المقالات في الصحف والمجلات وأصحابها من الكتاب وقادة الرأي، حيث استحوذت الرغبة في الاستهلاك والتواصل مع المقالات على 550 ألف كلمة من الـ 637 ألفاً، وجاءت بعده الصحف الإلكترونية في المرتبة الثانية بعمليات بحث بلغت 19 ألفاً و778 عملية، ثم مجلات الأزياء فالأطفال فالمجلات العلمية المحكمة، ومجلات الحائط، والمجلات المدرسية، ومجلات الدراسات والمجلات الفنية، وغيرها من الكلمات التي اندرجت في قائمة ضمت 54 فرعاً من الصحف والمجلات المختلفة كان في نهايتها الصحف المتنوعة والصحف الإخبارية. (انظر جدول رقم 8 ب)

الأعلى في البحث قطرياً وشعوبياً

تلى ذلك عمليات البحث التي سعت للاستهلاك والتواصل مع الصحف والمجلات استناداً إلى معيار وطن أو دولة الصدور، وربما يكون التواصل الرقمي بالصحافة والمجلات هو الأعلى أو بين المعدلات الأعلى في استخدامه لكلمات بحث تستند إلى توجهات فُطرية وشعوبية مقارنة بباقي عمليات البحث التي جرت في داخله، حيث شكلت هذه النوعية من الكلمات 8.03%، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بالمسارات الأخرى.

وكان اهتمام الجمهور ضعيفاً بشكل واضح في الاستهلاك والتواصل رقمياً مع موارد المعلومات الخاصة بالصحف والمجلات، كالأدلة والموسوعات ومواقع تحميل الصحف

العربي الحديث والقديم والجاهلي والأدب القديم، وكالمعتاد في العديد من الفروع الثقافية السابقة لم يكثر جمهور التواصل الرقمي مع الأدب على الإطلاق بالمنشآت الثقافية التي ترعى الأدب ولا فعالياته أو المؤسسات الرسمية المعنية به حيث كانت حصيلة العمليات البحثية في هذه المسارات صفر، كما كان لافتاً للغاية أن أحداً لم يبحث في مجال الأدب بكلمة واحدة تبحث عن الأدب على أساس الوطن أو الشعب أو الجنسية.

7 - الاستهلاك الرقمي للصحافة

في الاستهلاك والتواصل الرقمي مع الصحافة - صحف ومجلات - وصل متوسط عدد عمليات البحث كما يوضح الشكل رقم "8" إلى خمسة ملايين و456 ألفاً و633 عملية شهرياً، وفي خضم هذا الرقم، يعود نمط البحث بالكلمات العامة مجدداً ليسود بقوة بعد تراجع استثنائي حدث مع الأدب والأدباء، حيث وصلت عمليات البحث بالكلمات العامة إلى 4 ملايين و360 ألفاً و885 عملية بحث شهرياً في المتوسط، ضمن قائمة تضم 130 كلمة من كلمات البحث العامة تصدرها كلمات مثل "مجلة، الصحف، صحف، مجلة، مجلات، صحف، المجلات، صحف ومجلات.. إلخ"، وهي تشكل 79.9% من إجمالي عمليات البحث في هذا المسار.

سمات خاصة لاستهلاك الصحافة رقمياً

لكن خضوع هذا الفرع من الثقافة لنمط البحث بالكلمات العامة لم يمنع ظهور بعض السمات الخاصة به، وعلى رأسها أن المرتبة الثانية في التواصل الرقمي في الصحف والمجلات كانت من نصيب السعي للاستهلاك

ما يثير اهتمام العرب على شبكة الإنترنت في مجال المسرح ليس النصوص المسرحية المكتوبة بل المسرحيات التي سبق عرضها وعلى وجه التحديد المسرحيات الكوميديّة حيث بلغ متوسط عمليات البحث الشهري 43150 لمسرحية مدرسة المشاغبين ثم تليها مسرحيات اللعب والعيال كبرت والواد سيد الشغال والزعيم في دلالة واضحة على زائفة المشاهد العربي!!..

عرض لأوضاع مجموعة من الصحف العربية على الإنترنت، والترتيب طبقاً لإجمالي عدد الزيارات لموقع كل صحيفة

جدول رقم 8 ب

الترتيب	الصحيفة	عنوان الموقع	الدولة	بيانات مستقاة من خدمة google ad planner عن بيانات سبتمبر 2010				الترتيب على مقياس اليكسا alexa.com يوم 2 نوفمبر 2010
				إجمالي الزيارات بالمليون	عدد الزوار المتفردين "غير المتكررين" بالمليون	عدد الصفحات التي تتم مطالعتها بالمليون	متوسط زمن البقاء على الموقع بالدقيقة	
1	المصري اليوم	www.almasry-alyoum.com	مصر	13.000	1.300	55.000	9.50	3153
2	الأهرام	http://www.ahram.org.eg	مصر	9.000	1.200	45.000	9.50	3930
3	الرياض	www.alriyadh-np.com	السعودية	6.800	0.900	34.000	9.00	1840
4	عكاظ	www.okaz.com.sa	السعودية	3.800	0.480	21.000	9.50	5282
5	القدس العربي	www.alquds.co.uk	صحف دولية	3.400	0.380	14.000	9.00	9399
6	النهار	www.ennaharonline.com	الجزائر	2.900	0.520	11.000	9.00	4904
7	الصباح	http://www.assabah.press.ma	المغرب	1.800	0.240	2.300	6.10	13601
8	الدستور	www.addustour.com	الأردن	1.600	0.320	6.100	7.20	25511
9	الوسط	www.alwasatnews.com	البحرين	1.600	0.200	7.300	6.30	20419
10	السفير	www.assafir.com	لبنان	1.200	0.150	5.100	8.50	16782
11	الحياة	http://www.daralhayat.com	صحف دولية	1.100	0.290	3.100	6.00	11064
12	القبس	www.alqabas.com.kw	الكويت	1.100	0.290	3.500	6.00	12007
13	القدس	www.alquds.com	فلسطين	1.100	0.220	5.100	8.10	24152
14	الأيام	http://www.al-ayyam.ps	فلسطين	0.910	0.024	0.470	5.40	346627
15	الأنباء	www.alanba.com.kw	الكويت	0.830	0.180	2.900	6.40	19528
16	الرأية	www.raya.com	قطر	0.760	0.150	2.600	6.10	32477
17	الخليج	www.alkhaleej.ae/	الإمارات	0.750	0.180	2.900	6.40	18067
18	الفجر	http://www.al-fadjr.com/	الجزائر	0.520	0.110	1.400	6.10	35574
19	الثورة	http://thawra.alwehda.gov.sy	سوريا	0.320	0.110	0.760	4.20	15038
20	الشرق الأوسط	www.asharqalawsat.com/	صحف دولية	0.240	0.033	0.260	2.50	3953

- في خدمة google ad planner :

- يقصد بإجمالي عدد الزيارات: عدد الزيارات التي تمت على موقع ما من قبل مستخدمى الانترنت حول العالم خلال شهر محدد، حتى لو قام مستخدم واحد بعدة زيارات متكررة للموقع، فكل منها تحسب زيارة بغض النظر عن من قام بها.
- يقصد بالزوار المتفردين: عدد الزوار الذين زاروا موقع ما خلال شهر محدد، ومهما تعددت زيارات كل واحد منهم للموقع فيحسب على أنه زائر واحد فقط.
- يقصد بعدد الصفحات التي تمت زيارتها: عدد الصفحات التي طالعها وتصفحها مستخدمو الشبكة على الموقع، وتتضمن جميع المطالعات لكل الصفحات حتى لو كان هناك زائر واحد يتصفح عدة صفحات فتحسب مرات تصفح كل صفحة على أنها مطالعة مستقلة.
- يقصد بمتوسط زمن البقاء على الموقع: متوسط طول الفترة الزمنية التي يقضيها زائر الموقع وهو يتصفح الصفحات وبطالع المواد المختلفة، وتقاس بالدقائق.
- في مقياس اليكسا:

يقصد بالترتيب على مقياس اليكسا الترتيب الذي يحتله الموقع بين جميع مواقع الإنترنت حول العالم استناداً إلى حركة المرور والإقبال عليه.

* المواقع الواردة في أعلاه هي مواقع إلكترونية للطبعات الورقية من الصحف، وهي بهذا تختلف عن المواقع الإلكترونية الإخبارية على الإنترنت.

في برنامج التصفح في كل مرة تتم فيها زيارة الموقع وليس عبر كتابة اسم الصحيفة في محرك البحث غوغل، تلك العملية التي غالباً ما تتم مرة واحدة هي المرة الأولى للزيارة، ومن هنا فإن رقم الخمسة ملايين و456 ألفاً و633 عملية بحث في الشهر في المتوسط عن الصحف والمجلات تبدو معقولة إلى حد كبير، لكونه يجسد حالة التواصل الرقمي في لحظة الاحتياج إلى استهلاك ومطالعة الصحف والمجلات.

8 - تواصل الجمهور رقمياً مع المسرح

بلغ متوسط عمليات البحث الشهرية عن المسرح كما يشير الشكل رقم "9" 4 ملايين و800 ألف و11 عملية، ولا يختلف المسرح عن غيره من فروع الثقافة الأخرى في شيوع نمط البحث بالكلمات العامة غير المحددة والاعتماد عليها بصورة رئيسية، فقد شكّل هذا النمط حوالى نصف عمليات البحث 49.83%، وضمت قائمة البحث بهذه الكلمات 43 كلمة تصدرتها كلمات مثل "مسرحية، مسرحيات، المسرح، مشاهد مسرحية، المسرحية، مسرحيات، المسرحي ... إلخ".

المرتبة الثانية للإبداعات المسرحية

لكن هذا الاستهلاك والتواصل رسم لنفسه ملامح خاصة، فعمليات البحث التي سعت للاستهلاك والتواصل مع الإبداعات المسرحية احتلت المركز الثاني وبلغت مليوناً و202 ألف و610 عمليات بنسبة 25.05%، وقد تركزت عمليات البحث في هذا الصدد على المسرحيات التي تم تجسيدها على المسرح وليس على النصوص المسرحية المكتوبة، أي كان الاستهلاك والتواصل مع عمل مسرحي مكتمل تم عرضه

والمجلات سواء من مواقعها الرسمية أم عبر المنتديات الإعلامية والصحافية وغيرها، حيث سجلت هذه النوعية من عمليات البحث 7 آلاف و694 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وكان الاهتمام أكثر ضعفاً في الاستهلاك والتواصل الرقمي مع المنشآت الصحافية والإعلامية ومع القضايا التي تهتم الصحف والمجلات، ففي مسار القضايا مثلاً كانت قائمة كلمات البحث مكونة من خمس كلمات فقط هي مانشيت الصحف والمجلات وتصميم المجلات وخدمات الصحف وتصميم صحف وخلفيات صحف، وتبلغ عمليات البحث الصادرة بشأنها خمسة آلاف و490 عملية في المتوسط شهرياً.

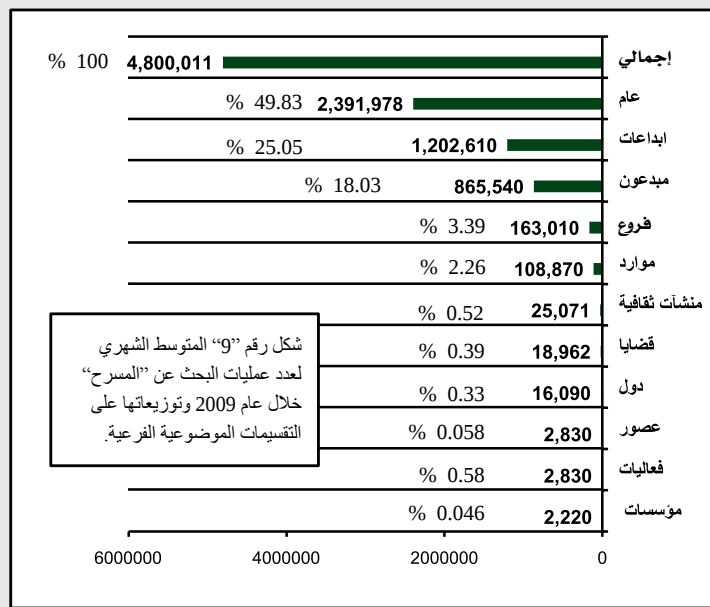
أما اهتمام الجمهور بالاستهلاك والتواصل مع المبدعين وإبداعاتهم في عالم الصحافة والمراحل والعصور الصحافية المختلفة وبفعاليات عالم الصحافة والمجلات وكذلك المؤسسات الرسمية المعنية بهذه المجالات فكان صفرًا، حيث لم تظهر أي عمليات بحث كان أصحابها يسعون من خلالها إلى التواصل مع صحفيين أو كتاب بالاسم أو صحف أو مجلات بالاسم.

وهنا يبدو بعض الاختلاف بين هذه النتائج من جهة وما يقال ويؤكد الكثيرون مراراً من وجود إقبال هائل من مستخدمي الشبكة وجمهورها على مواقع الصحف والمجلات من جهة أخرى، وتقديرنا أنه لا يوجد تناقض أو اختلاف، لأن المقياس الذي نستند إليه في هذا المقام هو التواصل القائم على عمليات وكلمات البحث المستخدمة من قبل جمهور الشبكة عبر محرك بحث غوغل فقط، أما زيارات مواقع الصحف والمجلات التي تعلن من قبل مصادر أو جهات أخرى ويستند إليها في رصد ظاهرة الصحافة الإلكترونية في مقابل الورقية، فهي تتم من خلال زيارة الموقع عبر الرابط المسجل

متوسط عمليات البحث عنها إلى 431 ألفاً و500 عملية شهرياً، وفي المركز الثاني جاءت مسرحية اللعب ثم مسرحية العيال كبرت ثم الواد سيد الشغال ثم الزعيم. أنظر الجدول رقم 9.

أو جاري عرضه على الجمهور بغرض الحصول على تسجيلات رقمية يمكن تنزيلها له، وضمت قائمة التواصل 105 مسرحيات تصدرتها مسرحية مدرسة المشاغبين التي حظيت بأعلى معدل بحث مقارنة بغيرها، حيث وصل

شكل رقم 9



ترتيب أكبر 10 مسرحيات طلباً للاستهلاك طبقاً لمتوسط عمليات البحث في 2009

جدول رقم 9

المرحلية	متوسط عمليات البحث عنها
مدرسة المشاغبين	431500
اللعب	135000
العيال كبرت	117880
الواد سيد الشغال	72020
الزعيم	40500
البيت بيتك	33100
المتزوجون	26200
صح لسانك	22200
كدة اوكية	21310
قدها ونص	14800

عادل إمام ومحمد صبحي قبل

شكسبير

سعى جمهور الإنترنت بعد ذلك للاستهلاك والتواصل مع مبدعي المسرح، وفي هذا الصدد وصل متوسط عمليات البحث الشهرية إلى 865 ألفاً و540 عملية تشكل 18.03 %، واللافت هنا أن هذه النسبة توزعت على قائمة مختصرة للغاية من مؤلفي وفناني المسرح، ضمت هذه القائمة كلاً من عادل إمام بواقع 749 ألفاً و600 عملية بحث في المتوسط شهرياً ومحمد صبحي بواقع 444 ألفاً وشكسبير بواقع 49 ألفاً و500 عملية بحث، وتوفيق الحكيم 19 ألفاً و140 عملية، وثلاثي أضواء المسرح 2900 عملية، وكما هو واضح فإن عمليات البحث التي استهدفت التواصل رقمياً مع الفنانين عادل إمام ومحمد صبحي تحديداً هي المسؤولة عن الحضور الذي سجله التواصل مع مبدعي المسرح، وهذا يكشف مدى شعبية فناني المسرح بصورة عامة ومدى الرغبة في التواصل معهم رقمياً، حيث لم يحظ بهذه الرغبة من قبل الجمهور سوى ثلاثة من الفنانين واثنين من المؤلفين.

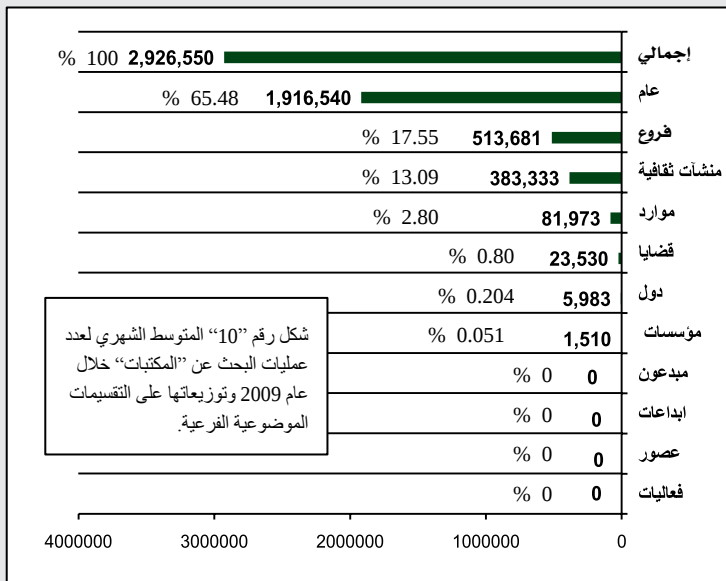
عاد الجمهور لكي يستهلك ويتواصل رقمياً مع الإبداعات المسرحية مجدداً، ولكن هذه المرة ليس بالبحث عن مسرحية ما بحد ذاتها، ولكن بالبحث عنها من خلال المواقع والمنشآت والأدلة الرقمية وغيرها من مصادر وموارد المعرفة على الشبكة، وفي هذا المسار اتضح أن متوسط عمليات البحث عن موارد معلوماتية معرفية حول المسرح يصل إلى 108 آلاف و870 عملية في المتوسط، ذهب معظمها إلى مواقع تنزيل المسرحيات والبحث عن لقطات مسرحية عبر يوتيوب والبحث عن أخبار المسرح ومنشآته عبر الإنترنت.

25 ألفاً يسعون لدور العرض رقمياً

وكانت هناك حوالي 25 ألف عملية بحث شهرياً في المتوسط تسعى للتواصل رقمياً مع دور العرض المسرحي بغرض التعرف إلى مواعيد عرض المسرحيات وأسمائها والحجز فيها وخلافه، وهذه نسبة ضئيلة لكنها معقولة مقارنة بما حدث في التواصل الرقمي مع المنشآت الثقافية المناظرة للمسرح في الفروع الثقافية الأخرى، وفي ما عدا ذلك أبدى جمهور الإنترنت اهتماماً ضئيلاً بباقي المسارات كالفعاليات المسرحية والعصور المسرحية والمسرح في الدول المختلفة، حيث تراوحت عمليات البحث في كل هذه المسارات بين 18 ألفاً وألفين، ومع هذا الاهتمام الضئيل إلا أن المسرح يعد أول فرع ثقافي - من حيث الترتيب العام - تظهر فيه عمليات بحث سعت للاستهلاك والتواصل مع جميع المسارات الأحد عشر، عكس العديد من الفروع الأخرى التي كان جمهورها لا يلقى بالاً مطلقاً للفعاليات والمؤسسات والمنشآت الثقافية المعنية بها، وفي قضايا المسرح على سبيل المثال وجدنا أن هناك 18 ألفاً و962 عملية بحث في المتوسط شهرياً يسعى أصحابها للاستهلاك والتواصل رقمياً مع المسرح وفنانيه ومعجبيه ومتابعيه حول مفهوم المسرح والكتابة للمسرح ونشأة المسرح وديكور المسرح ورواد المسرح وتطوره وخصائصه وأنواعه وتحليل النصوص المسرحية، إلى غير ذلك من قائمة تضم 18 قضية مسرحية متنوعة، كما وجد 2830 عملية بحث في المتوسط شهرياً يسعى أصحابها للتواصل رقمياً مع عصور مسرحية بعينها، كالسرح الروماني والمسرح الإغريقي واليوناني، و16 ألفاً و90 عملية بحث يريد أصحابها التواصل مع مسارح تابعة لدول وأوطان بعينها، كالسرح المصري والجزائري

فالمكتبات الشاملة فمكتبات البرامج، وانتهت بالمكتبات الصوتية والمتخصصة والدينية. "أنظر الجدول رقم 10". وفي الفروع الثقافية السابقة كان نصيب المنشآت الثقافية صفرًا أو نسبة ضئيلة للغاية

شكل رقم 10



والتونسي والمغربي والكويتي والعالمي، وتدل هذه السمة على أن تواصل جمهور الإنترنت رقمياً مع المسرح وإن كان يتسم بقلّة الحجم مقارنة بما يحدث مع فروع أخرى كالسينما والأغنية، إلا أنه تواصل عريض النطاق يتوزع على كل المسارات، الأمر الذي يدعو إلى القول بأنه تواصل تقف وراءه شريحة نوعية مثقفة من الجمهور تدرك أهمية وفعاليته دور الإنترنت في تحقيق التواصل في ما بينها وبين المسرح ومبدعيه وإبداعاته وقضاياها.

9 - الاستهلاك والتواصل الرقمي لمحتوى المكتبات

سيطرت عمليات البحث بالكلمات العامة على استهلاك الجمهور وتواصله رقمياً مع المكتبات، حيث بلغت 2 مليون و926 ألفاً و550 عملية شكلت 65.48% من إجمالي عمليات البحث كما يوضح الشكل رقم "10"، وتشكلت قائمة البحث بالكلمات العامة من 48 كلمة تصدرتها كلمات "مكتبة، المكتبة، المكتبات، مكتبة للكتب، مكتبات عربية ... إلخ".

مكتبات الأفلام تكتسح

وبسبب طبيعة نشاط المكتبات كان من المتوقع أو المفترض أن يكون البحث في المكتبات بحسب التخصص أو الفرع من الأمور التي تحظى بنصيب وافر من جهود الاستهلاك والتواصل الرقمي من قبل الجمهور، وهو ما تحقق بالفعل، حيث احتلت عمليات البحث المستندة إلى كلمات بحث تدور حول تخصص المكتبات المرتبة الثانية ووصل متوسط عمليات البحث عن فروع المكتبات وتخصصاتها إلى 513 ألفاً و681 عملية في المتوسط شهرياً، عبر قائمة بحث ضمت 54 كلمة بحث متنوعة، تصدرتها مكتبات الأفلام ثم المكتبات الإلكترونية

أكبر 10 تخصصات في المكتبات مطلوبة للاستهلاك طبقاً لمتوسط عمليات البحث

جدول رقم 10

تخصص المكتبة	متوسط عمليات البحث
مكتبة أفلام	90500
المكتبات الإلكترونية	62231
المكتبات الشاملة	61410
مكتبات البرامج	51913
مكتبة الإسكندرية	49500
المكتبات الإسلامية	44570
مكتبة العاب	41540
مكتبة الأغاني	41200
مكتبة كتب	22200
مكتبات عامة	5460

جدول رقم 11

أكبر 10 مكتبات مطلوبة للاستهلاك طبقاً لمتوسط عمليات البحث

المكتبة	متوسط عمليات البحث
مكتبة المصطفى	83400
المكتبة الشاملة	60500
مكتبة الملك	22200
مكتبة القصص	18100
مكتبة الكتب	14800
مكتبة العبيكان	12100
مكتبة العربية	9900
مكتبة فهد	9900
مكتبة الإسلامية	9700
مكتبة مبارك العامة	8500

المكتبات المجانية مطلب أساسي

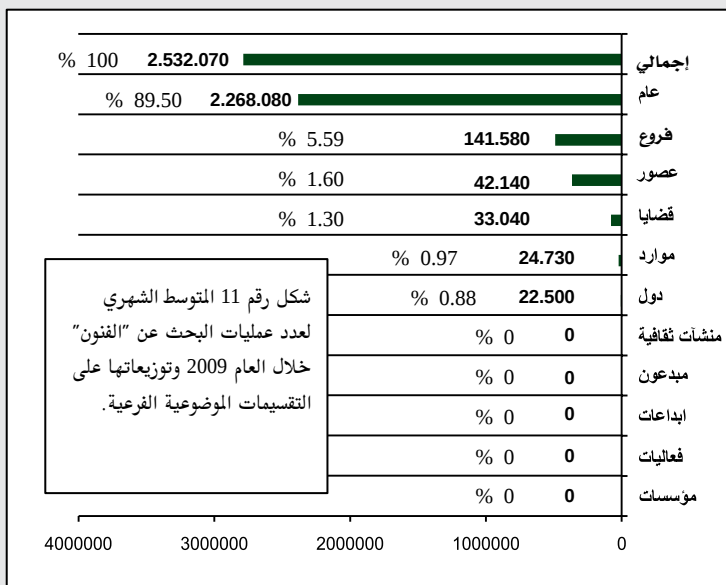
لكن يلفت النظر في هذا المجال أن نسبة كبيرة من البحث عن موارد المكتبات توجهت بالأساس للبحث عن المكتبات المجانية على الإنترنت، وبلغ الطلب على التواصل مع هذا النوع من المكتبات 38 ألفاً و740 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وهو أمر مشابه لما لاحظناه من قبل في عمليات التواصل مع الكتب والكتاب، ممّا يدلّ على أن حاجز السعر بالنسبة للكتب يمثل عائقاً أمام شريحة كبيرة من جمهور الإنترنت الذي يسعى للتواصل مع المكتبات رقمياً وربما ورقياً أيضاً، ممّا يجعل هناك حاجة لأخذ مسألة السعر والتكلفة في الاعتبار عند مراجعة ظاهرة انكماش ظاهرة القراءة والإقبال على المكتبات في العالم العربي، كما يدلّ على أن الإنترنت والمحتوى الرقمي الإلكتروني رخيص التكلفة يمكن أن يوظف كبديل مهم يلبي حاجة هؤلاء للاستهلاك والتواصل مع المكتبات والكتب معاً، إذا ما أحسن عرضه وتنظيمه وفهرسته وربطه بمجموعة خدمات كالدفع الإلكتروني والتوصيل للمنازل وغيرها كما سبق التوضيح في موضع آخر.

وآخر مسار ينطوي على مغزى في مسألة الاستهلاك والتواصل الرقمي مع المكتبات هو المشاركة في ما يثار حول المكتبات من قضايا،

من عمليات البحث، لكن في فرع المكتبات اختلف الوضع ولم يعد هذا المسار هامشياً أو غائباً، بل أصبح حاضراً بصورة واضحة واحتل المرتبة الثالثة، بعدما بلغت عمليات البحث التي سعى أصحابها للاستهلاك والتواصل مع المكتبات باعتبارها منشآت ثقافية 383 ألفاً و333 عملية بحث في المتوسط شهرياً، شكلت 13.09 %، وضمت قائمة البحث عن المكتبات الواقعية ومواقعها على الإنترنت 81 مكتبة، تصدرها البحث عن مكتبة المصطفى والمكتبة الشاملة، وانتهت بمكتبات برناسوس ومكتبة الموسوعة الشاملة، والملاحظ أن القائمة تتضمن مكتبات من دول ومدن عربية عديدة ومتنوعة. أنظر الجدول رقم "11"، وإذا ما افترضنا جدلاً أن كل عملية بحث عن مكتبة من المكتبات في مقام زيارة تمت للمكتبة الواقعية فلنا أن نتصور مدى الفاعلية التي يمكن أن تقوم بها الإنترنت كوسيلة تواصل رقمي مع المكتبات في حالة ما إذا كانت المكتبات نفسها مهية لتقديم خدمات تواصل رقمية مع روادها على الإنترنت، من حيث

غير محددة واستحوذت على 89.5% منها أي أكثر من مليونين، وضمت قائمة البحث بهذه الكلمات 19 كلمة لم تخرج عن "فن - فنون" واشتقاقاتها أو مع بعض الإضافات مثل فنّ وإبداع وبيت الفنّ وعالم الفنّ... إلخ.

شكل رقم 11



وفي هذه النقطة وصلت معدلات البحث إلى 23 ألفاً و530 عملية بحث شهرياً في المتوسط، تناولت 20 قضية من القضايا المثارة في عالم المكتبات منها الإعارة في المكتبات والتصنيف والنظم الآلية في المكتبات وأمناء المكتبات وبرامجها وخدماتها وعلومها ودور المكتبات وفهارسها ومشروعاتها... إلخ.

تضاءلت بعد ذلك رغبة الجمهور في التواصل رقمياً مع المكتبات عبر مسارات الدول والمؤسسات، حيث بلغت عمليات البحث فيهما 5983 و1510 عمليات بحث على التوالي، في ما انعدم اهتمام الجمهور بأي تواصل رقمي مع الفعاليات الخاصة بالمكتبات والمبدعين فيها وإبداعاتها والمكتبات عبر العصور المختلفة، وخلاصة ذلك كله أن التواصل الرقمي مع المكتبات ينصبّ بالأساس على البحث العام وعلى المكتبات طبقاً للتخصص وعلى المكتبات كمنشأة ثقافية وعلى السعي إلى الكتب المجانية، وهو توجه يتماشى مع النظرة إلى المكتبة كمنشأة تباع سلعة ثقافية.

10 - الاستهلاك الرقمي للفنون

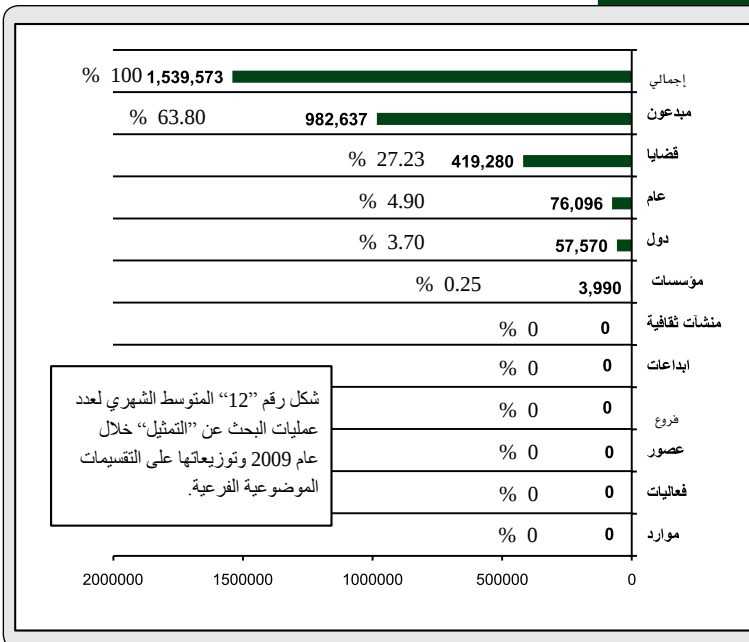
على الرغم من أن العديد من فروع الثقافة السابقة - بل واللاحقة في العرض - يمكن أن تدرج تحت مظلة الفنون، فإن جمهور الإنترنت كان له رأي آخر، وهو السعي للاستهلاك والتواصل رقمياً مع الفنون من خلال البحث بكلمات فنّ وفنون، باعتبارها مجال بحث مستقل وفضاء واسع، تماماً كما هو الحال مع الثقافة نفسها كما سيأتي الحديث سريعاً، وهذه الرغبة لدى الجمهور جسدت نفسها في 2 مليون و532 ألفاً و70 عملية بحث في المتوسط شهرياً، كما هو واضح في الشكل رقم "11" سيطرت عليها بشكل ساحق عمليات البحث التي تمت بكلمات عامة

أكبر 10 فروع فنية مطلوبة للاستهلاك طبقاً لمتوسط عمليات البحث

جدول رقم 12

الفن	متوسط عمليات البحث
فن الرسم	28880
الفن الشعبي	8100
فن الديكور	8100
فن العمارة	7710
فن التصوير	6600
فن النحت	6600
فن الخط العربي	6000
الفن الحديث	5400
فن العمارة	5400
فن التطريز	5400

شكل رقم 12



في الفنون وامتدادها تاريخيا بصورة تدفع إلى البحث فيها وفقاً لحقب تاريخية متنوعة، وقد شكّلت عمليات البحث التي استهدفت التواصل مع العصور الفنيّة قائمة من كلمات البحث ضمّت 13 جملة بحثية كلّ منها يدلّ على عصر من العصور، وتصدرها الفنّ الإسلامي ثم الفنّ القديم فالفنّ القبطي والفرعوني والمعاصر وفالإغريقي... إلخ.

ولم تنس الشريحة الضيقة التي اهتمّت بالفنون كفضاء عام أن تسعى أيضاً للتواصل مع القضايا الفنيّة المثارة على الساحة، ولذلك وجدنا 33 ألفاً و40 عملية بحث من هذا النوع شهرياً، أما القضايا التي سعت للتواصل معها فشملت تعلّم الفنّ والفنّ والإبداع وتاريخ الفنّ والفنّ والرسم ومدارس الفنّ وتعريف الفنّ وتعلّم الفنّ... إلخ.

فن الرسم يتفوق

وتوزّعت النسبة الضئيلة الباقية على المسارات الأخرى بصورة مميزة نوعاً، إذ قفزت عمليات البحث التي سعى أصحابها للاستهلاك والتواصل رقمياً مع فروع الفنّ المختلفة لتحتل المرتبة الثانية 141 ألفاً و850 عملية بحث في المتوسط، وقائمة بحث تضمّ 54 نوعاً من الفنون، يتقدّمها فنّ الرسم والفنّ الشعبي وفنّ الديكور وفنّ العمارة، وتنتهي بفنّ التحنيط والفنّ الخيالي. أنظر الجدول رقم "12".

العصور الفنيّة أكبر من غيرها

أما الذين استهدفوا التواصل مع العصور الفنيّة المختلفة فكانوا هم الأكبر مقارنة بنظرائهم في المسارات الأخرى، حيث بلغت عمليات البحث التي تمتّ في هذا الصدد 42 ألفاً و140 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وهو ما يتناسب إلى حدّ ما مع التنوّع الكبير

المنتديات والمواقع مصدر للفنون

جاءت بعد ذلك الرغبة في التواصل رقمياً مع المواقع والمنتديات والأماكن التي تعتبر موارد يمكن الحصول من خلالها على معارف ومعلومات عن الفنون بل ومنتجات الفنون ذاتها، وأنتج الساعون لهذا النوع من الاستهلاك والتواصل 24 ألفاً و730 عملية بحث في المتوسط شهرياً، تركّزت في الاستهلاك والتواصل مع منتديات الفنون ومواقع الفنون المعمارية ومجلات الفنون، وبصورة متقاربة جاء بعد ذلك من يرغبون في الاستهلاك والتواصل مع فنون مجتمعات ودول بذاتها، وسجل هؤلاء 22 ألفاً و500 عملية بحث في المتوسط شهرياً، استهدفوا من خلالها التواصل مع الفنّ المصري واليمني والعراقي والسوري والصيني والياباني والأفريقي واليوناني، وبعد ذلك أهمل جمهور الإنترنت التواصل رقمياً مع المنشآت الثقافيّة المعنية

أكبر 10 ممثلين وممثلات طلبوا للاستهلاك طبقاً لمتوسط عدد عمليات البحث

جدول رقم 13

الممثلة	متوسط عمليات البحث	الممثل	متوسط عمليات البحث
إغراء	16840	عادل إمام	673880
زينة	12280	مهند التركي	24459
نورهان	7300	أياد التركي	14370
بوسى	6800	شاروخ خان	8610
توبا	4900	زاك ايغرون	3330
نسرين	4310	وائل شرف	3280
بسمة	4080	مصطفى زماني	2900
يسرا	3880	أمير خان	2180
لميس	3600	شاهد كابور	1900
نورا	3490	هريتك روشان	1600

ذهب منها 124 ألفاً و920 عملية بحث لقائمة تضم 73 ممثلة، على رأسهن إغراء ثم زينة فنورهان فبوسى. أنظر الجدول رقم "13".

صور الممثلات مطلب كبير

وكانت هناك شريحة من الجمهور تتفدّ عمليات بحث تذكر فيها صراحة أنها تسعى للتواصل مع الممثلين والممثلات بالصور، وفي هذا النوع من البحث كانت هناك قائمة بـ 19 ممثلاً حرص الجمهور على متابعة صورهم وكان على رأسهم التركي مهند برصيد 43 ألفاً و220 طلب لصوره شهرياً، ثم الممثل زاك، وأفرزت هذه القائمة 72 ألفاً و797 عملية بحث عن صور الممثلين شهرياً، أما طلبات صور الممثلات فانتجت قائمة تضم 17 ممثلة في مقدمتهن بوسى وهندية وفي النهاية لميس ويسرا وأفرزت هذه القائمة 15 ألفاً و40 طلباً لصور الممثلات في المتوسط شهرياً. أعطى الجمهور كذلك اهتماماً خاصاً

بالفنون ومع المبدعين في الفنون وإبداعاتهم ومع الفعاليات والمؤسسات المعنية بالفنون.

11 - التواصل والاستهلاك الرقمي لفن التمثيل ومبدعيه

عند رصد مدى إقبال جمهور الإنترنت على الاستهلاك والتواصل رقمياً مع التمثيل استخدمنا ثلاث كلمات مفتاحية هي تمثيل وممثل وممثلة، وكشف الرصد عن أن الجمهور قام بتنفيذ مليون و539 ألفاً و573 عملية بحث باستخدام هذه الكلمات بحسب ما هو موضح في الشكل رقم "12"، وكان مختلفاً إلى حد كبير في توزيع هذه العمليات البحثية على أغراض ومسارات الاستهلاك والتواصل الرقمي، فاهتمامه الأول لم يكن البحث بكلمات عامة معتادة أو البحث عن منتج ثقافي قابل للاستهلاك، بل كان الرغبة الجارفة في التواصل مع مبدعي فن التمثيل وهم الممثلون والممثلات سواء بالمعلومة أم الصورة أم اللقطات الفيديوية السريعة.

الممثلون أولاً وقبل كل شيء

وقد تجسد ذلك بأوضح ما يكون في تخصيص 63.80 % من عمليات البحث في مجال التمثيل للبحث عن الممثلين والممثلات وصورهم على الإنترنت، ومن الناحية العددية كانت هناك 982 ألف و637 عملية بحث شهرياً عن الممثلين والممثلات، 769 ألفاً و880 عملية منها ذهبت للبحث عن قائمة من الممثلين تضم 61 ممثلاً على رأسهم عادل إمام برصيد 673 ألفاً و880 عملية بحث في المتوسط شهرياً استهدفت الاستهلاك والتواصل معه على مستوى النص والصورة والخبر، تلاه مهند التركي برصيد 24 ألفاً و459 عملية بحث، ثم شاروخ خان الهندي ثم زاك ايغرون، كما

البحث العامة في المرتبة الثالثة بحجم عمليات بحث متواضعة نسبياً، إذ بلغت 76 ألفاً و96 عملية بحث في المتوسط شهرياً، كما تدنت كذلك عمليات البحث عن ممثلين استناداً إلى جنسياتهم وأوطانهم، وبلغت 57 ألفاً و570 عملية في المتوسط شهرياً، وأنتجت قائمة تضمّنت 14 ممثلاً و16 ممثلة، ومن الجدير بالملاحظة في هذا المسار أن البحث عن الممثلين طبقاً للجنسية أو الوطن تصدره البحث عن الممثلين المغاربة ثم الهنود ثم الفرنسيين فاللبنانيين والمصريين، أما في الممثلات فجاءت الممثلات المصريات في الصدارة تليهن السوريات ثم الهنديات ثم الأمريكيات.

هوس مرضي بالتمثيل وقضاياها

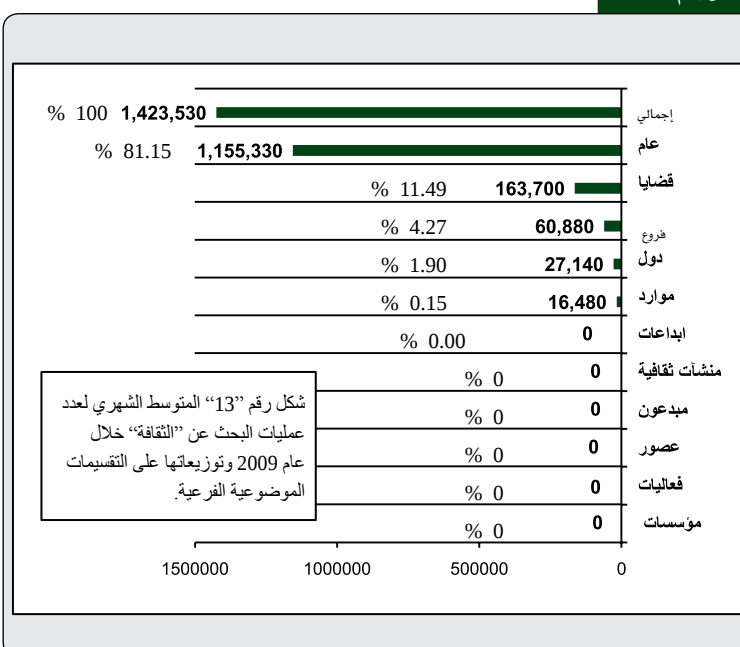
وعند هذا الحد لم يعد لدى جمهور الإنترنت وقت للتواصل رقمياً مع أي مسار آخر في مجال التمثيل، فلم يلق بالاً للمؤسسات الرسمية في مجال التمثيل ولم يعطها سوى 3990 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وتجاهل تماماً الإبداعات في التمثيل وفروع التمثيل وتطوره عبر العصور وكذلك فعالياته المختلفة، ولم يكن معنياً حتى بالبحث عن موارد معرفية في هذا المجال.

وتكشف أرقام التواصل السابقة أن الجمهور اختصر التواصل الرقمي مع مجال التمثيل في كيف تصل إلى صورة ممثل أو معلومة عنه وكيف تصبح ممثلاً، وهذا يكشف عن هوس واضح بهذا العالم من قبل جمهور الإنترنت العربي، وهذا الهوس يتجسد إما في متابعة ما يجري فيه من تفصيلات وأخبار للممثلين والممثلات أو في التطلع لدخوله باعتباره حلماً كبيراً.

بالتواصل رقمياً مع قضايا التمثيل وخصها بـ 419 ألفاً و280 عملية بحث في المتوسط شهرياً تشكل 27.23 % من إجمالي عمليات البحث في مجال التمثيل، واللافت أن هذه العمليات أفرزت قائمة مختصرة تضم سبع قضايا جميعها تدور بصورة أو بأخرى حول كيف يصبح الإنسان ممثلاً، فمن بين الكلمات المستخدمة "إعداد الممثل، دروس تمثيل، كيف تصبح ممثلاً" وهذه الكلمات الثلاث أفرزت وحدها 304 آلاف و690 عملية بحث في المتوسط شهرياً.

وفي ما يبدو أن حالة الهوس بالممثلين والممثلات وصورهم واللهفة على الاقتداء بهم وحلم العمل كممثل أو ممثلة قد جرفا المتطلعين للتواصل الرقمي مع التمثيل عن مسارات التواصل الرقمي الأخرى، حتى على مستوى عمليات البحث بالكلمات العامة وغير المحددة التي كانت هي العنصر الطاغي في معظم المسارات السابقة، حيث جاءت كلمات

شكل رقم 13



أكبر 10 فروع ثقافية مطلوبة للاستهلاك طبقاً لمتوسط عمليات البحث عنها

جدول رقم 14

نوع الثقافة	متوسط عمليات البحث شهرياً
ثقافة عامة	22200
ثقافة إسلامية	8270
ثقافة علمية	3260
ثقافة تنظيمية	2900
ثقافة وتعليم	2880
طبيعة وثقافة	2620
ثقافة تربية	1980
ثقافة الترفيه	1900
ثقافة سياسية	1900
ثقافة صحية	1260

12 - الاستهلاك الرقمي للمنتج الثقافي العام

مليون و423 ألفاً و530 عملية بحث فقط هي حصيلة السعى للتواصل الرقمي مع الثقافة بصورة عامة، وهذا الرقم وضع الثقافة كمصطلح عام في المركز الثاني عشر بين الفروع الأخرى للثقافة، وهو ترتيب لافت ويدفع للقول بأن الفروع تتفوق على الأصل من حيث جذب الناس للتواصل الرقمي حولها، وهنا يبرز تدني الوعي لدى الجمهور العام بأن الترفيه، وما يضمنه من سينما وغناء وأفلام وتمثيل ومسرح وغيرها، هو أحد ألوان الثقافة التي تغذي الوجدان، ويمكن البحث عنه تحت نطاق الثقافة.

القضايا الثقافية للمرة الأولى

ثمة ملمح بارز آخر في مجال الاستهلاك والتواصل رقمياً مع الثقافة كمصطلح وفضاء عام، ألا وهو أن السعى للاستهلاك والتواصل مع القضايا الثقافية رقمياً يسجل لأول مرة مكانة متقدمة من حيث العدد والنسبة، فكما هو واضح في الشكل رقم "13" هنا يحتل المركز الثاني تحت الفضاء الثقافي العام، بعدما سجلت عمليات البحث الشهرية الساعية للتواصل مع القضايا الثقافية الكبرى والعريضة نوعاً ما 163 ألفاً و700 عملية في المتوسط شهرياً، وشكلت قائمة قضايا تصل إلى 31 عنواناً أو قضية، تسعة منها يمكن إدراجها ضمن قضايا الثقافة والعبوة مثل عبوة الثقافة والهوية الثقافية والغزو الثقافي وثقافة الحوار والتعدد الثقافي، وهذه وصل متوسط عمليات البحث الساعية للتواصل معها 20 ألفاً و820 عملية بحث شهرياً، كما كان هناك سبع قضايا يمكن إدراجها ضمن قضايا الثقافة والمجتمع مثل ثقافة الأطفال والثقافة

والمجتمع وثقافة الشباب والثقافة الجماهيرية وثقافة المرأة وهذه جميعاً سجلت عمليات بحث بلغت 8900 عملية بحث شهرياً، وأخيراً المجموعة الرئيسية التي ضمت 15 عنواناً من القضايا الثقافية المتنوعة وتصدرتها قضايا من نوع بناء الثقافة والفكر والثقافة ومفهوم الثقافة وصناعة الثقافة والتنمية الثقافية وخصائص الثقافة وغيرها، وهذه سجلت عمليات بحث بلغت في المتوسط 133 ألفاً و980 عملية شهرياً، ويتوافق هذا الاهتمام الملحوظ بالقضايا الثقافية والاتساع في تنوعها وعددها مع طبيعة الثقافة كفضاء رحب يحتوي الكثير والكثير من القضايا التي تشكل جزءاً حيوياً من الهموم العامة لأي مجتمع.

ثقافات وليس ثقافة واحدة

وتحت القضايا الثقافية مباشرة تأتي رغبة جمهور الإنترنت في التواصل مع أنواع متباينة من الثقافات، وهنا نحن أمام قائمة مكونة من 30 نوعاً من الثقافات التي يسعى الجمهور

يأتي معدل البحث على شبكة الإنترنت عن الثقافة الإسلامية 8270 عملية بحث شهرياً قبل البحث عن الثقافة العلمية (3260) والتعليم (2880) والطبيعة (2620) والتربية (1980) والسياسة (1900) ..

رقمي على أساس الثقافة والمنتج الثقافي حينما يكون الأمر متعلقاً بالفضاءات الأكثر تخصصاً كالغناء والتمثيل والرواية.

ويتبقى بعد ذلك 16 ألفاً و480 عملية بحث خصصها الجمهور للتواصل مع المواقع والمنشآت والموسوعات التي يمكن استخدامها

كموارد للحصول على معلومات ومعارف حول الثقافة، وهي نسبة ضئيلة كما هو واضح، أما المسارات الأخرى وهي المؤسسات الثقافية والفعاليات الثقافية العامة والعصور الثقافية والإبداعات في الفضاء الثقافي العام والمبدعين والمنشآت الثقافية العامة والخاصة فجميعها لم تمثل أي أهمية لجمهور الإنترنت، ومن ثم لم يسع الجمهور لاستهلاكها والتواصل معها رقمياً ولو بعملية بحث واحدة طوال العام 2009.

نحن إذاً أمام نوع من الاستهلاك والتواصل الرقمي مع الفضاء الثقافي العام يتوافق مع ما هو متوقع من حيث حجم الاهتمام وتوزيعه، فمن حيث الحجم تواجهنا الضالة التي دفعت به للمركز الثاني عشر، ومن حيث الاهتمام يعلو البحث العام والقضايا الثقافية الكبرى عريضة النطاق والفروع الثقافية والبحث عن الثقافة على أساس الهوية القطرية، ثم يهبط بشدة ويختفي في ما سواه، وكأنه يرسم خارطة أو يقدم مرآة لما يجري للثقافة في الواقع الفعلي.

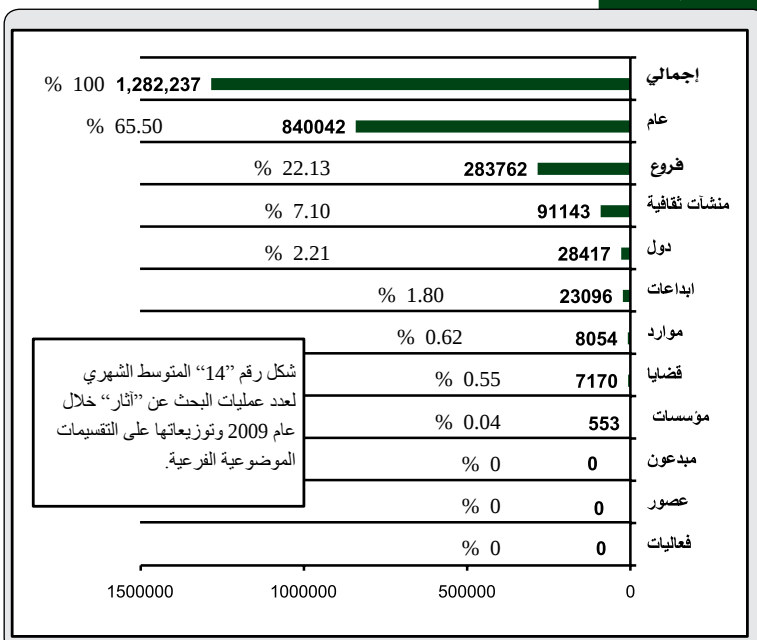
13 - الاستهلاك الرقمي للآثار

تعدت عمليات البحث - التي سعى أصحابها لاستخدامها في الاستهلاك والتواصل مع المحتوى الثقافي والمعرفة الخاص بالآثار رقمياً - المليون عملية بحث بقليل كما يوضح الشكل رقم "14"، ووقفت بالتحديد عند مليون و282 ألفاً و237 عملية بحث في المتوسط شهرياً،

للتواصل معها، تتقدمها الثقافة العامة تليها الثقافة الإسلامية ثم الثقافة العلمية، وتنتهي بالثقافة الحقوقية، والرغبة في التواصل مع الثقافات المتنوعة أفرزت 60 ألفاً و880 عملية بحث في المتوسط شهرياً. أنظر الجدول رقم "14".

وعكس الفضاء الثقافي العام مستوى أعلى نسبياً من التوجه صوب الثقافات القطرية والشعوبية، حيث بلغت عمليات البحث التي استهدفت التواصل رقمياً مع ثقافات قطرية بعينها 27 ألفاً و140 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وهو اتجاه مخالف للعديد من الفروع الثقافية السابقة التي كان جمهور الإنترنت لا يأبه فيها بالقطر أو الجنسية أو الشعب وهو يسعى للتواصل مع هذا اللون الثقافي أو ذلك، ورأينا ذلك بوضوح في الغناء والمسرح وغيرها، بل كانت هناك فروع انعدم فيها البحث استناداً إلى الهوية الوطنية أو القطرية، ومن ثم نحن هنا أمام تواصل رقمي أساس التجزئة عندما يتعلق الأمر بالفضاء الثقافي العام، وتواصل

شكل رقم 14



قطر بنصيب 6621 عملية بحث شهرياً، وتضم القائمة التي كونتها طلبات التواصل من قبل الجمهور جميع المتاحف العربية تقريباً إلى جانب بعض المتاحف العالمية، وتنتهي بـ **متحف السادات بمكتبة الإسكندرية ومتحف المشاعل ومتحف قلالة ومتحف مدريد الوطني**، ولاشك أن توزيع طلبات التواصل الرقمي مع المتاحف على هذا النوع الواسع يعكس اهتماماً واضحاً من قبل شريحة من جمهور الإنترنت بالتواصل رقمياً مع المتاحف والاطلاع على محتوياتها، الأمر الذي يلقي بمسؤولية كبرى على مسؤولي منتجي المحتوى الرقمي الخاص بالمتاحف وضرورة قيامهم بتطويره والانتقال به إلى مرحلة التفاعلية الكاملة التي تقي بما يتوقعه مستخدم الشبكة من خدمات، خصوصاً أنه يزور مواقع المتاحف العالمية على الشبكة ويرى كيف يقدم الآخرون ثروتهم الأثرية على الإنترنت ويعرضونها، ليس لمواطنيهم فقط ولكن لكل العالم.

نظرة لا شعبية للآثار

وعلى الرغم من طبيعة الآثار كتراث لصيق بكل شعب أو دولة على حدة، كانت هناك نسبة ضئيلة ممن يريدون التواصل مع الآثار اعتماداً على كلمات بحث على أساس الوطن أو الدولة مقارنة بمن يبحثون عن الآثار ككل، حيث بلغت هذه النوعية 28 ألفاً و417 عملية بحث تمثل 2.21% من إجمالي البحث عن الآثار، واحتوت قائمة البحث في هذه النوعية على 20 كلمة بحث كل منها كان يريد التواصل مع آثار دولة بعينها، وتصدرت الآثار المصرية القائمة بـ 23 ألفاً و482 عملية، تليها الآثار العراقية ثم الفلسطينية ثم اليونانية وجاءت في نهايتها الآثار الفرنسية وآثار تلمسان، وتشير هذه الأرقام إلى أن جمهور الإنترنت العربي

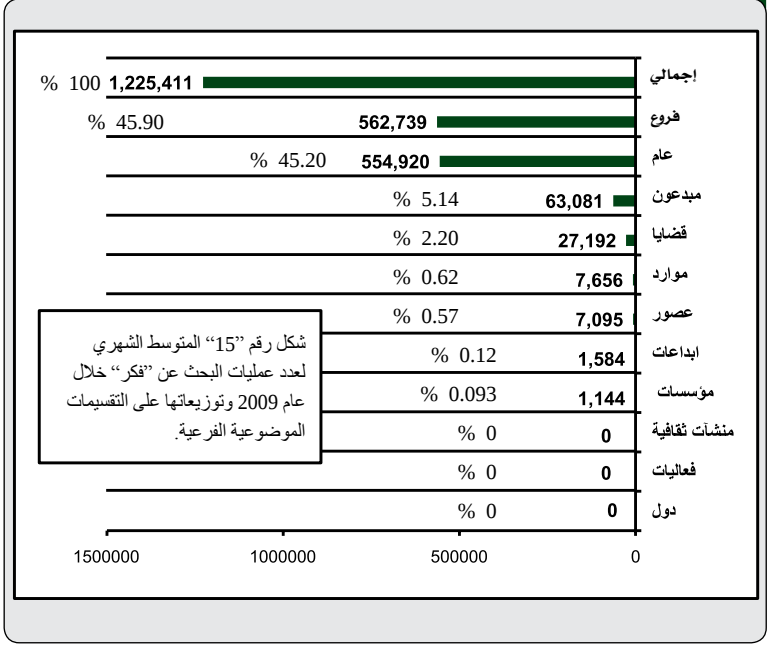
وهو معدل يعكس اهتماماً ضئيلاً بقضية الآثار ودورها في منظومة الثقافة لدى جمهور الإنترنت العربي بصورة عامة، واشتركت جهود الاستهلاك والتواصل رقمياً مع الآثار مع العديد من فروع الثقافة الأخرى في أن النمط السائد كان كلمات البحث العامة التي شكلت حوالى ثلثي الرقم الإجمالي لعمليات البحث وبلغت 840 ألفاً و42 عملية بواقع 65.5%.

طلب عال على الآثار الفرعونية

وفي المقابل برز التوجّه نحو التواصل الرقمي مع الأنواع المختلفة من الآثار واحتل المركز الثاني بنصيب 283 ألفاً و762 عملية بحث في المتوسط شهرياً، تمحورت حول قائمة ضمت عشرة أنواع من الآثار في مقدمتها الآثار الفرعونية التي حظيت بـ 270 ألفاً و821 عملية بحث في المتوسط شهرياً، تليها الآثار الإسلامية بمعدل 3880 عملية ثم الآثار القديمة والرومانية والغارقة والقطبية والعثمانية واليهودية.

برزت أيضاً المنشآت المتحفية والأثرية واحتلت المركز الثالث في مسارات التواصل الرقمي داخل فئة الآثار بنصيب 91 ألفاً و143 عملية في المتوسط شهرياً، والملاحظ في هذا النوع من الاستهلاك والتواصل أنه على قلة عدد عمليات البحث الجارية فيه مقارنة بمسارات أخرى عديدة، إلا أنه كان موزعاً توزيعاً عرضياً واسع النطاق، حيث وصلت قائمة كلمات البحث المستخدمة فيه إلى 111 كلمة، كل منها كان يستهدف التواصل مع متحف أو منشأة أثرية أو تاريخية بعينها، وقد كان **المتحف المصري** في صدارة القائمة بنصيب 18 ألفاً و654 عملية بحث في المتوسط شهرياً يليه **اللوفر في فرنسا** بنصيب 12 ألفاً و881 عملية، ثم **متحف الفن الإسلامي** في

شكل رقم 15



طلب التواصل مع اثنين من منتديات الآثار ومواقع بعض المتاحف التي تتيح خدمات معلوماتية من هذا النوع، ولم يكن الحال أفضل بالنسبة إلى القضايا الأثرية، حيث استطاع هذا المسار أن يجذب طلبات تواصل بلغت 7170 عملية بحث في المتوسط شهرياً، تركزت حول قضايا تهريب الآثار وسرقة الآثار وتجارتها.

وعزف الجمهور عن الاستهلاك والتواصل رقمياً مع المحتوى الخاص بالمؤسسات الرسمية المعنية بالآثار ولم يمنحها سوى 553 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وامتنع نهائياً عن التواصل رقمياً مع المبدعين في مجال الآثار وكذلك التواصل مع عصور أثرية بعينها، أو التفاعل ومتابعة أي نوع من الفعاليات تتعلق بالآثار.

اهتمام واضح الانخفاض

وتقول لنا الأرقام السابقة أن الاهتمام بالمحتوى الرقمي الخاص بالآثار من قبل جمهور الإنترنت العربي منخفض بوضوح، وهو في انخفاضه يفضل الاستهلاك والتواصل معها باستخدام كلمات بحث عامة، كما يتعامل مع الآثار كصور للمطالعة ومكان زيارتها بغرض التسلية، وفي ما عدا ذلك يبدو قليل الاكتراث أو لا يكثرث كلية بما يجري في هذا المجال، ومن ثم تشكل الآثار عنصر ضعف في منظومة التواصل الثقافي الرقمي على الرغم مما أتاحتها الإنترنت من إمكانات هائلة لهذا النوع من التواصل، ونجحت العديد من المجتمعات عالمياً في توظيفها توظيفاً جيداً ومؤثراً أدخل إلى الساحة الدولية ما يعرف بالسياحة الثقافية الأثرية التخيلية عبر المواقع، وهو أمر تكشف الأرقام السابقة أنه بعيد المنال في العالم العربي تارة بسبب عزوف الجمهور

يفضل التواصل رقمياً مع الآثار باعتبارها تراثاً إنسانياً وعربياً أكثر منها تراثاً خاصاً بمجتمع أو قطر بعينه.

في مستوى متقارب جاءت الرغبة في التواصل مع الآثار على مستوى إبداعات أو آثار شهيرة بعينها أو بصورة محددة، وتضمن هذا التوجه 23 ألفاً و96 عملية في المتوسط شهرياً، وتمحور حول قائمة طلبات استهلاك وتواصل كانت جميعها منصبة على طلب صور لقطع أثرية سواء بصورة عامة، أم لقطع أثرية موجودة في متحف بعينه كالمتحف المصري والمتحف الإسلامي ومتحف البحرين والمتحف القبطي ومتحف الفن الإسلامي في قطر وغيرها.

أما الرغبة في التواصل مع المواقع والمنتديات والموسوعات الأثرية على الإنترنت والتي يمكن استخدامها كمورد للمعارف والمعلومات الأثرية فكانت ضئيلة وقليلة، وسعت إليها 8054 عملية بحث في المتوسط شهرياً فقط، واقتصرت على

يزيد اهتمام العرب بالبحث عن أغاني وأخبار مطرب واحد هو تامر حسني 220 % عن معدل اهتمامهم بكل صور الفكر العربي ومنتجاته وأعلامه على شبكة الإنترنت..

بحث متوسطها 2900 عملية وآخرها الفكر الفلسفي بمتوسط 28 عملية بحث في الشهر، أي أن البحث في فروع الفكر هو في حقيقته بحث في الفكر الماركسي، وهذه نتيجة لافتة، أن يكون جل الرغبة في التواصل رقمياً مع الفكر من قبل جمهور الإنترنت العربي منصبا على الفكر الماركسي الذي أقل نجمه وتخلي عنه حتى أصحابه من الروس والسوفييت سابقاً، ولا تفسير لهذا الرقم المدهش سوى أنه قد يتم بمعرفة أكاديميين وباحثين عرب، أو أن لدينا شريحة ممن لايزالون يعتنقونه، وتتسم بكونها نشطة فكرياً وفي التعامل مع الإنترنت من ثم تسعى للتواصل معه رقمياً.

تأتي بعد ذلك عمليات البحث بالكلمات العامة والتي تصل إلى 554 ألفاً و920 عملية في المتوسط شهرياً، وهي نسبة متقاربة إلى حد كبير مع نسبة البحث في الفروع، لكن الاختلاف بينهما أن قائمة كلمات البحث العامة تضم 55 كلمة الفكر اليهودي التي تصل عمليات البحث الخاصة بها إلى 165 ألف عملية شهرياً، وتنتهي بالفكر النقدي الذي يصل نصيبه 28

وقلة وعيه وتارة أخرى - وهو الأهم - بسبب تقصير الجهات القائمة على التوظيف الأثري للإنترنت في الدخول لعالم السياحة الثقافية الأثرية الرقمية.

14 - الاستهلاك الرقمي للفكر

حينما نطالع متوسط عمليات البحث التي يسعى أصحابها للتواصل رقمياً مع الفكر وأعلامه وقضاياها بالوطن العربي، سنجد أنها أقل من نصف متوسط عمليات البحث التي يسعى أصحابها للتواصل رقمياً مع مطرب مثل تامر حسني، فعمليات البحث التي هدفها الاستهلاك والتواصل معه ومع أغانيه عددها مليونين و742 ألفاً و150 في المتوسط شهرياً، وعدد عمليات البحث التي تستهدف الاستهلاك والتواصل مع الفكر ومنتجاته وأعلامه كما يوضح الشكل رقم "15" عددها مليون و225 ألفاً و411 عملية، أي أن المطرب يتفوق على الفكر بأكمله بـ 220 % تقريباً.

الفكر الماركسي مطلوب أكثر من غيره

بعد هذه الملاحظة التي لا بد للجميع من التوقف عندها نجد أن السعي للاستهلاك والتواصل مع ألوان بعينها من الفكر هو الغالب على الشريحة القليلة من الجمهور التي لديها رغبة في تواصل فكري رقمي، حيث تقدر عمليات البحث التي تبحث في فروع الفكر بـ 562 ألفاً و739 تشكل 45.9 % من إجمالي عمليات البحث في الفكر، لكن هذه النسبة تحمل في طياتها ملحوظة مهمة إن لم تكن مفاجأة، فقائمة فروع الفكر تضم 29 فرعاً، تتقدمها بل تكتسحها عمليات البحث عن الفكر الماركسي بمتوسط شهري يبلغ 550 ألف عملية بحث، يليها عمليات البحث في باقي الفروع وأولها الفكر الليبرالي الحر بعمليات

مازال العرب يبحثون عن الفكر الماركسي قبل الفكر الليبرالي على شبكة الإنترنت، إذ بلغت عمليات البحث عن الفكر الماركسي حوالي 550 ألف عملية بحث شهرياً مقابل 2900 عملية بحث عن الفكر الليبرالي...

أكبر 10 قضايا فكرية مطلوبة للاستهلاك طبقاً لمتوسط عمليات البحث

جدول رقم 15

القضية	متوسط عمليات البحث عنها
بناء الفكر والثقافة	11043
بناء الفكر	5052
الفكر والإبداع	2400
الفكر واللغة	1690
الفكر والثقافة	800
تطابق الفكر مع الواقع	720
حرية الفكر	720
الفكر بين العصرية و المعاصرة	590
نقد الفكر الديني	390
الفكر التربوي عند ابن تيمية	320

أي من المفكرين أو الفلاسفة العرب أو غيرهم بالاسم في أي عصر من العصور.

تدهور البحث عن المفكرين وقضايا الفكر

يتدهور الأمر بصورة أكبر في ما يتعلق بالقضايا الفكرية التي يسعى جمهور الإنترنت للتواصل معها والمشاركة فيها ولو بالتابع فقط، فعدد عمليات البحث المتعلقة بالقضايا يتوقف عند 27 ألفاً و192 عملية في المتوسط شهرياً، تتوزع على قائمة تضم 28 قضية فكرية تصدرها قضية بناء الفكر والثقافة وتطابق الفكر مع الواقع وحرية الفكر والفكر بين العصرية والمعاصرة ونقد الفكر الديني، وتنتهي بإشكاليات الفكر التربوي العربي. أنظر الجدول رقم "15".

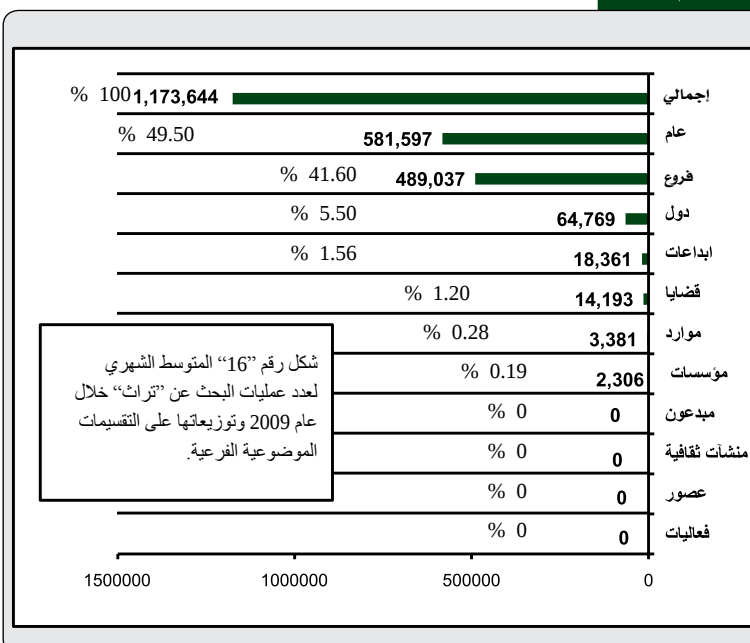
يستمر التدهور في الاهتمام بالاستهلاك والتواصل رقمياً مع الفكر لنصل إلى 7656 عملية بحث فقط عن المنتديات والمواقع والأماكن التي تعتبر موارد لمعارف فكرية عبر الإنترنت، ثم رقم أقل في ما يتعلق بالتواصل مع عصور الفكر المختلفة، ورقم شديد الضآلة في ما يتعلق بالرغبة في التواصل مع الإبداعات الفكرية، حيث تتدنّى عمليات البحث لتصل إلى 1584 عملية بحث في المتوسط شهرياً، معظمها ينصبّ على مجلات وكتب في الفكر، ثم نواجه رغبة شديدة الخفوت في التواصل رقمياً مع المؤسسات الفكرية، حيث تصل عمليات البحث عن هذه النوعية من المؤسسات إلى 1144 عملية بحث شهرياً، ثم نعدم الاهتمام كلية مع المنشآت الثقافية المعنية بأمور الفكر والفعاليات الفكرية وبالفكر على مستوى الدول.

وتعكس هذه الأرقام أزمة التواصل بين الجمهور العام وأصحاب الفكر في العالم العربي، فالإنترنت تبدو في هذا المسار قناة شديدة

عملية بحث في المتوسط شهرياً، وتضم كلمات أخرى مثل تنمية الفكر وفكر ونقد ومفهوم الفكر ومحارب الفكر... إلخ.

بعد ذلك نجد عمليات البحث التي استهدفت التواصل رقمياً مع المبدعين في الفكر، ويطالنا في هذا رقم هزيل للغاية إذا ما قورن بأهمية الموضوع، حيث يصل متوسط هذا النوع من عمليات البحث إلى 63 ألفاً و81 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وهو رقم لا يقارن على الإطلاق بعمليات البحث عن الممثل عادل إمام الذي يستحوذ على عمليات بحث تتجاوز النصف مليون عملية في المتوسط شهرياً، والمؤسف أن قائمة البحث عن المفكرين تضم خمسة فقط يتقدمهم ابن خلدون ونصيبه 60 ألفاً و500 عملية بحث في المتوسط شهرياً، ثم ديكارت بمعدل 1600 عملية، وسيد قطب بمعدل 720 عملية بحث وراما بمعدل 170 عملية ومالك بن نبي بمعدل 91 عملية، وفي ما عدا ذلك لا يكثر جمهور الإنترنت بالتواصل رقمياً مع

شكل رقم 16



أبدى جمهور الإنترنت فتوراً طاعياً في الاهتمام بالتواصل رقمياً مع المواقع والمنشآت التي تعمل كمصادر لمعارف ومعلومات حول التراث ولم يمنحها سوى 3381 عملية بحث في المتوسط شهرياً، في ما تجاهل الجمهور تماماً أي استهلاك أو تواصل رقمي مع المبدعين في مجال التراث..

مع الآثار - لصيق الصلة بالمجتمع الذي أنتجه، بل هو من العلامات التي تعبّر عن خصوصية كل مجتمع. إلا أن الرغبة في الاستهلاك والتواصل مع التراث من منطلق وطني أو قُطري جاءت في المرتبة الثالثة، وكانت قليلة بصورة لافتة، فعمليات البحث التي نفذت من هذا النوع توقفت عند 64 ألفاً و769 عملية في المتوسط شهرياً، وهو رقم يشكّل 5.5 % فقط من إجمالي عمليات البحث التي تمت في مجال التراث، وتمّ تنفيذ هذا الرقم من خلال قائمة كلمات بحث تضمّ 29 كلمة بحثية، جاء في مقدمتها عمليات البحث التي استهدفت التواصل رقمياً مع التراث الإماراتي وبلغت 17 ألفاً و526 عملية بحث في المتوسط شهرياً، ثم التراث الفلسطيني ثم السعودي ثم العماني فاليميني فالكويتي فالعراقي فالأردني، إلى أن تنتهي القائمة بعمليات البحث التي استهدفت التواصل رقمياً مع الفلكلور الإيراني وكانت 46 عملية بحث في المتوسط شهرياً. أنظر الجدول رقم "16".

الضيق، على الرغم من كونها غنية بالأدوات التي تجعلها فسيحة ورحبة، وكما هو الحال في الآثار، نجد الأمر في الفكر كدائرة مفرغة من قلة الوعي والاهتمام لدى الجمهور العام بأهمية التواصل مع الفكر وأصحابه، والقصور الواضح من جانب القائمين على الفكر في جذب شرائح عريضة من الجمهور، وربما تكون هذه نقطة ضعف في التواصل الثقافي الرقمي أشد خطورة ممّا أشرنا إليه في مجال الآثار.

15 - الاستهلاك الرقمي للتراث

أقصى اهتمام منحه جمهور الإنترنت للاستهلاك والتواصل رقمياً مع التراث لم يسفر إلا عن مليون و173 ألفاً و644 عملية بحث في المتوسط شهرياً كما يوضّح الشكل رقم "16"، وهو رقم أدخل هذا المسار من ضمن زمرة المسارات ذات الاهتمام الخافت من قبل الجمهور، وقد كان نصف هذه العمليات البحثية أو 49.5 % منها يتمّ بكلمات بحث عامة انضوت في قائمة مكوّنة من 36 كلمة تصدرتها كلمة التراث، و تضمّنت كلمات أخرى كالأكالات والفلكلور والتراث الشعبي والفلكلور الشعبي وتراث الأجداد وتراث الماضي... إلخ، وجاءت في المرتبة الثانية عمليات البحث عن فروع وتنوعات معيّنة من التراث، ووصل عددها إلى 489 ألفاً و37 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وسعى جمهور الإنترنت من خلالها إلى التواصل رقمياً مع أحد عشر لونا من التراث والفلكلور الشعبي، من بينها الموسيقى التراثية والملابس الفلكلورية والتراثية والأمثال الشعبية والأغاني التراثية والتراث البدوي واللوحات التراثية.

ضآلة الحجم وعمومية البحث

وعلى الرغم من أن التراث - كما هو الحال

أكبر 10 دول طلباً لاستهلاك التراث طبقاً لعمليات البحث

جدول رقم 16

التراث	متوسط عمليات البحث
التراث الإماراتي	17526
التراث الفلسطيني	9617
التراث السعودي	7797
التراث العماني	3583
التراث اليمني	3580
التراث الكويتي	3348
التراث العراقي	3181
التراث الأردني	2531
التراث البحريني	2400
التراث الليبي	1790

يقدمها جمهور الإنترنت العربي وتدلّ على أنه يبحث عن التواصل الرقمي مع التراث العربي بعيداً عن النظرة الشعوبية والقطرية، وينظر للتراث على أنه إرث للحضارة العربية عموماً. وفي ما يتعلق بالإبداعات الخاصة بالتراث توقفت عمليات البحث عند 18 ألفاً و361 عملية في المتوسط شهرياً، ودارت في مجملها حول السعي للاستهلاك والتواصل مع التراث القديم عبر الصور المعبرة عنه وعن إبداعاته، وفي هذا الصدد تشكلت قائمة تضم كلمات بحث منها "صور التراث - صور التراث الشعبي - صور فلكلور... إلخ"، أما قضايا التراث فوصل الاهتمام بالتواصل معها إلى مستوى إصدار 14 ألفاً و193 عملية بحث في المتوسط شهرياً، أما القضايا التراثية نفسها فكان في مقدمتها التراث والثقافة وأنواع التراث واستلهاام التراث وتعريف الفلكلور وغيرها.

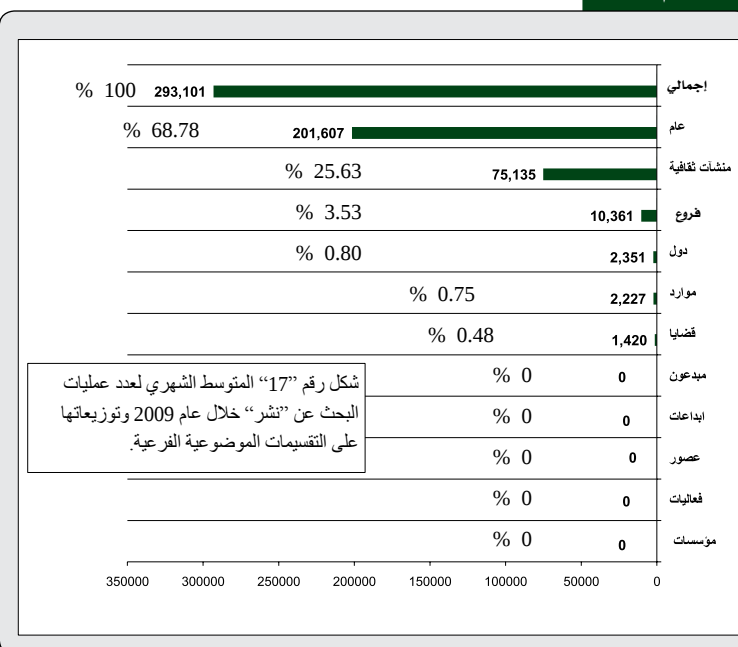
التراث قضية سيئة الحظ رقمياً

أبدى جمهور الإنترنت فتوراً طاعياً في الاهتمام بالتواصل رقمياً مع المواقع والمنديات التي تعمل كمصادر لمعارف ومعلومات حول التراث ولم يمنحها سوى 3381 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وكان الفتور أشد في ما يتعلق بالتواصل مع المؤسسات المعنية بأمور التراث حيث وصلت عمليات البحث بشأنها إلى 2306 عملية فقط في المتوسط شهرياً، في ما تجاهل الجمهور تماماً أي استهلاك أو تواصل رقمي مع المبدعين في مجال التراث والفعاليات المعنية بالتراث وكذلك المنشآت الثقافية التي تعمل في مجال التراث، والتراث عبر العصور الزمنية المختلفة.

هكذا نجد بين أيدينا أرقاماً تدل دلالة واضحة على أن التراث قضية سيئة الحظ إلى حد كبير في إقبال جمهور الإنترنت

وتوزيع عمليات البحث التي تستهدف الاستهلاك والتواصل رقمياً مع التراث على أساس قطري ووطني تنبئ بأنها ناجمة عن عمليات بحث ينفذها عدد من مواطني كل دولة على حدة، لكنها لا تشكل تياراً مشتركاً وقوياً، الأمر الذي يجعلنا أمام إشارة جديدة

شكل رقم 17



أكبر 10 دور نشر مطلوبة للاستهلاك طبقاً لمتوسط عمليات البحث

جدول رقم 17

متوسط عمليات البحث	دار النشر
14800	دار التحرير
9900	دار كوم
8100	دار العربي
8100	دار الكتب
5446	دار الشروق
5400	دار الحياة
5400	دار الفكر
5400	دار الكتاب
4428	دار المعارف
3600	دار المعرفة

وتضمّنت قائمة دور النشر التي حظيت بطلبات استهلاك وتواصل رقمي بالاسم 21 دار نشر على مستوى العالم العربي، تصدرتها دار التحرير للنشر ثم دار كوم ثم دار العربي ثم دار الكتب فدار الشروق. أنظر الجدول رقم "17".

وفي المرتبة الثالثة جاءت رغبة الجمهور في التواصل مع النشر وقضاياه ودوره من منطلق التخصص أو الفرع، وبلغت عمليات البحث من هذا النوع 10 آلاف و361 عملية بحث في المتوسط شهرياً، توزعت على النشر الإلكتروني والنشر العلمي ونشر الكتب ونشر الإعلانات ونشر المقالات، وعلى المستوى نفسه من الاهتمام جاءت عمليات البحث التي استهدفت التواصل مع المواقع والمنشآت التي توفر موارد يتم الحصول من خلالها على معارف ومعلومات عن حركة النشر، وبلغت هذه العمليات 2227 عملية بحث في المتوسط انصبت على مواقع دور النشر وأدلة دور النشر الإلكترونية ومنشآت النشر وأدلة عناوين دور النشر، ثم تلى ذلك الاهتمام بالتواصل مع قضايا النشر التي لم تحقق سوى 1420 عملية بحث في المتوسط شهرياً وكانت تدور حول قوانين النشر وقواعد النشر وحرية النشر وإجراءات النشر إلكترونياً ومطبوعاً، أما باقي المسارات فكانت حصة عمليات البحث فيها صفرًا، وينطبق ذلك على الإبداع في النشر ومبدعيه وفعالياته والمؤسسات الرسمية المعنية به، ومن جملة الأرقام السابقة يمكن القول بأن قضية النشر حظيت باهتمام بائس من قبل الجمهور وربما يكمن وراء ذلك أن هذه النوعية من التواصل لا تتمحور حول منتج ثقافي يمكن الحصول عليه كما هو الحال في المسارات الأخرى، بل تتعلق بقضية ذات أبعاد فكرية واقتصادية وتجارية وربما سياسية أيضاً، الأمر الذي أدخلها في زمرة القضايا التي تهتم بها شريحة ضيقة من الجمهور.

العربي على استهلاكها والتواصل معها رقمياً، وتقترب كثيراً من الأوضاع التي تعاني منها قضية الآثار، وهذا مؤشر مقلق، لأنه يدل على أن الأجيال الجديدة - التي هي عماد أو ركيزة من يستخدمون الإنترنت - يبتعدون بسرعة عن تراث بلادهم وأوطانهم ولا يعيرونه الاهتمام الكامل وهم يستخدمون الإنترنت كفضاء رقمي للتواصل.

16 - الاستهلاك والتواصل الرقمي مع النشر والناشرين

من مئات الملايين في السينما والغناء إلى مئات الآلاف في النشر... هذه هي النقلة الضخمة إلى أسفل في مستوى اهتمام جمهور الإنترنت بالاستهلاك والتواصل رقمياً مع قضية النشر التي تعدّ أحد روافد الثقافة، فهذا الفرع لم يحصل إلا على 293 ألفاً و101 عملية بحث في المتوسط شهرياً كما يوضح الشكل رقم "17"، وهو رقم أقل مما يحظى به مطرب مغرور أو ناشئ، وكان ما يربو على ثلثي هذا الرقم - تحديداً 68.78% - موجّهاً إلى عمليات البحث بالكلمات العامة التي شملتها قائمة تضم 22 كلمة بحث لم تخرج عن "نشر، النشر، دار النشر، دور النشر، النشر والتوزيع... إلخ".

مؤسسات النشر بالمركز الثاني

ثاني مسار مضت فيه طلبات الساعين للاستهلاك والتواصل الرقمي مع النشر والناشرين كان هو المنشآت العاملة في مجال النشر وتحديد دور النشر التي كان الجمهور يسعى للتواصل معها بالاسم، وقد وصلت عمليات البحث من هذا النوع إلى 75 ألفاً و135 عملية بحث في المتوسط شهرياً، تمثل 25.63% من إجمالي عمليات البحث عن النشر.

17 - الاستهلاك الرقمي للفن التشكيلي

استحوذت وصلت إلى أكثر من 90 % في كثير من الأحيان، وقد ضمت قائمة كلمات البحث العامة في هذا الصدد 13 كلمة فقط لم تخرج عن لفظتي الفن التشكيلي ومشتقاتهما والكلمات المرتبطة بهما، مثل فنان تشكيلي فن تشكيلي وغيرها.

توزيع متوازن للاهتمامات

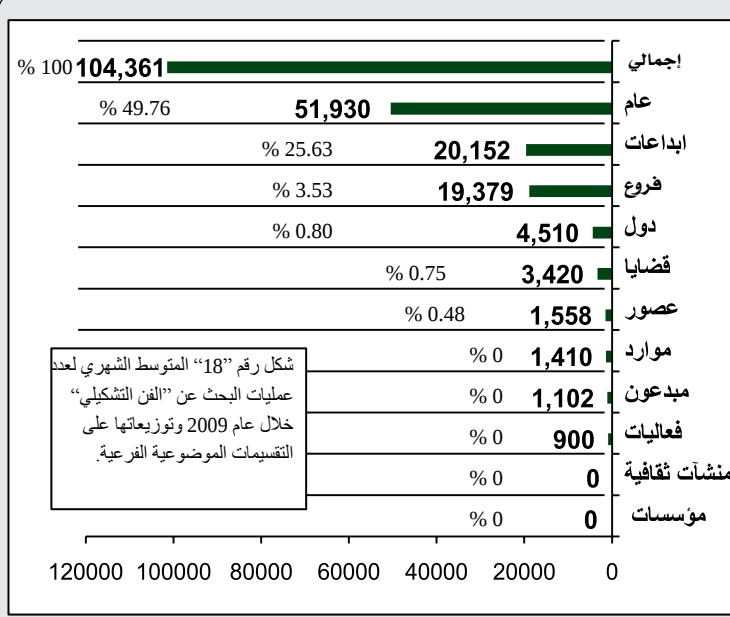
وتوزع النصف الثاني من عمليات البحث بصورة متوازنة نوعاً ما، حيث ذهبت 20 ألفاً و152 عملية بحث في المتوسط شهرياً تمثل 19.3 % للبحث عن لوحات ورسوم وإبداعات تشكيلة مختلفة، وضمت قائمة البحث في هذا المسار أربع كلمات بحث هي صور الفن التشكيلي وصور فنان تشكيلي ولوحات من الفن التشكيلي وروائع الفن التشكيلي وعالم الفن التشكيلي، كما استهدفت 19 ألفاً و379 عملية بحث التواصل مع فروع الفن التشكيلي المختلفة، وضمت قائمة البحث في هذا المسار 11 كلمة بحث تصدرتها كلمات البحث التي سعى أصحابها للتواصل مع فن النحت وتلاه فن الخط ثم فن التصميم والزخرفة والديكوباج والفن الشعبي والمكرمية...إلخ.

استمرت حالة التوازن في البحث لتمنح الساعين للاستهلاك والتواصل مع الفن التشكيلي للدول والمجتمعات المختلفة 4.32 % من عمليات البحث، وجاء في قائمة هذا النوع من البحث 18 فناً تشكيليًا تابعاً لبلدان ومجتمعات مختلفة، وتصدرتها عمليات البحث التي سعت للتواصل مع الفن التشكيلي العراقي، ثم المصري ثم الفلسطيني فالعربي ثم العربي بصفة عامة فالسوري فالسعودي...إلخ.

وبعد ذلك جاء من يرغبون في الاستهلاك والتواصل مع قضايا الفن التشكيلي المثارة على الساحة وطلبوا استهلاكها والتواصل

لم يختلف حال الفن التشكيلي في الفضاء الرقمي عنه في الواقع الفعلي، فمثلاً هو فن للخاصة ولشريحة ضيقة في المجتمع الواقعي، كان كذلك بالنسبة للاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي عبر الإنترنت، فقد هبط متوسط عدد عمليات البحث الخاصة به إلى 104 آلاف و361 عملية في المتوسط شهرياً كما يوضح الشكل رقم "18". لكن على الرغم من الضالة الشديدة في الرقم الإجمالي، إلا أن توزيعاته على مسارات الاستهلاك والتواصل المختلفة كانت أكثر انتظاماً وتنسيقاً وتوازناً، فعلى الرغم من أن عمليات البحث التي تمت بالكلمات العامة غير المحددة احتلت المركز الأول، فإنها لم تحصل إلا على 51 ألفاً و930 عملية بحث تشكل 49.76 %، أي ما يناهز النصف فقط، عكس عمليات البحث العامة التي تسيدت معظم المسارات السابقة بنسب

شكل رقم 18



القيام بدور فعال في التواصل الرقمي في الفن التشكيلي، أما عدد من يقومون بتوظيفها ومدى انتشارهم في مجتمع ما ف قضية لا تقل من الإمكانات الكامنة في الإنترنت كوسيط تفاعلي تواصل.

18 - التواصل والاستهلاك الرقمي عبر المنتديات الثقافية

أبرز ما يمكن ملاحظته في مسار الاستهلاك والتواصل الرقمي مع المنتديات الثقافية أن عمليات البحث الخاصة بها ركزت على مسارين فقط وأهملت الباقي، واللافت أيضاً أن البحث بالكلمات العامة كان من بين المسارات المهمة التي كان نصيبها من عمليات البحث صفراً، وهي المرة الوحيدة التي ظهر فيها مسار البحث بالكلمات العامة بقيمة صفر في العشرين فرعاً من فروع الثقافة التي جرى رصدها وتحليلها خلال الدراسة.

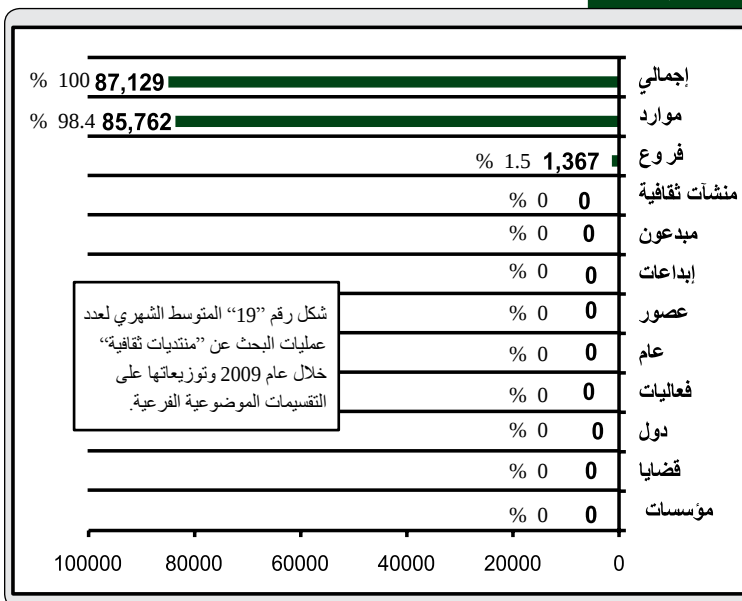
وقد تركزت عمليات البحث في طلب منتديات ذات فروع أو تخصصات معينة، وكما

معها رقمياً، وضمت قائمة القضايا المطلوبة في هذا الصدد 15 قضية منها معنى الفن التشكيلي ومدارسه وتاريخه وأنواعه والزمن في الفن التشكيلي والتجريد في الفن التشكيلي والملمس في الفن التشكيلي والسيرالية في الفن التشكيلي وغيرها.

كان هناك أيضاً من يبحث عن الاستهلاك والتواصل مع عصور معينة من الفن التشكيلي، وسجل هؤلاء 1558 عملية بحث في المتوسط شهرياً، بنسبة 1.49 % من إجمالي عمليات البحث في هذا الفن أو الفرع الثقافي، وضمت قائمة البحث في هذا المسار عمليات بحث حول الفن التشكيلي الإسلامي والفن التشكيلي القديم والفن التشكيلي الحديث والمعاصر، وكان هناك 1102 عملية بحث شهرياً تبحث عن المبدعين التشكيليين، وحاولت هذه العمليات استهلاك أعمال والتواصل رقمياً مع الفنانين محمد ناجي وأنور سونيا ومحمد سعود ومحمد السليم ومحمد خدة وبيكاسو وغيرهم، وأخيراً كان هناك 900 عملية بحث في المتوسط شهرياً يسعى أصحابها للتواصل رقمياً مع الفعاليات الخاصة بالفن التشكيلي وتحديدًا معارض الفن التشكيلي في العالم العربي، أما مسار المنشآت العاملة في مجال الفن التشكيلي وكذلك المؤسسات الرسمية المعنية به فلم تحظ بأي رغبة في التواصل معها.

ويعكس التوازن السابق في توزيع عمليات البحث على مسارات التواصل المختلفة تعدداً في مهارات شريحة مستخدمي الإنترنت التي أبدت اهتماماً بهذا الفرع الثقافي، كما يعكس ارتفاعاً في اهتماماتها ووعيها بالإمكانات التي يمكن أن تقدمها الإنترنت كقناة للتواصل مع الفن الذي يحبونه ويتابعونه، وينهض هذا دليلاً على أن الإنترنت قادرة بالفعل على

شكل رقم 19



عزوف وتجاهل جماهيري عام

تعكس هذه الأرقام عزوفاً عارماً من قبل جمهور الإنترنت عن استخدام المنتديات الثقافية الافتراضية كوسيلة للاستهلاك والتواصل الثقافي، هذا فضلاً عن أن مفهوم المنتديات والصالونات الثقافية في العالم العربي لدى جمهور الإنترنت ينصرف فقط إلى المنتديات الثقافية الرقمية على الشبكة ولا يأخذ في حسابه الصالونات الثقافية الفكرية التي تجري فعاليتها وأنشطتها في الواقع الفعلي، إذ لم ترد عملية بحث واحدة تسعى للسؤال أو التواصل مع أي منتدى أو صالون ثقافي عربي يتم في الواقع الفعلي، ولعل هذا ما يفسر الإهمال المطلق من جانب جمهور الإنترنت لبقية مسارات التواصل التسعة الأخرى التي لم يحظ أي منها ولو بعملية بحث واحدة، وكان نصيبها جميعاً صفراً.

19 - الاستهلاك والتواصل الرقمي مع معارض الكتب

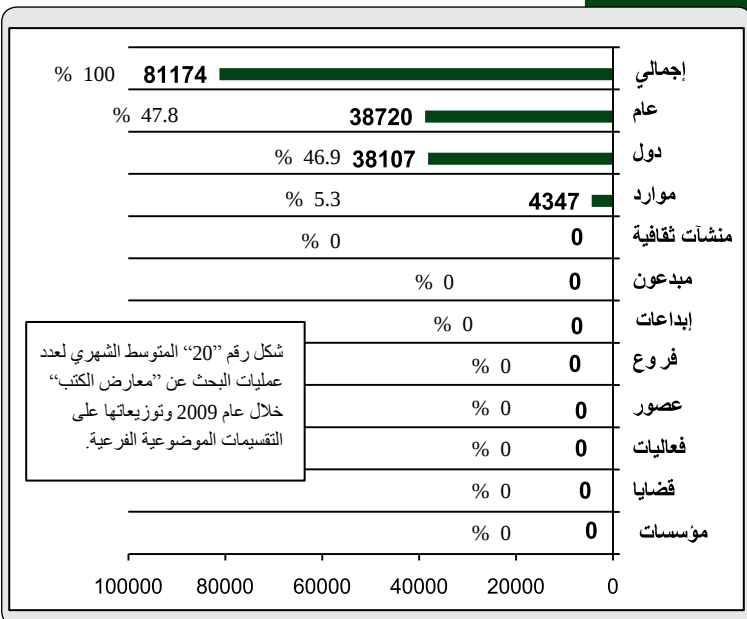
تكمل حالة الاستهلاك والتواصل مع معارض الكتب رقمياً الصورة البائسة التي بدت عليها قضية النشر، إن لم تكن أشد منها بؤساً، وإذا ترجمنا هذه السمة إلى أرقام سنجد أن إجمالي عمليات البحث عن معارض الكتب تبلغ 81 ألفاً و174 عملية بحث في المتوسط شهرياً كما يشير الشكل رقم "20"، منها 38 ألفاً و720 عملية بواقع 47.8% موجهة للبحث بالكلمات العامة، وتضم قائمة البحث في هذه العمليات 19 كلمة بحث من نوع "معرض الكتاب، معرض الكتاب الدولي، معرض الكتب، معرض كتاب، معرض الكتاب العربي، معرض كتاب الطفل... إلخ"، أما عمليات البحث التي استهدفت الاستهلاك والتواصل مع المعارض على أساس الدولة المنظمة أو المضيئة فحازت على 38 ألفاً و107 عملية بحث تشكل 46.9%

هو واضح في الشكل رقم "19"، استحوذت على 85 ألفاً و762 عملية بحث في المتوسط شهرياً تشكل 98.4% من إجمالي عمليات البحث في المنتديات، وتضمنت قائمة البحث 12 تخصصاً أو فرعاً من المنتديات الثقافية، تصدرتها منتديات الأدب أولاً، يليها المنتديات التاريخية، فمنتديات التعليم، ثم منتديات الثقافة العامة، ومنتديات الدين، فالسياسة، فالشباب، فمنتديات الصحف ثم المنتديات العلمية فالفنية وأخيراً منتديات القانون ومنتديات الكتب.

أما البقية الباقية من عمليات البحث والتي تمثل 1.5% وتضمنت 1367 عملية بحث في المتوسط فقد ركز أصحابها على الاستهلاك والتواصل مع مواقع ومنتديات بعينها وبالاسم رأوا أنها تعمل كموارد معرفية وموارد للمعلومات وقنوات للتواصل الفروع المختلفة من المنتديات الثقافية، وتضمنت المنتديات الثقافية التالية "منابر، رذاذ، الهادي، فرسان، الحرف، همسات، المصباح، سندباد".

أهم خمسة معارض عربية للكتب الأكثر بحثاً على شبكة الإنترنت هي معرض القاهرة يليه معرض الرياض ثم معرض الشارقة ومعرض طرابلس ثم معرض الدوحة. وكل هذه المعارض تسجل إجمالاً رقماً ضئيلاً في عمليات البحث الإلكتروني مقارنة بغيرها من الاهتمامات..

شكل رقم 20



أكبر 10 معارض للكتب مطلوبة للاستهلاك رقمياً طبقاً لمتوسط
عمليات البحث

جدول رقم 18

المتوسط عمليات البحث	المعرض
12474	معرض القاهرة الدولي للكتاب
9745	معرض الرياض الدولي للكتاب
5580	معرض الشارقة الدولي للكتاب
2161	معرض طرابلس الدولي للكتاب
1508	معرض الدوحة الدولي للكتاب
1437	معرض الكويت الدولي للكتاب
1081	معرض أبوظبي الدولي للكتاب
858	معرض مسقط الدولي للكتاب
849	معرض البحرين الدولي للكتاب
748	معرض بيروت الدولي للكتاب

من إجمالي عمليات البحث، وتضم قائمة كلمات البحث المستخدمة فيها 18 كلمة بحث هي في الوقت نفسه أسماء 18 معرضاً للكتاب في الدول العربية وبعض الدول الأجنبية، ويتصدرها **معرض القاهرة الدولي للكتاب** ثم **معرض الرياض** ثم **معرض الشارقة** ثم **معرض طرابلس**. "أنظر الجدول رقم 18".

وفي النهاية تأتي عمليات البحث الخاصة بالرغبة في الاستهلاك والتواصل مع الموارد المختلفة، وهذه كان نصيبها 4347 عملية بحث في المتوسط، توجهت قائمة مكونة من سبع جمل بحثية تتعلق بمواعيد معارض الكتب والتقارير المنشورة عنها وعناوين مواقعها والكتب المعروضة فيها وجدول فعالياتها.

بؤس رقمي لمعارض الكتب

تطلق هذه الأرقام بسمة البؤس التي تحدثنا عنها، فمتوسط عدد عمليات البحث ضئيل للغاية، وتوزيعها على المسارات ينحو أكثر نحو البحث بالكلمات العامة، وإن كان هناك بعض من حياة فموجود في ما يتعلق بالتواصل مع المعارض على مستوى الدول والأقطار المختلفة، كاستجابة لطبيعة المعارض الوطنية في كل دولة على حدة، وفي البحث عن مواقع تعمل كموارد للمعارف والخدمات والمعلومات عن المعارض، لكن هناك تجاهلاً تاماً للبحث المتخصص الذي يرغب في التواصل مع كل معرض بحسب الفرع الذي يتخصص فيه، وتجاهلاً تاماً للفعاليات والجهات الرسمية وجهات القطاع الخاص القائمة على صناعة المعارض والقضايا التي تهتم صناعة المعارض وفعاليتها الداخلية، وهو وضع يعكس ضحالة شديدة في استخدام الإنترنت كوسيط للتواصل رقمياً مع معارض الكتب، وفي الغالب يعود ذلك إلى إن إدارات المعارض والقائمين عليها في العالم العربي لم

يتنبهوا بعد وبما فيه الكفاية لما تحمله الإنترنت من إمكانيات في هذا الصدد والذي وصل إلى مرحلة تنظيم معارض افتراضية رقمية تتوازي يوماً بيوم وساعة بساعة مع ما يجري في المعارض على أرض الواقع، وهذا أمر يتطلب تغييراً في النظرة والتفكير وطريقة الأداء والتنظيم والتفاعل مع الجمهور، وتعتمد بصورة جوهرية على مفهوم الخدمات الإلكترونية السريعة القدرة على جذب مستخدم الشبكة إلى مواقع المعارض وصناعاتها في الفضاء الرقمي.

20 - التواصل الرقمي مع المؤسسات الثقافية

لم تزد عمليات البحث التي استهدفت الاستهلاك والتواصل مع المحتوى الثقافي الخاص بالمؤسسات المعنية بأمور الثقافة على 45 ألفاً و993 عملية بحث في المتوسط، وكما هو موضح في الشكل رقم 21. فقد توزع هذا المعدل شديد التواضع على ثلاثة من مسارات التواصل الأحد عشر، وهي عمليات البحث التي تمت باستخدام كلمات البحث العامة غير المحددة وهذه استحوذت على

مؤسسات في عزلة

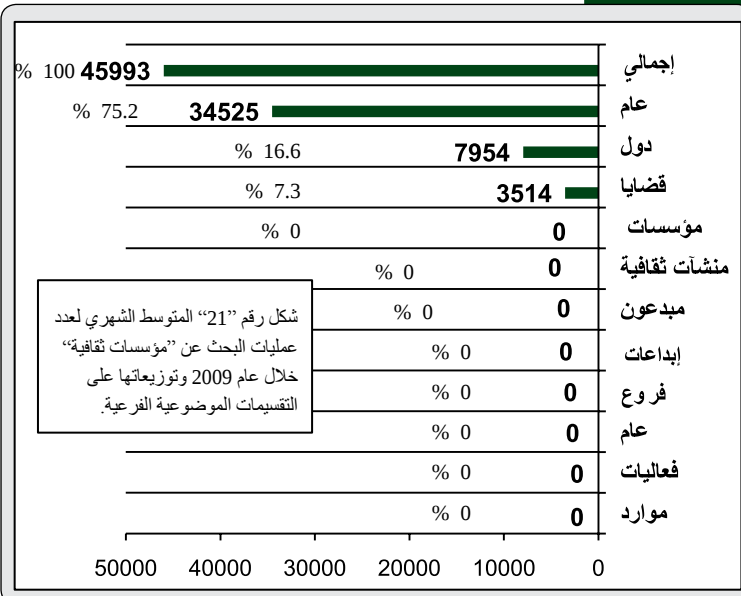
أما المسار الثاني فهو خاص بعمليات البحث التي استهدفت الاستهلاك والتواصل مع المحتوى الثقافي الخاص بمؤسسات وطنية وقطرية تابعة لبلد ما، وهذه استحوذت على 7954 عملية بحث في المتوسط شهرياً تمثل 16.6 %، واستهدفت السعي للتواصل مع وزارات الثقافة في البلدان العربية، وتضمنت قائمة المواقع جملًا بحثية وكلمات تدل على وزارات الثقافة العربية، وتصدرت القائمة وزارة الثقافة المصرية تليها السعودية ثم السورية فالعراقية إلى آخر القائمة التي انتهت بوزارة الثقافة الأردنية وتضم 22 عنصراً ما بين كلمة وجملة، والمسار الثالث فكان خاصاً بالقضايا المؤسسية وتضمن 3514 عملية بحثية في المتوسط تمثل 7.3 % واستهدفت التواصل مع 9 من القضايا المؤسسية من بينها ثقافة المؤسسة والمؤسسة كمظهر ثقافي ودور المؤسسة في التسيير... إلخ، أما باقي مسارات التواصل فكان نصيبها جميعاً صفراً. وتكشف هذه الأرقام عن أن المؤسسات المعنية بأمور الثقافة في العالم العربي معزولة في شرنقة ضيقة تفصلها عن الغالبية الساحقة من جمهور الإنترنت، وذلك بسبب ضعف حضور هذه المؤسسات على الشبكة، فضلاً عن تواضع علاقاتها مع الجمهور في الواقع الفعلي، كما تشير هذه الأرقام إلى وجود أزمة ثقة بين الجمهور والمؤسسات الثقافية جعلت الجمهور يدفع بها إلى ذيل قائمة التواصل الرقمي ويمنحها أقل القليل من عمليات البحث.

السمات العامة لاستهلاك الثقافة رقمياً وحدود انتشارها عبر الفروع الثقافية

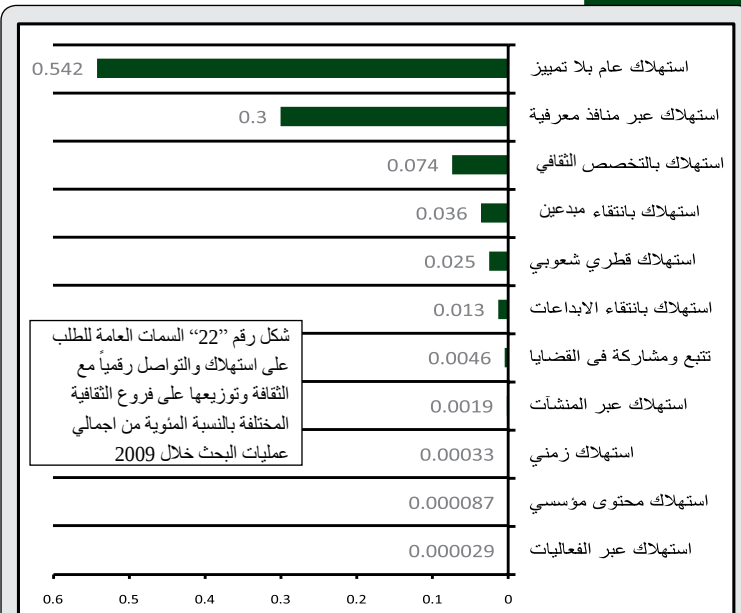
التحليلات الرأسية السابقة لا تكفي لرصد واستشراف مختلف جوانب ظاهرة استهلاك

34 ألفاً و525 عملية بنسبة 75.2 %، وضمت قائمة البحث التي احتوت على هذه الكلمات 16 عنصراً ما بين كلمة وجملة، تصدرتها كلمة "المؤسسة الثقافية، جمعية ثقافية، وزارة الثقافة، وظائف وزارة الثقافة والإعلام .. إلخ"

شكل رقم 21



شكل رقم 22



فيها كلمات عامة بلا تمييز ولا تحمل دلالة أو تصنيف بعينه، وقد شكّلت هذه الطريقة في استهلاك الثقافة السمة الأكبر التي ميزت السلوك الاستهلاكي لجمهور الإنترنت وهو يسعى للاستهلاك والتواصل رقمياً مع الثقافة بفروعها المختلفة، وقد كشفت التحليلات أن حدود انتشار هذه السمة الاستهلاكية وصلت إلى 173 مليوناً و309 آلاف و522 عملية بحث في المتوسط شهرياً، تشكّل 54 % من إجمالي المتوسط الشهري لعمليات البحث.

منتجات سهلة الاستهلاك

وقطاعياً اتخذت هذه السمة وضعية جعلتها تتركّز بالأساس في الفروع التي يغلب عليها أو يتوافر فيها ما يمكن أن تطلق عليه المنتج الثقافي القابل للاستهلاك أو الاستخدام المباشر السهل على نطاق جماهيري واسع من قبل شرائح مجتمعية مختلفة، كالأغاني والأفلام والكتب وغيرها، وتشير التحليلات إلى أنه كلما كان الفرع الثقافي أكثر غنى بهذه النوعية من المنتجات زاد فيه انتشار سمة الاستهلاك بالكلمات العامة. أما إذا كان هذا الفرع أو ذاك يقدم خدمة أو يرسم سياسة أو ينفذ خطة أو حتى يقدم منتجاً لا يحظى بجماهيرية واسعة قلّت فيه هذه السمة، وكما هو موضح في الشكل رقم "23" نلاحظ أن أكبر عمليات البحث التي تمت بكلمات عامة كانت في الأغاني ثم السينما ثم الكتب ثم الشعر فالموسيقى والصحافة والمسرح والفنون إلى آخر الفروع الثقافية العشرين والتي نجد في نهايتها فرع المنتديات الثقافية التي تختفي فيها تماماً عمليات البحث بالكلمات العامة، وعلى مستوى كلمات البحث المستخدمة نجد أن قائمة أكبر 10 كلمات بحث عامة استخدمت في الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي عام 2009 تصدرتها كلمات "أغاني،

الثقافة العربية رقمياً، لكونها توفر فقط نظرة جزئية إلى كل فرع ثقافي بمفرده.

من هنا تظل هناك حاجة ملحة للتعرف إلى السمات التي تنتشر بين الفروع الثقافية العشرين بشكل عام ومشترك، وليس هناك وسيلة لرصد هذه السمات العامة المشتركة أفضل من تتبّع الأحد عشر مساراً التي استخدمت في كل فرع ثقافي على حدة، ورصد حدود انتشارها ونطاق استخدامها عرضياً وأفقياً في كل الفروع معاً، وهو ما يكمل الصورة ويقدم نظرة كلية لظاهرة استهلاك الثقافة العربية رقمياً عبر الإنترنت. وكتمهيد لما سيتمّ تناوله في كل مسار على حدة تجدر الإشارة إلى أن توزيع هذه المسارات إجمالاً على الفروع الثقافية يدلّ على أن الاستهلاك الثقافي الرقمي الذي يتمّ بصورة عامة وبلا تمييز واستناداً إلى كلمات بحث غير محددة الدلالة يعتبر السمة الأكثر بروزاً إن لم تكن هي المتسيدة الساحة، فهذه السمة تنتشر في 54 % تقريباً من عمليات البحث التي سعت لاستهلاك الثقافة رقمياً، ويليهما سمة الاستهلاك عبر المنافذ المعرفية التي تعمل كوسيط يقود المستهلك إلى غايته النهائية، سواء كان يبحث عن فيلم أم أغنية أم قصيدة أم رواية أم قصة أم غيرها، وتتوالى بعد ذلك السمات العامة الأخرى كما هو موضح في الشكل رقم "22" الذي يعرض عدد عمليات البحث في كل سمة من السمات العامة ونسبتها المئوية من إجمالي عمليات البحث ككل، وفي ما يلي نستعرض أوضاع كل سمة عامة بهذا الجدول على حدة.

1- استهلاك ثقافي عام بلا تمييز

داخل كل فرع من فروع الثقافة العشرين السابقة ظهرت عمليات بحث استخدمت

نصف مليار عملية بحث عن الأغاني والأفلام قام بها العرب على شبكة الإنترنت خلال العام 2009 بينما لم يتجاوز البحث عن قضايا الثقافة الأخرى 386 ألف عملية بحث...

لذلك فهو يسعى إلى ما يشكّل له مورداً أو معيناً متصلاً لا ينضب من هذه المنتجات والخدمات باستمرار، من خلال ما يجمعه منها في موقع أو مكان واحد، أو ما يوفره عنها من معلومات ومعارف، وهذه الرغبة اكتسبت سمة مميزة من ضمن السمات العامة لظاهرة إنتاج واستهلاك الثقافة الرقمية العربية، وهي الاستهلاك عبر المنافذ والموارد المعرفية والثقافية، وقد وصل عدد عمليات البحث الإجمالية لهذه السمة في النشاط الاستهلاكي لجمهور الإنترنت العربي في العام 2009 إلى 523 مليوناً و730 ألفاً و48 عملية بحث في المتوسط شهرياً كما هو موضح في الشكل رقم "24"، وهذا العدد يمثل 30% من إجمالي المتوسط الشهري لعمليات البحث الكلية الخاصة بالتواصل الثقافي الرقمي العربي على

أفلام، قصص، كتاب، موسيقى، الشعر .. إلخ". أنظر الجدول رقم "19".

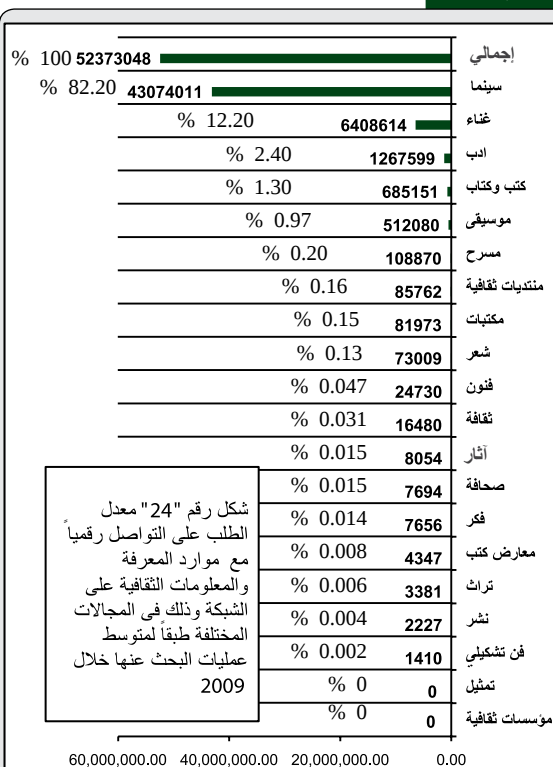
ويدفعنا هذا الأمر إلى القول بأن سمة البحث بالكلمات العامة كانت العمود الفقري لظاهرة الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي العربي على الإنترنت في العام 2009، وهو ما يدعم بعض الأفكار التي تمّ سابقاً من أن هذا التواصل كان تواصلاً استهلاكياً في معظمه، وينمّ عن قدرات بدائية أو على الأقل غير احترافية في اختيار كلمات البحث من قبل الغالبية.

2 - استهلاك عبر منافذ معرفية

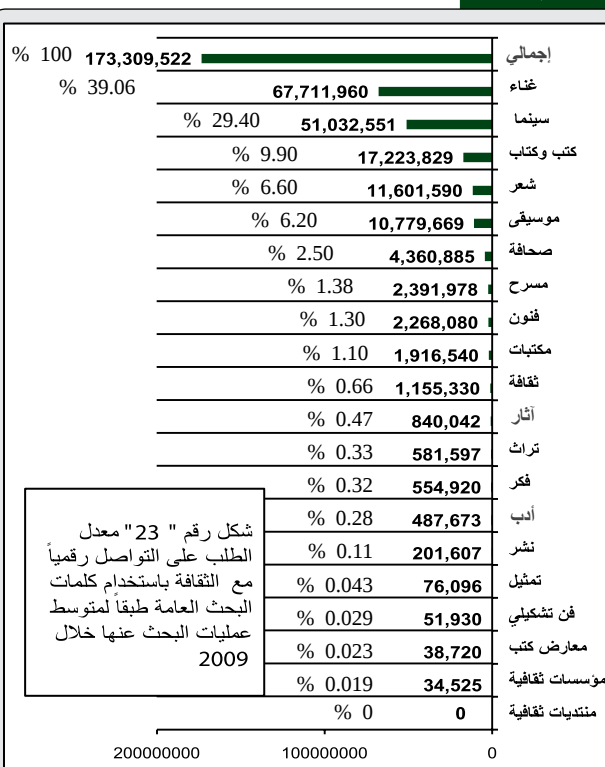
لا يكتفي الكثير من جمهور الإنترنت بأن يصل بالمصادفة أو عبر عمليات بحث عامة إلى ما يريد من منتجات أو خدمات ثقافية رقمية مختلفة،

في مجال تحميل محتويات رقمية على شبكة الإنترنت قام العرب في العام 2009 بتحميل نحو 43 مليون فيلماً وأغنية بينما قاموا بتحميل ربع مليون كتاب فقط...

شكل رقم 24



شكل رقم 23



البحث بالكلمات العامة، لكنه تحسّن نسبياً في حالة البحث عن المواقع المعنية بالموارد المعرفية، والأغلب أن مواقع أدلة المكتبات وبوابات البحث عن المكتبات والكتب هي التي شكلت إغراء أكبر للجمهور العربي لكي يسعى إلى تحقيق نوع من الاستهلاك والتواصل مع المكتبات عبر البحث في الموارد المعرفية على الشبكة.

الإنترنت، الأمر الذي جعله يأتي في المركز الثاني بعد سمة الاستهلاك العام.

السينما في المقدمة والمنتديات الأخيرة

وحيثما ننظر إلى الأرقام الخاصة بتوزيع هذه السمة على الفروع الثقافية، سنجد أن المشهد العام حدثت به تغيرات ملحوظة مقارنة بالسمة السابقة. أنظر الشكل رقم "24"، ففي سمة الاستهلاك عبر الموارد المعرفية تأتي السينما في المرتبة الأولى من حيث اعتمادها على هذه السمة وليس الغناء، وتقفز المنتديات الثقافية من المركز الأخير إلى المركز السابع، ويتفوق الأدب على الكتب، والموسيقى على المسرح، ويعزز هذه النظرة قائمة أكبر عشر كلمات بحث استهدفت موارد معرفية وثقافية لاستخدامها كخطوة للاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي طبقاً لعمليات البحث في العام 2009 كان من بينها مواقع الموسوعات والكتب، جنباً إلى جنب مع مواقع تحميل الأغاني والأفلام. أنظر جدول رقم "20".

مزيد من العمق والمهارات

وهنا نحن أمام سمة استهلاكية ترتفع فيها مهارات البحث ويتجه فيها الاستهلاك والتواصل الرقمي نحو مزيد من العمق، من خلال انتقائية ما يتم تحميله وتضييق نطاق عملية البحث نفسها لتصبح أكثر تجديداً، وهو الأمر الذي دفع بعض الفروع الثقافية التي لا تقدم منتجاً ثقافياً جماهيرياً إلى تحسين مراكزها والحصول على نسب أعلى من اهتمامات الساعين للتواصل الثقافي الرقمي، ومن ذلك على سبيل المثال التقدم الذي حققته المكتبات كمنشآت ثقافية كان السعي إليها ضئيلاً عند

أكبر 10 كلمات بحث عامة استخدمت استهلاك الثقافة رقمياً
خلال عام 2009

جدول رقم 19

الفرع	متوسط عمليات البحث
أغاني	24900000
أفلام	20400000
قصص	6120000
كتاب	3350000
موسيقى	2740000
الشعر	2740000
مجلة	1500000
مسرحية	1220000
الصحف	823000
الثقافة	368000

أكبر عشر كلمات بحث استهدفت موارد معرفية وثقافية تقود
لمنتجات قابلة للاستهلاك

جدول رقم 20

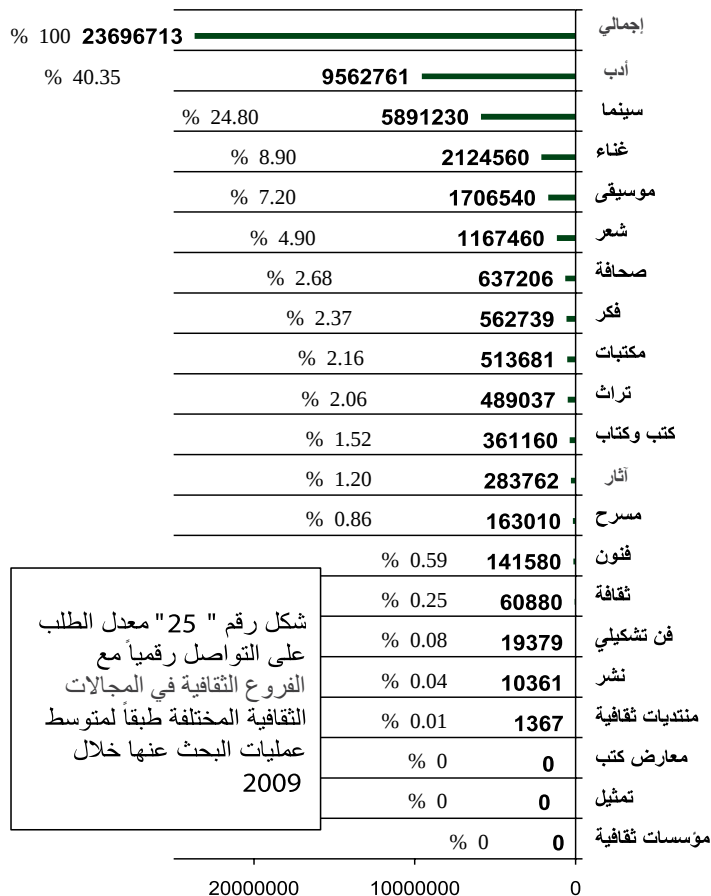
المجال	متوسط عمليات البحث
تحميل أفلام	39926200
مواقع أغاني	3350000
مشاهدة أفلام	1845680
مزيكا	1000000
كليات	823000
تحميل أغاني	673000
موسوعة	550000
موقع أفلام	301000
مواقع قصص	246000
تحميل كتب	246000

شكل رقم 25

3 - استهلاك بالتخصص الثقافي

في كل فرع من فروع الثقافة توجد فروع أخرى أكثر تخصصاً، ففي فرع الأدب مثلاً هناك (أدب الأطفال، الأدب الشعبي، أدب الرحلات، الأدب المهجري، الأدب الساخر .. إلخ)، وقد كشفت عمليات التحليل أن هناك شريحة من جمهور الإنترنت كانت تسعى حديثاً للتواصل رقمياً مع التخصصات المختلفة في فروع الثقافة.

وقد شكّل هذا الأمر سمة استهلاكية ضمن ظاهرة الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي العامة، حصلت على 23 مليوناً و696 ألفاً و713 عملية بحث في المتوسط شهرياً تشكّل 7.4% من إجمالي المتوسط الشهري لعمليات الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي، وكما يوضّح الشكل رقم "25"، كان الساعون للاستهلاك والتواصل الرقمي مع الأدب والأدباء هم الأكثر استخداماً لهذه السمة، واللافت أن فروع الأدب التخصصية استحوذت على 40% من عملياتها البحثية، ويلي هؤلاء من رغبوا في التواصل رقمياً مع السينما، ثم الغناء، فالموسيقى والشعر.



شكل رقم "25" معدل الطلب على التواصل رقمياً مع الفروع الثقافية في المجالات الثقافية المختلفة طبقاً لمتوسط عمليات البحث عنها خلال 2009

أفلام الكرتون أكبر مجال للبحث المتخصص

على صعيد الكلمات البحثية الدالة على التقسيمات التخصصية في الفروع المختلفة احتلت كلمة أفلام الكرتون - التي تنتمي إلى فرع السينما - المرتبة الأولى، تليها الكلمات الدالة على تخصص الكتاب ثم القصة القصيرة ثم الرواية وهي جميعاً تدرج تحت فرع الأدب. أنظر جدول رقم "21".

وعلى الرغم من ضآلة هذه السمة مقارنة بالسّمات السابقة فهي تحمل دلالة إيجابية نوعاً ما، وهي أن إجمالي من سعوا للاستهلاك والتواصل رقمياً مع تخصصات أدبية تمنح

أكبر 10 مجالات ثقافية أكثر تخصصاً مطلوبة للاستهلاك طبقاً لمتوسط عمليات البحث

جدول رقم 21

المجال التخصصي	متوسط عمليات البحث
أفلام كرتون	3686600
كتاب	3350000
القصة القصيرة	3028366
الرواية	2937066
كليات	823000
غناء شعبي	727990
الفكر الماركسي	550000
مقالات	550000
أغاني الريمكس	497400
الموسيقى الكلاسيكية	389580

بلغت عمليات البحث التي قام بها العرب في العام 2009 على شبكة الإنترنت عن المطرب تامر حسني ضعف عمليات البحث التي قاموا بها عن نزار قباني والمتمبني ونجيب محفوظ ومحمود درويش مجتمعين!!..

يفيد التواصل الثقافي الرقمي لدى العرب بأن السينما المصرية كانت ولا تزال في الصدارة يليها الغناء المصري ثم الموسيقى الخليجية ثم الصحافة المصرية..

إنتاجه وإبداعه، أو التواصل معه شخصياً إذا كان لا يزال حياً ولديه قنوات تواصل عبر الإنترنت من بريد إلكتروني أو مدونة أو موقع شخصي أو كان عضواً أو ضيفاً في منتدى أو له صفحة على الفيس بوك، وإجمالاً حصلت هذه السمة على 11 مليوناً و800 ألف و896 عملية بحث في المتوسط شهرياً، تشكل 3.6 % من إجمالي ظاهرة التواصل الرقمي العامة. أنظر الشكل رقم "26".

الشعراء يسبقون المطربين

واللافت بشكل خاص أن الشعراء جاؤوا في المركز الثاني بعد المطربين والمغنين، وسبقوا

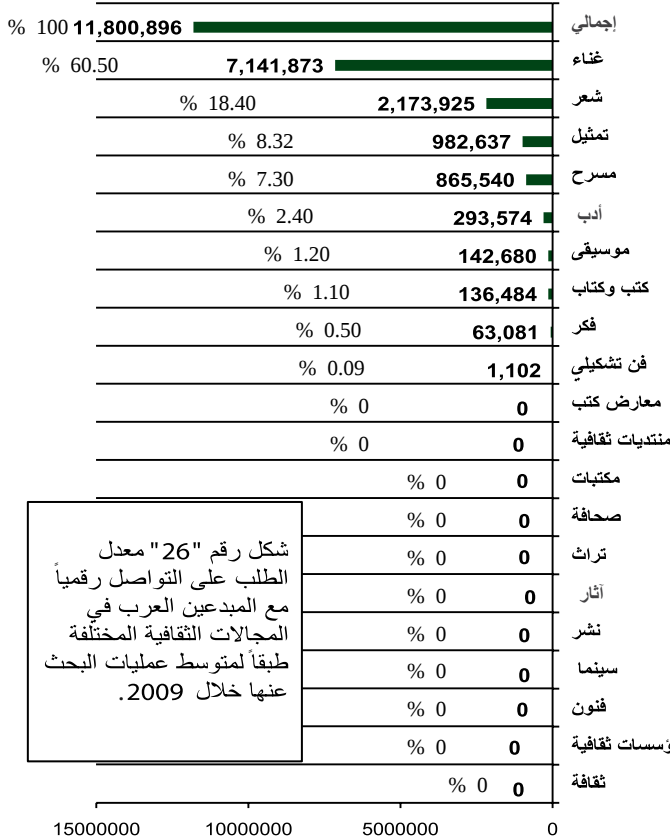
"المتعة العقلية" والذهنية من خلال القراءة والنصوص الأدبية والكتب تفوقوا - عددياً على الأقل - على إجمالي من سعوا إلى الاستهلاك والتواصل رقمياً مع تخصصات سينمائية وغنائية وموسيقية، الأمر الذي يعني أنه بمجرد تخطي حاجز الجماهيرية الواسعة بمتطلباتها الكبرى من الترفيه السريع، نلمح قدراً من التوازن في توجهات الشريحة الباقية من جمهور الإنترنت العربي، ونجد الكتاب والنص الأدبي يأخذ مكانة أفضل ويصمد أمام ترفيه الأغاني والأفلام، و لعل في ذلك إشارة إلى أنه لا تزال لدى جمهور الإنترنت العربي نواة متماسكة تسعى لما هو أعلى قيمة في الأدب وترغب في استهلاكه والتواصل معه رقمياً.

وفي المقابل تحمل هذه الأرقام دلالة سلبية في ما يتعلق برغبة الجمهور في التواصل رقمياً وتخصصياً مع فروع ثقافية كان يفترض أن تحصل على أكثر مما حصلت عليه، بحكم طبيعتها وطبيعة جمهورها، كالكتب والكتاب والمسرح والفن التشكيلي والفكر والمنديات الثقافية، ففي جميع هذه الفروع أبدى جمهور الإنترنت ميلاً ضعيفاً وأقل من المتوقع نحو التواصل رقمياً مع تخصصاتها الداخلية أو الفرعية المختلفة.

4 - استهلاك بانتقاء المبدعين

شكل الاستهلاك والتواصل مع شخص المبدع أو منتج الثقافة سمة لا يمكن تجاهلها، وفي هذه السمة سعى الجمهور للاستهلاك والتواصل مع مثقف أو مبدع أو منتج للثقافة بالاسم وبصورة محدّدة، كعمليات البحث التي استهدفت التواصل مع الشاعر نزار قباني أو الممثل عادل إمام أو الروائي نجيب محفوظ ... إلخ، وركزت على الحصول على معلومات عن المبدع أو الشخص أو تجميع كل أو بعض

شكل رقم 26



شكل رقم "26" معدل الطلب على التواصل رقمياً مع المبدعين العرب في المجالات الثقافية المختلفة طبقاً لمتوسط عمليات البحث عنها خلال 2009.

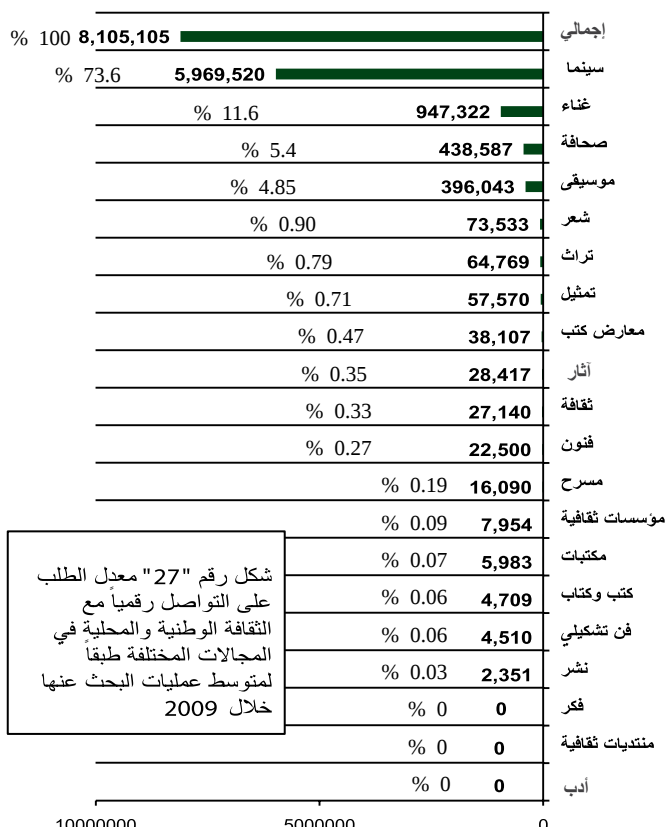
شكل رقم 27

ممثلي السينما والمسرح والتلفزيون والأدباء من حيث الرغبة في التواصل مع شخوصهم، وهذا يعطي دلالة إيجابية على أن اللغة ومبدعيها وفي مقدمتهم الشعراء لهم مكانة قوية لدى شريحة الجمهور التي تبحث عن نجوم الثقافة، فهذه الشريحة تضعهم في المرتبة الثانية، وهذا من حيث عمليات البحث الإجمالية.

تامر حسني يسبق نجيب محفوظ

على المستوى الفردي نجد أن قائمة المبدعين ومنتجي الثقافة في مختلف الفروع التي سعى الجمهور للتواصل معهم بالاسم وبصورة شخصية وفردية يتصدرها اثنان من المطربين تلاهما الشاعر الكبير نزار قباني ثم ممثل ثم مطرب ثم الشاعر المتنبّي ثم الأديب نجيب محفوظ ثم الموسيقار عمر خيرت.

وتقول لنا الأرقام السابقة أن الرغبة في الاستهلاك والتواصل رقمياً مع مبدعي ومنتجي الثقافة بشخوصهم ضئيلة للغاية في مقابل الرغبة في التواصل رقمياً مع المنتجات الثقافية، ففي مقابل أكثر من 522 مليون عملية بحث عن المنتجات والإبداعات الثقافية بالكلمات العامة، نجد ما يربو على 11 مليون عملية بحث فقط عن المبدعين ومنتجي الثقافة، واللافت أيضاً أن البحث الفردي عن المطربين والممثلين يفوق بمراحل البحث عن الأدباء والشعراء والمفكرين، و لعلّ أبرز دليل على ذلك أن متوسط عمليات البحث عن المطرب المثير للجدل **تامر حسني** تزيد على المليون عملية شهرياً، في ما يصل متوسط عمليات البحث عن **نزار قباني** و**نجيب محفوظ** ما يزيد قليلاً على 141 ألفاً و127 ألفاً على التوالي. أنظر الجدول رقم "22"، وهذه أرقام تعكس مجدداً كيف تستحوذ الرغبة النهمة للمنتج الثقافي الاستهلاكي



أكبر 10 مبدعين ومنتجين عرب طبقاً لمعدلات الطلب عليهم خلال 2009

جدول رقم 22

المبدع أو منتج الثقافة	متوسط عمليات البحث
المطرب تامر حسني	2742150
المطرب عمرو دياب	2011675
الشاعر نزار قباني	953880
الممثل عادل إمام	749600
المطرب فضل شاعر	695863
الشاعر المتنبّي	141460
الأديب نجيب محفوظ	127650
الشاعر محمد الشاعر	110000
الشاعر محمود درويش	106360
الموسيقار عمر خيرت	106100

الخليجية ثم الصحافة المصرية. "الجدول رقم 23".

تقود هذه الأرقام إلى القول بأنه على الرغم مما يُشاع عن تراجع فكرة القومية العربية على الصعيد السياسي والاقتصادي وربما الاجتماعي، والإيغال في القطرية على نحو لافت في هذه المجالات، فإن سلوك واتجاهات الباحثين عن التواصل الثقافي الرقمي عبر الإنترنت يدل على أن الثقافة بالنسبة للعرب هي في 97% من الحالات نسيج واحد يتم البحث فيه وعنه باعتباره عنصراً مشتركاً لا قُطرياً، وبالتالي فإن الوحدة الثقافية العربية لا تزال تشكل توجهها غالباً وكاسحاً لدى الغالبية الساحقة من جمهور الإنترنت في العام 2009، على اعتبار أن هذا الجمهور بحث عن الثقافة ومنتجاتها ومبدعيها وفروعها العامة والتخصصية باعتبارها ثقافة عربية لا قُطرية أو وطنية أو محلية، إلا في بعض الحالات التي ينتشر فيها الإنتاج الثقافي لبلد ما ويغلب على غيره لدى الساعين للاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي، مثلما هو الحال مع السينما والغناء المصري، والموسيقى الخليجية.

أكبر 10 ثقافات وطنية مطلوبة للاستهلاك طبقاً لعمليات البحث في 2009

جدول رقم 23

الثقافة الوطنية	متوسط عمليات البحث
سينما مصرية	700800
غناء مصري	612501
موسيقى خليجية	197060
الصحف المصرية	186098
سينما لبنانية	95140
الصحف السودانية	81242
سينما كويتية	39390
غناء سوداني	32010
الصحف السعودية	30961
الاثار المصرية	23482

على عقول وتوجهات غالبية جمهور الإنترنت العربي، وهي صورة لا تختلف كثيراً عما يحدث في الواقع الفعلي خارج الإنترنت.

5 - استهلاك شعوبي وقطري

كانت هناك نسبة من عمليات البحث قصد أصحابها من ورائها التواصل مع عناصر أو مفردات ثقافية تابعة لدولة عربية بعينها، أي كان القصد التواصل مع ثقافة دولة أو مجتمع ما أولاً وليس التواصل مع مثقف أو منتج ثقافي بعينه، كالبحث عن التراث المصري والشعر السعودي والرواية السورية... إلخ، وقد شكلت هذه النوعية سمة تنتمي إلى فئة السمات ضئيلة الحضور والحجم، فهي لم تمثل سوى 2.5% من إجمالي متوسط عمليات البحث عموماً، لأن متوسط عمليات البحث الشهرية عن الثقافات الوطنية والقطرية بلغ 8 ملايين و105 آلاف و105 عملية، كان من بينها 5 ملايين و969 و520 عملية بحث أصحابها يرغبون في التواصل مع السينمات العربية المختلفة أي أن ما يزيد على 73% من عمليات البحث القطرية كانت مركزة في مجال السينما. أما النسبة القليلة الباقية فموزعة على 16 فرعاً ثقافياً بكميات ضئيلة لا يعتد بها، في ما خلا فرعان ثقافيان من أي عمليات بحث قُطرية تماماً، وتلى السينما الغناء فالصحافة فالموسيقى فالشعر والتراث والتمثيل ومعارض الكتب والآثار والثقافة وغيرها. أنظر الشكل رقم "27".

"السينما المصرية" أكبر كلمة بحث قُطرية

أما قائمة كلمات البحث القُطرية والوطنية الأكثر استخداماً في الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي كانت السينما المصرية في الصدارة يليها الغناء المصري ثم الموسيقى

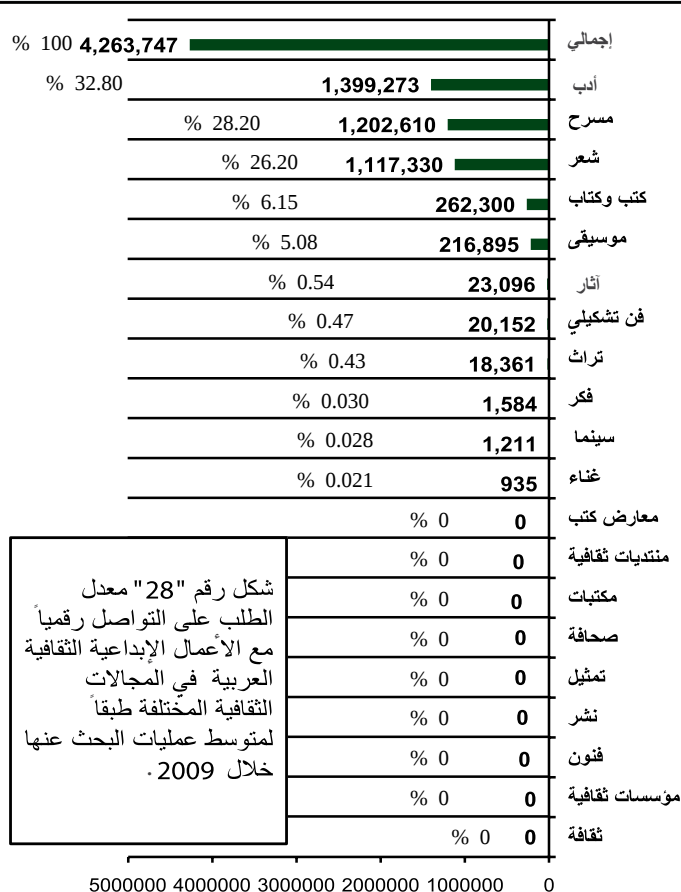
شكل رقم 28

6 - استهلاك بانتقاء الإبداعات

عبر مختلف العصور وفي مختلف الثقافات كانت هناك دوماً أعمال إبداعية تمثل علامات أو ربما مقاصد يسعى إليها جمهور الثقافة والساعين إلى الاستهلاك والتواصل الثقافي، وظاهرة الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي لم تكن استثناء من ذلك، فقد كشفت التحليلات عن نسبة من عمليات البحث التي قام بها جمهور الإنترنت العربي خلال العام 2009 خصّصها أصحابها للتواصل مع منتجات ثقافية وإبداعية محددة بالاسم كطلب البحث عن فيلم بالاسم، أو رواية بالاسم أو مسرحية بالاسم وأغنية بالاسم إلى غير ذلك، وقد شكّلت هذه النوعية من عمليات البحث سمة مستقلة وإن كانت متواضعة، فنسبتها لم تتعد 1.3% من إجمالي عمليات البحث، ومن حيث العدد وصل متوسط البحث عن الإبداعات أربعة ملايين و263 ألفاً و747 عملية بحث في المتوسط شهرياً.

وقد احتلّ الأدب قائمة الفروع الثقافية العشرين من حيث البحث عن أعمال إبداعية بالاسم، وفي المركز الثاني جاء المسرح وفي المرتبة الثالثة جاء الشعر، في حين تتهجرت السينما إلى المركز العاشر والغناء للمركز الحادي عشر، بمعدلات بحث لا تكاد تذكر، وتقدّمت فروع أخرى لطالما احتلت المؤخرة في الكثير من الأحوال مثل الفن التشكيلي والكتاب والكتب والآثار والتراث. أنظر الشكل رقم "28".

وقد انعكس هذا التوجه العام نحو السعي للتواصل رقمياً مع بعض النصوص الأدبية أو الشعرية بالاسم على عمليات البحث الفردية التي جرت على هذه الإبداعات وغيرها، حيث اتضح أن قائمة أكبر 10 أعمال إبداعية ثقافية عربية مطلوبة للاستهلاك طبقاً لمعدلات البحث في العام 2009 تضم أربع مسرحيات ورواية وقصيدة شعر وأربعة كتب. أنظر الجدول رقم "24".

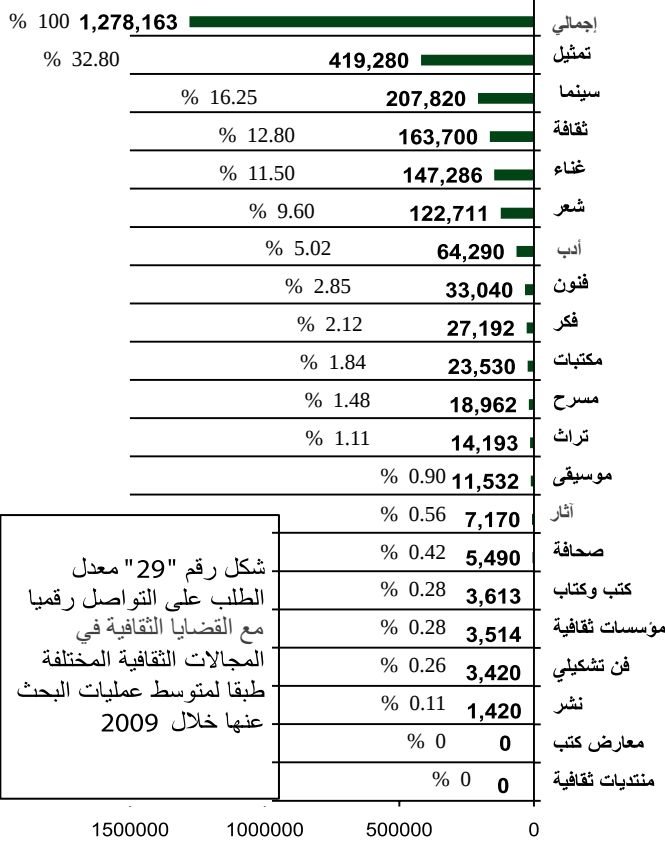


أكبر 10 أعمال إبداعية ثقافية عربية مطلوبة للاستهلاك طبقاً لمعدلات البحث في 2009

جدول رقم 24

العمل الإبداعي	متوسط عمليات البحث
مسرحية مدرسة المشاغبين	431500
مسرحية اللعب	135000
رواية التوحيد	135000
مسرحية العيال كبرت	117880
كتاب الجامع	110000
كتاب شمس المعارف	74000
مسرحية الواد سيد الشغال	72020
كتاب صحيح البخاري	60500
قصيدة محمد	49500
كتاب لسان العرب	40500

شكل رقم 29



النصوص الأدبية المكتوبة "على العرش"

في هذه السمة نحن أمام سلوك أو توجه من قبل شريحة من الجمهور يؤكد أن النصوص الثقافية المكتوبة من روايات وقصائد شعر وقصص وكتب لا يزال لها اعتبارها و"على العرش" كإبداعات ثقافية تطلب بالاسم ويسعى إليها مريدوها الذين يرون في الإنترنت وسيلة للتواصل معها والوصول إليها رقمياً، ليس هذا فحسب وإنما عند البحث عن إبداع ثقافي بالاسم فإن النصوص المكتوبة لا تزال قادرة على أن تجعل الأعمال المسموعة والمرئية تتراجع بصورة واضحة، مفسحة المجال للنصوص المكتوبة حتى وإن اتخذت صورة رقمية قابلة للتداول عبر الإنترنت.

7 - استهلاك بتتبع القضايا والمشاركة فيها

امتدت ظاهرة الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي لتشمل رغبة البعض في استخدام الإنترنت كوسيلة لتتبع القضايا الثقافية والمشاركة فيها، ولو على مستوى الحصول على معلومات تقود إلى تكوين رأي أو متابعة ما ينشر ويقال عن هذه القضية أو تلك، فعلى سبيل المثال تحت الكلمة المفتاحية "ثقافة" كان الذين اهتموا بها يبحثون عن قضايا ثقافية من نوع "بناء الثقافة، إدارة الثقافة، دور الثقافة، التنمية الثقافية، خصائص الثقافة، صناعة الثقافة .. إلخ".

إعداد الممثل على قمة القضايا الثقافية

في هذه السمة وجدنا أن هناك مليوناً و278 ألفاً و163 عملية بحث تصدر في المتوسط شهرياً تمثل 0.46 % من إجمالي البحث عن القضايا عموماً، ويستهدف أصحابها التواصل مع القضايا الثقافية المثارة في هذا الفرع الثقافي أو

أكبر 10 قضايا ثقافية طلبها الجمهور العربي طبقاً لمعدلات البحث في 2009

جدول رقم 25

القضية	متوسط عمليات البحث
اعداد الممثل	303490
أغاني أفلام	114500
التمثيل المسرحي	90500
الثقافة	74000
شرح قصيدة	74000
كلمات أغاني	67100
ترجمة أفلام	40500
بناء الثقافة	23880
تلخيص قصة	18100
تعلم فن	18000

الاهتمام الأكبر بالقضايا الثقافية منصباً على كيف يصبح الإنسان ممثلاً أو مطرباً، في ما القضايا الأخرى مهملة أو لا يتم الالتفات إليها أصلاً.

8 - استهلاك عبر المنشآت

هل هناك منشآت ودور ثقافية في العالم العربي محددة بالاسم - كمسارح ودور سينما ومتاحف ومكتبات عامة .. إلخ - لها نصيب من ظاهرة الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي؟.. الإجابة: نعم وهذه تشكل سمة من سمات ظاهرة استهلاك الثقافة، لكنها سمة ظهرت خافتة وعلى استحياء شديد، فمتوسط عمليات البحث التي سعى من خلالها أصحابها للاستهلاك والتواصل مع منشآت ثقافية محدّدة يبلغ 633 ألفاً و804 عمليات بحث فقط في المتوسط شهرياً.

المكتبات أولى المؤسّسات المطلوبة

في هذا الصدد تحتل المكتبات مركز الصدارة وتستحوذ على 60.4 % من هذا الرقم، تليها الآثار ثم السينما ثم المسرح ثم الصحافة وفي ما عدا ذلك لم يبد الجمهور أي اهتمام بالتواصل مع المنشآت الثقافية في الفروع الأخرى وأعطاهها صفراً، أنظر شكل رقم "30". وهو أمر غير مقبول بالطبع في العديد من الفروع الثقافية وفي مقدمتها معارض الكتب والموسيقى والتراث والفن التشكيلي، ففي هذه الفروع توجد الكثير من المنشآت الثقافية التي يفترض أن يكون بينها وبين الجمهور نوع من التواصل والاهتمام حتى وإن كان بدرجة ضئيلة.

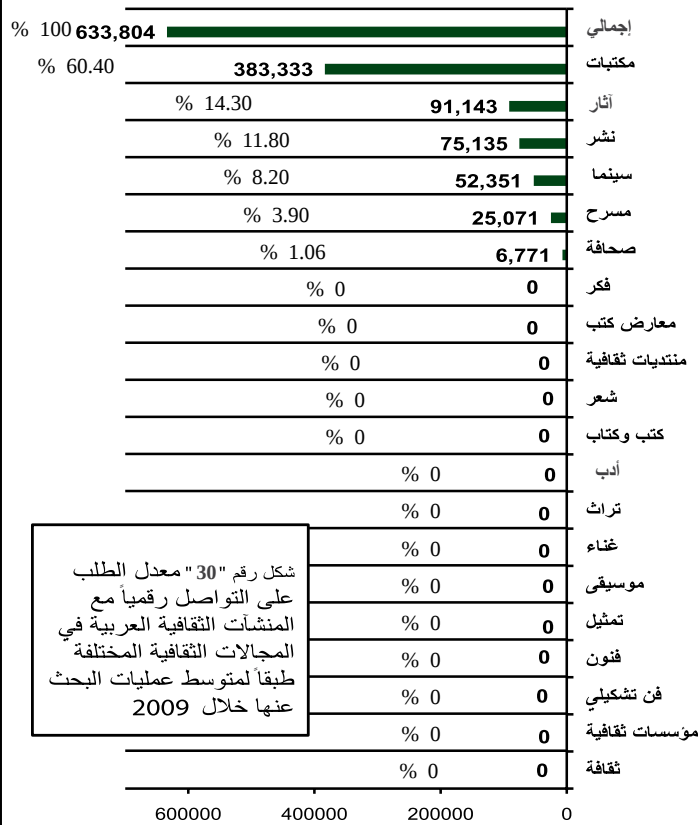
هذا على مستوى البحث الإجمالي داخل هذه السمة، ولو أخذنا المنشآت الثقافية على المستوى الفردي سنجد أن قائمة أكبر عشر منشآت

ذاك، وقد احتلت قضايا التمثيل المركز الأول ثم السينما ثم الغناء ثم قضايا الشعر والأدب، ويحتل التمثيل مركز الصدارة بفارق كبير عما سواه، فهو يشكّل وحده حوالى ثلث عمليات البحث عن القضايا الثقافية بشكل عام أنظر شكل رقم "29".

أما قائمة أكبر عشر قضايا ثقافية تابعها وسعى جمهور الإنترنت العربي لاستهلاكها والتواصل معها رقمياً في العام 2009 تكوّنت من قضية "إعداد الممثل، أغاني الأفلام، التمثيل المسرحي، الثقافة، شرح قصيدة، كلمات أغاني ... إلخ. أنظر الجدول رقم "25".

واللافت - وربما المؤسف - في هذه السمة أن ضآلة عمليات البحث التي اهتمت بالتواصل مع القضايا الثقافية لم تكن هي النقيصة الوحيدة بها، بل توزيعها على الفروع الثقافية المختلفة كان هو النقيصة الأكبر، فقد انصرف اهتمام جمهور هذه السمة إلى قضايا التمثيل والغناء بالأساس وأهمل القضايا الجادة والمهمة والمصيرية في مجال الثقافة والفكر والقضايا المتخصصة ذات القيمة الأدبية والفكرية التي تعلي من استخدام العقل وتحث على المتابعة وتوسيع الأفق والاطلاع، ولو راجعنا الأرقام الخاصة بهذه القضايا سنجد أن متوسط عمليات البحث التي يسعى أصحابها لمتابعة قضايا التمثيل عموماً يبلغ 419 ألفاً و280 عملية بحث في المتوسط شهرياً، أما متوسط عدد عمليات البحث التي يسعى أصحابها للتواصل مع قضية إعداد الممثل فيبلغ 303 آلاف و490 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وإذا علمنا أن الرقم الأول يمثل 32.8 % من إجمالي عمليات البحث عن القضايا الثقافية، فهذا معناه أن أكثر من ربع من يسعون للتواصل مع القضايا الثقافية يسعون بالأساس للتعرف إلى كيفية إعداد الممثل أو كيف يصبح الإنسان ممثلاً، ولعله من الأمور المقلقة أن يكون

شكل رقم 30



مطلوبة للاستهلاك الثقافي تضم متاحف ودور نشر ومسارح ودور سينما ويتقدمها المتحف المصري، ومن اللافت في هذه القائمة هو تنوعها على العديد من المنشآت الثقافية العاملة في فروع ثقافية متنوعة والتقارب الواضح في مستوى الاهتمام بالعديد منها، كما هو الحال في أالفارق بين المتحف المصري ومسرح القصبية. أنظر الجدول رقم "26".

قبول مبدئي بالتواصل مع المنشآت الثقافية

وتشير هذه الأرقام والنتائج إلى أن جمهور الإنترنت العربي يقبل مبدئياً بفكرة التواصل الرقمي مع المنشآت الثقافية، ومقتنع بأن الإنترنت تصلح قناة لتفعيل هذا التواصل المنشود، ومن دلائل ذلك أنه سعى إلى الكثير من هذه المنشآت رقمياً، وحاول الوصول إليها أملاً في خدمات يتوقعها أو معلومات يبحث عنها، ويحثاً عن أداء جديد يناسب ما يوفره العصر الرقمي من تسهيلات لمن يبحث عن الثقافة ومنتجاتها وخدماتها المقدمة بهذه المنشآت، لكن من الواضح أن المنشآت نفسها ليست معدة أو مهيأة بصورة كافية لهذا الدور حتى وإن كان مطلوباً من شريحة ضيقة وقليلة للغاية من جمهور الإنترنت.

9 - استهلاك على قاعدة الزمن

يمثل التراكم الزمني واحداً من الأسس التي تبني أي ثقافة من الثقافات، ومن هنا يشكل التواصل أو السعي للاستهلاك والتواصل مع الثقافة عبر العصور المختلفة وطبيعة هذا التواصل عبر العصور واحداً من الملامح المهمة في بنية الثقافة في الماضي والحاضر والمستقبل، وقد وعى عدد قليل من جمهور الإنترنت في العالم العربي هذا الجانب وهو يستهلك ويتواصل رقمياً

أكبر 10 منشآت ثقافية عربية مطلوبة للاستهلاك والتواصل طبقاً لمعدلات البحث عام 2009

جدول رقم 26

المنشأة	متوسط عمليات البحث
المتحف المصري	18654
مسرح القصبية	17081
دار التحرير للنشر	14800
متحف اللوفر	12881
دار كوم للنشر	9900
سينما البحرين	9900
دار العربي للنشر	8100
دار الكتب	8100
متحف الفن الإسلامي في قطر	6621
سينما ستار	6600

شكل رقم 31

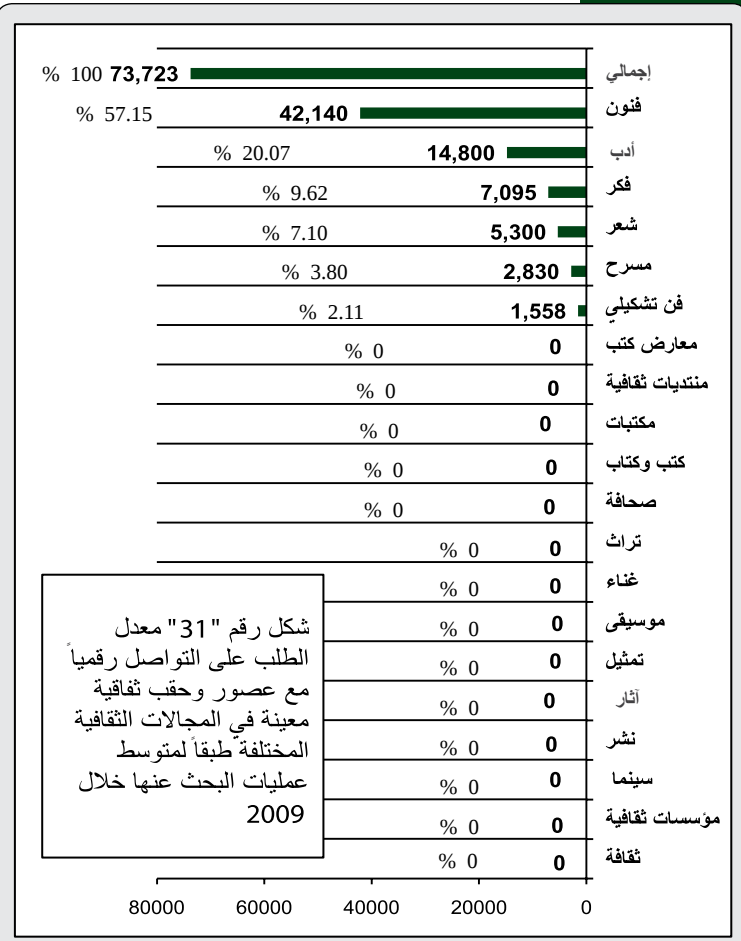
مع الثقافة، فخصص جزءاً من عمليات البحث حاول من خلاله التواصل مع لون أو فرع ثقافي ما في عصر من العصور، كعمليات البحث التي استهدفت التواصل مع الشعر العباسي، أو الآثار القبطية المصرية، أو المسرح اليوناني والأدب في العصر الأموي ... إلخ".

الفن الإسلامي مطلوب قبل غيره

وقد كشفت التحليلات عن أن هذه السمة في الاستهلاك والتواصل الثقافي رقمياً حظيت بعمليات بحث بلغت في المتوسط 73 ألفاً و723 عملية في المتوسط شهرياً، تركّز أكثر من نصفها بقليل في مجال الفنون، ثم تلى ذلك العصور الأدبية ثم العصور الفكرية ثم عصور الشعر فعصور المسرح والفن التشكيلي، وفي ما عدا ذلك لم يكتسب الجمهور للبحث عن العصور الثقافية حتى في مجالات مثل الكتب والصحافة والتراث والغناء والموسيقى والآثار والسينما والنشر. أنظر شكل رقم "31".

أما على مستوى البحث بالفترات الزمنية في مجال محدد فقد اتضح أن قائمة أكبر 10 فترات زمنية ثقافية مطلوبة للاستهلاك طبقاً لعمليات لعمليات البحث في العام 2009 تصدرتها عمليات البحث عن حقبة أو عصر الفن الإسلامي، ثم الفن القديم والأدب الحديث والفن القبطي. أنظر الجدول رقم "27".

ويلاحظ أنه في هذه القائمة المختصرة المكونة من عشرة مراكز لم تظهر عمليات بحث كبرى حول التواصل مع التاريخ الخاص بكل مجتمع أو دولة على حدة كما يبدو متوقعاً للوهلة الأولى، فمثلاً لم تظهر عمليات بحث كبرى عن أي من فروع الثقافة في العصر الفرعوني، أو ما شابه، وهنا تبرز حقيقة تدعم فكرة النظر من جانب جمهور الإنترنت إلى الثقافة في العالم العربي كنسيج واحد وليس قطبقات ذات أساس قطري

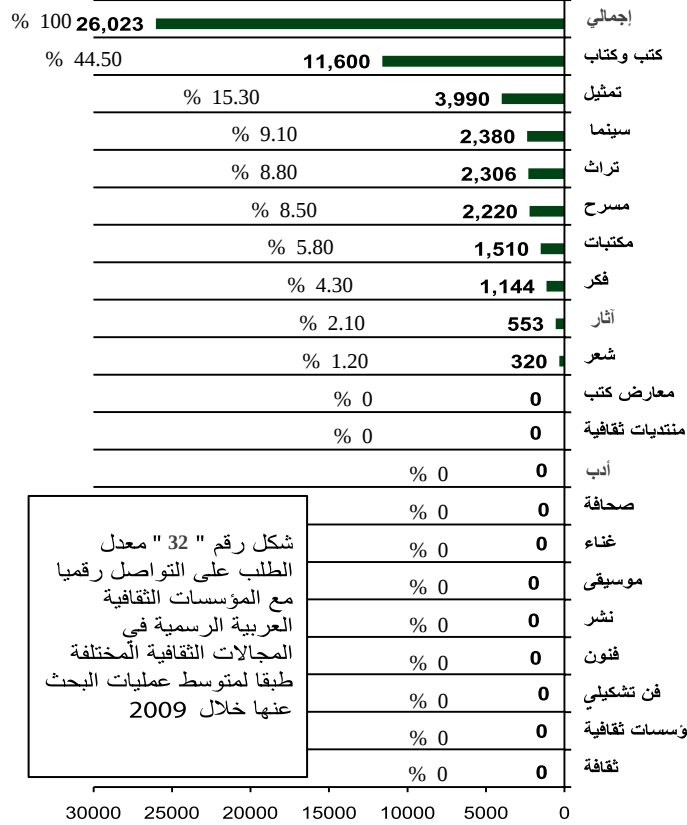


أكبر 10 فترات زمنية ثقافية مطلوبة للاستهلاك طبقاً لعمليات البحث في 2009

جدول رقم 27

العصر أو الحقبة الزمنية	متوسط عمليات البحث
الفن الإسلامي	21920
الفن القديم	5400
الأدب الحديث	5400
الفن القبطي	4600
الأدب في العصر العباسي	3280
الفن الفرعوني	3230
الفن المعاصر	2400
الأدب القديم	1900
المسرح الروماني	1600
الأدب العربي الحديث	1600

شكل رقم 32



أكبر 10 مؤسسات ثقافية عربية رسمية مطلوبة لاستهلاك والتواصل طبقاً لمعدلات البحث في 2009

جدول رقم 28

المؤسسة	متوسط عمليات البحث
دار الكتب المصرية	8100
موقع معهد التمثيل	2400
المعهد العالي للفنون المسرحية	1900
معهد السينما	1900
فرقة التراث	880
شبكة المكتبات	720
أكاديمية الفكر والإبداع	590
هيئة الآثار المصرية	480
مصر للسينما	480
بيت التراث	390

أو شعوبي، لكن ضآلة عمليات البحث في هذه السمة عموماً واختفاءها تماماً في العديد من الفروع التي كان لابد من البحث فيها يدل على ضعف كبير في تواصل الجمهور مع ماضيه الثقافي وعلى تراخ في حرصه على فهم الماضي واستيعابه كخطوة ضرورية لمعيشة الحاضر واستشراف المستقبل.

10 - استهلاك المحتوى المؤسسي

حظي المحتوى الثقافي الخاص بالمؤسسات الثقافية الرسمية والعامّة بمعدل استهلاك وتواصل رقمي مع جمهور الإنترنت يتسم بالخفوت الشديد حتى يكاد لا يُسمع له صوت، فالرقم الإجمالي لمتوسط عمليات البحث التي استهدفت التواصل مع المؤسسات الثقافية الرسمية بلغ 26 ألفاً و23 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وهو أقل مما حظيت به بعض مطربات الدرجة الثانية، واللافت أن 44.5% من هذا الرقم خصص للتواصل مع مؤسسات لها علاقة بالكتب والكتاب، والنصف الباقي توزّع على مؤسسات السينما والتراث والمسرح والمكتبات والفكر والآثار والشعر، أما المؤسسات الرسمية المعنية بمعارض الكتب والأدب والمنتديات والصحافة والنشر والموسيقى فلم تحظ بأي نوع من التواصل وكان نصيبها صفراً. أنظر الشكل رقم "32".

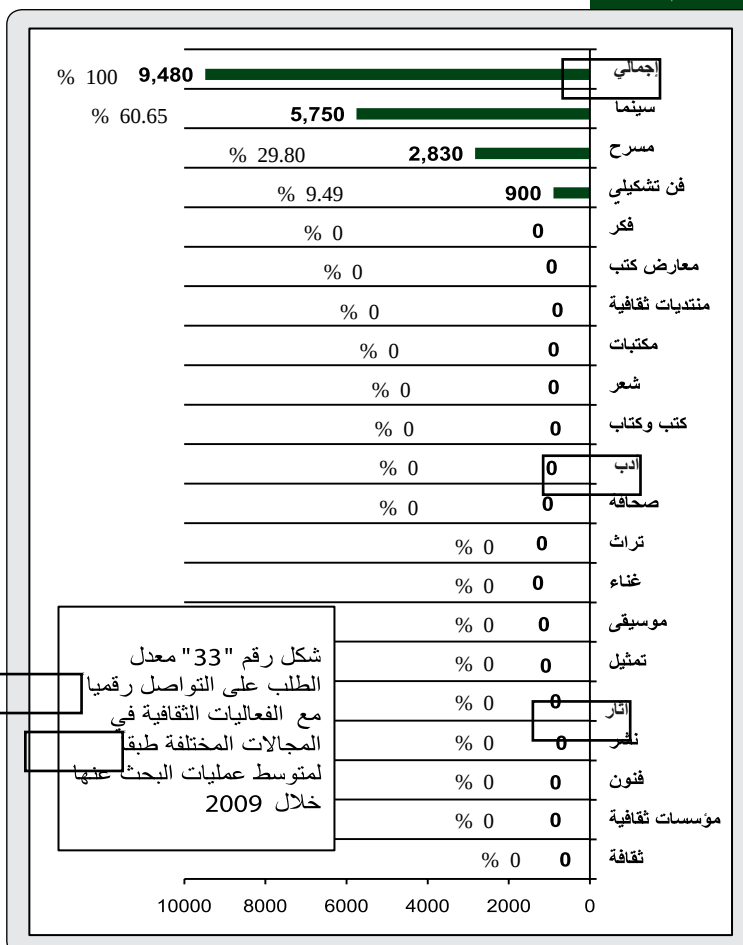
وحيثما نطالع قائمة أكبر 10 مؤسسات ثقافية عربية رسمية طبقاً لمعدلات البحث عنها في العام 2009 نجد دار الكتب المصرية ومعهد التمثيل والمعهد العالي للفنون المسرحية ومعهد السينما وفرقة التراث وشبكة المكتبات وهيئة الآثار وغيرها. أنظر الجدول رقم "28".

تواصل ضعيف بين المؤسسات والجمهور

تكشف هذه الأرقام عن وضع مؤسف للغاية،

شكل رقم 33

يتمثل في الضعف الشديد في التواصل الرقمي القائم بين المؤسسات الثقافية الرسمية والعامّة وجمهور الإنترنت، فمتوسط عمليات البحث مخجل، وتوزيعات الرقم على المؤسسات يتّضح منه إهمال 11 فرعاً ثقافياً أي أكثر من نصف فروع الثقافة التي خضعت للتحليل، وإذا ما أخذنا في الاعتبار أن جمهور الإنترنت يضمّ شريحة واسعة ممن حصلوا على درجة معقولة من التعليم ولديهم اهتمام واضح بالشأن العام، سنجد أنفسنا أمام مؤشر يدلّ على أن التواصل ضعيف بصورة واضحة بين المواطن والمؤسسات الثقافية، وهو وضع يتسم بقدر غير قليل من الخطورة، لأن الثقافة تتعامل في الأساس مع العقل والوجدان معاً على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع والأمة ككلّ، ولذلك يصبح من الضروري أن يكون هناك نوع من التواصل الجيد والمستمر والعميق بين المؤسسات الثقافية الرسمية والعامّة المنوط بها إدارة قضايا وملفات ثقافية معيّنة وتتولى مسؤولية التخطيط لتتميتها وتحسينها من جهة، والجمهور العام على مستوى المواطن الفرد أو الجماعات المحلية والمهنية والقطاعية من جهة أخرى، وإذا غاب هذا التواصل تأثرت أوضاع الثقافة سلباً بصورة حادة، ويخشى أن يكون هذا هو الحاصل بالفعل.



أكبر 10 فعاليات ثقافية مطلوبة للاستهلاك طبقاً لمعدلات البحث في 2009

جدول رقم 29

11 - استهلاك عبر الفعاليات

تعتبر الفعاليات الثقافية المختلفة هي التجسيد الحيّ الذي يتمّ من خلاله واحد من أفضل صور التواصل بين الجمهور ومنطقي الثقافة ومبدعيها ألا وهو التواصل المباشر، ففي هذه الفعاليات - كالندوات والمعارض والمهرجانات الفنية والشعرية والمؤتمرات والصالونات والتظاهرات الثقافية الأخرى - تتوفّر الفرصة للجمهور لكي يتلاقى مع

الفعاليات	متوسط عمليات البحث
مهرجان السينما	3600
مهرجان المسرح	1900
100 سنة سينما	1300
معارض الفن التشكيلي	900
عروض مسرحية	590
مواعيد السينما	590
100 سنة سينما	260
مهرجان المسرح العربي	170
يوم المسرح العالمي	170

والشريك الإيجابي" الذين تقوم بينهما علاقة على مستوى التخطيط للثقافة والتفكير لمستقبلها والتفاعل الحميم بين أطرافها.

والأرقام الأخيرة الخاصة بالفعاليات، ومعها ما سبقها من أرقام حول المنشآت والعصور والقضايا، تشير إلى أن هذه المجموعة من السمات في ظاهرة استهلاك الثقافة تعاني من حالة ضمور شديد، وهي أزمة تتوزع مسؤوليتها على منتجي الثقافة والقائمين عليها بالمؤسسات الرسمية والعامة والخاصة من جهة والجمهور نفسه من جهة أخرى، وتعبّر عن مأزق شديد ومزدوج تعيشه الثقافة في العالم العربي داخل الفضاء الرقمي في الوقت الراهن، وإن كانت مسؤولية منتجي الثقافة وتقصيرهم في التكيف مع مقتضيات الفضاء الرقمي هي الأكبر، لأنها سهّلت وضاعفت من سرعة وقوع جمهور الإنترنت العربي في فخ التقصير هو الآخر وانجرافه نحو التعامل مع الإنترنت كوسيط للاستهلاك النهم للثقافة، وليس المشاركة في صنعها وتحسينها.

استهلاك المحتوى الثقافي للقضايا العامة

عند رصد واستكشاف توجهات الجمهور نحو ظاهرة التواصل الثقافي الرقمي في العالم العربي، لا يكفي التعرض إلى الكيفية التي تواصل بها الجمهور مع الفروع الثقافية المختلفة وكيفية الاقتراب منها عبر مسارات بحثية بعينها، بل يكون من المفيد والمهم أيضاً التعرض للكيفية التي تواصل بها الجمهور وتفاعل من خلالها رقمياً مع بعض القضايا الثقافية والفكرية المهمة على الساحة العربية. وفي الجزء السابق من تحليل توجهات الجمهور تمّ تحديد مجالات للبحث تمثل في 20 فرعاً من فروع الثقافة بكلمات مفتاحية

المبدعين وجهاً لوجه وناقش ويدي رأيه ويحصل على المزيد من الفهم ويحقق تواصلاً حميماً مع القائم على الثقافة.

إقبال في ذيل الاهتمام

ومن الأسف أن إقبال جمهور الإنترنت في العالم العربي على الفعاليات الثقافية جاء في ذيل اهتمامه على الإطلاق، ومن ثم فهي تشكل سمة تكاد لا ترى في ظاهرة استهلاك الثقافة رقمياً، فالفعاليات لم تحصل إلا على 9 آلاف و480 عملية بحث في المتوسط شهرياً خلال العام 2009، تمثل 0.003 % من إجمالي متوسط عمليات البحث الخاصة بالتواصل الثقافي. أنظر الشكل رقم "33".

والأكثر مدعاة للأسف أن هذا الرقم البالغ الضالة لم يكن أمامه فرصة للظهور سوى في ثلاثة فروع فقط هي السينما والمسرح والفن التشكيلي ولم يظهر في الـ 17 فرعاً الأخرى، وفي مقدمتها معارض الكتب والشعر ومهرجاناته والصحافة بمجلاتنا وصحفها والأدب بمؤتمراته والنشر بمؤسساته إلى غير ذلك، وحينما ننظر إلى قائمة أكبر 10 فعاليات ثقافية سعى الجمهور للتواصل معها رقمياً في العام 2009 نجد في المقدمة مهرجانات السينما ثم المسرح ثم معارض الفن التشكيلي. أنظر الجدول رقم "29".

خاتمة درامية

ثمة خاتمة درامية تضاف إلى ما تمّ رصده على صعيد التواصل مع المؤسسات الثقافية والعصور الثقافية والمنشآت الثقافية والقضايا الثقافية وهي الفروع التي يمكن القول إنه يتعين أن تنتقل فيها العلاقة بين الجمهور ومبدعي الثقافي والمنشقين من مستوى "المنتج، والمستهلك السلبي" إلى مستوى الشريك

يشير تحليل عمليات البحث التي قام بها جمهور الإنترنت العربي حول فلسطين خلال العام 2009 إلى أن متوسط عمليات البحث الشهرية في القضية بلغ 7 ملايين و445 ألفاً و180 عملية بحث، وهو رقم يضع القضية الفلسطينية في المرتبة الأولى بين القضايا السياسية محل البحث لهذا الجمهور..

تتصدر فلسطين ترتيب القضايا العامة التي يبحث عنها الجمهور العربي على شبكة الإنترنت بعدد عمليات بحث بلغت سبعة ملايين ونصف المليون خلال العام 2009 ونسبة 46.6 % من إجمالي القضايا العامة العربية..

والأرقام من واقع السلوك البحثي للجمهور، لكن في هذا الجزء سيحدث اختلاف طفيف في هذه المنهجية في الرصد والتحليل، ويتمثل هذا الاختلاف في أن فريق البحث قام - بالتنسيق مع المنسق العام للتقرير - بتحديد مجموعة من القضايا واستخدامها هي نفسها ككلمات بحث مفتاحية، بهدف استكشاف توجهات الجمهور تجاهها بالتحديد، ومعرفة كيف كان الجمهور يتعامل مع كل قضية من خلال سلوكه في البحث والتلقيب والتواصل الرقمي مع القضية، لقياس مدى الإقبال على استخدام الإنترنت في الحصول على معلومات أو تكوين رأي أو التواصل مع المعنيين بهذه القضايا، وقد شملت هذه القضايا ما يلي:

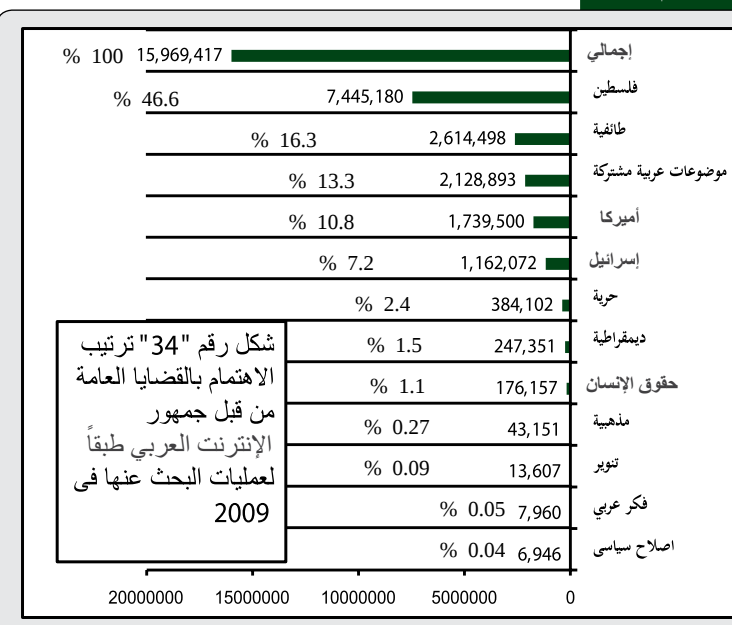
(إصلاح سياسي، فكر عربي، تنوير، مذهبية، حقوق الإنسان، ديمقراطية، حرية، إسرائيل، أميركا، طائفية، فلسطين، عربي" والكلمة المفتاحية الأخيرة "عربي وعربية" كان الغرض منها رصد عمليات البحث الجارية عن القضايا أو الأشياء المشتركة بين العرب والتي تظهر فيها العروبة أو العربيّة كقاسم مشترك.

فلسطين في المقدمة بلا منازع

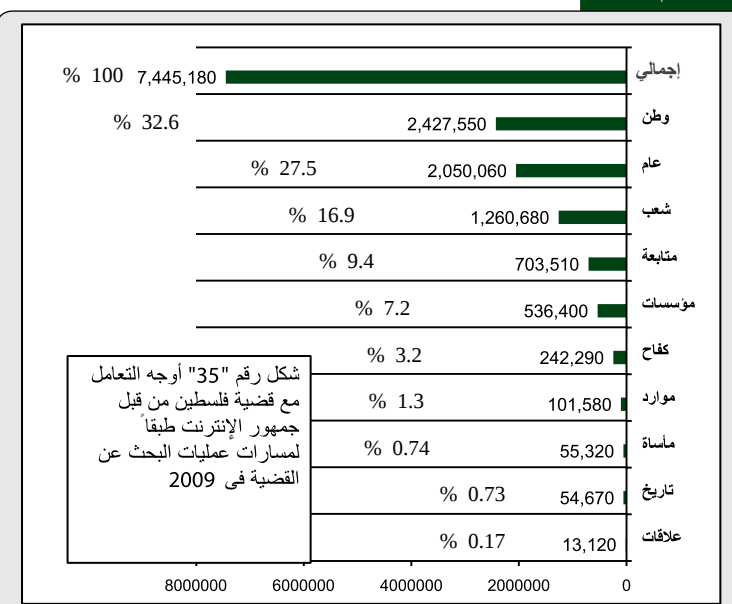
يعرض الشكل رقم "34" مستوى الإقبال على استهلاك المحتوى الثقافي الخاص بمجموعة القضايا العامة السابقة ويرتبها طبقاً لعدد وحجم عمليات البحث عنها خلال العام 2009، حيث تصدرت قضية فلسطين هذه القضايا مجتمعة من حيث عمليات البحث تلتها قضية الطائفية ثم الموضوعات العربيّة المشتركة ثم أميركا ثم إسرائيل ثم قضايا الحرية، وفي ما يلي نتائج الرصد والاستكشاف في كل قضية على حدة، طبقاً للترتيب التنازلي لتوسط عمليات البحث الذي حظيت به كل قضية شهرياً.

تناسب كل فرع، أي كان البحث يتم في "مجال" أو "فضاء" وليس في "موضوع" أو "قضية" بعينها"، وتُركت البيانات تتدفق وفقاً لما اختاره الجمهور وهو ينجز عمليات البحث في الفروع والمسارات المختلفة، وخرجت كل التصنيفات

شكل رقم 34



شكل رقم 35



1 - التواصل الرقمي مع قضية فلسطين

لا حاجة للقول بأن قضية فلسطين كانت ولاتزال وستظل قضية العرب المحورية والجوهرية على مختلف الصعد، ومن هنا تأتي أهمية التعرف إلى كيفية تعامل العرب رقمياً مع فلسطين كوطن وقضية وشعب، وما هي الأولويات التي تشغلهم وهم يبحثون عن فلسطين عبر الفضاء الرقمي، وما هي المداخل التي يستخدمونها للاقترب من القضية.

في هذا الصدد يشير تحليل عمليات البحث التي قام بها جمهور الإنترنت في العالم العربي حول فلسطين خلال العام 2009 إلى أن متوسط عمليات البحث الشهرية عن القضية بلغ 7 ملايين و445 ألفاً و180 عملية بحث، وهو رقم يضعها في المرتبة الأولى بين الاثنتي عشرة قضية محل البحث، بحصة تصل إلى 46.6% من إجمالي المتوسط الشهري لعمليات البحث عن القضايا الاثنتي عشرة.

فلسطين بعشرة أوجه للبحث

وبعد فهرسة وتصنيف كلمات البحث المختلفة التي استخدمها الجمهور اتضح أن البحث عن فلسطين يسير في عشرة مسارات فرعية كل منها يجسد وجهاً من الأوجه المتعددة لقضية فلسطين، وتقول الأرقام - كما هو موضح في الشكل رقم "35" - أن 32.6% من عمليات البحث عن هذه القضية تنظر إلى فلسطين باعتبارها وطناً ضائعاً ويتعين استرداده، ويبحث القائلون بهذا النوع من عمليات البحث عن معلومات تعرض "الوطن" الفلسطيني ككل، كالخرائط والسكان والمساحة والتاريخ. أما عدد هذه النوعية من عمليات البحث فبلغ 2 مليون و427 ألفاً و550 عملية بحث صدرت في المتوسط شهرياً.

في المرتبة التالية كان هناك مليونان و500 ألف و60 عملية بحث في المتوسط شهرياً تبحث عن فلسطين بكلمات بحث عامة لا تحدد شيئاً بعينه، وشكلت هذه النوعية 27.5%، وبعدها وجدت شريحة من عمليات البحث يقترب منفذوها من القضية من مدخل الشعب الفلسطيني وأحواله المعيشية وما يتعرض له من أخطار وحصار وظلم وتهجير وخلافه، وقد بلغت نسبة عمليات البحث المعبرة عن هذا التوجه 16.9%.

كان هناك أيضاً من اختار أن يقترب من القضية من باب المتابعة الإخبارية والإعلامية لما يجري يومياً وسعى للتعرف إلى أخبار فلسطين، وقد شكلت عمليات البحث التي نفذها هؤلاء 9.4% من المتوسط الإجمالي للبحث عن فلسطين، وهناك من بحث عن المؤسسات الفلسطينية في الداخل والمؤسسات المرتبطة بفصائل المقاومة، سواء المؤسسات الفلسطينية أم الدولية، وهؤلاء بلغت نسبتهم 7.2%، أما من اختاروا الاقتراب والتواصل مع القضية من بوابة كفاح الشعب الفلسطيني ومقاومته فنفذوا عمليات بحث وصلت نسبتها إلى 3.2% من المتوسط العام لإجمالي البحث عن فلسطين، وجاء بعدهم من سعوا للوصول إلى مواقع توفر لهم موارد معرفية ومعلوماتية عن القضية عبر الشبكة، وبلغت نسبة عملياتهم البحثية 1.3% من المتوسط العام، ثم جاء من رأوا أن قضية فلسطين هي في جوهرها مأساة إنسانية وبشرية أكثر من أي شيء آخر، وركزوا على البحث عن المعلومات التي تجسد هذا التوجه في تعاطيهم مع القضية، وقد بلغت عمليات البحث التي نفذها هؤلاء 55 ألفاً و320 عملية بنسبة 0.74% من المتوسط العام، وهو رقم يقترب بشدة من عمليات البحث التي نفذها من اختاروا الاقتراب من تاريخ القضية

بخلاف فلسطين قضية العرب الأولى على شبكة الإنترنت بنسبة 46.6%، توزعت اهتمامات العرب الأخرى بين قضية الحرية التي مثلت 2.4% من إجمالي عمليات البحث والديمقراطية بنسبة 1.5% وحقوق الإنسان بنسبة 1.1% والتنوير بنسبة 0.09% ..

الطارئة المرتبطة بأحداث يومية أو تلك التي تثير هبات عطف طارئة في عنفوانها وطفانها، فالجزء الأكبر من عمليات البحث انصرف إلى التركيز على فلسطين كوطن وشعب وقضية كبرى يجري البحث عنها بكلمات توقّر معلومات في شتى مساراتها، حيث تشكل هذه التوجهات الثلاثة معاً 77% من عمليات البحث التي نفذها الجمهور، بينما توزعت النسبة الباقية على شرائح الجمهور الأخرى التي أثارت اهتمامها الجوانب الإنسانية والتفاصيل الجارية للقضية، سواء على صعيد المتابعة أم المؤسسات أم الكفاح أم الجوانب المأسوية في القضية، ومن المقدّر أن هذا يشكل علامة وعي لدى جمهور الإنترنت في تواصله مع القضية، حيث لا يزال توجهه الأساسي نحو لب القضية وجوهرها لا حول تفاصيلها.

2 - التواصل الرقمي حول قضية الطائفية

جاءت قضية الطائفية في المرتبة الثانية وحصلت على مليونين و614 ألفاً و498 عملية بحث في المتوسط شهرياً تمثل 16.3% من إجمالي المتوسط العام الشهري لعمليات البحث، واللافت في هذه القضية أن الغالبية الساحقة من عمليات البحث تنصرف إلى التركيز على الطائفية الدينية التي استحوذت على 99% من عمليات البحث السابقة، كما يوضح الشكل رقم "36".

الشيعة ثم السنة

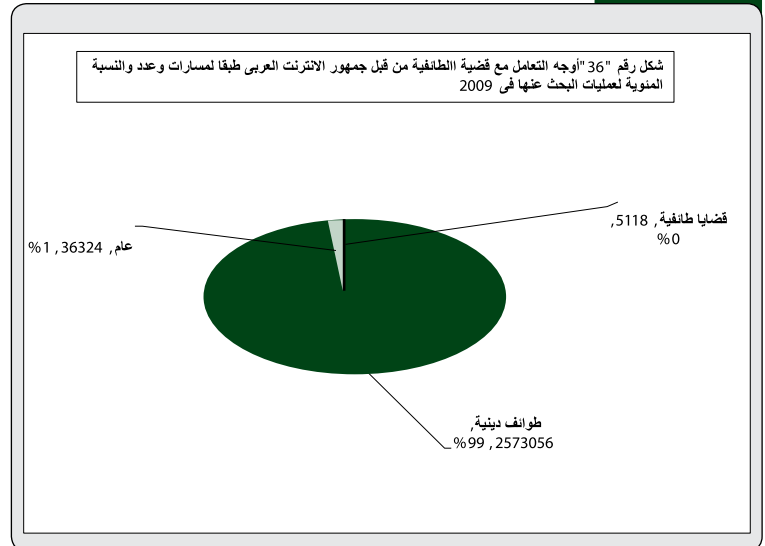
وتضم قائمة الطوائف الدينية التي تتوزع عليها عمليات البحث 16 طائفة دينية تتصدرها الطائفة الشيعية بمليون و368 ألفاً و390 عملية بحث في المتوسط شهرياً، ثم الطائفة السنية بمليون و201 ألفاً و378 عملية بحث في المتوسط

ووثائقها وفصولها عبر العقود الماضية حيث وصلت عمليات البحث التي نفذوها 54 ألفاً و670 عملية تشكل 0.73%، وفي المرتبة الأخيرة جاءت عمليات البحث التي نفذها من اهتموا بتتبع علاقات الدول العربية المختلفة بالقضية الفلسطينية ومواقفهم منها وتركزت عمليات بحثهم على العلاقات بين لبنان والأردن ومصر والقضية الفلسطينية، ونفذ هؤلاء 13 ألفاً و120 عملية بحث في المتوسط شهرياً تمثل 0.17% من إجمالي المتوسط العام.

تركيز على الجوانب الكبرى

تكشف لنا هذه الأرقام عن أن التواصل الرقمي من قبل الجمهور مع القضية الفلسطينية يعكس مدى اهتمامه الكبير بالقضية وأنه يعتبرها قضيته الأولى مقارنة ببقية القضايا الأخرى، إذ وضعها في المرتبة الأولى وأعطاه ما يناهز نصف عمليات البحث الإجمالية، وبالإضافة لذلك اتسم هذا الاهتمام بالتركيز على الجوانب الكلية الكبرى طويلة الأجل في القضية مقارنة بالفعاليات

شكل رقم 36



السلوك البحثي لجمهور الإنترنت العربي تجاه أميركا يكشف أن 85 في المائة من عمليات البحث عن ذلك البلد تتمّ بكلمات بحث عامة لا تربط بين أميركا وبين أيّ قضية من القضايا الساخنة على الساحة العربيّة، بل العملية هي محض بحث عن أميركا بلا هدف مسبق..

3 - التواصل مع الموضوعات العربيّة المشتركة

تمّ استخدام كلمتي "عربي وعربية" بهدف الوصول إلى معدل عمليات البحث عن الأشياء والموضوعات المشتركة في العالم العربي، من خلال استخدام ما تنتجه أداة البحث في غوغل من نتائج مرتبطة بهاتين الكلمتين، وفي النهاية وجدنا أن عمليات البحث التي تأتي مرتبطة بكلمتي "عربي وعربية" تصل إلى مليونين و128 ألفاً و893 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وهو رقم جعلها تحتل المرتبة الثالثة بين القضايا المشاركة في التحليل بنسبة وصلت إلى 13.3% من إجمالي عمليات البحث عن القضايا العامة ككل، وهو رقم ضئيل بكلّ المقاييس.

الأفلام أكبر مجال اهتمام عربي مشترك

لكن اللافت أكثر هو التوزيع الفرعي لهذا الرقم على المسارات المختلفة، فكما هو واضح من الشكل رقم "37" يتّضح أن نصف عمليات البحث في هذا الصدد تذهب إلى الأفلام العربيّة، وربعها يذهب إلى الأغاني العربيّة، و9% تذهب إلى الجنس العربي.

الجنس يتقدّم على البحث والجامعات والصحف

اللافت هنا أن يأتي الجنس كموضوع مشترك بين العرب متقدّماً على المنتديات والقصص والكتب والمجلات والجامعات والبحوث والصحف، ويستقطب اهتماماً يعادل عشرات أضعاف الاهتمام الذي تستقطبه هذه الموضوعات عند النظر إليها كقضية مشتركة. أما كلّ القضايا والموضوعات المشتركة الحقيقية التي يتعين أو من الواجب أن يكون

شهرياً، وبعد ذلك تأتي طوائف أخرى كالدرزية والسامرية واليزيدية والمعدانية والإنجيلية والمارونية والنصيرية وغيرها.

وتتوزّع النسبة الضئيلة الباقية على عمليات بحث عامة عن الطائفية وبعض القضايا الطائفية كالفتنة الطائفية والطائفية السياسية والطائفية في بعض البلدان العربيّة كالعراق ولبنان والكويت والسعودية والصراع الطائفي.

الاهتمام بالطائفية 2% من السينما

ويعكس هذا التوزيع أوضاع الطائفية على أرض الواقع في العالم العربي إلى حدّ ما، وذلك من حيث التوزيع الديموغرافي والثقل السياسي والديني والاجتماعي، وعلى الرغم من أن قضية الطائفية تأتي في المركز الثاني بعد فلسطين من حيث عدد عمليات البحث المهمة بها، فإنها إجمالاً لم تحظ بمستوى اهتمام ملحوظ أو مقلق من قبل جمهور الإنترنت في العالم العربي، فجميع من يهتمون بها أقلّ من 2% ممن يهتمون بالسينما وأقلّ من 5% ممن يهتمون بالفناء، ونصف من يهتمون بالمرسح ويتساوون تقريباً مع من يهتمون بالمكتبات، بل إن عمليات البحث عن المطرب تامر حسني أكبر من عمليات البحث عن الطائفية في العالم العربي، وهذا يعني أنه إذا كانت قضية الطائفية تشكل عوامل قلق وأرق واضطراب في الواقع الفعلي يصل إلى حدّ إراقة الدماء وإشاعة الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، فإنها على صعيد التواصل الرقمي لا تشكل اهتماماً بالقدر نفسه، بل تعتبر قضية غير مثيرة وغير جاذبة للغالبية الساحقة من جمهور الإنترنت في العالم العربي، بل قضية النخبة الرقمية بالأساس.

مشارك في ما بينهم، حيث أنتج هؤلاء 6600 عملية بحث في المتوسط شهرياً، ولا شك أن هذا الأمر يكشف إلى أي حد حدث تراجع الاهتمام بقضية الوحدة العربية على صعيد التواصل الرقمي حتى أنها بدت أقل من أن تصبح نكتة، وإجمالاً تعكس هذه الأرقام وهنا شديداً في القضايا التي تثير اهتمام العرب بصورة مشتركة عبر الفضاء الرقمي أو تمثل عامل جذب لتواصل رقمي مشترك حولها، ومن المهم أن يلتفت القائمون على أمور الثقافة والتنمية الثقافية إلى هذه الظاهرة السلبية والتعمق في دراستها ووضع حلول لها.

4 - التواصل مع أميركا رقمياً

يقف الاهتمام بـ أميركا عند حد مليون و739 ألفاً و500 عملية بحث في المتوسط شهرياً، تشكل 10.8 % من إجمالي المتوسط الشهري لعمليات البحث عن القضايا العامة التي خضعت للتحليل، وهي قضية أقل كثيراً مما يمكن توقعه في ضوء ما يثار عن أميركا على الساحة الواقعية وفي وسائل الإعلام المختلفة.

أميركا لا ترتبط بأي قضية

لكن ليس هذا وحده لافتاً في السلوك البحثي لجمهور الإنترنت العربي تجاه أميركا، لأن 85 % من عمليات البحث عن أميركا تتم بكلمات بحث عامة لا تربط بين أميركا وبين أي قضية من القضايا الساخنة على الساحة العربية، بل هو محض بحث عن أميركا بلا هدف محدد مسبق، كما يوضح الشكل رقم "38".

.. ومكان للسيارات والجنس

بعد ذلك نجد أمامنا رقماً لا يخلو من مفاجأة وهو أن ثاني مسار للبحث عن أميركا يتعامل معها باعتبارها بلداً ينتج السيارات

هناك اهتمام كاف بها فبعضها موجود لكنه يندرج تحت النسبة الباقية التي تقل عن الربع، فمثلاً حظيت الصحف العربية بـ 1.9 % من عمليات البحث بعدد 40 ألفاً و900 عملية في المتوسط، والجامعات العربية حظيت بـ 0.22 % من عمليات البحث بعدد 4800 عملية في المتوسط، والبحوث العربية كان نصيبها 0.027 % بمعدل 590 عملية بحث في المتوسط شهرياً.

النكت أهم من الوحدة العربية

أما قضية الوحدة العربية فكان نصيبها 333 عملية بحث في المتوسط تشكل 0.015 %، والمفارقة أن هذا الرقم يقل بمقدار 19 ضعفاً عما يبحثون عن النكت العربية كشيء

كان الاهتمام بالتواصل الرقمي حول إسرائيل أقل مقارنة بنظيره حول أميركا حيث يقف متوسط البحث عن إسرائيل عند مليون و162 ألفاً و720 عملية، وهو ما يقل عن عدد عمليات البحث عن أميركا بما يزيد على النصف مليون عملية بحث..

يتباين اهتمام العرب بإسرائيل على شبكة الإنترنت إذ تصدر الاهتمام بممارسات إسرائيل العدوانية بمعدل 77 ألف عملية بحث شهرياً، ثم متابعة الإعلام الإسرائيلي (57 ألف عملية بحث شهرياً) يلي ذلك التعرف إلى إسرائيل من الداخل (30 ألف عملية بحث شهرياً) ثم البحث عن إسرائيل كمكان للجنس واللذة (16 ألف عملية بحث شهرياً) والاهتمام بالجيش الإسرائيلي (حوالي 10 آلاف عملية بحث شهرياً)..

شكل رقم 37

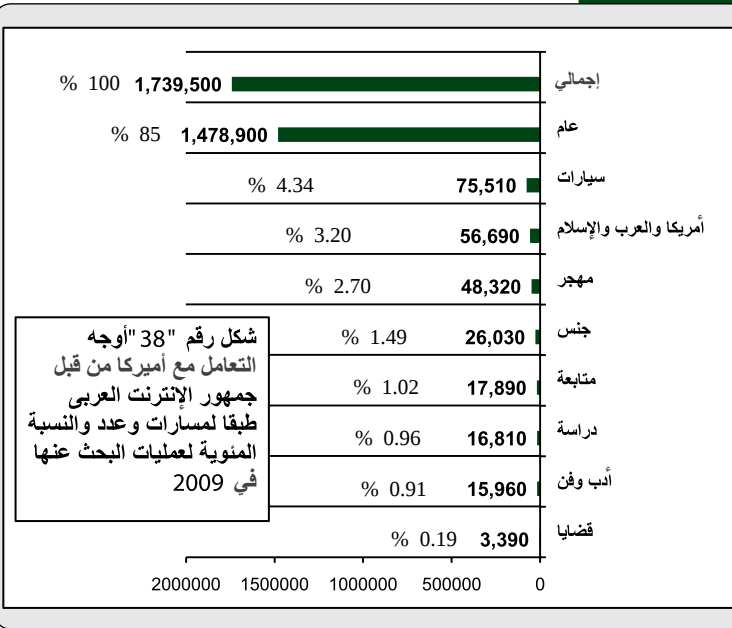


الحاكمة إلى غير ذلك.

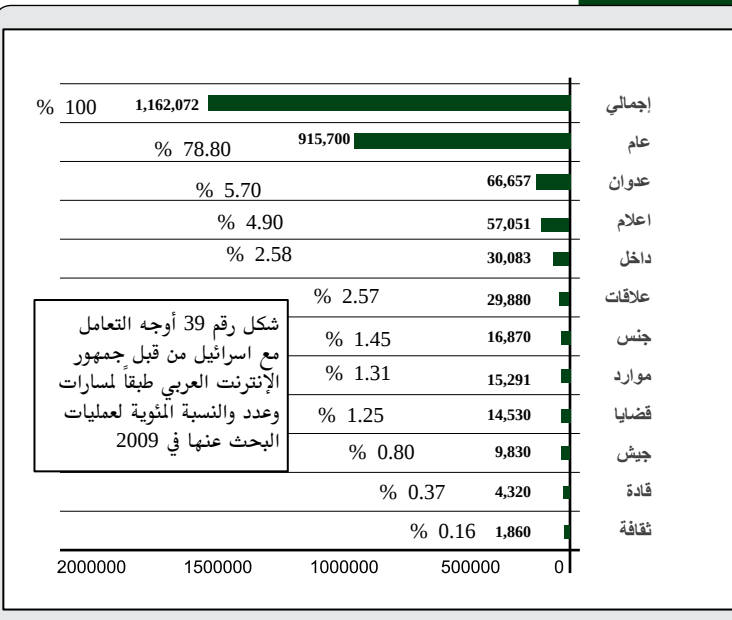
أرقام ضئيلة بلا موقف مسبق

لكن عمليات البحث التي استهدفت التواصل مع أميركا تميل إلى عكس ذلك،

شكل رقم 38



شكل رقم 39



ويمكن الحصول منه على سيارات جديدة أو مستعملة أو تباع فيه السيارات، والذين يرون أميركا على هذا النحو ينتجون 75 ألفاً و510 عمليات بحث في المتوسط شهرياً، يليهم من يبحثون عن أميركا باعتبارها مؤثرة على العرب والإسلام وهؤلاء ينتجون 65 ألفاً و690 عملية بحث في المتوسط شهرياً، ثم هناك من يرون أميركا مهاجراً يحلمون بالهجرة إليه والاستقرار فيه وهؤلاء ينتجون 48 ألفاً و320 عملية بحث في المتوسط شهرياً، ثم هناك من يرون أميركا مكاناً للجنس وما يرتبط به من متع حسية ولذة جسدية، وهؤلاء ينتجون 26 ألفاً و30 عملية بحث في المتوسط شهرياً، أما من يرون أميركا مكاناً للدراسة فينتجون في المتوسط 16 ألفاً و810 عملية بحث شهرياً، ثم هناك شريحة أقل ترى أميركا بلداً ينتج الفن والأدب الذي يمكن متابعته وهؤلاء ينتجون 15 ألفاً و960 عملية بحث شهرياً في المتوسط، وفي ذيل القائمة نجد من يبحثون عن قضايا تعيشها أميركا ويسعون للتعرف إليها كقضايا السود والهجرة العشوائية وسياسات أميركا وعلاقة كوبا بأميركا وغيرها، وهؤلاء ينتجون 3390 عملية بحث شهرياً في المتوسط.

وهنا نحن أمام أرقام لا تتناسب في حجمها الإجمالي ولا في توزيعها الداخلي مع ما هو متوقع أو يشاع أو يعد افتراضاً عاماً بأن صورة أميركا لدى الجمهور العربي تحتل مكانة متقدمة في صدارة المشهد الثقافي والفكري في العالم العربي وما يموج به من قضايا مهمة، نظراً لارتباط أميركا بالقضية المحورية لدى العرب وهي فلسطين ثم ممارستها والمنحازة لإسرائيل، هذا فضلاً عن تأثيرها وارتباطاتها القوية بالعديد من القضايا الساخنة في المنطقة وعلى رأسها قضايا الديمقراطية والحريات والعلاقة مع الدول العربية ونظمها

الشكل رقم "39"، أن 78.7 %.

كيان عدواني

يتوجّه البحث العام عن إسرائيل بكلمات غير محددة الهدف أو القصد، ويأتي في مرتبة تالية عمليات بحث يرى أصحابها إسرائيل كياناً عدوانياً لا يكفّ عن ممارسة العدوان بصورة متنوعة، وهؤلاء ينتجون 66 ألفاً و657 عملية بحث في المتوسط شهرياً، يليهم من يرغب في متابعة الإعلام الإسرائيلي وهؤلاء ينتجون 57 ألفاً و51 عملية بحث في المتوسط، ثم من يسعى للتعرف إلى إسرائيل من الداخل وهؤلاء ينفذون 30 ألفاً و83 عملية بحث في المتوسط، ثم من يبحثون عن علاقات إسرائيل مع العرب وينتجون 29 ألفاً و880 عملية بحث في المتوسط، ثم من يرون إسرائيل كمكان للجنس واللذة وهؤلاء ينتجون 16 ألفاً و870 عملية بحث، ثم من يودون التعرف إلى مواقع ومنتديات تتيح معلومات عن إسرائيل، ويصدرون عمليات بحث تصل إلى 15 ألفاً و291 عملية في المتوسط، ثم من يبحثون عن معلومات حول جيش إسرائيل وينتجون 9830 عملية بحث ثم عن قادة إسرائيل وينتجون 4320 عملية، وثقافة إسرائيل وينتجون 1860 عملية بحث في المتوسط شهرياً.

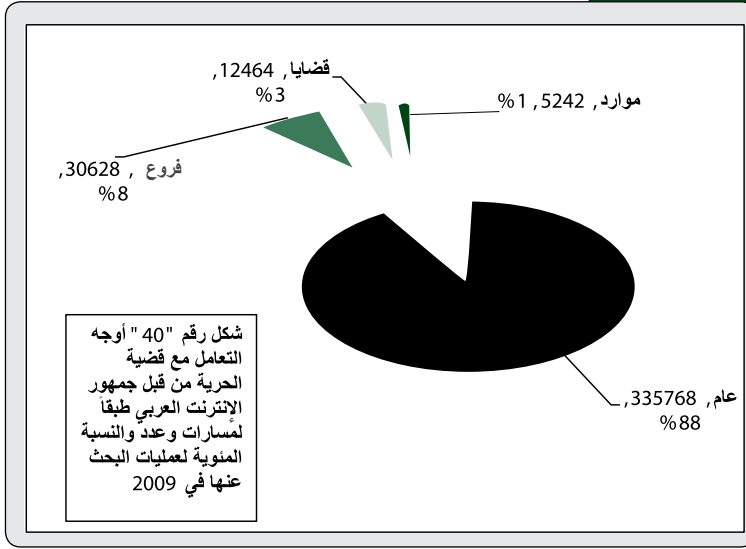
وتقول لنا الأرقام السابقة أن حجم الاهتمام بالبحث عن إسرائيل متواضع للغاية وأقل من المتوقع أو المفترض، وإن كان ما يخفف من ذلك النقص أو يعوضه هو الاقبال الكاسح على البحث عن فلسطين باعتباره يليب الكثير من الاهتمام المطلوب بفلسطين وإسرائيل معاً. أما التوزيع الداخلي لهذا الرقم الضئيل فيشير إلى أن صورة إسرائيل لدى شريحة الجمهور كانت متوقعة ومعبرة عن الواقع إلى حد كبير، فإسرائيل في نظر هؤلاء دولة

فعلى صعيد الكيف والعدد نصطدم بالضالة الشديدة التي وقفت بالعدد عند ما يربو قليلاً على مليون وسبعمائة ألف عملية بحث، وهو معدل أقل من معدل البحث عن مطرب متوسط الموهبة، ثم يكشف التوزيع الداخلي لهذا العدد أن جمهور الإنترنت العربي حينما يبحث عن أميركا على الإنترنت لا يتخذ في الأغلب موقفاً مسبقاً نتيجة خبرات أو معلومات يعرفها عن أميركا ومواقفها، بل يبحث عنها على غير هدى، ولا يكثر بما يقال عن أميركا أو تفعله هي بالفعل، وحتى الشريحة أو الشرائح التي قررت البحث عن أميركا وفق تصور أو هدف مسبق وجدناها ترى في أميركا بلداً للسيارات والجنس والهجرة، وفي مرتبة متدنية للغاية يجيء على استحياء من يرون أميركا طرفاً في قضايا تتعلق بالعرب والإسلام أو مكاناً للدراسة والفن والأدب، ونخلص من هذا كله أننا إجمالاً أمام صورة هزلية لأميركا لدى الجمهور العربي الذي يبحث عنها عبر الإنترنت، والذي لا تقيم غالبية العظمى وزناً وربما لا تكثر بكل ما يقال ليل نهار في وسائل الإعلام المختلفة عن سياسات أميركا ودورها مع مصالح المسلمين والعرب.

5 - التواصل الرقمي مع إسرائيل

كان الاهتمام بالبحث عن إسرائيل أقل مقارنة بالبحث عن أميركا، حيث يقف متوسط البحث عن إسرائيل عند مليون و162 ألفاً و72 عملية بحث تشكل 7.2 % من إجمالي البحث في القضايا التي خضعت للتحليل، وهو ما يقل عن عدد عمليات البحث عن أميركا بما يزيد على النصف مليون عملية بحث، أما التوزيع الداخلي والفرعي لهذا الكم من عمليات البحث عن إسرائيل ففيه، كما يوضح

شكل رقم 40



عدوانية ويتعين التعرف على ما يجري فيها من إعلام وقضايا وجيش وقادة.

6 - التواصل مع قضية الحرية

نالت قضية الحرية 384 ألفاً و102 عملية بحث في المتوسط شهرياً تمثل 2.4 % من إجمالي متوسط البحث عن القضايا العامة، وكان 88 % منها عمليات بحث بكلمات عامة لا تحدد قضية أو مساراً بعينه، أما الباقي فتوزع 1 % على من يرغبون في الوصول إلى مواقع ومنتديات وموسوعات توفر معارف ومعلومات عن الحرية، و8 % كانت عمليات بحث تستهدف الوصول إلى معلومات حول أنواع وفروع معينة من الحرية.

طلب حرية النشر في المقدمة

واللافت أن قائمة كلمات البحث في هذا المسار تضمنت حرية النشر وحرية الإرادة وحرية الشعوب لكنها تضمنت أيضاً حرية الحيوان وحرية الطيور وحرية التملك، أما النسبة البالغة الضالة الباقية وهي تناهز الـ 3 % فتوجهت إلى البحث عن قضايا الحرية مثل حدود الحرية وضوابط الحرية وعوائق حرية التعبير والحرية بين الالتزام والفوضى والحرية والتحرر وغيرها، وبلغ متوسط عدد عمليات البحث في هذه القضايا وغيرها 12 ألفاً و464 عملية بحث في المتوسط شهرياً. أنظر الشكل رقم "40".

قضية شديدة النخبوية

وانطلاقاً من هذه الأرقام يمكن القول إن الحرية في الفضاء الرقمي قضية شديدة النخبوية وتهتم بها فئة قليلة للغاية من جمهور الباحثين عن المعلومات من العرب مقارنة بإجمالي عدد مستخدمي الإنترنت أو حتى

الباحثين عن نوعيات أخرى من المعلومات، وهو ما يجعل منها قضية تهتم منتجيها والمدافعين عنها داخل النخبة الضيقة أكثر منها قضية تهتم من يفترض أنهم مستقبلوها والمتعاطون معها من الجمهور العام.

7 - التواصل مع الديمقراطية

يبدو الاستهلاك والتواصل الرقمي مع قضية الديمقراطية أسوأ من الاستهلاك والتواصل مع قضية الحرية، فعمليات البحث عن الديمقراطية بلغت 247 ألفاً و351 عملية في المتوسط شهرياً. أنظر الشكل رقم "41". وهو رقم يقل عن عمليات البحث عن الحرية بـ 136 ألفاً و751 عملية، وهو ما جعل قضية الديمقراطية تتراجع لما بعد الحرية من حيث النسبة وتحصل على 1.5 % فقط من إجمالي متوسط عمليات البحث عن القضايا العامة، ويضاف لهذا أن التوزيع الداخلي لعمليات البحث عن الديمقراطية يبدو أكثر سوءاً، فغالبيتها الساحقة من نوعية عمليات البحث التي تتم بكلمات عامة لا تتم عن

وهذا بدوره يلقي بتساؤلات عديدة حول حدود التأثير الذي تحدثه الإنترنت في قضايا الحرية والديمقراطية وغيرها من القضايا العامة من هذا النوع بين جمهور الإنترنت العربي الواسع، الذي لا يزال إما يكتفي بالفرجة أو البحث بصورة قشرية عامة ولا يكون رأياً أو موقفاً يقتنع به ويبحث عما يؤديه أو يشارك في فعالياته حتى على الشبكة.

8 - التواصل مع قضية حقوق الإنسان

176 ألفاً و157 عملية بحث فقط هو المتوسط الشهري لعدد عمليات البحث الصادرة عن جمهور الإنترنت العربي خلال العام 2009 والتي استهدفت الحصول على معلومات وبيانات وأشياء أخرى تحقق الاستهلاك والتواصل الرقمي مع قضية حقوق الإنسان، ويمثل هذا الرقم 1.1 % من إجمالي متوسط عمليات البحث في القضايا العامة.

وعلى مستوى التوزيع الداخلي - كما يوضح الشكل رقم "42" - جاء في المركز الأول عمليات البحث التي استهدفت التعرف إلى قضايا حقوق الإنسان. حيث بلغت 80 ألفاً و389 عملية في المتوسط شهرياً تمثل 46 % من عمليات البحث في حقوق الإنسان، أما عمليات البحث بالكلمات العامة فتراجعت لتحتل المركز الثاني وتتوقف عند 49 ألفاً و942 عملية في المتوسط شهرياً وتمثل 28 % من إجمالي متوسط عمليات البحث في حقوق الإنسان، وبعد ذلك جاءت عمليات البحث التي استهدفت التعرف إلى حقوق الإنسان في الدول العربية وبلغت 26 ألفاً و4 عمليات في المتوسط تشكل 15 % من الاجمالي، ثم البحث عن مؤسسات حقوق الإنسان وحظيت بـ 14 ألفاً و424 عملية بحث في المتوسط تشكل 8 %

موقف أو تعبر عن رأي أو وعي بقضية ما، وتشكل هذه النوعية 91 % من عمليات البحث التي استهدفت الاستهلاك والتواصل مع قضية الديمقراطية، في حين كانت في قضية الحرية 88 %، أما النسبة الباقية من عمليات البحث فقد كان 5 % منها تشكل 11 ألفاً و402 عمليات بحث في المتوسط موجهة للبحث عن قضايا الديمقراطية مثل التحول الديمقراطي والإسلام والديمقراطية، والديمقراطية والشورى والتربية والديمقراطية والتغيير الديمقراطي والقيم الديمقراطية والعولة والديمقراطية إلى غيرها من قضايا أخرى تضمنتها قائمة مكونة من 31 قضية كان آخرها بحسب عدد عمليات البحث قضية عيوب الديمقراطية وحقوق الإنسان والديمقراطية في البحرين.

تأثير محدود للإنترنت في

الديمقراطية في العالم العربي

أما نسبة الـ 4 % الباقية فتوزعت على عمليات البحث التي استهدفت التعرف إلى أوضاع الديمقراطية في الدول العربية والتي حظيت بـ 6139 عملية بحث في المتوسط شهرياً بنسبة 2 %، وفروع الديمقراطية والمؤسسات الديمقراطية بنسبة 1 % لكل منهما، واللافت أن قائمة كلمات البحث الخاصة بالمؤسسات الديمقراطية لم تتضمن سوى عشر كلمات ورد من بينها حزب المجتمع الديمقراطي وحزب الوحدة والديمقراطية، وهو ما يعني أن عمليات البحث عن الأحزاب السياسية في الوطن العربي والتي اقترنت بقضية الديمقراطية تكاد تكون نادرة أو معدومة، وهو ما يشير إلى أن الأحزاب - كجزء من المؤسسات الديمقراطية - لا تحظى باهتمام كبير من قبل الباحثين عن المعلومات عبر الإنترنت.

نشاط حقوق الإنسان والمتابعين لهذه القضية ولذلك لم يستخدموا كلمات البحث العامة بكثرة كما هو الحال مع الديمقراطية والحرية.

من المتوسط العام، ثم فروع وتخصصات حقوق الإنسان وحظيت بنسبة 2 % ووثائق حقوق الإنسان وحظيت بنسبة 1 %.

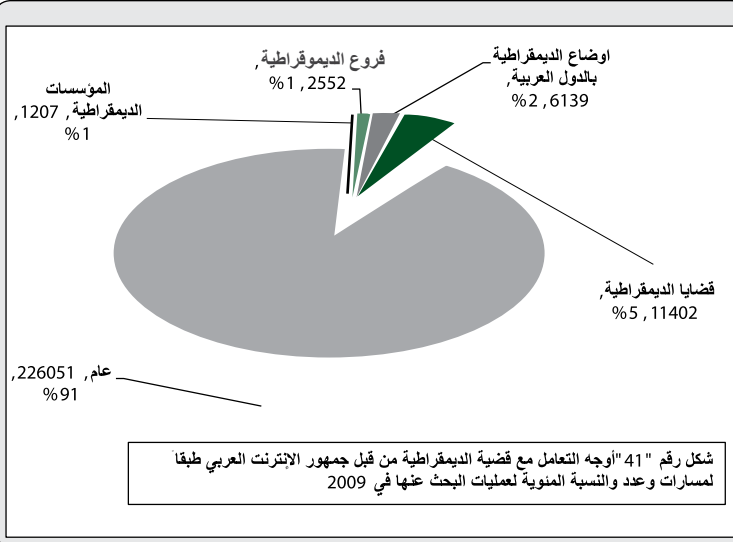
9 - التواصل مع المذهبية

بلغ المتوسط الشهري لعدد عمليات البحث

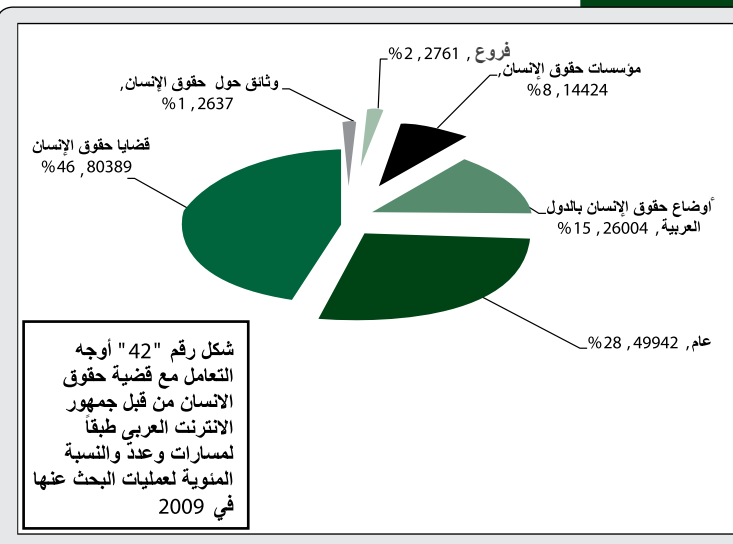
ضالة عدد يقابلها توازن توزيع

ونلاحظ في هذه الأرقام أنه في مقابل الضالة الشديدة في العدد والذي يجعل حقوق الإنسان أسوأ حظاً من الحرية والديمقراطية، فإن التوزيع الداخلي لهذا الرقم الضئيل يبدو أكثر توازناً من سابقه، حيث تراجعت عمليات البحث بالكلمات العامة للمركز الثاني لتحتل 28 % فقط، وذلك عكس ما حدث في الديمقراطية "91.5%" والحرية "88%"، وافصح الباحثون مجاًلاً أوسع لقضايا حقوق الإنسان لتحتل المركز الأول، ومنها قضايا مثل الإعلام وحقوق الإنسان والحرية العامة وحقوق الإنسان والقيود المفروضة على حقوق الإنسان والفقر وحقوق الإنسان، كما استمرت درجة من التوازن في بقية مسارات البحث الفرعية الأخرى، حيث جاءت عمليات البحث عن مؤسسات حقوق الإنسان وعن الوثائق والفروع في نهاية الترتيب، ولم يشذ عن هذا التوازن إلا عمليات البحث التي استهدفت الحصول على معلومات عن أوضاع حقوق الإنسان في العالم العربي والتي حظيت بنسبة أقل من المفترض لم تتعد 15 % تمثلها 26 ألف و4 عمليات بحث في المتوسط شهرياً فقط، ونخلص من هذه الأرقام وتوزيعها الداخلي إلى أن حقوق الإنسان قضية غير جاذبة للجمهور العام الساعي للاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي عبر الإنترنت، وأيضاً قضية نخوية بامتياز مثلما هو الحال مع الحرية والديمقراطية، وإن كان التوازن الطفيف الذي أظهره توزيع عمليات البحث يدل على أن الباحثين عن هذه القضية هم في الأغلب من

شكل رقم 41



شكل رقم 42



التنوير وهذه بلغت 264 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وأخيراً عمليات البحث التي استهدفت المؤسسات القائمة على قضايا التنوير وبلغت 162 عملية بحث في المتوسط شهرياً تشمل 1% . أنظر الشكل رقم "43".

واللافت أن الرقم الإجمالي لعمليات البحث عن قضية التنوير وإن كان يقل عن الرقم الإجمالي للبحث عن المذهبية إلا أنه حمل في طياته تقسيمات ومسارات فرعية واضحة، الأمر الذي يعني أن القائمين على هذا النوع من عمليات البحث يهتمون بالفعل بالقضية ويبحثون في جوانبها المختلفة، ولعلنا لاحظنا كيف أن فئة الباحثين عن كتب في التنوير تحتل المرتبة الثانية بعد الباحثين عنها بالكلمات العامة، لكن هذا الملمح الإيجابي لا ينفي أن القضية مهمشة بالنسبة لجمهور الإنترنت الباحث عن المعلومات إن لم تكن بالفعل مهمة تقريباً.

التي استهدفت الاستهلاك والتواصل مع المحتوى الخاص بقضية المذهبية خلال 2009 من العالم العربي 43 ألفاً و151 عملية تشكل 0.27% من المتوسط الإجمالي للبحث في القضايا العامة، واستخدمت في هذه العمليات 13 كلمة بحث فقط لم تظهر فيها أي تصنيفات سوى كلمات عامة لا تحمل معنى محدداً أو مسبقاً مثل "مذهبية، المذهبية، مذهبي في الحياة، حر ومذهب كل حر مذهبي .. إلخ"، مما يدل على أنها قضية شديدة الهامشية والضالة بالنسبة إلى جمهور الإنترنت العربي الذي يبحث عن قضايا ثقافية عامة أو تخصصية، وهذا ليس بسبب ضالة عدد عمليات البحث فقط ولكن بسبب العمومية الشديدة في كلمات البحث المستخدمة، بل وتشويشها أحياناً واختفاء أي كلمات بحث تتم عن اهتمام حقيقي بالقضية .

السلوك البحثي في التواصل الثقافي الرقمي من قبل جمهور الإنترنت العربي يحمل في طياته نواة جيدة لاستهلاك وتواصل ثقافي نوعي يتسم بالتخصص والتواصل، وإن كان هذا التواصل لا يزال ضيقاً من حيث الانتشار وقليلاً من حيث العدد..

10 - التواصل مع قضية التنوير

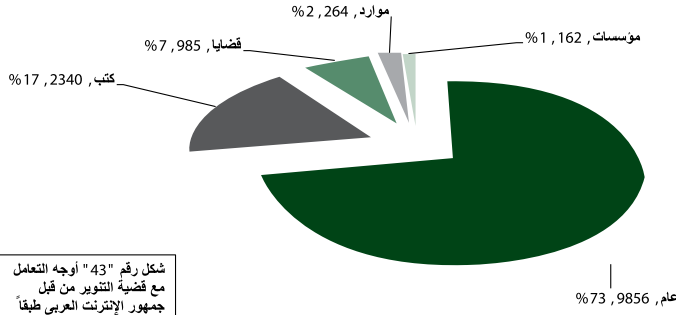
يهبط الاهتمام بالاستهلاك والتواصل مع قضية التنوير إلى مستوى شديد الضالة، حيث توقف متوسط عمليات البحث عن هذه القضية عند 13 ألفاً و607 عمليات في المتوسط شهرياً تمثل 0.09% من إجمالي متوسط عمليات البحث عن القضايا العامة، ويتوزع هذا الرقم فرعياً إلى عمليات بحث بالكلمات العامة بلغت 9 آلاف و856 عملية بحث تشكل 73% منه، وعمليات بحث استهدفت الوصول إلى كتب تتناول قضية التنوير وبلغت 2340 عملية تمثل 17%، وعمليات بحث تتعلق بالتعرف إلى زوايا ووجهات نظر مختلفة في قضية التنوير مثل عصر التنوير وفلسفة التنوير وفكر التنوير وفلاسفة التنوير وهذه بلغت في المتوسط 985 عملية تشكل 7%، ثم المواقع والمنتديات والموسوعات التي توفر معارف ومعلومات عن

11 - التواصل مع قضية الفكر

العربي

في المرتبة قبل الأخيرة يأتي الاهتمام بقضية الفكر العربي، حيث لم يتجاوز المتوسط الشهري لعمليات البحث التي استهدفت استهلاك والتواصل مع القضية 7960 عملية، ويغلب على كلمات البحث المستخدمة فيها السمة نفسها التي ظهرت في البحث عن قضية المذهبية، والمتمثلة في استخدام كلمات بحث شديدة العمومية يغلب على البعض منها التشويش ويسودها جميعاً عدم التحديد الذي يدل على عدم اكتراث أو لا مبالاة من قبل منفذي عمليات البحث، مما يدل على أن عمليات البحث في القضية ربما جاءت عرضاً ولم تنجم عن اهتمام حقيقي.

شكل رقم 43



شكل رقم "43" أوجه التعامل مع قضية التنوير من قبل جمهور الإنترنت العربي طبقاً لمسارات وعدد النسبة المئوية لعمليات البحث عنها في 2009

الإقبال واسع النطاق بين جمهور الإنترنت على القصة والرواية عبر الإنترنت، وشغفه بالتواصل الرقمي مع هذا اللون الثقافي والأدبي رقمياً، ووجود رغبة واضحة في البحث عن الكتب حيث كانت هناك 243 ألفاً و800 عملية بحث في المتوسط شهرياً تسعى وراء الكتب المتاحة مجاناً على الإنترنت، ولا يحدّد أصحابها نوعية معينة للكتب، بل يريدونها مجانية فقط..

أعقبها من تحليلات، أمكن رصد عشر نقاط قوة في توجهات الجمهور العربي نحو الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي، وهي كالتالي:

1 - شغف عام في البحث عن الثقافة

أظهر السلوك البحثي لجمهور الإنترنت العربي في كثير من الأحيان مسحة من الشغف العام بالثقافة أو الفرع الثقافي الذي يميل إليه ويبحث على الإنترنت سعياً وراء استهلاكه والتواصل معه، وقد تمثّلت هذه المسحة في السعي إلى الوصول إلى كلّ ما يحتويه أيّ فرع من الفروع الثقافية من منتجات وأبداعات ثقافية، فهو حينما يسعى للتواصل مع الكتب والكتاب لا يضع اختيارات مسبقة في ما يبحث عنه أو يسعى لاستهلاكه والتواصل معه، بل لديه في الأغلب الأعم شغف بالبحث عن الكتب والكتاب عموماً بلا تمييز أو تحديد واضح في ما يتعلّق بالمؤلف أو تخصص الكتاب أو مكان إنتاجه وطبعه إلى غير ذلك، والشيء نفسه حينما يبحث عن الشعر أو القصة أو المسرحية أو الرواية، فالاتجاه السائد دائماً

12 - التواصل مع قضية الإصلاح

السياسي

في المرتبة الأخيرة جاءت قضية الإصلاح السياسي من ضمن 12 قضية عامة خضعت للبحث، ووصل متوسط عمليات البحث المهمة بالقضية إلى 6946 قضية في المتوسط شهرياً تشكل 0.004 % من المتوسط العام لإجمالي عمليات البحث في القضايا العامة، وأصاب هذه القضية ما أصاب قضيتي الفكر العربي والمذهبية من استخدام كلمات بحث عامة تتمّ عن لامبالاة وعدم اكتراث بالقضية، ويكفي أن نعلم أن عمليات البحث التي جرت باستخدام كلمة "الإصلاح السياسي في مصر" بلغت 73 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وبالقطع فالأرقام تتمّ عن إهمال شديد لهذه القضية من قبل جمهور الإنترنت الباحث عن المعلومات على الشبكة.

نتائج وتحليلات لسمات مستهلكي

الثقافة العربية الرقمية وأدائهم

(نقاط القوة والضعف)

بعد عمليات الرصد والاستكشاف السابقة في كلّ الفروع الثقافية والسمات العامة المشتركة للاستهلاك الثقافي الرقمي .. يصبح السؤال الآن: ما هي نقاط القوة والضعف التي تحملها توجهات الجمهور ومستهلكي الثقافة تجاه ظاهرة التواصل الثقافي الرقمي العربي؟ بعبارة أخرى أين هي الإيجابيات والسلبيات في سلوك جمهور الإنترنت العربي وهو يسعى من تلقاء نفسه للبحث عن الثقافة ومنتجاتها وفروعها ومنتجاتها وقضاياها بغية استهلاكها والتواصل معها رقمياً؟

نقاط القوة

في ضوء عمليات الرصد التي تمّت وما

المؤلف والأديب أم اسم العمل الأدبي نفسه، ورأينا السلوك نفسه في الفن التشكيلي الذي بدت مسارات البحث فيه متوازنة وأكثر انتظاماً وتنسيقاً بصورة تعكس ارتفاعاً في اهتمامات ووعي هذه الشريحة من الجمهور بالإمكانات التي يمكن أن تقدمها الإنترنت كقناة للتواصل مع هذا الفن.

يمكننا أن نعتبر أن السلوك البحثي للجمهور تجاه البحث عن الأدب والأدباء يقدم حالة ترتفع فيها مهارات البحث ويتجه فيها الاستهلاك والتواصل الرقمي نحو مزيد من العمق، من خلال انتقائية ما يتم تحميله وتضييق نطاق عملية البحث نفسها لتصبح أكثر تحديداً، ففروع الأدب التخصصية استحوذت على 40 % من العمليات البحثية لهذا المسار، وتلى هؤلاء من رغبوا في التواصل رقمياً مع السينما، ثم الغناء، ثم الموسيقى ثم الشعر.

كما لوحظ أيضاً أن إجمالي من سعوا للاستهلاك والتواصل رقمياً مع تخصصات أدبية تمنح "المتعة العقلية" والذهنية من خلال القراءة والنصوص الأدبية والكتب تفوقوا - عددياً على الأقل - على إجمالي من سعوا إلى التواصل رقمياً مع تخصصات سينمائية وغنائية وموسيقية، الأمر الذي يعني أنه بمجرد تخطي حاجز الجماهيرية الواسعة بمتطلباتها الكبرى من الترفيه السريع، نلمح قدراً من التوازن في توجهات الشريحة الباقية من جمهور الإنترنت العربي ونجد ميلاً نحو تواصل نوعي متخصص أعلى في الفاعلية.

3 - الثقافة كنسيج عربي وغير قطري

من أبرز نقاط القوة الإيجابية في توجهات جمهور الإنترنت تجاه الثقافة الرقمية أن

هو البحث عن محض "الرواية"، أو "قصة" أو "قصيدة" وهكذا، وكأنه يريد الوصول إلى كل ما هو متاح على الإنترنت عن الرواية والقصة والقصيدة بغض النظر عن المؤلف أو العمل الإبداعي نفسه، وليس روايات لمؤلف ما أو رواية تحمل عنواناً بعينه، ويضع هذا السلوك البحثي بين أيدينا نقطة قوة تتمثل في أن هناك شريحة واسعة من جمهور الإنترنت لديه طلباً على الثقافة يتسم بالرحابة والسعة والقابلية للتمدد والزيادة مع الوقت، ومن ثم يمكن العمل على توسيع نطاقه مع الوقت.

2 - نواة تواصل نوعي أكثر فاعلية

تنبئ التحليلات والأرقام السابقة بأن السلوك البحثي في التواصل الثقافي الرقمي من قبل جمهور الإنترنت العربي يحمل في طياته بذرة أو نواة جيدة لاستهلاك وتواصل ثقافي نوعي يتسم بالتخصص والتواصل الأكثر فاعلية تنفذه شريحة من هذا الجمهور، وإن كان هذا التواصل لا يزال ضيقاً نوعاً ما من حيث الانتشار وقليلاً من حيث العدد مقارنة بالشرائح الأخرى.

وهناك العديد من الإشارات الدالة على وجود هذه النقطة من نقاط القوة، نجدها مثلاً في مجال الموسيقى التي تصدّرت الموسيقى الكلاسيكية قائمة أنواع الموسيقى التي يسعى جمهور الإنترنت لاستهلاكها والتواصل معها رقمياً، ووجدناها في عمليات البحث التي تستهدف التواصل مع الأدب والأدباء والتي كسر فيها الجمهور النمط السائد في الاعتماد على كلمات البحث العامة واعتمد فيها على كلمات البحث الأكثر تحديداً ودلالة ممّا جعل فروع أدبية تأتي في الصدارة، تليها الأعمال الأدبية والأدباء الذين سعى الجمهور للتواصل معهم وكان البحث عنهم بالاسم، سواء اسم

أسماء شعراء وكتاب من طراز نجيب محفوظ ونزار قباني مثلاً لا حصر، جاؤوا في المركز الثاني من أولويات "الإنترنتيين العرب" بعد المطربين والمغنيين.. وسبقوا ممثلي السينما والمسرح والتلفزيون من حيث الرغبة في التواصل مع شخصهم.. وهذا يعطي دلالة إيجابية على أن اللغة ومبدعيها، وفي مقدمتهم الشعراء، لهم مكانة قوية لدى شريحة الجمهور التي تبحث عن نجوم الثقافة..

تباين سلوك مستخدمي الإنترنت في تواصلهم مع العديد من القضايا الكبرى التي شملها الرصد والتحليل، فبينما منح الجمهور قدراً كبيراً من التركيز والاهتمام للقضايا الكبرى كما هو الحال مع قضية فلسطين، أظهر قدراً واضحاً من الإهمال والانصراف مع قضيتي المذهبية والطائفية وقضايا أخرى مثل الحرية والديمقراطية والتنوير..

4 - وسيط لتوسيع نطاق النشر

أظهر السلوك البحثي للساعين إلى التواصل الثقافي الرقمي رغبة واضحة في استخدام الإنترنت كوسيط لتوسيع نطاق النشر الثقافي الرقمي في مختلف فروعه جنباً إلى جنب مع وسائل النشر التقليدية، خصوصاً نشر الكتب والإنتاج الأدبي، ومن أبرز الأدلة على ذلك الإقبال واسع النطاق بين جمهور الإنترنت على القصة والرواية عبر الإنترنت، وشغفه بالتواصل الرقمي مع هذا اللون الثقافي والأدبي رقمياً، ووجود رغبة واضحة في البحث عن الكتب حيث كانت هناك 243 ألفاً و800 عملية بحث في المتوسط شهرياً تسعى وراء الكتب المتاحة مجاناً على الإنترنت، ولا يحدد أصحابها نوعية معينة للكتب، بل يريدونها مجانية فقط.

وبالطبع فإن هذه علامة قوة يمكن أن يستفيد منها المبدعون والمثقفون والناشرون، والقائمون على أمور الثقافة، لكونها تعكس شغفاً بالبحث عن الكتب طلباً لقراءتها، ولعل في هذا الشغف ما يبدد بعض القلق الذي يبدى البعض من أن الإنترنت أضعفت عادة القراءة وقللت الإقبال على الأدب بشكل خاص وغيّرت من ميول وتفضيلات قطاعات واسعة من الشباب والكبار تجاه الكتب والكتاب، فهي هو جمهور الشبكة يقبل على البحث والتواصل رقمياً مع القصة والرواية بمعدلات ربما تفوق من يزورون المكتبات ودور النشر والمعارض الواقعية.

5 - تواصل مع قنوات الثقافة التقليدية

لم تدفع نقطة أو علامة القوة السابقة السلوك البحثي لجمهور الإنترنت صوب حالة من الخصومة الكاملة والتخلي المطلق

الثقافة بالنسبة للعرب كانت في 97 % من الحالات والعمليات البحثية نسيجاً واحداً يتم البحث فيه وعنه باعتباره عنصراً عاماً مشتركاً وليس قطرياً، ومن الأمور اللافتة في هذا الصدد أن ما يزيد على 73 % من عمليات البحث التي استخدمت كلمات تعتمد على القطرية كانت مركزة في مجال السينما بشكل أساسي، أما النسبة القليلة الباقية فتوزعت على 16 فرعاً ثقافياً بكميات ضئيلة لا يعتد بها، وقد خلا فرعان ثقافيان من أي عمليات بحث قطرية تماماً.

ومن الأمثلة الأخرى البارزة على ذلك فرع الآثار، فعلى الرغم من طبيعة الآثار كتراث لصيق بكل شعب أو دولة على حدة، كانت هناك نسبة ضئيلة ممن يريدون التواصل مع الآثار اعتماداً على كلمات بحث على أساس الوطن أو الدولة مقارنة بمن يبحثون عن الآثار ككل، ولم يختلف الحال في التراث حيث جاءت الرغبة في التواصل مع التراث من منطلق وطني أو قطري في المرتبة الثالثة وكانت قليلة بصورة لافتة.

ومن الجيد أن يحدث ذلك على الرغم مما يقال عن تراجع فكرة القومية العربية على الصعيد السياسي والاقتصادي وربما الاجتماعي، والإيفال في القطرية على نحو لافت للنظر في هذه المجالات، وبالتالي فإن سلوك الباحثين عن التواصل الثقافي الرقمي يؤكد أن الوحدة الثقافية العربية تشكل توجهها غالباً وكاسحاً لدى الغالبية الساحقة من جمهور الإنترنت، إلا في بعض الحالات التي يتفوق فيها انتشار الإنتاج الثقافي لبلد ما على غيره لدى الباحثين عن التواصل الثقافي الرقمي، مثلما هو الحال مع السينما والغناء المصري، والموسيقى الخليجية.

6 - تواصل نشط مع مبدعي وإبداعات اللغة

حينما يأتي الشعراء في المركز الثاني بعد المطربين والمغنين ويسبقون ممثلي السينما والمسرح والتلفزيون والأدباء من حيث الرغبة في التواصل رقمياً مع شخصهم، فنحن أمام نقطة قوة جديدة بالملاحظة في الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي، لكون هذا التوجه يعطي دلالة إيجابية على أن اللغة ومبدعيها، وفي مقدمتهم الشعراء، لهم مكانة قوية لدى شريحة الجمهور التي تبحث عن نجوم الثقافة، فقد بدت النسبة الغالبة من جمهور الإنترنت الساعي للتواصل رقمياً مع الشعر والشعراء شغوفة بالبحث عن الشعر بصورة عامة، من دون تحديد للون شعري أو مدرسة شعرية أو شاعر بعينه أو شعر في وطن ما أو عصر تاريخي إلى غير ذلك.

7 - احتفاء بالإبداعات الأدبية النصية

احتلّ الأدب صدارة قائمة الفروع الثقافية العشرين من حيث البحث عن أعمال إبداعية بالإسم، وجاء ورائه المسرح في المركز الثاني، في حين تقهقرت السينما إلى المركز العاشر والغناء للمركز الحادي عشر بمعدلات بحث لا تكاد تذكر، وهنا نحن أمام سلوك أو توجه من قبل شريحة من الجمهور يؤكد أن النصوص الثقافية المكتوبة من روايات وقصص وكتب لا يزال لها اعتبارها كإبداعات ثقافية تطلب بالإسم ويسعى إليها مريدوها الذين يرون في الإنترنت وسيلة للوصول إليها واستهلاكها، بل لا تزال قادرة على أن تجعل الأعمال المسموعة والمرئية تتراجع بصورة واضحة، حتى وإن اتخذت صورة رقمية قابلة للتداول عبر الإنترنت، وهذا ما يجعلنا نرى في هذا

عن قنوات نشر الثقافة التقليدية، بل حمل هذا السلوك في طياته قدراً من التوازن جعله يظهر في الكثير من حالاته وهو يدفع باتجاه وضعية يتعاون فيها التواصل الثقافي الرقمي مع التواصل الثقافي غير الرقمي في آن واحد، وهذه نقطة قوة تدلّ على إيجابية واضحة من مستخدمي الشبكة وباحثيها، وقد ظهر هذا التوجه في العديد من الفروع الثقافية، كان من بينها فرع المكتبات التي دلت كلمات البحث المستخدمة فيه أن التواصل الرقمي ليس بديلاً للذهاب إلى المكتبة، ولكن وسيلة لتقليل الجهد في الوصول للمكتبة ومحتوياتها وكيفية التواصل معها، بعبارة أخرى كان السلوك البحثي في هذا الصدد يرى الإنترنت قناة رقمية تقود إلى مكتبة عادية وليست بديلة عنها، وذلك في حالة ما إذا كانت المكتبات نفسها مهياة لتقديم خدمات تواصل رقمية مع روادها على الإنترنت، من حيث فهرسة محتوياتها وإتاحتها على الموقع وتوفير أداة بحث وعرض جيدة للكتب ثم نظام للمدفوعات الإلكترونية، ونظام ملحق لتوصيل الكتب لطالبيها إما رقمياً عبر الموقع في حالة الكتب الموضوعة في صيغ إلكترونية، أو عبر البريد العادي في حالة شراء النسخ المطبوعة.

وبدلاً الإقبال الواضح على الكتب المجانية على الإنترنت أن حاز السعر بالنسبة للكتب يمثل عائقاً أمام شريحة كبيرة من جمهور الإنترنت الذي يسعى للتواصل مع المكتبات رقمياً وورقياً أيضاً، كما يدلّ على أن الإنترنت والمحتوى الرقمي الإلكتروني رخيص التكلفة يمكن أن يوظف كبديل مهم يلبي حاجة هؤلاء للتواصل مع المكتبات والكتب معاً، إذا ما أحسن عرضه وتنظيمه وفهرسته وربطه بمجموعة خدمات كالدفع الإلكتروني والتوصيل للمنازل.

تواصل الجمهور مع المنتجات الثقافية التي يمكن توظيفها في الترفيه السريع، بل والشاذ أحياناً كما هو الحال عند من يفضلون التواصل مع أفلام الرعب والغتصاب، وذلك على حساب الاهتمام بالتواصل رقمياً مع المنتج الثقافي أو الفروع الثقافية التي تساعد في بناء المعرفة وتنمية العقل..

تكشف الأرقام أن المؤسسات المعنية بأمور الثقافة عربياً معزولة في شرقية ضيقة تفصلها عن الغالبية الساحقة من جمهور الإنترنت، وذلك بسبب ضعف حضور هذه المؤسسات على الشبكة، فضلاً عن تواضع علاقتها مع الجمهور في الواقع الفعلي..

والتفاصيل الجارية للقضية، وعلى النقيض من ذلك وجدنا أن من يهتمون بقضية الطائفية أقل من 2% ممن يهتمون بالسينما وأقل من 5% ممن يهتمون بالغناء، وهذا يعني أنه إذا كانت قضية الطائفية تشكل عوامل قلق وأرق واضطراب في الواقع الفعلي يصل إلى حد إراقة الدماء وإشاعة الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، فإنها على صعيد التواصل الرقمي لا تشكل اهتماماً بالقدر نفسه، بل تعتبر قضية غير مثيرة وغير جاذبة للغالبية الساحقة من جمهور الإنترنت في العالم العربي.

ولا يختلف الأمر مع قضية المذهبية التي بدت في عمليات البحث شديدة الهامشية والضالة، ويتم البحث عنها بكلمات تشوبها العمومية الشديدة والتشويش أحياناً واختفاء أي كلمات بحث تتم عن اهتمام حقيقي بالقضية.

9 - جمهور يتجاوز المبدعين

ظهر السلوك البحثي لجمهور الإنترنت العربي أكثر نشاطاً وطلباً للتواصل من المبدعين ومنتجي الثقافة وإبداعاتها ومثقفها، بعبارة أخرى حينما كان الجمهور لا يجد لدى منتجي الثقافة ما يتوقعه من محتوى ومعلومات وخدمات تفاعلية أو حتى بسيطة، كان يلجأ لوسائل أخرى متاحة على الشبكة للتواصل معهم ومع منتجاتهم عبر مصادر وموارد معرفية معلوماتية تتجاوز ما يضعه المبدع أو المثقف أو الأديب أو الشاعر عنه نفسه وعن إنتاجه، وظهر هذا جلياً في مجال الشعر والمتاحف ومعارض الكتب والمتاحف والآثار والنشر، وهذه نقطة قوة تحسب للجمهور الساعي للتواصل الرقمي، لكونه يسعى للتواصل حتى ولو تجاوز ما يتحجه المبدع أو منتج الثقافة من الأفراد والمؤسسات،

السلوك البحثي نقطة قوة يجب التوقف عندها، لأنها تعكس احتفاء بالإبداعات الأدبية النصية، سواء في صيغتها الورقية المطبوعة أم الإلكترونية المطلوبة للمطالعة على الإنترنت وشاشات الحاسبات.

8 - تواصل رشيد مع قضايا كبرى

تباين سلوك مستخدمي الإنترنت في تواصلهم مع العديد من القضايا الكبرى التي شملها الرصد والتحليل، فبينما منح الجمهور قدراً كبيراً من التركيز والاهتمام للقضايا الكبرى كما هو الحال مع قضية فلسطين، أظهر قدراً واضحاً من الإهمال والانصراف مع قضيتي المذهبية والطائفية وقضايا أخرى مثل الحرية والديمقراطية والتنوير، وهذا معناه أنه يهتم بالقضايا التي يفترض أن تجمع وتوحد الأمة وتعد قضيتها المركزية، وينفر أو لا يكثر بالقضايا التي تفرق وتحدث مزيداً من الشروخ بين العرب كالقضايا الطائفية والمذهبية.

وسلوك بحثي من هذا النوع يعدّ من علامات القوة لأنه يعكس قدراً من الوعي والرشادة والنضج في توظيف الإنترنت كقناة تواصل مع هذه القضايا، ففي التواصل الرقمي مع قضية فلسطين اتسم هذا السلوك البحثي بالتركيز على الجوانب الكلية الكبرى طويلة الأجل في القضية مقارنة بالفعاليات الطارئة المرتبطة بأحداث يومية أو تلك التي تثير هبات عطف طارئة في عنفوانها وطغيانها، فالجزء الأكبر من عمليات البحث انصرف إلى التركيز على فلسطين كوطن وشعب وقضية كبرى يجري البحث عنها بكلمات توفر معلومات في شتى مساراتها، بينما توزعت النسبة الباقية على شرائح الجمهور الأخرى التي أثار اهتمامها الجوانب الإنسانية

المنتجات الثقافية ليست هي الأعلى قيمة أو الأشد أهمية، وإن كان لابد من الإشارة هنا إلى أنها صورة لا تختلف كثيراً عما يحدث في الواقع الفعلي خارج الإنترنت.

2 - بدائية أدوات البحث والتواصل

شكلت عمليات البحث بالكلمات العامة والسطحية، الخالية من أي تحديد أو ذكر لنطاق بحثي معين سواء على صعيد الموضوع أو الزمن أو السمات، العمود الفقري لتوجهات جمهور الإنترنت العربي وهو يحاول التواصل ثقافياً بصورة رقمية، وقد تركّز البحث بالكلمات العامة والسطحية في الفروع الثقافية التي يغلب عليها أو تسودها المنتجات الثقافية القابلة للاستهلاك أو الاستخدام المباشر على نطاق جماهيري واسع من قبل شرائح مجتمعية مختلفة، كالأغاني والأفلام والكتب وغيرها، ويمكن القول إنه كلما كان الفرع الثقافي أكثر غنى بهذه النوعية من المنتجات زاد فيه انتشار عمليات البحث بالكلمات العامة السطحية، أما إذا كان هذا الفرع أو ذاك يقدم خدمة أو يرسم سياسة أو ينفذ خطة أو حتى يقدم منتجاً لا يحظى بجماهيرية واسعة قلّ فيه استخدام الكلمات السطحية، وبالتالي كانت نقطة الضعف هذه تتغذى على السابقة وتغذيها، بمعنى أنه كلما كان الهدف الوصول إلى منتج ثقافي استهلاكي سطحي بطبعة، زاد استخدام الكلمات السطحية والعامة.

وعملياً تعدّ هذه السمة علامة على بدائية مهارات البحث وأدواته ونقطة ضعف كبيرة لدى هؤلاء، لأنّ استخدام هذه النوعية من الكلمات في البحث يغرق أصحابها عادة في ما يطلق عليه "الحمل الزائد للمعلومات" أو المعلومات التي تتدفّق عبر عمليات البحث ولا تلبّي بدقّة اهتمامات المستخدم وتحوّل إلى

ومثال على ذلك أنه لم تظهر عمليات بحث تذكر مواقع لشعراء محددين بالاسم إلا في ثلاث حالات، ويدلّ هذا التوجّه على أن مواقع الشعراء لا توفر للجمهور هدفاً يمكن السعي إليه، كما تدلّ على أن التواصل الرقمي مع الشعر وعالمه يتمّ في مجمله من خارج المواقع الرسمية للشعراء.

نقاط الضعف

في مقابل نقاط القوة السابقة أظهرت التحليلات أن توجهات الجمهور نحو التواصل الثقافي الرقمي تعاني من نقاط الضعف التالية:

1 - التواصل الثقافي الرقمي الاستهلاكي

بدت توجهات الجمهور نحو التواصل الثقافي الرقمي استهلاكية ترفيحية سطحية النزعة في الغالبية الساحقة من عمليات البحث التي نفّذوها، فقد ركّزت على التواصل مع المنتجات الثقافية التي يمكن توظيفها في الترفيه السريع، بل والشاذ أحياناً كما هو الحال عند من يفضلون التواصل مع أفلام الرعب والاعتصاب، وذلك على حساب الاهتمام بالتواصل رقمياً مع المنتج الثقافي أو الفروع الثقافية التي تساعد في بناء المعرفة وتنمية العقل وترشيد التعامل مع التحدّيات الثقافية الكبرى والحاسمة على الساحة وفهمها، أو التي يمكن القول إنها تتنقل فيها العلاقة بين الجمهور ومبدعي الثقافي والمتقنين من مستوى "المنتج، والمستهلك السلبي" إلى مستوى الشريك والشريك الإيجابي" اللذين بينهما علاقة تفكير وفهم مشترك للثقافة ومستقبلها وتفاعل حميم بين أطرافها، وهذه دون شك نقطة ضعف لكونها تحصر الإنترنت في مجرد قناة لتغذية حالة النهم الاستهلاكي لألوان من

جديد من هذه المنشآت يناسب ما يوفره العصر الرقمي من تسهيلات لمن يبحث عن الثقافة ومنتجاتها وخدماتها المقدمة بهذه المنشآت، لكن من الواضح أن المنشآت نفسها ليست معدة أو مهيأة بصورة كافية لهذا الدور حتى وإن كان مطلوباً من شريحة ضيقة وقليلة للغاية من جمهور الإنترنت.

نخلص من ذلك إلى أن قلة التواصل الرقمي مع المؤسسات يعد نقطة ضعف لأن الجمهور والمؤسسات فشلا معاً في استخدام الإنترنت كوسيط جديد وواعد للتواصل في ما بينهما رقمياً، وهو وضع يتسم بقدر غير قليل من الخطورة، لأن الثقافة تتعامل في الأساس مع العقل والوجدان معاً على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع والأمة ككل، ولذلك يصبح من الضروري أن يكون هناك نوع من التواصل الجيد والمستمر والعميق بين المؤسسات الثقافية الرسمية والعامة المنوط بها إدارة قضايا وملفات ثقافية معينة وتتولى مسؤولية التخطيط لتنميتها وتحسينها من جهة، والجمهور العام على مستوى المواطن الفرد أو الجماعات المحلية والمهنية والقطاعية من جهة أخرى، وإذا غاب هذا التواصل تأثرت أوضاع الثقافة سلباً بصورة حادة، ونخشى أن يكون هذا هو الحاصل بالفعل.

4 - ضعف التواصل الحيّ والفوري

سواء كانت عمليات البحث الساعية للاستهلاك والتواصل الرقمي ضخمة وبالملايين كما هو الحال في السينما والغناء أم قليلة بالآلاف كما هو الحال مع الفكر وغيره، فإنها لم تفرز قدراً معقولاً من التواصل الرقمي الحيّ والفوري، بل كانت في الغالبية العظمى من الحالات عمليات تواصل جامدة خالية من اللحظية والحيوية التي باتت السمة

عبء عليه بدلاً من أن تكون مفيدة له، ومن ثم تجعل من عمليات البحث أشبه بفقاعة تحمل الكثير من الهواء لا القيمة المضافة، وقد شاهدنا ذلك كثيراً عند تجهيز وإعداد البيانات حيث بدت هذه الفقاعة متضخمة في كل الفروع وبالأخص في السينما والأغاني والموسيقى كما سبقت الإشارة، وقمنا بإزالة مئات الآلاف وأحياناً الملايين من عمليات البحث ونتائجها لأنها وضعت بين يدي الجمهور نتائج لا علاقة لها بالثقافة والتواصل الثقافي وإنما ظهرت بسبب بدائية البحث وأدواته.

3 - ضعف التواصل مع المؤسسات والمنشآت

بدا التواصل الثقافي الرقمي لجمهور الإنترنت في العالم العربي ضامراً خافئاً وشحيحاً للغاية في سعيه للاستهلاك والتواصل رقمياً مع الأنشطة والمحتوى الثقافي الخاص بالمؤسسات الثقافية الرسمية والعامة المسؤولة عن رعاية والحفاظ على الثقافة والتخطيط لتنميتها وتطويرها، وكذلك المنشآت الثقافية الخاصة والعامة التي تتولى نشرها جماهيرياً، فهناك عزوف بالغ الوضوح عن التواصل مع المؤسسات القائمة على أمور الكتب والكتاب، سواء في القطاع الحكومي أم الخاص، وبالمشآت الثقافية التي ترعى الأدب والمؤسسات الرسمية المعنية به حيث كانت حصيلة العمليات البحثية في هذه المسارات صفراً، وهكذا تكشف الأرقام السابقة عن أن المؤسسات المعنية بأمور الثقافة في العالم العربي مفصولة عن الغالبية الساحقة من جمهور الإنترنت، على الرغم من أن هذا الجمهور أبدى قبولاً مبدئياً بفكرة التواصل الرقمي معها، بدليل أنه سعى إلى العديد منها رقمياً، وحاول الوصول إليها أملاً في خدمات يتوقعها أو معلومات يبحث عنها، وبحثاً عن أداء

والعامة والخاصة، ليس فقط لأنها حرمت الجمهور من فرصة التواصل الرقمي اللحظي والفوري، ولكن لأنها سهلت وضاعفت من سرعة وقوع جمهور الإنترنت العربي في فخ التقصير هو الآخر وانجرافه نحو التعامل مع الإنترنت كوسيط للاستهلاك النهم للثقافة، وليس المشاركة في صنعها وتحسينها بالتواصل الحي الفوري بين الطرفين.

5 - ضالة الاهتمام بالقضايا والأفكار

كان واضحاً بصورة عامة أنه كلما ابتعدت عمليات البحث عن المنتج واقتربت من القضايا والأفكار ضعف الاستهلاك والتواصل، واستمر هذا الاتجاه حتى بلغ الاستهلاك والتواصل قمة الضعف في ما يتعلق بالقضايا والأفكار، بل الأكثر من ذلك لوحظ استخدام كلمات بحث شديدة العمومية يفلب على البعض منها التشويش ويسودها جميعاً عدم التحديد الذي يدلّ على عدم اكتراث أو لا مبالاة من قبل منفذي عمليات البحث للقضية، فحينما نطالع متوسط عمليات البحث التي يسعى أصحابها للتواصل رقمياً مع الفكر وأعلامه وقضاياها بالوطن العربي سنجدّها إجمالاً أقلّ من نصف متوسط عمليات البحث التي يسعى أصحابها للتواصل رقمياً مع مطرب مثل **تامر حسني**، والرقم الإجمالي لعمليات البحث عن قضية التنوير يدلّ على أنها قضية مهمّشة بالنسبة لجمهور الإنترنت الباحث عن المعلومات إن لم تكن بالفعل الأكثر تهميشاً على الإطلاق، ومن جانب آخر تكشف هذه التوجهات عن أن هناك قصوراً واضحاً من جانب القائمين على الفكر في جذب شرائح عريضة من الجمهور، وهكذا تبدو الإنترنت - في ما يتعلق بالقضايا والأفكار - قناة تواصل شديدة الضيق، على الرغم من كونها غنية بالأدوات التي تجعلها فسيحة

الغالبية للتواصل الرقمي عبر الإنترنت في شتى المجالات، ويؤكد ذلك الاهتمام شديد الضالة بالفعاليات الثقافية في شتى الفروع، حيث لم يظهر الاهتمام بالفعاليات الثقافية الجارية على أرض الواقع خارج الإنترنت أو داخلها إلا في ثلاثة فروع فقط هي السينما والمسرح والفن التشكيلي ولم يظهر في الـ 17 فرعاً الأخرى، وفي الوقت نفسه لوحظ عزوف واضح من قبل جمهور الإنترنت عن المشاركة في المنتديات الثقافية الافتراضية واستخدامها كوسيلة للتواصل الثقافي، هذا فضلاً عن أن مفهوم المنتديات والصالونات الثقافية في العالم العربي لدى جمهور الإنترنت ينصرف فقط إلى المنتديات الثقافية الرقمية على الشبكة ولا يأخذ في حسابه الصالونات الثقافية الفكرية التي تجري فعاليتها وأنشطتها في الواقع الفعلي، إذ لم ترد عملية بحث واحدة تسعى للسؤال أو التواصل مع أيّ منتدى أو صالون ثقافي عربي يتمّ في الواقع الفعلي، وتكمل حالة التواصل مع معارض الكتب رقمياً الصورة الجامدة الخالية من الحيوية واللحظية في التواصل الثافي الرقمي، فالجمهور لديه تجاهل تام للفعاليات التي تهّم صناعة المعارض وتجري أثناء فترة انعقادها، وهو وضع يعكس ضحالة شديدة في استخدام الإنترنت كوسيط للاستهلاك والتواصل رقمياً مع معارض الكتب، وفي الغالب يعود ذلك إلى أن إدارات المعارض والقائمين عليها في العالم العربي لم يتنبهوا بعد وبما فيه الكفاية لما تحمله الإنترنت من إمكانات في هذا الصدد والذي وصل إلى مرحلة تنظيم معارض افتراضية رقمية تتوازي يوماً بيوم وساعة بساعة مع ما يجري في المعارض على أرض الواقع.

تشكّل هذه التوجهات وغيرها نقطة ضعف إن لم تكن أزمة، تتورّع مسؤوليتها على منتجي الثقافة والقائمين عليها المؤسسات الرسمية

نحو الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي، الأمر الذي يشكّل نقطة ضعف في بنية هذه التوجهات وفعاليتها من حيث الجودة.

7 - تفضيل للثقافات غير العربية ورموزها أحياناً

أظهر جمهور الإنترنت العربي في بعض الأحيان انحيازاً وإقبالاً للعديد من الفروع الثقافية غير العربية ورموزها بشكل يفوق الثقافة العربية ورموزها، ومن الأمثلة البارزة في هذا الصدد التوجّه نحو السينما الهندية والممثلين الأتراك، كما ظهرت هذه السمة بصورة أقلّ في فروع أخرى مثل المتاحف التي حظي فيها متحف مثل اللوفر وبعض المتاحف الروسية والأميركية باهتمام فاق عمليات البحث الموجهة للبحث عن الآثار العربية، وكانت هناك بعض الإشارات المقلقة، منها مثلاً أن الرقم الخاص بعمليات البحث التي سعت للاستهلاك والتواصل مع السينما الإسرائيلية وصل إلى 9900 عملية بحث شهرياً، وهو رقم يفوق بل وربما يصل إلى ضعف الأرقام الخاصة بالعديد من أوجه التواصل مع فروع ثقافية عربية أصيلة كالتراث والآثار مثلاً، ولاشك أن الانفتاح على الآخر مطلوب، ولكن أن يتمّ توظيف الإنترنت كقناة للتواصل مع الآخر بصورة تتجاوز التواصل مع الثقافة الأم فهذا بلا شك نقطة ضعف في الاستخدام، لأنها تقود إلى جعل الإنترنت أداة ليس للتواصل مع الآخر والانفتاح عليه، بل أداة للانبطاح أمامه والسماح له بالطغيان على الانتماء والاهتمام بالثقافة الوطنية والقومية.

8 - ظهور الجنس في غير موضعه

من الأمور التي لا تخلو من فجاجة أن جمهور الإنترنت العربي وهو يسعى

ورحبة، ممّا يضعنا في النهاية أمام نقطة ضعف في التواصل الرقمي لا يمكن تجاهلها.

6 - اختلالات لمصلحة الأقل قيمة

عانى الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي من قبل الجمهور من ظاهرة الانحياز الواضح لكلّ ما هو أقلّ قيمة أو أدنى أهمية على قائمة الأولويات الثقافية، فبدا تواصلاً غير رشيد مشوباً بالاختلالات، فعلى سبيل المثال وجدنا أن معدل الاهتمام بكتب الطبخ يبلغ 52 ألفاً و900 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وهو رقم يعادل 1.8 ضعف عمليات البحث عن قضايا الإصلاح السياسي والفكر العربي والتنوير مجتمعة، ويتجاوز قليلاً عدد عمليات البحث عن المؤسسات الثقافية وأكثر من نصف الباحثين عن معارض الكتب والمنشآت الثقافية، و158 ضعف البحث عن الوحدة العربية، وستة أضعاف البحث عن الفكر العربي، ووجدنا أيضاً أن البحث عن النكت أكبر بـ 19 ضعفاً من البحث عن قضايا الوحدة، وفي مجال الاهتمام بالقضايا الثقافية المختلفة وجدنا اهتمام الجمهور بقضايا التمثيل والغناء بالأساس وإهمال القضايا الجادة والمهمة والمصيرية في مجال الثقافة والفكر والقضايا المتخصصة ذات القيمة الأدبية والفكرية التي تُعلي من استخدام العقل وتحثّ على المتابعة وتوسيع الأفق والاطلاع، ولو راجعنا الأرقام الخاصة بهذه القضايا سنجد أن أكثر من ربع من يسعون للتواصل مع القضايا الثقافية يسعون بالأساس للتعرف إلى كيفية إعداد الممثل أو كيف يصبح الإنسان ممثلاً.

على هذا المنوال تنتشر الاختلالات بدرجات وصور متفاوتة ومختلفة في معظم أجزاء "الجسم العام" لتوجهات الجمهور

وعند البحث عن الكتب والأفلام، حيث برزت هذه النوعية من عمليات البحث بصورة فجّة وطاغية، وتمّت إزالتها لما تحمله من إباحية ولكونها لا تعبّر عن الجوهر الحقيقي لعمليات الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي الجديرة بالدراسة.

9 - ضعف التواصل مع القضايا ذات المنظور السياسي

وضح تماماً أن جمهور الإنترنت العربي وهو يسعى للاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي لا يقيم وزناً للمنظور الثقافي للقضايا الثقافية الرئيسية الساخنة على الساحة، بل ربما لا نكون مبالغين إذا قلنا أنه لا يأبه به من الأصل، فعمليات البحث التي تحمل في طياتها أيّ إشارة تربط بين الثقافة والقضايا السياسية التي تمّ إدراجها ضمن القضايا العامة تكاد تكون معدومة، وتحديدًا في قضايا الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والإصلاح السياسي، فالحرية في الفضاء الرقمي تبدو قضية شديدة النخبوية وتهتمّ بها فئة قليلة للغاية من جمهور الباحثين عن المعلومات من العرب مقارنة بإجمالي عدد مستخدمي الإنترنت أو حتى الباحثين عن نوعيات أخرى من المعلومات، في ما يبدو حال الاستهلاك والتواصل الرقمي مع قضية الديمقراطية من منظور الثقافة أسوأ من قضية الحرية، وكفي مثلاً الإشارة إلى ما استتجّاه من أن قائمة كلمات البحث الخاصة بالمؤسّسات الديمقراطية لم تتضمن سوى عشر كلمات ورد من بينها حزب المجتمع الديمقراطي وحزب الوحدة والديمقراطية، وهو ما يعني أن عمليّات البحث عن الأحزاب السياسية في الوطن العربي والتي اقترنت بقضية الديمقراطية تكاد تكون نادرة أو

للاستهلاك والتواصل مع قضايا فكرية وثقافية وقومية أقحم البحث عن الجنس واللذة الحسية في غير موضعه وبلا مبرر، وكأنه يسعى إلى تنفيه عمليات الاستهلاك والتواصل الثقافي التي يبحث عنها، أو أنه لا يطبق التوقّف عن استخدام الإنترنت كمطيّة للوصول إلى مواد إباحية حتى وهو يسعى للتواصل الثقافي، ونذكر هنا على سبيل المثال أن البحث عن الجنس احتلّ المركز الثالث عند البحث عن الأشياء والقضايا العربية المشتركة متفوقاً على أشياء عربية مشتركة أخرى كالمنديات والقصص والكتب والمجلات والجامعات والبحوث والصحف.

تكرّرت الظاهرة نفسها عند التواصل مع أميركا رقمياً، فالجنس احتلّ المركز الخامس بين تسعة مراكز شملتها قائمة اهتمامات العرب في أميركا، حيث وجدنا أن هناك من يرون أميركا مكاناً للجنس وما يرتبط به من متع حسية ولذة جسدية، وقد لوحظ أن عدد عمليات البحث التي ينتجها هؤلاء تتفوّق على عدد عمليات البحث التي أنتجها من ينظرون إلى أميركا كمكان للدراسة أو إنتاج الأدب والفن، والشيء نفسه مع إسرائيل، حيث وجدنا أن الجنس يحتلّ المركز السادس من بين أحد عشر مركزاً تضمها قائمة اهتمامات العرب بإسرائيل، فعدد عمليات البحث التي أنتجها من يبحثون عن إسرائيل كمكان للجنس واللذة يفوق عدد عمليات البحث التي أنتجها من يبحثون عن الموارد الداخلية ومصادر قوّة إسرائيل وقضاياها الداخلية وقادتها.

هذا بخلاف عمليات البحث المتعمدة عن الجنس والتي تقدر بالملايين وظهرت في الكثير من الفروع الثقافية والمسارات البحثية، وتركّز معظمها عند البحث عن الممثلات والمطربات

على الرغم مما أتاحته الإنترنت من إمكانيات هائلة لهذا النوع من التواصل، ونجحت العديد من المجتمعات عالمياً في توظيفها توظيفاً جيداً ومؤثراً أدخل إلى الساحة الدولية ما يعرف بالسياحة الثقافية الأثرية التخليية عبر المواقع، وهو أمر تكشف الأرقام السابقة أنه بعيد المنال في العالم العربي، تارة بسبب عزوف الجمهور وقلة وعيه، وتارة أخرى، وهو الأهم، بسبب تقصير الجهات القائمة على التوظيف الأثري للإنترنت في الدخول إلى عالم السياحة الثقافية الأثرية الرقمية.

توصلنا كذلك إلى نتيجة مماثلة في ما يتعلق بالتراث، إذ قلنا إن التراث قضية سيئة الحظ إلى حد كبير في إقبال جمهور الإنترنت العربي على التواصل معها رقمياً، وتقترب كثيراً من الأوضاع التي تعاني منها قضية الآثار، ولعل في هذا مؤشر مقلق، لأنه يدل على أن الأجيال الجديدة، التي هي عماد أو ركيزة من يستخدمون الإنترنت، يبتعدون بسرعة عن تراث بلادهم وأوطانهم ولا يعيرونه الاهتمام الكامل وهم يستخدمون الإنترنت كفضاء رقمي للتواصل.

وحينما استكشفنا مدى الإقبال على الفروع والمنتجات الثقافية في العصور المختلفة وجدنا أن متوسط عمليات البحث الشهرية الخاصة بالموثوث الثقافي للأمة العربية بكل فروعها العشرين التي خضعت للتحليل تقل عن عمليات البحث عن المطرب عمرو دياب بمعدل 27.2 ضعفاً.

وهذه بالطبع تشكل نقطة ضعف في توجهات الجمهور نحو التواصل الثقافي الرقمي، وتراخ في حرصه على فهم الماضي واستيعابه كخطوة ضرورية لمعيشة الحاضر واستشراف المستقبل.

معدومة، ولم تبد قضية حقوق الإنسان أفضل حالاً، فعدد عمليات البحث عنها يؤكد أنها غير جاذبة للجمهور العام عبر الإنترنت وأنها نخبوية بامتياز مثلما هو الحال مع الحرية والديمقراطية.

هذا الوضع يجعلنا بصدد نقطة ضعف تلقي بتساؤلات عديدة حول حدود التأثير الذي تحدثه الإنترنت في قضايا الحرية والديمقراطية وغيرها من القضايا العامة من هذا النوع، فمن الواضح أن جمهور الإنترنت العربي لا يزال إما يكتفي بالفرجة أو البحث بصورة قشرية عامة ولا يكون رأياً أو موقفاً يقتنع به ويبحث عما يؤيده أو يشارك في فعالياته، ومن ثم فهي من منظور التواصل الثقافي الرقمي قضايا تهم منتجها والمدافعين عنها داخل النخبة الضيقة أكثر منها قضية تهم من يفترض أنهم مستقبلوها والمتعاطون معها من الجمهور العام.

10 - ضعف التواصل مع الموثوث الثقافي

يشكل التراث والآثار والعصور الثقافية السابقة لمختلف الفروع الثقافية العشرين التي خضعت للتحليل ما يمكن أن نطلق عليه الموثوث الثقافي في التواصل الرقمي عبر الإنترنت، وتدلّ عمليات البحث وتحليلاتها السابقة على أن توجهات الجمهور العربي نحو الموثوث الثقافي الرقمي ضئيلة للغاية، فالاهتمام بالآثار منخفض بوضوح، وهو في انخفاضه يفضّل التواصل معها باستخدام كلمات بحث عامة، كما يتعامل مع الآثار كصور للمطالعة وزيارتها بغرض التسلية، وفي ما عدا ذلك يبدو قليل الاكتراث أو لا يكثرث كلياً بما يجري في هذا المجال، ومن ثم تشكل الآثار عنصر ضعف في منظومة التواصل الثقافي الرقمي

أي محتوى رقمي ينتجه العرب؟

سمات منتجي الثقافة عبر المواقع "الأرقام بالنسب المئوية"

جدول رقم 30

تشكّلت عيّنة المواقع الثقافية العربية التي خضعت للتحليل من 50 موقعاً ثقافياً. ويوضح الجدول رقم "30" سمات منتج الثقافة "أصحاب المواقع" طبقاً لمعايير التحليل السابق الإشارة إليها، وبناءً على الأرقام الواردة في هذا الجدول يمكن إجمال هذه السمات في ما يلي:

- طغيان الفرد وغياب المؤسسة.
- إنفتاح كامل على الجمهور.
- سيادة المحتوى الموجه للبالغين.
- وجود شريحة كبيرة من المحتوى ليس لها جمهور محدد موجهة إليه.
- النصوص لا تزال على القمة من حيث تعددية الوسائط.
- وجود حالة من الحماس لدى المستهلكين تقابلها حالة فتور من المنتجين وأصحاب المواقع.
- حدوث انتعاشة في تجديد المحتوى مقارنة بالحالة التي تمّ رصدها في تحليلات تقرير العام الماضي.

أما سمات مستهلكي الثقافة زوار المواقع فيوضحها الجدول رقم "31". واستناداً إلى الأرقام الواردة فيه، يمكن رصد السمات الخاصة بمستهلكي الثقافة الرقمية على المستوى العربي في ما يلي:

- الجماهيرية الضعيفة أو الغائبة وهذه يوضحها الشكل رقم "44"؟
- وجود أقلية جماهيرية نشطة وفعالة وإيجابية تبحث عن قدر من التفاعل مع هذه المواقع وما تقدّمه من محتوى ثقافي، وتجلّى ذلك في إسهامات هذه الأقلية وإضافاتها على

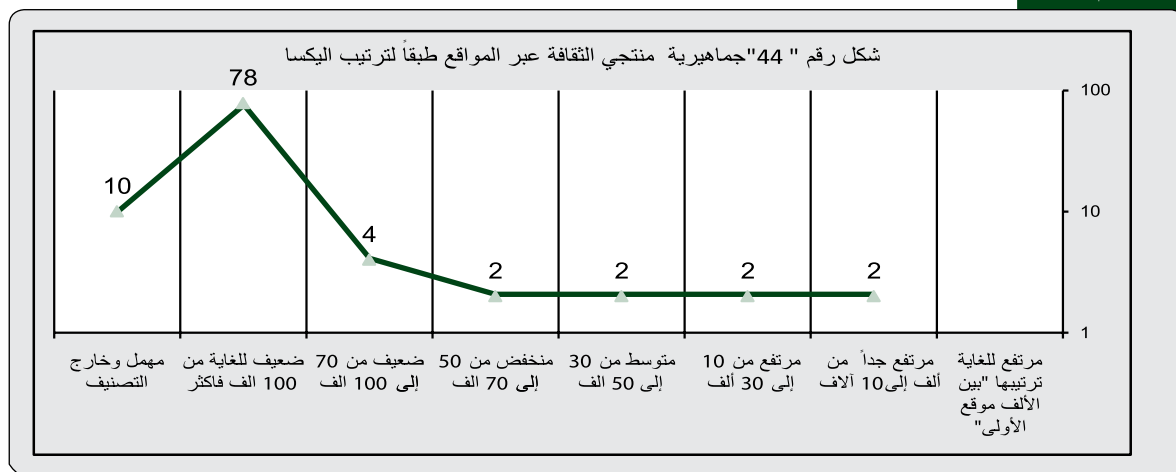
طبيعته				
أفراد	مؤسسة رسمية	مؤسسة مدنية	شركات خاصة	
58	18	16	8	
نطاق الانتشار الذي حدده للتعامل مع الجمهور				
مغلق	مفتوح	غير محدد		
0	100	0		
سن الجمهور الذي يخاطبه				
أطفال	شباب	بالغون	غير محدد	مسنون
2	24	48	34	0
مستوى تعليم الجمهور الذي يخاطبه				
تحت المتوسط	متوسط	عال ومتقنون	غير محدد	
0	20	60	20	
نمط المنتج الثقافي الذي قدمه				
نصوص	صور	صوت	فيديو	متنوع
76	64	20	6	16
مستوى تفاعليته ومشاركته مع جمهوره				
عال جدا	عال	متوسط	منخفض	لا يوجد
10	4	6	4	76
نمط تحديثه للمادة الثقافية المقدمة				
النمط	ثابت	متجدد	تفاعلي	متنوع
المنتج	13	23	1	2

"سمات مستهلكي الثقافة عبر المواقع "الأرقام بالنسب المئوية"

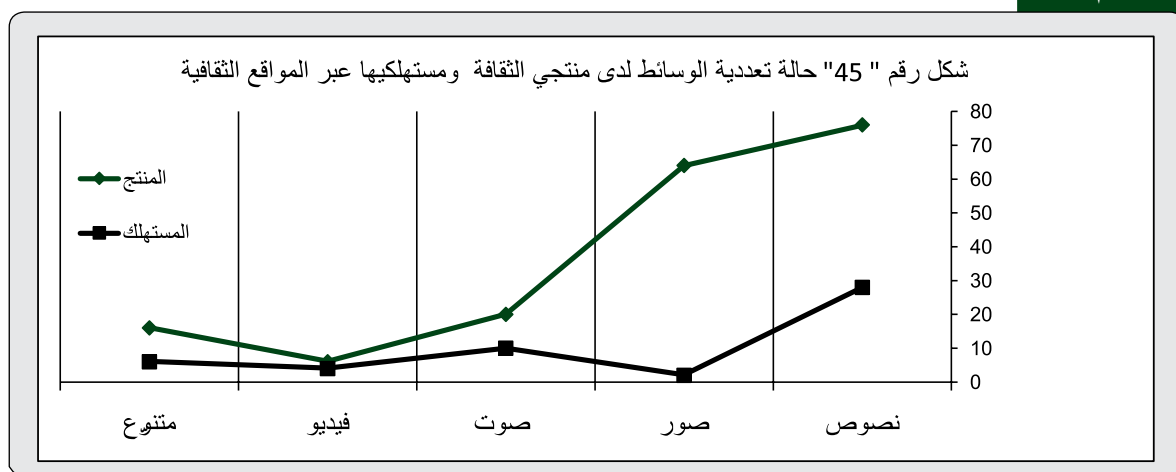
جدول رقم 31

نمط الاسهامات المقدمة				
نصوص	صور	صوت	فيديو	متنوع
28	2	10	4	6
مستوى تفاعليته مع المادة الثقافية المقدمة				
عال جدا	عال	متوسط	منخفض	لا يوجد
16	10	10	8	46
نمط تحديثه لإسهاماته وردود افعاله				
النمط	ثابت	متجدد	تفاعلي	متنوع
المتلقي	4	2	4	0

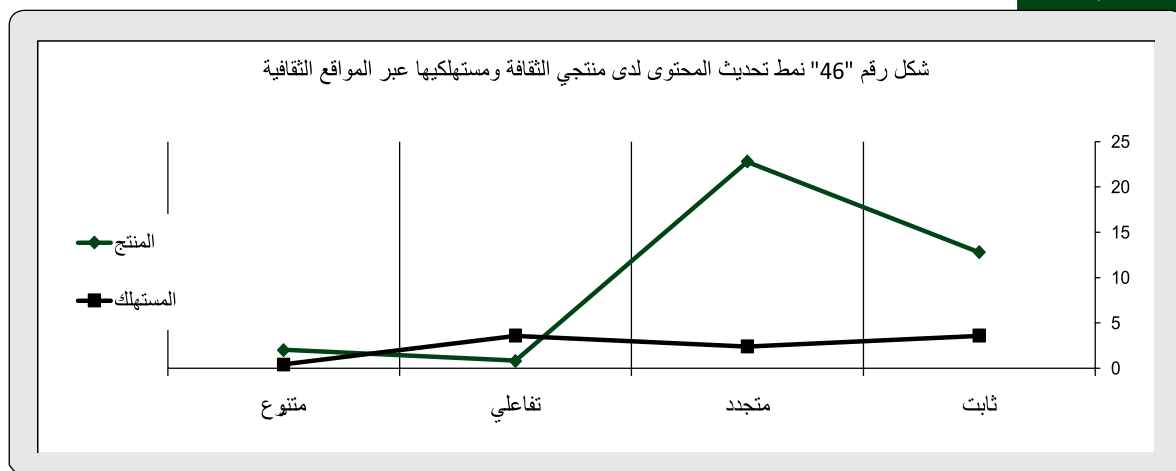
شكل رقم 44



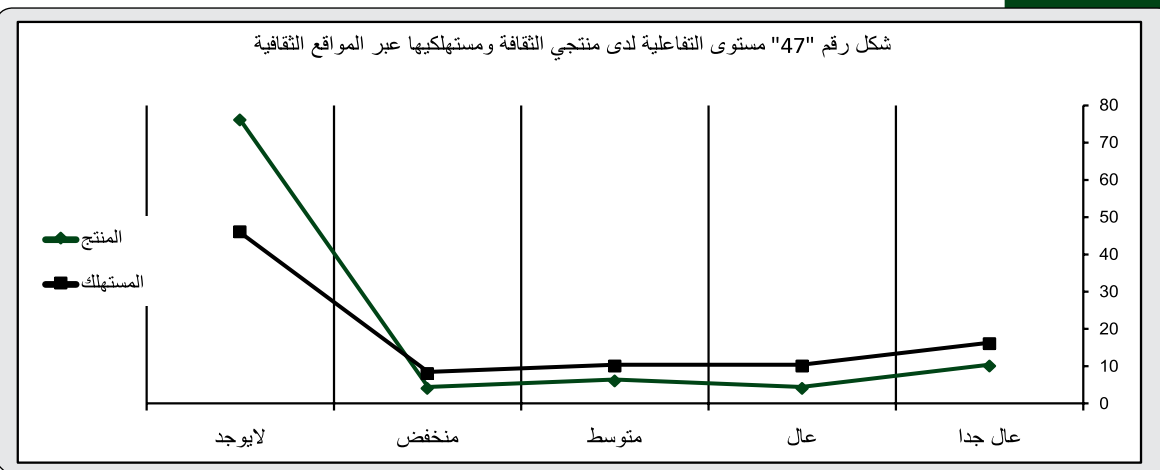
شكل رقم 45



شكل رقم 46



شكل رقم 47



المواقع التي توافرت فيها وسائل.

• الميل إلى "النصيحة" في التفاعل والتواصل

الثقافي وليس تعددية الوسائط.

• وجود ضعف عام في مستوى تفاعلية

الجمهور أو المستهلك مع المادة الثقافية

المقدمة عبر الموقع.

• انتشار كثيف للمحتوى الثابت في عملية

التفاعل وغياب المحتوى المتنوع المتجدد

التحديث.

منتج الثقافة ومستهلكها عبر

المواقع وجهاً لوجه

من خلال وضع التحليلات الخاصة بمنتج

الثقافة ومستهلكها عبر المواقع الثقافية وجهاً

لوجه اتضح الآتي:

• هناك تشابه في استخدام تعددية

الوسائط، وهو ما يوضحه شكل رقم "45".

• هناك حالة من التقلب وجدت من حيث

التحديث لدى منتجي الثقافة عبر المواقع،

مقابل توازن لدى المستهلكين، كما هو واضح

في الشكل رقم "46".

• التفاعلية كانت أعلى لدى المستهلك، كما

يشير إلى ذلك الشكل رقم "47".

سمات منتج الثقافة عبر المنتديات الثقافية "الأرقام بالنسبة المئوية"

جدول رقم 32

طبيعته			
أفراد	مؤسسة رسمية	مؤسسة مدنية	شركات خاصة
83	5	13	0
سن الجمهور الذي يخاطبه			
أطفال	شباب	بالغون	مسنون
0	80	45	15
نمط المنتج الثقافي الذي قدمه			
نصوص	صور	صوت	فيديو
100	83	68	55
معدل تحديثه للمادة الثقافية المقدمة			
ثابت	متجدد	تفاعلي	متنوع
0	34	29	1
نطاق الانتشار الذي حدده للتعامل مع الجمهور			
مغلق	مفتوح	غير محدد	
95	0	5	
مستوى تعليم الجمهور الذي يخاطبه			
تحت المتوسط	متوسط	عال ومتفوقون	
0	63	53	
مستوى تفاعليته ومشاركته مع جمهوره			
عال جداً	عال	متوسط	منخفض
65	23	20	0

سمات جمهور المنتديات الثقافية

جدول رقم 32

ب

"التفاعلية والمشاركة"				
لا يوجد	منخفض	متوسط	عالٍ	عال جداً
0	2	0	3	35
نمط المنتج الثقافي المقدم				
متنوع	فيديو	صوت	صور	نصوص
0	22	26	33	40
الحجم				
	عدد المشاركين (الموضوعات)	عدد المشاركات	عدد الأعضاء	عدد الزوار طبقاً لأليكسا
	1236886	28394658	1268597	8291071
نطاق الانتشار				
		غير محدد	مفتوح للجمهور العام	مغلق على أصحاب المهنة والتخصص
		0	0	38
المستوى التعليمي				
		عال ومثقفون	متوسط	تحت المتوسط
		21	25	0
السن				
	مسنون	بالغون	شباب	أطفال
	6	18	32	0

إنتاج الثقافة عبر المنتديات واستهلاكها

قام فريق البحث باستعراض المئات من المنتديات التي تصنف نفسها على أنها منتديات ثقافية عربية على الإنترنت، واختار منها عينة مكونة من 40 منتدى، وفقاً لقاعدة الانتشار وحجم الأعضاء والمشاركة النشطة، واستخدم في تحليل هذه المنتديات المعايير نفسها تقريباً التي استخدمت مع المواقع، مع إضافة وحيدة هي تحليل أداء الجمهور المشارك في المنتديات من واقع عدد الأعضاء وعدد المساهمات وعدد الموضوعات المقترحة من قبل الجمهور، ويعرض الجدول رقم "32" نتائج التحليلات الخاصة بسمات منتجي الثقافة عبر المنتديات، وبناءً على الإحصاءات يمكن تلخيص هذه السمات في:

• هيمنة الأفراد على الإنتاج الثقافي عبر المنتديات.

• وجود انحياز للشباب والبالغين والمتعلمين على حساب الفئات العمرية والتعليمية الأخرى، خصوصاً الأطفال وذوي التعليم المنخفض.

• وجود ميل واضح لدى أصحاب هذه المنتديات لحجب محتواها وإغلاقه على أعضائها فقط وعدم فتحها لعامة الجمهور.

• التركيز على المحتوى المتجدد التفاعلي من قبل مديري المنتديات.

• وجود حالة من الحماس لدى منتجي الثقافة للتفاعل مع الجمهور بعكس المواقع.

• رصد حالة من التوازن في تعددية الوسائط المقدمة من المنتجين ما بين النص والصورة والصوت.

أما سمات المستهلكين "جمهور المنتديات" فيوضحها الجدول رقم "32 ب"، واستناداً للإحصاءات الواردة فيه يمكن رصد هذه السمات في:

• أن هذه السمات خليط من الذي يحدث على المواقع من مطالعة بطيئة قليلة التفاعلية مع المحتوى المعروض، وما يحدث عبر قنوات التواصل السريعة عالية التفاعلية.

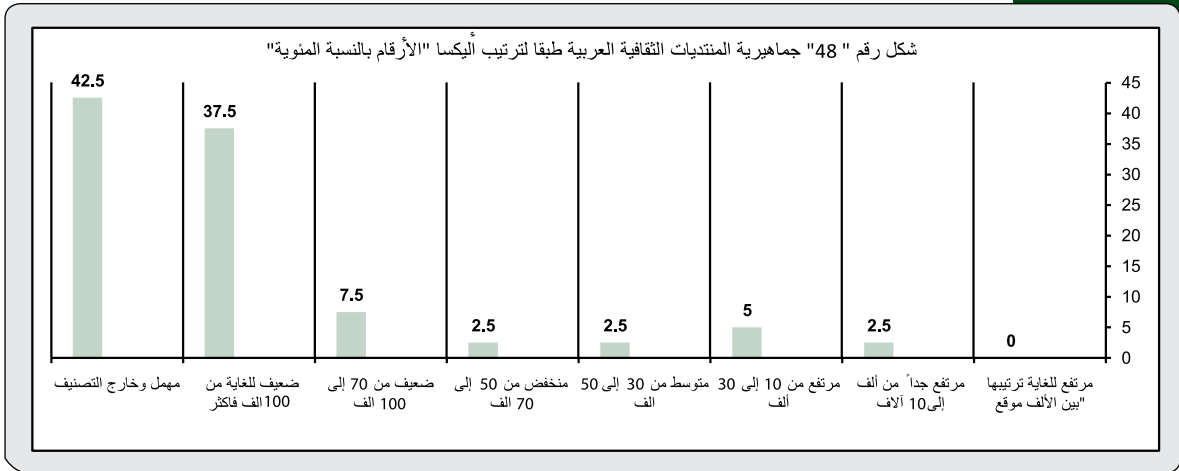
• ضعف الإقبال على المنتديات الثقافية، سواء من حيث الزيارة والتصفح وهذا يوضحه شكل رقم "48"، أم من حيث المشاركة والتسجيل وهذا ما يوضحه شكل رقم "49".

• سيادة منطق المشاركة في التعليقات وندرة المشاركة في الموضوعات، وهذا ما يوضحه شكل رقم "50".

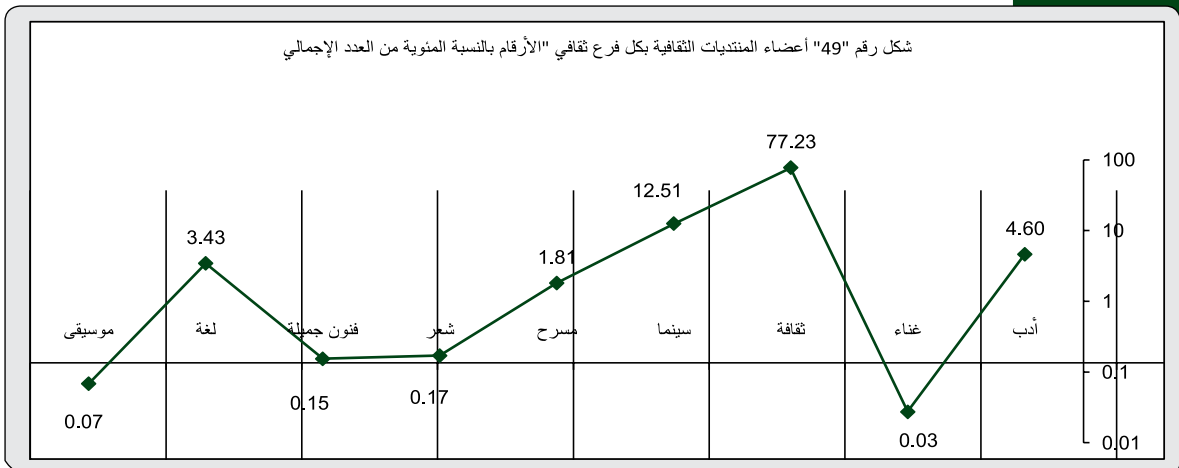
• من حيث طبيعة الإنتاج الثقافي أظهر الجمهور اعتماداً كلياً على الإسهام النصي، وتفاعلية عالية مع المواد المقدمة، وكثافة

وفقاً لمقياس "أليكسا" لتحديد الإقبال الجماهيري على المنتديات، فإن 5 % فقط من المنتديات الثقافية العربية على شبكة الإنترنت تحظى بإقبال جماهيري مرتفع و 2.5 % تحظى بتصنيف مرتفع جداً..

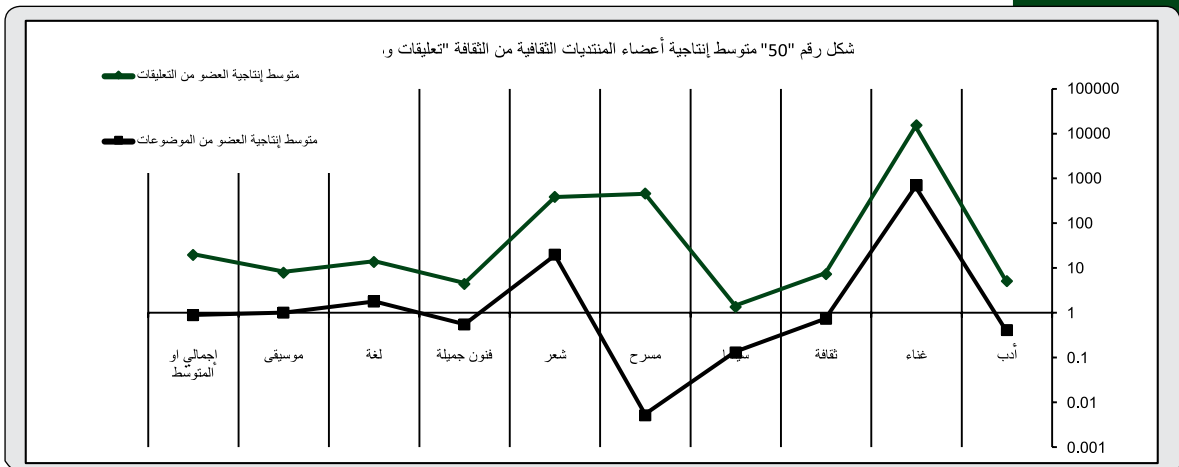
شكل رقم 48



شكل رقم 49



شكل رقم 50



شكل رقم 51



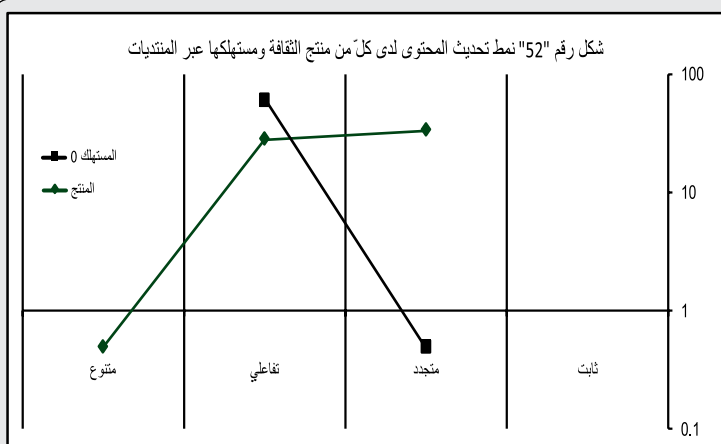
وانتشاراً واسعاً للمحتوى المتجدد سريع التحديث.

وعند مقارنة أداء منتجي الثقافة ومستهلكيها عبر المنتديات وجهاً لوجه اتضح ما يلي:

- في معيار تعددية الوسائط يصل أداء الطرفين لذروته في استخدام النصوص وينحدر ليصل لأدنى مستوى في استخدام الفيديو كما هو واضح في شكل "51".
- هناك نفور من المحتوى الثابت لدى الطرفين وميل للمحتوى المتجدد والتفاعلي، كما يوضح الشكل رقم "52".

• تتخذ التفاعلية حالة وسط لدى الطرفين، وإن كان المستهلك يتفوق فيها على المنتج كما يوضح الشكل رقم "53".

شكل رقم 52

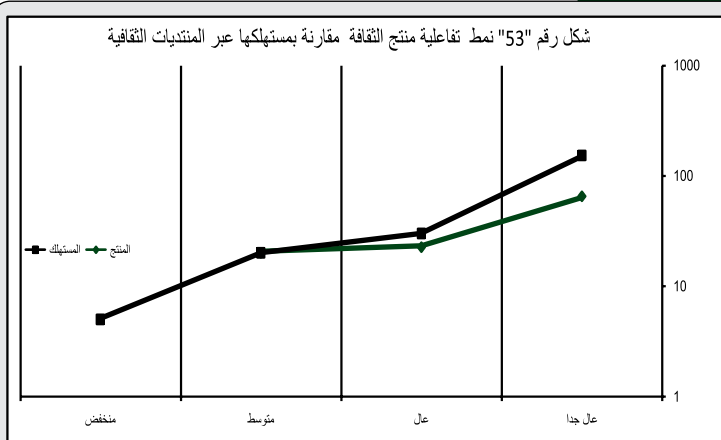


إنتاج الثقافة عبر المدونات واستهلاكها

تشكلت عينة المدونات التي خضعت للتحليل من 51 مدونة ثقافية، توزعت على مجالات وفروع ثقافية عدة، فكانت هناك 16 مدونة في الشعر و9 في الأدب و8 في السينما و5 في الكتب و4 في الفنون التشكيلية والجميلة و4 في المسرح و2 في الإعلام وواحدة في الغناء وواحدة في النشر، ويوضح الجدول رقم "33" نتائج التحليلات الخاصة بأصحاب المدونات الثقافية باعتبارهم منتجين للثقافة، واستناداً إلى هذا الجدول يمكن تلخيص سمات المدونين كمنتجين للثقافة في ما يلي:

- سيادة التدوين الفردي وندرة أو اختفاء المدونات ذات الطابع المؤسسي أو الجماعي أو القائمة على فكرة.
- انفتاح المدونين على الجمهور وعدم استخدام أي قيود أو حواجز أمام وصول الجمهور لمدوناتهم.
- ظهور الأطفال وصغار السن من ضمن

شكل رقم 53



جدول رقم 33

سمات منتج الثقافة في تقديمه للمحتوى عبر المدونات "الأرقام بالنسبة المئوية من إجمالي عينة البحث وهي 50 مدونة"

نطاق الانتشار الذي حدده للتعامل مع الجمهور			طبيعته			
مغلق	مفتوح	غير محدد	مؤسسة رسمية	مؤسسة مدنية	شركات خاصة	أفراد
2	96	2	0	0	0	100
مستوى تعليم الجمهور الذي يخاطبه			سن الجمهور الذي يخاطبه			
تحت المتوسط	متوسط	عال ومثقفون	أطفال	شباب	بالغون	مسنون
35	90	92	12	100	98	86
مستوى تفاعليته ومشاركته مع جمهوره			نمط المنتج الثقافي الذي قدمه			
متنوع	عال جدا	عال	متنوع	متوسط	منخفض لا يوجد	لا يوجد
12	16	8	8	25	43	22
معدل تحديث المحتوى المقدم	النمط	ثابت	متجدد	تفاعلي	متنوع	حجم الإنتاج
98	73	12	22	30	1	0
معدل تحديث المحتوى المقدم	النمط	ثابت	متجدد	تفاعلي	متنوع	حجم الإنتاج
98	73	12	22	30	1	0
معدل تحديث المحتوى المقدم	النمط	ثابت	متجدد	تفاعلي	متنوع	حجم الإنتاج
98	73	12	22	30	1	0

- المدونين الثقافيين.
- ضعف استخدام تعددية الوسائط من قبل المدونين.
- تفوق المحتوى المتجدد على الثابت، وهي دلالة على ديناميكية المدونين وعلى نشاطهم وحيويتهم.
- ضعف مستوى التفاعل الذي يبديه المدونون مع جمهورهم، حيث وجد أن نصف المدونين لا يتفاعلون مع الجمهور، وإنما يعرضون فقط تدويناتهم.

سمات مستهلكي الثقافة عبر المدونات الجمهور

في مقابل السمات السابقة التي اتصف بها أصحاب المدونات كانت هناك مجموعة من السمات التي اتصف بها جمهور المدونات، ويوضح الجدول رقم "34" هذه السمات التي يمكن تلخيصها في ما يلي:

- اللجوء إلى استخدام النصوص المكتوبة كنمط أساسي في إنتاج وتقديم الإسهامات التي يتم بثها عبر المدونات.
- وجود حالة من الفتر المتبادل مع المدونين في مستوى التفاعل والتواصل عبر مدوناتهم وهو ما أثر سلباً على دور المدونات وفاعليتها كوسيلة من وسائل التواصل الثقافي وأداة من أدوات إنتاج واستهلاك الثقافة عبر الفضاء الرقمي.

• اللجوء إلى المحتوى الثابت كاختيار أول في التفاعل مع المدونات يليه المتجدد.

وبمقارنة إنتاج واستهلاك الثقافة عبر المدونات ووضعها وجها لوجه اتضح الآتي:

- في ما يتعلق بطبيعة إنتاج الثقافة واستهلاكها عبر المدونات، وجد أن مجال السينما يتصدر جميع الفروع الثقافية الأخرى في مجال التدوين وبفارق كبير من حيث الإنتاج، أما من حيث الاستهلاك، فإن الشعر

جدول رقم 34

سمات مستهلكي الثقافة عبر المدونات "الأرقام بالنسبة المئوية من إجمالي العينة"

حجم الجمهور ومشاركاته					عدد الردود والتعليقات				
4196					نمط الإسهامات المقدمة				
نصوص	صور	صوت	فيديو	متنوع	نصوص	صور	صوت	فيديو	متنوع
86	14	14	14	14	86	14	14	14	14
مستوى تفاعليته مع المادة الثقافية المقدمة					مستوى تفاعليته مع المادة الثقافية المقدمة				
عال جدا	عال	متوسط	منخفض	لا يوجد	عال جدا	عال	متوسط	منخفض	لا يوجد
16	12	12	45	16	16	12	12	45	16
مسوى تحديثه لإسهاماته وردود افعاله "درجة انتشار كل نمط"					مسوى تحديثه لإسهاماته وردود افعاله "درجة انتشار كل نمط"				
ثابت	متجدد	تفاعلي	متنوع	لا يوجد	ثابت	متجدد	تفاعلي	متنوع	لا يوجد
9	8	0	0	0	9	8	0	0	0

12 % من المدونات العربية على شبكة الإنترنت تقدم محتوى ثقافياً يخاطب الأطفال..

بينما تمثل السينما 50 % من إنتاج المدونات العربية على شبكة الإنترنت، فإن نسبة الأدب لا تتجاوز 7 % والمسرح 1 % فقط من إنتاج هذه المدونات..

ثمة فجوة هائلة بين معدل إنتاج الثقافة العربية واستهلاكها على شبكة الإنترنت إذ لا تتجاوز مشاركات الجمهور (كنمط استهلاك)، نصف في المائة من حجم المدونات والمواقع والموضوعات (كنمط إنتاج)..

لأن الفيس بوك لا يتيح آليات متقدمة للبحث، وقد روعي في الصفحات والمجموعات التي تم اختيارها ألا يقل عدد المشتركين فيها أو المعجبين أو المرتبطين عن مائة فرد، كما روعي أن تغطي الطيف الواسع للمؤسسات والجهات والتيارات الثقافية على الفيس بوك، وقد تشكلت العينة من 61 مجموعة و24 صفحة فردية، بإجمالي 85 مفردة.

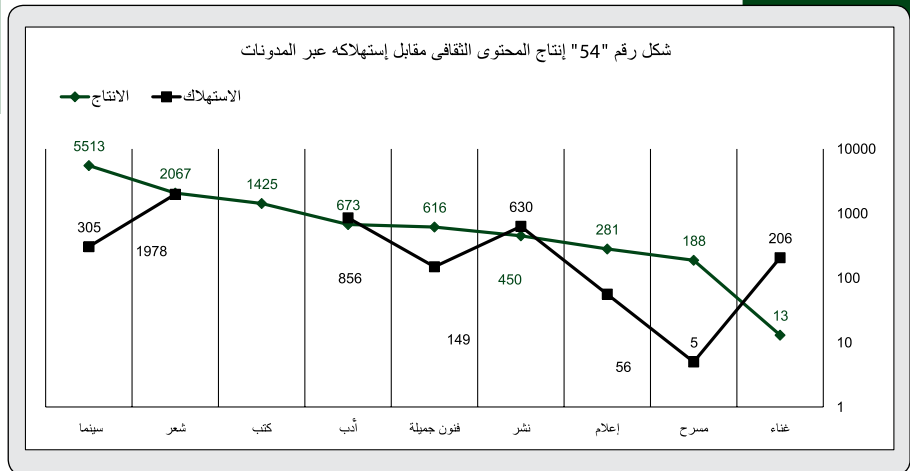
ويرصد الجدول رقم "35" سمات منتجي الثقافة عبر فيس بوك، واستناداً لهذا الجدول يمكن تلخيص هذه السمات في:

يحتل المرتبة الأولى، وذلك كما يوضح الشكل رقم "54".

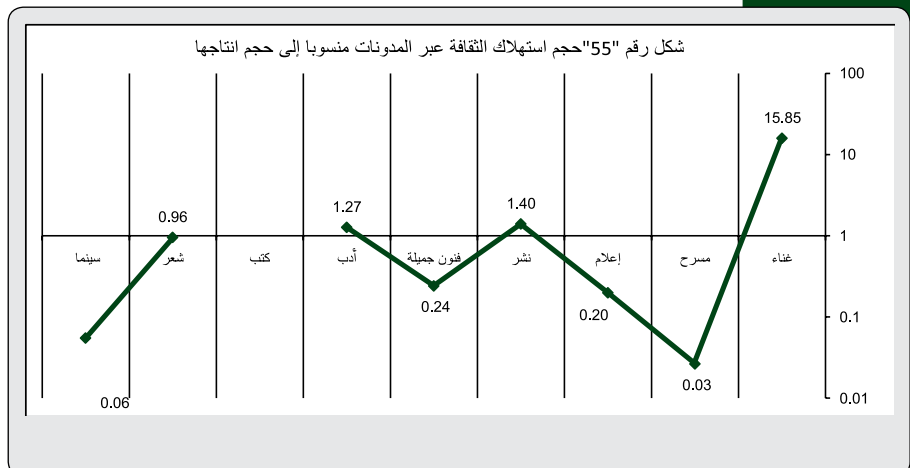
• الإنتاج أعلى بكثير من الاستهلاك خصوصاً في مجالات معينة أبرزها الكتب، حيث يلاحظ أن التدوينات الخاصة بالكتب لا تستهلك تقريباً من قبل الجمهور كما يوضح الشكل رقم "55".

إنتاج الثقافة عبر الفيس بوك واستهلاكها
تم اختيار عينة التحليل من المجموعات والصفحات الثقافية بصورة انتقائية يدوية

شكل رقم 54



شكل رقم 55



جدول رقم 35

سمات منتج الثقافة في تقديمه للمحتوى عبر الفيس بوك "الأرقام
بالنسبة المئوية من إجمالي عينة البحث

طبيعته				نطاق الانتشار الذي حدده للتعامل مع الجمهور					
أفراد	مؤسسة رسمية	مؤسسة مدنية	شركات خاصة	مغلق	مفتوح	غير محدد			
59	22	14	5	6	94	0			
سن الجمهور الذي يخاطبه			مستوى تعليم الجمهور الذي يخاطبه						
أطفال	شباب	بالغون	مسنون	تحت المتوسط	متوسط	عال ومتقنون			
0	100	84	84	18	28	100			
نمط المنتج الثقافي الذي قدمه			مستوى تفاعليته ومشاركته مع جمهوره						
نصوص	صور	صوت	فيديو	متنوع	عال جدا	عال	متوسط	منخفض	لا يوجد
94	76	45	45	0	0	22	0	69	7
معدل التحديث		النمط	ثابت	متجدد	تفاعلي	متنوع			
		درجة الانتشار	11	0	0	40			

• تراجع دور الأفراد، حيث إن مسؤولية عرض وتقديم الثقافة رقمياً عبر الفيس بوك ليست مسؤولية الأفراد بصورة كاملة كما هو الحال مع المدونات، بل يقع حوالى نصف هذه المسؤولية على المؤسسات الرسمية والمدنية والخاصة.

• استخدام منهج انفتاحي مع الجمهور في أغلب الأحوال، حيث الغالبية الساحقة من الصفحات والمجموعات مفتوحة للجمهور العام بلا قيود للانضمام والمشاركة والتعليق والإضافة.

• غياب الأطفال، حيث لوحظ أن جميع الصفحات والمجموعات التي خضعت للتحليل تخلو من أي محتوى ثقافي موجّه للأطفال.

• استمرار سيادة المحتوى النصّي بصورة كاسحة كما هو الحال في المدونات، على حساب الصور والصوت والفيديو، وذلك على الرغم من أن الفيس بوك كشبكة اجتماعية يقوم، تقنياً وفنياً، على فكرة تعددية الوسائط.

• التفاعلية المنخفضة، حيث لم يسجل التحليل صفحة أو مجموعة واحدة حرص فيها أصحابها على تحقيق تفاعلية ومشاركة عالية جداً مع الجمهور الذي يستهدفونه.

• ظهور أداء جيد للمنتجين في ما يتعلق بمعدل التحديث والتجديد المعروض على صفحاتهم أو مجموعاتهم.

أما سمات مستهلكي الثقافة على فيس بوك فيرصدها الجدول رقم "36"، واستناداً لهذا الجدول يمكن عرض ما يلي:

• ميل الجمهور إلى النصوص لا يزال واضحاً، وإن كانت تعددية الوسائط بدأت تظهر بشكل لافت وسجلت حضوراً في أقل من نصف عينة البحث.

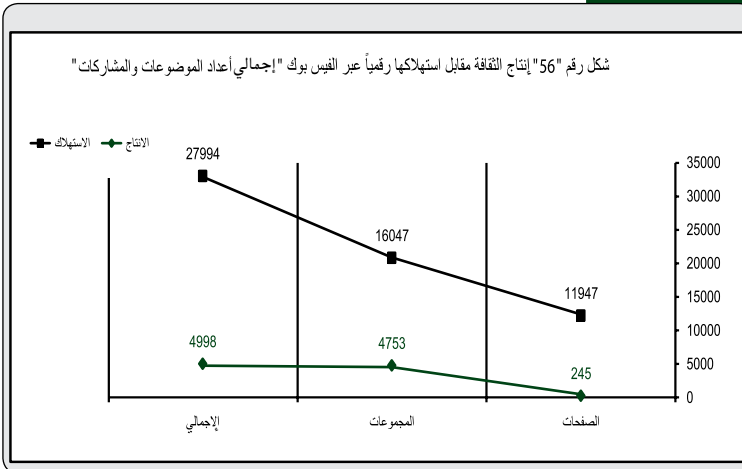
• على غير المتوقع والشائع أبدى الجمهور تفاعلاً فائراً مع ما يقدمه منتجو الثقافة عبر

جدول رقم 36

سمات مستهلكي الثقافة عبر الفيس بوك "الأرقام بالنسبة المئوية من إجمالي العينة

نمط الاسهامات المقدمة				
نصوص	صور	صوت	فيديو	متنوع
94	71	46	46	0
مستوى تفاعليته مع المادة الثقافية المقدمة				
عال جدا	عال	متوسط	منخفض	لا يوجد
0	2	5	86	0
مستوى تحديثه لإسهاماته وردود افعاله				
النمط	ثابت	متجدد	تفاعلي	متنوع
درجة الانتشار	10	0	0	42

شكل رقم 56



صفحات ومجموعات الفيس بوك، وبدا بصورة عامة غير متحمس للتفاعل.

- انسحاب الفتور على طبيعة الإسهامات المقدمة من الجمهور فغلب عليها المحتوى الثابت الخال من التجديد.
- وعند وضع أداء المنتجين والمستهلكين للثقافة عبر الفيس بوك وجهاً لوجه نجد الآتي:
- تفوق كاسح للمجموعات على الصفحات من حيث المشاركين والأعضاء النشطين إنتاجاً واستهلاكاً.

• مركز الثقل الأساسي لإنتاج الثقافة هو المجموعات وليس الصفحات الفردية، وذلك ما يوضحه الشكل رقم "56".

- من الملاحظ أن الاستهلاك الثقافي على الفيس بوك أعلى من الإنتاج، كما هو واضح في الشكل رقم "57".

• من حيث توزيعات الإنتاج والاستهلاك عبر الفيس بوك على الفروع الثقافية المختلفة تحتل الكتب قائمة الفروع الأعلى إنتاجاً يليها الشعر، أما الاستهلاك فتتفوق فيه الموسيقى على الجميع، كما هو واضح في الشكل رقم "58".

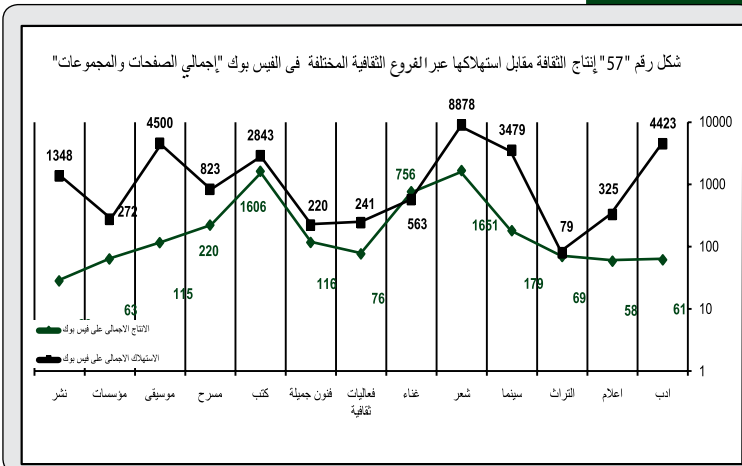
• هناك حالة من الضمور الشديد في الإنتاج على الصفحات الفردية، يقابلها حالة نشطة من الاستهلاك، خصوصاً في الشعر والسينما اللذين يتصدران القائمة في المركز الأول والثاني، كما هو واضح في الشكل رقم "59".

• لوحظ انتشار ظاهرة التشرذم والتشتت والتفتت في استخدام الصفحات والمجموعات كوسيلة للتعبير عن شخص أو فكرة معينة.

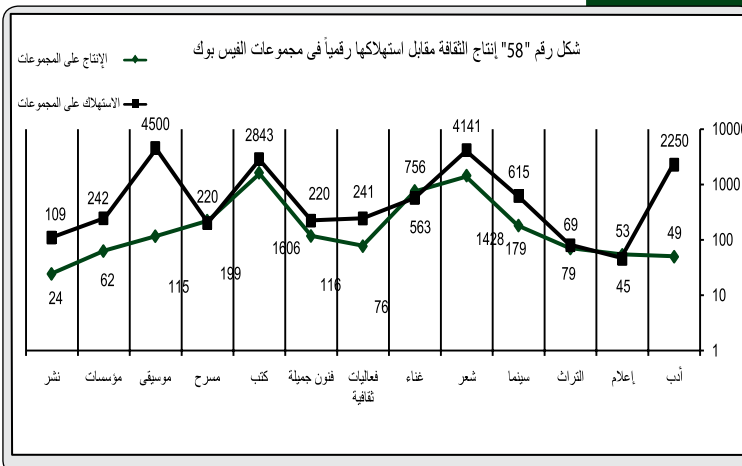
• هناك انتشار كثيف للتيارات الدينية، ونادراً ما تجد مجموعة أو صفحة ثقافية ذات أعداد كبيرة من المشتركين على غرار المواقع الدينية.

• لوحظ أنه ليس هناك علاقة بين

شكل رقم 57



شكل رقم 58



ولكنهم قليلاً ما يتفاعلون، ويكاد يقتصر التفاعل على عدد معين من الأعضاء.

• عند البحث في الفيس بوك عن المصطلحات الثقافية، يلاحظ أن الصفحات تكون دائماً أكثر دقة وارتباطاً من عبارة البحث من المجموعات، وبعبارة أخرى يمكن القول بأن الصفحات على الفيس بوك تميل إلى التخصص مقارنة بالمجموعات التي قد تحيد عن غرضها أو نشاطها الأصلي.

إنتاج واستهلاك الثقافة العربية

الفيديوية عبر يوتيوب

لدراسة حالة الثقافة العربية الرقمية الفيديوية إنتاجاً واستهلاكاً عبر اليوتيوب تم انتقاء عينة مكونة من 43 قناة فيديو ثقافية، موزعة على الفروع الثقافية المختلفة، وفي يوتيوب تغيرت المعايير المستخدمة في الرصد والتحليل جوهرياً عن تلك المستخدمة مع المواقع والمنديات والفيس بوك والمدونات، وذلك نظراً لطبيعة المادة المقدمة وطريقة عرضها وكيفية التعامل معها وحجم المعلومات المتاح عنها، وقد تضمنت مصفوفة التحليل الحقول التالية: وقت الزيارة واسم القناة وتصنيفها حسب الفروع الثقافية "فن، شعر، موسيقى، إلخ"، وعدد المشتركين فيها وعدد مقاطع الفيديو وعدد المشاهدات مقاطع الفيديو وعدد التعليقات على القناة وعدد مشاهدات القناة وعدد الأيام التي مضت على آخر تحديث طراً على القناة والدولة التابعة لها، وهل لها ارتباط بموقع خارجي وعدد الأيام منذ الإنشاء.

ولأن مادة الفيديو المقدمة على اليوتيوب تصبح في عداد المواد الثقافية تامة الإنتاج بمجرد عرضها جماهيرياً على اليوتيوب، فقد اعتبرنا أن عدد مقاطع الفيديو الموضوعة على

مستوى التفاعل الثقافي وأعداد المشتركين في المجموعات أو المعجبين بالصفحات، وفي الغالب تكون هذه الأعداد الكبيرة وهمية.

• يظهر على الصفحات والمجموعات الثقافية الفيس بوك الوجود المصري بوضوح، وهو أمر تشعر به للوهلة الأولى في أغلب المجموعات الثقافية.

• هناك اهتمام كبير من جانب الجمهور العربي بالشعر، وتجلى ذلك في أعداد المشتركين الكبيرة في مجموعات الشعر العربي والشعراء وتعد هذه المجموعات بصورة لافتة.

• وجود غالبية المؤسسات الثقافية والصحافية والإعلامية العربية ضعيف للغاية وأغلب محاولات الحضور فردية من قبل أفراد يعملون في هذه المؤسسات.

• كان من الصعب التمييز بسهولة في الحالات كلها بين مشاركات منتج الثقافة والجمهور في المجموعات بعكس الصفحات التي يسهل التمييز بين مشاركات الجمهور والمنتج.

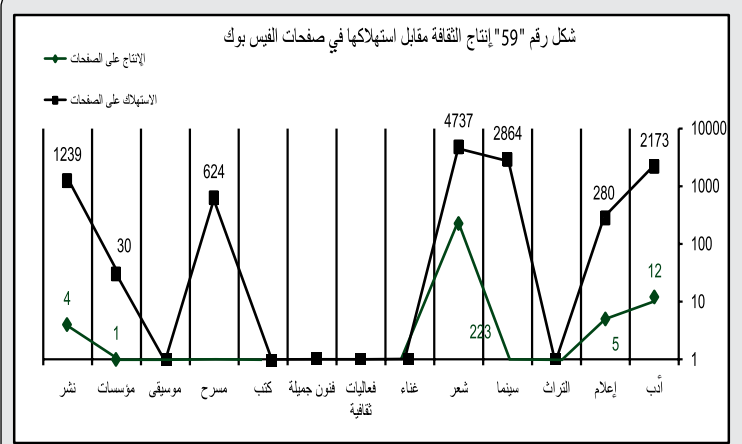
• لا يمثل عدد المشتركين أو المرتبطين في صفحة أو مجموعة مؤشراً على حجم التفاعل في الصفحة، فقد يكون عدد المشتركين صغيراً ولكنهم يتفاعلون بكثافة، وبالمقارنة قد تتميز الصفحة أو المجموعة بعدد مشتركين كبير

ثمة غياب لافت وملحوظ لمواقع الفيس بوك ذات المحتوى الثقافي الموجه للأطفال، كما أن مستوى المشاركة التفاعلية في جانب الجمهور مع أصحاب مواقع الفيس بوك عموماً تبدو بالغ الضالة..

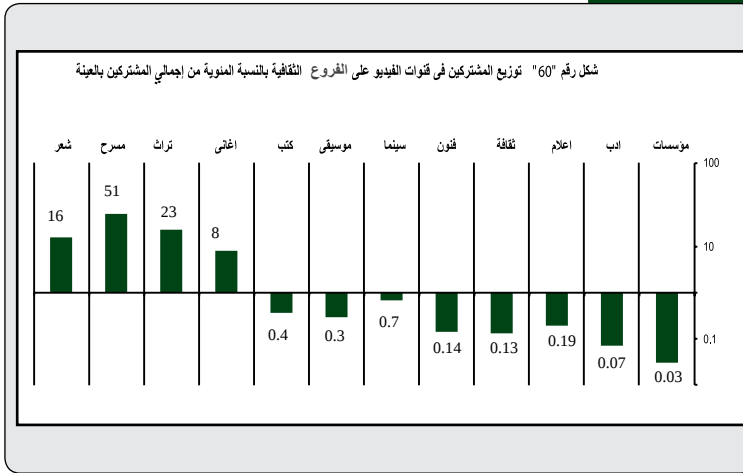
تعتبر التيارات الدينية الأكثر استقطاباً على صفحات الفيس بوك، تليها مجموعات الممثلين والمطربين..

وصل عدد المشتركين في قنوات الفيديو الثقافية العربية محل البحث إلى 8 آلاف و746 مشتركاً.. وهو مبدئياً رقم ضئيل للغاية ولا يقارن بأي صورة بعدد المشتركين في قنوات أخرى غير ثقافية..

شكل رقم 59



شكل رقم 60

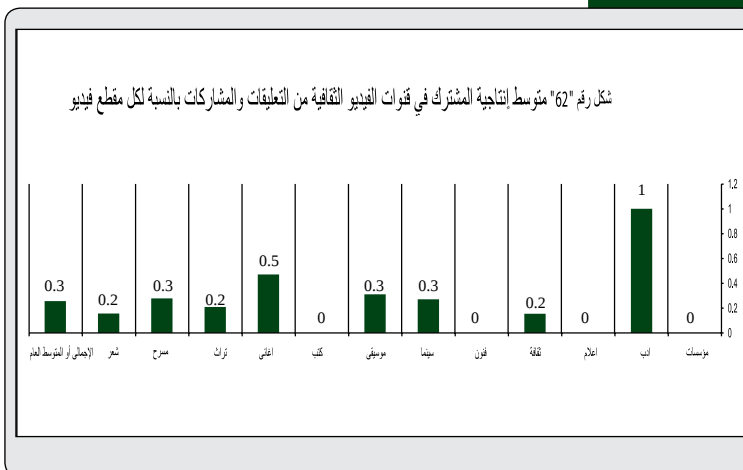


القنوات الثقافية أو الموضوعية بصورة منفردة وتتعلق بالثقافة تمثل جانب "الإنتاج" الثقافي الرقمي الفيديوي على اليوتيوب، ولأن مشاهدة أي مقطع فيديو يعني أن شخصاً واحداً على الأقل قد شاهده أي تعرض له وتلقى ما فيه من محتوى فقد اعتبرنا أن عدد المشاهدات سواء للقناة ككل أم لمقاطع الفيديو المنفردة يمثل جانب "الاستهلاك" الثقافي الرقمي الفيديوي على اليوتيوب.

وبتحليل البيانات المجمعة من هذه الحقول جميعاً وفق المعايير السابقة أمكن استخلاص مجموعة من المؤشرات الخاصة بطبيعة التواصل الثقافي الرقمي الفيديوي العربي عبر اليوتيوب أو بعبارة أخرى رصد مجموعة من ملامح إنتاج واستهلاك هذا اللون من الثقافة العربية رقمياً على الشبكة، وذلك على النحو التالي:

- ضالة عدد المشتركين، والذي لا يقارن بأي صورة بعدد المشتركين في قنوات أخرى غير ثقافية، ويوضح الشكل رقم "60" توزيعات المشتركين على الفروع الثقافية.
- تصدر أفلام الشعراء وتفوقها على غيرها من أفلام الفروع الثقافية الأخرى، وذلك كما هو واضح في الشكل رقم "61".

شكل رقم 61



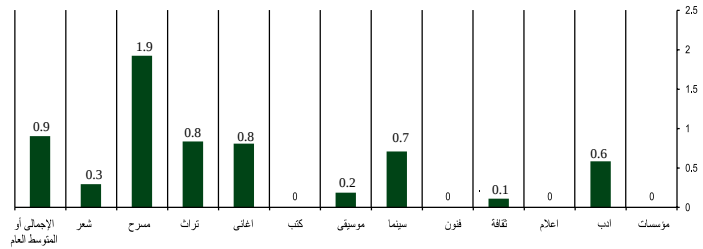
- ضالة إنتاجية المشتركين، في قنوات الفيديو الثقافية العربية بصورة عامة حيث يصل معدل الإنتاجية إلى مقطع لكل مشترك، كما هو موضح في الشكل رقم "62".

- انخفاض مستوى التفاعل مع مقاطع الفيديو الثقافية المعروضة حيث وصل نصيب كل مقطع فيديو من التعليقات إلى 1.9 تعليقات فقط كما هو واضح في الشكل رقم "63".

- لا تحظى قنوات الفيديو الثقافية بنصيب وافر من التحديث والمتابعة، حيث يصل معدل تحديث الفيديو في هذه القنوات إلى مرة كل

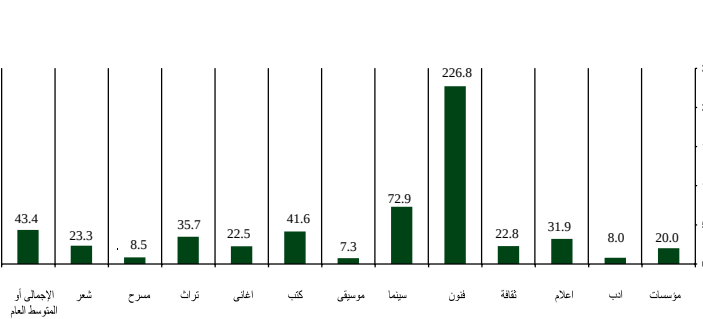
شكل رقم 63

شكل رقم "63" نصيب كل مقطع فيديو من تعليقات الجمهور طبقاً للفروع الثقافية المختلفة



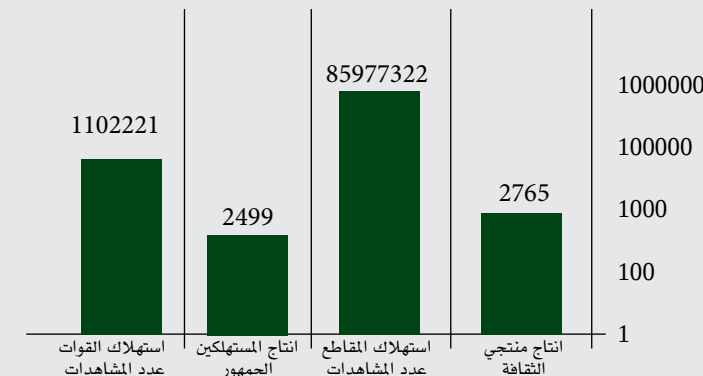
شكل رقم 64

شكل رقم "64" معدل تحديث محتوى قنوات الفيديو الثقافية العربية على يوتيوب محسوبا باليوم في المتوسط



شكل رقم 65

إنتاج المواد الثقافية على قنوات يوتيوب الثقافية العربية في مقابل الاستهلاك على مستوى مقاطع الفيديو والقنوات ككل



43 يوماً، كما يوضح الشكل رقم "64".

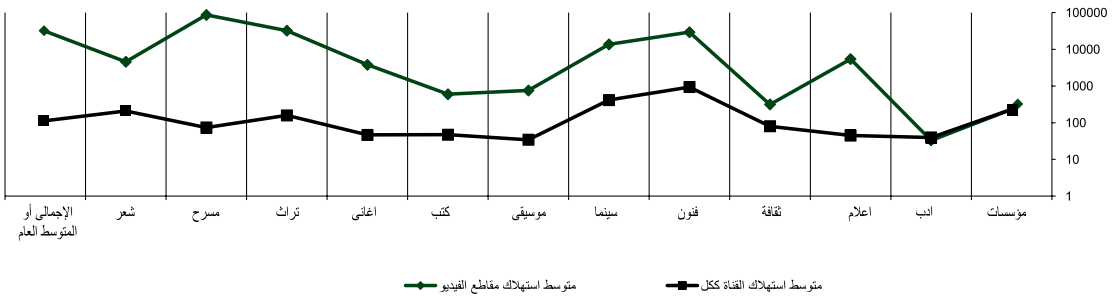
- على الرغم من السمات الضعيفة السابقة التي تعكس أداءً متواضعاً للمنتجين، فإن استهلاك مقاطع الفيديو يعادل أضعاف الإنتاج، وذلك ما يوضحه الشكل رقم "65".
- هناك ميل واضح لاستهلاك الإنتاج الفيديوي الفردي، وليس الجماعي المقدم عبر القنوات الكاملة، فاستهلاك المقاطع الفردي أعلى 275 مرة مقارنة مع متوسط استهلاك قنوات الفيديو الكاملة، وهذا ما يوضحه الشكل رقم "66".

- من حيث توزيع نمط الاستهلاك على الفروع الثقافية وجد أن أعلى نسبة مشاهدة لمقاطع الفيديو الثقافية كانت من نصيب المسرح، وهذا ما يوضحه الشكل رقم "67".
- تعاني أفلام الفيديو المقدمة عبر القنوات الثقافية الكاملة حالة من الركود في الاستهلاك، حيث يبدو معدل إنتاج هذه الأفلام أكبر كثيراً من معدل استهلاكها، وهذا ما يوضحه الشكل رقم "68".
- لا تشير أفلام ومقاطع الفيديو المعروضة اهتمام الجمهور إلى الدرجة التي تدفعه للتعليق عليها، فكما هو واضح في الشكل رقم "69" فإن المتوسط العام لنصيب كل مقطع فيديو من تعليقات الجمهور في الفروع الثقافية المختلفة هو 0.9 تعليقات، وهو معدل متدنٍ للغاية.

- حضور قوي للخليج وهيمنته على المحتوى الفيديوي الثقافي العربي الرقمي سواء إنتاجاً أم استهلاكاً.
- غياب للمؤسسات الثقافية العربية مثل الوزارات، أما الجمعيات المدنية المعنية بشؤون الثقافة فلا تزال غائبة عن استخدام اليوتيوب كوسيلة للتواصل الثقافي مع الجمهور.
- كما هو الحال في الفيس بوك هناك

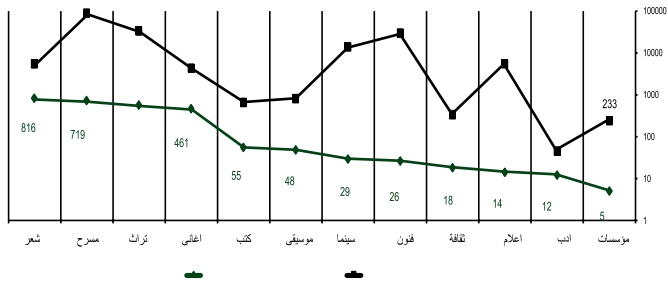
شكل رقم 66

شكل رقم "66" متوسط استهلاك مقاطع الفيديو في مقابل متوسط استهلاك قنوات يوتيوب الثقافية عبر الأفرع الثقافية



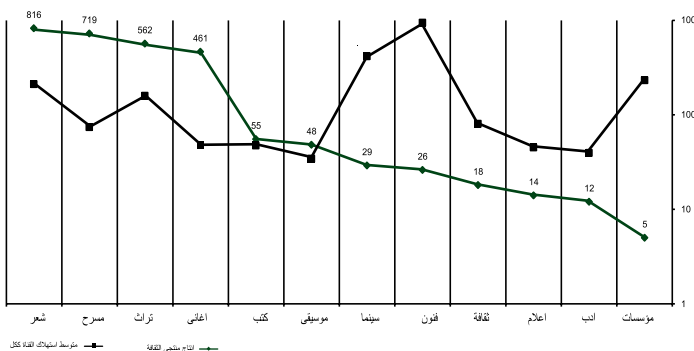
شكل رقم 67

شكل رقم "67" الإنتاج مقابل الاستهلاك مقاطع الفيديو الثقافية العربية على يوتيوب



شكل رقم 68

شكل رقم "68" الإنتاج مقابل الاستهلاك في قنوات يوتيوب الثقافية العربية



حضور طاع للثقافة الإسلامية متمثلاً في الخطب والدروس الدينية لكبار العلماء والشيوخ.

• هناك إدمان للممثلين والممثلات والمطربين وغيرهم من أهل الفن، فأكثر القنوات تحديثاً مثلاً، هي قناة موقع الفنان العرب محمد عبده (0.69 يوم).

• لا تعتبر أسماء القنوات دائماً عن حقيقة محتواها من الفيديو، فعند البحث عن رواية، كانت نتيجة البحث البارزة في قسم الفيديو هي غسان كنفاني شهيد الرواية الفلسطينية وهو أحد كبار الكتّاب والأدباء، ولكن عند زيارة القناة التي يوجد فيها هذا الفيديو وجدنا أنها لفرد.

إنتاج واستهلاك الثقافة عبر القوائم البريدية

من الناحية التقنية يمكن تعريف القوائم البريدية على أنها شكل خاص من أشكال استخدام البريد الإلكتروني، يتم فيه تجميع قائمة من عناوين البريد الإلكتروني معاً في قائمة واحدة، بهدف إتاحة الفرصة لمستخدم البريد الإلكتروني لكي يرسل رسائل إلكترونية

شكل رقم 69

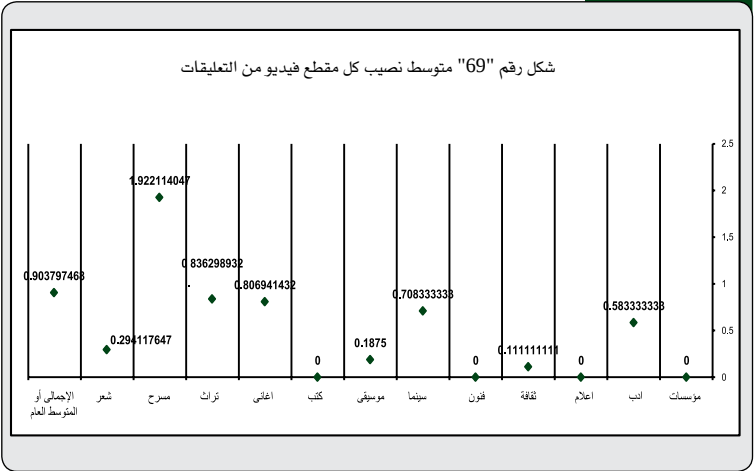
بما لديه من معلومات أو آراء في أي قضية محلّ المناقشة إلى أي عدد من الأشخاص حول العالم المسجلين بهذه القائمة بمجرد ضغط زر واحدة من حاسبه الشخصي، أو يتلقى أي كم من الرسائل يرسله المشتركون الآخرون في القائمة، ومعنى ذلك أن أي شخص يسجل اسمه وعنوان بريده الإلكتروني في أي قائمة يكون بمقدوره عرض إنتاجه الثقافي على المشتركين في القائمة تلقي واستهلاك إنتاج الآخرين في الوقت نفسه.

اختيار العينة

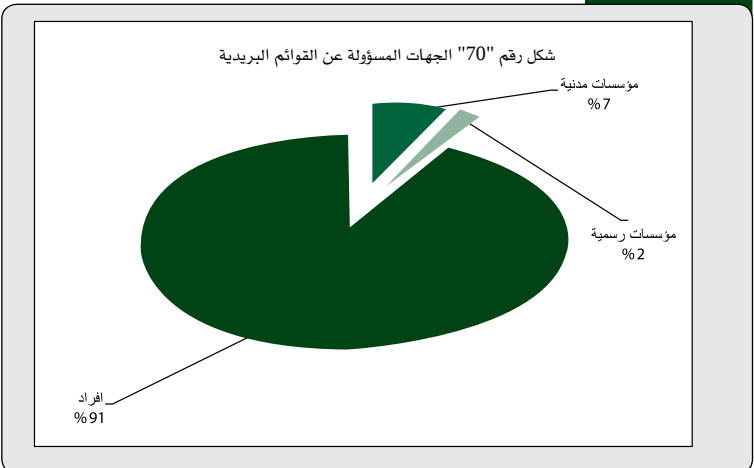
تم اختيار عينة البحث بعد استخدام الكلمات السابق الإشارة إليها في الجزء التمهيدي، ومن نتائج البحث التي ظهرت مع كل مصطلح من هذه المصطلحات، تم اختيار أكبر القوائم من حيث أعداد الأعضاء، وفي النهاية تشكلت العينة من 69 قائمة ثقافية. وقد تضمنت مصفوفة تحليل العينة مجموعتين من الحقول، الأولى ترصد حجم ما يتداول من رسائل والثانية تقيس مستوى التواصلية والتفاعلية داخل كل قائمة بريدية على حدة، وتحليل هذه القوائم والحقول تبين ما يلي:

المسؤولية الأكبر للأفراد

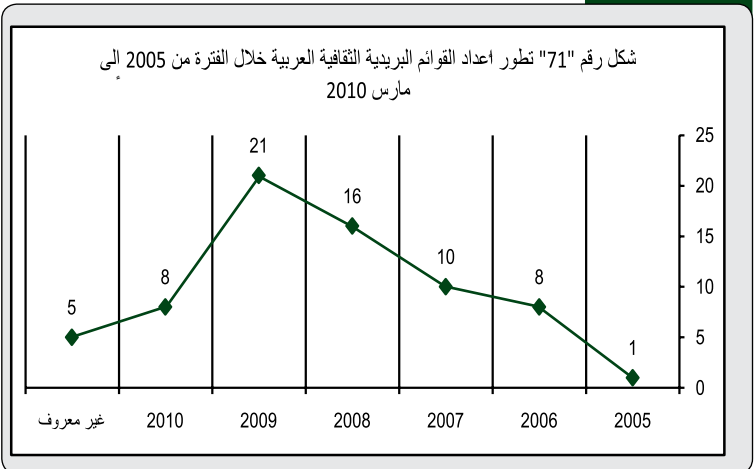
- يضطلع الأفراد بالمسؤولية الأكبر عن إنشاء وتشغيل هذه القوائم، كما هو موضح في الشكل رقم "70".
- كظاهرة عامة بدأت القوائم البريدية الثقافية العربية بداية متواضعة ثم سجلت نمواً سريعاً، وتشهد تصاعداً مستمراً في أعدادها منذ 2005 وحتى الآن، كما هو واضح في الشكل رقم "71".
- تسجل القوائم البريدية التي تضم خليطاً من رسائل الفن والإباحية الانتشار الأوسع بين



شكل رقم 70

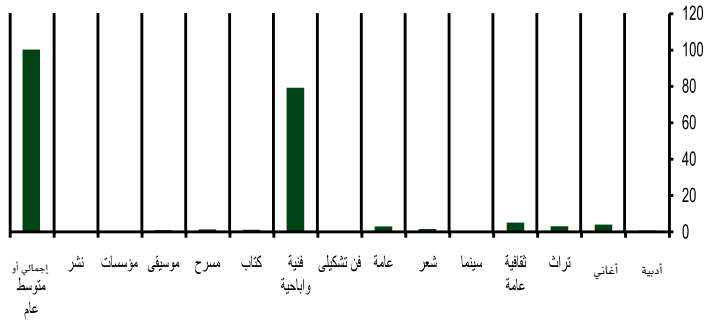


شكل رقم 71



شكل رقم 72

شكل رقم 72: عدد أعضاء المجموعات البريدية بكل فرع ثقافي



القوائم البريدية الثقافية العربية كما يوضح الجدول رقم "72".

• تشهد هذه القوائم تصاعداً سريعاً في تبادل المحتوى كما توضح الأشكال رقم "73"، "74"، "75"، حيث يظهر تصاعد في الإجمالي العام وفي رسائل القوائم الأدبية وقوائم الشعر والشعراء.

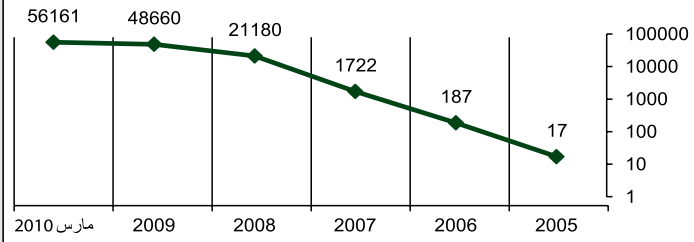
• على مستوى حجم الرسائل المتبادلة داخل القوائم البريدية تتراجع قوائم الإباحة والفن وتتقدم القوائم الثقافية العامة، تليها السينما كما يوضح الشكل رقم "76".

• يتسم نصيب كل فرع ثقافي من الرسائل المنتجة والمستهلكة، بالضآلة والمحدودية، حيث يصل متوسط الإنتاج والاستهلاك العام داخل الفروع الثقافية إلى رسالة لكل 14 عضواً، كما يوضح الشكل رقم "77".

• لا يختلف الوضع كثيراً بالنسبة للمتوسط العام لإنتاج واستهلاك الفرد المشترك في القوائم البريدية ككل، حيث يصل المتوسط العام لنصيب أعضاء القوائم البريدية ككل من الرسائل المنتجة رسالة لكل 14.1 عضو، وهذا الرقم يتفاوت من فرع ثقافي لآخر، كما هو واضح في الشكل رقم "78".

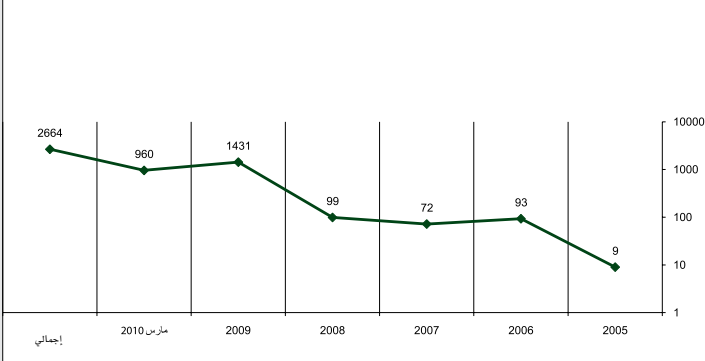
شكل رقم 73

شكل رقم 73: تطور لعدد الرسائل المنتجة والمستهلكة عبر القوائم البريدية من 2005 إلى مارس 2010



شكل رقم 74

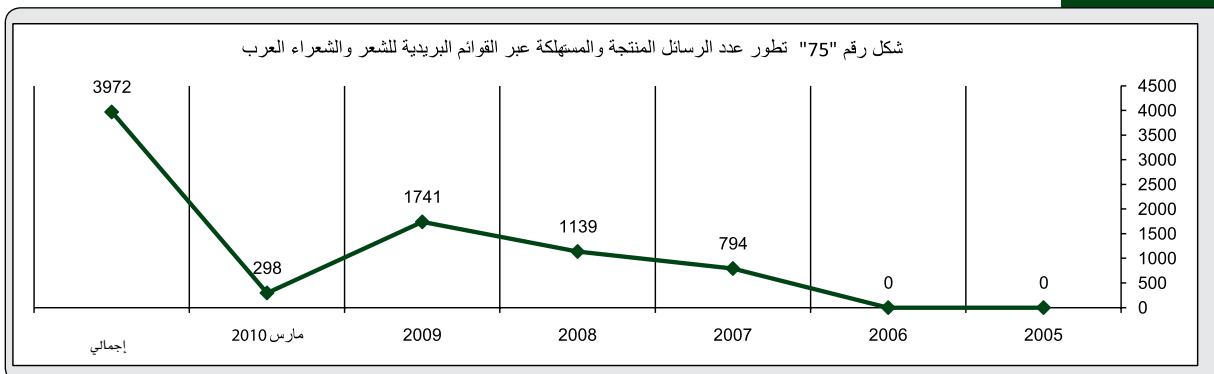
شكل رقم 74: تطور عدد الرسائل المنتجة والمستهلكة عبر القوائم البريدية الأدبية العربية



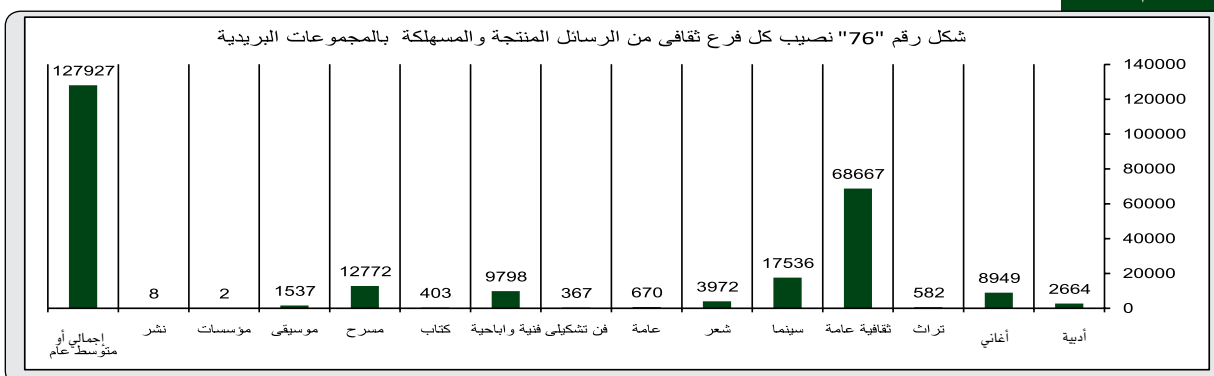
تفاعل المنتجين والمستهلكين بالقوائم البريدية

عند إنشاء أي قائمة بريدية تكون هناك قائمة من القواعد الإجرائية التي تعتبر مؤشراً قوياً على مدى تفاعلية أعضاء القائمة ومسؤوليتها بين بعضهم البعض ومع الجمهور العام للإنترنت، ووفقاً للقواعد الإجرائية المتبعة بالقوائم يرصد الجدول رقم "37" الحالة التفاعلية بين المنتجين والمستهلكين داخل القوائم البريدية، واستناداً للجدول تم التوصل إلى ما يلي:

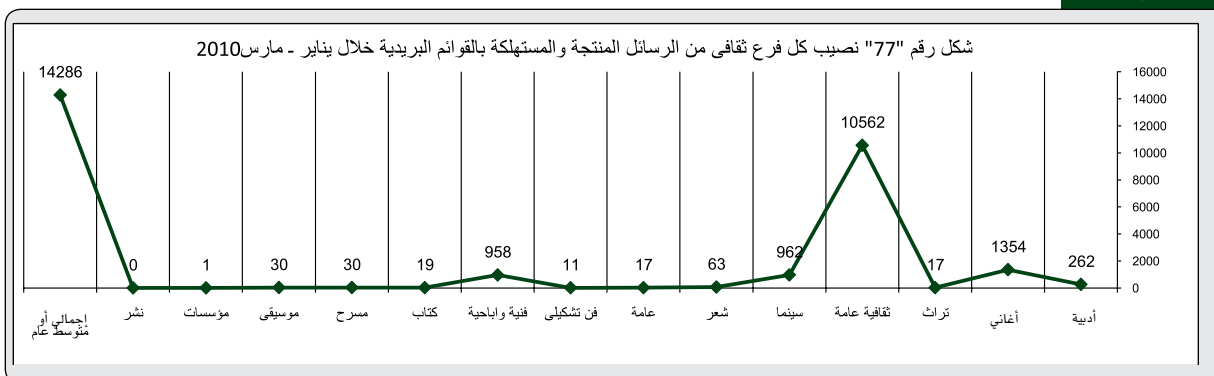
شكل رقم 75



شكل رقم 76



شكل رقم 77



• هناك قدر لا يمكن تجاهلة من القيود التي وضعها أصحاب القوائم البريدية أمام المشاركة المفتوحة من قبل الجمهور. سواء على صعيد إرسال المشاركات أم على صعيد إرفاق الملفات والإشراف على المساهمات.

• لم يختلف الأمر في ما يتعلق بالحرية

• هناك قدر لا يمكن تجاهلة من القيود التي وضعها أصحاب القوائم البريدية أمام المشاركة المفتوحة من قبل الجمهور. سواء على صعيد إرسال المشاركات أم على صعيد إرفاق الملفات والإشراف على المساهمات.

• لم يختلف الأمر في ما يتعلق بالحرية

يمثل الفناء والموسيقى والسينما 79 % من إجمالي القوائم البريدية، بينما تمثل الثقافة العامة 5 % فقط..

- أكثر من نصف القوائم البريدية مرتبطة بمواقع خارجية على الويب تروّج لها وترسل للمشتركين رسائل بالجديد من الموضوعات توجه الأعضاء لزيارتها بانتظام.

حالة التواصل والتفاعلية بين المنتجين والمستهلكين داخل القوائم البريدية

جدول رقم 37

معيّار التواصل	الخيارات	الانتشار بالنسبة المئوية
إرسال المشاركات	الأعضاء يستطيعون إرسال المشاركات	46.4
	الأعضاء يستقبلون الرسائل فقط	39.1
	النشر متاح للأعضاء وغير الأعضاء	14.5
إرفاق الملفات	الأعضاء لا يستطيعون إرفاق الملفات	73.9
	الأعضاء يستطيعون إرفاق الملفات	26.1
مشاهدة المحتوى	الأعضاء فقط يمكنهم المشاهدة	23.2
	أي شخص يمكنه المشاهدة	76.8
الانضمام للمجموعة	أي شخص يمكنه الانضمام	94.2
	لابدّ من موافقة المدراء	5.8
صلاحيات الإشراف على المساهمات	غير محدد	46.4
	مساهمات الأعضاء خاضعة لإشراف المدراء	53.6
إنشاء الصفحات	يستطيع الأعضاء تعديل الصفحات	20.3
	يمكن للمدراء فقط تعديل الصفحات	79.7
الظهور والحجب عن الجمهور العام	المجموعة ظاهرة	76.8
	المجموعة محجوبة	23.2
الارتباط بموقع خارجي	غير مرتبطة بموقع خارجي	46.4
	مرتبطة بموقع خارجي	53.6

عدد ممكن من العضوية وأن تحقق أكبر انتشار ممكن بين جمهور الإنترنت العام، وبعد ذلك يفرضون نوعاً من القيود الإجرائية التي تحدّ من مشاركة الأعضاء والجمهور معاً عند إنتاج وتداول وتلقي المحتوى واستهلاكه.

• لوحظ أن القوائم تنقسم قسمين، الأول القوائم "الإبلاغية" أو التي تكون وظيفتها إبلاغ أعضائها أو جمهورها بأشياء محددة في مواعيد يختارها مسؤولو القائمة أو أعضاؤها، والثاني عبارة عن القوائم البريدية التفاعلية التي قد تكون مرتبطة أو غير مرتبطة بموقع معيّن ويستطيع أيّ شخص الانضمام إليها، وبعد ذلك تطبق عليه قواعد التواصلية والتفاعلية التي تختارها لنفسها.

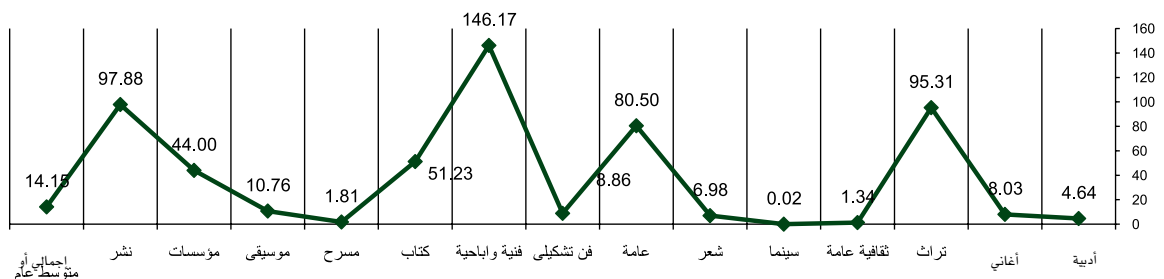
• لوحظ أن القوائم البريدية تتعرض كثيراً للاختراق من قبل الذين يتقاضون عمولة على ترويج بعض المواقع ويستغلون العبارات الإباحية.

• يغلب على القوائم التنوع فهي لا تقتصر أو تركّز على موضوع محدّد بل تجدها في الغالب شاملة على سبيل المثال "التصميم، الفن التشكيلي، الخط والزخرفة، السينما، التلفزيون، الموسيقى، المسرح، تاريخ الفن".

• المحتوى الديني سمة بارزة في أغلب القوائم الثقافية في غوغل.

شكل رقم 78

شكل رقم 78 "متوسط نصيب كل عضو بالقوائم البريدية من الرسائل المنتجة والمستهلكة"



التحديات والفرص في إنتاج الثقافة العربية واستهلاكها رقمياً

المنتجون

فشل جماهيري للأغلبية ونجاح للأقلية

على صعيد جماهيرية المحتوى المقدم كان التحدي الغالب هو عدم القدرة على جذب قطاعات واسعة من الجمهور، حيث بدا واضحاً أن القائمين على قنوات أو أدوات التواصل الرقمي لم يسجلوا نجاحاً كافياً في جذب قطاعات واسعة من جمهور الإنترنت، لكن نسبة قليلة من المنتجين تغلبوا على هذا التحدي وحولوه إلى فرصة وحققوا جماهيرية واسعة وسط شريحة الجمهور المهتمة بالثقافة، فوجدنا مثلاً أن 2.5 % من المنتديات حققت ثاني أعلى مستوى ممكن من الجماهيرية بعدما تمّ تصنيفها ضمن أكبر 10 آلاف موقع من حيث الزيارة على مستوى الإنترنت كلها، وحققت 5 % من المنتديات مستويات جماهيرية مصنفة على أنها مرتفعة، وحدث شيء مماثل في المواقع حيث سجّلت 2 % من المواقع الثقافية ضمن العشرة آلاف موقع الأولى على الإنترنت، و2 % منها ضمن المواقع مرتفعة الزيارة، ممّا يعني أن فرص جذب الجمهور واسعة وممكنة أمام من يجتهد.

طابع فردي سائد ومؤسسي بازغ

واجه إنتاج الثقافة واستهلاكها عبر الإنترنت تحدي غلبة الطابع الفردي وضعف

الأداء المؤسسي، إثر تراجع دور المؤسسات في عملية الإنتاج والنشر، حتى يمكن القول إن الإنتاج الثقافي الرقمي العربي عبر الشبكة هو في الأغلب الأعم ظاهرة فردية، تجسّد غياب الجهود المخططة والرؤى المتكاملة والاستراتيجيات ذات الأهداف الواضحة عن أنشطة وأداء جهات إنتاج الثقافة وعرضها ونشرها عبر الإنترنت، كما تؤكد أن الإنتاج الثقافي الرقمي العربي يخضع للعنوية الفردية والأمزجة الشخصية والأهواء الوقتية والرؤى قصيرة النظر وغيرها من السمات التي غالباً ما تحكم تصوّرات الأفراد وتحركاتهم، ولعلّ هذا يفسر التركيز الشديد للمحتوى الثقافي النشط والجاذب للجمهور في بعض المجالات ذات الاستهلاك السطحي السريع الذي يهتم بالمتع الحسية ولا تعنيه القيمة أو التسمية الثقافية.

لكن في المقابل حققت نسبة لا بأس بها من المنتجين توازناً في طبيعة القائمين على الإنتاج، مؤكدة أن فرص التخلص من هذا التحدي قائمة وممكنة، وقدّم منتجو الثقافة عبر **الفيس بوك** مثلاً جيداً على ذلك، حيث شكل الأفراد 59 % والمؤسسات الرسمية 22 % والمؤسسات المدنية 14 % والشركات الخاصة 5 %، وقد حقق هذا التوزيع أعلى قدر من التوازن قياساً بجميع قنوات وأدوات التواصل الأخرى، وجعل **الفيس بوك** أكثر تجسيدا للحركة الثقافية من بعض قنوات التواصل الأخرى

التي لم تجذب سوى الأفراد.

تضييق يقابله إنفتاح

أظهر الكثير من منتجي الثقافة العرب وموفرها على الإنترنت ميلاً واضحاً نحو تضييق انتشار قنوات التواصل التي يعملون من خلالها بين جمهور المستخدمين، واتخذوا إجراءات تحدّ من قدرة المستخدم العادي - الذي ينتمي للجمهور العام للشبكة - على استخدام قنوات التواصل الخاصة بهم، وهذا توجه معاكس لطبيعة مجتمع الإنترنت الذي يقوم على مفهوم الانفتاحية والمشاركة، لكن هذا التحدي الناجم عن الميل للتضييق والتعقيد لا يجعلنا نندهش ونياأس، ففي المقابل كانت هناك شريحة من منتجي الثقافة اتسم أداؤها بالانفتاح في التعامل مع الجمهور وظهر الأمر في مجال المدونات أكثر من غيره، حيث كانت 82 % من المدونات مفتوحة تماماً للجمهور، وظهر الشيء نفسه عبر **الفيس بوك**، وحتى في القوائم البريدية التي سجّلت مستوى عالياً من الانغلاق، كان من بينها من يقلص إجراءات التحجيم والفلق حينما يتعلّق الأمر بالتعامل مع الجمهور العام للإنترنت خارج القائمة.

اختلالات كبرى وتوازنات صغرى في اختيار الجمهور

ظهر اختلال واضح في اختيارات المنتجين الخاصة بالجمهور الذي يتوجّهون إليه بالمحتوى الثقافي، فقد كان هناك تركيز حاد من غالبيتهم على فئتي الشباب والبالغين على حساب فئة الأطفال، وذلك من حيث معيار العمر، كما كان هناك تركيز حاد ممّاثل على فئتي التعليم المتوسط والتعليم العالي على حساب ذوي التعليم المنخفض، وذلك من

حيث معيار التعليم، بل ظهر قدر لا يستهان به من المحتوى الثقافي لم يهتم أصحابه بتوجيهه أو تخصيصه إلى فئة عمرية أو تعليمية بعينها، وفي مقابل هذا التحدي الصعب برزت شريحة من المنتجين تمثل نقاطاً مضيئة في اختيارها المتزن لفئات الجمهور المختلفة عمرياً وتعليمياً، وقدّمت نفسها كفرصة يمكن توسيعها وتنميتها للتخفيف من هذا الاختلال، ففي المدونات مثلاً برز نصيب للأطفال لم يظهر مثله في قنوات التواصل الأخرى، كما كان هناك توازن بين الشباب والبالغين والمسنين، وحدث الشيء نفسه في **الفيس بوك**.

المنتجون ظاهرة نصية وبعضهم متعدد الوسائط

لا يزال يؤخذ على معظم منتجي الثقافة الرقمية العربية أنهم أقرب إلى "الظاهرة النصية" التي تميل بشكل ساحق إلى استخدام النصّ في تقديم المحتوى الثقافي، وهو تحدّ كبير يتعاكس مع ما يحدث في عالم الإنترنت التي انجرفت بكلّ قوّة وسرعة وعمق نحو استخدام الوسائط المتعددة القائم على رباعية النصوص والصور والصوت والصورة المتحركة وصورها جميعاً في نسيج واحد عند تقديم المحتوى الثقافي، لكن هذا لم يمنع ظهور حالات استطاعت التخلص من داء الاستسلام للنصية وبدأت كفرصة للتطوير والنضج، ففي المواقع ظهرت النصوص بنسبة 76 % والصور 64 % والصوت 20 %، أما في المنتديات فسجلت النصوص حضوراً قدره 100 % والصور 74 % والفيديو 22 %، وبصورة عامة يمكن القول إن المنتديات ربما تكون هي أكثر أوعية التواصل الثقافي الرقمي نضجاً في استخدام الوسائط المتعددة، سواء وهي تنتج الثقافة أم وهي تستهلكها.

فتور أكبر من الحماس

في واحدة من أكثر التحديات إثارة للدهشة بادلت نسبة كبيرة من منتجي الثقافة الرقمية جمهورها الفتور بدلاً من الحماس حينما أبدى الجمهور رغبة في التفاعل معها، ومبعث الدهشة في هذا الملمح أن أي منتج أو عارض للثقافة على الشبكة يحرص بل يتمنى بشدة أن يجد أمامه جمهوراً راغباً في التفاعل ليبدله تفاعلاً أكبر، بيد أن هذا التحدي المدهش قابله على الجانب الآخر فرصة مدهشة، حيث استطاعت شريحة من منتجي الثقافة ليس فقط في مبادلة جمهورها الحماس، بل قدمت أيضاً محتوى ثقافياً نجح في تحقيق قدر من التفاعلية الناضجة مع المتلقين والمستهلكين، وتمثلت علامات النضج في ارتفاع تفاعلية المستهلك أو الجمهور من حيث عدد الردود والتعليقات والإسهامات ومعدل الزيارات، ووصل نجاح المحتوى إلى الدرجة التي تفوق فيها الجمهور على المنتج كمياً في عمليات التفاعل المتبادلة بين الاثنين.

كثرة تخدع وقلة تجود

من التحديات المؤسفة التي كشفت عنها التحليلات هي لجوء بعض من منتجي الثقافة الرقمية العرب إلى ممارسات خداعية وهم يتواصلون مع جمهورهم أو وهم يحاولون تقديم ما لديهم من منتجات ثقافية وعرضها، وذلك كوسيلة لجذب الجمهور أو الظهور بمظهر من يقدم شيئاً قيماً، وفي مقابل ذلك كانت هناك نماذج فردية لمنتجين تعدّ في حد ذاتها نقطة قوة وقصص نجاح باعثة على الأمل لما قدمته من تواصل ثقافي عالي القيمة في إنتاج الثقافة وعرضها وما لاقته من تفاعل جيد وتقدير وإقبال من الجمهور، وقد أوردنا في ثنايا التحليلات أمثلة لهؤلاء الذين يؤكّدون

أن هناك فرصة للتميز على المستوى الفردي بغض النظر عن الإمكانيات البشرية والتقنية.

مستوى تقني متواضع تقطعه الاستثناءات

كان التواضع وفقر المستوى سمة غالبية على الناحية التصميمية والأدائية لقنوات التواصل التي خضعت للتحليل، وقد استكان منتجو الثقافة الرقمية لذلك إما كسلاً أو جهلاً أو لامبالاة، أو قلة خبرة، ممّا أفقدهم قطاعات واسعة من الجماهير، وفي مقابل هذا التحدي تمكّن العديد من منتجي الثقافة وقنوات التواصل المسؤولين عنها من تحقيق مستويات تصميم وأداء قياسية، وهذه لم تكن صفة موقع أو منتج ثقافي بعينه، بل كانت سمة قابلة للملاحظة في فئة بكاملها، ومن حيث التفاعلية حقق 16 % من المواقع أعلى مستوى من التفاعلية وهو التفاعلية العالية جداً، و 10 % من المواقع صنفت على أنها عالية التفاعل، وفي المدونات سجّلت 16 % منها تفاعلية عالية جداً وهو أعلى مستوى للتفاعلية في المدونات، و 8 % تفاعلية عالية.

المستهلكون

بحث بدائي يقابله شغف عام

كان أول تحدّ خاص بالمستهلكين أظهرته التحليلات أن جمهور مستهلكي الثقافة الرقمية أظهر ميلاً لاستخدام أدوات البحث والتواصل البدائية، فقد شكّلت عمليات البحث بالكلمات العامة والسطحية - الخالية من أيّ تحديد أو ذكر لنطاق بحثي معين سواء على صعيد الموضوع أم الزمن أم السمات - العمود الفقري لتوجهات جمهور الإنترنت العربي، وهو يحاول التواصل ثقافياً بصورة رقمية،

الثقافة العربية للترباط والوحدة .. والأجنبية للجذب والتشتيت

من التحدّيات المثيرة للقلق في جانب المستهلكين أن هناك قدرًا غير قليل من عمليات البحث التي سعى أصحابها من ورائها لاستهلاك محتوى ثقافي غير عربي، وكأنهم يفضلون الثقافات غير العربية ورموزها ويسعون لاستهلاكها أكثر من الثقافة العربية، وفي هذا الصدد يبدو التوجّه نحو السينما الهندية والممثلين الأتراك نموذجًا واضحًا على ذلك خلال عمليات البحث التي جرت في العام 2009، كما ظهرت هذه السمة بصورة أقلّ في فروع أخرى مثل المتاحف التي حظي فيها متحف مثل اللوفر وبعض المتاحف الروسية والأميركية باهتمام فاق عمليات البحث الموجهة للبحث عن الآثار العربية، بل كانت هناك بعض الإشارات المقلقة منها مثلاً أن الرقم الخاص بعمليات البحث التي سعت للتواصل مع السينما الإسرائيلية وصل إلى 9900 عملية بحث شهرياً، وهو رقم يفوق بل وربما يصل إلى ضعف الأرقام الخاصة بالعديد من أوجه التواصل مع فروع ثقافية عربية أصيلة، كالتراث والآثار مثلاً، ممّا يدلّ على أن لدى شريحة من الجمهور العربي نوعاً من التشتت، وفي مقابل هذا التحدي المثير للقلق كان هناك سلوك استهلاكي من قبل الجمهور يمثل فرصة تبعث على الاطمئنان، ألا وهو أن الغالبية الساحقة من الجمهور تعاملت مع الثقافة كنسيج عربي وليس قطري، فالثقافة بالنسبة إلى العرب كانت في 97% من الحالات نسيجاً واحداً يتمّ البحث فيه وعنه باعتباره عنصراً مشتركاً لا قُطرياً، ومن الأمور اللافتة في هذا الصدد أن ما يزيد على 73% من عمليات البحث التي استخدمت كلمات تعتمد على القطرية كانت مركزة في مجال السينما،

لكن في المقابل صنع جمهور المستهلكين فرصة ربما تكون أكبر من هذا التحدي "الأدائي" إن جاز التعبير، حيث أظهر السلوك البحثي لجمهور الإنترنت العربي حالة من الشغف العام بالثقافة أو الفرع الثقافي الذي يميل إليه ويبحث على الإنترنت سعياً وراء التواصل معه، فهو حينما يسعى للتواصل مع الكتب والكتاب مثلاً لا يضع اختيارات مسبقة في ما يبحث عنه أو يسعى للتواصل معه، بل لديه في الأغلب الأعم شغف بالبحث عن الكتب والكتاب عموماً بلا تمييز سعياً وراء استهلاك ما يرتبط بها من محتوى.

تواصل استهلاكي .. وبحث رشيد

بدأت توجّهات الجمهور نحو التواصل الثقافي الرقمي استهلاكية ترفيهية سطحية النزعة في الغالبية الساحقة من عمليات البحث التي نفذوها، فقد ركّزت على التواصل مع المنتجات الثقافية التي يمكن توظيفها بصورة يحكمها البحث عن الترفيه السريع، بل والشاذ أحياناً كما هو الحال عند من يفضلون التواصل مع أفلام الرعب والاعتصاب، وفي مقابل هذا النمط الذي يشكّل تحدياً أمام تحقيق معادلة إنتاج واستهلاك رشيدة للثقافة الرقمية، كان هناك سلوك مغاير يشكّل فرصة، فقد كانت هناك شريحة من الجمهور رشيدة في بحثها وطلبها وسعيها لاستهلاك الثقافة الأعلى قيمة، حتى أن سلوكها فاق وتجاوز ما عرضه المبدعون من محتوى، فحينما كان الجمهور لا يجد لدى منتجي الثقافة ما يتوقّعه من محتوى ومعلومات وخدمات تفاعلية أو حتى بسيطة، كان يلجأ لوسائل أخرى متاحة على الشبكة للتواصل معهم ومع منتجاتهم عبر مصادر وموارد معرفية معلوماتية تتجاوز ما يضعه المبدع أو المثقف أو الأديب أو الشاعر عن نفسه وعن إنتاجه.

تواصل بطيء ودلالات تفاعل لحظي

كانت عمليات التواصل من قبل الجمهور في أغلب الأحيان جامدة خالية من اللحظية والحيوية التي باتت السمة الغالبة للتواصل الرقمي عبر الإنترنت في شتى المجالات، وقد شاعت هذه السمة سواء كانت عمليات البحث الساعية للتواصل الرقمي ضخمة وبالملايين كما هو الحال في السينما والفناء أم قليلة بالآلاف كما هو الحال مع الفكر وغيره، الأمر الذي جعل منها تحدياً ونقطة ضعف بالنسبة الى المستهلكين، لكن في مقابل ذلك وفر الجمهور لمنتجي الثقافة والقائمين على أمورهما في شتى الجهات المعنية فرصة جيدة، فقد أظهر السلوك البحثي للساعين إلى التواصل الثقافي الرقمي أن لديهم رغبة واضحة في استخدام الإنترنت كوسيط لتوسيع نطاق النشر الثقافي في مختلف فروعه، خصوصاً نشر الكتب والإنتاج الأدبي، يضاف إلى عمليات النشر التقليدية، ومن أبرز الأدلة على ذلك الإقبال على القصة والرواية عبر الإنترنت، والسعي لاستهلاكها لحظياً وبصورة حية إن كان ذلك متاحاً.

انحياز للأقل قيمة يقابله قدرات

انتقائية استثنائية

بدا التواصل الثقافي الرقمي من قبل الجمهور غير رشيد وتشوبه الاختلالات وينحاز بوضوح لكل ما هو أقل قيمة أو أدنى أهمية على قائمة الأولويات الثقافية، فعلى سبيل المثال وجد أن معدل الاهتمام بكتب الطبخ يبلغ 52 ألفاً و900 عملية بحث في المتوسط شهرياً، وهو رقم يعادل 1.8 ضعف عمليات البحث عن قضايا الإصلاح السياسي والفكر العربي والتنوير مجتمعه، وهو تحدٍ يحث من جدوى معادلة إنتاج واستهلاك الثقافة رقمياً عبر

أما النسبة القليلة الباقية فتوزعت على 16 فرعاً ثقافياً بكميات ضئيلة لا يعتد بها، وقد خلا فرعان ثقافيان من أي عمليات بحث قطرية تماماً.

ضعف استهلاك الأفكار.. وتواصل

رشيد مع قضايا كبرى

كان واضحاً بصورة عامة أنه كلما ابتعدت عمليات البحث عن المنتج واقتربت من القضايا والأفكار ضعف التواصل وقلت الرغبة في استهلاك الثقافة، وقد تسبب استمرار هذا التوجه في وصول الاستهلاك والتواصل الثقافي الرقمي إلى أعلى درجات الضعف في ما يتعلق بالتواصل مع القضايا والأفكار، فعند السعي للوصول إلى المحتوى الثقافي الخاص بالقضايا والأفكار الثقافية كان الجمهور يستخدم كلمات بحث شديدة العمومية يغلب على البعض منها التشويش ويسودها جميعاً عدم التحديد الذي يدل على عدم اكتراث أو لا مبالاة، وفي مقابل هذا التحدي ظهر سلوك جماهيري رشيد في التعامل مع العديد من القضايا الكبرى التي تهم الأمة العربية، كما هو الحال مع قضية فلسطين، وفي المقابل أظهر قدراً واضحاً من الإهمال والانصراف مع قضيتي المذهبية والطائفية، وهذا معناه أنه يهتم بالقضايا التي يفترض أن تجمع الأمة وتوحدّها وتعدّ قضيتها المركزية، وينفر أو لا يكثرث بالقضايا التي تفرّق وتحدث مزيداً من الشروخ بين العرب، وبالقسط هذه فرصة يمكن البناء عليها وتوسيعها، فربما قاد السلوك الجماهيري تجاه استهلاك الثقافة الرقمية الخاصة بهذه القضايا إلى جعل الإنترنت ساحة للتلاقي والوحدة أكثر ممّا يظن البعض.

منتجي الثقافة الرقمية وغير الرقمية دراستها والاستفادة بها لفض الاشتباكات أو التعارضات بين الفعاليات الرقمية وغير الرقمية في العديد من الفروع الثقافية.

خلاصات مشتركة

وإلى جانب التحديات والفرص التي اتسم بها من كل المنتجين والمستهلكين على حدة، هناك ثمة خلاصات عامة مشتركة يمكن الإشارة إليها في ضوء ما سبق من عمليات رصد وتحليل في مقدمتها أن منتجي الثقافة ومستهلكيها من الجمهور أظهروا معا وبشكل مشترك قبولاً عاماً بالتواصل الثقافي الرقمي والمحتوى الثقافي الرقمي، وأظهروا استعداداً لاستهلاك المزيد منه والتفاعل معه، ويدل على ذلك أن العديد من أشكال المحتوى الثقافي الذي تم إنتاجه أو تقديمه عبر قنوات التواصل الرقمي التي خضعت للتحليل كان جيداً وجاذباً فاستهلك بالكامل أحياناً، وكان الإقبال عليه أكبر كثيراً من المعروف منه، وقد رأينا كيف أن الاستهلاك الإجمالي لمقاطع الفيديو الثقافية فاق بمراحل عديدة الإنتاج الإجمالي، وكيف أن الاستهلاك على الفيس بوك يعادل أضعاف الإنتاج، وهذا المؤشر يدل على أن الإنترنت كوسيط للتواصل الثقافي لا يزال في بداياته ويحمل فرصاً وإمكانات واعدة تستطيع استيعاب المزيد والمزيد من المحتوى الثقافي، وأن هناك جماهير لا بأس بها على الإنترنت لديها استعداد للإقبال عليه والتفاعل معه.

نواة لتواصل ثقافي نوعي

ومن هذه الخلاصات أيضاً أن سلوك منتجي ومستهلكي الثقافة من الجمهور يحمل في طياته بذرة أو نواة جيدة لتواصل ثقافي

الإنترنت، لكن هذا التحدي لم يكن متسبباً الساحة وحده، بل ناطحه سلوك آخر من قبل الجمهور صنع فرصة لا تخطئها العين، ألا وهي وجود شريحة من الجمهور ذات قدرات انتقائية عالية وهي تتوجه نحو استهلاك الثقافة، فحينما يأتي الشعراء في المركز الثاني بعد المطربين والمغنيين في عمليات البحث، وحينما يسبقون ممثلي السينما والمسرح والتلفزيون والأدباء من حيث الرغبة في التواصل رقمياً مع شخوصهم، وحينما يحتل الأدب قائمة الفروع الثقافية العشرين من حيث البحث عن أعمال إبداعية بالاسم، حينما يحدث كل هذا نكون أمام فرصة أو توجه إيجابي نحو استهلاك ما هو عالي القيمة.

مؤسسات خافطة التواصل وجمهور

يسعى لبعضها

بدا التواصل الثقافي الرقمي لجمهور الإنترنت في العالم العربي ضامراً خافطاً وشحيحاً للغاية في سعيه للتواصل مع المؤسسات الثقافية الرسمية والعامة المسؤولة عن الحفاظ على الثقافة والتخطيط لتنميتها ورعايتها وتطويرها، وكذلك المنشآت الثقافية الخاصة والعامة التي تتولى نشرها جماهيرياً، وهو تحدٍ يعكس فجوة ثقة بين الجمهور ومؤسساته الرسمية في الواقع الفعلي، لكن هذا التحدي لم يصل إلى حالة من الخصومة الكاملة مع المؤسسات الثقافية، بدليل أن الجمهور عوّض هذا التحدي بفرصة مغايرة تماماً تمثلت في أن الجمهور دفع باتجاه حالة يتعاون فيها التواصل الثقافي الرقمي مع التواصل الثقافي غير الرقمي في آن واحد عبر مؤسسات بعينها كدور النشر والمكتبات والمسارح ودور السينما، وهذه نقطة قوة تدل على إيجابية واضحة من مستخدمي الشبكة وباحثيها، وتمثل فرصة يتعين على

تفرز نوعاً من الجماعية أو العمل الجماعي في إنتاج واستهلاك الثقافة على السواء، أو بعبارة أخرى جعلت من الممكن إنتاج محتوى ثقافي يعتمد على الجماعية والعمل المشترك في إنتاجه واستهلاكه.

وخلاصة ما يمكن الخروج به من هذه الدراسة أن إنتاج الثقافة العربية واستهلاكها رقمياً عبر الإنترنت وما يكتنفها من تواصل ثقافي رقمي هو حالة "واضحة المرض"، و"واضحة القابلية للشفاء والتعافي"، بعبارة أخرى نحن بصدد حالة ليست وريدية لكنها ليست سيئة على طول الخط كما هو شائع أو يحاول البعض إشاعته وتسويقه من صورة نمطية عن الثقافة العربية على الإنترنت وعن سلوك منتجيها وسلوك مستهلكيها ومستوى تواصلهم مع بعضهم البعض، فبقدر ما فيها من علامات وهن تحمل من إمكانات للقوة، وعلى الرغم مما تظهره من علامات للإحباط، فإن فيها ما يبعث على الأمل ويؤجل الوصول لليأس.

نوعي تنفذه شريحة من المنتجين والجمهور، ويتسم بالتخصّص والفعالية الأكبر، حتى وإن كان ضيقاً نوعاً ما من حيث الانتشار وقليلاً من حيث العدد مقارنة بالشرائح الأخرى، ومن الأمثلة البارزة في هذا الصدد ما يمكن أن نطلق عليه "النواة الرقمية الواعدة للشعر واللغة"، فقد قدّم منتجو الثقافة الرقمية في مجال الشعر واللغة تجربة جيّدة تمّ خلالها تكوين نواة واعدة لا بأس بها للاهتمام بكلّ من الشعر واللغة عبر الفضاء الرقمي، وتجلّى ذلك في الأعداد الكبيرة من المنتديات والمدونات ومجموعات **الفيس بوك** والمواقع والقوائم البريدية التي تهتمّ بالشعر واللغة، بل كان الأمر لافتاً أيضاً في تقدّم الشعر وتحقيقه حضوراً بارزاً على **اليوتيوب**، وللإنصاف لا بدّ من القول إن الجمهور العام من متابعي ومستهلكي هذين اللونين من الثقافة كان له دور كبير في تكوين هذه النواة الواعدة، حيث أقبل بالآلاف على هذه القنوات الرقمية للتواصل مع الشعر واللغة، كما يمكننا القول إن ظاهرة التواصل الثقافي الرقمي عبر الإنترنت بدأت

**حركة التأليف والنشر
في العام 2009**

العوامل المؤثرة في توجهات القراء

جوانب من حركة النشر العربية

ماذا قرأ العرب في العام 2009؟

الموضوعات الأكثر جذباً للقراء العرب

العوامل المؤثرة في توجهات القراء

والاهتمام، والإدراك، ثم القراءة ذاتها بفهم واستيعاب.

وثمة علاقة بين المتغيرات الديموغرافية والقراءة، مثل، العمر، والجنس (النوع)، والمهنة، ومستوى التعليم، والحالة الاقتصادية، والاجتماعية... إلخ. كما أن هناك من يربط بين القراءة وعوامل أخرى، من قبيل المجتمع، والأصدقاء، والزملاء، والمؤسسات الإعلامية والتربوية، كالمدارس والجامعات ودور العبادة المختلفة... إلخ، وهي من العوامل المؤثرة في القراءة والتي سوف يعالجها هذا البحث¹.

والمعرفة التي يُطمح إلى أن يمتلكها الإنسان العربي، والتي يستهدفها التقرير، إنما هي مجمل المخزون المعرفي والثقافي، وهي الناضج الرئيسي لمجمل النشاطات الإنسانية والتنموية، التي ترمي إلى توسيع خيارات وفرص تقدم الإنسان العربي وتحقيق حريته وعيشه الكريم؛ وبذلك تصبح المعرفة "اكتساباً"، وإنتاجاً، وتوظيفاً، وتوظيفاً، باعتبارها أداة وغاية للمجتمع ككل، تصل إلى مختلف الشرائح على قدم المساواة، وتستهدف كل المجالات المعرفية، بما في ذلك المجالات العلمية، والفنية، والثقافية، والتراثية، والخبرات المجتمعية المتراكمة كلها.

تم إعداد هذا البحث في ظلّ أوضاع اقتصادية وسياسية متوترة يمرّ بها العالم بأسره، بما في ذلك **الوطن العربي**، حيث تتسع الصراعات السياسية، والإقليمية، والمذهبية، والعرقية بشكل ملحوظ، في **العراق، وفلسطين والصومال**. ولعلّ هذه الظروف تدفع إلى التساؤل: ما هي أوضاع حال النشر والقراءة في الوطن العربي؟ وهل استسلم العرب لكلّ هذه الظروف؟ وهل لا يزال هناك جماعة منهم تتمسك بخيوط الأمل؟ أي الأمل بالإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، من خلال العلم والمعرفة اللذين لن يستطيع العرب الحصول عليهما إلا من خلال القراءة، وذلك رغبة في المزيد من المعرفة.

لا شك أن الحديث عن القراءة يقضي بالتعرّف إلى حركة النشر والتأليف في الوطن العربي؛ لأن القراءة لا بدّ أن تواكبها حركة تأليف ونشر؛ فحين يُطرح سؤال: ماذا قرأ العرب؟ يتبادر إلى الذهن سؤال مضاد، وهو: ماذا كتب العرب؟ والإشارة إلى القراءة والتأليف تعني دراسة الحالة الثقافية في الوطن العربي، لأن الثقافة هي روح الأمة وعنوان هويتها.

وهناك عوامل عدّة تؤثر على القراءة ودوافعها والإشباع المتحققة منها، مثل: التعرّض للكتب أو المادة المقروءة، والانتظار،

حينما نسأل: ماذا قرأ العرب؟ فإنه يتبادر إلى الذهن سؤال مضاد وهو: ماذا كتب العرب؟ وعندما نشير إلى مسألتَي القراءة والتأليف، فنحن إذا بصدد دراسة الحال الثقافية في العالم العربي، فالثقافة في المحصلة هي روح الأمة وعنوان هويتها..

1. توجد أيضاً أنواع للقراء، حدّدها البعض في أربع طبقات، هي:

1. الباحثون عن المعلومات.
2. المدافعون عن حقوق المستهلكين.
3. المولعون بقراءة التحقيقات والموضوعات المثيرة.
4. قراء الرأي.

(Information searchers) or seekers
Consumer Advocates
Fascinated Feature Readers
Opinion Readers

توضيحات منهجية

تحدّد الهدف العام من إجراء هذا البحث في محاولة التعرّف إلى نمط من أنماط الحياة الثقافية للمواطن العربي، وهو القراءة ومدى إقبال العرب عليها، وذلك بغية الوصول إلى تصوّر أفضل عن حالة القراءة في **الوطن العربي**، والتعرّف إلى المشهد الثقافي في **المنطقة العربية** برمتها. كما أن التعرّف إلى واقع القراءة في **الوطن العربي** يقتضي بالضرورة التعرّف إلى ما يُنشر من إنتاج ثقافي في مجال الكتب (في المجالات كافة)، ولاسيما أن النشر والقراءة وجهان لعملة واحدة. ولم يركز البحث بطبيعته الوصفية التحليلية الشاملة على إبراز نقطة بذاتها ومحاولة تحليلها واستنباط نتائجها فحسب، بل ركّز أيضاً على قضية القراءة بشكل عام، وعلى ما يحيط بها من متغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية، تتكامل جميعها نحو تغطية ثقافة القراءة أو العكس، وذلك في ضوء متغيرات فرعية مختلفة. ومن بين أبرز المتغيرات التي تضمّنها البحث: الجنس، المستويات التعليمية والمهنية، ومستوى الدخل، وملكية جهاز استقبال (ساتلايت، دش)، فضلاً عن أجهزة الكمبيوتر وغير ذلك من المتغيرات. كما اشتمل الاستبيان الخاص بالقارئ على أسئلة عدّة، من قبيل:

هل اشتريت كتباً في العام 2009؟

هل أنت معتاد على قراءة الكتب؟

أي كتب تفضّل؟

ما هو المجال الذي تفضّل أن تقرأ فيه؟

ما الأسباب التي تجعلك أكثر إقبالاً على

شراء الكتب؟

ما هو شكل الكتاب المفضل إليك (المطبوع

أم الرقمي)؟

منهج البحث

يُعَدّ هذا البحث من الأبحاث الاستطلاعية الوصفية، وهو يعتمد على التحليل الإحصائي في الكثير من تفسير الظواهر وتحليلها ودراساتها، وذلك بالاستناد إلى استمارة استبيان أعدت لهذا الغرض، وهي ذات شقين:

• الشق الأول: خاص بالقراء.

• الشق الثاني: خاص بالناشرين.

وقد احتوت استمارات الاستبيان على مجموعة من العناصر والأسئلة التي استهدفت الإحاطة بمعظم المؤثرات أو العوائق التي تؤثر في الإقبال (أو العزوف) على أو (عن) القراءة، وتزايد أو قلة النشر في **الوطن العربي**، وهل لمعارض الكتب في **الوطن العربي** أثر في توسيع قاعدة القراء؟ وهل تواجه دور النشر أيّ عوائق، وخصوصاً في طبع مؤلفات بعينها أو ترويجها... إلخ.

الفئات المستهدفة (عيّنة البحث):

استهدف البحث الفئة العمرية من 15 إلى 65 عاماً من مواطني الدول العربية، من خلال عيّنة عشوائية من المواطنين العرب (يمن فيهم القراء المصريون) الذين تردّدوا على **معرض القاهرة الدولي للكتاب** في دورته الثانية والأربعين لعام 2010، وكذلك رواد **معرض تونس للكتاب** لعام 2010، فضلاً عن عدد من أبناء الوطن العربي، ولاسيما مصر، ودول الخليج العربي، والمشرق العربي، وتونس. واشتملت العيّنة العشوائية للقراء على حوالي 1215 شخصاً، فيما اشتملت العيّنة العشوائية للناشرين على حوالي 160 ناشراً². هذا، وواجه العمل الميداني تحديات عدّة، من أبرزها:

² تمّ الوصول إلى بعض العرب الأفارقة المقيمين في مصر، وتحديدًا المقيمين في مدينة البعوث الإسلامية لسدّ بعض النقص في حجم العيّنة المخصّصة لعرب إفريقيا.

عينة البحث

(الجنسية - النوع - الحالة الاجتماعية -

النواحي الاقتصادية... إلخ)

تشكّلت العينة من القراء الموجودين في سرايا معرضي القاهرة الدولي للكتاب ومعرض تونس الدولي وقاعاتهما، وكانت الأغلبية العظمى من الاستثمارات الصحيحة التي تمّ الحصول عليها من معرض القاهرة الدولي بنسبة 79 % من العينة، فيما مثّلت استثمارات معرض تونس النسبة الباقية وهي 21 %. فكان من المنطقي بالتالي أن يمثّل المصريون النسبة الغالبة من بين استثمارات البحث 64.8 %، يليهم التونسيون بنسبة 20.1 %، والليبيون (2.7 %) والعمانيون (2.4 %) والفلسطينيون (1.3 %) والسعوديون (1.2 %) والمغاربة (1.2 %)، أما النسبة الباقية من العينة (6.3 %) فتوزّعت ما بين 13 دولة عربية أخرى.

لعلّ طبيعة الإقبال على المعرض في كلّ من القاهرة وتونس في مختلف الأوقات أدّت إلى تحييز العينة لمصلحة الذكور، لكونهم يتواجدون بشكل أكبر في المعرض، ويقبلون أكثر من النساء على التعاون مع استطلاعات الرأي العام. وهكذا توزّعت العينة ما بين الذكور والإناث بواقع 69 % للذكور، و 31 % للإناث، وكانت غالبيتهم في الفئة العمرية 21 - 30 عاماً، وذلك بنسبة 34.4 %، يليها الفئة العمرية 31 - 40 عاماً بنسبة 19.3 %، ثمّ الفئة العمرية أكثر من 60 عاماً، وذلك بنسبة 7 %، ويبدو واضحاً من تلك النتائج أن أكثر من نصف العينة من رواد معارض الكتاب كانوا أقلّ من 30 عاماً، أي أن 53.6 % من العينة هم من الشباب.

وقد توزّعت أفراد العينة بحسب الوضع الاجتماعي إلى 55.7 % لغير المتأهلين، 44.3 %

1. عدم استجابة كثير من القراء للملئ استمارة الاستبيان؛ ما أدّى إلى استبعاد عدد لا بأس به من الاستثمارات.

2. عدم التمكن من الوصول إلى عدد كبير من أبناء الدول العربية، مثل الصومال، جيبوتي، جزر القمر، موريتانيا، دول المغرب العربي.

3. عدم وجود أرقام دقيقة عن حجم ما تمّ نشره بالفعل في معظم الدول العربية خلال العام 2009، نظراً لإحجام الناشرين عن إعطاء أرقام صحيحة، فضلاً عن افتقاد بعض الدول العربية لأرقام دقيقة.

حال القراءة في الوطن العربي خلال العام 2009

أدّى توجّه الاستبيان إلى رواد معرضي القاهرة الدولي للكتاب في دورته الثانية والأربعين للعام 2010، ومعرض تونس الدولي للعام 2010، إلى انحياز العينة، إلى حدّ بعيد، إلى كلّ من الرأي العام المصري، والرأي العام التونسي. إذ تمّ الاستطلاع في كلّ من القاهرة وتونس، بما يعني أنّ غالبية المستطلعين كانوا من المصريين والتونسيين، وذلك على الرغم من الحرص على كبر حجم العينة المؤلفة من 1500 شخص ممّن يتردّدون على معارض الكتاب بحكم اهتماماتهم، وفي أيام وأوقات مختلفة. غير أن الحرص على أن يمثّل رواد المعرض مختلف الانتماءات والتوجهات الفكرية، فضلاً عن مختلف الأقطار العربية (بحيث تكوّنت العينة من حوالي 20 دولة عربية)، لم يحل دون بروز تفاوت بين النسبة التي يمثّلها كلّ بلد عربي في العينة من جهة، وبين نسبته من حيث عدد سكان الدول العربية مجتمعة من جهة أخرى.

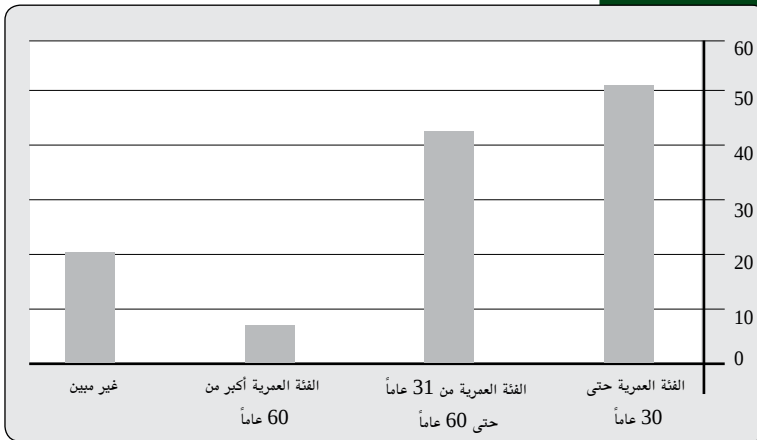
3 أسهم الطلاب العرب الذين يدرسون في جامعة الأزهر في اتساع عينة البحث.

ما تمّ الربط بين نسبة من يمتلكون الساتيليت والكمبيوتر لأهميتهما في الحياة المعاصرة، وبين المتعلمين الذين حصلوا على مرحلة البكالوريوس أو أكثر، تبدو النسبة متقاربة للغاية (86 % للساتيليت، و89.6 % للكمبيوتر، و75.8 %

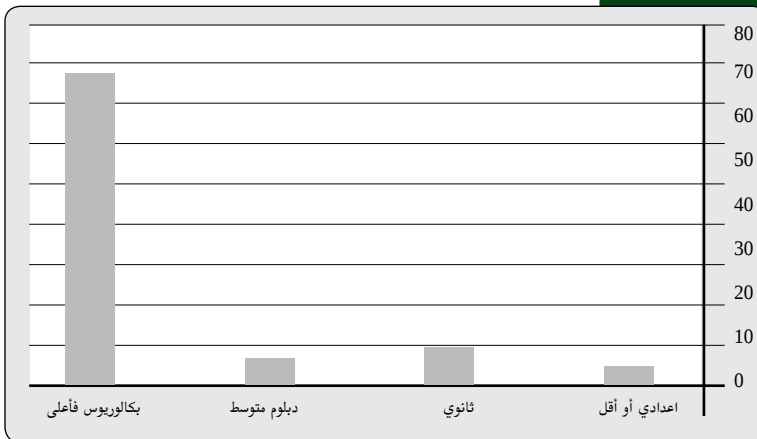
للمتأهلين. أما عن المستوى التعليمي فقد كانت النسبة الغالبة في العينة لفئة الحاصلين على شهادة جامعية، وذلك بنسبة 41.4 % للحاصلين على بكالوريوس، و13.5 % للحاصلين على الماجستير و8.4 % للحاصلين على دكتوراه. فيما استأثر الحاصلون على شهادة الثانوي بنسبة 13.4 % من مجموع العينة والحاصلون على دبلوم عال بنسبة 12.5 %، وعلى دبلوم متوسط بنسبة 7.6 % . واستأثر الحاصلون على الإعدادي وما دون على النسبة الأقل (3.2 %). أما على صعيد العمل، فكان ثلثا أفراد العينة عاملين (66.8 %) مقابل ثلث غير عامل (33.2 %)، فيما بلغت نسبة العاملين في القطاع العام أو لدى الحكومة من بين مجموع العاملين (52.1 %) مقابل 40.7 % من العاملين في القطاع الخاص. كما لوحظ أنّ الفئة الأكبر في العينة تعود للعاملين في مجال التدريس، وذلك بنسبة 24.1 %، يليهم فئة الموظفين (موظفون ومديرون)، وذلك بنسبة 21.4 %. أما من يعملون في المجال الإعلامي والتأليف فبلغت نسبتهم 8.7 % مقابل نسبة 3 % فقط للطلاب. وقد أظهر مؤشر مستوى الدخل أن الأفراد الذين تتراوح متوسطات الدخل الشهرية لديهم ما بين (201 - 400 \$) شكّلوا نسبة 23.1 %، يليهم من يتراوح متوسط دخلهم الشهري ما بين (111-200 \$) والذين شكّلت نسبتهم 19 %، ثم من يزيد دخلهم الشهري على (930 \$) بنسبة 11.2 %.

واللافت لدى أغلب أفراد العينة أنّ نسبة كبيرة جداً لديها "ساتيليت" و"جهاز كمبيوتر"، وأن ما ورد حول مستوى الدخل قد يكون غير مطابق للواقع نظراً للحرج أو لعدم الرغبة لدى الغالبية في ذكر الأرقام الصحيحة الخاصة بمستوى الدخل الشهري، على اعتبار أن هذه المسألة تدرج في الإطار الشخصي. وإذا

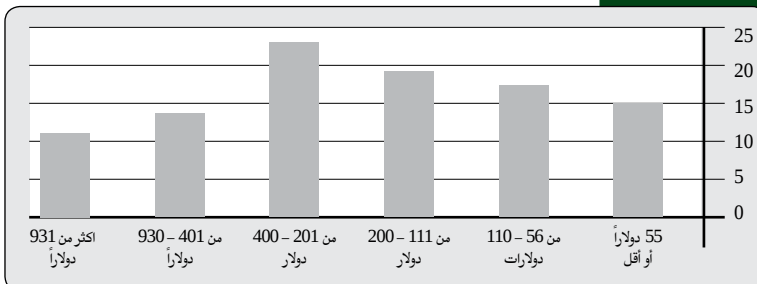
شكل رقم 1 توزع أفراد العينة بحسب العمر (%)



شكل رقم 2 توزع أفراد العينة بحسب المستوى التعليمي (%)



شكل رقم 3 نسبة توزع أفراد العينة بحسب متوسط الدخل الشهري (\$) (%)



الكتاب، ربما لمتابعة ما يدور فيه من أنشطة ثقافية مختلفة. وكان لافتاً أن تقارب نسبة من قاموا بشراء كتب في العام 2009 نسبة المعتادين على القراءة؛ إذ تبين أن 79.5 % من أفراد العينة اشتروا كتباً خلال العام 2009، في مقابل 20.5 % للذين لم يشتروا، وبذلك يكون الفارق بين نسبة المعتادين على القراءة وبين من اشتروا كتباً بحدود 1.4 %، وربما يكون هؤلاء ممن ليست لديهم القدرة على شراء الكتب.

من هم القراء؟

في محاولة للتعرف بشكل أكثر تفصيلاً إلى هؤلاء الذين اشتروا كتباً خلال العام 2009، يتضح أن الأكثر شراءً للكتب هم من الفئة العمرية 21 - 30 عاماً، وذلك بنسبة 34.8 %، تليهم الفئة العمرية 31 - 40 عاماً (بنسبة 19.9 %). وكذلك الأمر بالنسبة إلى اعتياد القراءة، إذ إن الأكثر اعتياداً على القراءة انتموا إلى الفئة العمرية 21 - 30 عاماً وجاءت نسبتهم 32.8 %، تلاهم المنتمون إلى الفئة العمرية 31 - 40 عاماً، وذلك بنسبة 19.9 %.

وقد انعكست تلك النسبة في كون الأكثر شراءً للكتب خلال العام 2009 هم، أيضاً، من حملة درجة البكالوريوس، بنسبة 42.4 %، يليهم من يحملون درجة الماجستير، وذلك بنسبة 15.4 %. كما كان حملة البكالوريوس من الفئات الأكثر اعتياداً على القراءة، وذلك بنسبة 41.2 %، يليهم حملة الماجستير أو ما فوقها بنسبة 41.8 %. أما عن الوضع المهني لأفراد العينة، فقد تبين أن العاملين يشكلون النسبة الأكبر ممن يشترون الكتب، وذلك بنسبة 69.5 %، وأن أكثر من نصفهم يعمل في القطاع العام (بنسبة 53.1 %) مقابل 39.8 % للعاملين في القطاع الخاص، وهي نتيجة تماثل تلك المتعلقة بالاعتياد على القراءة؛ إذ بلغت نسبة المعتادين

للمتعلمين)، بحيث يبدو أن هؤلاء ربما يمتلكون هذه الوسائل لأغراض تثقيفية.

هل القراءة من عادات المواطن العربي؟

تشير الدراسات السابقة إلى انخفاض نسبة القراءة بين العرب عموماً؛ إذ أشار البعض مثلاً، إلى دراسة قارنت بين متوسط ساعات القراءة عند العرب والأوروبيين، فجاءت النسبة، بالطبع، لمصلحة الأوروبيين (متوسط القراءة في الدول الأوروبية حوالى 200 ساعة سنوياً، بينما تنخفض هذه الساعات وتقلص إلى 6 دقائق سنوياً للفرد العربي).

هذه الإحصائيات وغيرها تشير دائماً إلى ضالة نسبة القراءة في الوطن العربي مقارنة بما هو عليه الحال في الدول الأوروبية، إلا أن هذه المقارنة قد تكون غير منصفة لأن المتعارف عليه علمياً يتمثل في ضرورة إجراء المقارنة بين متناظرين في الظروف كافة (الاجتماعية، والاقتصادية، والنفسانية، والسياسية... إلخ)،

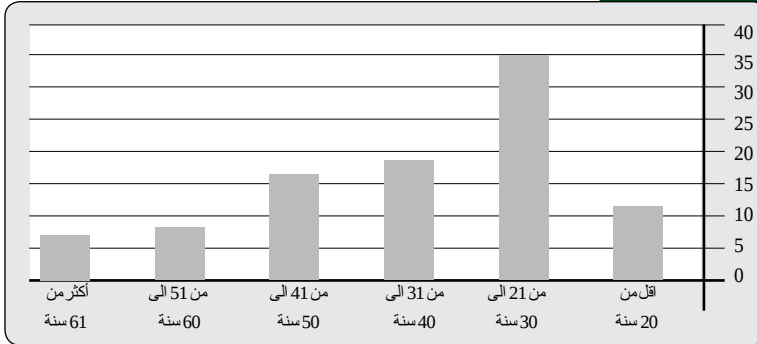
فأين التناظر بين الوضع في العالم العربي ومثيله في العالم الأوروبي؟ ومهما يكن من أمر فإن محاولة معرفة واقع القراءة لدى الجمهور العربي، وبخاصة في معارض الكتب، لا بد أن يواكبها افتراض بارتفاع مستوى القراءة إلى حد ما مقارنة بدراسات سابقة، لأن من يتردد عموماً إلى معارض الكتب يكون في الغالب من القراء المتابعين للحراك الثقافي.

وعند سؤال رواد المعرض عما إذا كانوا معتادين على القراءة، اتضح أن غالبيتهم (80.9 %) من المعتادين عليها، مقابل نسبة 19.1 % فقط لغير المعتادين عليها، وهؤلاء ليسوا بالضرورة ممن لا يقرأون، ولكنهم ممن لا يقرأون باستمرار، أو أن القراءة ليست من هوايتهم المفضلة، ومع ذلك يزورون معرض

في محاولة للتعرف إلى الذين اشتروا كتباً خلال العام 2009، يتضح أن الأكثر شراءً للكتب هم من الفئة العمرية 21 - 30 عاماً (بنسبة 34.8 %) تليهم الفئة العمرية 31-40 عاماً (بنسبة 19.9 %). وكذلك الأمر بالنسبة إلى اعتياد القراءة، فالذين قالوا إنهم معتادون على القراءة هم في الفئة العمرية 21 - 30 عاماً (بنسبة 32.8 %) تليهم الفئة العمرية 31 - 40 عاماً (بنسبة 19.9 %).

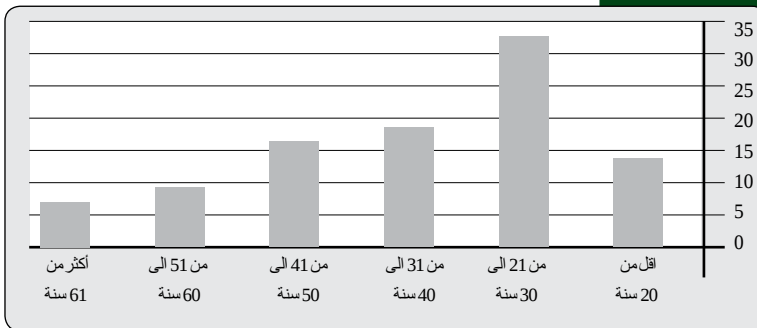
شراء الكتب بحسب الانتماء العمري (%)

شكل رقم 4



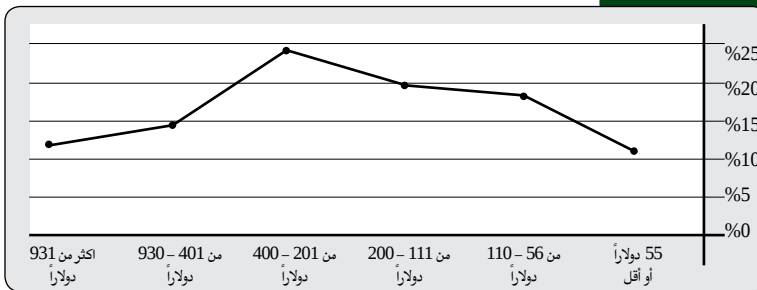
الاعتقاد على القراءة بحسب العمر (%)

شكل رقم 5



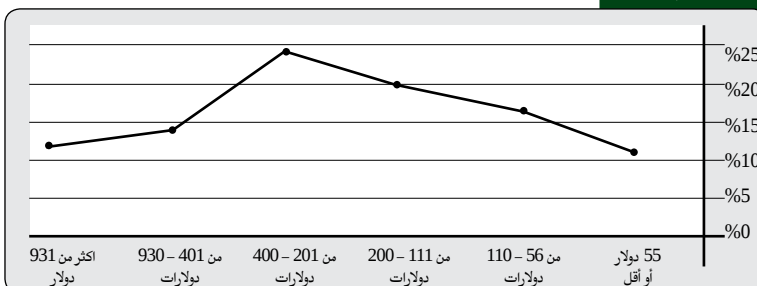
شراء الكتب بحسب مستوى الدخل (%)

شكل رقم 6



الاعتقاد على القراءة بحسب مستوى الدخل (%)

شكل رقم 7



على القراءة 69.8% من مجموع العاملين، فيما شكّلت نسبة العاملين منهم في القطاع الخاص (52.6%). وبذلك شكّل مستوى الدخل عاملاً محدّداً في عملية شراء الكتب، إذ إن النسبة الأكبر من الذين اشتروا كتباً خلال العام 2009 انتموا إلى فئة الدخل 201 - 400 دولار، كما أن شراء الكتب تزايد مع ارتفاع مستوى الدخل إلى فئة 201 - 400 دولار. وقد تكرّر النمط نفسه، أيضاً، في ما يتعلق بالاعتقاد على القراءة.

وبملاحظة كلٍّ من الشكلين (الشكلان رقم 6 و7) يتّضح أن نسبة من يحصلون على 55 دولاراً في الشهر وما دون بالنسبة إلى شراء الكتب 13.5% (شكل رقم 6)، تفوق نسبة من يحصلون على أكثر من 931 دولاراً والذين بلغت نسبتهم 12.7%. ويمكن ردّ ذلك إلى ارتفاع نسبة من يحصلون على 55 دولاراً وما دون 15.1% مقارنة بالذين يحصلون على 931 دولاراً وما فوق. وينسحب الأمر عينه على العلاقة بين الاعتقاد على القراءة ومستوى الدخل (شكل رقم 7)؛ فبلغت نسبة من اعتاد على القراءة من بين الذين يحصلون على 55 دولاراً وما دون 12.7%، مقابل نسبة 11.8% للذين يحصلون على 931 دولاراً وما فوق.

في المقابل تبين أن الفئات الأكثر شراءً للكتب هي فئة المدرسين، وذلك بنسبة 15.5%، يليها فئة أعضاء هيئة التدريس في الجامعات بنسبة 10.3%. أما الفئات الأكثر اعتياداً على القراءة فهي فئة المدرسين (15.4%)، ثم فئة أعضاء هيئة التدريس في الجامعة (10.1%).

العلاقة بين شراء ساتيلايت وكمبيوتر وبين شراء الكتب

ظهر أخيراً أن الغالبية العظمى ممّن قاموا بشراء كتب خلال العام 2009 لديهم القدرة على مشاهدة القنوات الفضائية عبر امتلاكهم

الأغلب الأعم ممّن قام بشراء كتب خلال العام 2009 هم ممّن لديهم القدرة على مشاهدة القنوات الفضائية عبر امتلاكهم جهاز ساتيلايت، أو ما يُعرف في بعض الدول العربية بـ "الوصلة" (89.9 %). وممّن لديهم جهاز كومبيوتر في المنزل (92.5 %).. ومرةً أخرى يتكرّر النمط نفسه مع الاعتماد على القراءة، فمن بين ما قالوا إنهم من معتادي القراءة، كان 89 % لديهم ساتيلايت ووصلة، و90.6 % لديهم جهاز كومبيوتر، وهو الأمر الذي يدفع في اتجاه إعادة النظر في العلاقة بين مشاهدة القنوات الفضائية واستخدام الكومبيوتر والإنترنت على عملية اقتناء الكتب في شكلها الورقي أو المطبوع.

بخصوص الكتب المفضّلة لدى كلّ من الذكور والإناث يتّضح أن نسبة تفضيل الكتب العربية بين الذكور أعلى من مثيلتها بين الإناث، فبينما فضّل 72.5 % من الذكور الكتب العربية، انخفضت تلك النسبة بين الإناث لتصل إلى 64.1 %.. وفي مقابل ذلك كانت نسبة تفضيل الكتب المترجمة إلى العربية بين الإناث أعلى من مثيلتها لدى الذكور، فبينما فضّل 22.4 % من الإناث الكتب المترجمة إلى العربية انخفضت تلك النسبة بين الذكور إلى 18.9 %..

اللغة العربية، بينما فضّل نحو 10.7 % قراءة الكتب غير العربية؛ وهو الأمر الذي يعني أنّ حوالي 89.3 % يفضلون القراءة باللغة العربية. وقد أظهرت العلاقة بين اللغة المفضّلة للقراءة وبين المستوى التعليمي أنّ فئة الحاصلين على دبلوم متوسط شكّلوا الفئة الأكثر تفضيلاً للكتب العربية (78.2 %)، وأنّ فئة الحاصلين على الثانوية كانوا الأكثر تفضيلاً للكتب المترجمة إلى اللغة العربية (22.9 %)، فيما شكّل حملة الدكتوراه الفئة الأقلّ تفضيلاً للكتب المترجمة إلى اللغة العربية (15.2 %)، أما حملة شهادتي الدبلوم العالي والدكتوراه فمثّلوا الفئات الأكثر تفضيلاً للكتب غير العربية بنسبة 22.6 % و9.2 % على التوالي.

مقروئية الكتب بحسب الجنس

تبين أنّ نسبة تفضيل الكتب العربية بين الذكور (72.5 %) أعلى من مثيلتها بين الإناث (64.1 %)، مقابل ارتفاع نسبة تفضيل الكتب المترجمة إلى اللغة العربية بين الإناث (22.4 %) مقارنةً بمثيلتها لدى الذكور (18.9 %)، وارتفاعها كذلك في ما يتعلق بتفضيل الكتب غير العربية، بحيث بلغت نسبة تفضيلها بين الإناث (13.5 %) مقابل (8.6 %) للذكور.

العلاقة بين اللغة المفضّلة للقراءة

ومتغيّرات أخرى

لوحظ أنّ نسبة تفضيل الكتب غير العربية في فئة الشباب دون سن العشرين فاقت مثيلاتها في الفئات العمرية الأخرى، كما لوحظ تراجع الاهتمام بالكتب غير العربية مع تقدّم السن، فبينما بلغت هذه النسبة في فئة من هم دون العشرين 9.9 %، بلغت في فئة من هم فوق الستين عاماً 1.5 %. أما عن الكتب المترجمة إلى اللغة العربية، فبلغت نسبة من يفضلونها 28.5 %

جهاز ساتيلايت، أو عبر ما يُعرف في بعض الدول العربية بـ "الوصلة" (89.9 %)، وكذلك الذين لديهم جهاز كمبيوتر في المنزل (92.5 %). يتكرّر النمط نفسه في ما يتعلّق بالاعتماد على القراءة. إذ إن غالبية المعتادين على القراءة لديهم ساتيلايت ووصلة (89 %) وجهاز كمبيوتر (90.6 %). وهو الأمر الذي يدفع إلى إعادة النظر في العلاقة القائمة بين مشاهدة القنوات الفضائية واستخدام الكومبيوتر والإنترنت من جهة، وعملية اقتناء الكتب في شكلها الورقي أو المطبوع من جهة أخرى. غير أنّ السؤال الذي يطرح نفسه هو التالي: هل توجد علاقة بين شراء الكتب والتعود على القراءة؟ أو بصيغة أخرى هل الذين أفادوا بأن القراءة من عاداتهم هم أنفسهم الذين يشترون الكتب؟

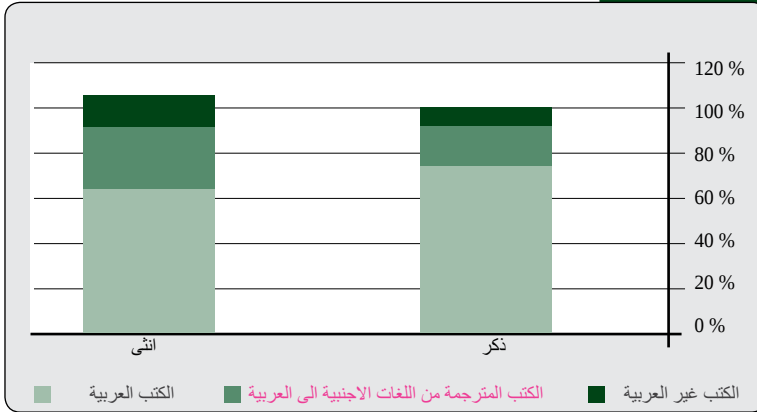
في الواقع توضح النتائج أنّ 13.9 % فقط من الذين شكّلت القراءة عادة لديهم لم يقوموا بشراء كتب، مقابل 86.1 % للذين اشتروا كتباً خلال العام 2009. وفي هذه النتائج ما يشير إلى وجود فئة من الأفراد الذين يملكون عادة القراءة لكن من دون أن يكونوا قادرين على شراء الكتاب، بل يمكنهم الاطلاع عليه وتصفّحه من خلال زيارة المكتبات العامة أو تصفّح الإنترنت.

الكتب المفضّلة للقراءة

في محاولة التعرّف إلى طبيعة ما يقرأه العرب، وإلى الكتاب الذين يقرأون لهم، والأسباب التي تجعلهم يُقبلون على كتاب بذاته، توجّه الاستبيان بسؤال إلى المستطلعين حول كتبهم المفضّلة، وعمّا إذا كانوا يفضلون القراءة بالعربية أم بلغة أجنبية أخرى؛ فتبيّن أنّ 69.6 % من القراء يفضلون الكتب العربية، و19.7 % يفضلون الكتب المترجمة من لغات أجنبية إلى

اللغة المفضلة للقراءة بحسب الجنس

شكل رقم 8



لَمَن هم دون العشرين عاماً مقابل 14.5 % لَمَن تراوحت أعمارهم ما بين 41 و50 عاماً وهي الفئة العمرية التي تفضل النسبة الأكبر من أفرادها الكتب العربية، وذلك بنسبة 82.8 %، مقابل نسبة 61.6 % لَمَن هم دون العشرين عاماً. في ما يتعلق بالعلاقة بين المهنة والكتب المفضلة تشير النتائج إلى أنَّ أعلى نسبة لتفضيل الكتب غير العربية هي بين فئة الطلاب (21.1 %) يليهم المدرسون الجامعيون (16.9 %)، ثمَّ فئة المدرسين (15.1 %).. أمَّا فئة المترجمين فقد كان لافتاً أنها تأتي في المرتبة الرابعة في تفضيل الكتب غير العربية وذلك بنسبة 11.1 %.

الدخل 201 - 400 دولار.

الكتّاب المفضّلون

حول الكتّاب المفضّلين لديهم، أعرب نحو 76.8 % من مجموع أفراد العيّنة عن تفضيلهم الكتّاب الذين يكتبون بالّلغة العربية، ومن بينهم 54.7 % يفضّلون الكتّاب المصريين و22.1 % يفضّلون الكتّاب العرب. وفي المقابل تبّين أيضاً أنَّ الإناث يفضّلون الكتّاب المصريين بنسبة 51.3 % مقابل نسبة 57.1 % للذكور. في حين يفضّل الذكور الكتّاب العرب بنسبة 22.5 % مقابل نسبة 21.1 % للإناث. كما تفضّل الإناث الكتّاب الأجانب بنسبة 27.3 % مقابل نسبة 20.4 % للذكور.

وفي ما يتعلق بتفضيل الكتّاب في الفئات العمرية المختلفة، تبّين أنَّ نسبة تفضيل الكتّاب المصريين بلغت أعلى نسبة لها في الفئة العمرية 51 - 60 سنة، وذلك بنسبة 80.9 %، وأدناها في الفئة العمرية 21 - 30 سنة، وذلك بنسبة 59.5 %. فيما بلغت نسبة الذين يفضّلون الكتّاب الأجانب أعلاها في الفئة العمرية 20 وما دون، وذلك بنسبة 20.4 %، وأدناها في الفئة العمرية 41 - 50 سنة. وقد يُردّ تفضيل الشباب في سنّ

أما عن العلاقة بين المهنة والكتب المفضّلة، فقد ارتفعت نسبة مَن يفضّلون الكتب غير العربية بين فئة الطلاب (21.1 %)، يليهم المدرّسون الجامعيون (16.9 %)، ثمَّ فئة المدرسين (15.1 %). فيما احتلّت فئة المترجمين المرتبة الرابعة في تفضيل الكتب غير العربية (1.1 %). في المقابل ارتفعت نسبة تفضيل الكتب العربية بين فئة الموظفين (88.7 %)، يليهم فئة الكتّاب (86.7 %)، في حين جاءت فئة المترجمين في المرتبة الأخيرة (50 %). إلا أنَّ فئة المترجمين برزت من بين الفئات الأكثر تفضيلاً للكتب المترجمة إلى اللّغة العربية (39.9 %)، تليها فئة المدرسين الجامعيين (23.7 %). أما الطلاب فأبدوا عدم رغبة تامة بالكتب المترجمة إلى اللّغة العربية.

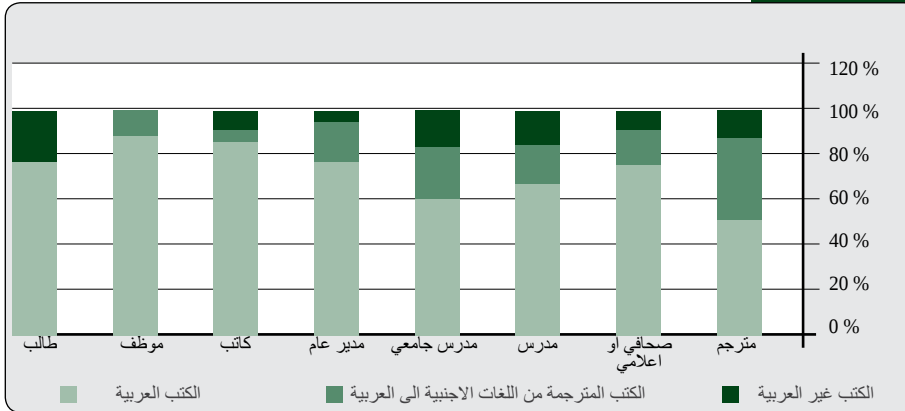
بالنسبة إلى العلاقة بين مستوى الدخل وتفضيل الكتب، ظهر أنَّ نسبة تفضيل الكتب العربية ارتفعت لدى الفئة التي يزيد مستوى دخلها على 931 دولاراً، يليها الأفراد في فئة الدخل 56 - 110 دولارات. وارتفعت نسبة تفضيل الكتب المترجمة لدى فئة الدخل 56 - 110 دولارات، ونسبة تفضيل الكتب غير العربية في فئة الدخل 401 - 930 دولاراً، يليها فئة

في ما يتّصل بالعلاقة بين العمر وتفضيل الكتب تبّين أنَّ تفضيل الكتب غير العربية في فئة الشباب دون سن العشرين هي الأكبر بين مثيلاتها في فئات العمر الأخرى، بل لوحظ انخفاض نسبة تفضيل الكتب غير العربية مع تقدّم السنّ، فبينما بلغت نسبة من هم دون العشرين 9.9 %، بلغت في فئة من هم فوق الستين عاماً 1.5 %.

أعلى نسبة تفضيل الكتب العربية على ما عداها كانت فئة الموظفين، وذلك بنسبة 88.7 %، يليهم فئة الكتّاب بنسبة 86.7 %، بينما جاءت فئة المترجمين في المرتبة الأخيرة بنسبة 50 %، وكانت فئة المترجمين هي الأعلى تفضيلاً للكتب المترجمة إلى العربية (39.9 %)، يليهم فئة المدرسين الجامعيين بنسبة 23.7 % بينما عبّر الطلاب عن عدم تفضيلهم التام للكتب المترجمة إلى اللّغة العربية.

اللغة المفضلة للقراءة بحسب المهنة (%)

شكل رقم 9



كانت أعلى نسبة لتفضيل الكتب العربية بين المستويات التعليمية المختلفة من بين فئة الحاصلين على دبلوم متوسط، وذلك بنسبة 78.2 % منهم .. أما الكتب المترجمة إلى اللغة العربية فكانت من بين فئة الحاصلين على الثانوية، وهي أكثر الفئات تفضيلاً للكتب المترجمة إلى اللغة العربية، وذلك بنسبة 22.9 %.. فيما كان حملة الدكتوراه الفئة الأقل تفضيلاً لكتب المترجمة إلى العربية وذلك بنسبة 15.2 %.. وكان حملة شهادة الدبلوم العالم والدكتوراه هم أكثر الفئات تفضيلاً للكتب غير العربية وذلك بنسبة 22.6 % و 19.2 % على الترتيب..

69.6 % من القراء يفضلون الكتب العربية، إضافة إلى 19.7 % يفضلون الكتب المترجمة من لغات أجنبية إلى اللغة العربية، بينما فضل 10.7 % قراءة الكتب غير العربية، وهو الأمر الذي يعني أن حوالي 89.3 % يفضلون القراءة باللغة العربية..

عبر القراء عن درجة أعلى من التفضيل للكتب العرب مقارنة بالكتب الاجانب، إذ أعرب 76.8 % من القراء عن تفضيلهم للكتب العرب الذين يكتبون باللغة العربية، وجاءت نسبة من يفضلون الكتب المصريين بينهم 54.7 %، بينما جاءت نسبة الكتب العرب الباقين 22.1 %.

كما هو مبين في الجدول رقم (1) أن النسبة الأكبر من أفراد العينة يقرأون بشكل أساسي في مجال الأدب والثقافة العامة (28%)، يليهم من يفضلون القراءة في مجال الأدب (18.4%)، ثم القراء في مجالات العلوم الطبيعية والرياضيات والتكنولوجيا (12.9%). ولم تظهر مجالات توزع القراءة بين الذكور والإناث اختلافات جوهرية عموماً، بل لوحظ ارتفاع نسبة القراءة في مجال الأدب لدى الذكور (28.2%) مقارنةً بمثلتها لدى الإناث (26.5%)، وارتفاع هذه النسبة أيضاً لدى الذكور في مجال التكنولوجيا (11.2%) مقارنةً بمثلتها لدى الإناث (7%)، وفي مجال العلوم الطبيعية والرياضيات (3.4%) لدى الذكور (1.7%) لدى الإناث، فضلاً عن مجال السياسة (6.5% للذكور و3.9% للإناث). فيما ارتفعت نسبة قراءة الإناث عن مثيلتها لدى الذكور في بعض المجالات الأخرى، وهي: مجال الفلسفة وعلم النفس (9.8% للإناث و4.2% للذكور)، والفنون (6.4% للإناث و3.9% للذكور) والمعارف العامة (8.4% للإناث و6.7% للذكور).

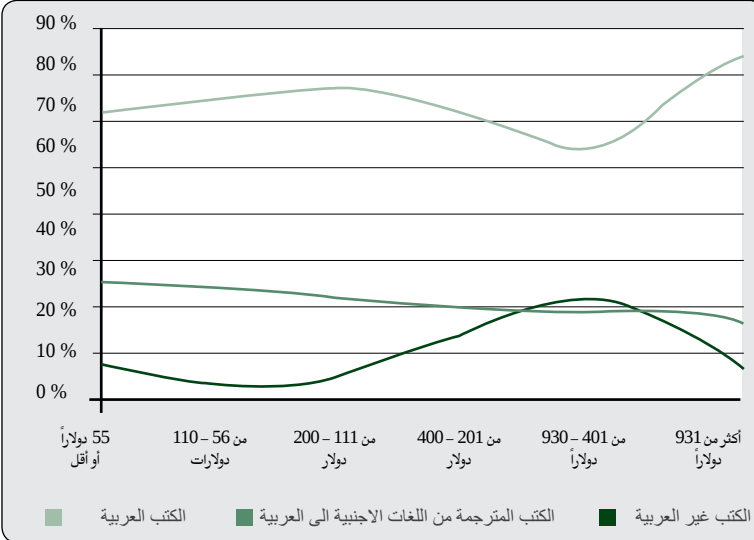
العشرين وما دون للكتاب الأجانب إلى أن هؤلاء الشباب لا زالوا في سنين الدراسة، وإلى انتشار التعليم الأجنبي في الوطن العربي. في حين استأثر الكتاب العرب بالنسبة الأكبر في الفئة العمرية 60 عاماً وما فوق. أما عن جنسية الكتاب المفضلين بحسب المستويات التعليمية، فقد برز تفضيل الكتاب المصريين في فئة حملة درجة البكالوريوس (68.6%) يليهم حملة الدكتوراه (56.3%)، فيما برز تفضيل الكتاب العرب لدى حملة الشهادة الثانوية (32.6%)، فحملة الدبلوم المتوسط (29.6%). وقد استأثر الكتاب الأجانب بالنسبة الأكبر من حملة دبلوم التعليم العالي (39.3%) مقابل استئثارهم بالنسبة الأدنى من فئة حملة البكالوريوس (15.8%).

مجالات القراءة

في سياق التعرف إلى ما يقرأه رواد معرضي الكتاب في القاهرة وتونس، بهدف التعرف إلى واقع القراءة في الوطن العربي من خلال الاطلاع على طبيعة ما يُقرأ وعلى المجالات التي تجذب القارئ العربي، وعدم الاقتصاد فقط على معرفة نسبة القراءة، أظهرت النتائج

اللغة المفضلة للقراءة بحسب فئة الدخل (%)

شكل رقم 10



نسب توزع أفراد العينة بحسب مجالات القراءة

جدول رقم 1

النسبة (%)	مجالات القراءة
28.0	الأدب
18.4	الأديان
10.0	التكنولوجيا
8.0	التاريخ والجغرافيا
6.8	العلوم الاجتماعية بصفة عامة
2.9	العلوم الطبيعية والرياضيات
6.1	الفلسفة وعلم النفس
4.6	الفنون
2.4	اللغات
5.6	السياسة
7.3	المعارف العامة

في ما يتصل بالعلاقة بين النوع والكتاب المفضلين، فإن النتائج تشير إلى أن الإناث يفضلن الكتاب المصريين بنسبة 51.3 %، فيما يفضلهم الذكور بنسبة 57.1 %، بينما يفضل الذكور الكتاب العرب بنسبة 22.5 %، أما الإناث فيفضلن الكتاب العرب بنسبة 21.1 %، أما الكتاب الأجانب فتفضلهم الإناث بنسبة 27.3 %، فيما يفضلهم الذكور بنسبة 20.4 %.

في ما خص المجالات المفضلة للقراء أظهرت النتائج أن النسبة الأكبر (28 %) تقرأ بشكل أساسي في مجال الأدب والثقافة العامة، يليهم من يفضلون القراءة في مجال الأديان (18.4 %)، أي أن مجالي الأدب والأديان يمثلان 44.4 % من حجم القراء، يليهم من يقرأون في مجل العلوم الطبيعية والرياضيات والتكنولوجيا وذلك بنسبة 12.9 %.

العمرية 41 - 50 سنة، وذلك بنسبة 35.1 % للأدب و28.4 % للأديان، فيما بدت الفئة العمرية ما دون سن العشرين الأقل تفضيلاً للقراءة في مجال الأدب (15.3 %) وأكثر تفضيلاً للأديان (18 %). وربما أنه من الطبيعي أن يتجه الأكبر سنّاً إلى القراءة في مجال الأديان، وأن تقلّ النسبة عند الشباب. لكن استحوذ الشباب في المرحلة العمرية 20 سنة وما دون ولغاية سن 30 سنة على نسبة 35.1 % من مجموع أفراد العينة الذين يفضلون القراءة في مجال الأديان، ربما يشير إلى تأثر هذه الأعمار الشبابية بكثرة القنوات الدينية، وبظهور عدد من الدعاة الشبان الذين يجذبون الشباب ويدفعونهم نحو القراءة في مجال الدين.

وعن المجالات المفضلة للقراءة لدى أصحاب المهن المختلفة، أتى الكتاب - كما هو مبين في الجدول رقم (3) - في مقدمة الفئات التي تفضل القراءة في مجال الأدب، وذلك بنسبة 60 %، نظراً لتخصّصهم في مجال الكتابة، يليهم فئة المدرسين بنسبة 40.9 %، فيما جاء الطلاب

مجالات القراءة بحسب المستوى التعليمي ومتغيرات أخرى

بدا الأدب - كما هو مبين في الجدول رقم (2) - المجال الأكثر تفضيلاً لدى أفراد العينة من مختلف المستويات التعليمية، باستثناء حملة شهادة الدبلوم المتوسط. إذ احتلّ مجال الأديان المرتبة الأولى من بين مجالات القراءة المفضلة لتلك الفئة، وذلك بنسبة 29.9 %، في حين تساوت نسب تفضيل القراءة في مجالي الأدب والأديان في فئة حاملي الشهادة الإعدادية وما دونها، وذلك بنسبة 19.4 %، وهي الفئة الوحيدة التي لم تبد أي اهتمام بالقراءة في مجال السياسة. أما الأكثر الفئات تفضيلاً للقراءة في مجال الأدب فهي فئة حملة درجة الماجستير، وذلك بنسبة 35.5 %.

أما بالنسبة إلى العلاقة بين العمر ومجال القراءة المفضل، فتبين أن أكثر الفئات العمرية تفضيلاً للقراءة في مجال الأدب ومجال الأديان هي الفئة العمرية 51 - 60 سنة، وذلك بنسبة 39.7 % و29.5 % على التوالي، يليها الفئة

إجمالي عينة مفردات البحث موزعة على قنوات التواصل وعلى الفروع الثقافية المختلفة

جدول رقم 2

إعدادي وما دون	أدب	أديان	تكنولوجيا	تاريخ و جغرافيا	علوم اجتماعية بصفة عامة	علوم طبيعية و رياضيات	فلسفة وعلم نفس	فنون	لغات	سياسة	معارف عامة
19.4	19.4	19.4	13.9	11.1	11.1	5.6	8.3	2.8	2.8		5.6
20.4	20.4	17.1	11.2	7.9	3.9	2.6	8.6	7.2	2.6	6.6	11.8
24.1	24.1	29.9	5.7	3.4	3.4	3.4	4.6	11.5	3.4	4.6	5.7
29.5	29.5	19.6	11.1	5.6	5.6	2.5	5.6	2.3	3.7	6.6	8.0
29.4	29.4	11.9	11.2	5.6	9.1	2.8	6.3	6.3	1.4	7.7	8.4
35.5	35.5	16.8	6.5	12.9	7.7	2.6	4.5	3.9	0.6	5.2	3.9
22.4	22.4	16.3	10.2	19.4	14.3	5.1	5.1	3.1	—	1.0	3.1

نسبة الذكور التي تفضل القراءة في مجال الأدب (28.2 %) مقارنةً بـ (26.5 %) بين الإناث، ونسبة الذكور التي تفضل القراءة في مجال التكنولوجيا 11.2 % مقارنةً بـ 7 % بين الإناث، ونسبة الذكور التي تفضل القراءة في مجال العلوم الطبيعية والرياضيات 3.4 % مقارنةً بـ 1.7 % للإناث، ونسبة الذكور التي تفضل القراءة في مجال السياسة 6.5 % مقارنةً بـ 3.9 % بين الإناث..

أكثر الفئات العمرية تفضيلاً للقراءة في مجال الأدب ومجال الأديان هي الفئة العمرية التي يتراوح عمرها ما بين 51 عاماً و60 عاماً، وذلك بنسبة 39.7 % و 29.5 % على التوالي، يليها الفئة العمرية التي يتراوح عمرها ما بين 41 عاماً إلى 50 عاماً وذلك بنسبة 35.1 % و 28.4 %، فيما كانت الفئة التي يقل عمرها عن عشرين عاماً هي الأقل تفضيلاً للقراءة في مجال الأدب وذلك بنسبة 15.3 %، أما مجال القراءة الأكثر تفضيلاً لتلك الفئة فهو مجال الأديان..

توزع المجالات المفضلة للقراءة بحسب المهنة (%)
المجال المفضل للقراءة

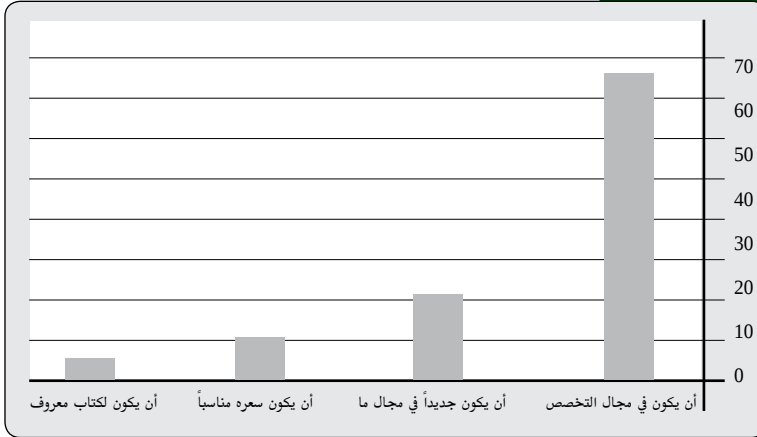
جدول رقم 3

صحافي أو إعلامي	أدب	أديان	تكنولوجيا	تاريخ و جغرافيا	علوم اجتماعية بصفة عامة	علوم طبيعية و رياضيات	فلسفة وعلم نفس	لفنون	لغات	سياسة	معارف عامة
30.3	30.3	9.1	—	12.1	33.3	3.0	3.0	3.0	—	3.0	3.0
40.9	40.9	17.2	9.7	8.6	5.4	2.2	3.2	3.2	1.1	2.2	6.5
24.1	24.1	12.1	12.1	17.2	17.2	6.9	5.2		—	3.4	1.7
60.0	60.0	13.3	6.7	—	—	—	6.7	6.7	—	6.7	—
17.7	17.7	32.3	3.2	8.1	6.5	—	9.7	9.7	—	4.8	8.1
15.8	15.8	5.3	10.5	5.3	10.5	5.3	31.6		10.5	5.3	—

على مستوى المجالات المفضلة للقراءة لدى أصحاب المهن المختلفة، فإن الكتاب يأتون في مقدمة الفئات التي تفضل القراءة في مجال الأدب وذلك بنسبة 60 %، تليهم فئة المدرسين بنسبة 40.9 %، بينما كان الطلاب الأقل تفضيلاً للقراءة في مجال الأدب ومجال الأديان وذلك بنسبة 15.8 % و 5.3 % على التوالي؛ أما فئة الموظفين فكانت الأكثر تفضيلاً للقراءة في مجال الأديان وذلك بنسبة 32.3 %، تليهم فئة المدرسين بنسبة 17.2 %..

أسباب الإقبال على شراء الكتب

شكل رقم 12



كفئة أقل تفضيلاً للقراءة في مجال الأدب ومجال الأديان، وذلك بنسبة 15.8 % و 5.3 % على التوالي، أما فئة الموظفين فكانت الأكثر تفضيلاً للقراءة في مجال الأديان، وذلك بنسبة 32.3 %، يليها فئة المدرسين بنسبة 17.2 %.

دواعي الإقبال على الكتب

من بين أبرز الأسباب التي تدفع القراء لشراء كتاب معين بحسب أفراد العينة، هو أن يكون هذا الكتاب في مجال تخصص القارئ، وذلك بنسبة 62.9 %، في حين جاءت مسألة سعر الكتاب، وعلى عكس ما يعتقد البعض، في المرتبة الثالثة من بين الأسباب التي تحدد شراء كتاب معين، وذلك بنسبة 10.2 %.

كما اتضح أن الذين يعولون على سعر الكتاب كمعيار للإقبال على شرائه هم من الفئة التي يقل متوسط دخل أفرادها عن 55 دولاراً، وأن فئة الأشخاص الذين كانوا أكثر اهتماماً بأن يكون الكتاب في مجال تخصصهم هي الفئة التي يزيد دخلها على 931 دولاراً، والفئة التي يتراوح دخلها ما بين 111 و 200 دولار كانت الأكثر تعويلاً على أن يكون الكتاب جديداً في مجال محدد، والفئة التي يتراوح دخلها ما بين 401 إلى 930 دولاراً كانت الأكثر تعويلاً على أن يكون الكتاب لكتاب معروف.

وفي النظر إلى العلاقة بين بعض المهن وأسباب الإقبال على شراء الكتب، يتضح أن أكثر الفئات إقبالاً على الشراء بسبب مجال التخصص هي فئة أعضاء هيئة التدريس في الجامعات (81 %) يليها فئة المدرسين (1.7 %)، بينما برزت فئة المحاسبين كأقل الفئات تعويلاً على هذا السبب (34.8 %) ولكنها الفئة التي عبرت عن رغبتها في أن يكون الكتاب جديداً في مجال محدد 39.1 %، أما أكثر الفئات حرصاً على رخص سعر الكتاب كسبب للإقبال على

شرائه فكانت فئة الموظفين (17.5 %)، يليها فئة المحامين (13 %). أما فئة الكتاب فكانت الأكثر تعويلاً على أن يكون الكتاب لكتاب معروف (18.8 %).

اقتناء الكتاب أو الاطلاع عليه؟

عند سؤال القراء عما إذا كانوا يشترون الكتاب أم أنهم يكتفون بالاطلاع عليه فقط؟ أكدت غالبية أفراد العينة 77.1 % تفضيل شراء الكتاب، أما الذين فضلوا أن يقرأوه في المكتبات فكانت نسبتهم قليلة للغاية (9.9 %)، وبلغت نسبة الذين فضلوا قراءته على الإنترنت (12.9 %)، وربما يعود ذلك إلى ارتفاع نسبة من لديهم كمبيوتر في المنزل، فضلاً عن ارتفاع نسبة الشباب في العينة بعامه.

ومن ناحية أخرى يثير انخفاض نسبة من فضلوا قراءة الكتب في المكتبات العامة الكثير من الأسئلة حول تراجع دور المكتبات العامة بالنسبة إلى القراء، على الرغم من كل ما يُقال عن انخفاض مستويات الدخل. ويمكن تفسير الأمر بشيوع ثقافة الإنترنت من جانب، وبشيوع ظاهرة القنوات الفضائية من جانب

شارو الكتب هم النسبة الأكبر ممن لديهم عمل، ومن بين الذين قالوا إنهم معتادون على القراءة هناك 69.8 % منهم لديهم عمل أيضاً... وفي ما يتعلق بمستوى الدخل، فإن النسبة الأكبر من الذين اشتروا كتباً خلال العام 2009 كانوا من الفئة التي يتراوح مستوى دخلها ما بين 201 إلى 400 دولار، كما يُلاحظ أن القيام بشراء الكتب يتزايد بحسب مستوى الدخل حتى يصل إلى ما بين من 201 إلى 400 دولار، ثم يبدأ في التناقص بعد ذلك ليصل إلى أدنى مستوى ما بين الفئة التي يزيد دخلها على 931 دولاراً.

(18.1 %). وكان حملة الشهادة المتوسطة الأكثر تفضيلاً لقراءة الكتاب في المكتبات العامة 20.9 %.

لوحظ أيضاً، أن الرغبة في شراء الكتاب بهدف قراءته تقل كلما تدنى متوسط الدخل الشهري؛ وفي المقابل فإن نسب تفضيل قراءة الكتاب في المكتبات العامة أو عبر الإنترنت تقل كلما ارتفع متوسط الدخل الشهري؛ فبينما فضل 17.6 % قراءة الكتاب في المكتبات العامة من بين الفئة التي يقل دخلها عن 55 دولاراً في الشهر، انخفضت تلك النسبة لتصل إلى أقل من 1 % في الفئة التي يزيد متوسط دخلها الشهري على 931 دولاراً، وبينما فضل 19.1 % قراءة الكتاب عبر الإنترنت بين الفئة التي يقل دخلها عن 55 دولاراً في الشهر، انخفضت هذه النسبة بين الفئة التي يزيد متوسط دخلها الشهري على 931 دولاراً لتصل إلى 4.7 %.

لقد أوضحت النتائج أيضاً أن الفئة التي يقل عمرها عن عشرين عاماً هي أقل الفئات في ما يتصل بنسبة تفضيل شراء الكتاب لقراءته؛ فبينما عبّر 71.1 % من أفراد تلك الفئة عن تفضيلهم شراء الكتاب لقراءته، فإن 91 % ممن تراوحت أعمارهم بين 51 و60 سنة عبّروا عن

آخر، فضلاً عن تراجع دور المدرسة والجامعة في ما يتعلق بتحفيز الشباب على القراءة، وعدم عناية الأسرة العربية بفكرة القراءة، وعدم تعويد الأبناء على هذه الثقافة، مقارنةً بالأسرة الأوروبية التي تزرع في الأطفال عادة القراءة باعتبارها سلوكاً اجتماعياً يومياً.

اقتناء الكتاب أو الاطلاع عليه بحسب الجنس

أظهرت النتائج أيضاً أن نسبة تفضيل شراء الكتاب بغرض قراءته ارتفعت لدى الذكور (78.2 %) مقارنةً بمثيلتها لدى الإناث (74.5 %)، فيما ارتفعت نسبة تفضيل قراءة الكتاب في المكتبة أو عبر الإنترنت بين الإناث مقارنةً بمثيلتها لدى الذكور. إذ بلغت نسبة تفضيل قراءة الكتاب في المكتبة لدى الإناث 12.1 % مقابل نسبة 9 % لدى الذكور. كما بلغت نسبة تفضيل قراءة الكتاب عبر الإنترنت لدى الإناث 13.4 % مقابل 12.8 % لدى الذكور.

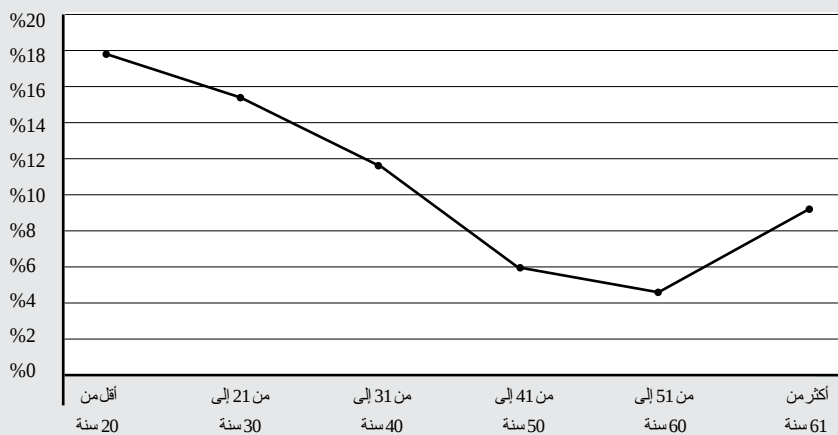
أما في ما يتصل بالمستوى التعليمي، فأتضح أن حملة الشهادة الثانوية كانوا أقل ميلاً لشراء الكتاب في حال أرادوا قراءته 71 %، كما كانوا أكثر الفئات تفضيلاً لقراءته عبر الإنترنت

لدى سؤال القراء عما إذا كانوا يفضلون شراء الكتاب أو أنهم يكتفون بالإطلاع عليه فقط، أكد أكثر من 77.1 % منهم أنهم يفضلون شراء الكتاب بينما كانت نسبة من فضلوا قراءته في المكتبات قليلة للغاية، وهي 9.9 %، وازدادت نسبة من فضلوا أن يقرأوه على الإنترنت (12.9 %)، وربما يعود ذلك إلى ارتفاع نسبة من لديهم أجهزة كومبيوتر في المنازل..

نسبة تفضيل شراء الكتاب بغرض قراءته لدى الذكور (78.2 %) أعلى من مثيلتها لدى الإناث (74.5 %)، بينما نسبة تفضيل قراءة الكتاب في المكتبة أو عبر الإنترنت بين الإناث أعلى من مثيلاتها لدى الذكور. فبينما فضل 12.1 % من الإناث قراءة الكتاب في المكتبة، انخفضت النسبة بين الذكور لتصل إلى 9 % .. وبينما عبّر 13.4 % من بين الإناث عن تفضيلهم قراءة الكتاب عبر الإنترنت، انخفضت النسبة قليلاً لدى الذكور (12.8 %)..

القراءة عبر الإنترنت بحسب العمر (%)

شكل رقم 6



انخفاض نسبة من فضلوا قراءة الكتب في المكتبات العامة بشير الكثير من الأسئلة حول تراجع دورها لدى القراء، على الرغم من أن تفسير هذه الظاهرة يمكن رده إلى شيوع ثقافة الإنترنت من جانب، وشيوع ظاهرة القنوات الفضائية من جانب آخر..

كما اتضح من النتائج أيضاً، أن الفئة التي لم يتجاوز مستواها التعليمي الشهادة الإعدادية هي الأكثر تفضيلاً لشراء الكتب من المعارض (بنسبة 66.7 %)، وأن فئة حملة شهادة الدكتوراه هي الأكثر تفضيلاً للشراء من دور النشر (بنسبة 48.5 %)، وأن فئة حملة الشهادات المتوسطة هي الأكثر تفضيلاً للشراء من باعة الصحف (24.1 %)، فيما فضلت فئة حملة الشهادة الثانوية الشراء من خلال الإنترنت (بنسبة 9.2 %)، يليها فئة من أنهما التعليم الجامعي وحصلوا على البكالوريوس، وذلك بنسبة 4.1 %.

أما في ما يتعلق بشراء الكتب بحسب متوسط الدخل الشهري، فتبين أن الفئة التي يقل دخلها عن 55 دولاراً شهرياً هي الأكثر تفضيلاً لشراء الكتب من معارض الكتب (بنسبة 52.6 %)، بينما كانت الفئة التي يزيد متوسط دخلها الشهري على 931 دولاراً هي أكثر الفئات تفضيلاً لشراء الكتب من دور النشر، (بنسبة 55.2 %)، أما أكثر الفئات تفضيلاً لشراء الكتب من باعة الصحف فهي الفئة التي يتراوح متوسط دخلها الشهري ما بين 111 - 200 دولار (بنسبة 15.6 %) وهي الفئة الأقل تفضيلاً في الوقت عينه للشراء من خلال الإنترنت (بنسبة 2.8 %)، وذلك مقابل الفئة التي يتراوح متوسط دخلها الشهري ما بين 56 - 110 دولار كفتة أكثر تفضيلاً لشراء الكتب من خلال الإنترنت.

أما من حيث العمر ف لوحظ أن أكثر الفئات تفضيلاً لشراء الكتب من معارض الكتب هي الفئة التي يقل عمرها عن عشرين عاماً (بنسبة 60.5 %)، في حين أن أكثر الفئات تفضيلاً للشراء من دور النشر هي فئة الأعمار 51 - 60 سنة (بنسبة 50 %)، والأكثر تفضيلاً لشراء الكتب من باعة الصحف هم الأفراد في الفئة العمرية 21 - 30 عاماً (بنسبة

تفضيلهم شراء الكتاب إذا قرروا قراءته. وفي المقابل، كانت الفئة التي يقل عمر أفرادها عن عشرين سنة من الفئات الأكثر تفضيلاً لقراءة الكتاب عبر الإنترنت، وذلك بنسبة 17.8 %، مقابل 5.1 % للفئة العمرية 51 - 60 سنة.

أما في ما يتعلق بتفضيل قراءة الكتاب في المكتبات العامة فقد كانت أعلى بين الفئة التي يزيد أعمار أفرادها على 60 سنة، وذلك بنسبة 13.8 %، يليها الفئة العمرية دون سن العشرين (11.2 %)، فالفئة العمرية 51 - 60 سنة (3.8 %).

يبدو أن ثمة علاقة وثيقة بين متغير العمر وطريقة القراءة. فالقراءة عبر الإنترنت تستقطب قطاعاً عريضاً من الشباب، وخصوصاً شباب الجامعات، الذين يفضلون من خلاله إعداد بحثهم ودراساتهم الجامعية، أو ممارسة القراءة العامة، وهو الأمر الذي لا يتلاءم مع الفئات العمرية الأكبر، لاسيما الفئة العمرية التي يزيد عمر أفرادها على 60 سنة والتي اعتاد أفرادها على القراءة التقليدية ولا يجيد معظمهم التعامل مع الكمبيوتر.

المكان أو الطريقة المفضلة لشراء كتاب

عندما سُئل أفراد العينة عن الطريقة المفضلة أو المكان المفضل لشراء الكتاب، أكد 47 % منهم أنهم يفضلون شراء الكتاب من معارض الكتب، مقابل 35.3 % يفضلون شراءها من دور بيع النشر ومناقصها، فيما أكد 4.5 % فقط أنهم يفضلون شراء الكتب من خلال الإنترنت. بحيث تكتسب معارض الكتب الأهمية الأولى في مسألة شيوع الكتب في الوطن العربي، لأنها تتيح للقراء فرصة التعرف إلى الكتب في مجالات مختلفة، فيما يعتقد القراء أن الأسعار مناسبة مقارنة بالأسعار خارج المعارض.

عند السؤال عن الطريقة المفضلة أو المكان المفضل لشراء الكتاب، أكد 47 % أنهم يفضلون شراء الكتاب من معارض الكتب بينما أكد 35.3 % تفضيلهم شراء الكتب من دور بيع النشر ومناقصها.. وأكد 4.5 % فقط أنهم يفضلون شراء الكتب من خلال الإنترنت..

من ناحية ثانية، تبين أن من يمتلكون جهاز كمبيوتر في منازلهم كانوا أكثر تفضيلاً للكتاب الرقمي، وبالتالي أقل تفضيلاً للكتاب المطبوع؛ إذ بلغت نسبة من يفضلون الكتاب الرقمي من بين من لديهم جهاز كمبيوتر في المنزل 10.2 % مقابل 8.5 % لمن لا يمتلكون جهاز كمبيوتر. والأمر عينة ينسحب على من يمتلكون جهاز ساتيلايت؛ إذ فضل 10.5 % ممن لديهم جهاز ساتيلايت الكتاب الرقمي، مقابل 7.9 % ممن لا يمتلكون جهاز ساتيلايت.

استنتاجات عامة

يشير كل ما ورد حول القراءة في الوطن العربي إلى وجود بعض الجوانب الإيجابية والسلبية. ومن أبرزها:

أولاً: أبرز الجوانب الإيجابية

- اعتماد الغالبية العظمى من عينة الدراسة على القراءة (80.9 %)، حتى وإن كانت العينة قد طالت رواد معرض الكتاب في كل من مصر وتونس، وما يعنيه ذلك من انحياز هذه الشريحة إلى القراءة. إذ إن الهدف من خلال هذا البحث ليس التعرف إلى "كم من الوقت يقرأ العرب؟" بل الإجابة عن سؤال مهم، وهو: "هل يقرأ العرب؟ وماذا يقرأون؟". الأمر الذي يحيا الأمل في ارتفاع نسبة ما يقرأه المواطن العربي في الأعوام القادمة، وأن يترافق ذلك مع تخصيص وقت أكبر للقراءة.

- تفضيل غالبية قراء العينة الكتب العربية بنسبة مرتفعة بلغت 69.6 %، وذلك على الرغم مما يحيط بالعالم العربي من مؤثرات، خصوصاً في ظل العولمة، تجعله يبتعد عن القراءة بلغته الأم. ومن ذلك مثلاً، انتشار التعليم الأجنبي في الوطن العربي والتعليم باللغات الأجنبية.
- ارتفاع نسبة قراء الأدب، وذلك بنسبة

11.3 %)، وكانت الفئة التي يقلّ أعمار أفرادها عن عشرين عاماً هي الأكثر تفضيلاً لشراء الكتب من خلال الإنترنت (بنسبة 7.2 %).

الكتاب الرقمي والكتاب الورقي

لا يزال مستوى اقتناء الكتاب الرقمي متواضعاً على الرغم من كلّ التسهيلات التي وفرتها التكنولوجيا للاطلاع على الكتب الرقمية، فضلاً عن انخفاض تكلفة الاطلاع على تلك الكتب مقارنةً بالنسخة المطبوعة. وقد فضل فقط نحو 10.1 % من أفراد العينة الكتاب الرقمي، مقابل 89.9 % للذين فضلوا الكتاب المطبوع. ولعل هذا يعدّ مؤشراً على حجم القراءة على الإنترنت، وهو لا يزال حجماً ضئيلاً وإن كان في ازدياد من عام إلى آخر.

واللافت أن الحاصلين على درجة الدكتوراه كانوا الأكثر تفضيلاً للكتاب الورقي (بنسبة 93.9 %) والأقلّ تفضيلاً للكتاب الرقمي (بنسبة 6.1 %)، وأن الذين يتراوح متوسط دخلهم الشهري ما بين 201 - 400 دولار كانوا الأكثر تفضيلاً للكتاب المطبوع، أما الأكثر تفضيلاً للكتاب الرقمي فكانوا من فئة الدخل 401 - 930 دولاراً.

وفي ما يتعلق بمتغير العمر، لوحظ أن الفئات العمرية الأكثر تفضيلاً للكتاب المطبوع هي الفئة التي تتراوح أعمارها ما بين 51 - 60 عاماً (بنسبة 96 %) فيما كانت الفئة التي تقلّ أعمارها عن عشرين عاماً الفئة الأكثر تفضيلاً للكتاب الرقمي (بنسبة 13 %).

ويمكن ردّ تفضيل الفئة العمرية من 51 عاماً وما فوق للكتاب الورقي إلى أسباب تتعلق بارتباط هذه الأعمار نفسياً وعاطفياً بالقراءة التقليدية، حتى وإن تمّت زيارة المواقع الإلكترونية للتعرف إلى كتاب بذاته. إذ تبقى القراءة الورقية هي الظاهرة السائدة لدى هذه الفئة العمرية.

على الرغم من كلّ ما وصلت إليه التكنولوجيا من تسهيلات للاطلاع على الكتب الرقمية، لا يزال اقتناء الكتاب الرقمي متواضعاً.. وقد فضل 89.9 % الكتاب المطبوع في مقابل 10.1 % فضلوا الكتاب الرقمي.. ولعل هذا يعدّ مؤشراً على حجم القراءة على الإنترنت.. وبقدر ما يبدو هذا الرقم ضعيفاً إلا أنه يزداد من عام إلى آخر..

مقارنة واختيارات متنوعة.

• بلوغ مَنْ فضّلوا القراءة في المكتبات العامة نسبةً متدنية بلغت 9.9%، الأمر الذي يستدعي التفكير في تراجع دور المكتبات العامة إما بسبب ما يعتريها من إهمال، أو بسبب وجودها في المدن الكبرى، وفي مناطق مزدحمة لا يستطيع المرء الوصول إليها بسهولة، بما قد يكلفه الكثير من الوقت والجهد والمال. هذا بالإضافة إلى عدم تزويد المكتبات بأحدث الإصدارات بسبب التمويل، أو بسبب تقاعس لجان التزويد. والملاحظ أن أكثر الذين اهتموا بالقراءة في المكتبات العامة كانوا فوق سنّ الستين سنة (13.8%)، لكونهم في الغالب في سنّ التقاعد الذي يسمح لهم بالتردد إلى المكتبات العامة أكثر من أيّ فئة عمرية أخرى. كما أن المكتبات العامة تظل المصدر الأهم للمعنيين بالثقافة التراثية والتاريخية والاجتماعية.

• بروز فئة الشباب دون سنّ العشرين كفئة أقلّ شراءً للكتب، ربما بسبب الأوضاع المادية التي لا تسمح لهم القيام بذلك، لكونهم بالكاد يلبّون متطلباتهم الشخصية، ولاسيما أنهم في العموم طلاب ولا يعملون، ويفضلون قراءة ما يحتاجون إلى قراءته عبر الإنترنت، خصوصاً بعد أن بين الاستطلاع أنهم الفئة العمرية الأكثر اهتماماً بالقراءة عبر الإنترنت (17.8%).

كيف نصنع مجتمعاً عربياً قارئاً؟

وفي النهاية لا بدّ من التساؤل: كيف نصنع مجتمعاً عربياً قارئاً؟ والإجابة تكون من خلال تحديد عدد من العوامل التي يمكنها أن تلعب دوراً كبيراً في تشييط عادة القراءة في المجتمع العربي، وبخاصة لدى الشباب، ومنها ضرورة تنبّه الأسر إلى تنمية عادة القراءة لدى أبنائها، وضرورة قيام مؤسسات التعليم (من مدارس، ومعاهد، وجامعات..) بالاهتمام بمكتباتها

28%، مقابل نسبة 18.4% لقراء الأديان. وتعتبر هذه النسبة إيجابية بعدما كانت الأديان تستحوذ في استطلاعات الرأي السابقة على النسبة الأعلى من القراء. وتراجع الأديان إلى المرتبة الثانية لا يعني تراجع اهتمام القراء بالأديان، بل ربما يدعو إلى تفسير تراجع القراءة في المعارف الدينية لمصلحة القراءة في المعارف الأدبية والثقافة العامة، من قبيل الرواية والشعر والسير الذاتية... إلخ.

• الكتاب المطبوع ما زال يتربّع على القمة في مواجهة الكتاب الرقمي؛ إذ جاءت نسبة من يفضلون الكتاب المطبوع 89.9% مقابل 10.1% للذين يفضلون الكتاب الرقمي، ربما بسبب الخصوصية والحميمية التي يحدّثها الكتاب المطبوع مع القارئ بخلاف الكتاب الرقمي.

ثانياً: أبرز الجوانب السلبية

• قلة المعروض والمقروء في مجالات العلوم والتكنولوجيا عموماً، وخصوصاً ما ينتج منها باللغة العربية. فالأمر لا يتقدّم بالأدب والعلوم النظرية فقط، والدول التي قطعت شوطاً في التقدّم اعتنت كثيراً بالعلوم الطبيعية والتكنولوجية. وهذا ما يدعو إلى ضرورة اهتمام الحكومات والمؤسسات الخاصة بتلك المجالات.

• اقتناء الكتاب والتوجّه إلى القراءة يحركه مجال التخصص كما أظهرت نتائج البحث. وهذا أمر يتناقض مع جدوى القراءة كمحرّض أساسي للتقدّم؛ إذ إن القراءة في مجال التخصص فقط - على أهميته - لا تعدّ من ضروب الثقافة العامة، إذ من المفترض ألا يحصر الإنسان نفسه في مجال تخصصه فقط، وأن يتّجه إلى العلوم المساعدة التي توسع مداركه وتفيده بشكل غير مباشر في الإبداع والتفوّق، كما أن ظاهرة القراءة العامة، بصرف النظر عن التخصص، تُكسب المواطن رؤية

دلّت النتائج في ما خصّ مجالات القراءة أن اختيار الأدب كان الأعلى، حيث جاءت نسبته (28%) بينما جاءت الأديان في المرتبة الثانية (18.4%). وذلك بعدما كانت الأديان تستحوذ في استطلاعات الرأي السابقة على النسبة الأعلى.

في شتى صوره (المقروء - المسموع - المرئي) الذي يمكنه توجيه القراء إلى أحدث ما أنتجته دور النشر العربية والأجنبية وعرض كل ما هو جديد من الكتب، وكذلك دور الحكومات التي يفترض أن تنشر الوعي والعلم والثقافة بين أبنائها، وأن تتبنى المشروعات الثقافية الكبرى التي تبني العقول، ولنا في مشروع (مكتبة الأسرة) في مصر، ومشروع (مكتبة لكل أسرة) الذي تبنته حكومة الشارقة، خير مثال على ما يشجع على القراءة واقتناء الكتب بأسعار زهيدة.

وتيسير سبل الاستعارة وعقد المسابقات الثقافية التي تحث على القراءة وارتداد المكتبات... إلخ، فضلاً عن مسؤولية النخبة المثقفة في غرس عادة القراءة في المجتمع، عن طريق إقامة الندوات والمحاضرات، ومسؤولية المؤسسات الرسمية والشعبية (مؤسسات الدولة، كوزارات الثقافة، والشباب، والإعلام ... وغيرها) في توجيه الرأي العام والشباب نحو القراءة عن طريق التوسع في إنشاء المكتبات العامة في الأندية ومراكز الشباب، وإقامة الندوات المختلفة. ناهيك بدور العبادة نظراً لما يلعبه الدين من دور في حياة الفرد العربي، والإعلام

جوانب من حركة النشر العربية

ماذا نشر العرب؟

لا تستهدف الدراسة حصراً حجم النشر في الوطن العربي، بل الإجابة عن سؤال: ماذا نشر العرب؟ وما هي أهمّ المجالات التي اهتمّ الناشرون بطباعتها؟ وما هي المشكلات التي تواجه الناشرين، وكيفية التغلب عليها؟

إن مستوى حركة التأليف والنشر في الوطن العربي ليس بأفضل من حال القراءة لدى العرب؛ فمعدل القراءة، الذي يمثل عنصر الطلب، بالمصطلحات الاقتصادية، متدنٍ إلى درجة لا يمكن معها تفعيل النشر والتأليف (أي العرض). ويبدو أنه ما زال من الصعب الحديث عن إمكانية التعويل على أن يخلق العرض الطلب في مجال القراءة والتأليف ونشر الكتب، ولا سيما مع التراجع الواضح في مستوى حركة النشر في البلدان العربية، والذي عبّر عنه مدير معرض القاهرة الدولي للكتاب الثاني والأربعين، بالقول: إن "حركة النشر في مصر وكلّ الدول العربية غير جيّدة؛ والدليل على ذلك أن أكبر ناشر لا يجرؤ على طباعة أكثر من 3 آلاف نسخة من الكتاب، والبعض يطبع 500 نسخة فقط".

فما هي حقيقة النشر في العالم العربي، وما هي أهمّ المشكلات التي تواجه الناشرين، وماذا عن فائدة معارض الكتب للناشرين؟

خصائص العيّنة

توزّعت عيّنة دور النشر وقوامها 154 دار

نشر لتمثّل معظم الدول العربية، فجاءت مصر في المقدمة بنسبة 39.3 %، تليها سوريا بنسبة 15 %، ثم السعودية بنسبة 12.1 %، ثم الأردن بنسبة 8.6 %. كما يُظهر الشكل رقم (1) أن ثمة 1.4 % من دور النشر في العيّنة يقع مقرّها الرئيس في تركيا، وأن 21 % فقط من دور النشر الممثّلة لهذه العيّنة لها فروع في دول عربية، بينما الغالبية منها ليست له أيّ فروع خارجية، إضافة إلى ذلك فإن معظم دور النشر في العيّنة (85%) أعضاء في اتحاد الناشرين العرب، بينما 15 % فقط هم من غير الأعضاء في الاتحاد.

مجالات تخصّص دور النشر

غالبية دور النشر متخصّصة في النشر في مجالات محدّدة، إذ إن 66 % من مجموع دور النشر الخاصة بعيّنة البحث هي دور متخصّصة في مجالات نشر بذاتها (كما هو مبين في الجدول رقم 1).

ومن بين هذه المجالات: المعارف الإسلامية وطباعة المصحف الشريف بنسبة 19.2 %، يليها مجال الأدب ونشر الروايات بنسبة 13.7 %. واللافت تراجع نسبة الدور المتخصّصة في نشر الأعمال العلمية والتكنولوجية، بحيث بلغت نسبة الدور المتخصّصة في المجالات العلمية 2.7 % والتكنولوجية 1.4 % فقط، في حين تنشر غالبية تلك الدور ما دون المائتي كتاب في العام، بل إن حوالي خمس تلك الدور أنتج أقلّ من عشرة

الأدبية والمعارف العربية بنسبة 27 %، بينما جاءت كتب العلوم الطبيعية والرياضيات في آخر الأولويات، وذلك بنسبة 1.5 %. فيما ارتفعت نسبة الإقبال على الكتب المتعلقة بالتكنولوجيا إلى حد ما، وجاءت نسبتها 4.4 %. ولكن ذلك يطرح تساؤلاً حول نوع الكتب التكنولوجية التي يقبل عليها القراء. وعلى الرغم من عدم تطرق البحث إلى سؤال من هذا النوع، يمكن ترجيح أن تكون الكتب المتعلقة بالكمبيوتر وبكيفية استخدام برامجه المختلفة هي المسؤولة عن ارتفاع هذه النسبة، وليس الكتب المتعلقة بالتكنولوجيا بمفهومها الواسع.

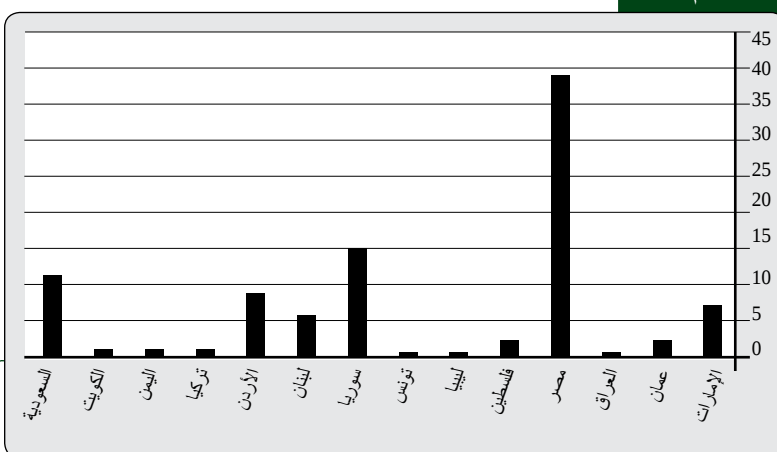
أما عن أسباب إقبال القراء على الكتب من وجهة نظر الناشرين، فقد تبين أن السبب الأول هو اندراج الكتاب في مجال تخصص القراء أو اهتمامهم 61.8 %، فيما جاء سبب أن يكون الكتاب جديداً في مجاله في المرتبة الثالثة (15.1 % من الأسباب) وأن يكون الكتاب لكاتب معروف في المرتبة الأخيرة (2 %). وبذلك يغدو

كتب خلال العام 2009، بينما لم تتعدّ الدور التي نشرت أكثر من 300 كتاب نسبة 1.2 %، وهو الأمر الذي يؤكد ضعف الإنتاج العلمي في الوطن العربي، وضعف الإقبال العام عليه.

الكتب الأكثر رواجاً

عند سؤال دور النشر (التي لم تنشر خلال العام 2009 سوى 2683 كتاباً فقط منها نحو 46 % طبع للمرة الثانية) عن الكتب الأكثر رواجاً، أو تلك التي لقيت قبولاً أكثر من القراء؟ تبين أن الكتب الأكثر مبيعاً هي الكتب المتعلقة بالأديان بنسبة 35 %، تليها الكتب المتعلقة بالمجالات

شكل رقم 1 توزيع العينة على الدول العربية



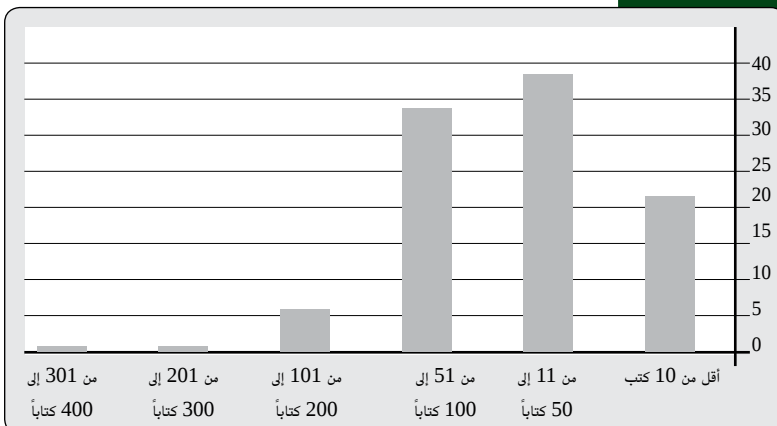
مجلات تخصص دور النشر

جدول رقم 1

النسبة (%)	مجالات التخصص
4.1	القانون وعلوم الشرطة
8.2	مجال ذوي الاحتياجات الخاصة
8.2	الثقافي
19.2	الإسلامي، مصاحف تجويد
2.7	العلمي
11.0	التعليمي
1.4	الطبي
9.6	كتب الأطفال
1.4	السياسي
13.7	الروايات - الأدب
2.7	الدراسات الفكرية
5.5	الفلسفة والعلوم الاجتماعية
5.5	التاريخ- والتراث
1.4	التكنولوجيا
1.4	كل التخصصات
1.4	التنمية البشرية
1.4	العلوم الإدارية

معدل نشر الكتب خلال عام 2009

شكل رقم 2



نسبة المسؤولين عن دور النشر الذين أشاروا إلى أن الكتب السياسية تثير المشكلات مع السلطات 55.1 % شكّلت دور النشر منها في كلٍّ من **مصر** و**سوريا** نسبة 23.1 %، في حين لم تثر الكتب السياسية أيّ مشكلات مع السلطات بحسب دور النشر في كلٍّ من **عمان** و**تونس**. أما الكتب التي لم تثر مشكلات مع السلطات بحسب دور النشر المصرية فكانت الكتب المتعلقة بالتاريخ.

ويكتسب عامل إثارة المشكلات مع السلطات أهميته في ظلّ مستوى الرقابة على المطبوعات؛ إذ أكّد غالبية المسؤولين عن دور النشر 76.1 % وجود رقابة على الكتب في دولهم، سواء على

من المنطقي أن يكون مجال الأديان عموماً هو المجال الأول في اهتمامات القراء وأن يكون أيضاً المجال الذي تتخصّص فيه دور النشر، ولا سيما أن السبب الثاني لإقبال القراء على الكتب هو سعر الكتاب في ضوء انخفاض مستويات الدخل لغالبية القراء، وذلك بنسبة 21.1 %، وفي ضوء انخفاض أسعار الكتب في مجال الأديان، ثم المجالات الأدبية، مقارنةً بأسعارها في المجالات الأخرى، وخصوصاً العلمية.

ومن الملاحظ أن غالبية دور النشر تدرك أن الأسعار الحالية للكتب لا تناسب أغلب القراء؛ إذ ذهب 14.5 % فقط من المسؤولين عن دور النشر إلى أن الأسعار الحالية للكتب تناسب القراء. كما تبين بحسب المسؤولين بأن الكتب الدينية أقلّ إثارة للمشكلات مع السلطات، مقارنةً بالكتب السياسية مثلاً؛ فالكتب الدينية تأتي في المرتبة الثالثة من ضمن قائمة الكتب التي تُثير المشكلات؛ إذ ذهب 16.3 % من المسؤولين عن دور النشر إلى أن الكتب الدينية تثير مشكلات مع السلطات، وقد استحوذت هذه النسبة على 62.5 % من دور النشر التي يوجد مقرّها الرئيسي في **مصر** (كما هو مبين في الجدول رقم 3)، نسبة إلى دور النشر الموجودة في كلٍّ من **الإمارات**، و**عمان**، و**فلسطين**. وبلغت

نوع الكتب التي يقبل عليها القراء
أكثر (%)

جدول رقم 2

نوع الكتب	النسبة
الأدب	27.0
الأديان	35.0
التكنولوجيا	4.4
الجغرافيا والتاريخ	2.9
العلوم الاجتماعية بصفة عامة	8.8
العلوم الطبيعية والرياضيات	1.5
الفلسفة وعلم النفس	5.8
اللغات	5.1
السياسة	3.6
المعارف العامة	5.8

نوع الكتب التي يقبل عليها القراء أكثر بحسب المقر الرئيسي للدار (%)
المقر الرئيسي للدار

جدول رقم 3

السعودية	الكويت	اليمن	الأردن	لبنان	سوريا	تونس	ليبيا	فلسطين	مصر	العراق	عمان	الإمارات	
14.3	2.9		17.1	5.7	11.4	2.9	2.9	2.9	25.7	2.9	5.7	5.7	الأدب
20.5	2.3	2.3	2.3	4.5	15.9				40.9			9.1	الأديان
					33.3				50.0			16.7	التكنولوجيا
50.0		25.0						25.0					الجغرافيا والتاريخ
			28.6	14.3	28.6				14.3				الفلسفة وعلم النفس
				25.0	25.0			50.0					السياسة
12.5			12.5	12.5	25.0				37.5				المعارف العامة

وذلك بنسبة 59.1 % وهو أمر يبدو منطقياً في حال كان السبب المتحكم بالإقبال على الكتب هو مجال الاهتمام المركز أساساً في النواحي الدينية، وسعر الكتاب الذي يرتفع باستمرار.

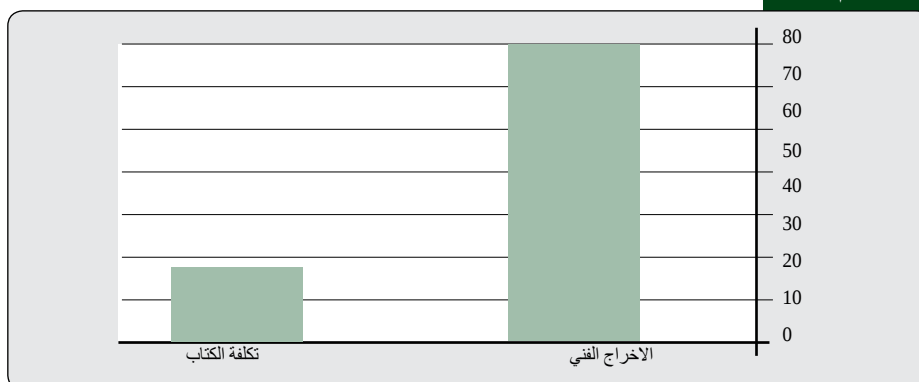
النشر وحركة الترجمة

في ما يتعلق بحركة الترجمة من اللغات الأجنبية، بدا واضحاً أن الإقبال عليها من قبل القراء لا يتناسب مع ما تقوم به دور النشر من جهد في نشر الكتب المترجمة؛ فبينما يقوم أكثر من نصف دور النشر بنشر كتب مترجمة (55.6%)، فإن مستوى إقبال القراء على هذه الكتب منخفض نسبياً (22.3%). وعلى الرغم من اهتمام دور النشر بالكتب المترجمة، إلا أن غالبية تلك الدور لا يوجد فيها قسم خاص

الكتب المخطوطة (70.4%)، أم على الكتب المطبوعة (72.3%). وجدير بالذكر أنه على الرغم من تلك الرقابة فإن 82.4 % من المسؤولين عن دور النشر أكدوا أنه لم تتم مصادرة كتب للدار التي يعملون فيها. كما تجدر الإشارة إلى بعض التناقض في ما تقوم به دور النشر؛ فبينما يفهم ممّا سبق أن الأسعار تبدو أمراً يتحكم في إقبال القراء على شراء الكتاب، فإنه عند السؤال عن: المعايير التي يتم أخذها في الحسبان عند نشر كتاب؟ أفادت الغالبية (80.1%) بأهمية الإخراج الفني، مقابل 19.9 % للذين رأوا أهمية في معيار تكلفة الكتاب. وعند السؤال عن حال الإقبال على الكتب هذا العام مقارنةً بالعام الماضي؛ أفادت الغالبية أن الإقبال أسوأ من العام الماضي،

المعايير التي تراعيها الدار عند نشر

شكل رقم 3



نوعية الكتب الأكثر إثارة للمشكلات مع السلطات تبعاً للمقر الرئيسي لدار النشر (%)
المقر الرئيسي للدار

جدول رقم 3

السعودية	الأردن	لبنان	سوريا	تونس	فلسطين	مصر	عمان	الإمارات	
14.3	14.3		28.6				14.3	28.6	تاريخية
		12.5	25.0			62.5			دينية
7.7	15.4	7.7	23.1		3.8	23.1		19.2	سياسية
		33.3		33.3		33.3			جنسية
						100.0			روايات
6.7	11.1	8.9	22.2 %	2.2	2.2	28.9	2.2	15.6	الإجمالي

القرّاء ما زالوا غير معيّنين بالكتب الرقمية، إلى عدم إيلاء الاهتمام الكافي لنشر الكتب الرقمية، وذلك على الرغم من أن نسبة كبيرة من المسؤولين عن دور النشر (48.3 %) رأّت أن الإقبال على الكتب الرقمية يتزايد مقارنةً بالعام الماضي. غير أن اقتناع غالبية المسؤولين (82.7 %) بأن الإقبال على الكتب الرقمية ما زال متوسطاً أو ضعيفاً، يبرّر بدوره تراجع نسبة دور النشر التي تنشر كتباً رقمية إلى نحو 24.4 %، مقابل 75.6 % للدور التي لا تتعامل مع الكتب الرقمية.

العلاقة بين الناشر والمؤلف

عن العلاقة بين دار النشر والمؤلف، بدا أنها علاقة مقنّنة إلى حدّ بعيد، وأنها لا تثير مشكلات يُعتدّ بها على الأقلّ من جانب دور النشر، وذلك عكس ما قد يُشاع. فقد عبّر معظم المسؤولين عن دور النشر، وبنسبة بلغت 95.8 % أنهم حريصون دائماً على التعاقد مع المؤلّف قبل النشر، كما أكّدوا بنسبة عالية (83.9 %) أن لديهم نظاماً ثابتاً لدفع حقوق المؤلّف، وأن دور النشر تحرص دائماً على

لترجمة (60.1 %)، كما أن النسبة الأكبر من تلك الدور (51.4 %) لا تعتمد على مترجم متخصص في الأعمال التي تنشرها مترجمةً.

تجدر الإشارة إلى أن دور النشر هي التي تتحمّل تكلفة عملية الترجمة، فعندما سُئل المسؤولون عن دور النشر عمّا إذا كانوا قد حصلوا على دعم من أيّ مؤسسة لترجمة كتاب معيّن؟ أجاب 89.6 % منهم بالنفي، فيما أجاب 10.4 % فقط بأنهم حصلوا على دعم من بعض المؤسسات لترجمة كتاب معيّن، كما أن 86.2 % من دور النشر حريصة على الالتزام بحقوق نشر الكتب المترجمة.

كما يجدر التوقف عند ما أكّده غالبية المسؤولين في دور النشر حول عدم وجود مشكلات تواجه نشر الكتب المترجمة؛ بحيث أكّد نحو 70.1 % منهم، وكما هو مبين في الجدول رقم 4، أنه لا توجد أيّ مشكلات تواجههم في عملية الترجمة.

الكتاب الرقمي والكتاب الورقي

من الواضح أن توجّهات المسؤولين عن دور النشر، بشأن الأسباب التي تدفع القرّاء لشراء الكتب، تمثّل عاملاً أساسياً في ما تنشره تلك الدور من كتب، أو في ما يتعلق بالمؤلفين الذين يتّم التعامل معهم. وحيث إن المسؤولين عن دور النشر يرون أن بعض القرّاء لا يغيرون اهتماماً كبيراً للكاتب عند اختيارهم للكتاب، فقد رأى المسؤولون عن هذه الدور أن نشر كتاب لكاتب معروف لا يمثل سوى 2 % فقط من الأسباب التي تدفع القرّاء لاقتناء الكتاب. وبالتالي عكست تلك النتيجة نفسها في حقيقة قيام الغالبية العظمى من دور النشر 79.7 % بنشر كتب لمؤلفين جدد لم يسبق لهم النشر من قبل. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أدّت قناعة المسؤولين عن دور النشر بأن

المشكلات التي تواجه الدار في نشر الكتب المترجمة

جدول رقم 4

النسبة	مشكلات تواجه الترجمة
70.1	لا توجد مشكلة
0.7	عدم جودة الطباعة
6.9	ارتفاع التكلفة، عجز الميزانية - مغالاة الكاتب
0.7	البيروقراطية
6.3	عدم المعرفة بالحقوق، حقوق الملكية الفكرية
9.0	الترجمة في حدّ ذاتها، قلة المترجمين الجيدين - الترجمة الحرفية
0.7	التسويق
2.1	ركود السوق بشكل عام - التوزيع
0.7	الحصار المفروض على غرة - أسباب سياسية
0.7	الحصول على عناوين جديدة
0.7	تكرار ترجمة الكتاب الواحد في أكثر من دار نشر، عدم التنسيق
1.4	صعوبة الحصول على ترخيص من المؤلّف

الكتب في العالم العربي تتمتع برأي المسؤولين عن هذه الدور بمزايا عدة، أهمها التنظيم الجيد، كما أنها تسمح بالتعرف إلى ناشرين من دول مختلفة وإلى ثقافات الدول الأخرى.

ومن حيث فائدتها بالنسبة إلى دور النشر فإن المعارض (كما يظهر في الجدول رقم 6) تساعد في عملية زيادة المبيعات، نظراً للإقبال الجيد عليها، بما يسمح بالتواصل المباشر مع القراء.

وعن بعض عيوب معارض الكتب في الدول العربية (كما يظهر في الجدول رقم 7)، يأتي في مقدمة هذه العيوب بحسب آراء المستطلعين، تداخل تواريخ بعض المعارض مع بعضها، أي عدم وجود تنسيق بين المعارض العربية (27.2%)، يلي ذلك تدني مستوى الخدمة المقدمة وسوء التنظيم (19.8%)، وارتفاع رسوم الاشتراك (14.8%).

وعن أهم معارض الكتب التي تشارك فيها دور النشر، جاء معرض القاهرة الدولي في المرتبة الأولى (بنسبة 63.6%)، يليه معرض

تحديد فترة حصولها على حقوق النشر (بنسبة 83.2%)، وأن الطريقة الأكثر شيوعاً لدفع حقوق المؤلف هي المكافأة الشاملة، أي أن تمتلك الدار المادة العلمية والحقوق والامتيازات كافة التي تترتب عنها بمجرد توقيع العقد مع المؤلف وإعطائه مكافأته، وذلك بنسبة (68.2%).

وعن المشكلات التي قد تواجه دور النشر مع المؤلف، كان اللافـت-كما هو مبين في الجدول رقم 5 أن غالبية الدور (69.2%) عبّرت عن عدم وجود مشكلات في التعامل مع المؤلف، مقابل نسبة 30.8% لتلك التي عبّرت عن وجود مشكلات من قبيل: الخسائر المادية، عدم التزام بعض المؤلفين بما ينص عليه العقد مع دور النشر، لجوء المؤلف لأكثر من دار لنشر الكتاب الواحد...إلخ.

معارض الكتب

أكد معظم دور النشر الحرص على الاشتراك في معارض الكتب، وذلك بنسبة 93.3% من مجموع الدور التي شملها الاستطلاع. فمعارض

المشكلات التي تواجهها دور النشر مع المؤلف

جدول رقم 5

النسبة (%)	
69.2	لا توجد مشكلة
3.5	عدم إدراك الدار لحقوقها، عدم فهم العقد بينها وبين المؤلف
5.6	ضياع الحقوق المالية
0.7	قلة التوزيع
4.9	ارتفاع الأسعار، مغالاة الكاتب في السعر
1.4	عدم سعي المؤلف للترويج للكتاب
0.7	اقتباس المؤلف من الكتاب ونشره تحت عنوان مختلف
0.7	طلب المؤلف زيادة النسخ، شكل إخراج معين
3.5	عدم ثقة الطرفين في بعضهما البعض
2.8	لجوء المؤلف لأكثر من دار نشر لنشر الكتاب الواحد
2.1	رغبة المؤلف في سرعة النشر والتوزيع، بغض النظر عن السوق
1.4	عدم خبرة المؤلف، عدم وجود مؤلفين جادين
1.4	عدم التزام المؤلف بميعاد تسليم الكتاب
0.7	تقييم العمل المقدم للنشر
0.7	عدم وجود حربة كافية لاختيار الموضوعات
0.7	عدم شهرة المؤلف، عدم معرفته لدى الجمهور

مزايا معارض الكتب في العالم العربي

جدول رقم 6

النسبة (%)	مزايا معارض الكتب
3.3	عرض الإصدارات الحديثة
4.4	فتح أسواق جديدة، البحث عن قارئ جديد
20.9	التنظيم الجيد - الالتزام
7.7	عرض مختلف العلوم والثقافات العربية والأجنبية
8.8	إتاحة الفرصة لسعة الاطلاع على ثقافات البلدان المختلفة
18.7	التعرف إلى الناشرين من أماكن ودول مختلفة
5.5	تعدد الكتب المعروضة وكثرتها
13.2	زيادة المبيعات، الإقبال الجماهيري
7.7	تواصل القارئ مع الناشر
2.2	زيادة الإعلان عن الكتب
2.2	شعبية المعارض
5.5	أخرى

عيوب معارض الكتب في العالم العربي

جدول رقم 7

النسبة	عيوب معارض الكتب
27.2	تداخل تواريخ بعض المعارض مع بعضها
2.5	مصادرة الكتب
3.7	الإجراءات التعقيدية
14.8	التكلفة العالية، ارتفاع رسوم الاشتراك
6.2	انخفاض معدلات شراء الكتب، عدم الإقبال
19.8	تدني مستوى الخدمة المقدمة وسوء التنظيم
6.2	ضييق المساحة
6.2	عدم وجود إعلانات كافية
13.2	أخرى

الرياض (بنسبة 12.1 %)، ثم معرض الشارقة في دولة الإمارات (بنسبة 5 %).

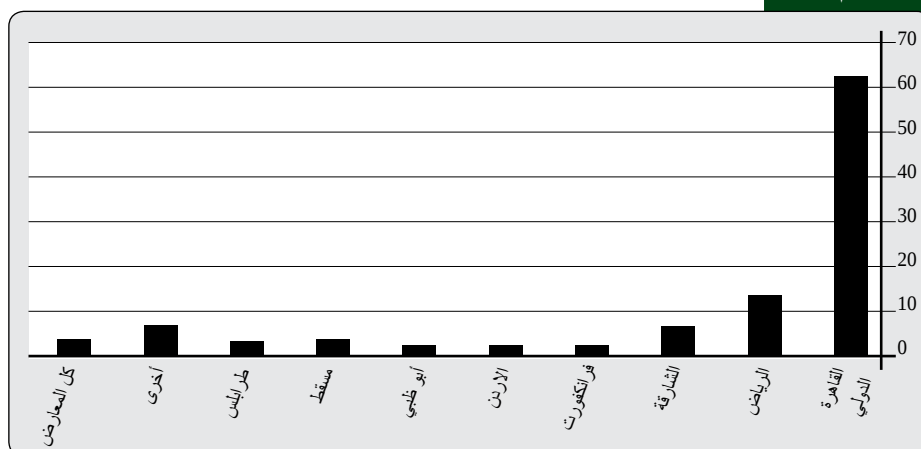
مشكلات تواجه عملية النشر

ثمة عقبات كثيرة تواجه عملية نشر الكتاب في العالم العربي أشار إليها المستطلعون (كما يظهر في الجدول رقم 8)، وكان أبرزها زيادة تكلفة الطباعة، وذلك بنسبة 27.5 %، يليها الرقابة على الكتب التي تصل إلى حد المصادرة أحياناً، وذلك بنسبة 23.2 %، فضلاً عن المشكلات المتعلقة بصعوبة شحن الكتب ونقلها بنسبة 8.7 %. وقد جاء سعر الكتاب كآخر تلك العقبات من حيث الأهمية، وذلك بنسبة 1.4 %. وعن التزام دور النشر الأخرى بحقوق النشر الخاصة بهم، (وكما يظهر في الجدول رقم 9)، أجاب نحو 55.4 % بأن الناشرين يلتزمون بحقوق النشر الخاصة ببعض منهم، مقابل نسبة 14.9 % فقط للذين اعتبروا أن الناشرين لا يلتزمون بحقوق النشر الخاصة بالدور الأخرى. وينطبق الأمر نفسه على المواد الأولية اللازمة للطباعة والمشكلات مع المطابع؛ إذ أكد نحو 62.8 % من الناشرين أنهم لا يواجهون أي مشكلات للحصول على المواد الأولية اللازمة للطباعة، كما أكد 50.9 % أنهم لا يواجهون أي مشكلات مع المطابع عند طبع الكتب. وفي مقابل ذلك أكد نحو 47.5 % تعرضهم للتزوير والنشر من قبل ناشرين آخرين، مقابل نسبة 15 % للذين أفادوا بأنهم يتعرضون لها أحياناً. كما أكد نحو 33.9 % أنهم يواجهون بعض المشكلات في توزيع مطبوعاتهم، كما أكد نحو 29 % أنهم يتعرضون أحياناً لمشكلات في عملية توزيع مطبوعاتهم.

وعلى صعيد التزام دور النشر بالقواعد التي تنظم عملية النشر (حيث القانون الملزم بضرورة الحصول على رقم إيداع للكتب المنشورة يسري

أهم معارض الكتب

شكل رقم 5



عوائق نشر الكتب في العالم العربي

جدول رقم 8

النسبة (%)	العوائق
27.5	زيادة تكلفة الطباعة، زيادة التكاليف بشكل عام
5.8	العجز المالي للمشتري
5.8	عدم التنسيق والتنظيم بين دور النشر
1.4	ارتفاع سعر الكتاب
23.2	عدم وجود حرية - الرقابة المبالغ فيها، مصادرة الكتب
2.9	الخلاف مع المؤلف
8.7	صعوبة الشحن ونقل الكتب
4.3	ضعف القراءة
2.9	التزوير
2.9	قلة التوزيع
14	أخرى

مشكلات تواجه دور النشر

جدول رقم 9

أحياناً	لا	نعم	المشكلة
(%)			
29.8	14.9	55.4	يلتزم الناشر الآخرون بحقوق النشر الخاصة بالدار
20.4	62.8	16.8	تواجه الدار مشكلات في الحصول على المواد الأولية اللازمة للطباعة
29.3	50.9	19.8	تواجه الدار مشكلات مع المطابع عند طبع الكتب
15	37.5	47.5	تعرض كتب الدار للتزوير والنشر من قبل ناشرين آخرين

دور النشر العربية (98.7%) أقل من مائتي كتاب في العام.

• توخّي دور النشر الربح بشكل أساسي وتحقيق نسبة مبيعات عالية، فهي تنشر وفقاً لرغبة القارئ (الزبون)، وليس لخدمة العمل الثقافي عموماً. الأمر الذي يحتم على دور النشر الحكومية ودور الكتب العربية والمؤسسات غير الربحية أن تهتمّ بنشر الكتب العلمية ودعمها.

• تركّز معظم إنتاج دور النشر حول الكتب الدينية، وذلك عائد إلى أنها تعيد نشر كتب التراث الدينية، التي لا تُحدث مشكلات مع الرقابة بشكل كبير، وتحقق عائدات مالية ضخمة.

• مواجهة دور النشر مشكلات عدّة عند نشر الكتب المترجمة. بدءاً من عدم الاستعانة بمترجم متخصص، وعدم وجود قسم خاص بالترجمة في دار النشر المعنية، وصولاً إلى الكساد أو الأسباب السياسية. الأمر الذي يستدعي القول إن دور النشر غير قادرة على النهوض بمشروعات الترجمة منفردة، لأن هذه المشروعات تُعدّ من المشروعات القومية التي يجب أن تتبناها الدول والمؤسسات الثقافية الحكومية، وذلك على الرغم من المحاولات القائمة في هذا الصدد في جميع الدول العربية، لكونها محاولات لا ترقى إلى درجة قيام نهضة ثقافية كبيرة.

• وجود مشكلات عدّة تواجه دور النشر في العالم العربي، منها التداخل في مواعيد انعقاد هذه المعارض أو تقاربها بشكل كبير، وتدني مستوى الخدمة المقدّمة فيها، فضلاً عن سوء التنظيم وارتفاع رسوم الاشتراك.

• عدم حرص الناشرين على الإيداع القانوني الذي يشكّل مؤشراً خطيراً، لأن ذلك من شأنه أن يؤدي من جملة ما يؤدي إليه

في 85.1 % من الدول التي تنتمي إليها دور النشر التي شملتها عيّنة البحث)، لوحظ وجود درجة عالية من الالتزام من قبل ور النشر. فعبر نحو 91.8 % من المسؤولين عن دور النشر في العيّنة أنهم حريصون على الحصول على أرقام إيداع للكتب التي ينشرونها، مقابل نسبة 8.2 % لغير الحريصين على ذلك؛ الأمر الذي ربما يجد تفسيره في الإشارة إلى وجود 16.5 % من الدور التي شملتها العيّنة لا تواجه مشكلات في الحصول على أرقام للإيداع.

وفي مقابل ذلك تقل درجة الالتزام للحصول على رقم الإيداع الدولي لتصل إلى 78.3 %. أما عن تراجع دور المؤسسات الثقافية في دعم أو تمويل عملية نشر الكتب، فقد أفاد 82.5 % من المسؤولين عن دور النشر أنهم لم يتلقوا أيّ دعم من مؤسسات ثقافية محلية، وأفاد 85.1 % أنهم لم يحصلوا على دعم من أيّ مؤسسة ثقافية عربية لنشر كتب معيّنة، وأفاد 89 % أنهم لم يحصلوا على أيّ تمويل من أيّ مؤسسة ثقافية أجنبية لنشر كتب معيّنة.

ملاحظات نهائية

تشير حالة النشر في الوطن العربي خلال العام 2009 بحسب نتائج استطلاع الرأي إلى الأمور التالية:

• قلة الإنتاج العلمي في الوطن العربي، بحيث تبلغ نسبة المنتج من المؤلفات العلمية 2.7 % مقارنة بالمجالات الإسلامية والأدبية والروايات، وهو الأمر الذي يطابق اهتمامات القراء، إذ تصدر الأدب اهتماماتهم، وتلاه الدين، بينما تضاءلت اهتمامات هؤلاء القراء بالنواحي العلمية، ولم تتعد نسبة 29 %.

• قلة النشر عموماً (ولاسيما لدى دور النشر غير الحكومية)، بحيث تنشر غالبية

قانونية تضمن حصول المؤلف على حقوقه كاملة، سواء أكانت مادية أم فكرية، ومن دون أدنى مماطلة، فضلاً عن ثقة الناشر بالكاتب التي تقتضي التزام المؤلف بقواعد التعاقد مع الناشر، وثقة الناشر بالدولة من خلال دعمه وتيسير سبل النشر له، وحماية حقوقه، وثقة الحكومة في الناشر، فضلاً عن ثقة القارئ بهؤلاء جميعهم: ثقته في الكاتب الجاد الذي يقدم له المعرفة والثقافة والمعلومة غير الفاسدة، أي ذات المحتوى الرصين، وثقة القارئ في الناشر الجاد، أيضاً، الذي يتخير له الكتاب الجيد، والكاتب الجاد، والطباعة الجيدة، والسعر المعقول، وعدم المغالاة في الأسعار، والاكتفاء بهامش ربح مناسب، حرصاً على تقديم خدمة ثقافية وليس سلعة تجارية، وثقة القارئ في أن تسمح الدولة بتداول الأفكار والآراء، وإتاحة حرية الرأي والتعبير من دون المساس بالمعتقدات والثوابت. فإذا صلحت هذه المنظومة، وحدثت الثقة المتبادلة بين أركانها، ستكون النتيجة في صالح المجتمع العربي برمته.

إلى أن تكون الإحصاءات والدراسات الخاصة بحجم ما يتم نشره في الوطن العربي منافية للواقع، نظراً لاعتماد أصحاب هذه الدراسات على ما تم نشره وفقاً لأرقام الإيداع.

خلاصة

لا يتم إنتاج المعرفة والثقافة والعلم بجهد جهة واحدة، وإنما بمجموعة من الجهود. فالمعرفة لا تتم إلا إلا بكاتب/مؤلف، ولا يستطيع هذا الأخير نقل أفكاره إلا عن طريق الناشر الذي لا يقوم فقط بالنشر، وإنما، بالتسويق أيضاً. وإلى جانب الناشر هناك الحكومات التي تيسر - أو قد تعرقل - عملية النشر، إلى أن يصل المنتج (الكتاب) إلى المستفيد، أي القارئ. فحالة القراءة والنشر في الوطن العربي كما برز بعض ملامحها في هذا البحث تؤكد ضرورة تضافر الجهود بين المؤلف والناشر بهدف شيوع ثقافة المعرفة بين أبناء الوطن العربي. الأمر الذي يستدعي الثقة المتبادلة بين الكاتب والناشر، وضرورة وجود ضوابط

ثمة حاجة إلى ثقة متبادلة بين الكاتب والناشر، وثقة الناشر بالدولة، فضلاً عن ثقة القارئ بهؤلاء جميعهم..

ماذا قرأ العرب في العام 2009؟

تساؤلات

الدراسة تجري في إطاره. وذلك باستطلاع رأي الناشرين أنفسهم، فضلاً عن الكتّاب والمثقفين، في محاولة لمعرفة ماهي أهم الكتب التي صدرت العام 2009. ومن ثم تم عرض مضمون تلك الكتب، في محاولة للتعرف إلى الموضوعات التي كان حضورها غالباً في مدار الكتّاب العرب. كما عمد الباحثون إلى الاستفادة من إمكانات القياس الرقمية التي توفرها الشبكة العنكبوتية، وذلك بالرجوع إلى قوائم بيع الكتب العربية في المواقع المخصصة لذلك، وإلى قدر تفاعل زوّار تلك المواقع (ومعظمهم من جيل الشباب) مع هذا الكتاب أو ذاك، تعليقاً أو مناقشة أو ترشيحاً للأصدقاء.

ومع الإقرار بما في هاتين الوسيلتين من قصور «كمّي» مقارنة بالأرقام والإحصاءات (مع افتراض وجودها أو دقتها)، إلا أنها تبقى ذات دلالة. إذ لا يوجد كتاب «مهم» إلا إذا كانت النخبة الثقافية قد رأت فيه ما يستحق الاهتمام. كما أخذ الباحثون في اعتبارهم نتائج الدراسات والتقارير السابقة ذات الصلة، سواء تلك الصادرة عن هيئات دولية أم إقليمية. وكان مفيداً الاطلاع على نتائج تقرير (قيد النشر) لمكتبة الإسكندرية استهدف استطلاع «إدراك النخبة لمؤشرات الإصلاح الثقافي في العالم العربي».

كانت وسيلة التعرف إلى الموضوعات التي

ماذا يقرأ العرب؟ أو بالأحرى ماذا قرأوا في عامهم الذي يختتمون به العقد الأول من القرن الحادي والعشرين؟ وإلى أين تتجه حركة النشر مع بدايات هذا القرن الجديد؛ كمّاً وكيفاً؟ وهل هي إلى رواج، أو أن الكتاب العربي كما يعتقد البعض، في طريقه إلى أن يفقد مكانته المتميزة في الثقافة العربية منذ عرف العرب «الزّاقين»؟ وماهي الكتب «الأهم» بين ما أخرجته لنا مطابعنا؟ وأيها أكثرها رواجاً؟ مع الإقرار بأن الرواج لا يمثّل بالضرورة معياراً لأهمية الكتاب المنشور؟

عن المنهج

ثمة غياب ملحوظ للبيانات والأرقام والإحصاءات «الرسمية» اللازمة والضرورية للتعرف إلى حركة التأليف والنشر، تبعاً للأصول العلمية المستقرة. سواء تلك الخاصة بعدد العناوين التي جرى إصدارها في مختلف البلدان العربية في هذا العام¹، أم من جهة الإحصاءات الخاصة بالتوزيع، خصوصاً أن الأعراف في صناعة النشر استقرت في بلادنا لسنين طويلة على اعتبارها من قبيل الأسرار. وعليه، لم يكن أمام القائمين على هذه الدراسة غير اللجوء إلى مقياس «عملي» يمكن اللجوء إليه، مع الحرص على التنويه بأن هذه

لا يوجد مثل هذا الإحصاء في أي جهة رسمية، بما فيها «اتحاد الناشرين العرب». ولكن ثمة إحصاء سنوي يدرجه التقرير الفرنسي "أوضاع العالم" L'état du monde الصادر عن مؤسسة La Découverte الفرنسية، وفي طبعة 2010 من هذا التقرير بلغ إجمالي عدد إصدارات الكتب العربية حوالي 17 ألف كتاب. أمّا في التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية الصادر عن مؤسسة الفكر العربي فقد بلغ إجمالي الكتب العربية للعام 2007 حوالي 27800 كتاباً.

سيادة أولاً، والادعاء بأن منطلق صوغ البرامج السياسية المشتقة عنه هو مصلحة للأمة ثانياً، هما ما يميز الفكر القومي العربي.

لكنه يعود ليؤكد أن هذين الأمرين غير كافيين لإدارة بلد، أو لتحديد موقف من الديمقراطية وحقوق المواطن والسياسة التعليمية.. إلخ، وأفضل تعبير عن إرادة الأمة هو الديمقراطية، وأن الوجه الآخر لسيادة الأمة هو مبدأ المواطنة المتساوية، لماذا؟ لأن الفكرة القومية لا تنتج البرامج السياسية، فهذه المهمة تقع على عاتق حملة الفكرة القومية، وتطوير الفكر القومي العربي يكون بحسم موقفه إلى جانب الديمقراطية، والحقوق الاجتماعية والمدنية للمواطن، وهي مهمة تتضح بالممارسة.

ويرفض عزمي بشارة اتهام دعاة القومية العربية بالرومانسية نتيجة فشل الدول العربية في بناء الأمة على أساس المواطنة، فقد تحولت الأمة التي كان يفترض أن تبنى على أساس الانتماء إلى الدولة إلى هوية قطرية فولكلورية ورومانسية مع محاولات تجذيرها تاريخياً في مهرجانات بابلية وفينيقية وفرعونية.

والدولة العربية فشلت أيضاً في تقديره في تشكيل أمة مدنية على أساس تشكيل هوية منفصلة لهذا القطر أو ذاك، ونشأت بدلاً من ذلك العشيرة والطائفة كضامن للهوية، وفي مثل حالة تشظي الدولة هذه إلى عشائر وطوائف لم يعد ممكناً التعاطي مع القومية العربية كرومانسية إلا كسوء نية سياسي. ويوضح لنقاد القومية الفرق بين القومية وتجلياتها كثقافة وسياسة، وبين نظرية القومية التي تبحث في ماهية القومية، فالقومية العربية عنده "حاجة عملية لتوحيد غالبية الشعب، حتى في الدولة القطرية كي لا تنهار إلى طوائف"، وتعتبر القومية بعناصرها الرومانسية حاجة ماسة للوصول إلى مجتمع حديث قائم على الانتماء الفردي، وتزويد

كانت حاضرة أكثر من غيرها في الكتب التي قرأها العرب في العام 2009، استطلاع رأي الناشرين والكتاب والمثقفين، والحصيلة كانت مجموعة من العناوين في مجالات معرفية مختلفة. منها ما هو «فكري» من قبيل الكتب المؤسّسة، ومنها ما انشغل بقضايا الهوية الدينية التي يبدو أنها باتت هاجساً عربياً في هذه الأيام التي اختلطت فيها السياسات بالعقائد فرزاً وتوظيفاً، بعدما خفت الانتماء القومي أو كاد. كما كان طبيعياً أن يوجد بين الاختيارات كتب في الاقتصاد تُعنى بهموم المنطقة الاقتصادية بين الفقر والنفط. ثم كان هناك النقد الأدبي في ثقافة لم يتكرر مثقفوها لما تتميز به لغتهم من ثراء إبداعي. ثم كان هناك من اختار كتباً مترجمة.

في ما يلي شريط بأهم الكتب التي قرأها العرب في العام 2009

أولاً: في تأصيل الفكر الكتاب: أن تكون عربياً في أيامنا الكاتب: عزمي بشارة الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت

يطرح د. عزمي بشارة سؤالاً بديهيّاً مؤلماً في كتابه "أن تكون عربياً في أيامنا"، فما معنى أن تكون عربياً في أيامنا؟

جزاً المفكر العربي كتابه إلى ثلاثة أقسام رئيسية، الأول عن "قضايا عربية" ويناقد فيه همّ المواطنة والديمقراطية، والثاني عن المتغيرات الأميركية في نهاية مرحلة الرئيس الأميركي جورج بوش، وفي الفصل الثالث يناقد القضية الفلسطينية بأبعادها داخلياً وخارجياً.

حول سؤال "ما الذي يميز الفكر القومي العربي؟" يجيب بشارة بأن الاعتراف بوجود قومية عربية لديها الحق في أن تصبح أمة ذات

الباردة بين المعسكرين نشطت منظمات المجتمع المدني العالمية في الحديث عن مبادئ عالمية، مثل الانصياع للقانون الدولي ومبادئ حقوق الإنسان، وانتشرت أدبيات تتحدث عن نهاية سيادة الدولة، وهنا بدأ الحديث أيضاً عن إقامة محكمة الجنايات الدولية، وتوسيع معاهدة منع التجارب النووية، وضمن هذه اليوتوبيا بدا أن البعض في المنطقة العربية يراهن على فقدان إسرائيل لوظيفتها بعد نهاية عالم القطبين، لكن الرهان العربي سرعان ما فشل بعد تحوّل المفاوضات إلى رهينة موازين القوى، وأسيرة التحالف الأميركي - الإسرائيلي، وتضمّنت هذه النظرة اليوتوبية معسكراً منتصراً يرى نفسه محقاً وخيراً بالطبيعة، وأن قيمه تستحقّ أن تعمّم على الإنسانية جمعاء، ولكنها تضمّنت أيضاً أن يطرح القوي نفسه على أنه شرطي دولي.

ويؤكد المؤلّف أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر زوّدت المحافظين الجدد والليبراليين بالمبررات الشرعية للخروج إلى الحرب، فكلاهما لديه تصوّر لدور ورسالة أميركية عالمية، ومع ذلك يظلّ هناك فارق جوهري يمثله المحافظون الجدد، إنه انتزاع اليمين لفكرة اليوتوبيا والنظريات الخلاصية شبه الدينية من اليسار، والعمل الفعّال لاستخدام العنف لتنفيذها وتغيير المجتمعات بحجة ديمقراطية المظهر، وهي أن المجتمعات متساوية ومتشابهة، ولا يوجد مجتمع لا يتلاءم مع الديمقراطية، وأدّت الأدوات والأهداف التي وضعت إلى كوارث، وهذه الكوارث هي التي فصلت بين المعسكرين في الولايات المتحدة، وأدّت إلى تراشق الاتهامات والعودة إلى الحالة العادية.

فانهيار الدولة في العراق وتطوّر المقاومة فيها، والنفور الإقليمي والدولي من نتائج هذه الحرب، وفشل ما سمي بالحرب على الإرهاب،

هذا المواطن بهوية ثقافية جامعة.

ويرى بشارة أن التطوّر التاريخي منذ العام 1967 وما أضيف إليه من عوامل إقليمية، وتدهور المشروع القومي إلى أيديولوجية تبريرية لأنظمة لا تطرح إلا مسألة بقائها في السلطة، دفع خصوم القومية العربية إلى إنكار وجود قومية عربية، ثم ضاق الهامش حتى بات كلّ من يعرف نفسه كعربي في نظرهم قومياً عربياً. وأن تكون عربياً لا يعني أن تجعل الانتماء إلى القومية أساساً للمواطنة، بل يعني أن العروبة أساس حق تقرير المصير وبناء الدولة، وانهلال المشروعات القطرية أدّى إلى تركيبات سكانية طائفية وعشائرية، وبات التشديد على العربية في وجه الطائفية والعشائرية موقفاً عربياً، أن تكون عربياً في أيامنا يعني أن تتخذ الهوية العربية نقيضاً لتسييس الهويات، وهذا يعني وفق مناهضي القومية العربية أن كلّ عربي عروبي.

هذا التبسيط يرفضه بشارة، ويرى أن معنى أن تكون عربياً يعني أن تعرف نفسك بأنك عربي في فضاء الانتماءات السياسية، لأن القومية العربية ليست أيديولوجية شاملة، بل انتماء ثقافي يدّعي العروبي أنه أصلح من الطائفة ومن العشيرة لتنظيم المجتمع، وأن تكون عربياً لا يعني أن تجعل الانتماء إلى القومية أساساً للمواطنة، بل يعني أن العروبة أساس حق تقرير المصير وبناء الدولة، ولأن الاستعمار أيضاً وإسرائيل قد اتّخذا موقفاً ضدّ العروبة هوية لشعوب المنطقة، وموقفاً ضدّ الاتحاد العربي، ومن السطو المسلح على فلسطين، فإن تكون عربياً في أيامنا يعني بالضرورة أن تدعم المقاومة.

المتغيرات الأميركية في نهاية مرحلة بوش

يقول عزمي بشارة إنه بعد نهاية الحرب

معنى أن تكون عربياً في نظر عزمي بشارة يعني أن تعرف نفسك بأنك عربي في فضاء الانتماءات السياسية، لأن القومية العربية ليست أيديولوجية شاملة، بل انتماء ثقافي أصلح من الطائفة ومن العشيرة لتنظيم المجتمع، وأن تكون عربياً لا يعني أن تجعل الانتماء إلى القومية أساساً للمواطنة، بل يعني أن العروبة أساس حق تقرير المصير وبناء الدولة..

الفلسطينية بعد ذلك في نظر منظمة التحرير الفلسطينية إلى الاعتراف الإسرائيلي والدولي بها ممثلاً للشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة العام 1967، وكانت الانتفاضات في نظرها أداة في سبيل ذلك، وليست أداة للتحرير. هذا الانتقال من الخارج إلى الداخل لم يؤدِّ إلى استراتيجية موحدة في الداخل، بل أدى إلى شرح لأنه انتهى إلى سلطة تحت الاحتلال، وإلى فقدان عناصر الوحدة الوطنية التي قامت عليها حركة التحرر الفلسطينية، وكان أخطر ما في الأمر أنه ليس تعددية في إطار حركة التحرر، بقدر ما كان انقساماً حول الاستراتيجية ذاتها. وما إن أصبح حلم حركة التحرر الفلسطينية هو اعتراف إسرائيل بها، حتى تحولت إلى طرف بين طرفين، أحدهما طرف افتراضي وهو دولة نظرية تسعى إلى أن تصبح دولة حقيقة، وفي هذه الأثناء خسرت عالم حركة التحرر، ولم تربح عالم الدولة، وأخطر ما في هذه المرحلة هو حالة الانحلال والارتباك القيمي والثقافي التي تنشهرها.

وتحدّي الوحدة الوطنية الفلسطينية اليوم هو تحدّي تحول الانقسام الجغرافي إلى انقسام سياسي، ولا بدّ أن تتضمن الوحدة الوطنية الاتفاق على إدارة المجتمع وبنائه، وإعادة بناء منظمة التحرير، وتنظيم المقاومة، والعمل السياسي في الخارج، وقد وقعت حركة التحرر الوطنية الفلسطينية في أخطاء تاريخية منذ تبنت فكرة الدولة الفلسطينية.

الكتاب: العقل العربي ومجتمع المعرفة
مظاهر الأزمة واقتراحات الحلول
الكاتب: نبيل علي
الناشر: سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت

أديا إلى خلاف قوي داخل أميركا، وإلى تعديل هذه السياسات لا إلى صحوه ضمير. أما القضية الفلسطينية فيرى الدكتور عزمي بشارة أنها تتقاطع في مسألتين خطيرتين، المسألة العربية من ناحية، وهي المسألة القومية الإقليمية الرئيسية التي تفرز تعقيدات لا حدّ لها من الصراعات بين وداخل البلدان العربية، وتستخدم فيها القضية الفلسطينية وسيلة وليس هدفاً، والمسألة اليهودية العالمية من ناحية أخرى، وهي المسألة التي صدرت وما زالت تصدر إلى منطقتنا من أوروبا، والتي تمنع رؤية قضية فلسطين كقضية كولونيالية، وتجعل إسرائيل جزءاً من أوروبا أو الغرب، حتى وهي خارجها في الشرق.

من هاتين المسألتين تتبع خصوصية تعقيد القضية الفلسطينية، ومن سخرية التاريخ أن العداء للسامية رفض اليهود كجزء من أوروبا، ولكي يقبلوا كجزء منها، كان عليهم أن يخرجوا منها.

هذا الانتقال من الخارج إلى الداخل

وفي العقدين الأخيرين جرى تغيير جذري في علاقة الدولة العربية مع فكرة وجود إسرائيل والتسوية، ومع فكرة مقاومة إسرائيل، فبعد إقبال آخر جبهة للمقاومة الفلسطينية في الخارج (الجبهة اللبنانية) انتقل مركز ثقل حركة التحرر الفلسطينية إلى الداخل، إلى الانتفاضات، وهذا الانتقال من الخارج إلى الداخل لم يؤدِّ إلى استراتيجية موحدة في الداخل، بل أدى إلى شرح لأنه انتهى إلى سلطة تحت الاحتلال، وإلى فقدان عناصر الوحدة الوطنية التي قامت عليها حركة التحرر الفلسطينية، ولم يكن هذا الانتقال مقصوداً كما يروج مؤيدو التسوية، بل كان قسرياً بعدما قمعت إسرائيل المقاومة من الخارج، لتختزل القضية

تحدّي الوحدة الفلسطينية اليوم في رأي عزمي بشارة هو تحدّي تحول الانقسام الجغرافي إلى انقسام سياسي، ولا بدّ أن تتضمن الوحدة الوطنية الاتفاق على إدارة المجتمع وبنائه وإعادة بناء منظمة التحرير وتنظيم المقاومة والعمل السياسي في الخارج، وقد وقعت حركة التحرر الوطنية الفلسطينية في أخطاء تاريخية مذ تبنت فكرة الدولة الفلسطينية..

اللغوي العربي إذ يقول: "تواجه اللغة العربية تحديات جساماً إزاء النقلة النوعية الحادة لمجتمع المعرفة، فقد فرضت عليها، مثل لغات العالم الأخرى، ضرورة تلبية مطالب هذا المجتمع الذي تمارس فيه اللغة دوراً محورياً، في الوقت الذي تعاني فيه العربية أزمة حادة: تنظيراً وتعليماً وتوظيفاً وتوثيقاً، وأظهر الإنترنت، سواء على صعيد البحث أم البث حدة هذه الأزمة الطاحنة التي ترسّخت حتى كادت تصبح عاهة حضارية شوهاء..".

ويعطي المؤلف في الجزء الثاني من كتابه أولوية للتفكير الخلاق في هذا المجال الذي يراه أساساً لعصر المعلوماتية الذي نعيشه، وأرجع غياب هذا النوع من التفكير لتخلف أنظمة التعليم، وطرقه السائدة البعيدة عن تخريج أجيال تتمتع بأنماط التفكير النقدي المبدع.

ويشير د. علي إلى أنّ نظم التعليم في البلدان العربية لا تزال تراوح مكانها في سفح "هرم بلوم"، حيث مهارة اكتساب المعرفة في حدودها الدنيا، هي غاية ما يحققه المتعلمون، بغض النظر عن كم المعلومات وتنوعها، ولا يتطلع القائمون على التعليم في البلدان المذكورة إلى قمة الهرم، حيث مهارة التقييم، وإصدار الأحكام، ولا حتى إلى ما هو دون ذلك من مهارات الفهم والتطبيق والتحليل. وهذا النمط من التعليم التلقيني موجود في المدارس على اختلاف درجاتها ومراحلها، وسائد في الجامعات العربية التي تهج بدورها نهج المدارس نفسها، وعن أنماط التلقين السائدة في الجامعات يقول الكاتب: "وحتى التعليم الجامعي الذي شمله هو الآخر داء التلقين، ما عاد يشغل نفسه بالتفكير، فلا يوجد في أي من جامعاتنا مقرر واحد للتفكير النقدي الذي قال عنه بعضهم: "إنّ مقررًا واحدًا لتدريس التفكير النقدي لأجدي نفعاً من أربع سنوات

في الجزء الثاني من كتاب العقل العربي ومجتمع المعرفة للدكتور نبيل علي عن سلسلة عالم المعرفة الكويتية، نعود مجدداً لتأمل مشكلات العقل العربي المعاصر، وأسباب تخلف العرب وتأخرهم عن ركب الحضارة المعاصرة.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول، الأول: التفكير النقدي، رؤية معلوماتية-عربية، ومنه تلك الشواهد السالفة، والفصل الثاني عنوانه: ثلاثية العقل، رؤية معلوماتية عربية، ويعرض فيه الكاتب لإمكانية دمج ثلاثة عقول في عقل واحد: العقل الإنساني، والعقل الآلي، والعقل الجمعي الذي يدمج العقليين الأول والثاني في عملية الاتصال والتواصل، ويشير إلى أنه كلما: "ارتقت التكنولوجيا وارتقت معها المجتمع أظهرت ثلاثية العقول خاصيتين مميزتين: أولاهما: "زيادة قابلية الاندماج فيها حتى تنصهر مكونة ما يمكن أن نطلق عليه عقلاً كلياً جامعاً، عقل مجتمع النعم، ذروة ارتقاء المجتمع الإنساني بعد أن يسمو متجاوزاً مجتمع ما بعد الصناعة، ومن بعده مجتمع المعلومات، فمجتمع المعرفة".

وثانيهما: "توجه نحو مزيد من التماثل البنائي والوظيفي ما بين العقول الثلاثة، ويرجع التماثل البنائي إلى الطابع الشبكي الكثيف الذي يميّز به العقل الإنساني أصلاً.. ويسعى إلى التحلي به كل من العقليين الآلي والجمعي.. أما التماثل الوظيفي فمرجه إلى أن العقول الثلاثة ترنو إلى تحقيق الهدف نفسه، وهو التصدي لتعقد الواقع".

في الفصل الثالث: "اللغة نهجاً معرفياً، رؤية معلوماتية عربية"، يتناول المؤلف اللغة باعتبارها.. "الوسيلة لإصلاح عقولنا، ولتنمية تفكيرنا ولزيادة إسهامنا في إنتاج المعرفة". ويتحدث في هذا الفصل عن اللغة والأدب، وعن اللغة والأدب والمعلوماتية، وعن فجوة العقل

يشير نبيل علي إلى أنّ نظم التعليم في البلدان العربية لا تزال تراوح مكانها حيث مهارة اكتساب المعرفة في حدودها الدنيا، هي غاية ما يحققه المتعلمون، بغض النظر عن كم المعلومات وتنوعها، ولا يتطلع القائمون على التعليم في بلداننا إلى قمة الهرم حيث مهارة التقييم وإصدار الأحكام ولا حتى إلى ما هو دون ذلك من مهارات الفهم والتطبيق والتحليل..

من التعليم الجامعي..“.

الاسترشاد بحكمة كونفوشيوس

قارن المؤلف بين عصرين تعليميين هما عصر الصناعة الذي اعتمد على التلقين لتخريج كوادر تلبيةً لحاجة أعمال محدّدة، وبين عصر المعلوماتية الذي يتطلب العناية بالملكات الشخصية التي تميّز المتعلّم عن غيره، و”.. التفكير، بلا جدال، يأتي على رأس قائمة هذه الملكات إضافة إلى أنه عامل أساسي في تنمية الملكات الأخرى..“.

ويضيف: ..”وعلى الرغم من ثبوت أهمية الدور الذي تمارسه المشاعر في حبّ العلم والتعلّم والنفور منها، مازال الجانب العاطفي في عملية التربية مجهولاً وغائباً أو مغيباً“، والمقصود بالجوانب العاطفية في ما نعرف، هو تعليم الفنون بأنواعها تلك الفنون التي تعتمد على الأنشطة التي تسهم في تفتيح مواهب الشخصية وتمييزها عن غيرها وتتميّ فرادتها وتقوّ وجودها في الحياة. فالرسم والموسيقى والمسرح والرياضة والقراءة والكتابة المستقلة عن المناهج، وغير ذلك من الفنون التي لا يعيرها التعليم العربي اليوم أيّ اهتمام، لا تدخل في حساب الدرجات النهائية، وبالتالي لا يجري الاهتمام بها ولا بالكوادر التي تساعد على تنميتها.

وعن أهمية التفكير استرشد المؤلف بحكمة كونفوشيوس عن التعليم قاعدةً وأساساً، التي يقول فيها: ”تعليم بلا تفكير جهد ضائع، وتفكير بلا تعليم أمر محفوف بالمخاطر“. ويضيف: ”.. و الإنسان مبدع بالفطرة، والتحدّي الحقيقي هو في إيجاد الطرق العملية لتفجير هذه الطاقة الكامنة في عقولنا، وكيف نرعاها في طفولة نشأتها، ونداوم على تنميتها على مدى مراحل عمرنا“.

حتى التعليم الجامعي شمله هو الآخر داء التلقين.. فما عاد المعنيّ به يشغل نفسه بالتفكير وبات لا يوجد في أيّ من جامعاتنا مقرّر واحد للتفكير النقدي الذي قال عنه بعضهم إن مقرراً واحداً لتدريس التفكير النقدي لأجدي نفعاً من أربع سنوات من التعليم الجامعي..

ويستعرض نبيل علي مجموعة الكوابح التي يتصدّرها تهميش الثقافة كنتيجة طبيعية لعولمة ذات تمركز اقتصادي طاع، وتخلّف الفكر السياسي على مختلف المستويات، إلى جانب التهميش والتخلّف الناجمين عن غياب البصيرة الرشيدة، وتخلّف الفكر الاقتصادي، وقصور الرؤية الإنسانية الشاملة.

وما يراه مؤلّف الكتاب في حركة التطوّر الإنساني من دفع وكبح، يراه في حركة التطوّر العربي في تعاطيها مع العولمة، فقد تراوحت ردود الفعل العربية إزاءها بين القبول والرفض، وهناك من يرى ضرورة التسليم بها، بصفتها مرحلة تاريخية حتمية في مسار تطوّر المجتمع الإنساني، بل يتوسّم بها خيراً من أجل إشاعة الديمقراطية، وضمان حقوق الإنسان، والإسراع في حركة التنمية الاجتماعية، وتوطين التكنولوجيا في البلدان العربية.

وعلى النقيض من ذلك هناك من يرفض العولمة، والأسس كلّها التي قامت عليها، ويرى العولمة شراً، وتغريباً يهدّد الهوية القومية، بين هذين الموقفين المتناقضين إزاء العولمة هناك مواقف توفيقية يتبنّاها أقطاب من أصحاب الفكر الماركسي، وآخرون من المعسكر الليبرالي، تدعو إلى الإنسلاخ الانتقائي، القائم على رفض العولمة أساساً مع انتقاء مزاياها، أو الاندماج العذر، وخصوصاً في ما يتعلق بالهيمنة السياسية.

الكتاب: تصدّع العقل العربي المعاصر

الصدّام الصاعق مع الحداثة

الكاتب: كميل الحاج

الناشر: دار الحداثة - بيروت

يحلّق الكاتب كميل الحاج بالقارئ في كتابه تصدّع العقل العربي المعاصر أو الصدّام

1967 إلى 2007 ، قدّم من خلاله مشهداً واسعاً يشمل ميادين الفكر العربي في العقود الأربعة الأخيرة، وجذورها التراثية، الصالح منه أو ما تمت مقاطعته.

ويرجع في الباب الأول إلى أسئلة المعرفة عند «التيار النصّي»، وتحت عنوان «المسألة المعرفية» يقف أمام الأسئلة المعرفية الإسلامية الأولى، والجدال الذي صاحب قيام الدعوة الإسلامية، ونشوء علم الكلام، والاجتهادات والأحكام الفقهية التي تزامنت معه، وحتى الوقت الحالي، ويوسّع المدى للسؤال المعرفي عند «التيار العقلي»، مستعرضاً السجلات التي دارت حول المعرفة العقلية وغير العقلية، واحتلت مكانة لا يستهان بها في التاريخ العربي الإسلامي، من المعتزلة إلى عصر النهضة، وناقش «الاتجاه التأويلي أو القراءات المضادة للنص»، عبر أهم الذين اشتغلوا بهذا التأويل، مثل محمد أركون، ومحمد شحرور، ونصر حامد أبو زيد، وحسن حنفي، وغيرهم ممن شاركوا في المعترك.

العقل العربي.. "إمّا، أو"

وصفّ الكتاب المفكرين وفرضهم وفق المعيار الإبيستمولوجي وخلص إلى أنّ: "كلّ من يؤمن بالنصّ الديني وبمرجعياته وبأولوياته في المعرفة والثقافة والسياسة، هو حكماً داخل تيار فكريّ واحد، سمّيته التيار النصّي (نسبة إلى النصّ الديني)، وكلّ مفكّر يقول بأولوية العقل على النصّ، ويعده مرجعيته الأولى في المعرفة والسياسة والثقافة والاجتماع هو حتماً داخل تيار فكريّ واحد، سمّيته التيار العقلي (نسبة إلى العقل)"، ويضيف الحاج: "أصبحت كلّ اتجاهات الفكر الإسلامي: سلفي، أصولي، إصلاحي، في جهة واحدة، ومن ضمن فريق واحد. وفي المقابل، أصبحت كلّ اتجاهات الفكر الليبرالي، القومي، الماركسي، من جهة ثانية،

الصاعق مع الحداثة: في "الواقع المعرفي والسياسي والثقافي والحضاري العربي"، خلف تساؤلات حيوية وراهنّة حول العقل العربي المعاصر، وينقب في رسوبيات الفكر العربي، بأسئلة مهمة جداً: لماذا ينقسم العقل العربي المعاصر إلى نصفين متباذلين لكلّ منهما مرجعيته الحضارية وزمنه الثقافي المختلف؟ النصف الأول حداثي (علماني)، والآخر إسلامي (سلفي)، ولماذا تعيش المجتمعات العربية في حالة انفصام دائمة بين حاضر تعيشه، وماضٍ ذهبي تريد العودة إليه؟ ولماذا بقي العرب غرباء عن الحداثة؟ فعلى الرغم من مضيّ قرن ونصف القرن على انطلاق بواكير النهضة في القرن التاسع عشر، لا نزال على الأعتاب، نجتّر إخفاقاتنا، ونلحق خبيتنا الأليمة، ونعصّ أنامل الندم، ونسأّل بخجل عن الرؤية التي يجب أن ننتهجها لكي نتقدّم، وتحاصرنا إشكاليات التقدّم والحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والتنمية ومكانة المرأة، وغيرها من قضايا الجوهريّة التي ازدادت تعقيداً بمرور العقود، وانطفاء الأحلام تدريجياً.

ويستفسر المؤلّف عن "النموذج الحضاري" الذي يمكن أن يساعدنا في اللحاق بالعصر، ويسأل بوضوح جارج عن أسباب تخلف المجتمعات العربية الإسلامية حضارياً حتى الآن، ومخاصمتها للحداثة بمعناها الواسع.

قسم الحاج كتابه إلى أبواب أربعة تتناول تباعاً "المسألة المعرفية"، وهي تتضمّن قراءات تأويلية جديدة للنصّ الديني، و"المسألة الثقافية" التي تتضمّن إشكاليّة التراث والحداثة، و"المسألة السياسية" التي تتضمّن الإسلام والسياسة، والإسلام والديمقراطية، و"المسألة الحضارية" التي تتضمّن التقدّم والنهوض. ثم حاول التوصل إلى مخرج هذه الإشكاليات ببحث نقدي رصين عن الفترة من

ومن ضمن فريق واحد“.

ولا يزال العقل العربي في رأي المؤلف يخضع لعملية تجاذب عنيفة بين رؤيتين للعالم: الأولى دينية لاهوتية، والثانية حداثة علمية وعلمانية وتجد مرجعيتها المعرفية في كل ما أنتجه العقل الغربي.

لذا رصد **كميل الحاج** في الباب الثاني “المسألة الثقافية” جهود بعض المفكرين العرب في التراث والتجديد، فاستعرض آراء ورؤى **عبدالله العروي، وناصيف نصار، وأدونيس، ومحمد عابد الجابري، وحسن حنفي، وفهمي جدعان، وعزيز العظمة، وصادق جلال العظم، وفؤاد زكريا**، في ما يتعلق بالتعاطي مع الحداثة. وفي بابه الثالث “المسألة السياسية” أظهر اهتماماً كبيراً بمسألة الدين والسياسة، وقضية الدولة في الإسلام وما تثيره من سجلات مؤيدة لوحدة الدولة والدين، أو الداعين لدولة ديموقراطية مثل النموذج الغربي، وأجرى جردة موسعة للنقاش الذي اندلع في السابق وما زال متواصلاً للآن، منه كتابات **حسن الترابي، وناصر، وسيد قطب، ويوسف القرضاوي، ومحمد مهدي شمس الدين، وفهمي هويدي**، وآخرون أسهموا في هذا الميدان.

وعرض **الحاج** في الباب الرابع “المسألة الحضارية” لقضية التخلف العربي وكيفية الخروج من مستنقعهِ إلى براح التقدم، واستعرض الشروط الموضوعية والذاتية لدخول العرب في العصر الحديث واكتساب مقومات الحضرة، وناقش الحداثة والهوية من وجهة نظر مستتيرين كبار، مثل **مالك بن نبي وطارق البشري وأحمد كمال أبوالمجد وهشام شرابي ونديم البيطار**، ولم يهمل الرؤية السلفية المضادة لهم.

نتيجة لهذا الاستقطاب الحاد، بات العقل العربي المعاصر يعمل وفق منطق: «إما، أو»

Either or أو ما يُعرف بـ “التفكير بالمجموع صفر” zero-sum thinking، ما يعدّه الفريق الأول سبباً في التقدّم، يعدّه الثاني علّة الانحطاط والانحلال، وما ينظر إليه الثاني أساساً للانطلاق والانبعاث، يراه الفريق الأول عقبة أمام أي نوع من أنواع التغيير الإيجابي، فأصبحنا أمام «عقلين عربيّين» يعملان في اتجاهين متعاكسين أو أمام «رؤيتين للعالم»، كل واحدة منهما تدين الأخرى وترفضها.

وعلى الرغم من تحليلات الكاتب الواسعة في الماضي لقراءته في ضوء الحاضر، إلا أنه حصر بحثه في أربعة عقود من 1967 إلى 2007. فـ 1967 كان عام النكسة العربية العسكرية، لكنها كانت هزيمة للمشروع النهضوي العربي الذي تبلور من أواخر القرن التاسع عشر، ووصل ذروته مع التحرّر من الاستعمار واستقلال الأقطار العربية، وتعلقها بمشروع نهضوي متكامل، كانت أبرز ملامحه استكمال التحرّر الوطني من الاستعمار واستعادة الأراضي المحتلة في **فلسطين**، وبناء دولة العدالة الاجتماعية وتحسين الوضع الاقتصادي والمعيشي للمواطن العربي، وبناء دولة القانون والمساواة بين المواطنين أمام القانون، وتحقيق الديمقراطية والحق في التعبير الحرّ عن الرأي، وجاءت النكسة لتكشف خواء الشعارات التي وعدت بها الشعوب العربية، وأظهرت بجلاء ادّعاءات الأنظمة، فكانت الهزيمة في حقيقتها إعلاناً فاقعاً لفشل المشروع النهضوي، وعجزه حتى عن الوفاء بالحد الأدنى من الوعود.

وبهذا المعنى نظر **كميل الحاج** إلى الهزيمة بوصفها هزيمة عسكرية وسياسية وثقافية وحضارية، فقد شكّلت منعطفاً في التاريخ العربي الحديث، وباتت فارقة تاريخياً لما قبلها وما بعدها، بل إن الأحداث الجارية منذ أربعة عقود حتى اليوم تصعب قراءتها بمعزل عن

لا يزال العقل العربي في رأي كميل الحاج يخضع لعملية تجاذب عنيفة بين رؤيتين للعالم: الأولى دينية لاهوتية والثانية حداثة علمانية تجد مرجعيتها المعرفية في كل ما أنتجه العقل الغربي..

دنيوية، فهذه كلها أمور مختلفة تماماً. وهذا الاستخدام لمصطلح النظرة إلى العالم غير معتاد، وهذا له سببان: الأول هو طبيعة المصطلحات ذاتها، فكل مصطلح يكون محملاً باستخداماته الشائعة، فحينما يستخدم هذا المصطلح يستدعي إلى الذهن مباشرة نظرة فلسفية حضارية معينة إلى العالم، والسبب الثاني هو اعتيادنا على استخدام مثل هذا المصطلح في إطار الموضوعات الثقافية والاجتماعية، وربما الدينية، ولأننا هنا نستخدمه في إطار قضية العلم، فهل يبدو استخداماً غير معتاداً؟

ولكننا إذا نظرنا إلى هذا المصطلح بشكل محايد، خالياً من حمولته المترسبة في أذهاننا، سنجد أننا يمكننا استخدامه في موضوعات عديدة شديدة التنوع. فمن ناحية، يرتبط مفهوم النظرة إلى العالم بالمجتمع الذي تنشأ فيه هذه النظرة، فهي نظرة "مجتمع معين" إلى العالم. ومن ناحية أخرى، ليس العلم في نهاية الأمر سوى نظرة إلى العالم، فإذا أردنا أن نطرح قضية تحوّل المجتمع، أيّ مجتمع، إلى حالة المجتمع العلمي، أي تأسيس العلم في المجتمع، فيكون من الأمور الضرورية ألا يوجد تناقض بين هاتين النظرتين، وهذا أمر بديهي ويشبه المنطق البسيط.

فإذا كان هناك اختلاف بين النظرتين، أصبح من اللازم أن يحدث تغيير في إحدى هاتين النظرتين، أو في كليتهما، حتى ينتفي هذا التناقض ويتحقق الاتساق بينهما. فاستخدامنا لمفهوم النظرة العربية ليس بالمعنى الحضاري القومي، وإنما بالمعنى المجتمعي. وفي هذا المعنى يكون لكل مجتمع نظرة إلى العالم، وتكون نظرتة إلى العالم هي المحدّد النهائي لما يمكن أن يتأسس في المجتمع، ويتحقق في أرض الواقع، وما لا يمكن أن يتأسس أو يتحقق فيه.

آثار الهزيمة على كلّ المستويات، لذا يمكن القول إن العام 2007 الذي ختم به الكاتب لا يشكّل قطيعة مع العقود الأربعة الماضية بمقدار ما يعلن تواصل واستمرار الهزيمة التي ألقت بظلالها الكثيفة على العقل العربي.

الكتاب: العلم والنظرة العربية إلى العالم.. التجربة العربية والتأسيس العلمي للنهضة

الكاتب: سمير أبو زيد

الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت

في استهلال كتابه "العلم والنظرة العربية إلى العالم" تساءل الدكتور سمير أبو زيد: هل هناك حقاً نظرة عربية إلى العالم؟ إذا اعتبرنا أن هناك ما يمكن أن نسميه "الفكر العربي" والمجتمعات العربية، كما هي الحال في ما يخصّ الفكر الأوروبي والمجتمعات الأوروبية، مثلاً، ولم يتحلّل أو ينقرض هذا الفكر بعد، فالإجابة هي نعم، هناك ما يمكن أن نسميه "النظرة العربية إلى العالم". وهذه الإجابة تركز على تصور بديهي، هو أن كلّ إنسان، وكلّ مجتمع، يمتلك نظرة إلى العالم، ووجود هذه النظرة، وغالباً بشكل واع، هو الذي يبرّر افتراضنا وحدة سلوك هذا المجتمع وتصرفاته.

ويضيف أبو زيد: "والفرد العربي، والمجتمعات العربية، مثلها مثل أيّ فرد أو مجتمع آخر، يمتلكان وجهة نظر تجاه العالم، تقبّع بشكل طبيعي على مستوى اللا شعور، وتؤدّي إلى نوع من الوحدة في السلوك والتصرف سواء على المستوى الفردي أم المستوى الجماعي. ووجود هذه النظرية أمر بديهي، إما أن تتسم هذه بمستوى معين من العقلانية أو اللاعقلانية، أو أن تكون على درجة معينة من البساطة أو التعقيد، أو أن تكون مرتكزة على أسس دينية أو

يخطئ في فهم الموضوع معتبراً أن الحديث هو عن العلم بالمعنى التقني أو التخصصي، وهو خطأ ناجم عن النظرة الميكانيكية السائدة حالياً التي تعتمد النظرة التجزيئية الرديّة. ولكن الحقيقة هي أن النظرة العلمية جزء من النظرة الحضارية للمجتمع، وبالتالي هي جزء أساسي، إن لم تكن الجزء الأساسي، في فكر النهضة.

وترتب عن ذلك أن نظر البعض إلى قضية التأسيس العلمي باعتبارها قضية تتعارض مع الاعتماد على الفكر الديني الصحيح والفكر العقلي الفلسفي الصحيح، كنتيجة للنظرة التجزيئية السائدة نفسها. والحقيقة أيضاً هي أن طرحنا لقضية التأسيس العلمي هو في إطار علاقة الاتساق الصحيحة بينه وبين كل الفكر الديني والفلسفي العربي المعاصر، فليس التأسيس العلمي في المجتمعات العربية بديلاً من قضية التجديد الديني، أو قضية تحقيق الاستقلال الفلسفي في هذه المجتمعات.

ويرى أبو زيد أن "الاتساق" كمفهوم جوهري في "النظرة إلى العالم"، كان سبب نجاح الحضارة العربية الإسلامية القديمة وانتشارها في العالم القديم، بسبب "الاتساق" مع الذات ومع العالم.

ويقترح اعتماد نموذج من التراث لتحقيق القضية المطروحة وهي "العلاقة بين النظرة العربية والعلوم"، على أن يتمّ هذا النموذج بثلاث سمات: بأن يكون نموذجاً علمياً، وأن يعتمد المفهوم الاحتمالي للاستقراء، وأن يعتمد عدم الفصل الكامل بين الذات والموضوع. والتطبيق الذي يطرحه باعتباره نموذجاً، هو منهج "الفصل/الوصل" عند عبد القاهر الجرجاني، القائم على ثلاث خطوات أساسية: (1) إنشاء كل من القضية الدينية والقضية العلمية في مجالها بشكل كامل؛ (2)

بهذا المعنى يكون لهذه القضية شقان، العلم، ونظرة المجتمع إلى العالم. ولذلك تحتاج معالجة هذه القضية إلى صياغة ماهية العلم الذي نأمل في تأسيسه في المجتمع، من جانب، وإلى صياغة ماهية النظرة إلى العالم التي يمتلكها المجتمع، وإنشاء علاقة هذه النظرة بالعلم، من جانب آخر.

وعملية التأسيس العلمي ليست قضية خاصة بالمجتمعات العربية فقط، وإنما هي قضية إنسانية عامة، تمثل مرحلة أساسية من مراحل التطور في أي حضارة.

قضية التأسيس العلمي

يستطرد سمير أبو زيد في شرح رؤيته بقوله: "فإذا قمنا باستخلاص هذه الشروط من التجربة الأوروبية، باعتبارها تجربة إنسانية، سوف يكون من الممكن أن نبث عملية التأسيس العلمي في مجتمعاتنا العربية المعاصرة على أساس صحيح، وأن نحدّد النقص الذي أدى إلى فشل عملية التحول إلى العلمية عبر حوالى قرن ونصف القرن من محاولات النهضة والتحديث، كما يمكن أن نحدّد الشروط الصحيحة اللازم تحقيقها حتى تنجح محاولاتنا الراهنة لتحقيق الهدف نفسه.

لذلك فمفهومنا للعلم الذي نطمح لتأسيسه في مجتمعاتنا العربية هو الفكر العلمي المعاصر (أو التصورات العلمية الجديدة)، الذي يمثل مستوى أكثر شمولاً وتعقيداً من العلم الحديث. وفي هذا العمل نطرح تصورنا للجانب الثاني من القضية، وهو طبيعة النظرة إلى العالم التي يمتلكها الفرد وتمتلكها المجتمعات العربية وطبيعة الجانب المعرفي فيها وتأسيس علاقتها بالعلم في مفهومه المعاصر.

وعلى الرغم من أن القضية واضحة، وهي التأسيس العلمي للنهضة العربية، إلا أن البعض

يرى سمير أبو زيد أن مفهومنا للعلم الذي نطمح لتأسيسه في مجتمعاتنا العربية هو الفكر العلمي المعاصر الذي يمثل مستوى أكثر شمولاً وتعقيداً من العلم الحديث... وعليه فإن النظرة العلمية هي جزء من النظرة الحضارية للمجتمع وبالتالي هي جزء أساسي إن لم تكن الجزء الأساسي منها.. إنها بمثابة فكر النهضة..

فارس واليونان والصين.

يبين الباحث العراقي الفروقات اللغوية بين الطاغية والمستبد. فالطاغية هو "مَن تجاوز حدود الاستقامة، وأسرف في المعاصي والظلم والقهر". أما المستبد فهو "مَن تفرّد برأيه واستقل". وسيجتمع المصطلحان في العصر الحديث بمفردة واحدة هي الديكتاتور صاحب السلطة المطلقة. أفلاطون أول من سعى إلى تشريح صفات الطاغية وميوله ورغباته ليصل إلى نتيجة مفادها أن الدولة التي يحكمها طاغية لا يمكن أن تكون حرة بل مستعبدة. وهو ما يشير إليه فلاسفة ومفكرون أمثال أرسطو، ومونتسكيو، وجمال الدين الأفغاني، وروسو، وكانط، وهيغل، في أطروحات متشابهة تنبذ العسف السياسي وتعري الطاغية من زيّه الديني، كما تعيد المجتمع من صفة القطيع إلى حال المواطنة.

لكن هل الطغيان صفة للشرق؟ هذا ما يؤكده الكتاب وهو يقتضي أثر الطغاة تاريخياً. فالاستبداد الشرقي بات مصطلحاً متداولاً، نظراً إلى تناسل النماذج وحال الاستسلام للحاكم تحت وطأة القوة والبطش، والمفهوم القبلي والديني للسلطة. ويرى بعضهم أن عبودية الشرق ناتجة من انعدام الوعي الذاتي للفرد، وهذا ما يفسره المفكر الألماني كارل أوغست فيتفوجل حين يقول "السلطة المستبدة لا تقوى على أن ترى وجود سلطات فاعلة إلى جانبها، فتعوق نمو أي سلطة أخرى عبر التخويف والعقاب. ولهذا نظرت حكومات الاستبداد الشرقي إلى العقاب على أنه الوسيلة الجوهرية لنجاح الدولة في إدارة شؤونها".

التدمير الإجباري للخيال

وباستقرار الخلافة الإسلامية في العهد الأموي وما تلاه، كان السيف هو الحكم في تثبيت

والفصل بينهما بحسب مجال كلّ منهما؛ (3) وإنشاء رابطة بين القضيتين، وهي علاقة التدرج في القدرة اللغوية بلا حدود. واعتماد منهج "الفصل/الوصل"، إضافة للإسهام الإيجابي في صياغة النموذج العلمي الجديد، والعمل على صياغة قوانين الطبيعة في كلّ مستوياتها، كلّ ذلك يفضي في النهاية إلى تقديم حلّ لمشكلة العلوم الإنسانية، وتأسيسها من جديد.

الكتاب: هندسة الطاغية

الكاتب: بدر خضر

الناشر: دار نينوى- دمشق

افتتح الكاتب بدر خضر كتابه المشوق "هندسة الطاغية" بسؤال ضروري: "هل الاستبداد صفة ملازمة للشرق؟ وحاول تقصي أثر الطغاة تاريخياً منذ أوثينا وإسبارطة وروما، متسائلاً عن سرّ تجذّر قانونهم الديني والإلهي في هذه البقعة المسحوقة من العالم، العالم العربي المنكوب بهم .

وطرح سؤالاً موازياً وملازماً: هل الاستبداد ظاهرة إنسانية أو قدر إلهي؟ ورحلة البحث عن إجابة لهذه السئلة الحائرة ربما ترسم ملامح الاستبداد والطغيان، منذ تشكّلاتهما الأولى في التاريخ، بدءاً من بلاد الرافدين، إذ تشير الرّقم البابلية إلى دور الآلهة في الإمساك بخيوط اللعبة التاريخية في ثنائية الراعي والرعية، أو السيد والعبد. وإذا بها تمتدّ لتطال كلّ الحضارات القديمة بمعايير وقوانين مستنسخة في معنى الطاعة والخضوع. ولعلّ إشارة عبد الرحمن الكواكبي في طبائع الاستبداد: "ما من مستبدّ سياسي إلا ويتخذ لنفسه صفة قدسية يشارك بها الله"، وتختزل تاريخ البشرية وتعاقب الطغاة من مصر الفرعونية إلى بلاد

الكتاب: المثقف: مداخل التعريف

والأدوار

الكاتب: زكي العليو

الناشر: الانتشار العربي - بيروت

يذهب المؤلف زكي العليو في كتابه "المثقف- مداخل التعريف والأدوار" إلى "أن إحدى المسائل المهمة التي يحتاجها كل من المثقف والمجتمع في المرحلة الراهنة هي إعادة النظر في تعريف المثقف ودوره، باعتبار أن المثقف كائن تعرض للتغيرات والتحولات مفهوماً ووجوداً، فهو ليس بمنأى عن ذلك. ولأنه كثيراً ما اشتغل على الأفكار والقضايا، كما اشتغل على المجتمع والسياسة والدين، ولم يشغل كثيراً على نفسه، فإنه بحاجة ضرورية لتقبل نقد الآخرين له، ولیمارس هو النقد الذاتي لنفسه، وأن يكون موضوعاً للنقد كما يمارسه هو، لیبقي فاعلاً اجتماعياً وصاحب دور تنويري".

ويضيف: "لا يمكن لمثقف حقيقي أن ينطلق من موضوعة مقدسة، إن البناء على مقدس يؤدي إلى رؤية مبسرة للإنسان، ولا يمكن ليقيني الخاص أن يدعوني إلى الإنصاف والعدل والمساواة والإنسانية بمفهومها الشامل، وأني انحياز عقدي لمبدأ سماوي مهما كان نبيلاً يعني الانحياز لفئة دون فئة، ونمط دون نمط، ولمرحلة دون مرحلة، ولثقافة دون أخرى، وهذا الانحياز فضيلته الوحيدة في الاستقرار والسكون، حتى لو كان على محمل من الإجحاف المستمر.

وأيضاً في رأي المؤلف لا يمكن الدمج بين خطاب ثقافي وخطاب فقهي إلا عبر تلفيقات وتحايلات. صحيح أننا جميعاً نضطر إلى التوفيق (وهو شكل مجمل من التلفيق)، لكن في المحصلة تكمن أهمية هذا التوفيق في كونه مرحلة متقدمة على الحالة الدوغمائية

أركان سلطة الحاكم، وهناك عشرات الخطب التي قامت على التهديد والوعيد للرعية. ستحضرنا منها خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي بوصفه طاغية نموذجياً في سفك الدماء وقطع الرؤوس، وصاحب المقولة الشهيرة "إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها"، ولن يشدّ عنه المعزّ الدين الله الفاطمي عندما دخل القاهرة وخطب في الناس، وحين سأله عن حسبه ونسبه، أخرج من جيبه حفنة من الدنانير ونثرها فوق رؤوسهم قائلاً: "هذا حسبي". ثم أخرج سيفه من غمده وقال "هذا نسبي". المال والقوة إذاً، هما جناحا الطاغية الشرقي لتثبيت أركان حكمه، إضافة إلى قاض يصدر الفتاوى تبعاً لهوى الحاكم. في العهد العباسي، كان الناس يعتقدون بتأثير الفتاوى والخوف من المواجهة أو التمرد أنه إذا قُتل الخليفة "اختلّ نظام الكون، واحتجبت الشمس، وامتنع المطر، وجفّ النبات"، وهكذا بات قانون الطاعة مدخلاً إلى تكريس العبودية وسحق تطلعات الفرد في أنشينا وإسبارطة وروما على السواء، ليستقرّ هذا القانون الديني والإلهي أخيراً، في الشرق، من دون أن يغادر هذه الخريطة المسحوقة تحت وطأة الطغاة إلى اليوم.

والإذعان هو الوصفة السحرية للطغاة، وذلك بالتدمير الإجباري للخيال، واستئصال كل توق إلى الحرية عبر التعذيب والتككيل ونشر الفساد في الدولة، وإحباط ثقافة المقاومة، وتقنيت البنى الداخلية للمجتمع، هذه بعض الملامح الثقافية والسيكولوجية للفرد في مجتمع القهر التي يراها الكاتب نزعة أساسية في نشأة الدولة السلطوية وصورة للذهنية المقهورة المتمثلة في الانفعالية والذاتية وانعدام اليقين، وقصور الفكر النقدي، وتشويه الإنسان واستباحة كرامته وحرية، كمحصلة تراكمية لعصور الانحطاط وحكم الطغاة.

يبيّن الباحث العراقي بدر خضر الفروقات اللغوية بين الطاغية والمستبد.. فالطاغية هو من تجاوز حدود الاستقامة، وأسرف في المعاصي والظلم والقهر.. أما المستبد فهو من تفرّد برأيه واستقل، وسيجتمع المصطلحان في العصر الحديث بمفردة واحدة هي الديكتاتور صاحب السلطة المطلقة..

من النوع الجدلي، بمعنى أن كلا منهما يؤثر في الآخر، فليست العلاقة بين المثقف والمجتمع علاقة عامل مستقل وعامل تابع كما هي في علم الرياضيات، ولتوضيح ذلك يقول المؤلف: "باعتبار أن المثقف نتاج مجتمعه لأنه فرد في مجتمع، فالمثقف يتأثر بما يحمل المجتمع من قيم سلبية أو إيجابية وبما يوجد فيه من تعقيدات، فالمفترض في المثقف الوقوف موقفاً سلبياً أمام القيم السلبية في المجتمع ونقدها والاعتراض عليها ومحاولة تغييرها، كما المفترض من المثقف الوقوف موقفاً إيجابياً من القيم الإيجابية لنشرها والعمل من خلالها على ألا تتحول هذه القيم كسلطة تفرض اتجاهها واحداً يصب في صالحها وتعارض مناقشتها. فمتى نجح المثقف في مواجهة سلبيات المجتمع استطاع التأثير على المجتمع وإحداث تغييرات في مساراته، فالذي يعيق التغييرات في المجتمع هي هذه السلبيات فمتى زالت تغير المجتمع.

وهناك مجالات متعددة لتناول علاقات المثقف المتعددة بالسلطة أو بالسياسة أو بأنظمة الحكم، ولكن ما سيتّم التركيز عليه من قبل المؤلف هو السلطة السياسية الحاكمة، فقد تكون السلطة أوسع من السلطة السياسية حيث السلطة الاجتماعية والسلطة الدينية والسلطة الإعلامية، وقد تكون السياسة أوسع من السياسة النظرية حيث السياسة العملية، ويمكن أن يأخذ حديث السلطة السياسية أنحاء عدة.

ويرى **زكي العليو** أنه في الواقع العربي: "من الصعوبة خروج المثقف عن سيطرة السلطة السياسية الحاكمة التي استحوذت على المجتمع بعدما استحوذت على الدولة التي تغولت بدورها في المجتمع وأضعفت كل المؤسسات الاجتماعية فيه، بمعنى أن المساحات التي يستطيع المثقف الاستقلال داخلها من دون أن يكون هناك

الرافضة، وفي حوارات سابقة وطويلة بيني وبين أحد الأخوة الأكارم والكلام للمؤلف **زكي العليو** كان يحاول جهده رفع سيف **ديموقليس** في وجهي، بينما كنت أجتهد ليدرك أن لي الحق أن أحضر مثله في المشهد الحياتي، وأنا أعذره حقيقة لأن ما يؤمن به من مقدس نشأ في ظل رفض الاختلاف، والصراع من أجل سدة الهيمنة الشاملة.

على أي حال أنا لا أعول على الخطاب الثقافي فهو مرهون بخصوصياته ومحليته ومستواه العلمي ونظامه المعرفي، ما أعول عليه هو الارتقاء المستمر والشامل في مسائل فهم بنية الإنسان وتكونه. أي الخطاب الإنساني الذي يبنى على فهم المختلف.

كل منهما يؤثر في الآخر

يضيف الكاتب: "اليوم إذ يرتدي الفقيه ثوب المثقف، فإنه يصادر هذا الدور ليشوّهه وليخرجه من فعاليته وأهميته، بل ليمسّحه ويقطع دابره قبل أن يشكّل ذهنية جماعية تتحلل من التزاماتها المقدسة تجاه الطبقة الإكليروسية الهيمنة على المعنى والتفسير، والتي تتكفل بمواجهة أي تأويل. وأي معرفة تحدّها مسائل اليقين، هي نافضة وممسوخة، وغير منتجة لحالة سوية.

وينتهي المؤلف إلى أن: "هناك الكثير من الأفراد يوضعون تحت مقولة المثقف، ومع هذا لا يمكن النظر إليهم على أنهم كتلة واحدة متجانسة، حيث الاختلافات الكثيرة الموجودة بينهم، الجوهرية والعرضية، الذي يصبّ تعريفهم بتعريف موحد ودقيق. وفي رأي المؤلف، أن أحد الاختلافات الموجودة بين المثقفين هو اختلافهم على تحديد من هو المثقف؟ فبين المثقفين يكثر النقاش حول من المثقف؟ وتتسم العلاقة بين المثقف والمجتمع بأنها

التي تلقاها من الله تعالى بالوحي الذي نزل به جبريل.

وثاني أقواله "الديانات الثلاث واحدة بثلاثة تجليات"، عبر الزمان الممتد بعد النبي إبراهيم الملقب بأبي الأنبياء في الإسلام، وهو جد عيسى في المسيحية، فكانت نتيجة المسيرة الطويلة تلك التجليات الثلاثة الكبرى في الديانات التي يحفل كل منها بصيغ اعتقادية متعددة، تسمى المذاهب والفرق والنحل والطوائف.

وفي قوله الثالث "فحوى مقارنة الأديان" أكد زيدان أن كتابه ليس بحثاً في مقارنة الأديان بالمعنى المعروف، ولا هو العلم الذي يقارن بين الأديان، ويرصد أوجه الاختلاف والاتفاق بين ديانتين أو أكثر، بحسب عدد الديانات التي يتعرض لها في متونه.

والقول الرابع "الالتزام بالمنهج" الذي يؤكد زيدان انطلاقه منه، تجرداً من الميول والمعتقدات الدينية والمذهبية، والوصول إلى الموضوعية في تفسير الظواهر الدينية، وفي قوله الخامس قدم فرضيات عدة، منها أن التراث العربي الإسلامي لا يمكن فهمه من دون نظرة متمقة في أصوله. والقول السادس عن تداخل الدوائر ويعني بها زيدان أن التراثات المتزامنة والمتعاقبة دوائر متفاوتة المساحة بحسب ما أعطاه التراث لأهل زمانه، وللإنسانية بعامه، فهذه الدوائر قد تتماس أو تتداخل وفقاً للظروف.

وقوله السابع عن ضبط المفردات ويوضح فيه أن ثمة اصطلاحات وألفاظاً وتسميات سيستخدمها كثيراً في هذا الكتاب، ولطالما استخدمها الباحثون من قبل حتى بهت معناها الأول من فرط تكرارها، ومن الضروري النظر بعمق في دلالاتها، لتضبط وتتحدد بدقة تجنباً للتشويش الدلالي، وغموض الكتابات التي تناولت

تأثير للسلطة السياسية على هذه المساحات قليلة جداً. فعندما يحاول المثقف التأثير على السياسي أو المشاركة السياسية تتكون نماذج عدة لعلاقة المثقف بالسياسي، منها ان تكون طبيعة بين المثقف والسياسي أو تحالف بينهما.

ثانياً: كتب في قضايا الدين والعقائد والطوائف

الكتاب: اللاهوت العربي وأصول العنف الديني

الكاتب: يوسف زيدان

الناشر: دار الشروق للطبع والنشر- القاهرة

صدر الكاتب يوسف زيدان كتابه المثير للجدل: "اللاهوت العربي وأصول العنف" بعبارة عاتبة جادة هي: "لم يوضع هذا الكتاب للقارئ الكسول، ولا لأولئك الذين أدمنوا تلقي الإجابات الجاهزة عن الأسئلة المعتادة، وهو في نهاية الأمر كتاب قد لا يقدم ولا يؤخر".

وفي مقدمته الطويلة بين طبيعة ارتباط الديانات السماوية الثلاث: الإسلام، والمسيحية، واليهودية، وعرف مصطلح "اللاهوت العربي"، وخلص إلى أقوال سبعة أولها "سماوية الدين بالضرورة" وأشار إلى إعتياد الناس مؤخراً وصف اليهودية والمسيحية والإسلام بالديانات السماوية، مع أن السلف لم يستخدموا هذا الوصف. ويرى زيدان أن الأصح وصف الديانات بالرسالية والرسولية لتمييز الديانات الثلاث الكبرى عن غيرها، لأنها أتت إلى الناس برسالة من السماء، عبر رسول من الله، سواء جاء الرسول بكتاب، أم كان نبياً ملتحقاً بكتاب سابق. وعليه، فاليهودية رسالة موسى وأنبياء العهد القديم، والإسلام رسالة النبي محمد

واعترفت بها المسيحية، بينما تشكك فيها الإسلام، منها إشكالية "صورة الله" التي تجاوزت أسماء الله، "آدوني، الرب، يهوه، ياهو، إيل، إلهيم"، إلى طبيعة الله وصفاته. وتناول في هذا الفصل ما يطرحه القصص التوراتي من صفات بشرية يصعب إلحاقها بالذات الإلهية.

ويرى المؤلف أن الشروح والتأويلات التي قدّمت عبر تاريخ اليهودية لإضفاء القداسة على تلك النصوص التوراتية كانت أبطأ في الانتقال من اللغة التي كتبت بها التوراة، وهو ما أثر في الانتباه لخطورة تلك النصوص، ليبقى الإشكال العميق قائماً حتى جاءت المسيحية.

في الفصل الثاني "الحلّ المسيحي من الثيولوجيا إلى الكريستولوجيا" أوضح زيدان أن المسيحية طرحت نفسها كامتداد للديانة اليهودية، ثم تطوّرت وقدمت ذاتها للبشرية كلّها باعتبارها تصحيحاً عاماً لليهودية، وأعطت حلاً للمشكلة المطروحة في الفصل الأول بأن أكدت وجود الله مع الإنسان في الأرض، لتتوافق بذلك مع اليهودية، ثم رفعت ثانية إلى السماء، إلى الموضع الذي يليق به، والمسيح كان صيغة الخلاص من مشكلة اندماج الله مع الإنسان، والمسيح بالمفهوم الديني هو صيغة الخلاص الإنساني من خطيئة آدم الأولى التي اقترفها ثم ورثها أبناؤه من البشر، والمسيح في العقيدة الأرثوذكسية، القبطية وغير القبطية، هو الربّ الكامل، والإله المتجسّد، وهو هو، ويجب التنبيه لهذا المصطلح «الهو هو» الذي ظهر للمرّة الأولى في المناقشات الكريستولوجية المتعلقة بطبيعة المسيح، يسوع، عيسى، خريستو، كريستوس، وهي مناقشات حامية جرت بين الكنائس الكبرى قبل ظهور الإسلام، ثم ظهر هذا المصطلح «الهو هو» عربياً بعد الإسلام، وتوسع المتكلمون المسلمون «المعتزلة» وأفاضوا

هذه المنطقة المجهولة من تراثنا المشترك، وعانت منها العلوم الإنسانية. ويتوجب الانتباه للصيغ المتباينة في أسماء الأعلام ومشاهير الرجال، التي ترد في كتابات معاصرة بأشكال مختلفة، مثل الأسقف **نسطور المرعشلي** الذي ولد في قرية **مرعش** العربية القريبة من حلب، وهي البلدة المسماة باليونانية: **جرمانيتي**، وأستاذه الأسقف **تيودور** الذي يسمّى **يودوروس الموبسويستي**، ويقال له أيضاً **تيودور المصيصي** لأن بلدة **المصيصة** كانت تسمى باليونانية **موبوسويستا**.

وثامن أقواله "فحوى اللاهوت العربي" وفصول الكتاب كلّها تبيان لقصد المؤلف الذي يرى أن الديانة المسيحية لم تعرف "اللاهوت" إلا عبر بعض محاولات أرادت نقل الفكر الديني المسيحي من الاشتغال بحقيقة المسيح إلى الانشغال بالذات الإلهية، وهي محاولات مرفوضة أرثوذكسياً، وهي ما يسميه الأرثوذكس هرطقات، أي المذاهب الدينية المنحرفة، والمحاولات «الهرطوقية»، ظهرت في منطقة **الهلال الخصيب** التي سادت فيها الثقافة العربية في العصر المسيحي، قبل ظهور الإسلام بقرون، وأدّت بشكل مباشر إلى صياغة الأرثوذكسية ذاتها، وإلى صيغ الإيمان المتعدّدة. وختم زيدان مقدمته بتأكيد أنه لم يضع الكتاب لأجل «المتعمقين» في دراسة علم الكلام الإسلامي، ولا «المتوغلين» في اللاهوت المسيحي، فغالبيتهم انشغلوا بالدرس والبحث، ولم يلتفتوا لأيّ شيء خارج مجال نظرهم وميدان اهتمامهم.

ضمّ الكتاب سبعة فصول، وخاتمة، ثم فصلاً منفصلاً عن جدلية العلاقة بين الدين والعنف والسياسة. والفصل الأول المعنون بـ "جذور الإشكال.. صفات الله في التوراة" تناول إشكاليات عدّة وردت في التوراة كحقائق،

وببدأ زيدان بالمنطقة الغربية مثل مصر واليونان والبحر المتوسط، ثم منطقة الهلال الخصيب والجزيرة العربية ويوضح الاختلاف بينهما، ويختم بشرح أن ما يسمّى في التراث المسيحي باللاهوت إنما هو لاهوت لا يتعلق بالله ذاته، بل بالمسيح الذي صار الله حين صارت الكلمة جسداً بحسب الفهم الأرثوذكسي لطبيعة يسوع.

وبدأ فصله الرابع بتأكيد أن الأرثوذكسية كانت ترى الهرطقات خطراً شديداً على المسيحية أكثر من اليهودية والوثنية، وهما ما نجحت هذه الهرطقات في القضاء عليهما تدريجياً ومحاصرتها من خلال كتابات الآباء في الكنيسة. واستعرض نماذج لأشهر الهرطقة، مثل إبيون وبولس السميساطي ولوقيانوس، وآريوس ومقدونيوس، وأبوليناريوس، وكيرلس ونسطور ثم عرض بعض ما نادوا به من أفكار. وأوضح زيدان في ختام الفصل حالة العالم المسيحي حتى ظهور الإسلام، حيث كان هناك شعور يقيني أنه لا بدّ من إيجاد حلّ لاختلاف العقائد المسيحية بين صيغ متعدّدة لقانون الإيمان، ورسائل الحرومات، وبنود اللعنات التي يصبّها الكلّ فوق رأس الكلّ، وفي تلك اللحظة الحرجة نزل القرآن، كإشارة مثيرة للجدل من المؤلّف بربطه الديانات الثلاث، بحيث إن كلّ ديانة تالية للأخرى تأتي كامتداد وتصحيح لها، وهي النقطة التي تضع الكتاب في موضع مثير للجدل، فهل من المتصور أن الإسلام أصله المسيحية، وهل المسيحية أصلها اليهودية؟ وتأكيداً لذلك جاء الفصل الخامس "الحل القرآني.. إعادة بناء التصورات" وحوث صفحاته قصة الإسلام ودياناته، وجزءاً بعنوان "أحسن القصص" (وتسمية القرآن بأحسن القصص يشير إلى قصص أخرى أقلّ حسناً) وعرضاً لحقيقة المسيح في القرآن.

في هذا المفهوم، حتى صار نظرية كلامية شهيرة، تعالج مشكلة الصفات الإلهية عند المسلمين، انطلاقاً من الرؤية المعتزلية القائلة إن صفات الله غير زائدة على ذاته، وهناك خلاف آخر نشأ بين المؤرخين الكنسيين حول توقيت ظهور الأنجيل، وترتيب ظهورها، مؤكداً أن أقدم مجموعة للعهدين القديم والجديد يعود زمن كتابتها إلى منتصف القرن الرابع الميلادي، وهي محفوظة الآن في الفاتيكان وتعرف باسم لاتيني هو كودكس فاتيكانو، إلا أن الحقيقة الواضحة هي أن كثرة الأنجيل قبل اعتماد الأربعة الشهيرة (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، بما تضمنته من تعبيرات مجازية، كانت سبباً مباشراً لنشوب الجدل حول ماهية السيد المسيح، بشريته «الناسوت»، وربوبيته «اللاهوت»، إلا أنه وبعد الاعتراف بالمسيحية كواحدة من ديانات الإمبراطورية الرومانية في مرسوم ميلانو عام 313 ميلادية، تمّ إرساء نظم وتحديد الاعتبارات الكفيلة بالحفاظ على الديانة المسيحية، وهو ما تمّ عمله بشكل تنظيمي عالمي في القرن الرابع الميلادي في مجمع نيقية المسكوني، واجتمع فيه 318 أسقفاً من أنحاء العالم وتقرّر فيه قانون الإيمان الذي عدل مرات عدّة في مجامع كنسية تالية لمواجهة "الهرطقات".

أشهر الهرطقة

في الفصل الثالث "النبوة والبنوة.. فهم الديانة، شرقاً وغرباً"، واصل البحث التاريخي للديانات البشرية شارحاً الفروق بين الكنائس الغربية (غرب فلسطين) والكنائس الشرقية التي كانت تقع شرق فلسطين في الجزيرة العربية والهلال الخصيب، ليبرهن على صحة المقولة الخاصة بتأثر الديانات بما سبقها من تراث، بالإضافة إلى البيئة التي بزغت فيها.

النخبة الإيرانية حول شرعية فوز الرئيس **نجاد**، واستحضار انحياز المرشد الأعلى للجمهورية **علي خامنئي** لصَفِّ الرئيس **أحمدي نجاد** نظرية ولاية الفقيه إلى قلب السجال السياسي ربما بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ **الجمهورية الإسلامية**.

من هنا كانت ضرورة هذه الدراسة: "إيران.. جمهورية إسلامية أم سلطنة خمينية؟" الصادرة عن **مركز الأهرام**.

تحت عنوان "طائر إيران الخرافي ثلاثي الأجنحة" ذهب د. **مصطفى الأباد** المتخصص في الشؤون الإيرانية مدير **مركز الشرق للدراسات الإقليمية والاستراتيجية في القاهرة**، إلى أن الحراك السياسي في **إيران**، كان ولا يزال، مضبوطاً على رؤى وأهداف الثورة عبر سلسلة معقدة من المراحل في عمليات صنع القرار التي ظلت دوماً محطة لتوازن التيارات المختلفة المنضوية تحت عباءة النظام.

وتناول د. **مدحت أحمد حماد** أستاذ الدراسات الإيرانية في **جامعة طنطا** في مقالة له عنوانها "النظام السياسي الإيراني الخماسي الأضلاع .. مركز الثقل ونقاط الضعف"، من يحكم إيران؟ المرشد، أم رئيس الجمهورية، أم مجلس الشورى الإسلامي؟ أم مجمع تشخيص المصلحة؟

ورأى د. **محمد السعيد عبد المؤمن** أستاذ الدراسات الإيرانية في كلية الآداب، **جامعة عين شمس**، في دراسته "الشرعية في إيران .. الأسس والإشكاليات" أن الدولة في المفهوم الشيعي ذات مهمة مزدوجة: دينية ودنيوية، واختلف علماء الشيعة في أساس شرعية الحكم في الإسلام بسبب الاختلاف في تحديد الأسس والمبادئ العامة لقضية السلطة من جهة، ولضغط الوقائع التاريخية والمخزون الذهني في ذاكرة الأمة من جهة ثانية، ومن هنا برزت النظريات التالية:

وفي الفصل السادس "كلام الإسلام .. الوصلة الشامية العراقية" قدّم المؤلف تصوراً ثورياً لعلاقة علم الكلام الإسلامي باللاهوت المسيحي العربي الذي ظهر على يد **آريوس** و**نسطور** وغيرهما من رجال الكنيسة الذين عاشوا في منطقة انتشار الثقافة العربية (**الهلال الخصيب: سورية والعراق**) قبل ظهور الإسلام بقرون.

وفي الفصل السابع "اللاهوت والمكوت.. أطر التدين ودوائره" نظر **زيدان** إلى أن "الجوهر في اليهودية والمسيحية والإسلام واحد، وأن عمق النسق الديني الرسالي الإبراهيمي يمتاز بسمات عامة، وبنيات نظرية أساسية". وتحدّث المؤلف عن دوائر التدين وأطره النظرية وهي بترتيب ورودها "الإنباء"، و"الإبادة"، و"الخروج". وختم **زيدان** بخلاصات عامة من الكتاب وفقاً للرؤية التي عرضها في المقدمة والفصول السبعة، منتهياً بنظرية عن ارتباط العنف بالدين والسياسة، والتأكيد بأن العلمانية خرافة لأنه لا يمكن تصوّر دين من دون سياسة، أو تصوّر سياسة من دون دين.

الكتاب: إيران جمهورية إسلامية .. أم سلطنة خمينية

الكاتب: مجموعة مؤلفين
الناشر: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية
مركز الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع- مصر

هذا كتاب متعدّد المؤلفين، كانت انتخابات الرئاسة الإيرانية، التي جرت في يونيو 2009 سبباً في وضعه، بعدما أثارت نتائجها أزمات داخلية تعدّ الأكبر منذ قيام الثورة الإسلامية في العام 1979، وما زالت تثير الجدل في أوساط

يرى الباحث يوسف زيدان أن الديانة المسيحية لم تعرف "اللاهوت" إلا عبر بعض محاولات أرادت نقل الفكر الديني المسيحي من الانشغال بحقيقة المسيح إلى الانشغال بالذات الإلهية، وهي محاولات مرفوضة أرثوذكسياً، وهي ما يسميه الأرثوذكس هرطقات، أي المذاهب الدينية المنحرفة، والمحاولات الهرطوقية ظهرت في منطقة الهلال الخصيب التي سادت فيها الثقافة العربية في العصر المسيحي وقبل ظهور الإسلام بقرون..

1 - نظرية ولاية أهل الحل والعقد. 2 - نظرية ولاية الأمة. 3 - نظرية ولاية الفقيه العامة.

وفي دراسته رسم د. محمد عباس ناجي الباحث في مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية: "خريطة القوى السياسية الإيرانية في ضوء انتخابات 2009" قائلاً إن الأزمة السياسية التي أثارها انتخابات الدورة العاشرة لرئاسة الجمهورية (2009) اتجهت إلى التهدة والانحسار، لكن ذلك ليس نهاية المطاف. فعلى الرغم من أن النظام احتوى الأزمة، إلا أنها فتحت الباب على مصراعيه أمام صراعات سياسية أكثر سخونة أهمها الصراع على: الحاكمية لمن؟

أما د. وحيد عبد المجيد الخبير الاستراتيجي في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الأهرام، ورئيس مركز الترجمة والنشر في مؤسسة الأهرام، فانهى في دراسته "مدخل إلى المستقبل .. الصراع على إيران" إلى أن النظام في إيران شبه جمهوري أو نصف جمهوري، وتساءل عن الاتجاه الذي تمضي إليه البلاد، هل تتجه مثلاً نحو جمهورية إسلامية كاملة أو نحو سلطنة خمينية؟

وينطلق الكتاب إجمالاً من فرضية أساسية مفادها أن أزمة انتخابات الرئاسة الإيرانية الأخيرة ليست عادية، بل هي "أزمة انقسام في بنية المجتمع الإيراني ونخبته السياسية والثقافية"، ومن ثم فهي ممتدة يمكن إخماد الاحتجاجات المتعلقة بها لبعض الوقت، ولكن يصعب السيطرة عليها طول الوقت.

ويناقش المؤلفون طبيعة النظام السياسي الإيراني وطرح التساؤلات حول مستقبل إيران، وبحسب د. مدحت حماد، هو هيكل خماسي الأضلاع يتكوّن من: مؤسسة مجلس خبراء القيادة، ومؤسسة الولي الفقيه، ومؤسسة رئاسة الجمهورية، والسلطة القضائية، ومجلس

الشورى الإسلامي.

كما يتميّز النظام الإيراني بوجود "الولاية الثنائية": "ولاية الفقيه" و"ولاية الشعب". والأولى تتمتع بمؤسسات خاصة بها مثل مجلس صيانة الدستور، ومجمع تشخيص مصلحة النظام، في حين تختص ولاية الشعب بمؤسسات نافذة أخرى هي مجلس خبراء القيادة، ومؤسسة رئاسة الجمهورية، ومؤسسة مجلس الشورى الإسلامي، وهي المؤسسات التي يتم الوصول إليها عبر انتخاب مباشر من الشعب، ووسط كل هذه المؤسسات يتمتع المرشد الأعلى "بنفوذ عقودي" شامل لكل شؤون إيران وفي كل مؤسسات النظام، وله نفوذ آخر بارز، يشبه ذلك النفوذ المتمتع به الرئيس في النظام السياسي المصري، مرتبط بعملية إعادة النظر في الدستور، وله أيضاً "مكانة مقدسة" تتحقق من خلال مؤثر نوعي خطير الدلالة: وهو عدم وجود "يمين دستورية" يقوم المرشد بأدائها فور اختياره من مجلس خبراء القيادة.. وعلى الرغم من هذه الصلاحيات الممنوحة للمرشد والمكانة الدستورية والدينية والسياسية التي يحظى بها لدى المؤسسات الأمنية العسكرية والشرطية والحرس الثوري، والباسيج، فإنه "ملجوم" بنص دستوري تفرضه المادة 79 يقول: "يحظر فرض الأحكام العرفية، وفي حالات الحرب والظروف الاضطرارية المشابهة يحق للحكومة بعد مصادقة مجلس الشورى الإسلامي أن تفرض مؤقتاً بعض القيود الضرورية على ألا تستمر مطلقاً أكثر من ثلاثين يوماً. وعلى ما سبق لا يمكن استبعاد حدوث حالة من "العصيان المؤسسي" ضد مرشد الجمهورية- كما جرى في الانتخابات الرئاسية التي نحن بصدها، خصوصاً من جانب مجمع تشخيص مصلحة النظام أو من جانب مجلس خبراء القيادة، وهي الحالة التي يمكن أن تتفاقم حدتها إذا لم يكن

مع إعادة توزيع الموارد الاقتصادية والسلطة السياسية في النظام بما يخدم مصالحها وعلى حساب الأجنحة الأخرى.

ويذهب **اللباد** إلى إن مقام المرشد "الذي اضطر إلى النزول من علياء موقعه للدفاع عن الرئيس **أحمدي نجاد** وتياره في أعقاب الانتخابات في مواجهة تظاهرات الإصلاحيين"، سيحاول أن ينقل الصراع من الشارع إلى الحلقة الضيقة للنظام. وسيعمل على تحجيم الرئيس **أحمدي نجاد** وإضعافه نسبياً في مباراة مضبوطة الإيقاع ومحددة الرقعة ليس لمصلحة الإصلاحيين بالطبع، ولكن لمصلحة التيار المحافظ البراجماتي ممثلاً في **هاشمي رفسنجاني وعلي لاريجاني**.

وعلى خلاف ما يتصور البعض، بخاصة في الغرب، من أن الضغط على "الديكتاتور" (المقصود الولي الفقيه) يزيده ديكتاتورية، يرى **د. محمد السعيد عبد المؤمن** أن الوضع مختلف في **إيران**، حيث ستجدي أدوات الضغط مع الولي الفقيه بما له من صلاحيات ووضع يسمح له بتغيير مواقفه تماماً، وكذلك تبريرها، فالمعركة الحالية لن تحول دون وجود التيار الإصلاحي على الساحة السياسية بفاعلية، بل على العكس فإن النظام، ممثلاً في الولي الفقيه، سيبقي **علي رفسنجاني** وتياره، وربما يحتاج إليه يوماً ما، ولا غنى للنظام، عن وجود الاتجاه الذي يقوده **رفسنجاني** لأن النظام يريد في النهاية أن يضفي طابعاً ديمقراطياً على العملية السياسية، لذا يتوقع أن تتسم قرارات الولي الفقيه والنظام الإيراني بشكل عام بالمرونة على مدى السنوات الأربع المقبلة، فمن شأن الضغوط التي تمارس عبر الرأي العام أن تجعل الولي لا يغالي في السلطة، بخاصة في ظلّ محددات أخرى إقليمية ودولية سيضعها النظام نصب عينيه في حالة اتخاذ أي قرار، بعبارة أخرى كلما ازدادت

المرشد ضامناً بالفعل لولاء "مجلس الشورى الإسلامي" له بوصفه أكبر مؤسسة منتخبة مباشرة من جانب الشعب.

جمهورية ذات طابع عسكري

يرى **مصطفى اللباد** في دراسته أن الأهمية التاريخية للانتخابات الرئاسية العاشرة ومظاهر الاعتراض التي تلتها، نبعت من حقيقة أن **إيران** تشهد منذ فترة ولاية الرئيس **محمود أحمدي نجاد** الأولى العام 2005 مخاض التحول من الهياكل المدنية لجمهورية **إيران** الإسلامية إلى جمهورية ذات طابع عسكري بقيادة الحرس الثوري الإيراني (الباسداران)، ولكن تحت إشراف روحي ومعنوي، وليس قيادة وسيطرة، من رجال الدين والمرشد، ومثلت أزمة الانتخابات الرئاسية العاشرة في **إيران** نقطة مفصلية في تاريخ النظام الإيراني، أصبح معها النظام "طائراً خرافياً بثلاثة أجنحة على اليمين": وهي التيارات الثلاثة داخل المعسكر المحافظ، في حين سيعضمر الجناح الواقع على اليسار بعد هزيمة الإصلاحيين.

وعكست هذه الأزمة توزيعاً جديداً للقوى داخل **إيران** بين "النخبة القديمة" التي تتجسد من شخصيات الجيل الأول للثورة وغالبية طبقة رجال الدين وهدفها الأساسي بقاء النظام مع إدخال أقل قدر من التعديلات على تركيبته ومحتواه الديني، في مقابل "النخبة الجديدة" المشكّلة من ضباط ومنتسبي الحرس الثوري والمستفيدين منه اقتصادياً وجهاز الأمن ووزارة الداخلية وميليشيا المتطوعين (الباسيج)، بالإضافة إلى أقلية من بين رجال الدين يقودهم مرشد الجمهورية السيد **علي خامنئي وآية الله أحمد جنتي**، والمرشد الروحي للرئيس **أحمدي نجاد** وهو آية الله **مصباح يزدي**.

والكتلة الثانية تريد بقاء النظام أيضاً، ولكن

في المقام الأول إلى تطويره بما يتواءم مع التطورات التي تمرّ بها إيران داخلياً وخارجياً، وبناء عليه، فإن الصراع الحالي، ليس صراع استقطابات سياسية ولكنّه صراع اتجاهات داخل نظام الجمهورية الإسلامية، يبرز منها اتجاهان رئيسيان:

الأول اتجاه التغيير الذي يقوده المعتدلون من داخل النظام، وينتمون إلى التيار الإصلاحى والجناح التقليدى من التيار المحافظ، ويرى ضرورة إجراء تغييرات داخل نظام الجمهورية الإسلامية بما يجعله أكثر قدرة على التوافق مع التطورات التي تمرّ بها إيران داخلياً وخارجياً، ويدعو إلى تغليب المصلحة على الأيديولوجيا، ويعتبر أن المرشد الأعلى (الوليّ الفقيه) ليس خليفة الله في الأرض ولا منزّها عن الأخطاء، بل يمكن محاسبته ومراقبته من خلال الدستور. أما الاتجاه الثاني الذي يقوده الجناح الأصولي المتشدد من التيار المحافظ الذي ينتمي إليه الرئيس أحمدى نجاد، فيلتزم حرفياً بالثوابت التي قام عليها النظام الإسلامى منذ الثورة العام 1979، ويؤمن بالنظام المغلق في مجاليّ السياسة والثقافة، ويدافع عن تدخل الدولة في المجال الاقتصادى، ويرفض استيراد القيم الثقافية الغربية والانفتاح الثقافى، كما يؤمن بنظرية المؤامرة، والأهم من ذلك أنه يرى أن الشعب لا دور له في اختيار المرشد الذي، في رؤيته، لا يعتبر مسؤولاً أمام الشعب.

ومع تأكّده على الحقيقة السابقة، يرصد ناجى مجموعة من التداعيات التي أسفرت عنها أزمة الانتخابات الرئاسية، أهمها أن الأزمة شكّلت تحدياً صريحاً لمكانة المرشد الأعلى للجمهورية وإرادته، وهو بمثابة تطوّر جديد وخطير في النظام السياسى الإيرانى. فقد دفعت الأزمة العديد من العلماء وآيات الله في حوزة قم إلى تأكيد ضرورة فرض رقابة على

الضغوط، بخاصة الداخلية على الولي الفقيه، ازدادت مواقفه مرونة، بدليل سماح خامنئي لـ رفسنجاني بإلقاء خطبة الجمعة التي أعلن فيها صراحة موقفه من مبدأ ولاية الفقيه.

ويرجع عبد المؤمن هذه المرونة التي يتّسم بها الولي الفقيه إلى ارتباط الأيديولوجية بالمصلحة في إيران، وهو ارتباط يسمح للأخيرة بتقديم تنازلات سواء للمعارضين في الداخل والثائرين على الفساد، أم لدول المنطقة سعياً لكسب دعمها أو حيادها، والخلاف حول ولاية الفقيه، "يتعلق بفروع وليس بأصول" بين اتجاهين: الأول اتجاه رفسنجاني الذي يجعل ولاية الفقيه انتخائية، بحيث يكون للجماهير حقّ انتخاب الفقيه وعزله بحسب شروط يضعها الدستور بناء على مبدأ المقبولية، والثاني يرى تعيين الفقيه بناء على مبدئيّ الأعلمية والأعدلية، ويأتي آية الله محمد تقى مصباح يزدي على رأس المدعين للولاية التعيينية المطلقة، حيث يرى أن الناس ليس من حقهم تعيين الولي الفقيه، بل تأييده، ويحصل الولي الفقيه، على مشروعيته من ارتقائه في المراتب العلمية والعادلة، ومن هذه الزاوية لا تنطبق الديمقراطية الغربية على النظام الإسلامى.

اصطفافات جديدة في المشهد الإيرانى

لا تعدّ الأزمة الراهنة في إيران في نظر محمد عباس ناجى بين النظام الإسلامى ومعارضيه، بل هي بين أبناء هذا النظام وأنصاره، أي أنها أزمة من داخل النظام وليست من خارجه، وهذا الفارق، غاية في الأهمية، لأنه يعنى أن مفجّري الأزمة الأخيرة من الإصلاحيين والمحافظين التقليديين المعارضين على نتيجة الانتخابات ليسوا رافضين للنظام ولا ساعين إلى تغييره، بل هم مؤمنون به وموالون له، لكنهم يهدفون

المحافظ، حيث يبرز في هذا السياق موقف "حزب المؤتلفة الإسلامي" الذي اتخذ موقفاً متشدداً ضد هذه الدعوات، بدا من خلالها قريباً جداً من موقف الجناح الأصولي على الرغم من انتمائه للجناح التقليدي من التيار المحافظ. أما التطور الثاني فيتعلق بالخلافات الناشئة داخل الجناح الأصولي من التيار المحافظ، ولاسيما بين مجموعة الرئيس أحمددي نجاد، ومجموعة الأصوليين المعارضين له والمنتقدين لسياسته والتي تضم رموزاً أصولية بارزة مثل **علي لاريجاني** رئيس مجلس الشورى، و**محسن رضائي** أمين مجمع تشخيص مصلحة النظام وقائد الحرس الثوري الأسبق، و**محمد باقر قاليباف** رئيس بلدية طهران، ويأتي هذا الاصطفاف السياسي الجديد داخل التيار المحافظ، بحسب **ناجي**، على خلفية الجهود العثية التي يبذلها بعض رموز التيار المحافظ والمقربين من المرشد الأعلى للجمهورية **علي خامنئي** لتقليص مكانة التيار الإصلاحي ونفوذ، تمهيداً لاستبعاده من خريطة القوى السياسية الإيرانية والمنظومة التي تعمل من خلالها داخل نظام الجمهورية الإسلامية، وبالتالي إنهاء الاستقطاب السياسي الكلاسيكي الذي سيطر على الحياة السياسية الإيرانية منذ وصول الإصلاحيين إلى السلطة في العام 1997 بين التيار الإصلاحي والتيار المحافظ، واستبداله باستقطاب سياسي جديد من داخل التيار المحافظ بين أصوليين راديكاليين وأصوليين براغماتيين، وربما يدعم ذلك أن خبرة الحياة السياسية والحراك الحزبي داخل إيران، حتى قبل قيام الثورة العام 1979، تميل دائماً إلى فكرة الاستقطابات الثنائية مع رفض تام للتعددية الحزبية.

ويذهب **ناجي** إلى أن أولى مؤشرات تبلور هذا الاستقطاب السياسي الجديد، بدت واضحة

تصرفات **خامنئي**، بل ومطالبة بعضهم لمجلس الخبراء، وهو الهيئة المنوط بها تعيين المرشد الأعلى وعزله ومراقبة أعماله، بدراسة مدة أهلية **خامنئي** لتولي منصب الولي الفقيه، ووفقاً لرأي هؤلاء فإن "ولاية الفقيه" تسقط عن أي شخص منحاز ويقف ضد إرادة الناس، ولا يجوز الاستمرار بحكم ولاية الفقيه ليوم واحد من خلال ممارسة الكبت وإرسال مئات الآلاف من قوى الأمن والحرس والتعبئة لقمع المحتجين، في حين أن أئمة الشيعة، وفقاً لهذه الرؤية، كانوا دوماً يسمحون لخصومهم ببيان رأيهم ويحترمون مواقف الآخرين وإرادتهم.

ومن جهة أخرى، أفرزت الأزمة اصطفاً جديداً داخل النخبة السياسية الإيرانية، فخريطة القوى السياسية الإيرانية بعد الانتخابات الرئاسية لم تعد كما كانت قبلها، حيث شهدت، وما زالت، حراكاً حزبياً مستمراً، ربما لا يؤدي إلى تشكيل خريطة سياسية جديدة فحسب، بل إلى تدشين استقطاب سياسي جديد في إيران، ولم تعد خريطة القوى السياسية داخل التيار الإصلاحي كما كانت قبل الانتخابات، حيث بدأت بعض القوى في مراجعة رؤاها وأطروحاتها تجاه النظام الإسلامي الإيراني، فيما انزوت قوى أخرى وربما تتجه إلى التفتت، وبدأ ظهور قوى ثالثة في الاتجاه نحو رفض كامل للنظام، وبالنسبة إلى التيار المحافظ، ثمة تطوران مهمان قد يحدثان تغييراً كبيراً في أنماط التحالفات والائتلافات بين القوى المكونة لهذا التيار، يتمثل التطور الأول، في الدعوات التي تصاعدت من داخل التيار الإصلاحي، على خلفية أزمة الانتخابات الرئاسية، لفرض قيود على صلاحيات الولي الفقيه، بل وتجاوز ذلك للمطالبة بإلغاء العمل بها. فقد أحدثت هذه الدعوات تقارباً ملحوظاً في رؤى الجناحين الأصولي والتقليدي وطروحتهما داخل التيار

الخلاف القديم على مبدأ ولاية الفقيه، وعلى الرغم من أن هذا الخلاف قديم، فإنه لم يقترن في أي وقت مضى بأزمة من هذا النوع تستمد أهميتها الخاصة من أنها كشفت في محك عملي أن وضع مصير أمة بين يدي فقيه فرد مطلقة ولايته يمثل خطراً ليس عليها فقط، ولكن أيضاً على مكانة الفقيه في العقيدة الشيعية، وفتحت الأزمة الباب أمام مراجعة مبدأ الديمقراطية الدينية، أو ما يسميه المرشد الأعلى الحالي السيد علي خامنئي "حاكمة الشعب الدينية"، ولا تعني هذه المراجعة، استبدال ديمقراطية تنافسية حرة مفتوحة على النمط الغربي بهذه الديمقراطية الدينية، إذ إن التيار السائد في أوساط الإصلاحيين محكوم بسقف النظام الإسلامي. ولكن تحت هذا السقف، يمكن الحد من القيود المفروضة على الحريات والحقوق العامة والشخصية التي تحول حياة أقسام كبيرة من المجتمع - وخصوصاً نساء - إلى جحيم لا يرى المحافظون الخمينيون فردوساً خارج نطاقه. فالصراع ليس على استمرار هذا النظام، وإنما على إبقائه تحت عباءة **الخميني** أو تحريره منها.

وإن كان **خامنئي** قد خرج منتصراً من أزمة نتائج الانتخابات الرئاسية، فإنه دفع ثمناً باهظاً لأنه لم يعد مرشداً للجميع، وإنما بات أقرب إلى زعيم تيار، والسؤال المحوري هنا، ما إذا كان الشرخ الذي أصاب المؤسسة الدينية مؤثراً إلى الحد الذي يؤدي إلى تهميشها لمصلحة المؤسسة العسكرية - الأمنية بعدما برز دورها قوياً ومهيماً في الأزمة التي لم تنتهِ فصولها.

ويطرح **وحيد عبد المجيد** في دراسته ثلاثة سيناريوهات لمستقبل المؤسسة الدينية:

الأول: إصلاح الشرخ الذي حدث فيها، ويتوقف هذا السيناريو على مدى قدرة المرشد الأعلى الحالي على احتواء الأزمة،

في تعمّد **خامنئي** تقوية الأصوليين البراغماتيين (**لاريجاني - رضائي - قاليباف**) على حساب الأصوليين الراديكاليين بزعامة الرئيس **أحمدي نجاد** في محاولة لخلق توازن بين التيارين يمكن من خلاله إدارة الحكم من خلال التنافس، بشرط ألا يتحوّل إلى صراع على نحو التجربة السابقة للإصلاحيين مع المحافظين.

انقسام المؤسسة الدينية لا الثورة المخملية

ربما يكون أخطر ما في الأزمة التي ارتبطت بالانتخابات الرئاسية الإيرانية، بحسب دراسة **د. وحيد عبد المجيد** أنها قد تجاوزت السطح السياسي ونفذت إلى "أعمق المجتمع"، فكشفت عن مدى عمق الانقسام فيه بصورة لا يمكن الاطمئنان معها إلى مستقبل الجمهورية الإسلامية بمجرد إنهاء مظاهره الخارجية في الشارع. وأهم ما ينطوي عليه الانقسام المجتمعي الحالي في إيران هو أنه يهدّد "بتنامي حركة اجتماعية مدنية شابة قد تسعى للتغيير على المدى الطويل عبر أساليب احتجاجية تتجاوز الأطر المتاحة ما دام الطريق إلى التجديد من داخل هذه الأطر مسدوداً"، فالمجتمع الحضري في إيران، شاب بل فتى، علاوة على أنه يمرّ بتغيرات عميقة تعبّر في رأي البعض عن حالة صحوّة في أوساط فئات اجتماعية مهمة نوعياً على الرغم من أنها لا تمثل أغلبية.

من ذلك يستبعد **عبد المجيد** إمكانية حدوث ثورة مخملية، "ففي ظلّ سطوة المؤسسات المرتبطة بالمرشد الأعلى وفي مقدمتها الحرس الثوري، واستمرار التحديات الخارجية وربما تعاضلها إذا أخفق الحوار الأميركي - الإيراني، أصبح انقسام المؤسسة الحاكمة، وليس شبح ثورة مخملية، مصدر التهديد الرئيسي للاستقرار في إيران"، فقد أعادت الأزمة الراهنة إنتاج

ربما يكون أخطر ما في الأزمة التي ارتبطت بالانتخابات الرئاسية الإيرانية أنها تجاوزت السطح السياسي ونفذت إلى أعمق المجتمع، فكشفت عمق الانقسام فيه بصورة لا يمكن الاطمئنان معها إلى مستقبل الجمهورية الإسلامية، بمجرد انتهاء مظاهره الخارجية في الشارع، وأهم ما ينطوي عليه الانقسام المجتمعي الحالي في إيران هو أنه يهدّد بتنامي حركة اجتماعية مدنية شابة قد تسعى للتغيير على المدى الطويل...

القرآن الكريم، والكتاب المقدس، والأديان غير السماوية، وأساطير الأولين، وذلك حول مسألة الفقر والجوع وسبل معالجتها، وتزايد اهتمام المفكرين الكلاسيكيين والمحدثين في بناء نظرياتهم الاقتصادية والاجتماعية، ولا سيما اليسارية منها، بهذه الظاهرة، في محاولات لخفض آثارها الضارة على أفراد المجتمع. ولكن تزايد السكان ونموهم، وفقاً لأفكار روبرت مالثوس، ومتضمنات النظريات السكانية المعاصرة، وعدم كفاءة السياسات الاقتصادية، وما تمخض عنها من تفاوت واسع في إعادة توزيع الدخل، ترتب عنها اختلال توازن المعادلة "السكانية - الغذائية" وقاد هذا الاختلال إلى ارتفاع معدل الفقر البشري، ومظاهر الجوع في العديد من مناطق العالم، ولا سيما المناطق النامية والأقل نمواً.

وتعكس أزمة الكساد العالمية في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين إحدى صور الحالة الأخيرة. وكانت للآراء الكينزية في مجال خلق الطلب الفعال آنذاك آثار محسوسة في التحسن الذي طرأ على حال معظم المجتمعات، ولا سيما تلك التي واجهت الأزمة بصورة مباشرة، حين كانت معطيات "مشروع مارشال" في الجزء الأوروبي الذي خاض الحرب العالمية الثانية، إحدى أكثر الصور وضوحاً في معالجة جوانب العرض في الزمن المعاصر، للخروج من دورة الكساد في الاقتصادات الليبرالية.

ويذكر المؤلف أن: "النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الحديثة في امتداداتها التوسعية في بعض جغرافية العالم الثالث في العقود الثلاثة الماضية، كانت إحدى المرجعيات الأيديولوجية للنظام الاقتصادي الرأسمالي، وذلك نتيجة الصراعات السياسية وتنامي الحرب الباردة، ولا سيما في عقد السبعينيات. وبذلك سادت الدعوة إلى الليبرالية واعتماد برامج الإصلاح

ومدى استعداده بالتالي لإلزام الرئيس نجاد بمدّ جسور مع خصومه الإصلاحيين واتخاذ إجراءات انفتاحية تحقق شيئاً ممّا دعا إليه موسوي وكروبي خلال الحملة الانتخابية، وربما دمج نجاد عدداً من أنصارهما في الحكومة، على نحو يرضي معظم علماء الدين المتعاطفين معهما أو الذين أزعجتهم الطريقة التي أديرت بها الانتخابات والإصرار على تثبيت فوز نجاد. السيناريو الثاني: أن يبقى الشرخ الذي أصاب المؤسسة الدينية ولكن من دون اتساع، بحيث تبقى قادرة على بناء توافق لا بديل عنه لاستمرار دورها إذا غاب السيد علي خامنئي قبل حلول موعد الانتخابات الرئاسية المقبلة أو اضطر إلى التقاعد لظروف صحية تتعلق بمرضه الذي لا تتوافر معلومات كافية عن المستوى الذي بلغه.

أما السيناريو الثالث فهو أن يزداد الشرخ الذي أصاب المؤسسة الدينية على نحو يجعلها عاجزة عن التوافق على القضايا الكبرى، الأمر الذي يفتح الباب أمام مزيد من التوسع في نفوذ المؤسسة العسكرية - الأمنية.

ثالثاً: كتب في الاقتصاد وهمومه

الكتاب: الأمن الغذائي العربي -

مقاربات إلى صناعة الجوع

الكاتب: سالم توفيق النجفي

الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية-

بيروت

يستهلّ الدكتور سالم النجفي كتابه "الأمن الغذائي العربي" بقوله: "منذ أمد بعيد، في عمق التاريخ البشري، كان الصراع قائماً للحصول على الغذاء أو موارده الإنتاجية، وجاءت دلالاته في العديد من متضمنات

المحلية، الأمر الذي يتطلب أن تكون إحدى معالجاته، ولاسيما المتأتية من انعطافات بيئة غير متوقعة، تأسيس شبكة أمان من المخزون الغذائي، وتتطلب الاتجاهات الرئيسية لمعالجات انعدام الأمن الغذائي تغيرات هيكلية في قطاع إنتاج الغذاء، فضلاً عن اعتماد سياسات سعرية (الأسعار الجزئية) تؤدي إلى تحفيز تزايد العرض من الغذاء، وسياسات سعرية (الأسعار الكلية) تحقق إعادة توزيع الدخل المنخفض من الحصول على متطلباتهم الأساسية من الغذاء.

إدارة الطلب

وقد ارتبطت مسارات الأمن الغذائي في معظم بلدان العالم في مطلع الألفية الثالثة بمسارات "العولمة"، وتأثيراتها، ولا سيما في تلك الجوانب المتعلقة بسياسات "إدارة الطلب" المؤثر في القدرة الشرائية للأفراد منخفضي الدخل، وخصوصاً أولئك الذين هم تحت "خط الفقر". وترتبط متضمنات العولمة بحرية التجارة الخارجية، والسماوات الليبرالية لأسواق المال، وكذلك الانفتاح الاقتصادي على الأسواق العالمية.

وينتهي المؤلف إلى أن أوضاع الأمن الغذائي العربي، ورثت في مطلع الألفية الثالثة إشكاليات معقدة متأتية من الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والبيئية المتراكمة، قيّدت فاعلية البرامج الساعية إلى النمو والتنمية المؤدية إلى تدني أعباء انعدام الأمن الغذائي، وأبطأت من سبل معالجة النقص والعجز النسبي في الغذاء، في البلدان العربية.

لذا، يتطلب من السياسات الاقتصادية العربية اعتماد برامج وقائية للأمن الغذائي في مواجهة المتغيرات المحتملة جراء تحرير التجارة الزراعية.

الاقتصادي وفقاً لمفاهيم آليات السوق، واتجه نمط توزيع الفائض الاقتصادي، ولاسيما الزراعي منه، نحو رأس المال المزرعي أكثر من نظيره العمل الزراعي، وهو ما أوجد تفاوتاً في نمط توزيع الدخل، وتنامي اللامساواة والفقر، وخصوصاً في الريف. ومما زاد الأمر سوءاً على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي تراكم أعباء المديونية الخارجية بعد عقد الثمانينيات، وتحولها إلى أزمة اقتصادية، ولا سيما في البلدان النامية والأقل نمواً، فتمخض عن هذه الحال مصفوفة معقدة من القيود والمحددات، شكّلت في مجملها أزمة معقدة في اقتصادات الأمن الغذائي في العديد من البلدان المذكورة، ولاسيما العربية منها، وفي نهاية القرن الحادي والعشرين، نجم عنها ارتفاع أسعار السلع الغذائية الرئيسية، ولا سيما الحبوب، ومن ثم تنامي العجز والنقص النسبي في الغذاء لدى بعض فئات المجتمع.

نوعان من انعدام الأمن الغذائي

يقول النجفي: يشير مفهوم "الأمن الغذائي" إلى إمكانية حصول أفراد المجتمع في الأوقات كلها على الغذاء الكافي الذي يتطلبه نشاطهم وصحتهم، وتواجه البلدان العربية نوعين من انعدام الأمن الغذائي، يوصف الأول بأنه مزمن، وغالباً لا يعود الأخير إلى نمط السياسات الاقتصادية المعتمدة وكفاءتها، بقدر ما يعود إلى متغيرات مترابطة يتقدمها انخفاض إنتاجية وحدة الموارد الزراعية وندرتها، وتدني الإمكانات المادية التي تطلبها التنمية، وارتفاع التقلبات في إنتاجية المحاصيل الزراعية، بينما يوصف النوع الثاني بأنه مؤقت، وغالباً ما يسود هذا النوع من جراء عدم كفاءة الأداء الاقتصادي والزراعي، والأزمات الطارئة على الاقتصادات الزراعية

الكتاب: الفقر والفساد في العالم

العربي

الكاتب: سمير التنير

الناشر: الساقى - بيروت

ربما تستحق ظاهرة "الفقر والفساد" في الوطن العربي لقب "الظاهرة الأوجع" عن جدارة، لأنها الفاعل الأول والرئيسي في إحباط كل الأحلام الجماعية والفردية، وسبب انهيار منظومات القيم التي اعتزّت بها طويلاً الطبقة المتوسطة في المجتمعات العربية، من فترة الكفاح ضد الاستعمار، والمطالبة بالاستقلال، إلى زمن التحرّر ونهوض المشروعات الكبرى، وقبل أن تثمر جاء الفساد ليعصف بكل شيء .

مؤلف هذا الكتاب هو الدكتور سمير التنير، الأكاديمي والباحث الاقتصادي اللبناني، والخبير في منظمة التنمية الصناعية (اليونيدو) التابعة لـ الأمم المتحدة، وله عدّة مؤلفات اقتصادية مهمة، كان آخرها هو هذا الكتاب الذي يعالج قضية الفقر والفساد التي باقت الهاجس الأول للمواطن في كل الأقطار العربية.

يرجع التنير ظاهرة الفقر في الوطن العربي إلى جملة أسباب معقدة على الصعيدين الداخلي والخارجي، حيث لم يطرأ أيّ تحسن على مؤشرات الدخل ولا الضمانات الاجتماعية، لأن برامج التنمية لم تنطلق من رؤى وحاجات داخلية، بل جاءت ضمن سياق تنفيذ استراتيجية اقتصادية وضعها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وأيضاً كان لتقلبات أسعار النفط دور بارز في الإنفاق الحكومي، وانعكست على النمو بتراجع دور الدولة في الشأن الاجتماعي.

والمقلق في نظر الكاتب هو "اتساع ظاهرة الفقر"، لارتباطه بالعدالة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسات الاقتصادية الموجهة لمصلحة الأغنياء، والسياسة النقدية التي تؤثر على سعر الفائدة وتعتبر من أهم السياسات

المسببة للفقر أيضاً، لأن سعر الفائدة يؤثر في خفض الحوافز المرتبطة بالاستثمار سواء المحلي أم الأجنبي، ويخفض الطلب على العمالة، فانخفاض النمو الاقتصادي العربي رفع معدل البطالة إلى أكثر من 15 %، حيث لم تتجاوز نسبة النمو 1.2 % من العام 1980 إلى العام 2000، وأدّت السياسات النقدية إلى ارتفاع التضخم، بخاصة في البلدان العربية منخفضة الدخل، مثل السودان واليمن والصومال وموريتانيا، وخفض ذلك مباشرة القيمة الشرائية لعملات تلك الدول وتدهورها. وأثّرت السياسات المالية للدولة، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، عبر آليات توزيع الدخل ومن خلال الضرائب المباشرة وغير المباشرة.

يقول سمير التنير إن "انتشار الفقر لا يقتصر على ندرة الموارد الطبيعية والسياسات الاقتصادية للدولة، بل يتوقّف أيضاً على اتجاهات الاقتصاد العالمي والمتغيرات الخارجية المؤثرة على ظاهرة الفقر أو على الحد منها".

وكذلك أفضت الأوضاع غير التنافسية إلى التطرّف في توزيع الفائض الاقتصادي لمصلحة رأس المال من دون الأجر، إضافة لتخصيص مبالغ هائلة للإنفاق العسكري على حساب الرعاية الاجتماعية، وأفضت الأزمات الاقتصادية في بعض البلدان العربية إلى هروب رؤوس الأموال الدولية، وأسهمت في إنتاج الفقر، بسبب انخفاض الطلب على العمل وتدني الأجور.

ظاهرة الفساد

وتعرّف منظمة الشفافية العالمية الفساد بأنه: "استغلال السلطة من أجل المنفعة الخاصة". أما البنك الدولي فيعرّف الفساد بأنه "إساءة استعمال الوظيفة العامة للكسب الخاص".

ويرى المؤلف أن مكافحة الفساد تقتضي إقامة ندوات ومؤتمرات حول هذا الموضوع الشائك والمعقد، ووضع الأبحاث والدراسات التي تفضح الطرق والأساليب الشيطانية التي يلجأ إليها المفسدون، وهي أساليب مبتكرة في غالب الأحيان.

مفردة الفساد

يمكن أن تكون مفردة الفساد مضللة أحياناً، نظراً إلى حملتها الأخلاقية، التي توحى بأن أصل الظاهرة يرجع إلى خراب ضمائر بعض الأفراد أو كثير منهم أو حتى كلهم، لكن عند استخدام هذه المفردة ينبغي التركيز على الفساد بوصفه علاقة اجتماعية وسياسية، ويتصل بجملة موازين القوى الاجتماعية وعلاقات الطبقات ونمط التراكم المادي في المجتمع المعني. وتؤكد الدراسات المتخصصة وجود علاقة قوية بين نسبة الإنفاق العسكري والفساد، أي أن الحكومات الأكثر فساداً تميل إلى الإنفاق العسكري الأكبر، بسبب انعدام الرقابة الفعالة على هذا النوع من الفساد. "ويمثل الفساد الشر الأساسي الذي تنتجه غالبية أنظمتنا السياسية العربية الحالية، وهو يكشف عن وجهه القبيح في كل مكان، ويحدث آثاره المدمرة في مناطق عالمنا الفقيرة، حيث يدع الملايين من البشر أسرى اليأس والفقر والمرض". ويرى المختصون أن المتراكم من إجمالي الدخل القومي العربي في النصف الأخير من القرن العشرين (1950 - 2000) يقدر بنحو ثلاثة آلاف مليار دولار، أي ثلاثة تريليونات دولار) ويقدر ما صرف على التسليح من هذا المبلغ بحدود ألف مليار دولار.

أما إعمار البنى التحتية وما خصص للقطاعات الصناعية والزراعية والخدمية، فقد استهلك بحدود ألف مليار دولار أخرى

ويرى التنوير أن "الفساد يحدث عادة عندما يقوم موظف بقبول أو طلب ابتزاز أو رشوة لتسهيل عقد أو إجراء طرح لمنافسة عامة، كما يتم عندما يعرض وكلاء أو وسطاء لشركات أو أعمال خاصة تقديم رشوة للاستفادة من سياسات أو إجراءات عامة للتغلب على منافسين وتحقيق أرباح خارج إطار القوانين المرعية. كما يمكن أن يحصل الفساد عن طريق استغلال أو سرقة أموال الدولة مباشرة".

ويمكن تبين آليتين رئيسيتين من آليات الفساد من خلال هذا التعريف، أولها آلية دفع الرشوة والعمولة إلى الموظفين والمسؤولين في الحكومة وفي القطاعين العام والخاص مباشرة لتسهيل عقد الصفقات وتدبير الأمور، والآلية الثانية الرشوة المقنعة في شكل وضع اليد على المال العام والحصول على مواقع متقدمة للأبناء والأصهار والأقارب في الجهاز الوظيفي، وهذه الظاهرة هي الأكثر انتشاراً في البلدان العربية. ويذهب الكاتب إلى أن عمليات الخصخصة في كثير من بلدان العالم، أدت إلى نوع جديد من الفساد هو التوجه لبيع أملاك الدولة بواسطة المسؤولين الحكوميين لتحقيق المصالح الشخصية، هذا النوع من الفساد يصنف في فئة الفساد "الكبير" الذي يخالف القانون والذي يحدث عادة في بلاد لا تحترم قوانينها، ويؤدي إلى تسرب الفساد إلى الجسم القضائي المؤتمن عادة على إحقاق الحقوق وضمان العدالة.

بشكل عام، يمكن اعتبار الفساد ظاهرة اقتصادية واجتماعية وسياسية توجد في كل دول العالم، وإن كان الأمر متفشياً في البلدان التي يدعونها بالعالم الثالث حيث يتم الوصول إلى الحكم عادة بطرق غير مشروعة، ويستغل السياسيون مراكزهم من أجل المصلحة الخاصة، ويحصل الفساد عادة في التماس بين القطاعين العام والخاص.

في الفترة ذاتها. أما الألف الثالثة فيقدر أنها ذهبت إلى أشخاص ومؤسّسات عملوا وسعوا من أجل تسهيل وتسييرها العمليات والأعمال المطلوبة للشقين الأولين، وهذا يعني، إن صحّت هذه الأرقام، أن ثلث ثروة الأمة نهبت وحجبت عن مشروعات التنمية نتيجة الفساد.

ويسبّب الفساد المزيد من الفقر وانعدام العدالة في الحصول على وظائف الدولة، نظراً لعدم حصول طالبيها على الدعم المعروف المصدر. يمكن لإساءة استعمال المال في السياسة أن تعكس وتحدث مشكلات كبيرة للدول الديمقراطية. ويؤدّي الأداء المشوّه للأحزاب السياسية وللأفراد، عند إساءة استعمال المال، إلى انعدام الثقة في المجالس السياسية وفي النشاطات التي تقوم بها، وهناك مشكلات كثيرة تخصّ المال السياسي والفساد، وتقع في صلب ما يعرف بالفساد السياسي، مع أن التمويل السياسي والفساد أمران منفصلان، لكن عندما يختلط الأمران معاً، فإن الفساد يبرز حتماً، ذلك أن المكونات التي تجمع بين الفساد والتمويل السياسي هي أمور غير معروفة تماماً.

ويعتبر المؤلّف أن الفساد في التمويل السياسي يعني إساءة استعمال الأموال في الحقل السياسي بواسطة الأحزاب السياسية والمرشحين في الانتخابات، وذلك لمصلحة مرشح، أو حزب سياسي، أو جماعة سياسية. وتتجسّد أهمّ النشاطات الخاصة بإساءة استعمال الأموال في المجال السياسي في الإنفاق غير المشروع بما فيه شراء الأصوات، والتمويل من مصادر غير معروفة، وبيع المقابلات الدعائية، أو الوصول إلى الإعلام الأكثر انتشاراً، وإساءة استعمال مصادر الدولة المالية، وتدخّل الأثرياء وأصحاب رؤوس الأموال في دعم بعض المرشحين والسياسيين، إضافة إلى النشاطات الخارجة

على قواعد التمويل السياسي المعروفة، وإجبار القطاع الخاص على دفع أموال للحماية من إجراءات الدولة، وتخفيض الأموال المخصّصة لأحزاب المعارضة.

ويقرّ المؤلّف بوجود عقبات وموانع كثيرة لإمكانية التحقق من وجهة صرف الأموال، ويطالب بوضع قوانين وقواعد جديدة لكيفية صرفها، والوجهة التي تتوجه إليها، عبر الاستعانة بسلسلة القوانين والإجراءات التي طبّقها بعض الدول المتقدمة، وأهم تلك الإجراءات كيفية الإعلان عن وجهة الصرف ومراقبة الأحزاب السياسية والمرشحين للانتخابات، ويعتبر أن الإعلان عن الأموال مهمّ جداً بالنسبة إلى الناشطين والسياسيين على السواء، لكن تطبيق القوانين في ما يخصّ المال السياسي صعب التحقيق إذا لم يلازمه الفرض الذي يمنع وحده الفساد السياسي.

الفساد السياسي

يعرّف المؤلّف الفساد السياسي بأنه إساءة استخدام السلطة من قبل القادة السياسيين من أجل تحقيق الربح الخاص وزيادة قوتهم وثروتهم. ولا يحتاج الفساد السياسي إلى دفع الأموال مباشرة، بل قد يتّخذ شكل "تجارة النفوذ" لمنح الأفضليات التي تسمّى الحياة السياسية والديمقراطية.

يشتمل الفساد السياسي على مجموعة من الجرائم التي يرتكبها القادة السياسيون في أثناء توليهم مناصبهم الرسمية أو بعد تركهم لها، وتختلف هذه الجرائم عن التجاوزات الإدارية التي يرتكبها الموظفون الرسميون، الذين يمثلون إلى حدّ ما المصلحة العامة.

والفساد السياسي أخطر بكثير من الفساد الاقتصادي، كونه يرتبط عادةً بتفصيل قوانين الانتخابات وتمويل حملات إعلامية تضمن

يذهب سمير التير إلى أن عمليات الخصخصة في كثير من بلدان العالم أدّت إلى نوع جديد من الفساد وهو التوجه لبيع أملاك الدولة بواسطة المسؤولين الحكوميين لتحقيق المصالح الشخصية، وإلى أن هذا النوع من الفساد يصنف في فئة الفساد "الكبير" الذي يحدث عادة في بلاد لا تحترم قوانينها، ويؤدّي إلى تسرّب الفساد إلى جسد القضاء..

لاستثماراته وتطوراتها.

ويعرض الفصل الثالث للدور السياسي للنفط العربي، والتصورات المستقبلية الممكنة لتنفيذ دور النفط العربي سياسياً، وضرورة توظيف القوة الاقتصادية الاستراتيجية العربية لخدمة قضايا المصير العربي، وفي القلب منها تحرير فلسطين.

ويشرح الفصل الرابع الدور الاقتصادي للثروة النفطية العربية، بالتركيز على العلاقة بين النفط والتنمية في مبحثين مهمين هما: "النفط والتنمية في البلدان المنتجة"، و"الدور الاقتصادي للنفط في التنمية العربية الشاملة". ويدور الكتاب بعامة حول بعض الأسئلة المحورية الحائرة منذ بداية تدفق البترول العربي، وهي: لماذا لم تقم ثروات العرب الطبيعية، على رأسها النفط، بدورها حتى الآن، بشكل فعال في تحقيق التنمية الشاملة في الوطن العربي، وتأمين التقدم الحضاري، والقضاء على مظاهر الفقر والتخلف؟

ويورد الكتاب مميزات النفط العربي المعروفة، أهمها سهولة العثور عليه، وقلة تكاليف إنتاجه وتطويره، وفرة إنتاج آباره، وموقعه الاستراتيجي بين الشرق والغرب، وقرب حقوله الرئيسية على اليابسة من البحار، وموانئ التصدير، وتعدّ تكاليف إنتاجه الأرخص في العالم.

وبحسب إحصاءات منظمة الأقطار المصدرة للنفط (أوبك)، فإن إجمالي الاحتياطي النفطي العربي في نهاية 2006 بلغ 669,6 مليار برميل، وقدرت وكالة الطاقة الدولية مجموع الصادرات العالمية من النفط لعام 2006 بنحو 52 مليون برميل يومياً، يحوز النفط العربي نحو 38 %.

ويشير سليمان إلى أن البلدان العربية حققت في 2006 مستوى قياسياً في إيراد

لبعض السياسيين الاستيلاء من دون وجه حقّ على مناصب حكومية رفيعة لا يستحقونها، ويشكل الفساد السياسي عقبة أمام الشفافية في الحياة العامة، كما يشكل فقدان الثقة بالسياسيين والأحزاب السياسية، تحدياً قوياً للقيم الديمقراطية. وهي أمور تعمقت في معظم بلدان العالم، في العقود الماضية.

وتشمل وسائل مكافحة الفساد السياسي جملة من الإجراءات التالية، تتمثل في وضع قواعد للتمويل السياسي، ووضع قوانين لمراقبة الإنفاق السياسي، وبخاصة في ما يتعلق بشراء الأصوات في الانتخابات العامة، ووضع رقابة خاصة على القطاع الخاص في ما يتعلق بصفقات الأسلحة والنفط.

كما تشمل الإجراءات التدابير الآلية إلى خفض تضارب المصالح، ووضع رقابة على الموظفين الذين يتمتعون بالحصانة، وخصوصاً في مؤسسات القطاع العام.

الكتاب: الثروة النفطية ودورها العربي الدور السياسي والاقتصادي للنفط العربي الكاتب: عاطف سليمان الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية- لبنان

يضمّ كتاب "الثروة النفطية ودورها العربي.. الدور السياسي والاقتصادي للنفط العربي" للدكتور عاطف سليمان، أربعة فصول، تدور حول قضية رئيسية يتفاعل فيها الفتي مع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي تفاعلاً قوياً. يحوي الفصلان الأول والثاني المعلومات الأساسية المتعلقة بالنفط العربي، خصائصه، واحتياجاته، وإنتاجه، والبلدان المنتجة له، وصادراته، وعائداته، والإطار القانوني

الامتيازات هذا كانت الصناعة النفطية تعمل كجيب اقتصادي أجنبي بالكامل. لكن هذا الوضع بدأ يتغير في خمسينيات وستينيات القرن المنصرم، إلى أن انهار في سبعينيات القرن ذاته، لتسيطر حكومات البلدان المنتجة للنفط على صناعة النفط، ومن أهم العوامل التي أدت إلى هذا التغير بحسب مؤلف الكتاب :

- قرارات الأمم المتحدة حول مبدأ السيادة الدائمة على الثروات الطبيعية.
- تأسيس منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) العام 1960 التي هدفت إلى الدفاع عن مصالح البلدان المنتجة للنفط.
- تأسيس شركات النفط الوطنية في البلدان المنتجة للنفط.
- تأميم الصناعة النفطية في بعض هذه البلدان.
- دخول شركات نفطية من خارج نادي الشركات النفطية الكبرى.
- قيام بعض البلدان المنتجة بتحقيق السيطرة الكاملة على الامتيازات النفطية.

ويؤكد المؤلف أن هذه التطورات أدت إلى سيطرة الدول المصدرة على صناعة النفط، حيث أصبحت هذه الدول تتخذ القرار في تحديد الإنتاج والأسعار. ثم يستعرض تاريخ الإجراءات النفطية التي تم اللجوء إليها في بعض المناسبات، ويشير إلى كلام أثير حول استخدام سلاح النفط العربي ضد الصهيونية في العام 1947 ومن ثم في العام 1956، لكنه لم يستخدم فعلياً إلا مع حرب أكتوبر العام 1973، وفي هذه المعركة قررت البلدان العربية المنتجة للنفط في الكويت تخفيض إنتاج النفط وصادراته بنسبة تتراوح بين 10 % و 25 %، وفرض حظر على تصدير النفط العربي إلى

صادرات النفط، حيث بلغت أكثر من 393 مليار دولار بزيادة نحو 76 مليار دولار عن 2005، وأفاد تقرير لمكتب الشال الكويتي للاستثمارات الاقتصادية أن دول مجلس التعاون الخليجي حققت خلال عامي 2008 و2009 نحو 1300 مليار دولار من العائدات النفطية، ووفق تقارير دولية ستزيد أهمية النفط خلال العشرين سنة المقبلة.

ويتساءل المؤلف عن موقع النفط العربي في المستقبل، وعلى الرغم من توقعه تزايد تحديين اثنين لإنتاج النفط العربي، هما زيادة استخدام بدائل أخرى للطاقة، كالفحم والوقود الحيوي، ودخول منتجين آخرين للنفط من خارج المنطقة العربية، إلا أنه يؤكد أن الطلب على النفط سيتزايد، ولاسيما النفط العربي.

وبدراسة الامتيازات واتفاقات النفط في البلدان المنتجة للنفط في الشرق الأوسط منذ بدايات التنقيب عنه بين الحربين العالميتين، توصل عاطف سليمان إلى أن هذه الامتيازات والاتفاقيات كانت تمنح لفترات طويلة وبشكل مفرط، كما أنها كانت تغطي مساحات كبيرة من البلد المضيف، وأحياناً جميع أراضي هذه البلدان، وقال: "هيمنة الشركات النفطية الغربية على النفط العربي طبقاً لنظام اتفاقيات الامتياز التقليدية بدأت تتغير في خمسينيات وستينيات القرن المنصرم، إلى أن انهار نظام الامتياز في سبعينيات القرن ذاته، لتسيطر حكومات البلدان المنتجة للنفط على صناعة النفط".

حول استخدام النفط كسلاح

فقد كانت الاتفاقيات تنصّ على دفع ريع منخفض للبلد المضيف، وكانت الشركات النفطية تستبعد البلد المضيف من أيّ مشاركة في عملية اتخاذ القرارات، وبموجب نظام

الغذائية من الولايات المتحدة والدول الأوروبية.

الاستهلاك بنوعيه الخاص والعام

وعن طبيعة الدور الاقتصادي للنفط العربي، أو أي دور يمكن أن تؤديه الثروة النفطية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، يقول:

1 - النفط والتنمية في البلدان

المنتجة: مع توفر العائدات النفطية

الضخمة، انطلقت جهود التنمية بخطى سريعة، حيث خصّصت ميزانية كبيرة للإنماء في البلدان المنتجة للنفط، فكانت البرامج الطموحة لبناء الطرق والمدارس والمستشفيات والمولدات الكهربائية والمساكن، وسواها من عناصر البنى الهيكلية الاقتصادية والاجتماعية.

لقد حققت البلدان المنتجة للنفط إنجازات إنمائية واضحة، لكن ذلك لا يعني بحسب المؤلف أن هنالك تنمية حقيقية، فلا يزال اقتصاد هذه الدول يعتمد بشكل مباشر على إنتاج النفط الخام وتصديره، ويعتمد بالكامل على التجارة الخارجية.

ومع توفر العائدات النفطية الضخمة، انطلقت جهود التنمية بخطى سريعة، بحيث خصّصت ميزانية كبيرة للإنماء في البلدان المنتجة للنفط، فكانت البرامج الطموحة لبناء البنى الهيكلية الاقتصادية والاجتماعية. فالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في هذه الدول لم تؤدّ إلى إيجاد بناء إنتاجي قادر على دعم عملية التنمية واستمرارها، كما أنها لم تؤدّ إلى بناء الهيكل الإنتاجي المادي والبشري، القادر على توليد طاقة إنتاجية مدعومة ذاتياً، وقادرة على تحقيق زيادة منتظمة في متوسط الدخل الحقيقي للفرد في المدى المنظور.

بعبارة أخرى، لم تخدم العائدات النفطية غرضها كأداة لاكتساب المجتمع النفطي للقدرة

الولايات المتحدة لوقوفها إلى جانب إسرائيل، ومع أن هذا الإجراء في رأيه لم يحقق الهدف الرئيسي الذي أعلنه وزراء النفط في الكويت المتمثل في خفض الإنتاج حتى انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة، فإنه حقق أهدافاً أخرى ذات أهمية كبيرة :

- لفت أنظار العالم إلى القضية العربية.
- الإجراءات أفهمت البلدان المستهلكة للنفط أن تتعامل مباشرة مع الدول المنتجة للنفط.
- زيادة أسعار النفط، والعوائد المالية.
- الضغط على دول أوروبا الغربية واليابان باعتبارها أهم الدول المستهلكة للنفط للضغط على حليفها الولايات المتحدة لممارسة الضغوط على إسرائيل.

ويعود المؤلف للقول إن أي إجراء مشابه في المستقبل لن يحقق أي نتائج مرجوة إذا ما فكرت الدول العربية باستخدام سلاح النفط في خدمة قضاياها القومية، ويدعو الدول العربية في حال قررت استخدام مواردها الاقتصادية والسياسية للدفاع عن مصالحها إلى اتباع الإجراءات التالية :

- حظر النفط على الولايات المتحدة لمدة تتجاوز بكثير الأشهر الستة التي خفض فيها الإنتاج في العام 1973.
- السحب التدريجي للأرصدة المالية العربية من الأسواق الأميركية.
- وقف استيراد السلاح والسلع والخدمات من الولايات المتحدة.

- التخفيف من غلواء مجتمع الاستهلاك المفرط، والتوعية المكثفة بمساوئ الاستهلاك الترفي، وما يحمله من تبذير للموارد الوطنية.

- تكثيف العمل العربي المشترك من جميع الجوانب، وبيان أهميته للمواطن العربي.

- توفير قدر معقول من الأمن الغذائي للوطن العربي، الذي يستورد معظم احتياجاته

محمد بن راشد آل مكتوم

يعيد المؤلف إلى الأذهان نصاعة كلمة العدالة الاجتماعية التي تفتقدها البشرية الآن، باستعادة شخصية **عمر بن الخطاب** واستخلاص مبادئ علم الإدارة في عهده الرشيد، وكيف استطاع تنظيم دولة مترامية الأطراف تعتبر بلغة عصرنا "نظاماً عالمياً جديداً" بعد انهيار إمبراطوريتي الروم والفرس، من دون توافر أبسط وسائل الاتصالات والمواصلات الحديثة.

يقول المؤلف: "أكثر ما يميّز هذه الشخصية العبقريّة في التاريخ الإسلامي اعتمادها على المصدر الإسلامي في إدارة الدولة بالارتكاز على القرآن الكريم، والحديث الشريف، ثم اجتهاد المسلمين في ما لا نصّ فيه، والاقتباس أيضاً من الحضارات السابقة على الإسلام، وفتح البلاد، ونشر العدل بين العباد. فقد أنشأ أول وزارة مالية في الإسلام، وكون جيشاً نظامياً للدفاع وحماية الحدود، ونظم المرتبات والأرزاق، ودوّن الدواوين، وعيّن الولاة والعمال والقضاة، وأقرّ النقود للتداول الحيّاتي، ورتّب البريد، وأنشأ نظام الحسبة، وثبّت التأريخ الهجري، وأبقى الأرض المفتوحة من دون قسمة، وخطط المدن الإسلامية وبنّاها، فهو بحقّ أمير المؤمنين، وباني الدولة الإسلامية".

ويروي الطبري أن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه خاطب الناس يوم الجمعة فقال: "اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار، إني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم، وأن يقسموا فيهم فيئهم، وأن يعدلوا، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إليّ".

وكان رضي الله عنه إذا استعمل العمال على الأقاليم خرج معهم يشيعهم ويوصيهم فيقول: "إني لم أستعملكم على أشعارهم ولا على أبشارهم، وإنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة، وتقضوا بينهم بالحق، وتقسموا

التكنولوجية التي هي شرط أساسي لقيام تنمية حقيقية.

ولم يكتفِ الدكتور **عاطف سليمان** بذلك، بل عرض للآثار السلبية التي نتجت عن مجتمع الاستهلاك، فالاستهلاك الكبير بنوعيه الخاص والعام، أدّى إلى تغيير في القيم والعلاقات والبنى الاجتماعية والاعتبارات الأخلاقية، والانفصال الصارخ بين المجهود والمردود لدى فئات من مواطني هذه الدول، أضّر كثيراً بخلقية العمل وانضباطيته لدى قوى العمل الوطني، كما أن توافر الأموال الجديدة أدّى إلى ضعف التحسّس في القطاعات غير النفطية، كالقطاع الزراعي.

2 - الدور الاقتصادي للنفط العربي

في التنمية العربية الشاملة: يؤكّد المؤلف هنا على حتمية التعاون العربي في ميدان استثمار العائدات النفطية لبلداننا المنتجة، ويرى أن شروط التنمية لم تتيسر لبلد واحد من البلدان العربية، فالذين يملكون الطاقة البشرية تنقصهم الثروة الطبيعية والتمويل، والذين يملكون المال تنقصهم الموارد الطبيعية والطاقة البشرية.

ويضيف أن الطريقة المجدية الفعالة لاستثمار عائداتنا وتطوير بلداننا، تحتم قيام تعاون وتنسيق على مستوى الوطن العربي، ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى تحقيق مصالح مشتركة بين البلدان المنتجة وسائر الوطن العربي، سواء من الناحية الاقتصادية والمالية، أم من حيث الآثار السياسية أو القومية نتيجة قيام وطن عربي متقدّم ومتطوّر.

الكتاب: النظام الإداري في عهد عمر

بن الخطاب

الكاتب: فاروق مجدلاوي

الناشر: برنامج "ترجم" مؤسسة

بلغ إجمالي الاحتياطي النفطي العربي في نهاية 2006 بحسب إحصاءات أوبك 669.6 مليار برميل، وحققت البلدان العربية في العام نفسه مستوى قياسياً في إيرادات صادرات النفط حيث بلغت أكثر من 393 مليار دولار بزيادة نحو 76 مليار دولار عن العام 2005، وأفاد تقرير لمكتب الشال الكويتي أن دول مجلس التعاون الخليجي حققت خلال عامي 2008 و2009 نحو 1300 مليار دولار من العائدات النفطية.. ووفق تقارير دولية ستزيد أهمية النفط خلال العشرين سنة المقبلة..

عندها شيء اشترى لها من عنده، وإذا قدم يقول: أزواجكن في سبيل الله، وأنتن في بلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن كان عندكن من يقرأ، وإلا فاقربن من الأبواب حتى اقرأ لكن، ويقول لهن: هذه دواة وقرطاس فاذنين من الأبواب، حتى اكتب لكن، ويمر إلى المغيبات، فيأخذ كتبهن فيبعث بها إلى أزواجهن.

لم يكن **عمر** يكتفي بأن يحسن اختيار عماله، بل كان يبذل أقصى الجهد لمتابعتهم بعد أن يتولوا أعمالهم ليطمئن على حسن سيرتهم ومخافة أن تحرف بهم نفوسهم، وكان شعاره لهم: "خير لي أن أعزل كل يوم واليا من أن أبقى ظلماً ساعة نهار"، وقال: "أيما عامل لي ظلم أحداً فبلغني مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته، وقال يوماً لمن حوله: رأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما علي؟ فقالوا: نعم. قال: لا..حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته أم لا؟". وقد سار رضي الله عنه بحزم في رقابته الإدارية لعماله وتابعهم بدقة، وكانت طريقة **عمر** في الإدارة إطلاق الحرية للعامل في الشؤون المحلية، وتقييده في المسائل العامة، ومراقبته في سلوكه وتصرفاته، وكان له جهاز سرّي مربوط به لمراقبة أحوال الولاة والرعية، وقد بيّنت لنا المصادر التاريخية أنه يشبه اليوم (المخابرات) ويمكن هنا أن نقول: إن المخابرات في عهد **عمر بن الخطاب** كان هدفها الأول والأخير توفير الأمن والحماية للدولة الإسلامية، وليس التجسس على عورات الناس وبثّ الرعب في نفوسهم كما هو حاصل في كثير من الأنظمة التي تحكم الناس اليوم، ومن أهدافها أيضاً المتابعة الدقيقة للولاة، فقد كان علمه بمن نأى عنه من عمّاله كمن بات معه في مهاد واحد، وعلى وساد واحد، فلم يكن في قطر من الأقطار ولا ناحية من النواحي عامل أو أمير جيش إلا وعليه عين لا تفارقه، فكانت ألفاظ من في المشرق والمغرب عنده

بالعدل، وإني لم أسلطكم على أبشارهم ولا أشعارهم، ولا تجلدوا العرب فتذلوها، ولا تجمروها فتفتتوها، ولا تغفلوا عنها فتحرموها، جردوا القرآن، وأقلوا من رواية محمد صلّ الله عليه وسلم... وأنا شريككم".

وكان رضي الله عنه إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار، واشترط عليه "ألا يركب برذواناً، ولا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس".

وعمر بن الخطاب هو أول من وضع التأريخ الإسلامي وكتبه في العام السادس عشر للهجرة، وأول من وضع تقليداً بتأريخ الكتب والرسائل وختم بالطين، وأول من جمع الناس على إمام لصلاة التراويح في شهر رمضان وكتب بذلك إلى البلدان، وكان في العام الرابع عشر، وكان أول من حمل الدرة وضرب بها تأديباً، وكان الفاروق يوزع مالاً آتاه بين المسلمين، فرأى **سعد بن أبي وقاص** يزاحم الناس حتى خلص إليه، فعلاه **عمر** بالدرة وقال: "إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض، فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لا يهابك".

الشفاء بنت عبد الله العدوية

وكان **عمر** رضي الله عنه يستشير الرجال، وأيضاً يستشير النساء، فقد كان يقدم **الشفاء بنت عبد الله العدوية** في الرأي، إذ كان يستشيرها في أمور الدولة، ويرضى عن رأيها، وكان رضي الله عنه يعتبر نفسه أبا العيال فيمشي إلى المغيبات اللواتي غاب أزواجهن، فيقف على أبوابهن ويقول: ألكن حاجة؟ وأيتكن تريد أن تشتري شيئاً؟ فإنني أكره أن تخدعن في البيع والشراء، فيرسلن معه بجواريهن، فيدخل السوق، ووراء من جوارى النساء وغلماهن ما لا يحصى، فيشتري لهن حوائجهن ومن ليس

موسم المراجعة والمحاسبة

وكان موسم الحج فرصة يستقي منها عمر أخبار رعيته وولاته، فجعله موسماً للمراجعة والمحاسبة، واستطلاع آراء الرعية في ولايتهم، فيجتمع فيه أصحاب الشكايات والمظالم، والرقباء الذي كان عمر يبتهم في أرجاء دولته لمراقبة العمال والولاة، ويأتي العمال أنفسهم لتقديم كشف الحساب عن أعمالهم، فكان موسم الحج جمعية عمومية كآرقى ما تكون عليه الجمعيات العمومية في عصر من العصور.

وفكر عمر قبل مقتله أن يجول على الولايات بنفسه لمراقبة العمال، لتفقد أحوال الرعية، والاطمئنان على أحوال الدولة المترامية الأطراف، وقال: "لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولاً، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني، أما عمالهم فلا يرفعونها إليّ، وأما هم فلا يصلون إليّ، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين، ثم والله لنعم الحول هذا.

وعزل عمر خالد بن الوليد في المرة الأولى عن القيادة العامة، وإمارة الأمراء في الشام، في السنة الثالثة عشرة من الهجرة غداة تولي عمر الخلافة بعد وفاة أبي بكر الصديق، وفي قنيسرين من قرى بلاد شمال الشام جاء العزل الثاني لـ خالد، وذلك في السنة السابعة عشرة من الهجرة، وأسباب العزل في قول عمر: "ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه وبيتلوا به" وظنهم أن النصر يسير في ركاب خالد، فيضعف اليقين بأن النصر من عند الله، وكان عمر يرى أن فترة تأليف القلوب، وإغراء ضعاف العقيدة بالمال والعطاء قد انتهت، وصار الإسلام في غير حاجة إلى هؤلاء، وأنه يجب أن يوكل الناس إلى إيمانهم، بينما رأى خالد بن الوليد أن من معه

في كل ممس ومصبح، وأنت ترى ذلك في كتبه إلى عماله حتى كان العامل منهم ليتهم أقرب الناس إليه وأخصهم، وكانت وسائل عمر في متابعته لعماله متعدّدة، فكان يطلب من ولاته دخول المدينة نهاراً، ولا يدخلوها بالليل حتى يظهر ما يكون قد جاءوا به من أموال ومغانم فيسهل السؤال والحساب، وطلب من الولاة أن يرسلوا وفداً من أهل البلاد ليسألهم عن بلادهم، عن الخراج المفروض عليهم ليتأكد بذلك من عدم ظلمهم، ويطلب شهادتهم فكان يخرج إليه مع خراج الكوفة عشرة من أهلها، ومع خراج البصرة مثلهم، فإذا حضروا أمامه شهدوا بالله أنه مال طيب ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد وكان هذا الإجراء كفيلاً بمنع الولاة من ظلم الناس إذ لو حدث هذا لرفعه هؤلاء الموفدون إلى أمير المؤمنين وأخبروه به.

عمر وأموال العمال

كما كان عمر في الغالب يقوم بمناقشة هؤلاء الموفدين وسؤالهم عن بلادهم، وعن ولايتهم وسلوكهم معهم، وكان يرسل البريد إلى الولاة في الأمصار، فقد كان يأمر عامل البريد عند العودة إلى المدينة أن ينادي في الناس من الذي يريد إرسال رسالة إلى أمير المؤمنين؟ حتى يحملها إليه من دون تدخل والي البلد، وكان صاحب البريد نفسه لا يعلم شيئاً من هذه الرسائل، وبالتالي يكون المجال مفتوحاً أمام الناس لرفع أيّ شكوى أو مظلمة إلى عمر نفسه من دون أن يعلم الوالي أو رجاله بذلك، وحينما يصل حامل الرسائل إلى عمر ينثر ما معه من صحف، ويقرأها عمر ويرى ما فيها.

واستعان الفاروق بـ محمد بن مسلمة الأنصاري في متابعة الولاة، ومحاسبتهم، والتأكد من الشكاوى التي تأتي ضدهم، فكان موقع محمد بن مسلمة كالمفتش العام في دولة الخلافة.

شكل موسم الحج فرصة أمام عمر بن الخطاب ليستقي أخبار رعيته وولاته، فجعله موسماً للمراجعة والمحاسبة، واستطلاع آراء الرعية في ولايتهم فيجتمع فيه أصحاب الشكايات والمظالم والرقباء الذين كان عمر يبتهم في أرجاء دولته لمراقبة العمال والولاة ويأتي العمال أنفسهم لتقديم كشف الحساب عن أعمالهم، فكان موسم الحج "جمعية عمومية" كآرقى ما تكون عليه الجمعيات العمومية في عصر من العصور..

عدّة هي: "رحلة غاندي الصغير" لـ **إلياس خوري**، و"عزيري السيد كواباتا" لـ **رشيد الضعيف**، و"مريم الحكايا" لـ **علوية صبح**، و"امراتان على شاطئ البحر" لـ **حنان الشيخ**، و"مدرسة الحرب" لـ **إسكندر نجار**، و"تقرير ميليس" لـ **ربيع جابر**.

أهدى المؤلف كتابه إلى "شهداء الحرب اللبنانية"، وتمعن عبر صفحاته في انعكاس الحرب اللبنانية على الإبداع الروائي اللبناني، وفي بداية الكتاب حاول المؤلف الإجابة عن سؤال هل مثلت الحرب الأهلية اللبنانية فاصلاً بين مرحلتين، ورأى **وازن** أن النقاد اعتادوا الحديث عن الأدب قبل الحرب وبعدها، "فأدب الحرب" إشكالية نقدية قديمة خاضها نقاد كثيرون وحاولوا استجلاء معطياتها وتداعياتها المختلفة في الشرق والغرب، وهي إشكالية متجددة، تكمن في زمنية كتابة هذا الأدب الذي يتولد عادة أثناء الحروب وبعدها، فالحرب وقود وفير للكتابة الأدبية، لكثرة تداعياتها، والرواية فنّ متفاعل مع مجتمعه، ويمكنها إيجاد صوته الخاص وغير المباشر وسط الفنون الأخرى، وتسهم معها في إعادة قراءة الواقع.

أشار **وازن** في كتابه إلى معاناة **لبنان** من الحروب الأهلية، في 1958، والحرب الأليمة التي امتدت من 1975 إلى 1990، ولم يستبعد إمكانية التشكيك في مسألة ما قبل الحرب وما بعدها، لأن الأدب حركة حية ومستمرة، تعرف من "الثبات" بقدر ما تعرف من "التحول"، وتعاني "الانحطاط" كما تشارك في صناعة النهضة". لكنه يعود ليؤكد أن تشكيكه هذا "لا ينفي أن الحروب أو نهاياتها قد تولّد حافزاً على نهوض أدب جديد"، "فهل يمكن الكلام لبنانياً عن آداب نشأت ما بعد الحروب التي شهدها **لبنان** على التوالي مثل أدب ما بعد الحربين العالميتين: الأولى والثانية وأدب ما بعد الحرب 1958 وأدب

من ذوي البأس والمجاهدين في ميدانه، ممّن لم تخلص نياتهم لمحض ثواب الله، أمثال هؤلاء في حاجة إلى من يقوي عزيمتهم، ويثير حماسهم من هذا المال، ولا شك أن كلاً من **عمر وخالد** اجتهدا في ما ذهبوا إليه ولكن **عمر** أدرك أموراً لم يدركها **خالد**، ولعلّ من الأسباب التي دعت **عمر** إلى عزل **خالد** أيضاً إفساح المجال لطلائع جديدة من القيادات، حتى تتوافر في المسلمين نماذج كثيرة أمثال **خالد**، و**المثنى** و**عمرو بن العاص**، ثم ليدرك الناس أن النصر ليس رهناً برجل واحد مهما كان هذا الرجل.

قال **الطبري**: إن أمير المؤمنين كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان أمر عليهم رجلاً من أهل الفقه والعلم.

وكان **عمر** يحصي أموال العمال والولاة ليحاسبهم على ما زادوه بعد الولاية وكان يقول لهم: إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجاراً. وروى أن عاملاً لـ **عمر بن الخطاب** اسمه **الحارث بن كعب بن وهب**، ظهر عليه الثراء، فسأله **عمر** عن مصدر ثرائه فأجاب: خرجت بنفقة معي فاتجرت بها، فقال **عمر**: أما والله ما بعثناكم لتتجروا، وأخذ منه ما حصل عليه من ربح.

رابعاً: كتب في النقد الأدبي

الكتاب: رواية الحرب اللبنانية ..

مدخل ونماذج

الكاتب: عبده وازن

الناشر: دبي الثقافية - دار الصدى-

دبي

في كتابه "رواية الحرب اللبنانية" يرصد الشاعر والناقد **عبده وازن**، الكاتب في جريدة الحياة اللندنية، أهم الروايات في رأيه التي تناولت الحرب الأهلية اللبنانية، وانتقى روايات

الأفضل بين أعمال **الضعيف**.

وتأتي "مريم الحكايا" رواية **علوية صبح** الثانية، مغامرة لروايتها الأولى "نوم الأيام" الصادرة في 1986، ويعتبرها وازن "رواية النهايات التي يؤول إليها فن الكتابة، فهي تخفي الكثير من الوعي والخبرة التقنية والمعانة والعمق والبساطة والشفافية"، وفي مستهلها تعلن **علوية صبح**: "المسألة انتهت بالنسبة إليّ"، لكنها في الختام تنتهي للشك بعدما "لم تتأكد من شيء"، والشك هنا كما يشمل الكتابة ذاتها، ينسحب على نسيج الحكايات التي سردها مريم، متوسلة بأسلوب "الرواية داخل الرواية"، ويرى وازن أنه من المستحيل اختصارها لأنها رواية الحكايات التي لا تنتهي.

وتتحدث **حنان الشيخ** في روايتها "امراتان على الشاطئ" عن امرأتين مختلفتي الدين، ويرى عبده وازن أن حنان "تكتب عن قضايا لا يرى فيها القارئ اللباني جديداً"، مشيراً إلى أنها تكتب للأجانب، فرواياتها تترجم إلى لغات أخرى وهي ما تزال مخطوطة، ما يدل بحسب وازن: "أن روايات **حنان الشيخ** تجذب الناشرين الغربيين الذين يهتمهم أن يتبنوا الأدب الإكزوتيكي، النافر والغريب، ويتساءل: "لماذا لا تعتمد **حنان الشيخ** إلى الكتابة بإحدى اللغات الأجنبية ما دام القارئ الأجنبي يستأثر بذاكرتها ومخيلتها؟".

في حين يرى المؤلف في رواية "مدرسة الحرب" لـ **إسكندر نجار**، التي كتبها بالفرنسية وترجمها **بسام حجار** إلى العربية، أن البساطة هي أكثر وأول ما يلفت النظر لهذه الرواية، وصاحبها لم يكتب قصصاً عن الحرب. ويلفت وازن إلى أن رواية "تقرير ميليس" لـ **ربيع جابر**، تنتهي عشية رفع التقرير الشهير الذي وضعه المحقق الألماني **ديتليف ميليس** في قضية اغتيال الرئيس **رفيق الحريري**، ويتخذ

حرب 1975 وما بعدها؟

واستعرض أدب ما يعرف بـ "السلم الأهلي" الذي اشتهر في العام 1990 بنشوء الجمهورية الثانية وفق "اتفاق الطائف"، ويرى وازن أن هذا العام كان بداية لمرحلة أدبية هي "الأخصب أدبياً".

تجارب روائية بالأسماء

تنتمي النماذج الروائية التي أوردتها وازن إلى أجيال مختلفة "ليس في المفهوم الزمني الصرف، وإنما في المفهوم الزمني المتعاقب"، وتمثل بتقديره ثلاث تجارب، فرواية "رحلة غاندي الصغير" لـ **إلياس خوري** صدرت في 1989، و"عزيزي السيد كواباتا" لـ **رشيد الضعيف** صدرت في 1995، و"مريم الحكايا" لـ **علوية صبح** صدرت في 2002، و"تقرير ميليس" لـ **ربيع جابر** في 2005، و"امراتان على شاطئ البحر" لـ **حنان الشيخ** 2002، و"مدرسة الحرب" لـ **إسكندر نجار** كتبت بالفرنسية وترجمة إلى العربية في العام 2002.

وبعد استعراض وازن رواية "رحلة غاندي"، قال "إن تجربة صاحبها **إلياس خوري** تأخذ طابع البحث والاختبار، فهو يعيد قراءة تاريخ الرواية كي يتجاوز تاريخيتها وصولاً إلى جوهرها وتجلياتها، فاندمجت روايته بالواقع الذي تقضحه وتضيئه، تماماً كما النصّ يندمج في بعده المعيش، والكلام المكتوب بالكلام الشفوي.

أما رواية "عزيزي السيد كواباتا" فكتبها **رشيد الضعيف** كرسالة إلى الأديب الياباني **ياسوناري كواباتا** الذي انتحر في العام 1972، ما يعني أن **كواباتا** لن يقرأ الرواية، لكن **رشيد الضعيف** تذرّع بالرسالة كمحاولة منه لإيصال ما يريد إلى المتلقي، ويسلط الضوء فيها على ممارسات الطائفة المارونية، ويرى وازن أنها

يرى عبده وازن أن النقاد اعتادوا الحديث عن الأدب قبل الحرب وبعدها، "فأدب الحرب" إشكالية نقدية قديمة خاضها نقاد كثيرون وحاولوا استجلاء معطياتها وتداعياتها المختلفة في الشرق والغرب، وهي إشكالية متجددة تكمن في زمنية كتابة هذا الأدب الذي يتولد عادة في أثناء الحروب وبعدها، فالحرب وقود وفير للكتابة الأدبية لكثرة تداعياتها..

الأبعاد علاقة التشابه التي وصلت المفهوم، بما يستند إليه من عناصر موروثية يمكن أن تدعمه في علاقة التضاد العدائية بالآخر، بعملية تأويلية تستبدل بالسالب الموجب في مخزون الذاكرة القومية أو تسقط الموجب على السالب بما يعيد تشكيل حضوره على المستوى التخيلي في الغالب، مع حضور التراث بشكل أساسي في مفاهيم الثقافة الوطنية، ووصله بكل ما يؤسس للهوية القومية في جذورها التاريخية، ويحفظ عليها امتدادها الذي تحوّل إلى سلاح من أسلحة مقاومتها "الآخر" الذي يدين لهذا التراث نفسه في نهضته التي بدأ بها عصره الحديث، وثالث بُعد هو العلاقة بحركة الواقع الصاعدة في مدرج التحرر الوطني والاستقلال الوطني، وهي حركة قادتها طلائع عسكرية في أغلبها، الأمر الذي أوجد دولاً عسكرية أو شبه عسكرية، لا تقارن منطقة التراث القمعي في بنائها الذي قصد إلى تأكيد روح الإجماع وعدم الخروج على الصفاء، الذي لازمه الحرص على توحيد الهوية، وزعامة القائد الملهم الذي لا يقبل الاختلاف أو المخالفة، وأداته الأيديولوجية في ذلك هي فرض مبدأ الرغبة على الواقع وإسقاط الصورة المؤولة للماضي القومي على المستقبل الواعد بالحرية والوحدة والاشتراكية. وهذه الأبعاد العلائقية جعلت من الثقافة الوطنية مفهوماً عن الثقافة القومية بوجه عام، وعندما تحوّل ماضي الأنا القومية إلى واحة للعزاء، وانتخب منه ما صاغت به المخيلة صورة المستقبل العائد إلى أصله المشتى، تمّ تسليط الموجب من الماضي ليمحو السالب منه، وغدا التاريخ القومي كله موجباً الإيجاب المطلق، بالقدر الذي غدت الهوية القومية منبع الفضائل التي لا يعرفها الآخر، والثقافة الوطنية قرينة إيجاب الكمال الذي لا يشوبه النقص ولا يقبل النقد، والطريف أنه كلما أوغلت الأنا القومية

ربيع جابر من تقرير ميليس ذريعة لسرد الأيام الأخيرة في حياة بطل روايته "سمعان يارد"، الأرستقراطي البيروتي الضجر والعاشق الذي توقف عن العمل، ووجد في المشي تسليته اليومية، لكن هذا "المشاء" يملك عينا أخرى تمكنه من الخلط بين رؤية "الحاضر" البيروتي والتذكّر، ويقول وازن إن هذه رواية فريدة تجمع عاملين غاية في الطرافة والواقعية والغرائبية.

الكتاب: النقد الأدبي والهوية الثقافية الكاتب: د. جابر عصفور الناشر: دبي الثقافية – دار الصدى

يتميز هذا الكتاب بطابع المساءلة لإعادة النظر في مفاهيم سائدة في الواقع الثقافي العربي الذي يراوح بين أصوليتين دينية وعولمية، وما بينهما، ويستند الكتاب إلى أربعة محاور هي: "مفهوم الثقافة الوطنية"، و"علم الاستغراب"، و"مسألة سؤال"، و"عالمية الأدب"، التي عالجه المؤلف من منظور النقد الثقافي الأوسع من المعنى التقني المباشر للنقد الأدبي، كما حاول تحليل الواقع الثقافي العربي وتأثره بالأدب العالمي.

يبدأ جابر عصفور بمفهوم الثقافة الوطنية الذي ارتبطت نشأته بالدفاع عن الهوية الوطنية العربية في مواجهة الغزو الاستعماري الذي هدّد الوجود القومي للأنا الوطنية على مستويات عدّة، وجاء مفهوم الثقافة الوطنية نقیضاً للسياق العدائي الغربي الذي وصل بين التبعية والإتباع، فكان من أسلحة الدفاع عن هوية الأمة ووسيلة لتأكيد امتدادها التاريخي، فانطوى على علاقة ثلاثية الأبعاد بأطراف متباينة صارت هي المكونات الأساسية للمفهوم، أولها "علاقة التضاد" التي بدا بها نقیضاً لثقافة "الآخر" العدواني، خصوصاً ما يتّصل بالقمع، وثاني هذه

الأدبي دون سواه، هو نوع من إلحاح المنطوقات الخطابية للآلية الدفاعية التي تبني وتشكل بالكيفية التي ينبني بها كل فعل أيديولوجي يتجه مبناه إلى غايته، وذلك بواسطة التخييل الذي يراوغ به الفعل علّة إنتاجه، ويبرّر الغاية من هذا الإنتاج في سياقات النقد الأدبي أو غيره من المجالات التي تشبهه، بصياغة التأصيلية التي تخفي منطلق الفعل الأيديولوجي، وهو الدفاع العصابي عن الهوية القومية أو الدينية أو السياسية في مجال من مجالاتها، والتأكيد الانفعالي لحضورها في هذا المجال أو ذاك قياساً إلى نظيرها الغائب عن سياق الخطاب والفاعل المضمر لمنطوقاته. وحول عالمية الأدب يطرح المؤلف عالمية التنوع الخلاق كما يسميها، هذه العالمية تتميز بخطاب التنوع الخلاق الذي يؤسس لعالمية مغايرة، عالمية تؤكد الاختلاف والتباين والتعدد، وتتيح للبشرية كلها إمكانات لا حد لها من الثراء الإبداعي، وذلك بوصل الخاص بالعالم والمحلي بالعالمي .

ويذهب **عصفور** إلى أن القضاء على هيمنة الآخر والتخلص من التبعية له لا يعني رفضه من دون دراسة عميقة، ولا يعني الهرب من سطوته بالتوقع في الذات والانغلاق على ما يسمّى بالهوية الثقافية أو الثقافة الوطنية بمعناها العصابي. فكلّا الأمرين لا يؤديان إلاّ إلى تعميق هوة التبعية لهذا الآخر والفصوص في شباكه حتى تحت زعم البعد عنه والرفض المطلق له، ومن هنا لا بدّ أن ننطلق من الوعي في مناقشة الأدب والعالمية.

والعجيب أن النزعة المركزية الأوروبية-الأميركية لا تظهر تجلياتها الأدبية عند منتجها الأصليين وحدهم، وإنما عند مستقبلها الذين يقعون في أسر تخيلها، وذلك على نحو يؤدي بتجليات هذه النزعة إلى مجاوزة التأثير المراد في عقل التابع إلى ما يقوم به هذا التابع نفسه

في ماضيها بعيداً عن وجود الآخر القار في الحاضر، كانت صورة هذا الماضي تتشكل دائماً بالنظر إلى هذا الآخر، مهما تباعدت عنه صورة الماضي، أو بدت أنها تتشكل في غيبة من حضوره.

نقد حسن حنفي

وينتقد **عصفور** ما جاء في كتاب الدكتور **حسن حنفي** "الاستغراب" الذي جاء كنقيض "الاستشراق" الغربي بقوله: "ها نحن بدل مواجهة العقل النقدي ننازل الغرب بالكلمات التي تختزل حضوره في صفة واحدة مطلقة، ونناوشه بالكلمات التي لا تؤثر فيه، والتي قد تريحنا بأن نفرغ شحنات الانفعالية، لكن تجعلنا في أعين غيرنا وفي أعيننا الناقدة، بعد أن تخفت وقدة الحماسة العنصرية شبيهين بذلك الكافور الذي صاح بغلامه، في قصيدة أمل دنقل كي يشتري جارية رومية، تجلد كي تصيح : واروماه .. واروماه".

ويرى **جابر عصفور** أن السؤال في تشكيلاته المتعددة أو تجلياته المتباينة سؤال هوية متوترة، تبحث عن سبيل إلى التقدّم، في تعارضها العلائقي مع آخر يبدو أنه يفرض عليها التخلف، ولا تدرك هذه الهوية نفسها، أو تعي حضورها على نحو ما يتجلّى في سؤالها إلا في تناقضها مع غيرها، ومن منظور عصابي هو نتاج للتوتر الذي يزيد حديثه مبدأ الرغبة المسقط على مبدأ الواقع والعكس صحيح بالقدر نفسه، فالواقع الذي يتولد عنه السؤال هو الوجه الثاني للرغبة التي تتجسد في طرح السؤال سعياً إلى مجاوزة الواقع، والتي تتأول الواقع تأولاً يدني بالطرفين إلى حال من الاتحاد في آلية التشكل المضاد للدوافع .

وعن وجود نظرية نقدية عربية يقول **عصفور**: "إذا قصرنا السؤال على مجال النقد

النزعة المركزية الأوروبية-الأميركية لا تظهر تجلياتها الأدبية عند منتجها الأصليين وحدهم وإنما عند مستقبلها أيضاً، الذين يقعون في أسر تخيلها، وذلك على نحو يؤدي بتجليات هذه النزعة إلى مجاوزة التأثير المراد في عقل التابع إلى ما يقوم به هذا التابع نفسه من إعادة إنتاج هذه النزعة في ممارساته الثقافية، وعندئذ يغدو التابع في فعل إعادة الإنتاج شبيهاً بالمرأة التي تعيد إنتاج الموضوع المنعكس على صفحاتها وتشعه في اتجاه الأنظار المتطلعة إليها..

من نزوحه عن فلسطين مع عائلته، وعودتهم إليها، ثم مغادرته الأرض المحتلة إلى مصر، ومنها إلى أرجاء العالم.

وركّز صلاح فضل على بدايات درويش، وارتباطه الأساسي بالقضية الفلسطينية، وكأن درويش والقضية صنوان. فقد أضفى الشاعر بآرثه الشعري على القضية الفلسطينية ألقاً مضاعفاً، بخلاف بعض قادة النضال الفلسطيني الذين أضعفوا القضية، وأوهنوها بخذلانهم، وتخليهم عن قضايا شعبهم، بعكس درويش الذي بقي حتى آخر أنفاسه مخلصاً لشعبه وهمومه، إلى الحد الذي دفع بياسر عرفات للقول ذات مرة بعد سماعه درويش: "الشعر هو الثورة الفلسطينية".

ويلفت المؤلف الأنظار إلى الإشارات والرموز "الواضحة للقارئ" في قصائد درويش، وتحولاته الأسلوبية، في النصّ الدرويشي المميز، والمقارنة بين ديوان وآخر له، ليتبين أن النصّ تعود ملكيته إلى محمود درويش، لمفرداته وأسلوبه الذي يميّزه بسهولة عن باقي الشعراء.

ويتجاوز صلاح فضل الكثير من قصائد درويش ودواوينه مثل "سرير الغريبة" و"أحمد الزعتر" و"عابرون في كلام عابر" لكثرة ما كتب عنها، من دون أن يلتزم بالتسلسل الزمني للأعمال الشعرية.

شعرية العشق

يحوي الكتاب ثلاثة فصول تضمّ الحالات الشعرية الأهم في تجربة درويش، ويستهل الفصل الأول وعنوانه "شعرية العشق" بدراسة قصائد درويش الأولى، أولها قصيدته الشهيرة "بطاقة هوية" التي ذاعت باسم "سجل أنا عربي"، وقال فيها:

"سجل أنا عربي"

ورقم بطاقتي خمسون ألف

من إعادة إنتاج هذه النزعة في ممارساته الثقافية، وعندئذ يغدو التابع في فعل إعادة الإنتاج شبيهاً بالمرأة التي تعيد إنتاج الموضوع المنعكس على صفحتها وتشعّه في اتجاه الأنظار المتطلّعة إليها.

وتشيع هذه النزعة في أقطار العالم الثالث نتيجة علاقة الاتباع التي تربط بعض التيارات الأدبية أو النقدية أو الفكرية في هذه الأقطار بنماذج تحاكيها في أقطار المركز الأوروبي -الأميركي وفي هذه التجليات يغدو ما نردده عن عالمية الأدب نتيجة من نتائج عملية التخييل التي وقعنا، وأوقعنا أنفسنا، في شرك غوايتها متخيلين العالمية صفة يمنحها المتقدم للمتخلف.

الكتاب: محمود درويش.. حالة

شعرية

الكتاب: صلاح فضل

الناشر: دار الصدى - دبي

يقدم الناقد صلاح فضل في كتابه "محمود درويش حالة شعرية" تحليلاً وتقييماً لمسار الراحل محمود درويش الشعري، راصداً تحولاته الشعرية، وأشكال التعبير التي كرّسته كحالة فريدة، سكنت الوجدان العربي وأكسبته "يقين الخلود".

تزامن صدور الكتاب مع مرور عام على رحيل الشاعر الفلسطيني الكبير، الذي يعدّ حالة متفردة في مسيرة الشعر العربي المعاصر، ويقارب الدكتور صلاح فضل تجربته بعين المحب، وأدوات الناقد، ليكشف غنى رموزها، واتساع دلالاتها، وحدائث تعابير الشاعر، الذي لم يقنع على امتداد تجربته بأيّ نجاح حقّقه، ولا أيّ جماهيرية، وظلّ يتجاوز نفسه، ويسابق مريديه، ويراوغ نقاده.

وفي المقدمة يروي فضل سيرة الشاعر، بدءاً

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم سيأتي بعد صيف

فهل تغضب؟

وعلى الرغم من تناول هذه القضية الفلسطينية بطريقة مختلفة، وتجاوز درويش للمرحلة التي أنتجتها، إلا أن جمهور الشاعر توقف أمامها طويلاً. ورأى فضل من جهة أخرى أن الموتيفات المتكررة مثل القدس والبريتال والبحر والحجر والعصافير في قصائد درويش هي رموز مكتفة أعاد خلقها بمهارة في كثير من قصائده، من دون اتهامه بال تكرار، فمهارته تتجلى في عدم تقييده لنفسه داخل إطار ضيق، وتمييزه في قدرته على صياغة لفتات تعبيرية خاصة وإسنادات مجازية، وقدرة على بلورة الرؤية، واستحضار نماذج بصرية غنية بالمتخيل الشعري، تتكفل بنقل ألق خاص بالمتلقي.

ويؤكد فضل: "أن حياة الشعراء لا تحسب بالسنوات ولا بالأماكن فحسب، بل تقاس في نهاية المطاف بما أنجزه الشاعر من قصائد ومجموعات وما أحدثه من أثر في نمو الشعرية التي يكتب بلغتها، فإن حصاد درويش قد شارف على ثلاثين ديواناً شعرياً، هذا .. بجانب عديد من الكتب النثرية والرسائل والسير، كل ذلك يجعل تأمل ملامح شعرية العاشقة واستكناه تجلياتها المتحولة بمناهج نقدية متجددة، متعة جمالية حقيقية، ومطارحة نصية تحاول اقتناص رحيقها المفعم بسحر اللغة ونشوة المغامرة وعطر الفن في فصول متتالية يربطها نسق موصول من المحبة والتفهم الودود".

ويتوقف الناقد صلاح فضل ملياً أمام تعامل درويش مع الموت، ومواجهته له في أكثر من قصيدة، وكانت ذروتها في "الجدارية" وديوانه "كزهر اللوز أو أبعد" الذي يقول فيه درويش: "في القدس أغني داخل السور القديم

أسير من زمن إلى زمن بلا ذكرى
تصوبني فإن الأنبياء هناك يقتسمون
تاريخ المقدس .. يصعدون إلى السماء
ويرجعون أقل إحباطاً وحزناً.. فالمحبة
والسلام مقدسان وقادمان إلى المدينة
أمشي كأني واحد غيري وجرحي وردة
بيضاء إنجيلية ويدي مثل حمامتين
على الصليب تحلقان وتحملان الأرض
لا أمشي، أطيّر، أصير غيري في
التجلي، لا مكان ولا زمان، فمن أنا؟
أنا لا أنا في حضرة المعراج، لكني أفكر
وحده كان النبي محمد
يتكلم العربية الفصحى
وماذا بعد؟
ماذا بعد ..؟ صاحت فجأة جنديّة
هو أنت ثانية ألم أقتلك؟
قلت : قتلتي .. ونسيت مثلك أن أموت".

عالم من التحولات

وتحت عنوان "عالم من التحولات" رصد فضل في الفصل الثاني من كتابه المراحل الشعرية التي يصنف من ضمنها نتاج الشاعر، أو يوضع من ضمن أطر أو ثيمات خاصة بكل مرحلة، خصوصاً أن درويش كان دائم الصعود في تجربته الشعرية، والبحث عن صيغ وصور شعرية متجددة، وهو في قصيدته "بطاقة هوية" أسس بحق للتحولات الشعرية اللاحقة في مسيرته الحافلة، فشعره بالذات في هذه القصيدة مثل أكبر المشاغل براءة وأشدّها خطورة في آن، لا بمنطق الجدل العقلي والتاريخي، إنما بمنطق إيقاظ الحلم، وتسمية الأشياء بالكلمات العارية البسيطة، وهو هنا لا يعبر عن قضية بقدر ما يخلق المعادل الشعري لها، وتصريح محمود درويش الذي قال فيه: "أنا منحاز للغناء في الشعر، لأن المناخ الإنساني

ليصل إلى هذا النوع الشعري الغني والعاصف، ما جعله في كل ما كتب نثراً أو شعراً حالة شعرية متفرّدة في مسيرة الشعر العربي.

الكتاب: فلسطين في الشعر المصري

الكاتب: محمد سالم

الناشر: الهيئة العامة للكتاب - القاهرة

رصد د. محمد سالم في كتابه "فلسطين في الشعر المصري" القضية الفلسطينية في الشعر المصري، عبر مئة عام تقريباً، منذ وعد بلفور إلى اتفاقية كامب ديفيد، من خلال أعمال عدد كبير من الشعراء المصريين الذين انشغلوا بالقضية الفلسطينية، إضافة إلى بعض الأعمال الشعرية التي لم تشر.

يتضمن الكتاب رؤيتين موضوعية، وفنية، وفي الباب الأول صورة عن اللاجئين في الشعر وأبعاد المأساة، وشعر الاستنفار والحض على الثورة، والقضية بين محاور الحرب ولغة السلام، ويتناول الباب الثاني البعد اللغوي والأسلوبي، والبناء التصويري والصوتي، بجانب لمحة تاريخية عن فلسطين في مقدمة الكتاب.

ورصد المؤلف أعمال عدد كبير جداً من الشعراء المصريين الذين كتبوا عن القضية الفلسطينية، مثل إبراهيم عيسى وأحمد زكي أبو شادي، وأحمد هيكل، وأمل دنقل، وجليلة رضا، وحامد طاهر، وحسن فتح الباب، وسعد ظلام، وشوقي هيكل، وصابر عبد الدايم، وعامر بحيري، وعبد الرحمن الشرقاوي، وعبد العليم عيسى، وعبد العليم القباني، وعبد المنعم يوسف عواد، وعبد بدوي، وعفيفي محمود، وعلي الجارم، وعلي محمود طه، وفاروق جوييدة، وقاسم مظهر، وكامل أمين، ومحمد الأسمر، ومحمد التهامي، ومحمد حوטר، ومحمد عبد الغني حسن،

الحزين يقتضي دائماً الشفافية في التعبير، وأحياناً لا أجد هذه الشفافية إلا في الغناء "يعدّ مفتاحاً لفهم غنائية شعر محمود درويش، عبر بحثه الدائم عما يطور عالمه الشعري.

واستعرض صلاح فضل في الفصل الثالث "قراءات نصية : حالات الشعر والحصار" بعض العناوين الفرعية للخروج بمفاهيم نقدية، تقترب من الحالة الشعرية المسيطرة في شعر درويش.

على تخوم الملحمة

وتحت عنوان "قصيدة درامية شاملة" تناول الناقد بنية القصيدة الدرويشية وتعدّد الأصوات ضمن النصّ الواحد، وكيف انتزع الشاعر من مختلف الفنون الشعرية ما صاغه في قالب واحد متآلف، لتقديم تركيبة جديدة متطورة للنصّ الشعري، وديوان "حالة حصار" نموذجاً للنصّ متعدّد الأصوات والشخص، فهو يضمّ حوارات متخيلة ومتماسكة تصنع رؤية شاملة لحالات الشعر والحصار. وضمن عنوان "لمسات الحداثة" يرى فضل أنه على الرغم من أن الأبرز في شعر الحداثة هو غياب الموضوع وتشّتت الدلالة، إلا أن القصيدة عند درويش تقترب أكثر من الشعر التعبيري، عبر دلالات وإسنادات مجازية تخلق توتر الحالة الشعرية، وتتجاوز المعنى المألوف، وعبر تعدّد العناوين يجول فضل في بانوراما سريعة على أبرز الملامح في نصّ القصيدة وفي مجمل الإنتاج الشعري لدى درويش الغني بالتركيب والمفردات والحالات الشعرية التي قلّ أن يوجد مثيل لها عند شاعر واحد، معتبراً أن ما يميّز شعر درويش هو اللغة المتفرّدة، والعبارات الأنثيقة التي تضيف للشعر شعراً آخر، يفتح على أفق فسيح يتجاوز المألوف ليضع القارئ على تخوم الملحمة، هذه الملحمة التي كانت طموح الشاعر، وعمل جاهداً

يعتبر الناقد صلاح فضل أنّ ما يميّز شعر محمود درويش هو اللغة المتفرّدة والعبارات الأنثيقة التي تضيف للشعر شعراً آخر يفتح على أفق فسيح يتجاوز المألوف ليضع القارئ على تخوم الملحمة .. هذه الملحمة التي كانت طموح الشاعر، وعمل جاهداً ليصل إلى هذا النوع الشعري الغني والعاصف، ما جعله في كل ما كتب نثراً أو شعراً حالة شعرية متفرّدة..

ما كان إلا الحق صاح مقيداً
وتركتهم رهناً المطامع تبتغي
فيهم على حرّ المواطن أعبدا
ثاروا بأرض الله ثورة عاجز
سمع القوى شكاته فتوعدا
كما صور علي محمود طه وعد بلفور بأنه
وعد خطه الظلم، وأنه حلم من عالم الخيال
والوهم، حمته القوة، وأخرجته إلى عالم
الحقيقة، فكان مَنَارَ خطوب ومبعث أهوال،
فيقول:

محا الله وعداً خطه الظلم لم يكن
سوى حلم عن عالم الوهم ختال
حمته القنا كيما يكون حقيقة
فكان مَنَاراً من خطوب وأهوال
وفتح بين القوم أبواب فتنة
تطل بأحداث وتومي بأوجال
هذا الاهتمام الشعري المصري المبكر جداً
بالقضية، كان أمراً طبيعياً بالنظر إلى عمق
الوجدان الديني المصري، وانفتاح الثقافة
المصرية على العروبة والوطنية بصورة عامة.
ولم يقتصر الأمر بالطبع على كل من أحمد
محرم ومحمود حسن إسماعيل وعلي محمود
طه، بل يرصد المؤلف أبيات الشعر والقصائد
التي نظمها عدد كبير من الشعراء المصريين
بمناسبة وعد بلفور، مثل محمد كمال إمام،
ومحمود محمد صادق، وعفيفي محمود
وغيرهم، ثم يقوم بنقلها.

تفاعل الشعراء مع القضية

وبعد ذلك يورد تفاعل الشعراء مع القضية
الفلسطينية، فيصور الشاعر محمد الأسمر
بعضاً من لمحات النضال الفلسطيني ضد
الصهيونية المتحالفة مع الإنجليز قائلاً:
ردي جبالك عنهم يا هذه
فالغاب يؤخذ من قوى أخاذه

ومحمد علي عبد العال، ومحمد كامل إمام،
ومحمد مصطفى الماحي، ومحمود أبو الوفا،
ومحمود حسن إسماعيل، ومحمود الخفيف،
ومحمود غنيم، ومحمود محمد صادق، ومحمد
محمد صادق، ومصطفى بهجت بدوي، وهاشم
الرفاعي، والورداني ناصف، ويوسف خليف.
والملاحظ أن المؤلف الذي رصد الأعمال
الشعرية المنشورة، لجأ أيضاً إلى بعض
المخطوطات التي لم تنشر مثل ديوان إبراهيم
عيسى "مع الأيام" ورشاد يوسف "وا إسلاماه"،
ومحمد الحساني حسن عبد الله "من وحي
الوافر وقصائد أخرى". الأمر الذي يدل على
مدى الجهد الذي بذله في إعداد الكتاب.

الاهتمام الشعبي المبكر بفلسطين

ولعل من المفيد هنا رصد مدى الاهتمام
الشعبي المصري المبكر جداً بالقضية الفلسطينية،
بحيث واكب الشعر المصري الموضوع منذ وعد
بلفور في الثاني من نوفمبر/تشرين الثاني 1917.
فالشاعر المصري أحمد محرم نظم قصيدة
طويلة رصد فيها وعد بلفور "الذي أسماه الوعد
المشؤوم" وفي مطلع تلك القصيدة يقول الشاعر
أحمد محرم:

بلفور بسّ الوعد وعدك للألي
جعلوك للأمل المخيب سلماً
خدعوك حين أطعتمهم وخذعتهم
إذ طأو عوك وتلك منزلة العمى
لسنا ولاة الحق وإن لم يندمو
ولا أنت أولى أن تتوب وتندما
تلك الإساءة ما استقل بمثلها
في الدهر قبلك من أساء وأجرماً
أمّا محمود حسن إسماعيل فيقول:
يا يوم بلفور شوؤمك خالد
ما ضرّ لو أخلفت هذا الموعدا
عاهدت أعزال الجسوم سلاخهم

نثر الزهور مع الوعود
زيتون غصنك والأزاهر
في يد الأقدار سود
ويردف في قصيدة أخرى:
يا مجلس الأمن العتيد تحيتي
أشعلتها ناراً فَنَمَ بأمان
بَعَثَ المسيحَ إلى اليهود سماحةً
لا بدع إن أرخصتَنَّا في الشان

تسعون يوماً والعرين مُزْمَجِر
غَضَبًا على من شذاه
ما كل أرض لقمة مأكولة
بل بعضها كالسهم حين نفاذه
شادت فلسطين الشهيدة صرحه
من قلبها الدامي ومن أفلاذه
لاذ الحمى فيها بأبطال الحمى
فمضوا لخير ملاذهم وملاذه

ثم يواصل الشعر المصري مواكبة الحدث
الفلسطيني في معارك 1948، فالشاعر أحمد
مخيمر يوجّه التحية إلى الشهيد عبد القادر
الحسيني قائلاً:

نلت الشهادة فاهناً أيها البطل
بمثل عزمك تبني مجدها الدول
وفي الإطار نفسه يقول محمد محمد صادق:
لحق الحسيني "الحسين"
زين الشباب وأي زين
حن الشهيد لجده
فتشابها في الميتين

ولم يغفل الشعر المصري عن رصد جرائم
الصهاينة في فلسطين، وفي هذا الإطار كتب
عدد من الشعراء المصريين بقلوب حزينة
وعيون دامعة عن مجازر دير ياسين، وكفر
قاسم، وغيرهما، ومنهم الشاعر شوقي هيكل،
الذي قال:

اذكروا في الدهر ذكري كَفَرِ قَاسِمِ
واذكروا ياسين ديراً لم يسالم
واذكروا الجسر الذي ظل يقاوم
واذكروا القدس وفيها الموت جاثم

الشعر وازدواج المعايير الغربية

وقد تضمنت تلك القصائد معاني قديمة، لا
تزال موجودة حتى اليوم، مثل المؤامرة الغربية

وعندما عقد مؤتمر بلودان (مصيف في
سوريا) في 8 سبتمبر 1937 وحضرته مصر
وسوريا ولبنان والأردن والمغرب العربي
وفلسطين، قرّر المؤتمر رفض التقسيم، ورفض
قيام دولة يهودية، واعتبار فلسطين جزءاً من
جسم الأمة العربية، وقامت الثورة الفلسطينية
الكبرى، وقامت الحكومة البريطانية بنفي صفوة
المجاهدين الفلسطينيين إلى جزر سيشل.. يقول
الشاعر محمد الأسمر:

أسود فلسطين تحية شاعر
وكل فلسطين أسود بواسل
حلّتم على الوادي المبارك أهله
فأنى نزلتم فالقلوب منازل
ذهبتكم إلى المنفى وأنتم أهلة
وعدتكم كما عادت بدور كوامل
وما أنتم إلا سيوف ملاحم
وما حادثات الدهر إلا صياقل

لم يقتصر الاهتمام الشعري المصري في
ذلك الوقت على أبعاد النضال الفلسطيني،
ولكنه واكب مراحل القضية وأشكالها؛ فعندما
صدر قرار التقسيم في العام 1947، ثار الشعراء
المصريون على الأمم المتحدة، والظلم الدولي
وازدواج المعايير والتواطؤ الغربي.. يقول محمود
محمد صادق لمجلس الأمن:

يا مجلس الأمن الذي

ولا يزال يؤمن بحتمية إزالة إسرائيل وتحرير كامل التراب الفلسطيني، وعدم جواز التفريط في أي شبر من الأرض، وبين الموقف الحكومي بعد توقيع اتفاقية كامب ديفد العام 1979، وهو موقف له تعقيداته الدولية والدبلوماسية بالطبع، ولعل من أهم موضوعات هذا الكتاب التي ناقشها المؤلف هو موقف الشعر المصري من مسألة السلام بين مصر وإسرائيل بعد توقيع اتفاقية السلام بين الحكومتين المصرية والإسرائيلية العام 1979.

وكان الفريق الرفض للسلام كبير: ومنهم الشعراء الحساني حسن عبد الله، ومصطفى بهجت بدوي، ومحمد علي عبد العال، وأمل دنقل، وصابر عبد الدايم، فهؤلاء انطلقوا من أن هذا السلام ذل واستسلام ومؤشر لضياع الحقوق العربية، ودعوة إلى ضرورة الأخذ بالتأثر لأبنائنا الشهداء.

كتب أمل دنقل قصيدة أصبحت عنواناً لكل الراضين للسلام والمناهضين لـ إسرائيل، وهي قصيدة "لا تصالح" الذي جاء فيها:

لا تصالح
ولا تقسِّم مع من قتلوك العظام
ويقول:
سوف يولد من يلبس الدرع كاملةً
يوقد النار شاملةً
يطلب الثأر
يستولد الحق
من أضلع المستحيل
.. لا تصالح

خامساً: كتب مترجمة

الكتاب: العمامة والأفندي
سوسيولوجيا خطاب وحركات الخطاب الديني

على الإسلام، وازدواج المعايير الغربية، وضعف العروبة والإحساس العربي لدى الحكام العرب، والدعوة إلى الجهاد، باعتبار أن ذلك هو الطريق الوحيدة للحوّل دون ضياع فلسطين، والدعوة إلى وحدة العرب، والأخذ بأسباب القوة.

ولقد واكب الشعر المصري بعد ذلك مراحل النضال الفلسطيني، وتفاعل مع القوى المجاهدة المناهضة للاحتلال، والرافضة له، وبخاصة تلك التي حملت السلاح في مواجهته، مثل الشيخ عز الدين القسام 1935، ثم الثورة الفلسطينية 1936 - 1939 وغيرها من ملامح النضال والمقاومة.

ويستمر الكاتب في رصد تفاعل الشعر المصري مع الحدث الفلسطيني بعد 1948، وأبان هزيمة 1967، وانتصار 1973، ثم اندلاع الانتفاضات الفلسطينية المتواصلة التي شكّلت جزءاً مهماً من الحدث في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي، ولكن من الملاحظ أن المؤلف لم يعط الفترة من العام 1948 حتى العام 1978 الكثير من الاهتمام، ولجأ إلى رصد موضوعي للشعر، مثل موقف الشعر المصري من اللاجئين، ومدى تعاظمه مع مأساتهم، وكذا شعر الاستنفار والحض على الثورة، ثم أثر الانتفاضات الفلسطينية على الشعر المصري.

ويرصد المؤلف عدداً من الملاحظات على الشعر المصري بالنسبة إلى فلسطين بعد 1948 مثل قوله: "من السمات التي تميز هذا الشعر الاتكاء على الدين، واستلهاً المعاني الروحية"، وقوله: "ربط الشعراء المصريون، أو معظمهم، بين قضية فلسطين وضياع الأندلس من قبل"، وكذا يرصد المؤلف تجاوز الشعر المصري الحدود المصرية إلى الأبعاد العربية والإسلامية والإنسانية.

لعل الشعر المصري كان أحد التجليات التي ميّزت بين الموقف الشعبي المصري، الذي كان

الكاتب: فالح عبد الجبار، ترجمة أمجد حسين الناشر: منشورات الجمل - بيروت

وسياسة". "ويقدم الكتاب لمحة تاريخية عن تشكل الدولة العراقية ومؤسساتها من ناحية القوى الاجتماعية التي صاغتها. كما يحتوي تحليلات مهمة عن المنابع الاجتماعية لنظام حكم صدام والنتائج التي آلت إليها"، وقال **زبيدة** في تقديمه للكتاب: "إن الفضاء الشيعي في **العراق** مركّب ومتعدّد الأبعاد فهو جماعة دينية وتخوم اجتماعية وتشكيلات سياسية وبنوع أفكار ومعرفة"، وهو أيضاً: "غير متجانس اجتماعياً، إذ يضمّ الطبقات الإكليريكية في العتبات المقدسة وبرجوازية المدن والمتقنين الحديثين والفلاحين القبليين وشيوخ العشائر. وأضاف أن السياسة في هذا الفضاء: "لا تنحصر في عصبوية طائفية موحدة، بل تتطوي على مركّب متنوّع من المصالح والأيديولوجيات والحركات التي تتجاوز التخوم الطائفية في أغلب الأحيان"، وأن المثقفين الشيعة "برزوا في معظم الحركات السياسية والتيارات الفكرية الحديثة في **العراق**".

وقال **سامي زبيدة** في مقدمته إن الحزب الشيعي العراقي: "ضمّ الكثير من القادة والكوادر الشيعية واجتذب أوسع تأييد قاعدي في المدن والأحياء الشيعية، والقادة الشيعة برزوا في مختلف الأحزاب القومية بما في ذلك حزب البعث قبل أن يقع فريسة قبلية الحكومة".

ثلاث مقاربات متميزة

يحتلّ **عبد الجبار** برأي **زبيدة** "موقعاً فريداً يؤهله للكتابة عن تاريخ **العراق** الحديث"، "فهو مشارك بارز في المشهد السياسي والثقافي، أولاً داخل بلاده، ثم شأن العديد من المثقفين الذين نجوا من التصفية في المهجر، ويتابع أن معارفه وأبحاثه علمية صارمة، لكنها لا تتبع من معطيات أرشيفية وثائقية فحسب، بل هي ثمرة ارتباط وثيق بالأحداث والشخص والتيارات

أول ما يلفت في هذا الكتاب عنوانه "العمامة والأفندي"، ليس باعتباره أول عتبات النصّ فقط، بل لما فيه من طرافة ومفارقة ظاهرية، تزداد عمقاً وتأخذ منحى فكرياً بالتوغل في قراءته، وهي توحى للقارئ بتبدل أحوال غطاء الرأس العربي والإسلامي، حيث كانوا في السابق يعتمرون العمامة، التي تختلف من طائفة لأخرى، وترمز إلى الهوية والطائفة والدين، وربما الطبقة، ثم استبدلت بالطربوش في العصر العثماني، الذي ساوى بين رؤوس الناس وأخفى هوياتهم وطوائفهم، وقد يكون ميلاً خفياً لإنهاء التمييز، وترسيخ المساواة بدءاً من غطاء الرأس.

لكن نصّ الكتاب يصحبنا إلى قضايا أعمق وأعتقد من ذلك الظاهر بكثير، وقد وصفه البروفسور **سامي زبيدة** أستاذ علم الاجتماع في كلية **بيركبك** في جامعة لندن، بأنه "أشبه بوليمة معرفية لكل دارس **للعراق** أو المنطقة كما لكل قارئ عليم وفضولي"، و"مساهمة فريدة وقيمة في دراسة الإطار الحديث للتشيع في **العراق** مجتمعاً وثقافة وسياسة"، لأنه "يرسم لوحة أخذة عن المشهد الشيعي بمؤسساته ومرجعياته بشخصه وأسرته وفتاته وباقتصاد الحياة الدينية وحالات المدّ والجزر المالي فيها"، "وأخّاذ بما يحويه من سرديات عن المعرفة الدينية ووسائل نقلها والطقوس ببنيتها السياسية المرتبطة بأحداث معينة"، "ووصف وتحليل الحركات السياسية الشيعية ومنابعها الاجتماعية والفكرية هي بؤرة اهتمام الكتاب، لكن ذلك يندرج في إطار أوسع يقدم ثروة من المعلومات والاكتشافات عن **العراق** مجتمعاً

الإيقاع التاريخي للمحيط العربي والإقليمي وتطورات، بخاصة إيران بعد الثورة الإسلامية، وعبر سردية عميقة لحياة العراق السياسية، والشيعة تحديداً، يوضح لنا كيف تتبلور وتضمحل بعض النظريات والمفاهيم وفق ظروف خارجية وداخلية، وكيف تستغل الطقوس الشعبية الدينية الشيعية، كذكرى عاشوراء، وزيارة العتبات المقدسة في تأجيج الضغائن المكبوتة ضد الحكومات العراقية القائمة، فتتداخل مظلمة كربلاء التاريخية في المأساة السياسية والاجتماعية الراهنة.

ويحلل العلاقة المتوترة بين شيعة العراق والحكم الذي تبني شعارات القومية العربية، مذكراً بمقولة الشيعة التي تقرر القومية العربية بالطائفة السنية، وأوردها ولي نصر في كتابه الأخير "صحوة الشيعة" واتهم دعاة القومية باستخدامها ضد الشيعة لهضم حقوقهم، ودرء أي تهديد لهيبة أنظمة الحكم العربية التقليدية، كما فعل كنعان مكبة في كتابه "جمهورية الخوف" حين تحرى أصول النزعة القومية في صلب المذهب السني العربي، وهو تعميم كان حرياً بـ عبد الجبار الكاتب الموضوعي تقادي هذا التعميم.

يغطي كتاب «العمامة والأفندي» ظروفًا تاريخية وتحولات اجتماعية وسياسية في العراق، وداخل صفوف الشيعة، ويكشف الأرضية والشروط التي اكتملت فيها عناصر الصراعات والتجاذبات المتكتلة حيناً، والمبعثرة أحياناً، الظاهرة تارةً، والمختفية طوراً، وحدد بداية التنافس السري ثم العلني، بين الدولة العراقية والطائفة الشيعية، بانبثاق «حزب الدعوة» أول حزب شيعي عراقي، فبعد ثورة تموز 5819 انكفأت الأيديولوجيات العلمانية، وازدادت جاذبية الأيديولوجيات المقدسة، واشتد عود الهويات الإثنية والطائفية، وعبر

الفكرية، بل إن سردياته مشبعة بمعرفة حميمية بالتاريخ والسياسة في عموم المنطقة ما يضيف على البحث منظوراً مقارناً. أما التحليل فإنه ثري بالمعرفة النظرية الاجتماعية والسياسية. ويقول الدكتور فالح عبد الجبار نفسه عن كتابه «العمامة والأفندي» إنه: «محاولة لفهم العلاقة بين المقدس والديني في مناشئ حركات الاحتجاج الدينية في العراق، مقارنة مع إيران، واعتماداً على أدوات نظرية لسوسيولوجيا الدين، ومناهج البحث الأكاديمية».

يقدم عبد الجبار في كتابه ثلاث مقاربات متميزة، في أدبيات المذهب الشيعي، والحركة الإسلامية الشيعية العراقية، وهي مقارنة طائفية، ومقاربة الجوهرية الثقافية، ومقاربة بنيوية ظرفية.

يحيوي الكتاب خمسة أجزاء هي: «الدولة، الأمة، النزعة الإسلامية»، «النشوء والطفرة»، «المرجعية والطقوس الشعبية»، «التصادم في عهد البعث»، «الأيديولوجيا: النظريات الاجتماعية-السياسية والنظريات الاقتصادية».

ويبحث فالح تجليات الحياة الدينية لدى شيعة العراق، وتجاوزهم مع حكماء في العصر الحديث، وبدت تأملاته أوسع من الحالة العراقية، تتشد معرفة أعمق لمسارات الخطاب الديني وتعبيراته، من دون تبسيط ولا تجريد.

وقارب شيعة العراق كظاهرة تاريخية بالغة التركيب، وتتبع أصولهم، وفحص طبائعهم وتكويناتهم، محاذراً المقاربات السوسيولوجية التي تعتبر الطوائف كيانات متجانسة مغلقة على ذاتها وتاريخها، فهو يراها ظاهرة حيوية، مرتبطة بجذورها الاجتماعية والتاريخية التي أنتجت، كما يراها أيضاً متفاوتة ومتعارضة ومتعددة العناصر والميول.

وتميزت رؤية عبد الجبار بوعيه بجذلية الإيقاع التاريخي الوطني للعراق وتحولاته، مع

بتغطية واستيحاءات إسلامية. واستلهم حزب الدعوة برأي **عبد الجبار** أساليب التنظيم اللّيني الذي أرسّته الأممية الشيوعية الثالثة، في عشرينيات القرن الماضي، وتبنّاه شيوعيون عرب وقوميون راديكاليون، وأخوان مسلمون. وحلّل **عبد الجبار** طبيعة المعرفة الدينية، وتكوين ركائز السلطة لدى علماء الدين الشيعة، استناداً إلى نظرية **ميشيل فوكو** عن علاقة المعرفة بالسلطة، إذ نُسجت هذه العلاقة تاريخياً وبصورة تدريجية، وقامت أولاً على فكرة ضرورة أخذ الشيوعي بنصائح الفقيه طوعاً واستحساناً، ومع تنامي الدور المنوط بالفقيه الشيوعي، غدا تقليده واجباً أخلاقياً ودينياً مفروضاً على أبناء الملّة كافة.

الكتاب: اختلال العالم.. حضارتنا المتهافئة؛ (مترجم عن الفرنسية)
الكاتب: أمين معلوف
الناشر: دار الفارابي - بيروت

في كتابه "اختلال العالم.. حضارتنا المتهافئة" عرض الأديب اللّبناني **أمين معلوف** لقضايا عدّة، منها الاحتلال الأميركي للعراق، وأثر المرحلة الناصرية على العالم العربي، وأزمة الشرعية وأنظمة الحكم العربية، وصراع الحضارات، والإسلام السياسي، ودور **الولايات المتحدة** العالمي، واضطهاد الأقليات، وكلّها مشوبة بقلق وجودي اشتهر به **معلوف** في أطروحاته، وتوقف أمام حالة الإنهاك الشديدة التي نالت من العالم، وقادته إلى منطقة "القصور الأخلاقي".

ووسم فصول كتابه بعناوين ذات دلالات مثل "الانتصارات الكاذبة"، و"الشرعيات الضالة"، و"الثقافات الخيالية"، و"عهد سابق لتاريخ مضطرب في الطول"، لتدور أفكاره حول الهوية

النهوض الطائفي، عن ضعف سيرورة التكامل، والاندماج الوطني بين أطراف الشعب العراقي، الذي يتوزع ولاؤه على أكثر من موقع طبقي وطائفي وقبلي وعرقي، ودفع التوجس من حكم **عبد الرحمن وعبد السلام عارف** المنحازين سنياً، إلى سلوك الشيعة طريق العمل السياسي السري، عبر تشكيل التنظيمات الحزبية ذات الأيديولوجية الدينية.

لذلك يضع **فالح عبد الجبار**، في تحليله الظاهرة الدينية الشيعية، الحوزات في **كربلاء** و**النجف** في بؤرة الضوء، بوصفها مركز تأثير وجذب وتحريض. وسبق له أن حلّ في كتاب سابق الموارد المالية للحوزات، وطرائق جبايتها وصرفها، وصراع المرجعيات في ما بينها على استقطاب الأموال الشرعية، من زكاة وخمس وأوقاف، الأموال التي تساعدها على بسط شبكات نفوذها، وخلق جماعات من الأتباع والمريدين. وقد حاولت هذه الجماعات بقيادة علماء الطائفة أن تتغلغل إلى مجالات غير خاضعة لسيطرة الدولة، مثل ميادين التعليم، والمساعدات الاجتماعية، والأعمال الخيرية، والعناية الطبية، وإصدار المطبوعات التي ترمي إلى بناء نظرية اجتماعية وسياسية منافحة عن الإسلام، لتشكل ما يشبه المجتمع المدني الشيوعي. وفي مواجهة تهديد الأيديولوجية العلمانية، لعبت مجلة **أضواء** دوراً توجيهياً وتنقيفياً بارزاً في إعداد الجماعة، ومنافسة الفكر الماركسي.

منحى حزب الدعوة

وفي قراءته لمنحى "حزب الدعوة" الفكري واستراتيجيته السياسية، عدّ **عبد الجبار** خطاب الدعوة وإطاره التنظيمي خطاباً وإطاراً يحاكيان الأحزاب العلمانية الحديثة بمضامينها وأساليبها واستراتيجياتها ومفاهيمها، ولكن

يغطي كتاب "العمامة والأفندي" ظروفًا تاريخية وتحولات اجتماعية وسياسية في العراق، وداخل صفوف الشيعة، ويكشف الأرضية والشروط التي اكتملت فيها عناصر الصراعات والتجاذبات المتكثلة حيناً والمختفية طوراً.. أحياناً، الظاهرة تارةً والمختفية طوراً.. وحدد بداية التنافس السري ثم العلني بين الدولة العراقية والطائفة الشيعية، بانبثاق حزب الدعوة أول حزب شيعي عراقي..

ازدياد ضياع الإنسان

واختلال العالم في تقديره ناتج من إنهاك الحضارات، خصوصاً حضارتي الغرب والعالم العربي اللتين شكلتا ثقافتين نهل منهما العالم، وهي في نظره ليست "حرب حضارات"، فالغرب يعيبه ضعف انتمائه لقيمه الخاصة، والعرب والدول الإسلامية قابعون في مأزق تاريخي لا يسعون للإفلات منه، ولتغييره في المدى المنظور بحسب إمكاناتهم وأوضاعهم على الأرض.

ويذكر **معلوف** بالأمل الذي ساد العالم عند سقوط جدار برلين، وتوقف الحرب الباردة بين المعسكرين الذي أبعده شبح المواجهة النووية الذي ناوش البشرية لأكثر من أربعة عقود، وأرهقها بهواجس الزلزال الذي يصعب تصوره، وتقاول البشر وقتها باحتمالات انتشار الديمقراطية وزوال الحواجز بين الدول، لتزدهر الإنسانية، لكن شيئاً من هذا لم يكن، وازدادت الحياة تعقيداً، وانتشرت الحركات الدينية المتطرفة، وتخلّى الناس عن أحلامهم المهيضة، ولاذوا بأفاق طائفية يتلمسون فيها الحماية والأمان.

وعلى الرغم من التطور التكنولوجي الذي شهده العالم في العقود الثلاثة المنصرمة، بدت السبل وكأنها تضع من الأقدام، وازداد الإنسان ضياعاً مع تقدّمه، ومع أن البعض اعتبر انهيار **الاتحاد السوفييتي** انتصاراً مجانياً للغرب، بيد أن **أوروبا** تاهت لحظة انتصارها، وانشغلت بالتفتيش عن هويتها وحدودها ومؤسّساتها وموقعها في العالم الجديد.

وقاد هذا المنزلق الأيديولوجي الإنسانية بحسب **أمين معلوف** نحو فكرة الهوية الضيقة التي صعبت التعايش السلمي بين الجماعات البشرية للغاية، بخاصة بين طوائف الدين الواحد، كما بين السنة والشيعة الذين تبادلوا الاتهامات والشكوك، وبعدها كانت حالات الزواج متواترة ومنتشرة بينهم، استبدلوها

وتداعياتها التي خلّفت خلافات هائلة، وحلّت مكان الأيديولوجية التي تسببت سابقاً بنزاعات وحروب مريعة.

وتمعّن في انقسام العالم بين غرب وعرب بعدما تخليا عن مثلهما العليا. فبينما تراجع الغرب عن قيمه الليبرالية التي بشر بها العالم لعقود مديدة، وبات مخلصاً لمنظومة قيم خاصة، فتشوّ وجهه الديمقراطي الليبرالي، اكتسبت الأصولية الدينية زخماً في المجتمعات العربية والإسلامية، واعتمدت العنف نهجاً لها تجاه الغرب العلماني، "الكافر" برأي الحركات المتطرفة.

ويعتقد **أمين معلوف** أن السنوات العصيبة التي يشهدها العالم الآن ربما تقوده إلى رؤى أنضج في ما يخصّ الانتماءات والاختلافات الفكرية، ولعلّها تنقذ البشرية من مصير مخيف، فلا سبيل أمامها غير هذا. وافتتح كتابه بعبارة موحية هي: «يبدو أننا دخلنا هذا القرن الجديد بلا بوصلة»، ليس تخوفاً من الانتقال إلى الألفية الثالثة، ولا مشاطرة لمن يجزعون من التغيير، بل لأنه تنويري كبير يعرف حجم المسؤولية الواقعة على عاتقه، شأن المبدعين الكبار في انشغالهم بمصير الإنسانية وتحولاتها الكبرى، فبعدها كانت المجتمعات تتميز بالتنوّع والتعايش، انفلتت برعونة من قيود احترام الآخر والحفاظ على الحريات، وناءت بالانهيارات الاقتصادية، التي تقود الأرض إلى اضطرابات يتعذر التكهن بنتائجها، إضافة إلى تدهور مناخ العالم نتيجة تعسف الغرب الصناعي وقسوته على البيئة، ووسط هذا لا يتقبّل **معلوف** فكرة فناء الحضارة الإنسانية، فهو مبدع عاشق للحياة، عارف بقيمتها، وبحتمية الدفاع عنها، وفهم أسباب الانحدار، وإمكانية الخروج من الدرك.

وأفكار موروثة، وأحكام قديمة العهد، وتصورات ساذجة.

ما يعني أنه حان وقت تغيير الأولويات، والإصفاء بجدية لما يقوله العالم، فلم يعد ثمة غرباء في هذا القرن، بل "رفاق سفر"، وسواء أكان معاصرونا يسكنون الجهة الأخرى من الشارع أم الجهة الأخرى من الكرة الأرضية، فهم لا يبعدون سوى خطوتين، وتمسهم تصرفاتنا في الصميم، كما تمسنا تصرفاتهم تماماً، وإذا كنا نحرص على صون السلم الأهلي في أنحاء الكرة الأرضية، فنحن بحاجة إلى معرفة الآخرين بدقة وإرادة معرفية للتواصل مع ثقافتهم وآدابهم.

ويقترح **معلوف** الاستغناء عن الأفكار السابقة والانطباعات الموروثة، والتقدم بخطى واثقة إلى طور جديد من المغامرة البشرية، تخترع فيها الشرعيات والهويات والقيم من جديد، لتأسيس عالم جديد تكون الثقافة على رأس سلم قيمه، ففيها الخلاص. وكما قد يضلّ البشر الطريق بواسطة الدين ربما أضلوا الطريق من دونه أيضاً، والثقافة ليست وسيلة تتزيّن بها فئة من الناس، بل هي معين الأدوات الفكرية والخلقية التي ستسمح لنا بالبقاء، ومن دونها سنخطئ القرن والألفية، و"القرن الحادي والعشرون لن ينقذ إلا بواسطة الثقافة التي ستعزّز شيئاً فشيئاً الإيمان بوحدة المغامرة الإنسانية، فاسحة المجال بذلك لحصول صحوّة إنقاذية"، وإذا كنا نتمنى ألا نستنفذ موارد الكوكب بسرعة، فسيكون علينا أن نفضّل قدر المستطاع أشكالاً أخرى للشعب، وأشكالاً أخرى للمتعة، من بينها تحصيل المعرفة وتنمية حياة داخلية تساعد على التفتح، ولا يعني هذا فرض حرمانات أو العيش في تقشف، لكننا إذا رغبتنا في الاستمتاع بما تقدّمه لنا الحياة، فعلياً تعديل سلوكياتنا.

بمجازر متبادلة تجسد مأساة العراق.

حقيقة الأمر في رأي **معلوف** كامنة في إهدار الدول الغنية لعلاقاتها بالشعوب الفقيرة، ومساعدتها دكتاتوريات العالم الثالث، بالمخالفة الفجّة للديمقراطية التي يفاخرون بها في الغرب الذي خسر نخباً حداثية، وتحالف مع قوى متخلفة على أرض المصالح، فتضاعفت حيرته بين تمدين العالم والسيطرة عليه، وهما نقيضان لا يجتمعان، ويحدث هذا في وقت ينطلق فيه الإنترنت ويفتح آفاقاً هائلة أمام البشر على أعتاب القرن الحادي والعشرين، وهو حال يختلف جذرياً عما اعتادته الإنسانية قبل «الشبكة المعلوماتية» التي تعدّ أداة عصرية عظيمة تشجّع تداول الثقافات.

ويستطرد **معلوف** في شرح رؤيته، فإذا كان واجباً علينا وحتمياً أن نتقدم، فعلياً أن نصنع احتياجاتنا بأيدينا، وهذا لن يأتي بالتعلق بالماضي مهما بدا عريقاً وعظيماً، وإلا تحول إلى وهم، أمام عصر لا يكفّ عن تقديم مفاجآتة العلمية، وتقنضي الحكمة من الكفّ عن مقارنة عصرنا بالسابق، فمحصلة التاريخ من الحروب والدمار صادمة لا شك، فهي جرائم يندى لها جبين الإنسانية، في حين يتغنّى البعض بجمال الماضي، وما يجب عليهم فعله هو نفض عُقد الماضي التي تراكمت عبر قرون على رؤوس البشر، لينطلقوا نحو المستقبل.

ويؤكد **أمين معلوف** أنه "لم يعد بوسعنا أن نكتفي بمعرفة الآخرين معرفة تقريبية، سطحية، غليظة، وإنما نحن بحاجة لمعرفةهم معرفة دقيقة ولصيقة من خلال اطلاعنا بإرادة معرفية على ثقافتهم وآدابهم، وينطبق الحال أيضاً على الشعوب المتعددة الأصول التي تعيش جنباً إلى جنب في جميع البلدان، ولا تزال تنظر إلى بعضها من خلال مؤشرات مشوّهة،

لم يعد ثمة غرباء في هذا القرن، بل "رفاق سفر"، وسواء أكان معاصرونا يسكنون الجهة الأخرى من الشارع أم الجهة الأخرى من الكرة الأرضية، فهم لا يبعدون عنّا، سوى خطوتين وتمسهم تصرفاتنا في الصميم، كما تمسنا تصرفاتهم تماماً، وإذا كنا نحرص على صون السلم الأهلي في أنحاء الكرة الأرضية فنحن بحاجة إلى معرفة الآخرين بدقة وإرادة معرفية للتواصل مع ثقافتهم وآدابهم..

للاجئين اليهود الأوروبيين.

لكن الغرب برأيه، وفي مقدمته أميركا لم يكن معنياً بإنقاذ اليهود، إذ إن "بعض الدول سعت إلى حل المشكلة المتمثلة في الناجين من المحرقة على حساب الفلسطينيين مثلما يسعى بعض الدول اليوم إلى التخلص من النفايات النووية المشعة بتصديرها إلى بلدان فقيرة".

العرب والمحرقة النازية

ويقول المؤلف إن من يشرع في الكتابة عن إبادة اليهود في ألمانيا النازية سيكون في مواجهة "مشكلة حساسة" تتعلق بالمصطلح الذي لن يكون محايداً لأن الإبادة مثقلة بالإحياءات، ويتساءل عن الاسم الذي يجب أن يعطى لجائحة سوف تظل إلى الأبد من زاوية الأخلاق الإنسانية غير قابلة للتسمية؟

وسجل الكاتب في مقدمة كتابه أن "الزعيم الفلسطيني" عزمي بشارة العضو السابق في الكنيسة انتقد الربط بين مصطلحي "العرب والمحرقة" إذ شدد (أي بشارة) على أن العلاقة بين العرب والمحرقة النازية "خالية من المعنى خلو العلاقة بين الهنود والمحرقة".

ويروي الأشقر جانباً مما يراه مؤرخون تواطؤاً نازياً ويهودياً بقوله: "إن الحكومة النازية اتفقت العام 1933 مع الوكالة اليهودية على تسهيل هجرة اليهود الألمان إلى فلسطين والسماح "لهم وحدهم" بتحويل جزء من أرصدتهم على شكل سلع مستوردة من ألمانيا. كما سجل أن الشرطة السرية الألمانية "الجستابو" ومصلحة الأمن تعاونتا مع منظمات صهيونية سرية في تنظيم الهجرة "غير الشرعية للاجئين اليهود على الرغم من الحصار البريطاني المفروض على الهجرة إلى فلسطين" عامي 1938 و1939 إذ كانت فلسطين تحت الانتداب البريطاني منذ 1920.

الكتاب: العرب والمحرقة النازية
حرب المرويات العربية الإسرائيلية
الكاتب: جلبير الأشقر، ترجمة بشير السباعي
الناشر: المركز القومي للترجمة-
القاهرة، بالتعاون مع دار الساقى- بيروت

يذهب الكاتب اللبناني جلبير الأشقر الأستاذ في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن، إلى أن العرب كانوا ومازالوا الأكثر تأثراً بنتائج المحرقة التي تعرض لها اليهود على يد الزعيم الألماني، "نتيجة للمشروع الصهيوني" و "الهجرات اليهودية إلى فلسطين" وهي تحت الانتداب البريطاني.

يقول: "إن دولة اليهود إنما تدين بقيامها إلى المحرقة" التي أدت إلى تضاعف أعداد اليهود المهاجرين إلى فلسطين، ووفقاً للعدد البريطاني كان اليهود يمثلون العام 1931 خمس سكان فلسطين (175 ألف يهودي و880 ألف فلسطيني)، ثم شهدت معدلات الهجرة صعوداً هائلاً عقب وصول هتلر إلى السلطة في العام 1933.

وسجل المؤلف في كتابه أن "الاستيطان الصهيوني لفلسطين" سابق بوقت طويل على وصول هتلر إلى السلطة، والعرب والفلسطينيون يرون حركة الاستيطان باعتبارها أحد أشكال الاستعمار الأوروبي، وإن كان استيلاء النازيين على الحكم في ألمانيا العامل الحاسم الذي سمح بتحقيق المشروع الصهيوني وإعلان قيام إسرائيل العام 1948.

ويذهب المؤلف مع الرأي القائل بأنه إذا كانت ألمانيا المسؤول الأول عن المحرقة، فإن الولايات المتحدة وبريطانيا "لا بدّ من اعتبارهما متواطئتين على الأقل في الإبادة"، إذ كانتا في وضع يسمح لهما بتوفير ملاذ آمن

2009، وكانت الحربان الأخيرتان "ضد حزب الله اللبناني. والاضطهاد الإسرائيلي للفلسطينيين بلغ الآن أعلى مستوى تاريخي له". ويتساءل **الأشقر**: "لماذا يجب على الفلسطينيين أن يدفعوا ثمن جرائم النازيين؟ وفي المقابل يسجل أن الموقف الرسمي للعالم العربي استبعد: "بشكل صريح أي تفكير في طرد اليهود الذين كانوا قد استقروا بالفعل في فلسطين" بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ويستشهد على ذلك بكلمة ألقاها الأمين العام الأول **لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام** في 4 يناير/ كانون الأول 1946 في **الجامعة الأمريكية في القاهرة** إذ وصف اليهود بأنهم "شعب ضعيف ومشتت، وهو الأحوج من بين جميع الشعوب إلى تعاطفنا لأنهم أبناء عمومتنا المضطهدون وقد أمت بهم مصيبة الصهيونية، ونحن لا نزال نمدّ إلى اليهود يد الصداقة ولا نود أن نكون شركاء في جريمة اضطهادهم".

أمين الحسيني وألمانيا النازية

يقسم الكاتب المواقف العربية من المحرقة النازية إلى أربعة تيارات مختلفة، هي: الموقف الليبرالي، والماركسي، والقومي، والسلفي، موضحاً أن تلك المواقف تراوحت بين الإدانة الصريحة للنازية من ناحية، والمعاداة الصريحة لليهود من ناحية ثانية. فقد تبني الليبراليون والماركسيون موقفاً واضحاً إزاء المحرقة، حيث أدانوها وأكدوا على التفريق بين اليهودية والقوميين العرب بالنموذج النازي والفاشي وسعى إلى اقتباسه. أما التيار السلفي فقد تبني خطاباً معادياً لليهود مستنداً إلى تفسيراته الخاصة لبعض الآيات القرآنية إضافة إلى نصوص معادية للسامية مثل "بروتوكولات حكماء صهيون".

واضطرت **بريطانيا** أمام الثورة الفلسطينية العام 1936 إلى إعادة تقييم سياستها في **فلسطين** فنظمت مؤتمراً في **لندن** وأصدرت العام 1939 "الكتاب الأبيض" الذي قيد بيع الأراضي لليهود في **فلسطين**، كما قيد هجرتهم خلال خمس سنوات تبدأ من أول أبريل/ نيسان 1939.

ويقول المؤلف إن "إسرائيل هي الدولة الاستيطانية الاستعمارية الأوروبية الوحيدة التي لا يزال يتعين فيها استعادة الحقوق السياسية للسكان الأصليين"، وبعد اختفاء نظام التفرقة العنصرية في **جنوب إفريقيا** العام 1994 تصبح "المسألة الفلسطينية هي آخر المسائل المهمة والساخنة الناتجة عن الاستعمار الأوروبي"، و**إسرائيل** هي الدولة الوحيدة الآن في العالم التي تجمع بين ثلاثة أشكال للاضطهاد الاستعماري، فالمنتمون إلى الأقلية الفلسطينية الذين ظلوا على أرض الدولة بعد 1948 (عرب إسرائيل) لهم وضعية مواطنين من الدرجة الثانية)، ومنذ 1967 فإن سكان **الضفة الغربية** وقطاع **غزة** لهم وضعية سكان تحت الاحتلال الأجنبي أو السيطرة المباشرة من جانب المحتلين السابقين، أما الغالبية العظمى من الفلسطينيين فلها وضعية شعب اقتلع من أرضه وحرّم من العودة إليها. و"استمرار هذه الأشكال الاستعمارية للاضطهاد يجعل من إسرائيل ظاهرة انقضى زمانها" كدولة استعمارية ولدت في زمن تصفية الاستعمار وانحساره وأن الاعتراف بذلك تأخر كثيراً، ويورد **الأشقر** هنا قول **بني موريس** أشهر المؤرخين الإسرائيليين الجدد الذي لم يتردد في أن يكتب في العام 1999: "لقد كانت الصهيونية أيديولوجية وحركة استعمارية وتوسعية". ويسجل المؤلف أن إسرائيل خاضت سبع حروب في 60 سنة في أعوام 1948، و1956، و1967، و1973، و1982، و2006، و2008 -

العربية في الحسبان، فسنصل إلى رقم كبير؛ فهناك ربع مليون من المغاربة العرب والبربر الذين شاركوا مع القوات الفرنسية الديغولية، وهذا يبيّن: "أن صدى الدعاية التي قام بها المفتي كان ضئيلاً جداً، ولا ينسى **الأشقر** إدانة "التواطؤ الإجرامي" الذي جمع المفتي مع النازيين".

وبين **الأشقر** أن كثيرين في العالم العربي تعاطفوا مع النظام النازي من منطلق أن عدوّ عدوّ حليفي، أي أنهم اعتبروا التحالف مع الألمان يصبّ في مصلحة العرب أثناء صراعهم مع الإنكليز والفرنسيين، لكن الأفكار النازية لم تنتشر في العالم العربي، ويعتقد أن هناك مبالغة في هذه النقطة أيضاً بقوله: "صحيح أن جزءاً من الرأي العام كان يعتقد بكثير من السذاجة السياسية أن **هتلر** بطل، وهو ما حدث في دول أخرى كانت ترزح تحت الاحتلال البريطاني مثل **الهند**، غير أن غالبية الرأي العام العربي، هكذا يقول المؤرخون الجادون، لم تكن مع هذا أو ذاك، بل كانت ترى أن الصراع يحدث بين قوى غربية تريد أن تتقاسم العالم، ولا يتمنى العربي من هذا الصراع سوى استقلال منطقتة".

وإذا كانت أوروبا قد عرفت تاريخاً طويلاً من معاداة السامية فإن الوضع مختلف بالنسبة إلى العالم العربي، "فمعاداة اليهود": "لم تكن قائمة في المنطقة العربية قبل مشكلة فلسطين"، فوضع اليهود في العالم الإسلامي بشكل عام كان أفضل بكثير منه في العالم المسيحي.

ويشير **الأشقر** في كتابه إلى أن البعض ينكر المحرقة وينظر إليها على أنها "أسطورة" استخدمت لتأسيس دولة **إسرائيل**، من يفعل ذلك يتجاهل الواقع والوقائع، كما يتجاهل أن الذين بذلوا أقصى الجهود لإسماع الغرب صوت الفلسطينيين هم مفكرون "يستندون تحديداً إلى الدروس الإنسانية العامة للمحرقة"، كما

حاول **الأشقر** في كتابه تجاوز ما يسميه بـ"الصيغ الكاريكاتورية" وتصحيح الصور النمطية التي تحيط بهذا الموضوع، ومنها مثلاً اتهام العرب بالتورط المباشر مع النازية، وبالتالي المشاركة في المحرقة. ويعلّل المؤيدون لهذه النظرية ذلك بالعلاقة الوثيقة التي ربطت مفتي **القدس** آنذاك **أمين الحسيني** بقيادة النازية وعلى رأسهم **أدولف هتلر**، معتبرين أن موقف **الحسيني** يثبت تورطه المباشر في عملية الإبادة المنهجية التي تعرض لها اليهود؛ كما يرون أن موقفه ينسحب على موقف معظم العرب.

وأوضح المؤلف أن تعاون المفتي **أمين الحسيني** مع **ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشستية** خلال الحرب العالمية الثانية "موثق ومعروف"، كما هو معروف أيضاً أن المفتي "قام بدور مهم في الدعاية للنازية والفاشستية في العالمين العربي والإسلامي، واشترك في الحملة العنصرية النازية ضدّ اليهود، وأسهم في إنشاء كتيبتين من المسلمين في **البوسنة** ليحاربوا مع القوات النازية". غير أن هذا الدور، يقول **الأشقر**، كان محدود التأثير وموضع إدانة آنذاك من جانب بعض القوميين العرب، وينتقد "المبالغة الشديدة" التي يُصوّر بها دور **أمين الحسيني**، مشيراً إلى أن **موسوعة الهولوكوست** التي أصدرها متحف **ياد فاشيم** في **إسرائيل** تخصّص لمفتي **القدس** ثاني أطول مقالة بعد **هتلر**، وكأنه يتحمّل مسؤولية مباشرة عن المحرقة.

ويذكر **الأشقر** أن عدد العرب الذين حاربوا في صفوف المحور النازي الفاشستي لم يتعدّ ستة آلاف وبضع مئات، بينما كان عدد الفلسطينيين وحدهم الذين حاربوا في صفوف الجيش البريطاني ضدّ النازيين يصل إلى تسعة آلاف، فإذا أخذنا عدد العرب من مختلف الأقطار

من بيت ذلك عبر وسائل الإعلام، فأقبل عليها القراء.

ومن الضروري الإشارة إلى أن الكتاب المترجم أكثر رواجاً من الكتاب المؤلف في حالات كثيرة لدى شرائح واسعة من القراء العرب. وتأثر الناشر بالرواج ومتابعته لنشر ما يروج ويحقق ربحاً فقط، يدفعه إلى تحديد خياراته وبرامجه السنوية للنشر، ومن ثم نوع الإسهام الذي يقدمه في الحركة الثقافية.

المتفق عليه بين النقاد أن «لا علاقة ارتباط حتمية بين ظاهرة الرواج في ذاتها والقيمة الفكرية أو الإبداعية» كما يقول جابر عصفور في مقال عن ظاهرة الروايات الرائجة. بحيث يضيف عصفور مدلاً على رأيه الذي يوافقه فيه الناشرون: «فما أكثر الكتب التي راجت في العالم كله لفترة أو فترات وما أسرع ما اختفت. وتذكر الأجيال السابقة جيداً كتاب «أثرت الحرية» في مجال الدعاية الأميركية ضد الاتحاد السوفيياتي، كما يذكر رواية إيليا إهرنبورغ «ذوبان الجليد» التي ارتبطت بتحطيم السور الحديدي القمعي من داخل الاتحاد السوفيياتي، وقس على ذلك رواية بوريس باسترناك «دكتور زيفاجو» التي أجبر صاحبها على رفض جائزة نوبل، فذاعت الرواية ذات القيمة الإبداعية في العالم كله، بسبب ذلك الموقف. وهناك رواية داني براون «شيفرة دافنشي» التي حققت أرقاماً غير مسبوقة عالمياً، إلى اليوم، في التوزيع بلغتها الأصلية وعدد اللغات التي ترجمت إليها ومنها العربية. والحق أن «شيفرة دافنشي» تضع قضية القيمة الإبداعية موضع المسألة، ويمكن أن تكون دليلاً على أن الجماهيرية الساحقة شيء والقيمة الأدبية شيء آخر، فلا يمكن لناقد يحترم نفسه ويحافظ على نزاهة سلم القيم الذي ينطوي عليه أن يضع «شيفرة دافنشي» في الموضع نفسه

أن عديدين من هؤلاء المفكرين، إن لم يكن معظمهم، يهود. ولكن لماذا ينتشر - إذن - إنكار المحرقة في العالم العربي في الوقت الحالي؟ ولماذا يتعاطف كثيرون مع منكري الهولوكوست من أمثال روجيه غارودي؟

يرجع المؤلف ذلك إلى أن موقف غارودي - على سبيل المثال - جاء في ظرف شهدت توترات حادة على الصعيد العربي بعد اجتياح لبنان وبعد قمع الانتفاضة الأولى، وعندما دخلت عملية السلام في طريق مسدودة. «هذا ما سهل انتشار هذا النوع من المواقف التي تسيء في النهاية إلى القضية الفلسطينية».

ويوافق الأشقر أن هناك إنكاراً يتوالى للمحرقة في العالم العربي، لكنه يستدرك: «نعم ولكن مثل موضوع المفضي: يجب ألا نصور هذا الموقف وكأنه موقف العرب جميعاً». ويؤكد الأشقر أن الغالبية في العالم العربي لا تهتم بموضوع إنكار المحرقة، وأن «الموقف العقلاني الذي يعترف بأن المحرقة شيء فظيع ولا إنساني وأليم هو موقف الغالبية»، ويشير المؤلف إلى أن مضتي القدس نفسه، أمين الحسيني، يعترف بالمحرقة في مذكراته عندما روى ما حدث خلال لقائه بقائد سلاح الإس إس، هاينريش هيملر، في صيف العام 1943. ويستشهد الحسيني في مذكراته بقول هيملر بأنه تمت إبادة 3 ملايين يهودي حتى تلك السنة.

نظرة ختامية: «الرواج» و«القيمة»

لرواج الكتاب أسبابه وعمله الكثيرة والمثيرة أحياناً.. فالإباحية والإثارة الجنسية، والاستفزاز الديني والسياسي والاجتماعي، والمتاجرة بالمنع الرقابي.. إلخ، من بين الأساليب التي تؤدي إلى الرواج ويسعى إليها مؤلفون وناشرون. وقد ظهر ذلك أكثر ما ظهر في روايات عربية، وفي كتب تناولت الدين والسياسة بصورة سلبية، ولقيت

غائبة غير مرغوب فيها داخل هذا الوضع الذي لا يعرف المتعة الجمالية المقرونة بالحق والخير، بل إفراغ الكبت المانع من إنطلاق كل أنواع الخطاب المحجور عليه أو المحتجز داخله.

وبقدر ما ظهرت روايات الجنس وسفاح المحارم لتحقيق وظيفة التنفيس الجنساني في المجتمعات الغربية، ظهرت روايات الصراخ السياسي والهوس الديني والانفلات الاجتماعي في مجتمعاتنا العربية... ومخيلة الحيل الإعلامية في تسويق الأعمال بما يزيد من غواية القارئ، خصوصاً الذي تختل معايير القيم الجمالية في وعيه الفردي أو الجمعي فيستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، في سياق وعي ثقافي متخلف. وهو وضع يستحق المواجهة النقدية الصريحة، خصوصاً في ما يتصل بظاهرة الروايات العربية الرائجة في هذا الزمان المتخلف.

الجديد ليس بالكثرة

وفي الحقيقة فقد حفلت المقالات النقدية المنشورة في العام 2009 بما يؤيد ما ذهب إليه الدكتور جابر عصفور في هذا الأمر، ويتحدث النقاد عن ظاهرة «عين على الترجمة»، التي يبدو أن أنها انتشرت بين الكتاب والأدباء الذين يعمدون التطرق إلى موضوعات و«تيّمات» معروف سلفاً أنها ستروق للناشر الغربي، ويسردون تحت هذا العنوان قوائم طويلة لكتب وروايات نشرت أو أعيد نشرها في العام 2009. ويعتقد عدد كبير من النقاد أن كثيراً ممّا نشر في المجالات المعرفية المختلفة جاء تكراراً لآراء وموضوعات سبق أن نشرت وعولجت كثيراً، بالإضافة الجديدة عليها قليلة نسبياً، أو أنها نصوص ودراسات وردت في سياق جديد، من دون أن تحمل محتوى إبداعياً جديداً.. لذلك يبقى الجديد ليس بالكثرة التي يستدعيها العصر والتواصل مع معطياته والاستجابة

الذي يضع فيه وداعاً للسلاح» لـهيمونغواي، أو «لمن تدقّ الأجراس» للكاتب نفسه. وسوف يكون الناقد هزأة لوقارن بين «شفرة دافنشي» و«يوليسيز» جيمس جويس في القيمة، أو «البحث عن الزمن الضائع» لـمارسيل بروست، وقس على ما ذكر ما لم يذكر في ميزان القيمة، ولكن «شفرة دافنشي» لم تنتشر من فراغ أو في فراغ، إنها تتطوي على عناصر جذب وتشويق لا تقاوم، فيها إنطاق المسكوت عنه من تأصيل العقيدة المسيحية، وفيها من الاجترأ على محرمات هذه العقيدة ما يثير رغبة الفضول في معرفة المنوعات، على طريقة كل ممنوع مرغوب، وفيها قصة حب تزوج مع الغامرة، وفيها كمّ وافر من المعلومات المخيلة والرموز التي تحتاج إلى فكّ شفراتها، وهناك عنصر التشويق الذي يأخذ من الرواية البوليسية أفضل تقنياتها التي تجعل ذهن القارئ يسابق الصفحات في اكتشاف حل اللغز، والسؤال الذي لا يكفّ عن طرح نفسه وماذا بعد؟ وأخيراً هناك المفاجآت غير المتوقعة التي تتلاحق بما يسمّر عينيّ القارئ على الأسطر إلى أن تنتهي الرواية.

طبعي إذاً أن يحدث ما هو موجود في فضاء الإبداع في العالم، وهو وضع قرين انحدار الثقافة العامة لأسباب يمكن حصرها وتحليلها، فضلاً عن أنه وضع تشبع فيه أشكال الكبت الجنسي والسياسي والاجتماعي والديني. وعدم سواء هذا الوضع يلزم عنه ذوق جماهيري عام يبحث عن يخاطب الخطاب المقموع في داخله سياسياً وجنسياً واجتماعياً ودينياً وثقافياً. وإذا كان المحروم يبحث دائماً عن المحرمات المنوعة عليه، ويجد مسارب خفية في الوصول إليها حتى لو كانت شائنة، فالمقموع يفعل الأمر نفسه، ويبحث عن يمتعه ويسليه ويلاص فيه الأوتار التي تنطق سراح المكبوتات والمقموعات على كل مستوياتها. والقيمة الإبداعية فريضة

نصية) على الموقع الخاص بأرشيف الإنترنت (<http://www.archive.org>). كما أن هناك جهداً مطلوباً لإبداع طرق مختلفة لفكّ الاشتباك بين هذا الواقع، وبين حقوق الملكية الفكرية المحفوظة.

3. يحتاج الأمر أيضاً إلى أن نولي عناية بحثية للأرقام التي يمكن توفيرها من المواقع التي توفر سبل شراء الكتب عن طريق الإنترنت مثل <http://www.neelwafurat.com> و <http://www.adabwafan.com> وغيرها.

وهي طرق تمكّن من اجتياز عقبات البريد (فضلاً عن عقبة الزمن) وتوفّر للقارئ شراء الكتب (فوراً) بتحميلها على جهاز الحاسوب الخاص به، أو حالياً على جهاز iPad. ومن شأن الأرقام التي توفرها تقنيات البحث والتصفح ومن ثمّ الشراء من تلك المواقع أن يساعد الباحثين المهتمين برصد حركة القراءة والرواج بين قراء العربية.

4. الحاجة إلى تطوير أجهزة القارئ الإلكترونية المحمولة والتي اجتاحت صناعة النشر في العام 2009 لتتعامل مع اللغة العربية. يذكر في هذا السياق أن جهازاً صغيراً بحجم كتاب واحد (مثل Kindle من أمازون أو iPad من أبل) يمكنه أن يخزن آلاف الكتب، والتي يمكنك ببساطة أن تضعها في حقيبتك لتطالع أيها تختار وأنت جالس على مقعدك في الحافلة أو في حديقة عامة (يستوعب الجهاز الواحد حالياً 3500 كتاب).

لتحديّاته. فنقد الشعر، ونقد النثر، وكثير من كتب الأيديولوجيا أو نقد الأيديولوجيين وإنتاجهم، ونقد بعض السلفيين وإنتاجهم، يدور في الحلقة المعرفية ذاتها ولا يتصاعد في نمو معرفي لولبي إن صحّ التعبير. وتلك مسؤولية الكتاب والدارسين والباحثين والنقاد والمفكرين وحتى المبدعين، وليست مسؤولية القراء أنفسهم.

ملحوظات ختامية

1. هناك حاجة ماسة لأن تضطلع جهة ما بتوثيق الأرقام والإحصاءات المرتبطة بصناعة النشر العربية، سواء من ناحية الأعداد أم التصنيف النوعي للكتب التي تمّ نشرها وكذلك أرقام التوزيع. وذلك ليتمكن الباحثون من رصد حركة القراءة، في العالم العربي واتجاهاتها. وفي ذلك فائدة للجميع بمن فيهم الناشرون أنفسهم.

2. يتّصل بذلك أيضاً الحاجة إلى إجراء دراسات موسّعة عن تأثير التقنيات الإلكترونية الحديثة (سلباً أو إيجاباً) على حركة النشر والقراءة، بل والتأليف. ومن ذلك مثلاً رصد حركة النشر (أو بالأحرى إعادة النشر/ الإثارة) على الإنترنت لنسخ إلكترونية للكثير جداً من الكتب العربية (يذكر في هذا السياق مثلاً أن الـ (267) كتاباً الأول من سلسلة **عالم المعرفة** الشهيرة تتوفّر منذ سنوات بصيغة PDF على العديد من مواقع الإنترنت. فضلاً عن توفرها في (صيغة

الموضوعات الأكثر جذباً للقراء العرب

في المجتمع- ومع حالة شريكه في المسؤولية، أي الناشر؟ إنه سؤال ملقى على من يهتم المجال العام للمعرفة، وموقف المؤلف والناشر ودورهما ورسالتهم.

وقد تمت محاولة مقارنة الجواب على ما يمكن تسميته بأسئلة ذات شعب وشجون، من خلال استطلاعات رأي شملت معارض كتب، وناشرين، ومكتبات، ومتقنين وقراء، لقراءة خلاصتها بعد ذلك.

ففي استطلاع شمل مثلاً معظم الناشرين المشاركين في معرض ربيع دمشق 2010 طلب إليهم أن يذكروا عناوين ثلاث فئات من الكتب:

أ - كتب جيدة تلاقي رواجاً.

ب - كتب جيدة لا تلاقي رواجاً

ج - كتب غير جيدة وتلاقي رواجاً

قدّم الناشر المستطلع عناوين في المجالين الأول والثاني، ولم يشر أيّ منهم إلى عناوين من النوع الثالث، أي "كتب غير جيدة وتلاقي رواجاً"، وربما كان ذلك من باب حرص التاجر على رواج بضاعته، وتجنّب المزالق والمشكلات. وقد لاحظنا شيئاً من ذلك سابقاً، حيث قدّم كل من الناشرين المشاركين في معرض دمشق الدولي الخامس والعشرين

للكتاب 2007، العناوين الأكثر رواجاً لديه، وقدّم بعضهم معظم منشوراته على أنها رائجة. في حركة دعائية مكشوفة. ومن ثم لم تتكوّن صورة دقيقة عن الأكثر رواجاً في المعرض المشار إليه بصورة عامة، ولم يتمّ التأكد من عدد النسخ التي تمّ بيعها فعلاً.. وأفادت الإشارات العامة

إن طرح سؤال "ما الذي اهتمّ به المواطن العربي القارئ، أكثر من سواه، من بين الكتب المنشورة في مجالات المعرفة والعلم والأدب والإبداع؟" مهمّ وأساس في مقارنة هذا الموضوع.. فهل ما اهتمّ به هذا القارئ هو قضايا فكرية: "فلسفية، دينية، سياسية، اجتماعية؟"، وما الذي اهتمّ به أكثر من بين الأجناس الأدبية؟ هل هو مثلاً: الرواية، المسرحية، القصة القصيرة، الشعر، المقالة؟ أو أنه أولى أهمية للنقد الأدبي وتاريخ الأدب.. إلخ؟

ومن الإنتاج العلمي والمعرفي الآخر بأنواعه، ماذا يقرأ العرب، وما الذي يروج أكثر في أرضهم؟ هل هي العلوم الاجتماعية، التاريخ، الفكر السياسي والديني، الاقتصاد، الوعظ السائر، الأبراج، الطبخ، الأزياء، كتب السحر والشعوذة.. إلخ؟ وما الذي غاب أو تضاءل أو تراجع في التربة الثقافية العربية؟ هل هو إنتاج فكري وبحثي: الفكر القومي والفلسفة وعلم النفس والدراسات التحليلية الاجتماعية واقتصادية وسياسية.. إلخ، أو هي العلوم التطبيقية، أو أجناس أخرى تتصل بالإبداع بعامة، وبالرواية من بين أجناس الإبداع بخاصة؟

يقولون إن أكثر الكتب رواجاً هي الكتب التي يعرف مؤلفوها ماذا يريد القارئ، وما الذي يثيره، فيركضون وراء ذلك... ولكن هل هذه الحالة، بفرض دقة تشخيصها وسعة حضورها، هي حال صحيّة، وتتوافق مع حاجة المجتمع ومسؤولية المؤلف المنتمي- حامل رسالة الكلمة

التفاعل مع النصوص، فمردّه إلى ما يمكن تسميته "صحوة دينية" نتيجة ما تعرض له الإسلام على الخصوص من اتهامات بالإرهاب ومحاولات تشويهه، وتحديات متعدّدة الأوجه، وهجوم عليه وإساءات لرموزه، ونتيجة أيضاً لنموّ تيار المقاومة الإسلامية في مواقع تتصدّى فيها للاحتلال وتستقطب اهتمام الجمهور.. وكذلك إلى تراجع التيارات القومية واليسارية تراجعاً عاماً، رافقه إحباط وإفلاس، والتطلع إلى بدائل، ولا سيما عند قطاعات من الشباب صُدمت بسياسات وتنظيمات ومواقف عربية، فأخذت تبحث عن بدائل لا تحرمها من أصولها وانتمائها ومقوّمات هويتها العربية الإسلامية. فكان التراث الديني على الخصوص والفكر الإسلامي والقومي المنفتح على الدين، جذاباً لها أو بديلاً لديها. وهناك تأثير أيضاً لنموّ حركة التغيير والإصلاح في العالم بصورة عامة وبحثها عن بدائل شاملة.. الأمر الذي فتح نوافذ البحث في اتجاهات تغيير متعدّدة. وهناك تأثير أيضاً لنمو حركة التغيير والإصلاح في العالم بصورة عامة، وبحث فئات وشرائح من الناس عن بدائل شاملة لما تعانيه في واقع متخلف من طغيان وقمع وفساد وإفساد.

إن تقصي أسباب رواج كتاب ما، ومعرفة ما إذا كان يستحق ذلك الرواج أو لا يستحقه، وأسباب عدم رواج كتاب لا يستحقّ العتمة التي فرضت عليه والتهميش الذي لحق به، هي من الأمور المهمّة.. ومن المؤكّد أن هناك عوامل عدّة تؤثر، سلباً وإيجاباً، في رواج الكتاب، وقد لا تتصل بموضوع الكتاب ومضمونه ومستواه الفني وتقويمه الموضوعي، علمياً وفكرياً وفنياً، بمقدار ما تتأتّى من عوامل وأعراض أخرى، قد يكون بعضها صحيحاً وقد يكون بعضها الآخر غير صحي، ولكنها تقضي، إما إلى تركيز الضوء ومن ثم الرواج على أنواع وعناوين وأسماء

التي جرى التقاطها من ذلك بأن الكتب الأكثر رواجاً هي كتب دينية، وكتب أدب، وكتب في العلوم الاجتماعية.. ثم كتب أخرى متنوعة. وربما كان في هذا "خداع هادف" إلى حماية المنفعة، تكرّر في معرض ربيع دمشق 2010 وفي معارض واستطلاعات رأي أخرى.

واللافت في الاستطلاعات التي أجريناها أيضاً بعد العامين 2007 و2008 مع عدد من المثقفين والمهتمين وروّاد معارض كتب ومكتبات، علاوة على محرّكات بحث.. اللافت وبوضوح كان ضعف الاهتمام أو غيابه بالكتب العلمية، والعلوم التطبيقية، والفلسفة، والفنون، واللغة والبلاغة، والسير والتراجم.. بصورة عامة. ولا يستهدف الكلام هنا قراءة الطلاب المتخصّصين في حقول علمية معيّنة.

إن رواج كتب العلوم الاجتماعية بأفقهها الواسع يشير إلى اهتمامات سياسية وفكرية واجتماعية عامة، كما يشير تقدّم الإنتاج الأدبي إلى استمرار أنماط من القراءة والرواج في هذا المجال، وهو أمر طبيعي. وربما كان من أسباب ذلك قرب الكتاب الأدبي: رواية، قصة، مسرحية، شعر.. إلخ من القارئ العربي تاريخياً، وانتشار نوع من الأدب الروائي على الخصوص يخاطب الجسد أو يستثيره، وكذلك ما في نصوص السرد الأدبي من تشويق وتسلية ومتعة وتجارب اجتماعية، وأساليب تدغدغ مشاعر القارئ وحتى غرائزه، أو يجد القارئ نفسه في مراهاها وتحت ظلالها، وتؤثّر فيه ملامستها القوية لما في أعماقه، بما يحتاج إلى الاستبطان لكشفه، سواء أكانت تلك الملامسة سلبية أم إيجابية.. صحّية أم مرضية.

أما تقدّم الكتابين التراثي والديني على سواهما، كما تشير استطلاعات متنوعة، وبعض مؤشرات استطلاعاتنا هذه، من حيث الرواج والإقبال على القراءة، ودرجة

عنواناً، التاريخ والجغرافيا "2769" عنواناً، التكنولوجيا والعلوم التطبيقية "2208" عناوين، العلوم البحتة "1129" عنواناً، المعارف العامة "960" عنواناً، اللغات "909" عناوين، الفلسفة وعلم النفس "714" عنواناً، الفنون "552" عنواناً.

ويستنتج من ذلك:

1. أن التأليف في مجال العلوم النظرية والتكنولوجيا والعلوم التطبيقية يحتل مرتبة متدنية بين عدد المنشورات التي لا تكاد تساوي بمجملها نسبة ضئيلة من إنتاج بلد متقدم.

2. أن معظم المنشورات كان في حقل الأدب والديانات "13411"، أي ما يقارب النصف، وأن العلوم التطبيقية والنظرية بمجموعها وصلت إلى "3337" عنواناً أي ثمن عدد المنشورات تقريباً.

3. أن المترجم إلى اللغة العربية من اللغات الأجنبية في منشورات العام 2007 هو في حدود "1300" عنوان تقريباً، عدا ما يترجم في الجامعات للتدريس، ويشكل نسبة 4.53 % تقريباً من المنشورات العربية. أما الترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية فهي أدنى من ذلك بكثير، ومعظمها في مجال الأدب.

4. أن الكتب في صنف الديانات تبدو رقماً مرتفعاً، وتشكل أعلى المبيعات في المعارض والمكتبات. ولكن بالتدقيق في الجديد منها يبدو أنه قليل، لأن معظم الإنتاج المنشور قديم وتُعاد طباعته.

5. أن المنشورات في مجال الفنون تحتل المرتبة الأخيرة "552" عنواناً.

إن قراءة الأرقام والمؤشرات السابقة تضعنا في مواجهة تحديات خطيرة وأمام مسؤوليات كبيرة، ومن ثم أمام ما الذي ينبغي أن نهتم بتأليفه أكثر لنسد الثغرات والحاجات ونكون بمستوى التحديات، حيث هناك مشكلات

ومواقع، أو إلى التهميش والظلم، وأن يقبع مؤلف وكتاب في الظلام، ويسدل ستار على جهد فكري أو إبداعي ما، ويُلقى في الظل أو في عتمة النسيان.

ولنلاحظ أن هناك عوامل كثيرة وراء ذلك، بعضها يتصل بالكتاب والكاتب وبما يثيرانه من قضايا ومشكلات ويستفزانه من مشاعر، أو بما يُثار حولهما من ضجيج إعلامي مبرمج أو عفوي، وقد يعود ذلك إلى علاقات عامة أو خاصة لا تخلو من أمراض، وقد يكون لفت النظر والإثارة، ومن ثم التركيز على ما يستفز الكاتب والكتاب لدى القارئ، أو ما يستفزه من جهات وأشخاص ومواقف وعواطف وأحاسيس ومشاعر وغرائز.. إلخ، قد يكون ذلك مدخلاً من مداخل "الشهرة والرواج" ومن ثم الربح المادي.

الفجوة بين ما ينشروما يقرأ

ماذا يكتب العرب؟ أي موضوعات تستحوذ على النسبة الأعلى من اهتمامهم؟

إن مقارنة الإجابة عن هذا السؤال الدال والمتشعب تستدعي معرفة ماذا يطبع العرب وما الذي يقبل عليه القراء، أو ما هو الأكثر قراءة مما ينشرون، لأن ذلك يشكل أحد أهم المؤشرات في هذا المجال. نذكر على سبيل المثال أن نتائج تقرير التنمية الثقافية لعام 2007 (مؤسسة الفكر العربي) أشارت إلى الأرقام الآتية:

إن العدد الإجمالي لمنشورات الوطن العربي من الكتب خلال العام 2007 هو "27800" عنوان تقريباً. موزعة بحسب الأصناف وفق الآتي:

الأدب والبلاغة "7060" عنواناً، العلوم الاجتماعية "6351" عنواناً، الديانات "5157"

ضاغطة وتحديات لم يكتب في مجالها.

وتفيد الأرقام والمؤشرات المستقاة من **معرض الكتاب الخامس والعشرين لمكتبة الأسد الوطنية في دمشق**، آب/ أغسطس 2009، وهي بالتسلسل:

أ. الكتب التخصصية العلمية.

ب. كتب المعلوماتية

ج. الكتب الفكرية السياسية

د. الدوريات، الكتب التراثية، الكتب الدينية، الكتب الأجنبية، كتب الأطفال.

إن مؤشرات النشر ليست بالضرورة مؤشرات قراءة ورواج، فالفجوة بين ما ينشر وما يقرأ قائمة وربما كبيرة، والكتب التي يقرأها الناس ليس من السهل رصدها، فهناك كثرة من القراء وكثرة من الكتب، وتنوع في الاهتمامات والمتابعات، ولكل هذا يصعب حصر المقروء من بين المنشور. ومؤشر الرواج مؤشر أيضاً على القراءة، ولكنه ليس مؤشراً على دلالات حصريّة تامة، لأن من يقرؤون أكثر بكثير ممن يقتنون الكتب، حيث الإعارة والنسخ والقراءة في المكتبات العامة، من بين بعض أساليب الوصول إلى الكتاب وقراءته، ولأن بعض من يقتنون الكتب من الأفراد والجهات الخاصة والعامة يقتنونها للزينة أو مجاراةً للظاهرة الحضارية، وكثير منهم لا يقرأ معظم ما يقتنيه.

ولكن يبقى في الرواج بعض المؤشرات، وللرواج أسبابه وعلة الكثيرة والمثيرة أحياناً فالإباحية والإثارة الجنسية والاستفزاز الديني والسياسي والاجتماعي والمتاجرة بالمنع الرقابي إلخ.. هي جميعها من بين الأساليب التي تؤدي إلى الرواج ويسعى إليها مؤلفون وناشرون. وقد ظهر ذلك أكثر ما ظهر في روايات عربية، وفي كتب تناولت الدين والسياسة بصورة سلبية، ولقيت من يبت ذلك عبر وسائل الإعلام، فأقبل عليها القراء. ومن الضروري الإشارة إلى أن الكتاب

تقدم الكتب التراثية والدينية على سواها، رواجاً وإقبالاً على القراءة، مردّه إلى ما يمكن تسميته "صحوة دينية" نتيجة ما تعرض له الإسلام على الخصوص من اتهامات بالإرهاب ومحاولات تشويه وتحديات متعددة الأوجه وهجوم عليه وإساءات لرموزه.. كما راجت الكتب المذكورة نتيجة تراجع خطاب التيارات القومية واليسارية الذي ساد لعقود خلت..

مؤشرات النشر ليست بالضرورة مؤشرات قراءة ورواج، فالفجوة بين ما يُنشر وما يقرأ قائمة وربما كبيرة، والكتب التي يقرؤها الناس ليس من السهل رصدها بدقة، فهناك كثرة من القراء وكثرة من الكتب وتنوع الاهتمامات والمتابعات، ولكل هذا يصعب حصر المقروء من بين المنشور..

للرواج أسبابه وعلة الكثيرة والمثيرة أحياناً فالإباحية والإثارة الجنسية والاستفزاز الديني والسياسي والاجتماعي والمتاجرة بالمنع الرقابي إلخ.. هي جميعها من بين الأسباب التي تؤدي إلى الرواج ويسعى إليها مؤلفون وناشرون..

المترجم أكثر رواجاً من الكتاب المؤلف في حالات كثيرة لدى شرائح واسعة من القراء العرب. وتأثر الناشر بالرواج ومتابعته لنشر ما يروج ويحقق ربحاً فقط، يدفعه إلى تحديد خياراته وبرامجه السنوية للنشر، ومن ثم نوع الإسهام الذي يقدمه في الحركة الثقافية.

يقال إن أكثر الكتب رواجاً هي الكتب التي يعرف مؤلفوها ماذا يريد القارئ.. ولكن ما هي الكتب والموضوعات التي يحتاج إليها القارئ، ممّا يفرضها تحديّ العصر والتقدم من جهة، وضرورات المجتمع واحتياجاته وما يواجهه من قضايا وأزمات من جهة أخرى.. لتكون موضوع تأليف ونشر وترويج، ومسؤولية مؤلف وناشر، وموضع سياسة ثقافية محلية أو قومية؟ إنه لأمر لا يتمّ التركيز على ضرورته وأهميته والمسؤولية فيه.

ما ذكره مدير المكتبة

ومن المفيد الوقوف عند بعض المعطيات عن شرائح القراءة للتعرف إلى توجهات القراءة وبعض ما يُقرأ:

في شريحة الطلاب الجامعيين على الخصوص يمكن الوقوف على رواج كتب، وإقبال على قراءة، من خلال الاهتمامات التخصصية والمعرفية العامة.. وقد تبين من مراجعة مكتبات ومنافذ بيع أن الرواج يشمل كتباً في مجالات تخصصية بحسب فروع التخصص في الجامعات والمعاهد الخاصة، حيث يحال الطلاب إلى مراجع ليست من ضمن المنهج الدراسي، بل إضافة إليه في إطار البحث. ومما لوحظ أيضاً، رواج كتب في مجالات: إدارة الأعمال، القانون، الكمبيوتر، علم النفس، علم الاجتماع.

في المكتبات الوطنية والمكتبات الجامعية، وجد أن شرائح القراء من الطلاب طاغية في أوقات، وقليلة في أخرى، وأولئك طلاب جامعيون يقبلون

الكتاب المترجم أكثر رواجاً من الكتاب المؤلف في حالات كثيرة لدى شرائح واسعة من القراء العرب.. وتأثر الناشر بالرواج ومتابعته لنشر ما يروج ويحقق ربحاً فقط يدفعه إلى تحديد خياراته وبرامجه السنوية للنشر ومن ثم نوع الإسهام الذي يقدمه في الحركة الثقافية..

الجزائريون يقرؤون الكتب بالفرنسية والعربية.. وجيل ما فوق سن الأربعين يقرأ بالفرنسية أكثر ممّا يقرأ بالعربية، والشرائح العمرية ما دون تلك السن من المعريين تقرأ بالعربية أكثر ممّا تقرأ بالفرنسية، متابعة للتعلّم بالعربية الذي شقّته حركة التعريب في الجزائر..

الكتب الأكثر مبيعاً في الجزائر لا تعني الأكثر مقروئية، فالكثير من القراء يقرؤون من دون أن يشتروا الكتب، ويتم ذلك بالاستعارة أو بالنسخ.. والقارئ الجزائري يتّجه إلى المتميّز وليس إلى المفروض عليه..

القراء. والكتب الأكثر مبيعاً في الجزائر لا تعني الأكثر قراءة "فالكثير من القراء يقرؤون من دون أن يشتروا الكتب"، ويتم ذلك بالاستعارة أو النسخ. و"القارئ الجزائري يتّجه إلى المتميّز وليس إلى المفروض عليه". وهناك كتب يعلن عن أنها رائجة ويتبيّن أن القراء لا يقبلون على ما يدخل في باب الدعاية.. وهذا الوضع ليس خاصاً بالجزائر وحدها، بل هو موجود عربياً. وفي تونس والمغرب كثيرون يقرؤون باللغتين العربية والفرنسية، والإقبال على كتب في المغرب مثلاً يختلف عن الإقبال على كتب في الجزائر أو ليبيا أو موريتانيا.. فالجمهور ذو اهتمامات وتوجهات لا يمكن حصرها.

وفي جميع الأقطار والمكتبات العامة هناك رواد من الباحثين، يرتبطون بقاعات المطالعة في المكتبات لإنجاز أبحاث ودراسات.. ولا يخلو الأمر من وجود قراء يبحثون عن كتب محدّدة، أو قراء للمجلات والصحف، ومشاهدة الأفلام ومتابعة الأنشطة الثقافية المتنوعة. كما يوجد قراء من نوعيات مختلفة يتابعون القراءة في بيوتهم، أو في مكتبات مراكز ثقافية وأندية وجمعيات ونقابات مهنية واتحادات ومنظمات شعبية.. إلخ، وتلك حالات من الصعب حصرها، ومن الأكثر صعوبة معرفة ما تقرأ تلك الشرائح من المهتمين بالقراءة في تلك الأماكن.

وللمكتبات العامة دور مؤثّر في نشر المعرفة وإتاحة الفرص أمام القراء، فهي تقدّم للقراء الكتب والخدمات المتنوعة ومناخ مطالعة مناسباً.. ومن الطبيعي أنها لا تستطيع أن تتحكّم بنوع القراء، أو كمهم، أو مستواهم، أو بما يطلبونه ويقبلون عليه من كتب.. ولكنها حين تكون عنصر جذب من دون عوائق، فإنها تسهم في تحسين المناخ العام للقراءة إقبالاً واستفادة. والمكتبات العامة تختلف في مستواها ونوع الخدمات التي تقدّمها، فهناك مكتبات

على قاعات المطالعة حين يكلفون بإنجاز حلقات بحث من أساتذتهم، ثم يغيبون طويلاً ربما إلى موسم جامعي آخر، عدا طلاب الدراسات العليا في الجامعات الذين يرتادون المكتبات لإنجاز رسائلهم الجامعية.. وتلك قراءات في المنهاج الجامعي، أو في إطار البحث الأكاديمي لنيل شهادة. وقد تمّ الحصول على أرقام حول عدد القراء وما يقبلون على قراءته من خلال التعرف إلى الحركة في قاعات المطالعة في مكتبة الأسد الوطنية في دمشق. وممّا ذكره مدير المكتبة إن "عدد الرواد يومياً 4000 قارئ ٩٩١" ممّن بلغوا سن الثامنة عشرة فما فوق، وهم طلاب وباحثون وقراء عاديون، وأصناف الكتب الأكثر طلباً في المكتبة هي التربية وعلم النفس، الآثار، المكتبات، الدين، اللغة، الآداب، التراجم..

ثم كانت متابعة لمعلومات عن القراءة وما يُقرأ في موقع آخر هو الجزائر، حيث تمّ الوقوف على أوضاع تكمل المشهد القرائي العربي، وبعضها أوضاع خاصة جديرة بالمتابعة، وتشير إلى وضع متقارب في معظم دول المغرب العربي.. ما يعني أن هناك أوضاعاً مختلفة، وأخرى خاصة في أقطار الوطن العربي، تحكم القراءة، منها: أن الجزائريين مثلاً يقرؤون الكتب بالفرنسية والعربية، وأن الجيل ما فوق سن أربعين سنة يقرأ بالفرنسية أكثر ممّا يقرأ بالعربية، والشرائح العمرية ما دون تلك السن من المعريين تقرأ بالعربية أكثر ممّا تقرأ بالفرنسية، متابعة للتعلّم بالعربية الذي شقّته حركة التعريب في الجزائر. ومن الكتب الأكثر رواجاً وقراءة الكتب الدينية، وكتب التاريخ، ولا سيما تاريخ الثورة الجزائرية وما يتصل بها، وكتب الأدب (شعر نزار قباني مثلاً). وهناك إقبال على القراءة العمومية في المكتبات العامة التي انتشرت بكثرة، بمناسبة الجزائر عاصمة للثقافة العربية، حيث يوجد ملايين

التراث، سلسلة الطفل.

2 - مهرجان تبادل الكتب الذي أقيم هذا العام في القاهرة والإسكندرية تحت شعار "لا تسجن معرفتك وبادل كتبك"، وهو مدخل إيجابي لتجربة ناجحة، عبر إرسائه قاعدة نشر ثقافة القراءة بأقل التكاليف وأبسط الطرق. وقد حضر المهرجان في القاهرة ما يزيد على 2800 زائر. وعرض فيه 7500 عنوان كتاب، تنوّعت مضامينها بين فروع الأدب والعلوم كافة. وجرى فيه أكثر من 800 عملية تبادل كتب و560 عملية شراء.

3 - مبادرة الكتاب العابر في الإمارات، من خلال توزيع مئات الكتب على الجمهور مجاناً، والمبادرة تأتي بمثابة تمهيد لمعرض الكتاب ولتحفيز الجمهور على القراءة.

4 - مشروع كتاب في جريدة الذي يقدم فرصاً واسعة للقراء، ويضع بين أيديهم كتباً متنوّعة توزّع مجاناً مع الجرائد العربية التي تتعاون مع هذا المشروع.

ولا يمكن القفز فوق حقيقة الرواج على "الكتب الرقمية" والإقبال عليها في الحواسيب والمعلوماتية وبعض التقانات، نتيجة شيوع استخدام الشبكة العنكبوتية "الإنترنت"، أو "شابك" كما سمّتها "الجامع العربية"، وضرورات التعامل معها والإقبال على تعلّم تقنياتها وتقنيات وسائل الاتصال الحديثة الأخرى، واستخدام الأقراص المدمجة للقراءة، والنشر الرقمي أو الإلكتروني، وكذلك شيوع الكتاب المسموع.. كل ذلك أدّى ويؤدي إلى انتعاش حركة الترجمة والتأليف والقراءة والتعلّم من خلال دراسات نظامية ودورات تدريبية على علوم ومعارف في حقول المعلوماتية والحواسيب وتقنيات الاتصال الحديثة وأساليب التعامل معها.. ولا سيما أن الطلب على عناصر بشرية تتقن هذا النوع من الأداء التقني

مركزية ضخمة مثل المكتبات الوطنية في كلّ بلد عربي ومكتبات الجامعات، وهناك مكتبات المراكز الثقافية والأندية والجمعيات والبلديات والمدارس.. إلخ، وتقدّم كلّ من هذه المكتبات مساعدة للقارئ، وتيسّر له سبل التواصل مع الكتاب. ويمكن للبرامج والمبادرات والأنشطة التي تبتكرها المكتبات، والوسط الاجتماعي والمعرفي الذي تصنعه وتشيعه، أن يسهم في ازدهار القراءة، وتمتين علاقة القارئ بالكتاب، وتنمية حقول المعرفة، بتنوع الاهتمامات وتوفير الجديد والمفيد، والتنبية إليهما.

والمكتبات العامة، ولا سيما الكبرى منها، تقدّم برامج ثقافية متنوّعة، وتقدّم محاضرات، وتقيم معارض كتب ودورات وندوات، وتعرض أفلاماً، وتقدّم حفلات موسيقية ومسرحيات.. إلخ؛ وكل ذلك يؤدي إلى نشر المعرفة من جهة، وبلورة صلة بين المكان والناس من جهة أخرى، ومن ثم إتاحة فرص التشجيع على الارتباط بالكتاب، وإيجاد مناخ ملائم للقراءة، الأمر الذي يعزّز الصلة بين القارئ والكتاب، ويعطي دفعا إيجابيا لحركة القراءة والتنمية الثقافية.

لا تسجن معرفتك وبادل كتبك

وهناك مشروعات ومبادرات مبتكرة تسهم مع المكتبات العامة في نشر القراءة، وتمكين القراء، ولا سيما الفقراء منهم، من التواصل مع الكتاب، نذكر منها:

1 - مشروع مكتبة الأسرة في مصر. وهو من أبرز المشروعات الثقافية المصرية التي قدّمت أكثر من أربعة آلاف عنوان كتاب، بملايين النسخ، في طبعات شعبية، وأسعار مناسبة تمكّن القارئ من اقتناء الكتاب، كما تمكّن الأسرة من تكوين مكتبة منزلية. وهي تصدر سلاسل من المنشورات في مجالات: الأدب، الفكر، العلوم الاجتماعية، العلوم التكنولوجية، الفنون،

إن كسب معركة الثقة الذي لا بدّ منه لبناء جسور اتصال تعمل بالاتجاهين، بين المؤلف والقارئ عبر الناشر والموزّع، أمر في غاية الأهمية، ومن أجل الوصول إلى ذلك لا بدّ من تذليل صعوبات كثيرة، وخلق ظروف ملائمة لاقتناء الكتاب وتداوله وقراءته، والارتقاء به إلى مرتبة الحاجة في البيت، والمرجع في التعلم والعمل، والمستند في القرار.. وإقامة علاقة بين الطفل والكتاب في البيت والمدرسة، وبين الشاب "الطالب" والكتاب في الجامعة والمجتمع، وبين أفراد الأسرة والمكتبة المنزلية، وأفراد المجتمع والمكتبات العامة.

إن للمكتبات العامة دوراً مؤثراً في نشر القراءة والخدمات المتنوعة ومناخ المطالعة المناسب للقراء.. ومن الطبيعي أنها لا تستطيع أن تتحكّم بنوع القراء أو مستواهم.. ولكنها حين تكون عنصر جذب من دون عوائق، فإنها تسهم في تحسين المناخ العام للقراءة إقبالاً واستفادة. وهي متنوعة ومتعددة الأغراض، فهناك مكتبات مركزية ضخمة في كل بلد، ومكتبات الجامعات، ومكتبات المراكز الثقافية والأندية والجمعيات والبلديات والمدارس.. إلخ، وكلها تقدّم مساعدة للقارئ وتيسّر له سبل التواصل مع الكتاب، ويمكنها أن تسهم بصورة أفضل في ازدهار القراءة وتمتين علاقة القارئ بالكتاب، ولا سيما حين تتزوّد بالتجهيزات الحديثة لتكون منسجمة مع تطوّر العصر، لذا فإن التطلّع إلى المستقبل بحاجة إلى عالم المكتبات الرقمية المتخصصة الذي يتطلب بدوره تضافر الجهود الإدارية والفنية واستخدام التخطيط الاستراتيجي تحقيقاً لسمة التميز والإبداع.

إن التطور المستقبلي المنتظر لزيادة عدد القراء محتملين في الوطن العربي، يجعل إمكانية خفض تكلفة الكتاب والدورية أمراً

والمعلوماتي أصبح كبيراً، وشرطاً لشغل بعض الوظائف أو للترفيه الوظيفي أو لشغل مواقع معيّنة تتطلب أداءاً تقنياً عالياً.. بعد مشروعات "أتمتة الدولة"، أي دخول هذه التقنيات إلى مجالات العمل الرسمي.. الأمر الذي جعل هذه الاختصاصات مطلوبة، كما جعل الإقبال على قراءة المراجع والمصادر والكتب التي تقدّم هذه المعارف سوقاً رائجة.

وتعلم قراءة المنشور رقمياً "إلكترونياً"، سواء أكان كتاباً أم جريدة أم مجلة أم مدونات.. إلخ، والاعتماد عليه، يتطلب تحصيل معارف معيّنة، واكتساب مهارات بالتدريب والقراءة والممارسة، وإتقان التعامل مع هذا النوع من المنشورات والتقنيات للقراءة والتخزين والإتاحة، ممّا تزرخ به علوم العصر ومعارفه، ولا سيما ذلك الذي يلقي إقبالاً من أوساط الشباب والأجيال الصاعدة.

القارئ وكسب معركة الثقة

القارئ العربي مقصر، لكنه محكوم بكلّ معوّقات الحياة العربية، ومحرّوم من كثير من زاد المعرفة وثمرات القرائح والمطابع ومصانع الأقراص المدمجة الحاملة للزاد المعرفي، لعدم قدرته في المحصلة على توفير مناخ العيش الذي يسمح للمعدة والرأس بغذاء مادي وروحي متوازن أو متقارب، نتيجة للفقر، وضغط الحاجة، وفقدان الخدمات، وتراخي الإرادة، وتآكل التطلّع والطموح، وكثرة ترسبات القهر والإحباط ورصيد الجهل أو العنجهية في المجتمع العربي، وغياب السياسات المعنوية بإخراجه من تلك الدوامة ومن ضجيج أدعياء المعرفة إلى فضاء الحرية المسؤولة الذي يتّسع بالمعرفة والوعي.. هذا القارئ يبقى في النهاية هو المقصود بحركة النشر وهو أهم محرّكاتها، والمقصود أيضاً برسالتها النبيلة.

إن للمكتبات العامة دوراً مؤثراً في نشر القراءة والخدمات المتنوعة ومناخ المطالعة المناسب للقراء.. ومن الطبيعي أنها لا تستطيع أن تتحكّم بنوع القراء أو مستواهم.. ولكنها حين تكون عنصر جذب من دون عوائق فإنها تسهم في تحسين المناخ العام للقراءة إقبالاً واستفادة..

استشرافية، وما يحرض عليه من فعل بناء وقيم نبيلة، يدخل في المعيار السليم لحكم القيمة عليه وعلى مؤلفه، ويشير إلى بيئة معرفية سليمة تساعد على النضج والنمو والإبداع.

وكثيراً ما يدخل التلقي المعرفي، عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية على الخصوص، في دائرة سلبية نسبياً، دائرة الثقافة الشفهية التي لا تتمتع بتركيز وتأثير عميقين كذاك الذي تفضي إليه الثقافة المتأتمية من المقروء، حيث الحواس والعقل في حالة تركيز، ليرسخ ما يحمله النص في النفس، ويسمح للعقل بمناقشته أثناء القراءة بتأمل وتدبر وتأويل. إن التلقي من وسائل الإعلام ووسائل الترويج الذي يشبه التلقي القديم عبر المشافهة، والذي تتم من خلاله إشاعة المقولات والمعلومات والآراء بالتواصل الكلامي وليس بالكتاب والكتابة والقراءة، قد تجاوزته البشر إلى مراحل اكتساب المعرفة والبحث عنها بطرق متقدمة، تعتمد التركيز والمحاكمة والتوثيق والتدقيق. وكانت تلك الثقافة تعتمد قديماً على "كبار الشيوخ والعرفان والكهنة والمعلمين والمغنين والشعراء الشعبيين". إن البحث عن المعلومة التي توفرها وسائل الاتصال الحديثة شيء وقراءة الكتاب الذي يسهم في تكوين العقل والروح وهندسة النفس البشرية وإعادة تكوينها، وإحداث المراجعة الذاتية الداخلية العميقة بوعي، وإنعاش الروح والنفس من خلال متعة القراءة والتفاعل مع المقومات الإبداعية والقيم الفنية والفكرية والجمالية والروحية في النص المكتوب.. شيء مختلف تماماً، وهي أمور رئيسة لا يحققها إلا التواصل الحيوي التام مع الكتاب بوعائية الورقي والإلكتروني.

ويلاحظ أن الثقافة الشفاهية، بصورتها المعاصرة، منتشرة في المنطقة العربية، فمعظم ما في الإعلام المرئي والمسموع ثقافة مشافهة

ممكناً جداً، ويساعد على اقتناء الكتاب، وهذا يتيح مداخل وفرصاً لتحرير المؤلف المبدع اقتصادياً وتمكينه مادياً، وتحرير قلمه وطاقته الإبداعية من القيود الخارجية والمعوقات الداخلية، المنظورة وغير المنظورة، ويمكنه من أن ينصرف بمسؤولية وحرية وثقة إلى تحسين قدراته وأدائه وتطوير معارفه وإبداعه والمادة التي يقدمها للقارئ.. وهذا ينعكس على الكتاب جودةً، وعلى القارئ فائدةً، ومن ثم على المجتمع والأمة وعياً وتقدماً.. فالقارئ يحتاج إلى الكتاب المتميز، فضلاً عن المردود المعرفي الذي لا يمكن التكهّن بمدى تأثيره الإيجابي في حركة الوعي عمقاً وشمولاً، وفي المدّ النهضوي والحضاري العربي سعة وعمقاً.

أمراض القراءة عندنا

ومن أمراض القراءة عندنا تعامل سطحي متسرع مع النص، وهو تعامل يسود في وسائل الإعلام على الخصوص، وتشويه أغراض وأمراض وأحكام مسبقة أو عداثية، تصدر عن مواقف من نصوص وكتّاب وأفكار، وكل ذلك يؤثر على الفهم والتكوين في نهاية المطاف، وعلى تراتبية النصوص والكتّاب والإبداع بصورة عامة، وعلى التذوق بصورة خاصة.

وعلى هذا فإن القراءة المدركة المنصفة أكثر ما نحتاج إليه في حاضرنا العربي، والقراءة المنصفة وعي وعقل ومنطق، ووجدان حي وذوق سليم، وهي أيضاً قدرة على الفهم والإنصاف، ووضع للنصوص والأفكار في مكانتها، بعد سبر غور النص من دون أحكام مسبقة ومواقف من صاحبه، ومن دون مؤثرات وإيحاءات خارجية، وخضوع لهالات يصنعها الإعلام ويروجها المروجون. إن كل ما يساعد على الفهم العميق للنص ودلالاته وما يتضمّنه ويوحى به من رؤية

التعامل السطحي مع النص هو من أمراض القراءة عندنا، وهو تعامل يسود في وسائل الإعلام على الخصوص وتشويه أغراض وأمراض وأحكام مسبقة وعدائية، تصدر عن مواقف من نصوص وكتب وأفكار، وكل ذلك يؤثر على الفهم والتكوين في نهاية المطاف، وعلى تراتبية النصوص والكتّاب والإبداع بصورة عامة وعلى التذوق بصورة خاصة..

(إنكليزية وفرنسية) على الخصوص.

ج. ضعف القدرة الشرائية لدى شرائح واسعة من الجمهور، بسبب تدني الدخل وارتفاع تكاليف المعيشة من جهة، وارتفاع ثمن الكتاب من جهة أخرى. وحذا لويعد **اتحاد الناشرين العرب** إلى تخصيص نسبة مئوية ولو في حدود 2 % من كل طبعة كتاب، للقراء الفقراء الذين لا يستطيعون اقتناء الكتاب، توضع بتصرفهم في معارض الكتب العربية، أو تعرض بسعر رمزي جداً، ليقبلي الكتاب من يرغب في اقتنائه ولا يجد إلى ذلك سبيلاً.

د. عدم وجود الكتاب في منافذ بيع في مدن وبلدات وقرى عربية كثيرة، وحتى في أحياء من مدن عربية كبرى.. الأمر الذي يشكل صعوبة في العثور عليه، ومن ثم صعوبة في تواصل القارئ مع المنشورات والحصول عليها.

هـ. ضياع كثير من وقت المواطن العربي وجهده في البحث عن لقمة العيش، أو في أشكال من هدر الوقت وعدم استثمار الزمن وعدم الشعور حتى بقيمته وأهميته.. فقضاء ساعات في الفرجة على برامج هابطة أو عابرة التأثير في التلفاز، وفي المقاهي وأماكن التسلية الأخرى، يجعل الشخص غير قادر على تخصيص وقت ومال للمعرفة، ولأعلى تركيز تفكيره في قراءة كتب مفيدة.

و. ضعف الدعاية للكتب والإعلان عنها، وشيوع أساليب غير صحيحة في الدعاية لهذا الكتاب أو ذاك، هذا المؤلف أو ذاك، وترويج أحكام "إيجابية أو سلبية" عبر وسائل عديدة منها الإعلام، حول كتب ومؤلفين، وهي في الأغلب الأعم أحكام لا تأتي نتيجة قراءة واعية، وقراءة نقدية يقوم بها مختصون أو قادرون على الحكم، يتحلون بالمعرفة والكفاءة.

ز. قصور بعض الكتب عن تحقيق مستوى فكري أو إبداعي مقبول، أو عجزها عن

لا تتغلغل في العمق الفكري والشعوري ويستند معظمها إلى ما يروج من أحكام على أساس: "سمعنا، وحدث فلان قال، ويقولون، وقيل عن قال.. إلخ، وهي تحمل "أحكام قيمة مزيفة" لكنها سيارة من دون تدقيق ولا إطلاع في الأغلب الأعم، ومن دون توثيق دائماً. وأصبح من يملك لساناً لا يحكمه عقل ومنطق وضمير، يسرح ويمرح ويلوّن المواقف والمشاهد والناس، ويجعل الأحكام التي يروج لها "ثقافة" سائدة في سوق الكلام، ويعتبر ذلك نجاحاً، بل انتصاراً لقدراته وآرائه ومذهبه السياسي أو الأيديولوجي، ولرؤى وآراء من ينتمي إليهم.. وكثيرون هم الذين يشبهون مثل هذا السلاح الفتاك بوجه الحقائق والقيم، ويبثون في الناس ما ليس له صلة بالمعرفة العلمية السليمة.

لماذا لا نقرأ؟

أما لماذا لا نقرأ أكثر، فذلك يعود إلى أسباب كثيرة منها:

أ. عدم قيام البيت والمدرسة بتوطيد علاقة الطفل والتلميذ والطالب بالكتاب، وضعف التدريب على المطالعة والاستيعاب، من خلال كشف عوالم المعرفة والكتب المغرية والممتعة، وسبر عملية الفهم والاستخلاص بوسائل مجدية ومحرّضة على المتابعة والتعمق، وتعزيز القدرة على التركيز.

ب. تراجع التعليم بالعربية، الأمر الذي يؤثر سلباً على القراءة بها، ومتابعة ما يصدر منشوراً فيها، بوصفها لغة تعبير وأداة تفكير، وحامل هوية. لأن الذي لا يتقن العربية لا يقرأ بها، ولا يتابع القراءة إذا كان من متابعيها بلغة أخرى يجيدها. ونحن نلاحظ أن كثيراً من الجامعات في الوطن العربي اتجهت إلى تدريس معظم المواد، إن لم يكن كلها، بلغات أجنبية

إن البحث عن المعلومة التي توفرها وسائل الاتصال الحديثة شيء، وقراءة الكتاب الذي يسهم في تكوين العقل والروح وهندسة النفس البشرية وإعادة تكوينها شيء مختلف تماماً، وهي أمور رئيسة لا يحققها إلا التواصل الحيوي التام مع الكتاب بوعائيه الورقي والإلكتروني..

وقد توقف الناقد الأميركي رون تشارلز عند ظاهرة كتاب "هاري بوتر" للبريطانية رولينغ، وسجل الملاحظة القيمة الآتية: "إن ظاهرة هاري بوتر أزال الفارق الضروري بين القراءة والاستهلاك الإعلامي. فما الذي يتبقى من تجربة القراءة إذا فقدت فرديتها ومغايرتها للسائد، وتحولت إلى سلوك جمعي تحرضه آليات الدعاية والسوق والإعلام؟ وهل يوحي هذا المشهد بنبوءة قاتمة، هي موت القراءة في ثقافتنا؟" ولكن ذلك يحدث في مجتمع قارئ، والقارئ فيه يعي ما يفعل، ولو نسبياً، فكيف بمجتمعات يحتاج فيها القارئ إلى من يرشده؟ ماذا تفعل فيها هستيريا الدعاية؟ إن هذا يضعنا في مواجهة "تجربة القراءة الحقيقية المنزهة عن آليات السوق؟" كما سماها صاحب المقال المشار إليه. والأمر نفسه يحدث مع كتاب "الكيميائي" لمؤلفه باولو كويلو، وكتب أخرى. إن هذه الظاهرة تستحق الملاحظة والتوقف عندها ومعالجة آثارها السلبية.

مجازاة التقدم المعرفي وتقديم الجديد للقراء في مجالاته، وتحقيق ارتياد في مستوى الأداء.. وذلك لأسباب منها عدم المتابعة، والقصور عن تقديم معرفة وعلم متقدمين بأساليب عصرية مقنعة ومغرية وبسيطة، تعني عن مصادر أخرى أو تغري بتفضيلها على قنوات وأوعية معرفية وأساليب تحصيل مغايرة.

بين الترويج والتعقيم

ومما لا بد من التأكيد على ملاحظته في هذا المجال، ويؤثر سلباً أو إيجاباً في الرواج والقراءة على مؤلفين ومؤلفات: الترويج والتعقيم، على أسس تجارية وأيديولوجية وحزبية وطائفية أحياناً.. إلخ، وغير ذلك من أسباب الترويج أو التعقيم غير الصحية في وسائل منها الإعلام، ونجاح ناشرين في تقديم ما يرغب فيه الجمهور لا ما يسمو به ويرتفع بمستواه الأدبي والمعرفي والعلمي والخلقي. ويأتي هذا موافقاً لظاهرة رواج بعض الكتب الغربية عالمياً تحت تأثير الهستيريا الإعلامية التي تنتقل إلى هستيريا جماهيرية، وتدور العجلة بهذه الدوافع وفي هذه الاتجاهات..

من أسباب عدم الإقبال على القراءة تراجع التعليم بالعربية، الأمر الذي يؤثر سلباً على القراءة بها ومتابعة ما يصدر منشوراً فيها بوصفه لغة تعبير وأداة تفكير وحامل هوية، لأن الذي لا يتقن العربية لا يقرأ بها، ولا يتابع القراءة إذا كان من متابعيها بلغة أخرى يجيدها..

المشهد الإبداعي العربي

الأدب

تجليات الرواية والشعر في العام 2009

السينما

هل من جديد في صناعة السينما العربية؟

المسرح

حركة المسرح العربي في العام 2009

الغناء والموسيقى

قضية الكلمة في الأغنية العربية

الأدب

تجليات الرواية والشعر في العام 2009

عام يكمل ما سبقه

غير أن قراءة متأنية، إحصائية وتوثيقية يوازئها عمل تحليلي، يمكنها أن تستخلص ملامح عام مضى من خلال حراكه الثقافي، ومعطيات هذا الحراك وآفاقه وظواهره. وقد تكون هذه القراءة أشد رسوخاً إذا تناولت الحراك الإبداعي الأدبي في مختلف فروع أو مدارسه. فالظواهر الأدبية قادرة فعلاً على أن تستقل بنفسها عبر بروز الخصائص التي تميزها أو تسمها. وفي هذا المنحى سعى هذا التقرير إلى اختصار المشهد الأدبي العربي الذي هيمن على عام بكامله، من خلال منهج شبه شمولي، يجمع بين الإحصاء والتوثيق والتحليل.

هل ما زلنا في زمن الرواية؟

لا تزال مقولة "زمن الرواية" وهي الصفة التي أطلقت على المرحلة الأدبية الراهنة التي تهيم فيها الرواية، على المشهد الإبداعي العربي، عرضة للسجال والنقاش. فالعام 2009 قد يكون عاماً للرواية، لكنه كان أيضاً عاماً للشعر. وقد أثار الشعر الكثير من الضوضاء عبر المهرجانات التي شهدتها هذا العام ومن خلال السجلات والظواهر والأحداث التي برزت. إلا أن الشعر بصفته حركة إبداعية لم ينل الاهتمام الذي نالته الرواية إعلامياً وشعبياً، على الرغم من أن عدد الدواوين التي صدرت في العام 2009 ليس أقل بكثير من عدد الروايات، لكن الدواوين لا تجد عادة من يهتم بها، نقداً ومراجعة، على خلاف الرواية التي

لعل السؤال البديهي الذي يواجهه من يسعى لرصد الحياة الثقافية سنة تلو الأخرى هو: هل يمكن استخلاص ملامح ثقافية عامة خلال فترة زمنية تتمثل هنا في سنة كاملة أو اثني عشر شهراً؟ وقد يفترض هذا السؤال طرح سؤال آخر هو: أتكفي ملامح عام من الحراك الثقافي لبلورة صورة شاملة عن واقع الثقافة التي شهدها عالم بأكمله هو العالم العربي؟ وإن بدت الإجابة عن هذين السؤالين محتملة، فإنها لن تكون نهائية. فالعام في المفهوم الثقافي لا يختلف بالضرورة عن العام الذي سبقه أو الذي يليه، إلا من جهة الوقائع والأحداث. وهذه الوقائع أو الأحداث نفسها لا يمكن عزلها عن سياقها الزمني المتوالي، فالعام الثقافي يكمل العام السابق ويمهد لللاحق، والثقافة ليست إلا بمثابة الخيط المتواصل الذي لا ينتهي هنا ولا هناك. لكننا إذا قرأنا العام الثقافي في ضوء التقرير ومفهومه التاريخي أو الكرونولوجي والتوثيقي، فإن من الممكن استخلاص ملامح معيّنة للعام 2009 حتى ولو كانت على علاقة وطيدة بما حصل سابقاً. ولعلها تكون في أحيان ثمار بذور زرع قبل عام أو عامين ولم يحن قطفها إلا راهناً. وهكذا يمكننا استجلاء الواقع الثقافي في حركته المطردة والتي لا تعرف الكمون ولو عرفت أحياناً حالاً من التراجع. فقد يكون عام معين أفضل من عام آخر، تبعاً للمناخ الشامل الذي يهيمن على المرحلة نفسها.

يبدو الشعر في الغالب مفتقراً إلى المتابعة النقدية، علاوة على انحسار قرائه، وهذا ما يظهر واضحاً في جداول المبيعات لدى دور النشر والمكتبات العربية. أما الرواية فهي على العكس تماماً، إنها أشد حضوراً من الشعر وأكثر رواجاً..

وإن لم يكن المجال هنا متاحاً للخوض في قضية النشر وأزماته، فلا بدّ من الإشارة إلى أنّ الرواية عرفت خلال هذا العام حالاً من الازدهار، أقله على مستوى النشر أو الطباعة. وتكفي مراجعة حثيثة لحركة النشر الروائي عبر ما تتيحه الإحصاءات الأولية لتكوين فكرة شاملة عن طبيعة هذه الحركة وحجمها. فما نشر من روايات يتخطى هذا العام من حيث المبدأ الثلاثمئة رواية. وقد لا تكون دلالة العدد وحدها كافية لترسيخ مبدأ ازدهار الرواية، فالمهمّ وربّما الأهم هو اختلاط أجيال الروائيين بعضهم ببعض والصعود الدائم لجيل جديد ينطلق من تراث الأجيال السابقة ليقدم نتاجه. وقد تكون هذه الظاهرة واضحة تمام الوضوح في المشهد الروائي المصري، حيث تتعاقب الأجيال، واحدة تلو الآخر وتتوالى الأسماء الروائية الجديدة وبعضها تمكّن فعلاً من احتلال موقع متقدّم في الحركة الروائية خلال فترة قصيرة. الإقبال على كتابة الرواية يبيّن جداً شعراء ومسرحيون كثيرون شاءوا خوض حقل الرواية بعدما وجدوا فيها فسحة رحبة للتعبير ولقول ما لا يحتمل الشعر أو المسرح قوله..

تجذب النقاد وتثير حماسهم. ويمكن القول إن نقد الشعر يكاد يكون منحسراً وقليلاً تبعاً لقلّة أو ندرة النقاد المتخصّصين في حقله. وهذه ظاهرة لافتة جداً ولها دلالاتها، وقد برزت منذ الستينيات من القرن المنصرم، عندما انطلقت ثورة الشعر العربي الحديث التي لم تلق حركة نقدية شاملة تواكبها وترافقها وتلقي الضوء على شعرائها وعلى التحوّلات التي طرأت في المعترك الشعري الجديد. يبدو الشعر في الغالب مفتقراً إلى المتابعة النقدية، علاوة على انحسار قرائه، وهذا ما يظهر واضحاً في جداول المبيعات لدى دور النشر والمكتبات العربية. أما الرواية فهي على العكس تماماً، إنها أشدّ حضوراً من الشعر وأكثر رواجاً. وإذا تمّ التوافق على أنّ الرواية العربية، كما العالمية، تعيش الآن عصرها الذهبي، فإنّما لأنّها قادرة فعلاً على مواجهة الأسئلة المطروحة راهناً، ولاسيما في عصر العولمة والانفتاح الحضاري والثورة المعلوماتية. وقد تكون الرواية هي النوع الأدبي الوحيد الشامل والقادر على الإحاطة بالقضايا والأزمات الكثيرة التي تجتاح الزمن القائم. إنها فعلاً سليلة عصر العولمة كما كانت من قبل سليلة الثورات العلمية والسياسية والاجتماعية التي صنعت المجتمع الحديث.

اختلاط أجيال الروائيين

يستحيل فعلاً إحصاء الروايات العربية التي صدرت خلال العام 2009 إحصاء دقيقاً ما دامت حركة النشر في العالم العربي تقتصر إلى سياسة الإحصاء العلمي والمنهجي والبرمجة. فثمة دور صغيرة، مناطقية أو إقليمية لا تدرج منشوراتها في القوائم، إضافة إلى الروائيين الذين ينشرون على نفقتهم فلا يؤرّعون أعمالهم جيداً فتظل أسيرة محليتها.

ولعلّ اللافت أن فرادة المشهد الروائي لم تبقى مقتصرة على إسهامات الروائيين الرّواد أو ما بعد الرّواد والروائيين الذين رسّخوا أنفسهم في هذا الحقل، بل أن الفرادة تكمن في الطابع المختلط لهذا المشهد الروائي. ففي محاولة تبين الحقول التي استأثرت بالرواية العربية خلال العام 2009، يلاحظ أن هذه الحقول

ما نشر عن روايات يتخطى هذا العام من حيث المبدأ الثلاثمئة رواية. الإقبال على كتابة الرواية يبيّن جداً شعراء ومسرحيون كثيرون شاءوا خوض حقل الرواية بعدما وجدوا فيها فسحة رحبة للتعبير ولقول ما لا يحتمل الشعر أو المسرح قوله..

وفاز في دورتها الأولى الروائي المصري بهاء طاهر عن روايته **واحة الغروب** حتى أضحت ظاهرة أدبية تثير كل عام سجلاً يتجدد في العام الذي يلي. فهذه الجائزة لا تكمن أهميتها بمكافأتها المادية فقط (60 ألف دولار)، بل في فتحها أفقاً عالمياً أمام الروائي الفائز، لكونها مرتبطة بجائزة **البوكر** البريطانية الكبيرة. فما إن تفوز الرواية بالجائزة حتى تحظى بترجمات إلى لغات أجنبية عدّة وهذه الترجمات تضع الروائي على لائحة الأسماء العالمية. قد يكون هذا السبب هو الحافز على صعود هذه الجائزة وعلى إثارتها رغبة الروائيين في الترشح لها. لكنّ الجائزة التي شهدت سجلاً عربياً منذ انطلاقتها لم تستطع أن تحسم هذا السجال ولا أن تتخلص منه. وقد شهد العام 2009 حالاً من السجال الشامل حول الجائزة وشارك فيه نقاد وكتاب من العالم العربي. فما إن أعلن فوز الروائي المصري يوسف زيدان بالجائزة عن روايته **عزازيل (دار الشروق المصرية)** حتى اندلعت "معركة" بدأت أولاً في مصر ثم امتدت عربياً. وكان لا بدّ من أن يثير فوز رواية **عزازيل** بجائزة **بوكر** حفيظة الروائيين المصريين أولاً والعرب ثانياً. فهذا الآتي من عالم التراث والمخطوطات استطاع بين ليلة وضحاها أن يحتل المشهد الروائي مصرياً وعربياً وأن يقطف جائزة يحلم بها المتمرسون في الفنّ الروائي. وما زاد من حدة ردّ الفعل أن هذا الروائي "المبتدئ" و "الغريب" عن عالم الرواية، استطاع أن يزاحم أسماء مهمة، وفي مقدمها **محمد البساطي** الذي تقدّم إلى الجائزة بروايته **البديعة جوع**، وكان يستحقها مثلما استحققتها "عزازيل" وكما تستحقها روايات أخرى لم تقز بها. جاء زيدان عالم الرواية من زاوية هو خير

بلورتها روايات عدّة تنتمي إلى أجيال مختلفة: جيل الرواد، جيل المخضرمين وجيل الشباب. لقد أصبحت الميادين أو الحقول الروائية مشرّعة أمام الأجيال كلّها. فالرواية التاريخية مثلاً، لم تبق وقفاً على جيل دون سواه، وكذلك الرواية الاجتماعية أو السياسية والرواية ذات الاتجاه الواقعي الجديد أو الرواية الغرائبية وسواها. وفي المشهد الروائي الراهن يتأخى الرواد والمخضرمون والشباب، لكنّ التآخي لا يعني التشابه بل يعني الاختلاف والتناقض في أحيان، ولعلّ هذا الأمر هو الذي يمنح المشهد الروائي حيويته، فروائيون مثل **طالب الرفاعي** و**عبد خال** و**علاء الأسواني** و**ربيع جابر** و**علوية صبح** و**علي المقري** و**ابراهيم فرغلي** و**علي بدر** و**منصورة عز الدين** و**روزا ياسين حسن** و**واسيني الأعرج** وسواهم، يكملون روائيين ينتمون إلى الجيل المخضرم مثل **صنع الله ابراهيم** و**جمال الغيطاني** و**ابراهيم الكوني** و**رضوى عاشور** و**نبيل سليمان** و**محمد البساطي** و**بهاء طاهر** و**محمد برادة** و**أمير تاج السرّ** و**عزالدين التازي** وسواهم. وإزاء هذين الجيلين تبرز أسماء عدّة، بعضها يدرج في خانة الرواد مثل **حنّا مينة** الذي ما برح يصدر أعمالاً روائية وبعضها الآخر يدرج في خانة عصية على التصنيف مثل **سليم بركات** و**أمين الزاوي** و**ليلى العثمان** و**فواز حداد** و**محمد أبو معتوق** وسواهم. طبعاً هذه الأسماء تحضر هنا بصفاتها التمثيلية لا التصنيفية خلال العام 2009، فثمة أسماء أخرى مهمة أيضاً لا يسع المجال لإدراجها، وهي ستمثل في اللوائح التي تمّ عبرها رصد حركة النشر الروائي.

الرواية واشكالية الجوائز

ما إن انطلقت جائزة "البوكر" العربية أو "الجائزة العالمية للرواية العربية" العام 2007

يستحيل إحصاء الروايات العربية التي صدرت في العام 2009 إحصاءً دقيقاً مادامت حركة النشر في العالم العربي تقتصر إلى سياسة الإحصاء العلمي والمنهجي .. فثمة دور صغيرة أو إقليمية لا تدرج منشوراتها في القوائم .. ناهيك بالروائيين الذين ينشرون على نفقتهم فلا يوزعون أعمالهم جيداً فتظل أسيرة محليتها..

فوز رواية عزازيل للمصري يوسف زيدان بجائزة البوكر في العام 2009 أثار حفيظة الروائيين المصريين أولاً والعرب ثانياً .. فهذا الروائي "المبتدئ" و"الغريب" عن عالم الرواية استطاع أن يزاحم أسماء روائية مصرية وعربية مهمة ومكرّسة على الجائزة ذات الأفق العالمي، لكونها مرتبطة بجائزة البوكر البريطانية .. فما أن يفوز الروائي العربي بها مثلاً، حتى تفتح أمامه آفاق عالمية وترجم أعماله إلى لغات عدّة من شأنها أن تضعه على لائحة الأسماء الأدبية العالمية..

انتماءاتهم أو هوياتهم ومشاربهم.

ولم يكد ينتهي السجال حول فوز يوسف زيدان بالجائزة حتى تجدد في منتصف شهر كانون الأول (ديسمبر) 2009، بعدما أعلنت أسماء الفائزين الستة في ما يسمى اللائحة القصيرة للجائزة. وكان الفائزون هم: ربيع جابر (لبنان) عن روايته أميركا، جمال ناجي (الأردن) عن روايته عندما تشيخ الذئب، ريعي المدهون (فلسطين) عن روايته السيدة من تل أبيب، عبده خال (السعودية) عن روايته ترمي بشر - أعلن فوزها بالجائزة في

وقت لاحق من العام الجديد - محمد المنسي قنديل (مصر) عن روايته يوم غائم في البر الغربي، ومنصورة عز الدين (مصر) عن روايتها وراء الضردوس.

وكانت المفاجأة إعلان الناقدة المصرية شيرين أبو النجا، عضو لجنة التحكيم انسحابها من اللجنة اعتراضاً على الطريقة التي تمت بها المناقشة واختيار الأسماء. فهي كما صرّحت إلى الصحافة العربية لم تفهم ما هي المعايير النقدية التي عمل أعضاء اللجنة بموجبها ليقروا الأعمال ويقيموها. وفي رأيها لم تكن هناك معايير واضحة أو مقاييس نقدية يتكئ عليها أعضاء لجنة التحكيم والتي لا يمكن من دونها الحكم على الأعمال. ولم تكن شيرين مقتنعة باللجوء إلى التصويت قبل إنهاء النقاش. فالأرقام في التصويت بحسب رأيها لا تعبّر عن حقيقة الاختيار، ما دامت تقتقد إلى النقاش أو الحوار. وقد يكون التصويت حلاً يلجأ إليه في الختام بعد أن يصل النقاش النقدي إلى طريق مسدود.

أما أعضاء لجنة التحكيم فهم: طالب الرفاعي (روائي وقاص كويتي)، رجاء بن سلامة (أستاذة محاضرة في كلية الآداب والفنون والإنسانيات في منوبة - تونس)،

العارفين بها، ووظف خبرته الطويلة في تحقيق المخطوطات وإحياء ما طواه التاريخ ونام عليه، وراح يحبك خيوط لعبته السردية مرتكزاً على الذاكرة "المجموعة" والمخيّلة في آن واحد. ولم يكن اختلاقه شخصية "المرجم" المتوهم الذي عرّب "اللفائف" أو المخطوطات القديمة إلا حافزاً على خلق عالم وهمي، وبطل وهمي، هو الراهب المصري الأصل الذي يدعى "هييا" والذي يتولى فعل السرد كاتباً مذكراته باللغة السريانية.

مفاجأة شيرين

وكان لا بدّ من أن يثير فوز عزازيل بجائزة بوكر حفيظة الكنيسة القبطية أيضاً. التي اعتبرت هذا الفوز إساءة إلى تاريخها وعقيدتها. فالرواية لم تسئ إلى الكنيسة البتة ولا إلى عقيدتها، بل هي كانت أمينة في إحيائها تلك الفترة من التاريخ المسيحي الذي عرف "حروباً" عقيدية لم يعد الكلام عليها عملاً تشهيرياً، ولا سيما بعدما اعترفت الكنيسة نفسها بما حصل من صراعات ومواجهات، دموية أحياناً، لتطوي تلك الصفحات وكأنها من الماضي البعيد. وبدا يوسف زيدان غير منحاز إلى الفكر الهرطوقي الذي مثله الراهب نسطور، فهو لا يلبث أن يصوّره وقد انقلب من ضحية إلى "جلاد"، يضطهد الذي يخالفونه الرأي مثلاً اضطهده من قبل الذين خالفهم الرأي. وكان يوسف زيدان نزيهاً جداً في مقاربتة هذه الحقبة من التاريخ الحافل بالحروب والصراعات التي لا يمكن نكرانها.

لم يشعر يوسف زيدان لحظة أنه غريب عن التراث القبطي الذي يمثل جزءاً مهماً من تاريخ مصر وحضارتها. إنه في هذا المعنى قبطي مثلاً هو فرعوني ومسلم. فمصر هي مصر، وتراثها ملك أبنائها جميعاً أيّا تكن

لم تخل "جائزة البوكر العربية" من بعض اللغط والإثارة، فقد انسحبت الناقدة شيرين أبو النجا من عضوية لجنة تحكيم الجائزة معتبرة أنه لم تكن هناك معايير واضحة أو مقاييس نقدية يتكئ عليها أعضاء لجنة التحكيم..

البشرية.

وتستحضر رواية اللبناني ربيع جابر "أميركا" (المركز الثقافي العربي) ملحمة الناس الذين دفعهم الفقر وروح المغامرة إلى ترك سورية الكبرى في السنوات الأولى من القرن العشرين ليحربوا حظهم في أميركا الناشئة، حاملين "الكشة" عبر السهول والجبال، فيندمجون تدريجاً في نسيجها الاجتماعي ويشاركون في حروبها. يركّز السرد على سيرة مارتا التي تقرّر الذهاب وحدها إلى نيويورك من أجل العثور على زوجها بعدما انقطعت عنه الأخبار. تأتي الرواية تحيةً من الباقين إلى الذين رحلوا في أراضي المهجر، متخطّين ما كانت ظروفهم تقدّره لهم من مصير، حتى يصنعوا هويّاتهم الجديدة بأيديهم وعزيمتهم.

رواية ترمي بشر، للروائي السعودي عبده خال (دار الجمل) تدور حول حكاية مكان هو أشبه بجنة، يرمي بشره على جعيم الحارات البائسة في جدة، فيمتد السرد جسراً بين عالم سيد المكان ومن تحولوا دمي بشريّة وعبيداً. رواية ساخرة فاجعة تصوّر فظاعة تدمير البيئة وتدمير النفوس، وتقدّم البوح الملتاع لمن أغوتهم الأنوار الفاحشة فاستسلموا لعبودية مختارة من النوع الحديث.

الروائي المصري محمد المنسي قنديل يحيي في روايته يوم غائم في البر الغربي (دار الشروق، القاهرة) فترة الاكتشافات الأثرية والنضال الوطني في مصر، ويضمّن ملحمة فتاة تهرب بها والدتها من زوجها المغتصب، وتودعها ديراً في أسيوط بعد أن تغيّر اسمها وتدقّ على ذراعها الصغيرة صليباً. ثم يتداخل مصير الفتاة وقد أضحت مترجمة، مع مسيرة شخصيات تاريخية.

أما رواية وراء الفردوس (دار العين،

سيف الرحبي (شاعر وكاتب عماني)، شيرين أبو النجا (أستاذة الأدب الإنكليزي في جامعة القاهرة)، فريدريك لاغراند (باحث فرنسي ومترجم ومدير قسم الدراسات العربية والعبرية في جامعة السوربون في فرنسا).

تتميّز الروايات الست الفائزة بأجوائها وأساليبها المختلفة. فالروائي الفلسطيني الأردني جمال ناجي يختار في روايته عندما تشيخ الذئب (منشورات وزارة الثقافة - عمان) تقنية تعدّد الوجوه والأصوات، فينسحب الراوي العليم ليفسح المجال أمام شخصيات متعاقبة، تروي أحداثاً ومشاهد تتكرّر وتختلف وتتنامى من شخصية إلى أخرى. إنها رواية تصوّر الهشاشة البشرية والعلاقة المعقدة بين الجنس والدين والسياسة، وتقدّم لوحة حيّة عن عوالم الوعاظ والجمعيات الخيرية والساسنة، وأسرار الارتقاء الاجتماعي من الحارات الفقيرة إلى مراكز السلطة والثراء في عمان. الشخصية الرئيسة في الرواية لا تتكلّم وتبقى لغزاً على الرغم من انكشافها الجزئي: عزمي الوجيه. فهل هو الذئب الوحيد الذي لا يشيخ؟

أما الكاتب الفلسطيني ربيع المدهون فيتناول في روايته السيدة من تل أبيب (المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، قضية الصراع الفلسطيني-العربي-الإسرائيلي، ويختار لحظة مشحونة بالهواجس والتوتر والريبة حتى الانفجار. البطلان هما وليد دهمان العائد من مغتربه الأوروبي بعد سنين طويلة لزيارة أهله في غزة عبر مطار بن غوريون في تل أبيب، والإسرائيلية دانا أهوفا التي تشاء المصادفات أن تجلس في المقعد المجاور لمقعد. هكذا يبدأ التماس بينهما، وما يشبه الحوار المتقطع الذي يأخذ القارئ إلى أصقاع نائية في الذاكرة والتاريخ والذات

أن روايتها حظيت بإجماع لجنة التحكيم. ولم يكن أمام الإعلام السعودي إلا أن يحتفل بهذا الحدث قبل وقوعه، بغضوة تامة وحماسة. ففوز رواية ستر بهذه الجائزة المهمة هو فوز للرواية السعودية الحديثة أو الراهنة التي تشهد حالاً من "الغليان" لم تشهدها سابقاً. لكن هذا الاحتفال الإعلامي الغفوي كان السبب الأول في حجب الجائزة عن رجاء عالم كما قيل، وفي البحث عن اسم آخر يستحقها. لم يرق - على ما بدا - للجنة وربما لهيئة الجائزة (الجامعة الأميركية في القاهرة)، أن يستبق

الإعلام النتيجة ويعلمها وكأنه هو القائم على منح الجائزة. طبعاً لا علاقة للعالم بما حصل، ولعلها فوجئت بهذا الاحتفال المسبق مثلها مثل الكثيرين.

تري هل كان تراجع الهيئة عن قرارها صائباً؟ ألم يظلم روائية مهمة بريئة كل البراءة ممّا حصل؟ مثل هذه الأسئلة كان مثار سجال عربي، لكن هذا السجال لم يتعرّض للروائي السوري الشاب الذي بدا يستحق الجائزة كل الاستحقاق.

عودة يحيى حقي

لا بدّ للجوائز الأدبية، كما هو شائع، أن تحدث سجلاً في أوساط الأدباء، يقبلها بعضهم ويرفضها البعض الآخر، وقد لا تبالي بها قلة تجد نفسها خارج حلبة هذا "الصراع". هذا أحد شؤون الجوائز التي يتبارى حولها الأدباء، طمعاً بشهرة أو مال ونجومية... كأنّ الجائزة هي التي تتوّج تجربة الكاتب أو مساره، وكاتب بلا جوائز يظل في نظر الكثيرين - وربما في نظر نفسه - كاتباً غير مكرّس، وينقصه "اعتراف" هو بمثابة الوسام الذي يعلّق على صدره.

استحقّ يحيى حقي، الروائي والقاص

القاهرة) للروائية المصرية منصوره عز الدين فتناول الطبقة البورجوازية في الريف، من خلال شخصية سلمى التي تعمل محرّرة في جريدة أدبية وتحاول أن تتخلّص من ماضٍ طويل محمّل بذكريات أليمة وبصور سلبية عن الذات، ما شجعها على كتابة رواية خاصة بها، تسرد فيها تاريخ العائلة، تاريخ الحب، تاريخ الجسد، تاريخ الحراك الطبقي داخل القرية، تاريخ الجنون، تاريخ الكتابة.

جائزة نجيب محفوظ

لم يقتصر سجال الجوائز الروائية على جائزة البوكر في العام 2009 بل تعدّاها إلى جائزة نجيب محفوظ التي تمنحها الجامعة الأميركية في القاهرة والتي باتت إحدى أهمّ الجوائز الأدبية عربياً. وقد فاز الروائي خليل صويلح - جائزة محفوظ عن روايته وراق الحب وهي من الروايات العربية التي لا يمكن تجاهلها أو التغاضي عنها. رواية فريدة بجوّها وفكرتها ولعبتها السردية القائمة على الشك في الفنّ الروائي نفسه. فالراوي المثقف والقارئ النهم الذي يتولّى مهمة السرد، لا يمنع نفسه من الانزلاق في شرك الكتابة الروائية الذي ينتهي به إلى حبك روايته وكأنّها رواية داخل رواية. وعندما صدرت هذه الرواية العام 2002 في طبعة أولى لقيت ترحاباً كبيراً لدى النقاد والروائيين.

بدا فوز رواية وراق الحب بالجائزة مفاجأة غير منتظرة. كانت سرت قبل شهرين أخبار تؤكد فوز الروائية السعودية رجاء عالم بالجائزة عن روايتها ستر. والأخبار هذه لم تكن بمثابة شائعات أطلقت بالسرّ كما يحصل دوماً إزاء الجوائز، ولم يعمد أحد من أعضاء اللّجنة كذلك إلى تسريبها. فاسم رجاء عالم كان مطروحاً بقوة، وعُلم، لا أحد يدري كيف،

لا بدّ للجوائز الأدبية، كما هو شائع، أن تحدث سجلاً في أوساط الأدباء، يقبلها بعضهم ويرفضها البعض الآخر، وقد لا تبالي بها قلة تجد نفسها خارج حلبة هذا "الصراع". هذا أحد شؤون الجوائز التي يتبارى حولها الأدباء، طمعاً بشهرة أو مال ونجومية... كأنّ الجائزة هي التي تتوّج تجربة الكاتب أو مساره، وكاتب بلا جوائز يظل في نظر الكثيرين - وربما في نظر نفسه - كاتباً غير مكرّس، وينقصه "اعتراف" هو بمثابة الوسام الذي يعلّق على صدره..

شخص كان له حضوره في حياة الناس، وكان الكثيرون ينتظرونه يوماً تلو يوم، حاملين بما يحمل إليهم من رسائل وأخبار، جميلة أحياناً وأليمة في أحيان. كان "البوسطجي" شخصاً أليفاً، يوقف دراجته عند عتبات البيوت، يرتاح ويشرب الماء البارد، وقد يدعى أيضاً إلى الغداء وكأنه فرد من العائلة. فهو كما تفيد كلمة "الساعي" لغوياً، رسول يطوف المدن والأزقة ينقل إلى أناس ما حملهم إياه أناس آخرون. إنه رسول المجهول الذي يحمل رسالة يجهل ما فيها، وقد سُمِّي "ساعي البريد" لأنه يسعى إلى الناس بما يوصله إليهم من رسائل أو "خطابات" كما يقول المصريون.

الطيب صالح وأسطورته

في 17 شباط (فبراير) غيَّب الموت الروائي السوداني الكبير الطيب صالح في لندن عن ثمانين عاماً. ورحيل روائي في حجم الطيب صالح قد يكون أشبه بالحدث في تاريخ الحركة الروائية العربية. والسؤال الذي يطرحه رحيله هو: هل يمكن أن تصنع رواية واحدة من صاحبها "أسطورة" مثلما فعلت موسم الهجرة إلى الشمال من الطيب صالح "أسطورة" الأدب العربي الحديث؟ فهذا الروائي لم يستطع طوال حياته أن يتخلص من سطوة هذه الرواية التي جلبت له من الشهرة ما جلبت من المتاعب، كما عبّر مرة. ظل الطيب صالح أسير موسم الهجرة إلى الشمال، فوسمت به مثلما وسم بها، مع أنه كتب روايات أخرى لا تقل فريدة عنها، ومنها مثلاً عرس الزين و بندرشاه وسواهما.

وعندما أصدر صالح هذه الرواية العام 1966 لم يكن يتراءى له أنه سيسبق المفكر الأميركي صموئيل هنتنغتون في نظرية "صدام الحضارات"، فالرواية كانت سبّاقة

المصري الكبير، أن يحمل طابع بريدي صورته غداة انعقاد "الملتقى الإبداعي الأول للبريد المصري" الذي كرمه في القاهرة (أيار/ مايو 2009)، واحتفى بما يُسمى "الأدب البريدي"، ومن رواده المحدثين الروائي إبراهيم أصلان الذي عمل "بوسطجياً" وكتب رائعته وردية ليل من وحي هذه المهنة. بدا الملتقى هذا حدثاً فريداً وكذلك تكريم يحيى حقي. فهو الذي لم ينل حقه كاملاً، في الإعلام والترجمة والنقد، كان أول من ابتدع شخصية "البوسطجي" أو ساعي البريد في قصة دماء وطين التي باتت تعرف شعبياً بـ "البوسطجي"، بعدما أخرج منها حسين كمال فيلماً بديعاً في العام 1968. وفي هذا النصّ السردى "يقتحم" حقي عزلة ساعي البريد الذي يُدعى عباس والذي نفاه أهل القرية الصعيدية إلى الهامش، ولم يجد من طريقة لمواجهة الوحشة سوى التلصص على الرسائل التي يوزّعها، قارئاً ما تحمل من أخبار وأسرار. لكنّ هذا التلصص سرعان ما يوقعه في "شرك" قصة حب تنتهي مأسوياً، ويصوّره الكاتب في الختام يهرول في الشارع رامياً الرسائل في الهواء حزناً وغضباً. وهنا بدا "البوسطجي" شخصاً عبثياً، تخطى البيئة القروية وأضحى شاهداً غير بريء، على مقتل الفتاة العاشقة على يد والدها، في ما يسمّى جريمة شرف.

نادراً ما عرفت الرواية العربية شخصية "البوسطجي" مثلما تجلّت في نصّ يحيى حقي. فهذه الشخصية الطريفة جداً التي باتت شبه منقرضة في عالمنا المعاصر، لم تعد تثير مخيلة الروائيين، وأضحت إطلاقتها سريعة أو عابرة، ومقتصرة على بضع قصص تستعيد صورة "البوسطجي" من الماضي البعيد أو القريب. لقد أضحى "البوسطجي" بدراجته الهوائية وحقيبته الجلد التي يضع فيها الرسائل، ذكرى

يحيى حقي كان يستحق كروائي كبير أن يحمل صورته الطابع البريدي الذي صدر غداة انعقاد "الملتقى الإبداعي الأول للبريد المصري" في شهر مايو 2009 والذي كرم حقي.. كما احتفى بما سُمِّي "الأدب البريدي" الذي كان من رواده المحدثين الروائي إبراهيم أصلان..

فإن أعماله الأخرى، الروائية والقصصية، لا تخلو من الخصوصية، سواء في لغتها السردية أم في تقنياتها وأشكالها. ومن تلك الأعمال رواية **عرس الزين** التي ترصد أسطورة الشخص القروي الغريب الأطوار الذي يدعى "الزين" في علاقته بالفتاة "نعمة"، وكذلك رواية **بندر شاه** في جزأها: "ضو البيت" و "مريود". وتمثل هذه الرواية الصدام البيئي والحضاري بين القديم والحديث. ومن أعماله القصصية البديعة **دومة ود حامد** وهي تدور حول الصراع بين الحكومة وأهل قرية "ود حامد" التي تقع على الضفة الشرقية من النيل، فالحكومة تريد تحديث القرية واقتلاع شجرة الدوم التي هي رمز القرية والأهل يصرون على تقاليدهم المتوارثة. وهذه القرية السودانية "ود حامد" تحضر كثيراً في نصوص **الطيب صالح** رمزاً لعالم الطفولة والبراءة المتجذّر في شمال السودان.

رحل **الطيب صالح** وكان في نيّته أن يكتب سيرته، لكن ظروفه لم تساعده فاكتمل بنشر كتاب عنوانه **منسي؛ إنسان نادر على طريقته**، ومن خلاله تتبدّى بعض معالم تلك السيرة الحافلة بالأحداث والوقائع الطريفة.

محمد زفزاف في الواجهة

شهدت الساحة الأدبية في المغرب هذا العام سجلاً حول رواية الكاتب الراحل **محمد زفزاف محاولة عيش**، على أثر مقال نشرته إحدى الصحف المغربية، تدعو فيه إلى حذف هذه الرواية من المقرّر الدراسي، وكانت وزارة التربية الوطنية المغربية قد اعتمدت هذه الرواية قبل أعوام في المنهج التعليمي. وطرحت هذه الدعوة أكثر من سؤال حول توقيت هذا الموقف السلبي من رواية يعتبر صاحبها واحداً من أعلام الأدب المغربي.

فعلاً إلى رسم حال هذا الصراع عبر بطلها "مصطفى سعيد" وموقفه، هو ابن العالم الثالث، من الغرب المتقدم. وكان **صالح** أشدّ جرأة من الروائيين العرب الذين كتبوا في هذا الحقل قبله ومنهم **توفيق الحكيم** في **عصفور من الشرق** و**سهيل إدريس** في **الحَيّ اللاتيني**. فالبطل السوداني كان يدرك في الرواية أن الغرب لم يحمل إلى الشرق حضارته فقط بل الاستعمار أيضاً. أما حنينه إلى الشمال فبدأ فيه من الحقد والضغينة مقدار ما فيه من الحبّ والتسامح.

كان **الطيب صالح** هو الأبرز والأشهر عربياً بين أدباء السودان، وإن كان أدبه الروائي والقصصي بمثابة الجسر بين الداخل السوداني والخارج العربي والعالمي، فهو لم يدع يوماً انفصاله عن الأدب السوداني، ولا انقطاعه عن الهموم السودانية على اختلافها. وقد كتب **موسم الهجرة إلى الشمال** في لندن حيث كان يقيم بدءاً من العام 1953. وعندما نشرت هذه الرواية في بيروت العام 1966 كانت بمثابة الحدث الروائي الذي كان منتظراً، لكنه عوض أن يأتي من القاهرة أو بغداد أو بيروت جاء من السودان. استطاع **الطيب صالح** في هذه الرواية الفريدة أن يقدم مشروعاً روائياً جديداً يحمل الكثير من علامات التحديث، شكلاً وتقنية وأحداثاً وشخصيات، علاوة على القضية الإشكالية التي حملتها الرواية وهي الصراع بين الشرق والغرب أو بين الجنوب والشمال من خلال علاقة مأسوية بين مصطفى سعيد وزوجته البريطانية. ومنذ أن صدرت الرواية أصبح اسم هذا البطل "مصطفى سعيد" في شهرة بعض أبطال نجيب محفوظ، ولا سيما "أحمد عبد الجواد" في الثلاثية.

وإن بدت **موسم الهجرة إلى الشمال** ذروة أعمال **الطيب صالح**، وأكثرها شهرة ورواجاً،

مؤتمرات روائية عقدت في مدن خليجية ومنها مدينة أبها السعودية وعجمان في الإمارات والكويت وسواها طرحت أسئلة حول إمكانية إقامة تجمع للرواية الخليجية أو الروائيين الخليجيين، لا سيما إلى الانفصال عن الروابط التي تجمع بين الرواية الخليجية والرواية العربية وإنما ترسيخاً للنتاج الروائي الخليجي والخصائص التي يميّز بها. وقد لحظ هؤلاء الروائيون والنقاد أنّ أحاديث كثيرة تجري في الملتقيات والمهرجانات واللقاءات الثقافية الخليجية والعربية، حول مكانة الرواية العربية المكتوبة بأفلام خليجية، وتبعاً لذلك حول مكانة الروائي الخليجي بين أقرانه من الروائيين العرب، وجواز أن ينتظم الروائيون في منطقة الخليج أنفسهم في تجمع سردي، بقصد إيصال نتائجهم إلى الآخر، عربياً كان أم أجنبياً.

ورأى بعضهم أن الحديث عن رواية عربية خليجية، تحمل ملامح أو عوالم يبيّنها الخاصة، يشير إلى إمكانية الحديث عن رواية عربية مصرية، وأخرى سورية، ومغربية، وسودانية، وعراقية، ولبنانية، وجزائرية، وتونسية وغيرها. لكن الواقع الثقافي العربي يؤكد وجود رواية عربية واحدة تحت مظلة واسعة وملونة، تقدّم مادتها الإبداعية النابعة من بيئاتها. وبالتأكيد فإن من بينها رواية خليجية عربية، قدّمت عوالمها بخصوصية تلك العوالم، وظروفها الاجتماعية، المتشابهة إلى حدّ ما، مثلما قدّمت رواية أي بلد عربي عوالمها.

ولعل نظرة متأملّة في النتائج الروائي العربي، خلال العقد الأخير، توضح أن ثمة رواية عربية خليجية قائمة بذاتها وناطقة بلسان حال مجتمعاتها، تسلّط الضوء على الحراك الاجتماعي المحتدم هناك، وأن هذه الرواية، بات لها وجود ملحوظ في ساحة الرواية العربية،

وهاجمت الجريدة الرواية التي كتبها محمد زفزاف العام 1985، مبرّرة موقفها بكون بطل الرواية وهو شاب فقير يقطن في دور الصفيح، يقوم بأفعال لا أخلاقية ويتبنّى قيماً منحطة، وبكون الرواية تدافع عن الآثام البشرية.

لكنّ كتاباً كثيرين انبروا للدفاع عن الرواية مؤكّدين ضرورة تدريسها. وتباينت ردود أفعالهم، فمنهم من تناول القضية من زاوية تفترض ضرورة الاهتمام بالبعد الجمالي والدعوة إلى نقد العمل من زاوية الفن والاهتمام به ضمن السياق الأدبي فقط، من دون محاكمته عبر معايير أخلاقية، ومنهم من حاول الدفاع عن الرواية وبطلها محاولين دحض ادعاءات الموقف السلبي، مشيرين إلى كون البطل كان ضحية واقع هش ومرير، ما جعله يتبنّى أحياناً قيماً ملتبسة. لكنه في المحصلة، يقاوم هذه القيم ويتفلت منها.

والكاتب زفزاف هو من مواليد العام 1945 في قرية سوق الأربعاء- المغرب. امتهن التدريس الثانوي في الدار البيضاء، وانضمّ إلى اتحاد كتّاب المغرب العام 1968. وتوزّع نتاجه بين الكتابة الروائية والقصصية والشعرية والترجمة. أصدر زفزاف أعمالاً قصصية وروائية منها: حوار في ليل متأخر (قصص)، المرأة والوردة (رواية)، أرصفة وجدران (رواية)، بيوت واطئة (قصص)، قبور في الماء (رواية)، الأقوى (قصص)، الأفعى والبحر (رواية)، الشجرة المقدسة (قصص)، غجر في الغابة (قصص)، وأصدرت وزارة الثقافة المغربية أعماله الكاملة في الرباط العام 1999 في مجلدات. توفي زفزاف في العام 2001 عن 56 سنة.

تجمع للرواية الخليجية؟

ارتفعت خلال العام 2009 بضعة أصوات في

خلال العام 2009 ارتفعت أصوات في مؤتمرات روائية أقيمت في الإمارات والكويت والسعودية تدعو لإقامة تجمع للرواية الخليجية أو الروائيين الخليجيين، لا سيما إلى الانفصال عن الروابط التي تجمع بين الرواية الخليجية والرواية العربية وإنما ترسيخاً للنتاج الروائي الخليجي والخصائص التي يميّز بها..

يمكن القول إن العام 2009 كان عام عودة الروائية اللبنانية **ليلى بعلبكي** التي تنتمي إلى الجيل الروائي الرائد، ولاسيما الجيل النسائي، وتكمن أهمية عودتها في كونها غابت نحو ربع قرن هو عمر الحرب اللبنانية التي اندلعت في العام 1975 وكانت سبباً رئيسياً في اعتزال هذه الكاتبة الطليعية وانقطاعها عن المعترك الأدبي اللبناني والعربي الذي كانت وجهاً من وجوهه البارزة، خصوصاً في الستينيات والسبعينيات.

عادت **ليلى بعلبكي** إلى الواجهة بعدما أعادت دار الآداب اللبنانية إصدار أعمالها السردية الكاملة التي كانت رواية **أنا أحياء** ذروتها. وهذه الرواية التي صدرت في العام 1958 عن دار مجلة **شعر في بيروت** راجت ولقيت نجاحاً كبيراً في الأوساط النقدية وأضحت بمثابة حدث روائي في **بيروت** الستينيات وفي بعض العواصم العربية. ولم تلبث الرواية أن أصبحت أشبه بـ "الظاهرة"، وكان يكفي ذكر **أنا أحياء** حتى ترسم صورة بطلتها **لينا فياض** في أذهان الكثيرين، نقاداً وأدباء وقراء.

في الدورة الأخيرة لمعرض الكتاب في بيروت أطلت **ليلى بعلبكي** على قرائها اللبنانيين ووقّعت كتبها لهم، وأحاطها النقّاد والصحافيون بالكثير من المودّة والاحتراف لكنها رفضت أن تجري أي حوار.

في **موسوعة الكاتبة العربية** الصادرة عن **المجلس الأعلى للثقافة في مصر**، وفي الجزء الذي تناول الرواية النسائية اللبنانية، اختارت الناقدة **يمنى العيد** رواية **أنا أحياء** كأولى الروايات النسائية الحديثة واصفة إياها بأنها "شكّلت علامة بارزة على تطوّر الكتابة الروائية العربية في لبنان". وهذه "المرتبة" التي احتلتها **"أنا أحياء"** سابقاً ما زالت تحتلها

وأن أعمالاً روائية خليجية تقف جنباً إلى جنب، بالنظر إلى درجة إبداعها، إلى جانب أي رواية عربية أخرى، وربما هذا وحده يستحق أن يميزها، ولا ضرر في أن يقال عنها رواية عربية خليجية، بسبب انتمائها الجغرافي إلى منطقة الخليج العربي أولاً، وغوصها في قضايا أو هموم مجتمعاتها ثانياً، وكتابتها بأقلام أبناء المنطقة من جهة ثالثة.

ويرى هؤلاء أيضاً أن الدعوة إلى تجمّع سردي خليجي، وسط النتاج الكثيف ومنافسة الرواية العربية، ووسط عالم تحتله وسائل الإعلام، ربما تكون مسوغة في سعيها المشروع والمبرّر للإشارة إلى النتاج السردي الخليجي، من أجل الوصول إلى الآخر العربي، بالدرجة الأولى، كتاباً ونقاداً ومتقنين وقراء، ومن ثم لفت نظرهم إلى ذلك النتاج، بوصفه رواية محقّقة لشرطها الإبداعي، تأتي من البيئة الخليجية العربية.

وخلص هؤلاء إلى أن من الناقل القول إن أبناء الخليج هم الأقدر على أن يعبروا عن تاريخ بيئاتهم وطبيعتها وجمالها وهمومها ومنعطفاتها من خلال الجنس الروائي. ويبدو منسجماً مع ذلك تأكيد حقهم في أن يكون لهم تجمع سردي ثقافي ينطق باسمهم، ويكون رافداً إبداعياً من روافد الرواية العربية، لا يخرج عن مظلتها الواسعة، بل يأخذ مكانه الصحيح إلى جانب الكتابات الروائية العربية الأخرى، مشرعاً صدره للتواصل والحوار مع الآخر، وواضعاً نصب عينيه أن الكاتب الخليجي إذا أراد لأعماله أن تصل إلى الآخر، فإن الإبداع وحده هو الشرط الأساسي القادر على حملها بقوة إلى ذلك الآخر، أينما كان مكانه، وأياً كان موقفه من البيئة الخليجية وأهلها.

استعادة ليلى بعلبكي

بالإمكان القول إن العام 2009 كان عام عودة الروائية اللبنانية الراحدة ليلى بعلبكي، تلك التي تنتمي إلى جيل الروائية النسائية الحديثة والرائدة عربياً، وتكمن أهمية عودتها في كونها غابت ربع قرن هو عمر الحرب اللبنانية التي اندلعت في العام 1975 وكانت سبباً رئيساً في اعتزالها، هي التي تعتبر بحق نجمة من نجوم الكاتبات العربيات الاستثنائيات في القرن الفائت..

الأولى لرحيله، ولم يكن الشاعر قد وضع لمساته الأخيرة عليه، بل لعله لم يكن يشاء نشره ما دام لم يكتمل وما دامت بضع قصائد منه غير منجزة. والسجل الذي أثير كان سببه الأخطاء التي اعترت الديوان، وهي عروضية ولغوية وطباعية، واتخذ هذا السجل حجماً لم يعرفه سجل آخر.

إلا أن القاهرة شهدت سجلاً شعرياً حاداً أيضاً تمثل في إقامة مهرجانين للشعر كانا على تنافس واضح، الأول أقامه المجلس الأعلى للثقافة وعلى رأسه الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي وكان عنوانه "المشهد الشعري الآن" والثاني أحياه شعراء مصريون وعرب شباب تحت عنوان "الملتقى الأول لقصيدة النثر". وكان على السجل بين المهرجانين أن يتخذ طابع الصراع بين تيارين، الأول يتبنى قصيدة التفعيلة ويدافع عنها رافضاً قصيدة النثر والثاني يجعل من قصيدة النثر قضية شعرية يلتزم بها الشعراء الشباب.

أما دمشق فشهدت بدورها سجلاً سرعان ما اتخذ طابعاً عربياً وقد دار حول الشاعر محمد الماغوط بعدما تم نشر أعمال له مجهولة كتبها في مطلع شبابه ونشرها في صحافة الحزب السوري القومي الاجتماعي. والسجل هذا اتخذ مواصفات سياسية، فبعض الكتاب أصرّ على انتماء الماغوط القومي وبعضهم نفى عنه هذا الانتماء معتبراً أنه كان من حماسة الصبا. وأخذ نقاد كثيرون على ناشري هذه النصوص سلبية هذه البادرة، فلو شاء الشاعر الراحل أن ينشرها لنشرها هو بنفسه خلال حياته. أما السؤال الذي ظل مطروحاً أو معلقاً فهو: هل يجوز نشر نصوص وقصائد لشاعر راحل كان رفض نشرها أو تجاهلها خلال حياته؟ وشهد المشهد الشعري العربي أحداثاً لافتة

تاريخياً، فهي الرواية الأولى "الفضائية" في المعنى الوجودي العميق التي تعلن تمرداً أولاً على الإرث الروائي اللبناني جاعلة مدينة بيروت إطاراً مكانياً و"العصر" الحديث إطاراً زمنياً. وأعلنت ثانياً تمرداً على الفن الروائي الكلاسيكي أو التقليدي وعلى مفهوم الشخصية الإيجابية وعلى النظام البنائي مانحة "الأنا" الرواية الفرصة لتتداعى بحرية وتوتر وتصبح المحور الرئيس الذي تدور حوله "الأحداث" وتتطرق منه.

ولعل المستغرب هو أن هذه الكاتبة التي أطلت بقوة، ظلت أسيرة هذه الرواية الفريدة واختتمت مسارها الروائي في العام 1960 عندما أصدرت روايتها الثانية **الإلهة الممسوخة** ولم تحظَ بما حظيت به "أنا أحيا" من فرادة ونجاح. لكنها، هي التي لم تتوار لحظة عن المعترك الروائي، ما لبثت أن اختطف الأضواء في العام 1964 عندما منعت وزارة الإعلام مجموعتها القصصية **سفينة حنان إلى القمر**، وكانت القصة التي تحمل المجموعة عنوانها، هي الحافز على المنع نظراً إلى احتوائها مقطوعاً أو جملة وصفت بـ "الإباحية". وحوكت **ليلى بعلبكي** وأوقفت ثم تراجعت المحكمة عن قرار المنع مبرئة الكاتبة والقصة أيضاً. واليوم تبدو تلك الجملة الإباحية خفيفة جداً نظراً إلى النزعة الإيروسية التي تجتاح الأدب الراهن، شعراً ورواية.

المشهد الشعري

لم يكن المشهد الشعري العربي خلال العام 2009 أقلّ صخباً من المشهد الروائي بل إن السجل الذي ساد لم يشهده في السابق، ولاسيما السجل الذي دار في بيروت ورام الله حول ديوان **محمود درويش لا أريد لهذا القصيدة أن تنتهي** وقد صدر في الذكرى

عرف المشهد الشعري العربي في العام 2009 صخباً كبيراً، من تجلياته السجل الذي دار في بيروت ورام الله حول ديوان محمود درويش "لا أريد لهذا القصيدة أن تنتهي"، وقد صدر في الذكرى الأولى لرحيله، ولم يكن الشاعر قد وضع لمساته الأخيرة عليه، بل لعله لم يكن يشاء نشره ما دام لم يكتمل وما دامت بضع قصائد فيه غير منجزة..

شهدت القاهرة في العام 2009 سجلاً شعرياً حاداً أيضاً تمثل في إقامة مهرجانين للشعر كانا على تنافس واضح .. الأول أقامه المجلس الأعلى للثقافة وعلى رأسه الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي وكان عنوانه "المشهد الشعري الآن" .. والثاني أحياه شعراء مصريون وعرب شباب تحت عنوان "الملتقى الأول لقصيدة النثر" .. وكان على السجل بين المهرجانين أن يتخذ طابع الصراع بين تيارين أدبيين..

إذا قورن بمفهوم **محمود درويش** للديوان، ولأسيما في الأعوام الأخيرة عندما كان الشاعر ينصرف إلى بناء ديوانه أو تشييده، لغةً ومناخاً ورؤية، حتى ليمسي أشبه بالمعمار الذي لا يمكن المسّاس به. يبدو الديوان ناقصاً إذا تمّ وصفه وفق المييار "الدرويشي"، أو انطلاقاً من نظرة الشاعر إلى الديوان، ديوان "مركب" من قصائد كانت مبعثرة في الأدراج وبين الأوراق، وكان الشاعر، على ما بدا، يؤجل النظر فيها، مرّة تلو الأخرى، مع أنه لم يكن يخفي حبه لبعضها. ولعلّه كان يحس أن هذه القصائد كتبت كي لا تجمع في ديوان، أو لتبقى مبعثرة في الذاكرة وعلى الورق بخطّ يده. بل لعله كان يحس أن هذه القصائد كتبت لتلا تتنهي، أي لتظل قصائد مفتوحة على المصادفة التي هي قدرها المجهول.

لم يتخيّل **محمود درويش** قصائده هذه، التي كتبها في فترات وظروف وأحوال شديدة الاختلاف، تجتمع في ديوان لم يمرّ عليه قلمه، حاذفاً بضع مفردات هنا، أو يضيف مفردات هناك، ديوان لم يلق على صفحاته نظرة أخيرة، ثاقبة، تتمّ عن مراسه الصعب في "ترويض" القصيدة وبلورة اللغة. لكن الديوان صدر حاملاً اسمه وصفه "الديوان الأخير". وبدأت الصفة هذه على تناقض مع جوّ القصائد التي ضمّها الديوان، وبعضها بديع ويستحق النشر. وكان العنوان كافياً ليدلّ على عدم اكتمال الشعر هنا، أو المشروع الشعريّ الذي لم يرد الشاعر أن ينهيهِ ويفلق نوافذه التي تطلّ على اللانهائي. ومن يقرأ القصيدة التي حمل الديوان عنوانها يدرك أن الشاعر لم يكن البتّة أمام ديوانه الأخير، ولا أمام نهاية مشروعه الشعريّ الفريد. وهذا سرّ **محمود درويش** الذي كلما أحسّ أن النهاية تتهدّده شرع في بداية جديدة. فهو

خلال هذا العام، ومنها فوز الشاعر المغربي **عبد اللطيف اللعبي** الذي يكتب بالفرنسيّة بجائزة **غونكور** الشعرية الفرنسية الراقية، وبدأ الحدث هذا عربياً لأنّ **اللّعبي** حاضر في الشعر العربي حضوره في الشعر الفرنكوفوني، ثمّ لأنّه في شعره هذا لم يكتب إلا عن الذات المغربيّة التي تملأ كيانه. ومن ناحية أخرى عاد إلى الواجهة هذه السنة الشاعر **توفيق صايغ** السوري الأصل، الفلسطيني المولد واللبناني الهوية من خلال كتاب شامل وضعه عنه الشاعر والناقد العراقي **سامي مهدي**.

وجاء الاحتفال التونسي والمغربي والعربي بالذكرى المائة لولادة الشاعر **أبو القاسم الشابي**، وكانت هذه الذكرى فرصة ملائمة لاستعادة عصر النهضة الشعرية التي كان **الشابي** أحد أعلامها الكبار على الرغم من رحيله المبكر.

محمود درويش ما بعد رحيله

في العام 2009 حلّت الذكرى الأولى لرحيل الشاعر الفلسطيني **محمود درويش**، وهذه الذكرى كانت فرصة ملائمة لإصدار ديوانه الأخير **لا أريد لهذا القصيدة أن تنتهي**. لكن الديوان سرعان ما أحدث سجلاً كبيراً في العالم العربي لم تنته فصوله. فالطبعة التي صدرت حفلت بأخطاء لغوية وعروضية وطباعية كثيرة، ممّا أثار حفيظة أصدقاء الشاعر والنقاد والقراء على السواء. وكتبت في هذا الصدد مقالات كثيرة في الصحف والمجلات سعت إلى تصحيح الأخطاء ونقد القائمين على إصدار الديوان وجامعي قصائده.

فهذا الديوان الذي لا يحمل صفة "الديوان الأخير" ليس بـ "الأخير"، وإن كان صدر بعيد رحيل شاعره. وقد لا يكون أصلاً ديواناً

شهدت دمشق في العام 2009 سجلاً سرعان ما اتّخذ طابعاً عربياً، دار حول الشاعر محمد الماغوط بعدما تمّ نشر أعمال له مجهولة كتبها في مطلع شبابه، ونشرها في صحافة الحزب السوري القومي الاجتماعي.. وهذا السجل اتّخذ موصفات سياسية، حين أصرّ بعض الكتّاب على الانتماء القومي للماغوط وبعضهم نفى عنه هذا الانتماء معتبراً أنه كان من حماسة الصبا ليس إلا..

من الأحداث الشعريّة اللافتة في العام 2009 فوز الشاعر المغربي الذي يكتب بالفرنسية **عبد اللطيف اللعبي** بجائزة **غونكور** الشعرية الفرنسية، وبدأ هذا الحدث عربياً لأنّ **اللّعبي** حاضر في الشعر العربي حضوره في الشعر الفرنكوفوني، ثمّ لأنّه في شعره هذا لم يكتب إلا عن الذات المغربيّة التي تملأ كيانه..

حتى صدر العدد الأخير من غير أن يحرّر الشاعر موادّه ويشرف على طباعتها. وهذا العمل كان يرهقه كما عبّر أكثر من مرّة، ولاسيّما بعدما شهدت المجلّة أقسى أزماتها المادية. وقبل عام من رحيله سعى درويش إلى تدبير تمويل لها لكنه لم يرضَ عن أي عرض قدّم له، فهو رفض أي وصاية على المجلة ولو من بعيد. فهذه المجلة كانت المشروع الرديف في حياته، أي المشروع الذي يقابل مشروعه الشعري الكبير. وكما كان يزعجه أن تُقارن **الكرمل** بأيّ مجلة فلسطينية أخرى نظراً لحماسته الشديدة لقصبتها وللموقع الذي ارتسمه لها والهويّة التي أسبغها عليها. لكن المجلّة، مثلما كانت مجلة **محمود درويش** كانت أيضاً مجلة أصدقائه الذين عاونوه في إصدارها، سواء كانوا من مدراء تحريرها أم من مراسليها أو كتابها الدائمين.

القاهرة بين قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر

شهدت القاهرة في العام 2009 مهرجانين للشعر في وقت واحد، الأول ينظّمه **المجلس الأعلى للثقافة** وعلى رأسه الشاعر **أحمد عبدالمعطي حجازي**، والثاني أقامه شعراء شباب ارتأوا أن يسمّوه "الملتقى الأول لقصيدة النثر"... هذا التسابق على تنظيم مهرجانين كان دليلاً على "عافية" الشعر ورواجه. لكنّ الجوّ الذي خيم عليهما لم يكن إيجابياً تماماً. فالمهرجان الأول الذي ادّعى أنه يعقد تحت عنوان عريض هو "المشهد الشعري الآن" استبعد معظم الأصوات الشعرية الشابة في **مصر** والعالم العربيّ، ولاسيّما شعراء قصيدة النثر التي كان وصفها **حجازي** بـ "القصيدة الخرساء" في كتاب له سابق. بدا المهرجان هذا ذا طابع رسميّ وقد مؤلّته وزارة الثقافة

شاعر البدايات الدائمة، البدايات التي تعقبها بدايات ولو اكتسبت طابع المغامرة الجريئة أو الخطرة في أحيان.

لكن نشر هذه القصائد المتناثرة والمبعثرة لم يسئ إليها على الرغم من الهنّات التي اعترت الديوان، بل هو أتاح لجمهور الشاعر أن يستعيد قصائد كان قرأها سابقاً أو سمع عنها أو يجهلها تماماً. وكان لا بدّ لهذه القصائد من أن تصدر، فلا تظلّ رهينة الأدراج على الرغم من الصيغة المضطربة التي ظهرت فيها. وبعض هذه القصائد من أجمل وأعمق ما كتب الشاعر، وفيها يبلغ القمم التي ارتادها سابقاً. والديوان كان جمع قصائده الروائي **إلياس خوري** وكتب نصّاً طويلاً أرقق بالديوان سرد فيه قصّة العثور على القصائد. أما الدار الناشرة فهي **دار رياض الريس للنشر**. إلا أن السجل ما لبث أن تحوّل إلى خلاف قانوني تدخل فيه محامون وتمّ البحث لاحقاً عن صيغة تضمن حقّ **محمود درويش** كشاعر وحقّ الناشر في وقت واحد.

أما **فلسطين** التي شهدت أيضاً جزءاً من السجل حول ديوان **محمود درويش** فأبّت إلا أن تحيي الذكرى الأولى لرحيله عبر إصدار عدد أخير من مجلة **الكرمل** ليكون بمثابة وداع له وللمجلّة التي كان يرأس التحرير فيها والتي كان يصرّ على عدم إعلان توقّفها النهائي على الرغم من احتجاجها منذ العام 2006. صدر العدد الأخير حاملاً الرقم 90 الذي طالما منّى الشاعر نفسه بأن يكون الأخير ليعلن من خلاله توقف المجلة نهائياً.

وكان **محمود درويش**، كلّما سئل عن موعد إعلان توقف **الكرمل**، يتحاشى الجواب قائلاً إن المجلة لم تحتجب عن الصدور. وأصرّ على عدم إعلان توقفها وكأنه يدرك أن العدد 90 سيصدر أياً تكن صيغته. ولم تمضِ أعوام ثلاثة

سرّ محمود درويش قائم في أنه كلّما أحسّ أن النهاية تتهدّد، شرع في بداية جديدة.. إنه شاعر البدايات الدائمة إذا، البدايات التي تظلّ تعقبها بدايات حتى ولو اكتسبت طابع المغامرة الجريئة أو الخطرة.. في أحيان شتى..

منذ الجلسة الأولى لملتقى القاهرة للشعر العربي تجلّى حضور قصيدة النثر نقدياً.. فالناقد عبد المنعم تليمة قال في جلسة الافتتاح إن هذه القصيدة تنصدر المشهد الشعري الراهن في مصر، وذلك بعدما نجحت في استيعاب البلاغة الموروثة وتجاوزتها..

واحتل فيه **حجازي** موقع القرار.

أما المهرجان الثاني، "مهرجان قصيدة النثر"، فبدا هامشياً ولم ينل أي دعم مالي من أي جهة، ما عدا "نقابة الصحفيين" التي قدمت له المكان. لكن الشعراء الشباب أصروا على عقده بما توافر لهم، سعيًا منهم إلى إظهار المشهد الراهن للشعر المصري والعربي الذي تريخ عليه قصيدة النثر. ولئن بدا هذا المهرجان رداً على مهرجان **حجازي** الرسمي، فهو كان شبابياً، ليس لأن قصيدة النثر هي نجمته، بل لأنه أقرب إلى الراهن الشعري ويحمل أسئلة الشعر الراهن في **مصر** والعالم العربي.

أما أبرز ما أسفر عنه تزامن الملتقيين هذين في **القاهرة**، فهو فتح باب السجال على صراع أجيال عدة على صدارة المشهد الشعري المصري، وبدا من خلاله تجاور الأجيال شبه مستحيل. فأيام "ملتقى القاهرة الدولي الثاني للشعر العربي" الذي نظمته **المجلس الأعلى للثقافة**، وأضفى عليه طابعاً رسمياً، خلت تقريباً من شعراء وباحثين تقل أعمارهم عن الخمسين عاماً، وذلك على عكس ما ساد "الملتقى الأول لقصيدة النثر" الذي نظمته مجموعة من شعراء جيل الثمانينيات وشارك فيه أكثر من خمسين شاعراً من **مصر** ودول عربية عدة. وعلاوة على صراع الجيلين أو الأجيال "حضرت ثنائية قصيدة التفعيلة" التي هيمنت على ملتقى **المجلس الأعلى** عبر أسماء معظمها ينتمي إلى جيل الستينيات، وعبر منح رائدها الشاعر **أحمد عبد المعطي حجازي** جائزة الملتقى، في مقابل قصيدة النثر التي لم يكن هناك سواها في ملتقى نقابة الصحفيين.

وشهد الملتقيان ما يشبه حرب بيانات، وبدا خطاب "ملتقى قصيدة النثر" منطقياً لجهة التعبير عن الطموح إلى التغيير وتجاوز

الماضي، ومتسقاً مع الآمال المطروحة في مختلف المنتديات، خصوصاً على المستوى السياسي، فضلاً عن نجاح الملتقى نفسه تنظيمياً في شكل فاق توقعات منظميه. وقد أثار فوز **حجازي** بجائزة الملتقى الذي يديره هو ردود فعل سلبية، ولاسيما في أوساط الشباب.

وتلقى منظمو "ملتقى قصيدة النثر" ما اعتبروه الإشارة الأولى على نجاحهم المبدئي من الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في تلك السنة **علي أبو شادي** في الجلسة الافتتاحية لـ "ملتقى القاهرة" الذي عقد تحت شعار "المشهد الشعري الآن"، إذ قال: "إن ملتقى قصيدة النثر إثراء لملتقى القاهرة ومكسب للشعر وللشعراء عموماً". وأضاف: "نؤمن بالتنوع ولا نملك ترف استبعاد فصيل شعري"، مشيراً إلى أن **المجلس الأعلى للثقافة** يسعى لأن يكون ملكاً لكل المثقفين، وأن يكون للشعر بمختلف تياراته. وبدت مشاركة الشاعر العراقي الكردي الكبير **شيركو بيكه** سه، في الأمسية الشعرية الختامية لملتقى قصيدة النثر مفاجأة جميلة، لأنه أساساً من ضيوف **ملتقى المجلس الأعلى للثقافة**، وقرأ قصائد له باللغتين الكردية والعربية وخاطب منظمي الملتقى قائلاً: "يا شباب التجديد نحن بالاختلاف نتجدد، والإبداع لا علاقة له بالزمن أو بالعمر.

إلا أن **أحمد عبد المعطي** كان أعلن في افتتاح **ملتقى القاهرة** إن جوهر الشعر واحد مهما تعددت الصور والأشكال والأساليب. ورأى أن الشعر "موجود في كل زمان ومكان باعتباره حاجة إنسانية تطلب الارتواء".

وحضرت قصيدة النثر بقوة في "ملتقى القاهرة للشعر العربي"، على الأقل نقدياً، على الرغم من اتهام منظميها، وعلى رأسهم مقرر

نظم المجلس الأعلى للثقافة مهرجان "المشهد الشعري الآن" وعلى رأسه الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي الذي استبعد معظم الأصوات الشعرية الشابة في مصر والعالم العربي، ولا سيما شعراء قصيدة النثر التي كان وصفها حجازي بـ "القصيدة الخرساء". وبدا المهرجان المذكور هذا ذا طابع رسمي وقد مؤلته وزارة الثقافة واحتل فيه الشاعر حجازي موقع القرار..

الانتماء لم يكن عقائدياً ولا فكرياً... فذلك الفتى الفقير ابن السادسة عشرة، وجد في مركز الحزب المجاور لمنزله الدفء الذي كان محروماً منه والذي كانت توفره الصوبيا هناك، فلجأ إليه هرباً من البرد القارس. أما إنكاره قراءة كتب الزعيم أنطون سعادة، فيمكن تصديقه وعدم تصديقه في آن واحد. فالقصائد والمقالات التي كتبها منذ العام 1950 في صحف عدّة ومنها "البناء" صحيفة الحزب القومي، لم تحمل أثراً من فكر أنطون سعادة ولا من الفكر القومي بعامة.

الكلام على "قومية" محمد الماغوط أعاد إحياءه الباحث اللبناني جان دايه في كتابه "محمد الماغوط وصوبيا الحزب القومي" الذي صدر في العام 2009 وسرعان ما أثار سجلاً سياسياً شارك فيه شعراء وكتاب ينتمون إلى تيارات مختلفة. كان من المقدر أن تتطوي حكاية شاعر "حزن في ضوء القمر" عن "صوبيا" الحزب مع رحيله وتصبح من حكايات الماضي، لكن جان دايه شاء أن يعيده إلى صفوف الحزب الذي انتمى إليه في شبابه. وفعلًا نجح في إعادته إلى الحزب مستعيداً صورة محمد الماغوط القومي الذي كان في مقتبل حياته الشعرية والصحافية. وقد جمع دايه ما توافر له من مقالات الماغوط وقصائده التي نشرها في الصحف بدءاً من العام 1958، وفي مقدمتها جريدة البناء أحد أبرز منابر القوميين السوريين.

كان محمد الماغوط في السادسة عشرة عندما التحق بالحزب القومي. لكن ما يدفع إلى الاستغراب أن هذا الانتماء لم يترك فيه أثراً كبيراً. والشاهد الأول على هذا الأمر ديوانه الأول **حزن في ضوء القمر**، الذي بدا خالياً من أي أثر قومي، سواء في الموقف أم في الرؤيا والمضمون. ويمكن القول إن شعر الماغوط في

لجنة الشعر في المجلس الأعلى للثقافة الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي، بتجاهل شعرائها مع أنها، كما قال الناقد عبد المنعم تليمة، في افتتاح الملتقى، تنصدر المشهد الشعري الراهن بعدما نجحت في استيعاب البلاغة الموروثة وتجاوزها في غير نهاية.

ومنذ الجلسة الأولى لملتقى القاهرة للشعر العربي تجلّى حضور قصيدة النثر نقدياً وقد قدّم الشاعر حلمي سالم مداخلة بعنوان "دفاعاً عن قصيدة النثر". وقدّم الناقد محمد بريري بحثاً بعنوان "قصيدة النثر: حتمية ثقافية أم اختيار جمالي؟"

وكانت أوساط شعرية في القاهرة احتفت بذكرى مرور خمسين عاماً على صدور ديوان الشاعر حجازي **مدينة بلا قلب**، وأعاد بعض النقاد قراءته في ضوء التحوّلات التي طرأت في هذه الحقبة التي تمثّل نصف قرن. وكان هذا الديوان صدر في العام 1959 في أوج صعود التيار القومي العروبي. وقد صدر الديوان هذا مرفقاً بمقدمة طويلة وضعها الناقد رجاء النقاش.

بدايات محمد الماغوط

شهدت دمشق وبيروت هذا العام أيضاً سجلاً شعرياً آخر له طابع سياسي وكان محوره الشاعر السوري محمد الماغوط. ومعروف أن الماغوط لم يكن يكفّ عن ترديد حكاية "صوبيا" (المدفأة) الحزب السوري القومي، حتى أضحت هذه الحكاية من مآثوراته الطريفة. ولعلّ إصراره على سردها مرّة تلو أخرى لم يعن البتة إنكاره ماضيه القومي ولا التكرّر لانضوائه في صفوف الحزب، بل كان يسعى عبر هذه الحكاية، إلى القول إن التحاقه بهذا الحزب لم يكن إلا مصادفة، ولم تكن "الصوبيا" (المدفأة) في مركز الحزب في قريته السلمية إلا ذريعة للقول إن هذا

لعلّ المقالات والقصائد التي كان كتبها الماغوط في مرحلة نهاية المراهقة ومطلع الشباب ونشرها في الصحف القومية ضعيفة جداً وهزيلة حتى في سخريتها وغير جديرة بالخروج من عتبة الإدراج لتصدر في كتاب ما كان الشاعر ليرضى عن إصداره لو كان على قيد الحياة. لكن هذا هو قدر الأدباء الكبار الذين ما إن يرحلوا حتى تمتد الأيدي إلى أوراقهم الأولى التي لم يكونوا راغبين بإخراجها إلى الضوء...

غونكور للشعر، وهي من أرقى الجوائز الشعرية في فرنسا والعالم الفرنكوفوني. ولئن كان اللّبي يكتب بالفرنسية، فإنّ الجائزة هي تتويج لشاعر عربي لم يغب عنه يوماً انتماءه إلى المغرب العربي.

وكان من المفترض أن يُكرّم الشاعر عبد اللطيف اللّبي في وطنه الأم المغرب، الذي لم يفارقه يوماً حتى في أقصى أيام منفاه الفرنسي، لكنّ فرنسا كانت سبّاقة إلى تكريمه عبر منحه هذه الجائزة التي لم تكرسه شاعراً مغربياً يكتب بالفرنسية فقط، بل كرّسته شاعراً عربياً حمل إلى اللغة الفرنسية سمات اللغة الأولى والمكان الأول. فشعره كان ولا يزال نقطة التقاء بين عالمين أو ثقافتين أو لغتين، ينتمي إليهما انتماء النهر إلى ضفتيه.

بدا فوز عبد اللطيف اللّبي بجائزة غونكور للشعر العام 2009، مكافأة لأعماله الشعرية ولسيرته التي غالباً ما كانت أحد منابع إلهامه، وللأعوام السود التي قضاها في السجن من العام 1972 حتى 1980. هناك، في سجن القنيطرة المغربي الشهير حمل الشاعر الأسير الرقم 18611 وبات يُعرف به حتى في الخارج، في المقالات التي كتبها رفاهه، شعراء وكتّاباً، مدافعين عنه وداعين إلى إخراجه. وعندما خرج من سجنه العام 1980 وجد نفسه غريباً في وطنه ولم يستطع أن يواصل العيش فيه. ولم تمضِ أعوام قليلة حتى اختار المنفى الفرنسي. لكنه لم يصبح فرنسياً البتّة، بل ظلّ مغربياً، بروحه وكيانه... وهذا ما وسم أصلاً طبيعة عمله الشعري والسردى، في اللغة كما في القضايا أو الهموم التي حفلت بها قصائده ونصوصه السردية والمسرحية.

الشعر العربي مفتحاً على العالم

كان من المفاجئ أن تنظم إمارة دبي

هذا الديوان ذو بعد "إنساني" شامل يناقض الدعوة القومية، وغدا الشاعر فيه شخصاً صعلوكاً بوهيمياً، يرود الشوارع والأرصفة، جائعاً ومقهوراً، معترضاً وساخراً ومارقاً... إنها الصورة "المضادة" للشاعر القومي، المناضل والمتقف وصاحب الأخلاق الحميدة، المرتبط بترائه في ما يضمّ من حكم وأساطير. وتجلّى خروج الماغوط عن "المثال" القومي في السجل الذي قام بينه وبين شاعر كان أنموذجاً للشاعر القومي هو خليل حاوي، وقد خلع صاحب نهر الرماد عن الماغوط رفيقه، صفة الشاعر، وعن شعره صفة الشعر، ناعماً قصائده بـ "المنثورات". أما الماغوط فلم ينثن عن نقد فكر حاوي القومي ونزعته الحضارية، داعياً إياه إلى الخروج إلى الحياة الحقيقية، حياة الناس والأرصفة والآلام اليومية.

ولعلّ المقالات والقصائد التي كان كتبها الماغوط في مرحلة نهاية المراهقة ومطلع الشباب ونشرها في الصحف القومية ضعيفة جداً وهزيلة حتى في سخريتها وغير جديرة بالخروج من عتمة الإدراج لتصدر في كتاب ما كان محمد الماغوط ليرضى عن إصداره لو كان على قيد الحياة. لكن هذا القدر هو قدر الأدباء جميعاً الذين ما إن يرحلوا حتى تمتد الأيدي إلى أوراقهم الأولى التي لم يكونوا راغبين بإخراجها إلى الضوء. فتصدر في كتب. وهنا يطرح سؤال أساسي لا جواب شافياً له: هل يجوز بعد وفاة الكاتب نشر نصوص له كان يرفض نشرها خلال حياته؟

الشاعر اللّبي يفوز بجائزة غونكور

بعيداً عن السجلات الشعرية التي شهدها العام 2009 برز حدث مهمّ على المستوى الشعري تمثّل في فوز الشاعر المغربي عبد اللطيف اللّبي الذي يكتب بالفرنسية بجائزة

عندما باشر بيت الشعر في دبي في الإعلان عن مهرجان شعري عربي وعالمي في وقت واحد تحت عنوان: "مهرجان دبي العالمي للشعر" طرح سؤال أساسي: هل سيتمكن هذا المهرجان من منافسة المهرجانات الشعرية العالمية الأخرى مثل مهرجان ميديين في كولومبيا الأضخم عالمياً، أو مهرجان روتردام في هولندا الذي يسعى كل سنة إلى رسم صورة بانورامية للشعر في العالم..

من أجل إحياء حال من التفاعل بين الشعراء وإقامة حوار شعري اعتماداً على فريق من المترجمين يتقنون اللغات الآسيوية، عطفاً على اللغات الأوروبية.

ولئن كان الشاعر النيجيري **وولي سوينكا** هو الأشهر بين الشعراء العالميين المشاركين في المهرجان، فإن أسماء كبيرة أخرى تعرّف إليها الجمهور الإماراتي والعربي ومنها مثلاً، الألماني **يواخيم سارتوريوس** والجنوب أفريقي **برايتن برايتنباخ** والصيني **يانغ ثيان** والإيطالية **إليسا بياجيين** وسواهم. هؤلاء قرأوا بلغاتهم الأم ترافقهم الترجمات العربية لقصائدهم. أما الشعراء العرب فهم من الأسماء التي تنتمي إلى مدارس وأجيال مختلفة حتى يمكن القول إن الصورة الشعرية العربية التي رسمها المهرجان مثلت مختصراً للمشهد الشعري العربي الراهن. ولم يغب **محمود درويش** عن **مهرجان دبي**، فهو حضر عبر أمسية شعرية وغنائية تخللتها شهادات من شعراء عرفوه عن كثب.

ولم ينسَ المهرجان الذكرى المئوية الأولى لرحيل الشاعر **أبو القاسم الشابي** التي احتفت بها **تونس** خلال العام 2009، فأفرد له أمسية قرئت خلالها مختارات من أشعاره إضافة إلى شهادات فيه. وخصّ المهرجان الشاعر **عمر الخيام** بأمسية عنوانها "ليلة الخيام".

العودة إلى توفيق صايغ

عاد الشاعر **توفيق صايغ**، المتعدد الجنسية (سوري، فلسطيني، لبناني) إلى الواجهة خلال العام 2009 عبر الكتاب السجالي الذي وضعه عنه الشاعر العراقي **سامي مهدي** وعنوانه: **تجربة توفيق صايغ الشعرية (دار رياض الرئيس)**. ومنذ صدور الكتاب انقسم النقاد حوله، بين مؤيد وناقد أو رافض له.

خلال العام 2009 أضخم مهرجان شعري عربي وعالمي في وقت واحد. وعندما **باشر بيت الشعر في دبي** في الإعلان عن المهرجان طرح سؤال أساسي: هل سيتمكن **مهرجان دبي العالمي للشعر** من منافسة المهرجانات العالمية الأخرى مثل **مهرجان ميديين** في **كولومبيا** وهو يُعدّ الأضخم عالمياً، أو **مهرجان روتردام** في **هولندا** الذي يسعى كل سنة إلى رسم صورة بانورامية للشعر في العالم؟ غير أن هذا المهرجان الأضخم عربياً يستحق أن يكون في مصاف المهرجانات العالمية، فهو في دورته الأولى استطاع أن يجمع أكثر من مئة شاعر من نحو خمس وأربعين دولة، ناهيك بالشعراء الإماراتيين. في طليعة هؤلاء الشعراء أسماء كبيرة وأخرى تمثل الأصوات الجديدة التي تحتل موقع الصدارة في المشهد الشعري في بلدانها. وما ميّز **مهرجان دبي** جمعه بين أجيال مختلفة وقارات وإثنيات تلاقت كلها تحت شعار "ألف شاعر... لغة واحدة"، والمقصود بهذه اللغة هو الشعر القادر فعلاً على توحيد الشعوب ولو عبر القصائد الطالعة من عمق المخيلة والروح.

واللافت أن القائمين على المهرجان عمدوا إلى توزيع الأمسيات واللقاءات على أماكن تحفل عادة بالناس، كالأسواق والمجمعات التجارية والجامعات وأندية الجاليات، ساعين إلى مخاطبة هؤلاء الناس في أماكنهم أو "مطارحهم". وارتأى القائمون على المهرجان أيضاً أن يحيوا **سوق عكاظ** جديداً في مراكز عامة يرتادها الناس عادة، وهناك قامت فرق مسرحية بتقديم عروض مسرحية تسرد فيها قصصاً ووقائع من تاريخ الشعر والشعراء. واللافت أيضاً أن المهرجان نجح في خلق حال من التوازن بين الشعر العربي والشعر العالمي، وقد ضُمَّت الأمسيات أسماء مختلطة

عاد الشاعر توفيق صايغ إلى الواجهة خلال العام 2009 عبر الكتاب السجالي الذي وضعه عنه الشاعر العراقي سامي مهدي وعنوانه: تجربة توفيق صايغ الشعرية. ومنذ صدور الكتاب انقسم النقاد حوله بين مؤيد وناقد أو رافض. .

الدواوين الثلاثة، التي ضمّنها الديوان الذي جمع بعد وفاته تحت عنوان **صلاة جماعة ثم فرد** كأنها ديوان واحد يتوزّع على مراحل زمنية أو شخصيّة بالأحرى. فهذا الشعر شخصي وذاتي، حتى وإن بدا أنه يخفي ثقافة شعرية راقية وخبرة نقدية متميّزة.

الشعر العربي الإلكتروني

دخل الشعر العربي القديم والمعاصر العصر الإلكتروني وباتت الإصدارات الإلكترونية لموسوعات الشعر العربي تتوالى في مدينة وأخرى وهي تضمّ مختارات من هذا الشعر على مرّ عصوره وثبتاً لمراجعته وسيراً لشعرائه. وقد شهد العام 2009 صدور موسوعتين شعريتين إلكترونيتين (سي. دي) وهما تحتويان على أعداد كبيرة من الدواوين والسير. الأولى أصدرتها **مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم في دبي بعنوان موسوعة الشعر العربي**، وفيها أكثر من ثلاثة ملايين وخمسمئة ألف بيت شعر، لأكثر من ثلاثة آلاف شاعر، تمّ اختيارهم وفقاً لعام الوفاة الذي لم يتعدّ العام 1952.

تخبئ هذه الأسطوانة الصغيرة كمية وفيرة من الشعر الموزون المقفى أو القصيد، الموزع إما في دواوين الشعراء أنفسهم، أو في الكتب التي يقارب عددها الستمئة كتاب، أو في المعاجم الأربعة (الصحاح، تاج العروس، **جمهرة اللغة، لسان العرب**)، التي تغطي مدّة زمنية تقارب عشرة قرون، وتستشهد بالقصيد والرجز والقرآن الكريم لرصد معاني الكلمات ورموزها. واللافت في هذه الأسطوانة أن البحث عن بيت شعري بعينه يتيح التنقّل بين الدواوين والكتب والمعاجم بسهولة ويسر، نظراً إلى وجود محرّك بحث في القرص. ولعلّ توفر مدونة رقمية هائلة على هذا النحو، يتيح

لكن الكتاب أعاد إلى المعتكف الشعري شاعراً كبيراً يملك فرادة خاصة. ولعلّ الأعوام التي مضت على رحيل الشاعر (توفي في 3 كانون الثاني/ يناير 1971) كانت كافية لتدفع به إلى النسيان. فقد غاب هذا الشاعر غياباً مأسوياً مثلما عاش حياة مأسوية. مات وحيداً مثلما أمضى سنواته غير الطويلة (48 سنة) وحيداً كل الوحدة ومنفياً في أعماق معاني النفي. كان توفيق سباقاً إلى كتابة قصيدة النثر العربية لكن قصيدته ظلت أسيرة البداية، بداية هذا النوع الشعري الجديد. حتى هو نفسه لم يشأ أن يطلق على قصيدته اسم **"قصيدة النثر"** بل كان يسمّيها **"شعراً خالياً من الوزن والقافية"**. كان **توفيق** يدرك أنه يكتب قصيدة جديدة مبهمة الملامح وغير منغلقة على نوع دون آخر. قصيدة هي على قدر كبير من الحيرة: ترفض العروض ولكنها لا تتخلّى عن بعض القوافي حتى وإن اقتربت من السجع الشعري، وتستسلم لإغراء النثر الحرّ ولكن من دون أن تهجر التراكيب اللغوية الكلاسيكية أو التقليدية.

كتب **توفيق صايغ** الشعر في مراحل متقطّعة خلال 15 سنة بين مطلع العام 1950 ونهاية العام 1970. وقصائده الأولى مثل قصائده الأخيرة لم ينشرها خلال حياته واكتفى بدواوينه الثلاثة: **ثلاثون قصيدة** (1954)، **القصيدة ك** (1960)، **معلقة توفيق صايغ** (1963). لكن شعره ظلّ هو نفسه في لغته وملامحه وأساليبه. حتى قضاياه الوجودية والميتافيزيقية والشخصية ظلت تدور حول المحاور الثلاثة التي يمكن اعتبارها أشبه بالثوابت الشعرية لديه: الله أو الماوراء في تجلياته المختلفة، المنفى في معانيه المتعددة: الجغرافي والتاريخي والروحي، السيرة الذاتية وفي مقدمها معاناة الحب الأليم. هكذا تبدو

عن البحث الميداني أي الاتصال بعائلات الشعراء من أجل الحصول على المعلومات اللازمة والصور الشخصية، وصور للقائد المخطوطة وغيرها... وتمت الاستعانة بفريق من الباحثين بلغ عددهم خمسمئة، عملوا في شكل متواصل طوال أحد عشر عاماً في جمع البيانات اللازمة للشعراء الذين توزعوا جغرافياً على امتداد العالم العربي وصولاً إلى شرق آسيا وإيران والقارة الهندية وبعض الدول الأوروبية، في عملية مسح شاملة، لم توفر المناطق النائية والريفية. إلا أن الإضافة الأهم في هذا المعجم، تكمن في إثبات "مصادر الدراسة" التي اعتمدت في ذلك، فمن هذا المنظور، يرقى المعجم إلى المستوى المرجعي ويصبح "أداة عمل" لا غنى عنها للباحث والناقد على السواء، كما لو أنها "ببليوغرافيا جاهزة" لكل شاعر.

سنة أبو القاسم الشابي

صادفت العام 2009 الذكرى المئة لولادة الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي (1909 - 1934) وقد انتهزت تونس هذه المناسبة لإحياء ذكرى هذا الشاعر الذي كان واحداً من أبرز الشعراء النهضة العرب على الرغم من قصر عمره، فهو لم يعيش أكثر من خمسة وعشرين عاماً، لكنه استطاع خلال سنوات عطائه القليلة أن يؤلف ديوانه الشهير "أغاني الحياة" وكتابه النقدي "الخيال الشعري عند العرب"، إضافة إلى مقالات وقصائد ورسائل ومذكرات صدرت لاحقاً.

أبو القاسم الشابي شاعر ذو نزعة وجدانية، تأثر بالرومنطيقية وكان واحداً من روادها العرب. بدأ بالنظم وهو في حال من النضج والتمرس وبدا غزيراً في إنتاجه وكأنه كان يشعر أنه على سباق مع الموت. ومن

أيضاً أمراً مهماً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبحث العلمي، وهو الإحصاء، إذ إن هذا الأخير يعني قبل أي شيء آخر قياس نسبة ورود لفظ أو تركيب معينين في متن الشعر العربي من ضمن فترة زمنية يستطيع الباحث اختيارها بين مجموعة من التقسيمات من جهة (العصر الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي، الفاطمي، الأيوبي، المملوكي، العثماني، فضلاً عن العصر الحديث)، ومجموعة من البلدان من جهة أخرى، فضلاً عن تدقيق البحث ليخصّ إما الشعراء أو الشاعرات.

ومن جهة أخرى أصدرت مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين في الكويت معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، في نسختين، ورقية تقع في نحو خمسة وعشرين مجلداً من القطع الكبير وبلغ عدد صفحاتها زهاء عشرين ألف صفحة، ونسخة رقمية (اسطوانة مدمجة). وتكمن أهمية هذا العمل في منهجية جمع المعلومات قبل أي شيء آخر، إذ يتضمن تراجم ونماذج قصائد للشعراء العرب وللشعراء من غير العرب الذين كتبوا بالعربية، سواء كانوا من المشهورين والمعروفين أم من المغمورين والمنسيين، وقد بلغ عددهم ثمانية آلاف وتسعة وثلاثين شاعراً، تمّ انتخابهم وفقاً لمعايير محدّدة من أصل أحد عشر ألف شاعر. أما الطريف فإن هذه الاسطوانة المدمجة تختصر الحجم الضخم المتمثل في الكتب المطبوعة ورقياً، وتوضح المؤسسة أن عملية جمع المعلومات لهذا العدد الوفير من الشعراء كانت دقيقة واستندت إلى أساليب شتى، ومنها زيارة المكتبات الشهيرة في البلدان العربية وبعض العواصم العالمية، والهدف مراجعة الكتب والرسائل الجامعية والأبحاث المنشورة والدوريات القديمة والحديثة، فضلاً

أصدرت مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين في الكويت معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، في نسختين، ورقية تقع في نحو خمسة وعشرين مجلداً من القطع الكبير وبلغ عدد صفحاتها زهاء عشرين ألف صفحة، ونسخة رقمية (اسطوانة مدمجة). وتكمن أهمية هذا العمل في منهجية جمع المعلومات قبل أي شيء آخر، إذ يتضمن تراجم ونماذج قصائد للشعراء العرب وللشعراء من غير العرب الذين كتبوا بالعربية، سواء كانوا من المشهورين والمعروفين أم من المغمورين والمنسيين، وقد بلغ عددهم ثمانية آلاف وتسعة وثلاثين شاعراً، تمّ انتخابهم وفقاً لمعايير محدّدة من أصل أحد عشر ألف شاعر..

يتطرق إليها تعني القارئ العربي بمقدار ما تعني القارئ الغربي الذي تتوجه إليه عبر لغته. وإذا حاولنا استعراض الموضوعات أو القضايا التي يزخر بها هذا الأدب لوجدنا أنها تتوزع في حقول ثقافية عربية، إما تراثية أوحديثة في معنى ارتباطها بالواقع العربي الراهن وما يشهد من أزمت وحروب وصراعات. أمين معلوف الذي يكتب بالفرنسية على سبيل المثل يستعيد معالم كثيرة من تراثه اللبناني، الطاهر بن جلون الذي يكتب بالفرنسية أيضاً يتكئ بدوره على الذاكرة المغربية، رفيق شامي

الذي يكتب بالألمانية يعني بشؤون المهاجرين العرب، المصرية أهداف سوييف التي تكتب بالإنكليزية لا تفارق الواقع المصري والعربي... ولئن اتهم بعض من هؤلاء الكتاب العرب الذين اختاروا اللغات الأجنبية كوسائل تعبير، بالنزعة "الإكزوتكية" أو بالميل إلى تغريب ثقافتهم الشرقية وتضخيمها لجذب القارئ الغربي، فإن كثيراً منهم استطاعوا أن يفرضوا تجاربهم وأعمالهم ككتّاب مبدعين وبعضهم حاز جوائز كبيرة ومهمة لا علاقة لها بالحوار الشرقي - الغربي الذي يشكل محوراً أساسياً في هذا الأدب. واللافت أن بعض الدول الأجنبية باتت تعتبر بعضاً من هؤلاء الكتاب مواطنين ينتمون إلى ثقافتها وقد أدخلتهم في خانة أدبائها الأصليين. ولم ينثن بعض هؤلاء الكتاب العرب عن تمثيل أوطانهم الثانية - أو أوطانهم بالتبني - في المهرجانات الدولية. وهنا لا يمكن نسيان أو تناسي الكاتب الفلسطيني سايد قشوع (مولود في العام 1975) الذي يحمل الجنسية الإسرائيلية لكونه ينتمي إلى فلسطين 1948 والذي يشارك في اللقاءات والمهرجانات العالمية ككاتب إسرائيلي يدرج اسمه إلى جانب الكتاب الإسرائيليين الآخرين. غير أن هذه المبادرة الإسرائيلية

خصائص شعره اعتناؤه باللغة والأسلوب الذي جمع فيهما بين السلاسة والصناعة الجمالية، بين البساطة والرصانة. أما أغراضه الشعرية فتتوزع بين تبجيل الطبيعة والإصغاء إلى الذات والحب والقضايا الوطنية والاجتماعية والماورائيات والوجدانيات وسواها.

وتميّزت شخصيته كما نتاجه الشعري ببعض من الكآبة والسوداء، ولاسيما بعد إصابته بالمرض، وكان هو يعاني حالاً من الفقر والعوز، لكن ذلك لم يحل دون تتقفه ومتابعته للحركة الشعرية العربية والعالمية. ومع أنه رحل باكراً إلا أنه ترك نتاجاً فريداً وكان له أثر في محيطه كما في الأجيال الشعرية العربية التي أعقبته. ولعل قصيدته الشهيرة **إرادة الحياة** هي من أشدّ القصائد العربية شهرة ورواجاً وترددها الأجيال العربية على اختلافها. وقد وصف **أبو القاسم** بأنه شاعر وجداني أكثر على الرغم من صغر سنه، شاعر مجيد وصاحب لفظة سهلة قريبة من القلوب وعبارة بلاغية رائعة يصوغها بأسلوب أو قالب شعري جميل. وهو بطبيعته يرنو إلى النفس الانسانية وخواجها الفياضة من خلال توسيعه لدائرة الشعر العربي.

حضور الأدب العربي في العالم

لم يبق ممكناً التغاضي عن الحضور الكبير الذي يملكه الأدب العربي المكتوب باللغات الأجنبية في العالم، ولا سيما في أوروبا وأميركا الشمالية والجنوبية. فهذا الأدب الذي يزداد رواجاً ورسوخاً يظل ينتمي إلى خريطة الأدب العربي، وإن كتب بلغات بعيدة عن اللغة الأم أي العربية. وما يجب الوقوف عنده في هذا السياق هو أن هذا الأدب بمعظمه ذو جذور عربية بل أنه متجذر في أديم الذاكرة العربية والوجدان العربي. ومعظم الموضوعات أو القضايا التي

شهد العام 2009 الاحتفال التونسي والمغربي والعربي بالذكرى المائة لولادة الشاعر أبو القاسم الشابي وكانت هذه الذكرى فرصة ملائمة لاستعادة عصر النهضة الشعرية التي كانت الشابي أحد أعلامها الكبار على الرغم من رحيله المبكر.. وقد وُصف الشابي بأنه شاعر وجداني وصاحب لفظة سهلة قريبة من القلوب. ولعل قصيدته "إرادة الحياة" هي من أشدّ القصائد العربية شهرة ورواجاً وترددها الأجيال العربية على اختلافها..

الأكاديمي ونزعتة الإبداعية التي حملته على خوض غمار الشعر والرواية والتأمل الفلسفي. وهذا الكاتب (مواليد 1938) الذي كان قد استهل حياته الإبداعية في الثانية عشرة شاعراً بالعربية، لم يلبث أن انتقل إلى لغة المستعمر من غير أن يهجر لغته الأم يوماً، كتابةً وقراءةً على السواء. وقد اتكأ في مواقفه السجالية على الموروث الإسلامي والشرقي الروحاني والصوفي الذي اختزنه في أعماق ذاته، ممّا منح أفكاره بُعداً معرفياً آخر. وبات، خلال إقامته في باريس التي كانت تتقاطع معها أسفاره الدائمة إلى المغرب، على صداقة مع كبار المفكرين الطليعيين، والشعراء والنقاد الذين يحتلون الواجهة الفرنسية. ومنذ أن نقلت أعماله إلى العربية وعرفت رواجاً في الأوساط الأدبية، أضحى الخطيب كاتباً عربياً وكأنه لم يفارق لغته الأم.

أعمال روائية

صدرت أعمال روائية كثيرة لكاتب عرب في أوروبا وأميركا خلال العام 2009 ويمكن التوقّف عند نماذج منها، تمثل واقع هذا الإبداع العربي المنتشر في العالم. **الطاهر بن جلون** أصدر رواية جديدة لدى دار غاليمار الباريسية تحت عنوان **في بلدي**، وفيها يعالج القدر المأسوي للمهاجرين المغاربة الذين قدموا إلى فرنسا في الأربعينيات من القرن الماضي سعياً وراء لقمة العيش. بطل الرواية رجل مسنّ يدعى "محمد"، بلغ سن التقاعد بعدما أمضى الجزء الأكبر من حياته في إحدى ضواحي باريس كعامل في مصنع للسيارات. ومنذ الصفحات الأولى نجده في حال اضطراب شديد نظراً إلى استحقاق التقاعد الذي يتربّص به ويدفعه في اتجاه مستقبل مجهول وقاتم. وللإفلات

ليست بريئة ولا ثقافية أو أدبية تماماً، بل لعلّ إسرائيل تسعى من خلالها إلى "أسرلة" الكتاب الفلسطينيين أولاً، ثم إلى إقناع العالم الغربي بانفتاحها على الأدباء العرب كما لو أنهم ينتمون إلى إحدى اثنياتها أو قومياتها. كان العام 2009 حافلاً بالحراك الأدبي العربي في أوروبا وأميركا. وصدرت خلال هذا العام أعمال مهمّة، سردية وشعرية، كان لها صدى في الأوساط الأدبية والإعلامية الغربية وكانت بمثابة دليل واضح على النجاح الذي يحظى به الكتاب العرب هؤلاء داخل الحركة الأدبية الغربية الراهنة.

غيا ب عبد الكبير الخطيبي

رحيل الكاتب المغربي باللّغة الفرنسية **عبد الكبير الخطيبي** كان حدثاً كبيراً خلال العام 2009 وتحديداً في حقل الأدب العربي المكتوب بالأجنبية. هذا الكاتب الذي اكتشفه الناقد الفرنسي **موريس نادو** وتبنّى روايته الأولى **الذاكرة الموشومة** ونشرها العام 1971، هو واحد من المفكرين الطليعيين الذين شغلوا الساحة الفرنسية والمغربية في حقبة السبعينيات التي شهدت ذروة الاحتدام الأيديولوجي والصراع الفكري المتعدد عقائدياً وسياسياً. وبين حال الاغتراب في فرنسا وواقع العودة إلى المغرب، مارس **الخطيبي** ما سمّاه "النقد المزدوج"، هو المغربي المغرق في مغربيته والفرنكوفوني المنفتح على حضارات الغرب. وقد طرح، مثلما فعل أسلافه الفرنكوفونيون، سؤال الهوية المنقسمة بين لغة الآخر أو المستعمر الفرنسي، وحقيقة الذات التي تضرب جذورها في التراث المغربي أو العربي، القديم الحيّ. إلا أن **الخطيبي** نجح، أكثر من سواه، في التوفيق بين غربة اللّغة وصورة الذات، وقد آزرته في هذه المهمة ثقافته العميقة ومراسه

الروائية الأردنية ليلى حليبي غالباً ما تسعى إلى معالجة الأزمة الوجودية التي يعيشها العرب المهاجرون في الولايات المتحدة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) 2001 وما نجم عنها من تمييز عنصري في المجتمع الأمريكي، حيث لا يزال الفرز اللوني قائماً وحيث يقع العرب في مكان ملتبس بين السمر الوافدين من أميركا اللاتينية والسود المتحدرين من أصول أفريقية..

أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) 2001 وما نجم عنها من تمييز عنصري في المجتمع الأميركي، حيث لا يزال الفرز اللوني قائماً وحيث يقع العرب في مكان ملتبس بين السمر الوافدين من أميركا اللاتينية والسود المتحدثين من أصول أفريقية.

أصدرت **ليلى** رواية عنوانها **ذات مرة في أرض الميعاد** وحازت **جائزة أهل القلم (PEN)** العالمية ووصفتها **واشنطن بوست** بأنها "بارعة لأن نثرها يتوهج ويدفئ، كاشفة لأنها تحيلنا إلى عالم نجهله، مؤثرة لأنها تشعرنا بأزمة أبطالها، وممتعة لأنها مكتوبة بلغة الخرافة مما يسمح لنا بتخيل أبطالها قادرين على النفاذ بجلدهم". وتفتتح **ليلى حليبي** حكاية أرض الميعاد الأميركية بـ "كان يا ما كان في قديم الزمان" تليها مقدمة "توراتية" تذكر بسفر التكوين... علماً أن أبطال الرواية معاصرون وواقعهم معلق بين أرضهم المحترقة وسماء هجرتهم المكفّهة بالقلق والتمييز. ثم تتخذ **ليلى حليبي** من مشهد التفتيش والاستجواب الحدودي مدخلاً رمزياً ساخراً لتصوير الهوية الثقافية القائمة بين مفهوم الأمن الأميركي وبين هلع الوافد العربي إلى الولايات المتحدة.

كان العام 2009 عام الروائي اللبناني الكندي **راوي الحاج** في الساحة الأدبية في كندا بعد صدور روايته الجديدة عن منشورات **أناناسي برس** في تورنتو وعنوانه **صرصار**. وقد رشّحت الرواية إلى جوائز عدّة وفازت بجائزة اتحاد كتاب كيبيك. وكانت روايته السابقة **لعبة دونيرو** حازت جائزة إيمباك العالمية. في هذه الرواية يصبح المهاجر على طريقة **فرانز كافكا** صرصاراً في عين ذاته، الصرصار يسرد حيوات شريحة من المهاجرين إلى كندا، يعيشون في مونتريال تحديداً. صرصار بكلّ

من محنته التي تشد يوماً بعد يوم، يقوم بجردة حساب لحياته التي أمضاها بين العمل والصلاة اللذين شكّلا ملجأه وعزاءه الوحيدين. وفي فوضى نفسه الكثيرة والقلقة، تتقاطر صور الماضي: طفولته في قرية صغيرة نائية، زوجته التي اختارها من قبيلته، رحيله شاباً إلى فرنسا، وسنوات الكد الطويلة كعامل نموذجي في مصنع شكّل له المكان الوحيد الذي لم يشعر فيه بأنه عبء على أحد. وفي سيرورة التذكّر هذه، تتشابك تأملات هذا الرجل الرقيق والتّقي الذي يكره التعصّب وينبذ العنف والعنصرية المتعاطفين في المكان البائس الذي يعيش فيه. ويتساءل عن مصير أولاده الذين ولدوا في فرنسا واندمجوا في مجتمعاتها، فلم يتمكن من أن ينقل إليهم حبه لوطنه وتقاليد وقيمه الإسلامية، أولاده الذين كان يتألمهم بحبّ كبير وهم يقومون بواجباتهم المدرسية، وها هم اليوم ينظرون إليه كرجل عجوز وصامت ويرفضون التماثل به. ابنه البكر مراد تزوج من فرنسية، وابنه الثاني عثمان تزوج من فتاة مغربية متعجرفة لأنها من الدار البيضاء وهم من أصل قروي، وابنه الثالث رشيد تحوّل إلى ريشار، وابنته جميلة غادرت المنزل مع شاب إيطالي بلا عودة... وهذا ما سيدفعه، في اليوم التالي من دخوله مرحلة التقاعد، إلى مغادرة فرنسا والتوجه من دون تردّد إلى قريته المغربية لتحقيق حلمه الوحيد: تشييد منزل كبير يلمّ فيه شمل عائلته المشتّتة. وما إن يجهز المنزل، حتى يتّصل بأولاده ويدعوهم إلى حفلة كبيرة، ثم يجلس في مدخل المنزل ويبدأ في انتظارهم، فتمرّ الأيام والأسابيع ولا يأتي أحد.

الروائية الأردنية **ليلى حليبي** غالباً ما تسعى إلى معالجة الأزمة الوجودية التي يعيشها العرب المهاجرون في الولايات المتحدة بعد

كان العام 2009 عام الروائي اللبناني الكندي راوي الحاج في الساحة الأدبية في كندا بعد صدور روايته الجديدة عن منشورات أناناسي برس في تورنتو وعنوانه صرصار. وقد رشّحت الرواية إلى جوائز عدّة وفازت بجائزة اتحاد كتاب كيبيك. وكانت روايته السابقة "لعبة دونيرو" حازت جائزة إيمباك العالمية..

صفحة، ألف حكاية وحكاية، ليس بينها رابط سوى ما يترتب عن توليد الرغبة في المتابعة بفعل الكتابة الخلاقة.

في ألف ليلة وليلة تنتج الحكايات من الترحال والمصادفة ورغبات الاستقصاء. أما حكواتي علم الدين فليس بحاجة إلى المرجع كي يستمر في حياكة قصصه. فالشخصيات تذهب في اتجاهات غير متوقعة ويجتمع المحال والواقع وكأن العالم متأرجح أبداً بين اليقظة والحلم.

الكاتب والشاعر المغربي الكبير محمد خير الدين عاد إلى الواجهة الفرنسية عبر إصدار دار غاليمار الباريسية كتاباً له في أهم سلسلة شعرية فرنسية لديها، وهو عبارة عن أنطولوجيا عنوانها شمس عنكبوتية. وتمثل كل المراحل الذي اجتازها. ومحمد خير الدين (1941-1995) يمثل موقفاً رائداً ومميزاً على خريطة الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية لكونه أول من فجر قواعد هذا الأدب وأسهم في تجديده.

بدأ خير الدين الكتابة العام 1960 عبر روايتي التحقيق وأغادير وبين عامي 1963 و1965، كتب في الدار البيضاء ديوان الغثيان الأسود وقصة بعنوان الدفن، ودعا إلى ثورة شعرية سماها "الإرهاب اللغوي" في بيان قبل أن يرحل إلى باريس ويستقر فيها حتى العام 1980.

في العاصمة الفرنسية، اختبر خير الدين المنفى وصعوبات حياتية جمّة لم تمنعه من مواصلة نشاطه الكتابي ومن التعرف إلى شخصيات أدبية وشعرية كبيرة. وفي باريس أصدر نصّه حيوانات معطوبة ونشر في مجلة الآداب الجديدة مقتطفات من رواية أغادير التي صدرت لاحقاً عن دار سوي وحصدت جائزة فرنسية، ونشر سارتر قصيدة لـ

دونيته وعوالمه السفلية يتراءى للراوي عملاقاً كبيراً، يسخر منه، يرعبه، ويجعله أسيراً لأوهامه ومرضه النفسي الذي يذهب به إلى مستشفى المجانين مرة، وإلى الانتحار مرة، وإلى جلسات المعالجة النفسية الطويلة مرّات. المهاجر عربي لا اسم له، من بلد لا اسم له، محاط بماضيه الجريح وذاكرته التلسة، غارق في حاضره الأسود المخيف يصادف حلقة من المهاجرين، نساءً ورجالاً، فقدوا أيضاً بوصلة الحياة الإنسانية، وها هم يعيشون على هامش المجتمع، في أسفل السلم الاجتماعي والاقتصادي. أنهم عاجزون عن تحقيق ذواتهم في المجتمع الجديد الذي هاجروا إليه، وعاجزون في الآن ذاته عن التملّص من ذاكرتهم، المحملة بالخراب والألم والبؤس.

أما الروائي اللبناني المقيم في الولايات المتحدة ربيع علم الدين فأصدر هذه السنة رواية غريبة في بنيتها وشخصياتها وقد سماها "الحكواتي". وعرفت الرواية نجاحاً فور صدورها في أميركا وبريطانيا وترجمت في السنة نفسها إلى لغات عدّة ما عدا العربية.

وقد أجمع الكثيرون من النقاد أن علم الدين بلغ ذروة عطائه الأدبي في رواية الحكواتي التي صدرت عن دار كنوف الأميركية والثانية عن دار بيكادور العالمية. لم يبرح علم الدين في الحكواتي أسلوب الكولاج والتركيب المشهدي، بل جعل المتوازيات القصصية غاية، وذهب إلى حدود الملحمة مدركاً ذروة إذهال قارئه لا بالبراعة وحدها، بل بالنشوة الأصيلة، نشوة من يلمس عبر الحكاية عصب الشرط الإنساني. عالمان مختلفان، واحد من ذاكرة الثقافات، وفي مقدّمها العربية والإسلامية، مع ما تدفق منها وإليها من الألياذة، وألف ليلة وليلة وكليّة ودمنة وغيرها، والآخر من الحاضر المعيش، يتقاسمان أكثر من خمسمائة

شهد أدب المهجر العربي الحديث المكتوب بالأجنبية خلال هذا العام ظاهرة يمكن تسميتها "ظاهرة المنفى العراقي". وتتلخّص بقيام عدد كبير من العراقيين بكتابة الشعر بلغات أوطانهم البديلة، تلك الأوطان التي قبلتهم لاجئين ومن ثم مواطنين. هناك اليوم من العراقيين من يكتب أشعاره بالهولندية والسويدية والإنكليزية والإسبانية والفرنسية والصربية وصولاً إلى اليابانية..

والرواية كما باحت الكاتبة نفسها، تركز على نواة قصة **عائد إلى حيفا** للراحل **غسان كنفاني**. هذه النواة توسّعت في رواية **أبو الهوى**، وتفتقت عن صور وتمظهرات أخرى، فرضتها تطورات طرأت على القضية الفلسطينية، بعد أعوام طويلة من كتابة **كنفاني** لقصته، التي مثّلت عهد ذاك، وعياً متقدماً في فهم تعقيدات القضية الفلسطينية.

الروائي اللبناني بالفرنسية **ألكسندر (أسكندر) نجار** سعى في روايته الصادرة عن دار **بلفون الباريسية** (2209) بعنوان **برلين 36** إلى اقتفاء أثر اللاعب الرياضي الأميركي **جيس أونز في الولايات المتحدة** أولاً ثم في **برلين** وكتابة ما يشبه السيرة له. فهذا العداء الذي نعم بشهرة عالمية بعد فوزه بأربع ميداليات ذهبية في الألعاب الأولمبية التي جرت العام 1936 في **برلين** النازية، كاد ينساه الأميركيون أنفسهم على الرغم من احتلاله صفحات مشرقة من تاريخ الرياضة الأميركية. لكن **ألكسندر نجار** جعل منه "بطلاً" روائياً، انطلاقاً من الرمز الذي مثّله كرياضي أسود تمكّن من هتك سياسة التفرقة العنصرية التي أنهكت **الولايات المتحدة** طوال عقود، واستطاع أن يفضح السلطة النازية المنتصرة للعرق الآري والكارهة للساميين والسود أو "الزنوج" كما كانت تسميهم. وقد أعاد **نجار** هذا "البطل" إلى الضوء في روايته **برلين 36** التي شاء أن يصدرها عشية الاحتفاء بالذكرى العشرين لسقوط **جدار برلين** الذي أعلن نهاية زمن وبداية آخر. وهي كانت مناسبة مؤاتية فعلاً لإدانة الثقافة النازية عموماً وفضح آلياتها، الخفية والمعلنة، من خلال الرياضة وليس السياسة أو الأيديولوجيا والتاريخ، ولو أن الرياضة لم تخل هنا من الأبعاد السياسية والأيديولوجية، بعدما حاول النازيون تسخير

خير الدين عنوانها **الملك** افتتاحية لعدد كانون الثاني (يناير) 1967 من **مجلة الأزمنة الحديثة**. أما قصة **الدفن** فتوجت آنذاك بجائزة **"القصة المغاربية"**.

في العام 1993، عاد إلى **المغرب** نهائياً مصاباً بمرض السرطان، وتوفي فيه العام 1995. وتشكّل حياة **خير الدين** مرآة لأعماله الشعرية والأدبية التي يعبرها بقوة موضوع المنفى والته من جهة، وموضوع التمرد والثورة والتحرر من جهة أخرى. وفعلاً، تتميز معظم قصائده بنبرة عنيفة وتأريّة وبشعرية نارية تلجأ أحياناً إلى الهذيان والحلم، كما تتميز بانشغالها الثابت بالناس. **فخير الدين** لم يتصوّر الأدب خارج الالتزام. ويتجلّى هذا الاهتمام بالألم الجماعي في رواياته أيضاً التي تتشكّل حول مبدأ مساءلة أصول الهوية الأبوية ونقد السلطة في كلّ أشكالها.

أما الكاتبة الفلسطينية **سوزان أبو الهوى** فأصدرت رواية بالإنكليزية تستوحى فيها قرية **عين هود** وهي تعني بالعبرية **عين المجد**، قرية فلسطينية على سفح **جبل الكرمل**، كان الفلسطينيون يدعونها **عين الحوض** وهجروا منها عقب الاحتلال الإسرائيلي العام 1948. واختارت الكاتبة الفلسطينية، المقيمة في **أميركا**، هذه القرية بالذات، لتجعلها مسرحاً لروايتها **ندبة دافيد** أو **ندبة داود** لإظهار إشكالية تنازع الهويات حول المكان والتاريخ. وإذا كان سرد الأحداث يبدأ من **عين هود**، فإن مساراته الطويلة المعقدة تتقاطع في **مخيم جنين**، في **الضفة الغربية**، التي لاذت به أسرة يحيى أبو الحجى، ثم تفرق أفرادها مع الزمن. وشكلت معاناتهم، ومطاردة الاحتلال لهم وتهجيرهم، مادة هذه الرواية التي أثارت جدلاً في بعض الأوساط الأدبية الأميركية، باتهام مؤلفتها بمعاداة السامية.

محمد خير الدين الكاتب والشاعر المغربي الفرنكوفوني الكبير (1995 - 1941) عاد إلى الواجهة الفرنسية عبر إصدار دار غاليمار الباريسية كتاباً له في أهم سلسلة شعرية فرنسية لديها، وهو عبارة عن أنطولوجيا عنوانها: "شمس عنكبوتية" تمثل كل المراحل الإبداعية التي اجتازها.. جدير بالذكر أن محمد خير الدين يمثل موقعاً رائداً ومميزاً على خريطة الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية لكونه أول من فجّر قواعد هذا الأدب وأسهم في تجديده..

صارت كتاباتهم الأدبية تدرّس في الجامعات الأميركية. ولعل الأعمال الأدبية التي ينتجها هؤلاء تتمتع بخصائص فريدة، على مستوى الأسلوب والمضمون، فهم من أصحاب المواهب الكبيرة ويستحقون أن يقدموا للقراء في العالم، وأعمالهم جديدة وثرية وتحوي رؤية جديدة إلى عالم اليوم وشروطه الإنسانية. ومن هذه الأسماء: غريغوري أورفليا، إلماز أبي نادر، إيتيل عدنان، حيان شرارة، سوزان مودي دراج، ليلى حليبي، لارا حمزة، ناتالي حنظل، فادي جودة، عاصف الجندي، لورانس جوزيف، بولين كلداس، كاظم الحلاق، مهجة قحف، ليذا سهير مجاج، خالد مطاوع، دي إتش ملحم، فيليب ميتريس، ديبورا النجار وسواهم.

ازدهار الترجمة الإبداعية ومآزقها

كان العام 2009 عام الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية، مثل سائر الأعوام السابقة. فحركة الترجمة لا تهدأ في العالم العربي، بل هي تزداد حضوراً، ولاسيما وسط رواج الأعمال المترجمة وإقبال القراء عليها. وما برح المترجمون العرب يقبلون على عملهم بشغف وحماسة، خصوصاً بعد ارتفاع أسعار الترجمة أو "الرواتب" التي يتقاضونها في هذا الحقل، والسبب الأبرز هو اضطلاع مؤسسات عربية كثيرة في مهمة تمويل الترجمة ومنها على سبيل المثال: مشروع كلمة في أبو ظبي وترجم في دبي، إضافة إلى المركز القومي للترجمة في مصر والمؤسسة العربية للترجمة التابعة لمركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، والمركز الوطني للترجمة في تونس والمجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون في الكويت وسواها من المؤسسات والجمعيات. وقد انهمرت الترجمات في شتى الحقول، الإبداعية والعلمية والأكاديمية، وصدرت

الألعاب الأولمبية لتلميع صورة نظامهم العرقي والعنصري.

أدب المهجر الجديد

إلا أن أدب المهجر العربي الحديث المكتوب بالأجنبية شهد خلال هذا العام ظاهرة يمكن تسميتها "ظاهرة المنفى العراقي". وتتلخص بقيام عدد كبير من العراقيين بكتابة الشعر بلغات أوطانهم البديلة، تلك الأوطان التي قبلتهم لاجئين ومن ثم مواطنين. هناك اليوم من العراقيين من يكتب أشعاره بالهولندية والسويدية والإنكليزية والإسبانية والفرنسية والصربية وصولاً إلى اليابانية. بل هناك من أصدر كتباً شعرية بتلك اللغات وصار يقدم نفسه بصفته شاعراً أجنبياً. وكان البعض من هؤلاء قد مارس في ما سبق الكتابة الشعرية بالعربية. بعضهم الآخر بدأ الكتابة الشعرية باللغة البديلة من غير أن تكون له تجربة في الكتابة باللغة الأم. وإذا تفحصنا هذه الظاهرة فسنجد أن ليس هناك من أولئك الشعراء من ولد خارج العراق فكانت اللغة التي يكتب بها أشعاره هي لغته الأم. كلهم وصلوا متأخرين إلى بلاد اللجوء أو المنفى، بل إن أصغرهم وصل إلى هناك وقد تجاوز الثلاثين من عمره. أي أنهم تعلموا اللغة الأخرى التي يكتبون بها أشعارهم في سن متأخرة.

من ناحية أخرى تمكّن كتاب عرب يعيشون في الولايات المتحدة أن يشكلوا تجمعاً مهماً وأن يقيموا انطلاقةً من هذا التجمع مؤتمراً سنوياً عنوانه مؤتمركتاب العرب الأميركيين. وهذا عنوان لافت ومثير للاهتمام.

وقد أكد هذا المؤتمر أن الوقت حان للتركيز على الإسهامات الأدبية ذات الأهمية المتزايدة في الأدبين الأميركي والعالمي لهذا العدد الكبير من الكتاب العرب الأميركيين الذين

تمكّن كتاب عرب يعيشون في الولايات المتحدة أن يشكلوا تجمعاً مهماً وأن يقيموا انطلاقةً من هذا التجمع مؤتمراً سنوياً عنوانه "مؤتمركتاب العرب الأميركيين"، حيث أكدوا من خلاله أن الوقت حان للتركيز على الإسهامات الأدبية ذات الأهمية المتزايدة في الأدبين الأميركي والعالمي لهذا العدد الكبير من الكتاب العرب الأميركيين الذين صارت كتاباتهم الأدبية تدرّس في الجامعات الأميركية..

قد يكون مسموحاً نشر نصوص مترجمة عن لغة وسيطة في الصحافة اليومية، ولا سيما إذا رافقت مقالة عن شاعر ما أو قاص وروائي. أما أن تشر مثل هذه الترجمات منفردة في كتب، فهذا ما لا يمكن الأخذ به. قد تكون الصحافة خير ملاذ لمثل هذه الترجمات العابرة، وقد يحتاجها القارئ اليومي بغية امتلاك فكرة عن الكاتب الذي يقرأ عنه. لكن هذه الترجمات غير مهيأة لأن تضمها كتب تحتل رفوف المكتبات، العامة والشخصية، وتصبح بمثابة مراجع يعاد إليها.

مأزق الترجمة عن العبرية

عشية انصرام العام 2009 ارتفعت أصوات أدباء مصريين تدعو علانية إلى ترجمة الأدب العبري إلى العربية، ورأوا في هذه الترجمة ضرورة لم يعد ممكناً التغاضي عنها. هذه الدعوة التي أطلقت في ختام المؤتمر الذي عقده اتحاد كتّاب مصر حول الصراع العربي الصهيوني وأثره في السرد المعاصر، بدت مفاجئة فعلاً وقد أثارت سجلاً كبيراً. ولعلها المرة الأولى تُطلق مثل هذه الدعوة علناً في مؤتمر أدبي عربي، فالمؤتمرات العربية عادة ترفض مشروعاً كهذا، والسبب مناهضة التطبيع والخشية من أن تكون هذه الترجمة خطوة أولى وغير مباشرة نحو هذا التطبيع. وكان لهذه الدعوة أن تختم السجل الذي قام في مصر خلال العام 2009 حول قضية الترجمة إلى العبرية أو منها. وقد بلغ ذروته في الحملة التي واجهت الشاعرة المصرية إيمان مرسال التي ترجم ديوانها **جغرافية بديلة** إلى العبرية. ولكن، لا تُنسى أيضاً البادرة التي اعترم القيام بها **المجلس القومي للترجمة** قبل أشهر دعماً لقضية الوزير **فاروق حسني** إبان "معركة اليونسكو" وتقضي بأن يُترجم

خلال العام 2009 عن الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والصينية واليابانية والتركية والروسية والفارسية وسواها. وعلى مستوى الترجمة الإبداعية فقد عرّبت أعمال روائية وشعرية وقصصية لكتاب من أمثال: **هنري ميلر، جون شتاينبك، أميلي روفتي، دوريس ليسنج، سيمون دو بوفوار، إسماعيل كاداريه، وليام غولدنج، أنطونيو غالان ماريو فارغاس يوسا، إي. أم فورستر، جورج أمادو، باولو كويلهو، أورهان باموك** وسواهم.

ولئن بدت حركة الترجمة مزدهرة ولو ظاهراً وبعيداً عن المشكلات العديدة التي تعانيها، فإن القضية الرئيسة التي برزت خلال هذا العام تمثّلت في ما يُسمى "الترجمة عن لغة وسيطة". وهذه "العادة" ما زالت قائمة على الرغم من رواج حركة الترجمة التي أسهم الدعم المالي في ترسيخها أخيراً. ولعلّ الترجمات التي أنجزت عن لغة "وسيط" لا يمكن التعامل معها إلا كترجمات عابرة وناقصة، لأنها لم تتمّ عن اللغة الأم، ولأنها "خانت" بدورها النصوص الأصلية. هذه الترجمات لا يمكنها أن تكون نهائية مهما بلغت متانتها وجمالياتها، ومهما استقلت بنفسها كنصوص على هامش النصوص الأصلية. وهي ستظل، كترجمات، عرضة للتصويب أو النقد والمساءلة. ولعلّ الترجمات التي أنجزت عن لغة "وسيط" لا يمكن التعامل معها إلا كترجمات عابرة وناقصة، لأنها لم تتمّ عن اللغة الأم، ولأنها "خانت" بدورها النصوص الأصلية. هذه الترجمات لا يمكنها أن تكون نهائية مهما بلغت متانتها وجمالياتها، ومهما استقلت بنفسها كنصوص على هامش النصوص الأصلية. وهي ستظل، كترجمات، عرضة للتصويب أو النقد والمساءلة.

ولعلّ الترجمات التي أنجزت عن لغة "وسيط" لا يمكن التعامل معها إلا كترجمات عابرة وناقصة، لأنها لم تتمّ عن اللغة الأم، ولأنها "خانت" بدورها النصوص الأصلية. هذه الترجمات لا يمكنها أن تكون نهائية مهما بلغت متانتها وجمالياتها، ومهما استقلت بنفسها كنصوص على هامش النصوص الأصلية. وهي ستظل، كترجمات، عرضة للتصويب أو النقد والمساءلة..

1948 وفلسطين المحرّرة، ولو لم توزّع الأعمال المترجمة في السوق العربية أو لم تصل إلى القارئ العربي.

وكلما تُرجم كتاب عربي إلى العبرية ترتفع أصوات عربية معترضة على هذه الترجمة، ومعلنة رفضها "التطبيع" الثقافي مع إسرائيل. فالترجمة إلى العبرية هي في نظر هؤلاء، ضرب من ضروب التطبيع الثقافي حتى وإن كان هذا التطبيع منقوصاً أو من جهة واحدة. إلا أن الترجمة إلى العبرية غالباً ما تتم عبر "القرصنة" الموهبة أو غير المعلنة، التي ترضي الكتاب العرب والناشر الإسرائيلي في آن واحد. يفض الكتاب العرب الذي تترجم مؤلفاتهم إلى العبرية نظرهم أو يعترضون ظاهراً، ويلقون التبعة على القرصنة الإسرائيلية، أما الناشر الإسرائيلي فلا يجد أيّ حرج في ارتكاب هذه "البادرة" التي تجعل الأدب العربي في متناول القراء الإسرائيليين وتخدم "فكرة" إسرائيل وادعاء الانفتاح على العرب.

إلا أن السجال الذي يستعيد نفسه كلما ترجم كتاب عربي إلى العبرية يبدو أنه لا يؤثر في مسألة الترجمة هذه، فأعداد الكتب التي ترجمت إلى العبرية منذ مطلع الثلاثينيات عندما تُرجم كتاب طه حسين "الأيام" حتى الآن لم تعد تحصى. فالترجمة مستمرة والكتاب العرب المترجمون ليسوا بمتضررين حتى وإن أعلنوا رفضهم هذه الترجمة. ويكفي أن نستعرض أسماء الشعراء والروائيين العرب الذين ترجموا إلى العبرية، برضاهم أو بعدم رضاهم، ومن هذه الأسماء: طه حسين، توفيق الحكيم، نجيب محفوظ، محمود درويش، محمد شكري، إلياس خوري، صنع الله إبراهيم، وقد يعني هذا الأمر أن لا أحد يستطيع تخوين الروائيين والشعراء

الأدب الإسرائيلي إلى العربية ولكن عن لغة وسيطة وليس عن العبرية، لئلا تُدرج هذه الترجمة في خانة "التطبيع" الثقافي.

إلا أن بعض الكتاب رأوا أن هذه الدعوة أو البادرة ليست سليمة أو صحيحة، فهي تركز في نظرهم مبدأ "القرصنة" الأدبية التي يزخر بها عالم النشر العربي، وترسخ ثانياً مبدأ الترجمة عن لغة وسيطة وليس عن اللغة الأم، وهذا ما يناقض خطة الناقد جابر عصفور التي ارتأها لـ "المركز القومي للترجمة". وقد أراد الوزير حسني عبر هذه الدعوة أن يثبت للغرب أنه ليس من دعاة حرق الكتب العبرية كما أشيع عنه انطلاقاً من جملة قائلها مرة، ولا من مناهضي ترجمة الأدب الإسرائيلي إلى العربية.

أما دعوة بعض الأدباء المصريين إلى ترجمة الأدب العبري، فهي ليست بجديدة وإن كانت جريئة. فالأدب العبري يترجم دوماً إلى العربية. وتكاد تكون هذه الترجمة محط إهتمام الكثيرين من الأدباء أو المثقفين والقراء العرب. هذه الترجمة غالباً ما تتم في صورة شبه سرية أو غير معلنة في أحيان، ومقطعة أو غير متوالية، لكنها تؤدي دورها في إيصال بعض الأصوات الأدبية العبرية إلى القراء العرب. مجلة الكرمل الفلسطينية على سبيل المثال، قدّمت نماذج عدّة من الأدب العبري، وقبلها مجلة مشارف التي أسسها إميل حبيبي. ولا يمكن أيضاً تجاهل ما تُرجم من روايات إسرائيلية في فلسطين والقاهرة وعمان وبيروت وسواها، وبعضها لكتاب معروفين مثل: عاموس عوز وعاموس كينان وإبراهيم يهوشع وسواهم... ولم يتورّع شاعر مثل سميح القاسم عن كتابة مقدمة لإحدى الروايات الإسرائيلية في ترجمتها العربية. وتبدو حركة الترجمة من العبرية إلى العربية ناشطة حالياً في فلسطين

لا بدّ من التوقّف أمام مؤتمرين عقدا خلال العام 2009 وتناولوا قضية النسوية الأدبية، الأول كان عنوانه "الحرية في الأدب النسائي" وقد عقدته المؤسسة العامة للثقافة في العاصمة الليبية طرابلس، والثاني عنوانه "منتدى المرأة العربية والمستقبل" الذي عقد في بيروت وشكل الأدب النسائي جزءاً مهماً من برنامجه. وكان سبقهما مؤتمر "السرديات النسائية" الذي عقدته المكتبة الوطنية في الجزائر آخر العام 2008..

أن يجيبا عنها هي: لا يزال مصطلح "الأدب النسوي" وما دار في فلكه مثل "أدب المرأة" أو "الأدب النسائي" أو "الأدب الأنثوي" غامضاً أو مبهماً بالأحرى، نظراً إلى طابعه المطلق ومعاييره غير الثابتة، ومقاييسه العسوية على الوصف أو التحديد. فما هو هذا الأدب الذي لا يُعرف عنه سوى ارتباطه بالمرأة، كاتبة وقضية؟ هل هو الأدب الذي تكتبه المرأة نفسها؟ أو أنه الأدب الذي يتناول شؤون المرأة وشجونها، سواء كتبه رجل أم امرأة؟

هذه الأسئلة وسواها طرحت بإلحاح في المؤتمرات الثلاثة وقد شارك فيها جمع من الكاتبات والكتاب العرب. لكن الأسئلة هذه لم تلق أجوبتها الشافية، كالعادة، وبدأت الأجوبة مؤجلة كما يحصل دوماً في المؤتمرات التي تتوالى بين مدينة عربية وأخرى.

ترى هل بات من الممكن اليوم الكلام على أدب "نسائي" وآخر "رجالي" أو ذكوري؟ ألم يستطع النص "النسائي" أن يتخطى في أحيان كثيرة سلطة النص "الذكوري" ويفضحه متقدماً إياه، بجرائته وعمقه؟ لعل ما لا يمكن تجاهله حقاً أن ثمة نصوصاً كتبها نسوة لم يستطع أي رجل أن يبلغ ما بلغته من ذرى ولا أن يسبر ما سبرته من أعماق. هناك كاتبات كبيرات مثلما هناك كتّاب كبار. هناك أدب لا يمكن إدراجه في خانة "الجنس"، أو سجنه في هذه "الزنانة" التي يبدو أنها صنعت لتأسر أدب المرأة وتؤكد حرية أدب الرجل. وقد تكون المرأة في أحيان متواصلة في صنع هذه "الخانة" أو السجن، وفي ظلّها أن الانفصال عن الأدب الذكوري والانعزال في بقعة ضيقة، يساعدانها على التحرر من سلطة الرجل التي منحه إياها التاريخ كما منحه إياها الحياة نفسها و"القيم" والمبادئ.

ولم يكن اختيار هذه "الخانة" إلا إمعاناً

العرب الذين تُرجمت أعمالهم إلى العبرية، مع أن الترجمة هذه لا يمكنها أن تكون سليمة "إيجابية"، فالترجمة هي أصلها حوار بين لغة وأخرى، بين نص وآخر، وخارج هذا الحوار لا يمكنها أن تقوم. والترجمة من العربية إلى العبرية هي ترجمة إشكالية لأنها مقتطعة أو مجتزأة وناقصة. إنها تتمّ كما لو كانت فعل قرصنة أو سلب. فلا حوار فيها ولا حوار قبلها ولا بعدها.

إشكالية الأدب النسوي

برزت ظاهرة الأدب النسوي خلال العام 2009 وكادت أن تكون إحدى القضايا الإشكالية، على الرغم من الكثير ممّا كتب في هذا الحقل من أبحاث ودراسات ومقالات اختلفت في مقاربتها لهذه القضية وفي نظرتها إليها. واللافت أن الأدب النسوي أو النسائي إذا شئنا التعميم كان محطّ اهتمام الباحثين والباحثات العرب والمبدعين والمبدعات. وقد ترافق المسار النقدي مع المسار الإبداعي الأدبي، أولاً من خلال الكتب التي صدرت، وثانياً عبر المؤتمرات التي دارت حول هذه القضية.

ولا بدّ في البداية من التوقّف أمام مؤتمرين عقدا خلال العام 2009 وتناولوا قضية النسوية الأدبية، الأول كان عنوانه "الحرية في الأدب النسائي" وقد عقدته المؤسسة العامة للثقافة في العاصمة الليبية طرابلس، والثاني عنوانه "منتدى المرأة العربية والمستقبل" الذي عقد في بيروت وشكّل الأدب النسائي جزءاً مهماً من برنامجه. وكان سبقهما مؤتمر "السرديات النسائية" الذي عقدته المكتبة الوطنية في الجزائر آخر العام 2008، ولم تكن محاوره بعيدة من محاور المؤتمرين هذين.

ولعلّ الأسئلة التي سعى المؤتمران إلى

ترى هل بات من الممكن اليوم الكلام على أدب "نسائي" وآخر "رجالي" أو ذكوري؟ ألم يستطع النص "النسائي" أن يتخطى في أحيان كثيرة سلطة النص "الذكوري" ويفضحه متقدماً عليه بجرائته وعمقه؟ ولعلّ ما لا يمكن تجاهله حقاً أن ثمة نصوصاً كتبها نسوة لم يستطع أي رجل أن يبلغ ما بلغته من ذرى، ولا أن يسبر ما سبرته من أعماق..

هذا السجل التاريخي الذي لا نهاية له كما يبدو، في العالم العربي. أما الأصوات النسائية فكانت حقيقية وصادقة وعالجت "القضية" في مختلف وجوهها، وانطلقت من مواقع المرأة كافة، ومن معاناتها الشاملة، كامرأة وكائن أو إنسان.

جمعت المؤتمرات الثلاثة أسماء عربية مهمة وبعضها من أبرز الأسماء التي تحتل "واجهة" الأدب "النسائي" مثل: سلوى بكر (مصر)، ربيعة جلطي (الجزائر)، علوية صبح (لبنان)، ليلى الأطرش (فلسطين)، سميحة خريس (الأردن)، روزا ياسين حسن (سورية)، ميسون صقر (الإمارات)، برون حبيب (البحرين)، ديمة الشكر (سورية)، نجاة علي (مصر)، فاطمة الحاجي ورزان المغربي (ليبيا)، بدرية البشر وسمير المقرن (السعودية)، حنان الشيخ (لبنان)، خولة الكريع (السعودية)، ليلى العثمان (الكويت)، سمريزيك (سوريا)، عفاف البطاينة (الأردن) وسواهن. عطفاً على كتاب ونقاد عرب. أما الشهادات فكانت أقرب إلى النصوص الحية التي تعبر عن التجربة التي تخوضها الكاتبة العربية في العصر الراهن والمشكلات التي تواجهها.

والتوصيات التي رفعت في ختام مؤتمر "الحرية في الأدب النسائي" على سبيل المثال لم تبد مختلفة عن التوصيات التي تُرفع عادة في مثل هذه الندوات أينما عقدت. ومنها: أن تكون هذه الندوة اللبنة الأولى لندوات مقبلة وأن تعقد سنوياً في الجماهيرية أو في إحدى الدول العربية، أن تخصص جائزة للأدب النسائي تشجيعاً للمرأة العربية المبدعة وتحفيزاً لإبراز أعمال قيّمة تُعنى بقضايا الإنسان الحر الذي ظلّ مهمشاً لفترة طويلة، أن تخصص جائزة للنقد النسائي تشجيعاً لهذا الفرع المهم من

في "الفرز" العنصري وفي ترسيخ سلطة النصّ الذكوري وتهميش النصّ النسوي. نُفي أدب المرأة إلى الهامش واحتلّ أدب الرجل المتن. أدب يدّعي امتلاكه الحقّ القدرّي يواجه أدباً منفياً خارج التخوم.

تُرى هل يمكن الكلام على أدب نسائي مثلما يجري الكلام مثلاً على أدب عربي وآخر أجنبي، على أدب واقعي وآخر رمزي، على أدب سياسي وآخر اجتماعي؟ ألا تشارك المرأة مثل الرجل تماماً، في صنع الآداب جميعها؟ ألا تسهم أيضاً في خلق الأدب الإنساني العام الذي ينطلق من الإنسان ويتوجّه إلى الإنسان؟

وإذا كان من الصعب تجاهل ظاهرة الأدب "النسائي" أو "النسوي" المستشرية في العالم العربي، بعدما سعت كاتبات وناقداً عربيات إلى ترسيخها انتقاماً لصورتهنّ وانتقاماً من سلطة الرجل، فما يمكن فعله هو إلغاء النزعة "العنصرية" التي تسم هذا الأدب والتي أصرّت عليها كاتبات ومؤسّسات أو جمعيات نسوية. فهذه النزعة "العنصرية" تشبه النزعة الأخرى، الذكورية، التي ابتدعها وتبنّاها كتّاب "ذكوريون" منذ أعوام بعيدة. أدب المرأة هو أدب الإنسان مثلما أن أدب الرجل هو أدب الإنسان. أما الخصائص التي تختلف بين الأدبين والخصال التي تميّز بين واحدتهما والآخر، فهي لا يمكن إدراجها إلا في باب الضرورة. إنها الخصائص أو الخصال نفسها التي تميّز أدباً عن أدب آخر، أو أدباً سياسياً عن أدب سياسي آخر.

لعلّ أهم ما سعت إليه المؤتمرات الثلاثة هو خلق مناخ مختلط، امتزجت فيه وتساوت، أصوات الكاتبات والكتّاب. لم تنفِ الصوت الذكوري لتقتصر على الأصوات النسائية، بل أتاحت للكاتبة الرجل أن يطرح رأيه ويعبر عن وجهة نظره حيال أدب المرأة، وأن يشارك في

من بين التوصيات التي رفعت في ختام مؤتمر "الحرية في الأدب النسائي" أن تخصص جائزة للأدب النسائي تشجيعاً للمرأة العربية المبدعة، وأن تخصص جائزة للنقد النسائي تشجيعاً لهذا الفرع المهم من فروع المعرفة، وأن تخصص وزارات الثقافة العربية والمؤسسات المعنية مساحة أكبر لنشر الأعمال الأدبية النسائية، إنشاء مركز أبحاث يعنى بإنتاج الإبداع النسائي في شتى فروعه..

كتاب الناقدة خالدة سعيد وعنوانه "في البدء كان المثنى" شاءته الناقدة منطلقاً للكشف عن قضايا الكاتبات المبدعات في العالم العربي. وسعياً إلى ترسيخ مقاربتها النقدية هذه تركّز خالدة على المفكر المصري قاسم أمين، فتتناول أفكاره وتستعرضها ثم تربطها بسياقها التاريخي، لكنها لا توفر من بعض الملاحظات النقدية متوقفة عند حال التناقض الذي اعترى فكره. فهو، بنظرها، يشدّد تارة على إنسانية المرأة ويتكلم عليها طوراً ببعدها الوظيفي والبيولوجي..

أفكاره وتستعرضها ثم تربطها بسياقها التاريخي، لكنها لا توفر من بعض الملاحظات النقدية متوقفة عند حال التناقض الذي اعترى فكره. فهو، بنظرها، يشدد تارة على إنسانية المرأة ويتكلم عليها طوراً ببعدها الوظيفي والبيولوجي. ومن الكاتب اللواتي تناولتهنَّ خالدة: فدوى طوقان، أندريه شديد، سحر خليفة، ليانة بدر، نادية تويني، سنية صالح وسواهن.

وفي السياق نفسه أصدرت الكاتبة الأردنية زليخة أبو ريشة كتاباً بعنوان **أنثى اللغة** ساعية فيه إلى مواصلة مشروعها الأدبي والفكري الداعي إلى تحرير المرأة من التصنيف النسوي. تحاول أبو ريشة المعروفة بنتاجها الإبداعي، الشعري والنثري، أن تستبدل الخطاب اللغوي والثقافي العربي الذي تهيمن عليه الثقافة الذكورية، بخطاب آخر يعيد إلى المعجم اللغوي والثقافي العربي طابعه الحيوي والمتنوع في صيغة تولي اهتماماً كبيراً لشخصية المرأة العربية ولحضورها البارز في المشهد الثقافي العربي، وتعيد الاعتبار إلى الدور النسوي في إدارة شؤون العالم. وتخصّ الكاتبة رواية **ذاكرة الجسد** للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي بفصل عنوانه **اللغة المذكرة في الرواية المؤنثة**. وفي رأيها أن لغة مستغانمي ذكورية بامتياز ما جعل من منظومتها الفكرية منظومة ذكورية تملك النظرة الاستعلائية الذكورية نفسها إلى المرأة. أما أحلام مستغانمي التي ما زالت أعمالها مثار سجال في حقل النسوية، فأطلت خلال العام 2009 بكتاب "نسوي" لافت جداً، بعنفه الرمزي وصرخته الحادة. وبدا الكتاب مفاجأة حقاً في مرحلة تكاد تنعدم فيها ثقافة الفعل النسوي أو الذكوري، ولا سيما في الأدب والإبداع عموماً، وهنا تكمن خطورة هذا الكتاب. كان قراء الكاتبة أحلام مستغانمي ينتظرون

فروع المعرفة، أن تخصّص وزارات الثقافة العربية والمؤسسات المعنية مساحة أكبر لنشر الأعمال الأدبية النسائية، إنشاء مركز أبحاث يعنى بإنتاج الإبداع النسائي في شتى فروعه. وبدا واضحاً من خلال هذه التوصيات أن المؤتمر لم يسع إلى نقض مقولة "الأدب النسائي" وتخطيها، بمقدار ما حاول بلورتها وإضفاء طابع "إنساني" عليها. ولعلّ هذا ما يؤكّد رسوخ "الخانة" التي طالما أدرج فيها أدب المرأة، والتي سيظلّ يدرج فيها، على خلاف الأدب النسائي في الغرب الذي تخطى هذا "الشرك" أو هذا "السجن" الرمزي الذي أسهم الرجل والمرأة معاً في صنعه.

المرأة الكاتبة

أما على مستوى التأليف والنشر فبرزت كتب عدّة في هذا الميدان وبدت كأنها تواصل السجال حول الأدب النسوي. وأوّل كتاب يمكن التوقف عنده هو كتاب الناقدة **خالدة سعيد** وعنوانه **في البدء كان المثنى (دار الساقى)**. وهذا الكتاب شاءته الناقدة منطلقاً للكشف عن قضايا الكاتبات المبدعات في العالم العربي لكنّها لم تحصره في الإبداع الأدبي، بل تناولت من خلاله أيضاً التجربة النسائية والوجود النسائي. والكتاب لا يمكن إطلاقاً "تهمة" النسوية عليه، لأنّه مقارنة نقدية عميقة تتناول وضع المرأة في المجتمع العربي من وجهات نظر عدّة وتكشف بالتالي منظومة من الأفكار تتعلق بالعلم والمعرفة والتربية والفكر.

في المقدمة تطرح الناقدة أفكارها التنويرية وترسم وجهة كتابها والأسباب التي حملتها على معالجة وضع المرأة المتدنّي بحوافزه وخلفياته وبالنتائج التي آل إليها. وسعيّاً إلى ترسيخ مقاربتها النقدية هذه تركّز **خالدة** على المفكر المصري **قاسم أمين**، فتتناول

كان قراء الكاتبة أحلام مستغانمي ينتظرون رواية جديدة لها لكنها فاجأتهم بكتاب يصعب تصنيفه، فلا هو رواية ولا مجموعة قصصية ولا مجموعة مقالات... كتاب لا هوية له، وقد يكون أقرب إلى "البيان" النسوي مؤزّعاً على فصول. وغرابة هذا الكتاب تبدأ من عنوانه وهو نسيان كوم الذي يتكئ على الشعار الإلكتروني الرائج. ولعلها قصدته لتعلن عنوان الموقع النسوي الجديد الذي أعلنت تأسيسه في هذا الكتاب..

قارئ روايتها إلى التاريخ السحيق الذي أعلى من مقام الرجل ومكانته ودوره، وأخضع المرأة لمنزلة دون منزلة الرجل. وإن كانت **السعداوي** ترفع لواء الدفاع عن المرأة بالمطلق، فإنها تقسو على بنات جنسها الخانعات المتخاذلات المتردّات، وتحضهنّ على انتزاع حقوقهنّ بأيديهنّ، واستعادة العلاقة المتوازنة بينهنّ وبين الرجل، أيًا كانت صفته.

ومن الكتب اللافتة في هذا الميدان أيضاً كتاب الناقد الأردني **نزيه أبو نضال** وعنوانه **حدائق الأنثى (دار أزمنة)**. والكتاب هذا يتّسم بالشمولية في الموضوعات والقضايا والمصطلحات والأجناس المتنوعة في إبداع المرأة. لا يؤيّد الكاتب رفض بعض الكاتبات لتسمية الكتابة النسوية، مبرراً ذلك بالوضع الاجتماعي للمرأة العربية تاريخياً، وبالخصائص البيولوجية ثانياً. ويشير هنا إلى أن الكتابة النسوية لا تعني نسبتها إلى المرأة الكاتبة مقدار ما تعني نسبتها إلى مضمون الكتابة ذاتها، من حيث تناولها قضايا المرأة، ويحدّد المسألة هنا بالجنسوية والجنس. وقد يتوافق البعض مع تصوّر الكاتب هذا وقد يختلف البعض معه، فمثيرات الانحياز إلى كتابة نسوية، ليست كافية أو واضحة، فالوضع الاجتماعي للمرأة العربية ليس نتيجة ثقافة مجزأة، مقدار ما هو تجلّ لثقافة اجتماعية واحدة، وهي ثقافة متغلغلة في المرأة العربية كما في الرجل نفسه.

مفارقات القصة القصيرة

غالباً ما يدور الكلام في الساحة الأدبية العربية على أزمة القصة القصيرة ومعاناتها، حتى أن بعض النقاد لا يتوانى عن الحديث عن "موت" القصة القصيرة. لكنّ العام 2009 لم يكن مجحفاً بحقّ هذا الجنس

رواية جديدة لها لكنها فاجأتهم بكتاب يصعب تصنيفه، فلا هو رواية ولا مجموعة قصصية ولا مجموعة مقالات... كتاب لا هوية له، وقد يكون أقرب إلى "البيان" النسوي مؤزّعاً على فصول. وغرابة هذا الكتاب تبدأ من عنوانه وهو **نسيان كوم (دار الآداب)** الذي يتكئ على الشعار الإلكتروني الرائج. ولعلها قصده لتعلن عنوان الموقع النسوي الجديد الذي أعلنت تأسيسه في هذا الكتاب. وحمل الغلاف جملة أو "إعلاناً" مثيراً مؤداه أن هذا الكتاب "يحظر بيعه للرجال". وقد جاهرت أحلام في أحد الفصول الأخيرة بأن عليها جمع أربعين ألف توقيع نسائي عبر هذا الكتاب.

قد يظنّ قراء **أحلام مستغانمي** أن هذا الكتاب ضرب من "المزاح" الذي شاءت الكاتبة الأكثر شهرة عربياً، أن تلاطفهم به وتؤانسهم، لكنه لم يخل من اللهجة الحاسمة والمواقف النسوية الصارمة والحماسة النضالية، على الرغم من بعض "النكات" أو "اللقطات" الطريفة والساخرة التي تتخلّله. لا تتكرّر أحلام أن الكتاب "جردة نسائية ضدّ الذكورة"، وقد أذاعت في مستهله ما سمّته الـ "بلاغ رقم واحد"، معلنة تأسيس "حزب جديد"، هو كما يفهم القارئ للتوّ حزب "النسيان". ولعل أجمل وصف تبتدعه للنسيان هو أنه "أفضل كريم ضدّ التجاعيد".

الكاتبة والطبيبة **نوال السعداوي** لم تغب هذا العام أيضاً عن معترك الأدب النسوي، فقد أصدرت رواية بعنوان **زينة (دار الساق)**، وفي هذه الرواية تصوّر **السعداوي** على أداء دور المصلحة والمناضلة النسوية والباحثة والطبيبة والمرشدة الاجتماعية. وهي أصلاً معروفة بدفاعها عن النزعة الأنثوية في وجه الذكورية، الأنثوية القويّة أو المتينة والقادرة فعلاً على مواجهة السلطة الذكورية. وتحيل

بعض النقاد لا يتوانى عن الحديث عن "موت" القصة القصيرة. لكنّ العام 2009 لم يكن مجحفاً بحقّ هذا الجنس الأدبي الملتبس إذ أطلقت القاهرة أول ملتقى عربي للقصة القصيرة وقد شارك فيه نقاد وقاصون وروائيون لمعالجة فنّ القصة القصيرة وإشكالياتها المتعدّدة. القضية الأولى التي تمت مواجهتها هي ندرة القاصّين أو الأدباء المتفرّغين لكتابة القصة القصيرة. إنهم قلّة فعلاً أولئك الكتّاب الذين اكتفوا بهذا الفنّ الذي لا يزال شبه هجين وشبه مهدّد دوماً أمام "زحف" الرواية التي تحتلّ "الساحة" الأدبية..

غير أن تنتمي إلى الشعر... لم تستطع القصة يوماً أن تصبح نوعاً ثابتاً بمعاييرها وشروطها، وربما هنا تكمن فرادتها. إنها نوع مفتوح على احتمالات الكتابة نفسها. ومهما سعى النقاد إلى حصر مواصفاتها أو شروطها التي باتت معروفة، فهي تظل غير قابلة للحصر، وقد اختلف النقاد أنفسهم حولها إلى حدّ التناقض. هذه القصة القصيرة التي قد تطول حيناً وقد تقصر حيناً حتى لتصبح قصيرة جداً فلا تتعدى الأسطر، ما زالت تحير النقاد والكتاب أنفسهم الذين "أدمنوها" كفنّ ثانٍ أو ثانوي. القصّة أعطت كلّ الفنون الأخرى، ولا سيما الرواية والقصيدة، لكنّ هذه الفنون لم تعطها مقدار ذرّة ممّا أعطت. كم من قصة كانت منطلقاً لرواية، وكم من قصة استحوّلت قصيدة من قصائد النثر، وكم من قصّة كانت مادّة تجريبية لبناء نصّ مفتوح على المغامرة في اللّغة كما في الشكل. ولعلّ ما يلفت أن القصة شهدت أقصى تجلياتها على يد الروائيين أو الشعراء وكأنها صنيعهم الفريد. ولا يمكن بالطبع إنكار بضعة قاصين برعوا في بلورة الفنّ القصصي وفي منحه شرعيته وترسيخه كنوع مستقل. لكنهم قلّة إذا ما قيسوا بالروائيين الذين كتبوا القصة. وبدت قصص هؤلاء بديعة في أحيان، ورائدة بجمالياتها ولحظوياتها أو كثافتها، وبعنفها التعبيري وقدرتها. ولم يكن من الخطأ القول إن الروائيين هم الذين تولّوا فنّ القصة العربية في القرن العشرين وطوّروه ووَسَّعوا آفاقه: نجيب محفوظ، يوسف حبشي الأشقر، محمد البساطي، توفيق يوسف عواد، غسان كنفاني، فؤاد التكرلي، وليد إخلاصي، إسماعيل فهد إسماعيل، إدوار الخراط، إبراهيم أصلان، بهاء طاهر وسواهم... لكنّ هذه المقولة لا تقدر أن تلغي أسماء كبيرة انصرفت للإبداع القصصي دون سواء وكانت

الأدبي الملتبس إذ أطلقت القاهرة أول ملتقى عربي للقصة القصيرة وقد شارك فيه نقاد وقاصون وروائيون لمعالجة فنّ القصة القصيرة وإشكالياتها المتعدّدة.

والقضية الأولى التي تمتّ مواجهتها هي ندرة القاصّين أو الأدباء المتفرّعين لكتابة القصة القصيرة. إنهم قلّة فعلاً أولئك الكتاب الذين اكتفوا بهذا الفنّ الذي لا يزال شبه هجين وشبه مهّد دوماً أمام "زحف" الرواية التي تحتلّ "الساحة" الأدبية. وإذا بحثنا اليوم عن قاصّين صرفوا حياتهم لهذا الفنّ وحده، مكرّسين له أفعالهم ومخيلاتهم، لما وجدنا إلا بضعة أسماء. فما من كاتب بات يهّمه أن يُسمّى "قاصّاً" فقط. قد تعنيه هذه التسمية لو هي أضيفت إلى تسميات أخرى مثل: روائي أو شاعر ومسرحي. أما هذه التسمية بذاتها فلا تغري أحداً اليوم، وقد تعني تهميش من يحملها أو إقصاءه من المشهد الأدبي العام، ولا سيما في هذا الزمن الذي يحلو لبعضهم أن يسمّيه زمن الرواية.

غير أن غياب صفة "القاص" لم تعن يوماً غياب القصة القصيرة عن المشهد الأدبي العربي. فهذا النوع الذي يصعب "الإمساك" به أو أسره ضمن مواصفات أو مقاييس نهائية، يحتلّ المرتبة الثانية في تجارب الكتاب، روائيين كانوا أم شعراء أم مسرحيين. أصبحت القصة فناً ثانوياً أو فناً مرتبطاً بالأنواع الأخرى، يكملها ولكن لا يسبقها. ولعلّ طبيعة القصّة نفسها هي التي دفعتها إلى أن تكون فنّ "البين بين"، أي ذاك الفنّ الذي تتقاسمه الفنون الأخرى ولا تعترف به إلا بصفته "تابعاً". فالقصّة تنتمي إلى عالم يمكن وصفه بـ "المحتمل" أو "المفترض". إنها "تحكي" لكنها ليست بحكاية، تروي لكنها ليست رواية، وتقارب القصيدة من

الحدث البارز هو منح "ملتقى القاهرة الأول للقصة العربية" جائزته الأولى إلى القاص السوري زكريا تامر، وقد كانت هذه الجائزة أهمّ تكريم يحظى به زكريا هو الذي يقارب التاسعة والسبعين من العمر. فاز تامر سابقاً بجوائز عدّة، لكنّ هذه الجائزة كرّست ريادته للقصة العربية الجديدة في مرحلة ما بعد يوسف إدريس..

واعتمد لغة مغرقة في كثافتها وشعريتها، واختلق شخصيات غاية في الطرافة والألفة. وجمع **تامر** بين الواقع القاسي والمخيلة الرحبة القادرة على إضفاء طابع سحري على الأشخاص والأحداث. ومعروف أن زكريا تامر دخل عالم الكتابة من باب حرفة الحدادة التي زاولها أعواماً، بدءاً من الثالثة عشرة من عمره، بعدما اضطر إلى ترك المدرسة، على غرار كثيرين من أطفال حارته الدمشقية الفقيرة. وعندما انتقل إلى "مهنة" الكتابة لم يتخل عن المطرقة التي كان يهوي بها على الحديد "بل بقي حدادا شرساً ولكن في وطن من الفخار"، كما قال فيه مرةً صديقه **محمد الماغوط**. وسرعان ما حلق هذا الكتاب الشاب في حقل الكتابة عبر قصصه ومقالاته الساخرة. وعندما أصدر مجموعته القصصية الأولى **سهيل الجواد الأبيض** العام 1960 حاز اهتمام النقاد والكتاب والقراء، فهو منذ هذه القصص الأولى استطاع أن يجد لنفسه موقعاً في الحركة القصصية العربية التي كان من روادها **يوسف إدريس** و**نجيب محفوظ** و**توفيق يوسف عواد** و**يوسف الشاروني** وسواهم. وبدأ صاحب صوت فريد، ببساطته وعمقه، برمزيته وشفافية لغته. ويمكن القول إن **زكريا تامر** أحدث ثورة في فنّ القصة، متخطياً المدرسة الواقعية التي أسرتها طوال أعوام، جاعلاً من القصة حافزاً على التجريب القصصي، في اللغة والأسلوب والقصّ أو السرد. ونجح تماماً في كتابة قصص تنطلق من بيئته الأولى وهي الحارة الدمشقية التي لم يتخل عنها البتّة. فشخصياته وحكاياته وطرائقه، كلّها مقطوفة من تلك الحارة، ولم يكن له إلا أن يضيف عليها لمسته الساحرة حتى تخرج من أسر المحلية فتخاطب القراء حيثما كانوا. أجاد زكريا تامر لعبة التخيل والسخرية المرّة

لها آثارها البديعة: **يوسف إدريس**، **فؤاد كنعان**، **يوسف الشاروني**، **زكريا تامر**، **محمود شقير**، **يحيى الطاهر عبد الله** وسواهم.

"ملتقى القاهرة الأول للقصة العربية"

الذي عقده المجلس المصري الأعلى للثقافة في مطلع شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2009، شاركت فيه 16 دولة عربية وشهد سجلاً شاملاً حول الجنس الأدبي الذي يستحق أن يحتل صدارة المشهد في الوقت الراهن. وأصدر المجلس لمناسبة هذا الملتقى كتاب المرافقة في قصص **يوسف إدريس**، للشاعرة والناقدة المصرية **نجاحة علي**، وكتاباً آخر بعنوان **الصوت المنفرد... مقالات في القصة القصيرة لفرانك اوكونور**، ترجمة **محمود الربيعي**. كما أصدر كتاباً مرجعياً عنوانه **مشهد القصة القصيرة في الوطن العربي**، وكتاباً آخر عنوانه **من عيون القصة المصرية** وهو عبارة عن ثلاثة مجلدات تشتمل على مختارات قصصية خلال المئة عام الماضية. وأعاد المجلس الأعلى للثقافة نشر كتاب **القصة القصيرة في مصر** للنقاد الراحل **شكري عياد**.

إلا أن الحدث البارز هو منح "ملتقى القاهرة الأول للقصة العربية" جائزته الأولى إلى القاص السوري **زكريا تامر**، وقد كانت هذه الجائزة أهمّ تكريم يحظى به **زكريا** هو الذي يقارب التاسعة والسبعين من العمر. فاز **تامر** سابقاً بجوائز عدّة، لكنّ هذه الجائزة كرّست ريادته للقصة العربية الجديدة في مرحلة ما بعد **يوسف إدريس**. وبدأ إعلانها في القاهرة خلال الملتقى، اعترافاً عربياً بهذه الريادة.

وكان منتظراً فوز **زكريا** بالجائزة، فهذا القاص الرائد أمضى حياته يكتب القصة، منصرفاً عن أيّ جنس أدبي آخر. كانت القصة الميدان الوحيد الذي خاضه بجرأة وبراعة. وقد أبدع عالماً قصصياً لم يكن مألوفاً سابقاً،

بدأ مهرجان بيروت 39 أحد أهم المهرجانات الأدبية العربية الشبابية خلال العام 2009. ولعلّ أهمية هذا المهرجان تكمن في تأكيده أن الأدب العربي الشاب ظاهرة لا يمكن تجاهلها مهما بدت ملتبسة وعامة أو "شاملة" بالأحرى. فهذه الظاهرة لا بدّ من التوقف عندها لأنها تحمل أولاً نواة الأدب المنتظر مستقبلاً ولأنها تمثل ثانياً المشهد الراهن. وقد شهد المهرجان سجلاً عربياً واسعاً بين مؤيدين ومعارضين علاوة على التغيرات التي طرأت على أسماء لجنة التحكيم.. وصدر كتاب في المناسبة هو عبارة عن أنطولوجيا ضمّت نصوصاً للكتاب الـ39 مع سير موجزة لهم وفي نسختين بالعربية والإنكليزية..

أحرزتها القصة القصيرة السودانية في العقود الأخيرة. وإن ظلّ النقد يتحدث لوقت طويل عن تأثر القصة السودانية بالتجارب المصرية في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، بل حتى ببعض التجارب الحديثة، فإن هذه المختارات تكشف أن ثمة خصوصية لافتة بدأت تبرز في القصة السودانية الجديدة.

وقد انفتحت في معظمها على معطيات الحياة السودانية، في العقود الأخيرة، في المدينة والريف، واستوتحت على نحو خاص الحروب التي شهدتها السودان، خصوصاً حرب الجنوب، وإفرازاتها كالهجرة والنزوح والجوع والتشرد.

تحولات أدب الشباب

بدا مهرجان بيروت 39 أحد أهم المهرجانات الأدبية العربية الشبابية خلال العام 2009. فهذا المهرجان الذي نظمته مؤسسة هاي فستيفال البريطانية بالتعاون مع وزارة الثقافة اللبنانية في سياق الاحتفال بـ بيروت عاصمة عالمية للكتاب 2009 جمع 39 كاتباً عربياً شاباً من 14 بلداً عربياً أحيوا 50 نشاطاً أدبياً خلال أربعة أيام. وما تجدر الإشارة إليه هو غزارة المشاركة الشبابية العربية في المسابقة، إذ بلغ عدد المشاركين أكثر من 450 كاتباً وكاتبة من معظم الدول العربية، ومن المغرب العربي والأوروبي والأميركي. وكان على أعضاء لجنة التحكيم التي ترأسها الناقد المصري جابر عصفور، والتي ضمت الروائية اللبنانية علوية صبح، والشاعر العماني سيف الرحبي، والشاعر والناقد اللبناني عبده وزن، أن تراجع أعداداً كبيراً من الكتب التي أرسلها المؤلفون والناشرون، وتقرأها وتقرؤها. وقد اعتمدت لجنة التحكيم منهج الاختيار المتعاقب، فاختارت في البدء

والهزء. ولا غرابة أن يقترب الواقع لديه من الحكاية أو الأسطورة الصغيرة، فتصبح القصة مسرحاً من الأخيلا والظلال والوجوه.

ازدهار القصة في السودان

لعلّ ما يلفت الانتباه في حقل القصة القصيرة خلال العام 2009 هو الازدهار الذي شهدته في السودان فقد نشط نادي القصة طوال هذا العام وعقد ندوات ناقشت تقنيات كتابتها واستحضرت تجارب عدد من الأسماء القصصية الرائدة، وترافق ذلك مع مسابقات عدّة أقامتها جهات مثل وزارة الثقافة ومركز عبد الكريم ميرغني الثقافي. وقد شهد هذا العام أيضاً صدور مجموعات قصصية كثيرة. ويبدو هذا دليلاً واضحاً على حيوية لطالما افتقدتها المشهد القصصي السوداني نظراً إلى ما ظلّ يعانيه من غياب للمنابر وضعف في حركة النشر، على الرغم من أنه كان سابقاً في الستينيات من القرن الماضي، عندما أصدر إحدى أولى المجالات العربية المتخصصة في القصة القصيرة على يد عثمان علي نور.

ولعلّ ما بدا تنويجاً لهذا الازدهار صدور أنطولوجيا أو مختارات، تضمّ نصوصاً لـ 31 كاتباً قصصياً سودانياً في إطار مهرجان الثقافة الأفريقية الثاني الذي أقامته الجزائر خلال هذا العام، وجاءت بعنوان غابة صغيرة وقد أعدّها وقدم لها الكاتب نصار الصادق الحاج. وهذه الأنطولوجيا التي تقع في 423 صفحة من القطع المتوسط تلفت بصورها خارج السودان أي من الجزائر، وبالتالي يمكن القول إنها أول بادرة عربية في الاهتمام بالأدب السوداني الذي ظلّ لوقت طويل على هامش المراكز الثقافية العربية وكلّ أسمائه الإبداعية مختزلة في اسم هو الطيب صالح! وهذا الكتاب يلقي ضوءاً على التطوّرات التقنية التي

شهد العام 2009 ازدهاراً لأدب القصة في السودان، حيث نشط نادي القصة في الخرطوم وعقد سلسلة لقاءات وندوات ناقشت تقنيات القصة وتطوّر أساليبها.. كما استحضرت الندوات تجارب نفر من الأسماء القصصية السودانية الرائدة، وترافق ذلك مع مسابقات عدّة أقامتها جهات مثل وزارة الثقافة ومركز عبد الكريم ميرغني الثقافي.. كما صدرت مجموعات قصصية سودانية كثيرة جاءت كتعويض على غياب المنابر وضعف حركة النشر في العقود الثلاثة الأخيرة..

(مصر)، زكي بيضون (لبنان).

وقد شهد المهرجان سجلاً عربياً واسعاً، بين مؤيدين ومعارضين، علاوة على التغييرات التي طرأت على أسماء لجنة التحكيم. وصدر في المناسبة كتاب هو عبارة عن أنطولوجيا ضمت نصوصاً للكتاب التسعة والثلاثين مع سير موجزة لهم، في نسختين، بالعربية والإنكليزية عن دار بلومزبري (لندن - الدوحة).

ولعل أهمية هذا المهرجان تكمن في تأكيد أن الأدب العربي الشاب ظاهرة لا يمكن تجاهلها مهما بدت ملتبسة وعامة أو "شاملة" بالأحرى. فهذه الظاهرة لا بد من التوقف عندها لأنها تحمل أولاً نواة الأدب المنتظر مستقبلاً ولأنها تمثل ثانياً المشهد الراهن.

إلا أن الصفة "الشبابية" التي تطلق على هذه الظاهرة غالباً ما تكون "عمومية" وبلا حدود أو مقاييس. فهذه الصفة يمكن إطلاقها على بضعة أجيال تتوزع خلال عقدين أو ثلاثة مثلما تطلق على الجيل الراهن الذي يخطو خطواته الأولى في عالم الأدب. إنها صفة فضفاضة تحتل أكثر من موصوف، لكن هذا الالتباس لم يكن عائناً دون تعيين هذا الأدب وقراءته بصفته أدباً شاباً وراهنًا ومختلفاً عما سبقه من أدب ينتمي إلى أجيال أخرى. وباتت الصفة "الشبابية" تطلق على الجيل الجديد الذي تخطى مرحلة "الابتداء" أو "الهواية" وبتيهاً ليدخل مرحلة الاحتراف أو لعله دخلها. وبعيداً من هذه "الإشكالات" في التسمية والوصف أو التعيين سعت مؤسسة المورد المصرية إلى رصد حركة الأدب العربي الشاب أو "الراهن" وإحياء لقاءات متتالية في عواصم عربية عدة، جامعة الأسماء والوجوه شابة، فاسحة أمامها المجال لتتعارف وتتبادل الخبرات والأفكار وتعمل معاً في ما يشبه المحترفات الأدبية. وقد نجمت عن هذه

مئة اسم ثم ستين اسماً إلى أن توصلت إلى الأسماء التسعة والثلاثين. والأسماء التسعة والثلاثون هذه تم اختيارها انطلاقاً من رسوخ نتائجها الإبداعية، روائياً وقصصياً وشعرياً، وما يمثل من أصالة وتحديث في الوقت نفسه، ومن استجابة للمعايير الأدبية والنقدية. إنها أصوات مبدعين شباب، استطاعوا أن يكونوا شخصياتهم وأن يفرضوا تجاربهم، متميزين بأساليبهم الخاصة ولغاتهم ومقارباتهم، ورؤاهم أو مواقفهم.

أما الفائزون فهم: عبدالله ثابت (السعودية)، عبدالعزيز الراشدي (المغرب)، عبدالقادر بن علي (المغرب)، يكتب بالهولندية)، عبدالرحيم الخصار (المغرب)، عبدالرزاق بوكبة (الجزائر)، عبدالله طابع (المغرب)، يكتب بالفرنسية)، عدنية شبلي (فلسطين)، أحمد سعداوي (العراق)، أحمد يمان (مصر)، علاء حليحل (فلسطين)، يحيى أمقاسم (السعودية)، باسم الأنصار (العراق)، ديمة ونوس (سورية)، فايزة غوين (الجزائر)، تكتب بالفرنسية)، هالة كوثراني (لبنان)، حمدي الجزار (مصر)، حسين العبري (عمان)، حسين جلعاد (الأردن)، هيام يارد (لبنان)، تكتب بالفرنسية)، اسلام سمحان (أردني)، جمانة حداد (لبنان)، كمال الرياحي (تونس)، منصور الصويم (السودان)، منصور عز الدين (مصر)، محمد حسن علوان (السعودية)، محمد صلاح العزب (مصر)، نجاة علي (مصر)، نجوى بن شتوان (ليبيا)، نجوان درويش (فلسطين)، ناظم السيد (لبنان)، ربيع جابر (لبنان)، رندا جرار (فلسطين)، تكتب بالإنكليزية)، روزا ياسين حسن (سورية)، سمر يزبك (سورية)، سامر أبو هواس (فلسطين - لبنان)، وجدي الأهدل (اليمن)، ياسين عدان (المغرب)، يوسف رخا

الأدب السعودي" لـ **محمد المشوح**، و"الأدب السعودي والإبداع الإلكتروني" لـ **عفت خوقير**، و"تطوير تقنيات الصورة في الشعر السعودي المعاصر" لـ **عبد الرحمن المحسني**، و"مواقع الأدباء السعوديين الشخصية" لـ **منيرة المبدل**، و"مدخل لدراسة الشعر السعودي المعاصر" لـ **حسن الهويل**، و"مكة المكرمة في شعر شعراء جازان" لـ **حجاب الحازمي**.

وفي ختام فعاليات المؤتمر رفع عدد من المثقفين بياناً موجهاً إلى وزيرة الثقافة والإعلام، ضمّنوه مطالب أساسية، ومنها: "الشروع في اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذ توجهات الحكومة بإعلان اتحاد الأدباء والكتاب السعوديين، ليكون مظلة تنظيمية لتدارس شؤونهم ورعاية مصالحهم ودعم صورة وطنهم أمام العالم. وفي رأيهم أن الأدباء ما زالوا خارج الكثير من المنظومات الإقليمية والدولية لعدم وجود هذا الاتحاد في البلاد. وأشاروا إلى أنهم يأملون من وزارة الثقافة والإعلام أن تشرع في استحداث أنظمة التفرغ للأدباء السعوديين، مع ضمان مصادر عيشهم، ورعاية شؤونهم اليومية. والتمس المثقفون من الوزارة السعي نحو تحقيق حلم صندوق وطني لرعاية الأدباء، ودعمهم في حال المرض والحاجة إلى العيش الكريم. وأعلنوا عن طموحهم بأن يكون مؤتمر الأدباء السعوديين في الدورات المقبلة، ملتقى للأدباء لمناقشة همومهم ومطالبهم.

ولم يخل المؤتمر من ملاحظات نقدية سجّلها أدباء سعوديون، لكن هذا المؤتمر اعتبر حدثاً ثقافياً كبيراً إذ حرّك الآراء وأثار سجلاً واسعاً.

البادرة محترفات أدبية.

لكن هذه البادرة تحتاج فعلاً إلى المزيد من البلورة والترسيخ لأنها تخلق حالاً من المراجعة الذاتية والجماعية التي تحتاجها حركة الأدب الشاب. إنها فرصة ملائمة ليكون هؤلاء الشباب على بيّنة ممّا يكتبون، سواء نجحوا فيه أم أخفقوا. فالآراء المتبادلة تسمح لهم في أن يتخطوا عثراتهم وهنّاتهم وهي غالباً ما تواجه الأدباء في مستقبل شبابهم. وخلال هذه اللقاءات يظلّون على تواصل وتعاون، فيتابع بعضهم بعضاً ويسعون جميعاً إلى توطيد تجاربهم وتحديد مواقعهم على الخريطة الأدبية.

الأدب السعودي مادة سجالية

شهدت مدينة الرياض أضخم مؤتمر للأدباء السعوديين العام 2009، وهو المؤتمر الثالث بعد المؤتمر الأول الذي عقد العام 1974 والثاني الذي عقد العام 1998. إلا أن هذا المؤتمر هو الأبرز والأشمل وقد شارك فيه نحو خمسمئة أديب سعودي من أجيال وأطياف مختلفة، ونظّمته وزارة الثقافة والإعلام تحت عنوان: "الأدب السعودي وقضاياها"، وضمّه **مركز الملك فهد الثقافي في الرياض**، الذي شهدت أروقته حراكاً ثقافياً بين أطياف من المثقفين. وكانت أهداف المؤتمر هي تقديم بحوث عن الأدب السعودي وإقامة حوارات ثقافية شاملة. وقدّمت في الجلسات أوراق عدّة، عالج بعضها قضايا محورية، مثل "الأدب والمؤسسات الثقافية: نادي جدّة الأدبي أنموذجاً" لـ **عبد الفتاح أبو مدين**، و"الأدب والمؤسسات الثقافية" لـ **منصور المهوس** و"الصالونات الأدبية وأثرها في خدمة

شهدت الرياض في العام 2009 أضخم مؤتمر للأدباء السعوديين شارك فيه نحو خمسمئة أديب سعودي من أجيال وأطياف مختلفة، ونظّمته وزارة الثقافة والإعلام تحت عنوان "الأدب السعودي وقضاياها"، وكان من أهداف المؤتمر تقديم بحوث حول الأدب السعودي وإقامة حوارات ثقافية شاملة.. وقدمت أوراق عدّة عالج بعضها قضايا أدبية محورية مثل "مدخل لدراسة الشعر السعودي المعاصر" و"الأدب السعودي والإبداع الإلكتروني" ..

خلاصات

الصادرة هذا العام، ما يعني أن دور النشر تفتقد محررين يقرأون الرواية ويراقبون لغتها قبل اعتمادها للنشر، وما يعني أيضاً أن معظم دور النشر تفتقد آلية العمل المؤسّساتي، فهي أشبه بعمل هواة عابرين.

والمشكلة التي يواجهها العمل الإحصائي في النشر هو عدم احترام الدور لتاريخ صدور الكتب أو تاريخ طبعاتها الأولى، فتعتبر كل دار أن الكتاب الذي تصدره إنما هو في طبعته الأولى، وإن صدر في طبعة أو طبعات سابقة. وهذا ما يدلّ على افتقار قطاع النشر إلى خطة علمية تحافظ على صدقية النشر وحقّ الكاتب أو المؤلف.

ويبدو أن مصر تحظى، أكثر من البلاد العربية الأخرى، بتقاليد للنشر عبر مؤسّسات، قد تكون ضعيفة لكنها تعتمد آلية المؤسّسة واستقرارها. ويرجع ذلك إلى وضوح سوق الكتاب في بلد واسع الأرجاء كثير السكان ويضمّ شركات توزيع توصل المطبوعات إلى أبعد المناطق عن العاصمة.

وإذا كان عدد الروايات الصادرة خلال 2009 تخطى 300 رواية، فإنّ عدد الدواوين أو المجموعات الشعرية بلغ بحسب الإحصاءات المعتمدة في هذا التقرير نحو 350 ديواناً أو مجموعة شعرية. أما القصص أو النصوص فكانت الأقلّ، وهذا يعود بالتأكيد إلى طبيعة هذا النوع الأدبيّ "المحايد" أو "المهمّش" الذي لم يعد يجذب إلا قلة من الكتّاب، وقد بلغ عدد

لثّن بدا الإنتاج الروائي خلال العام 2009 هو الأغرز كمّاً، إذ أمكن رصد أكثر من 300 رواية صدرت كلّها طوال هذا العام، فإن الإنتاج الشعري لم يكن قليلاً إذا ما قورن بالإنتاج الروائي في زمن بات يُسمى "زمن الرواية". ومع أنّ عملية الرصد لم تكن سهلة ولا كاملة نظراً إلى غياب الإحصاءات الرسمية التي تتولّاها عادة مؤسّسات أو مراكز وفي طليعتها اتحاد الناشرين العرب. ومَن يخض مجال إحصاء الإصدارات يجد نفسه مضطراً إلى العودة إمّا إلى دور النشر نفسها وإلى لوائحها، وبعضها، وهو كثير، لا يهتمّ بمثل هذه اللوائح الإحصائية الدقيقة، وأو إلى الصحافة والإنترنت ليتابع جديد المطابع، وأو إلى معارض الكتب التي باتت تشكّل الفرصة الأشدّ ملائمة لمتابعة حركة الإصدارات. وعلى خلال حركة النشر في العالم المتمدّن لا يمكن الوصول في العالم العربي إلى أرقام نهائية في النشر تبعاً لافتقار حركة النشر إلى نظام إحصائي شامل ولعدم إصدار لوائح شهرية متكاملة تضع للباحث وقائع النشر. ويمكن الكلام على فوضى ما، تسيطر على هذا القطاع وهي ذات وجوه عديدة ومن أبرزها تفرّد كل دار بنفسها من دون منح اعتبار للدور الأخرى، وكذلك عدم التعاون بين الدور أو عدم التنسيق، ناهيك بالقرصنة والنشر غير المشروع وسواهما.

ولا بدّ من ملاحظة وجود أخطاء لغوية وأخطاء في الصياغة في كثير من الروايات

المشكلة التي يواجهها العمل الإحصائي في النشر هو عدم احترام الدور لتاريخ صدور الكتب أو تاريخ طبعاتها الأولى، فتعتبر كل دار أن الكتاب الذي تصدره إنما هو في طبعته الأولى، وإن صدر في طبعة أو طبعات سابقة. وهذا ما يدلّ على افتقار قطاع النشر إلى خطة علمية تحافظ على صدقية النشر وحقّ الكاتب أو المؤلف.

سعيد مكايي (السائرون نياماً).

● الرواية الواقعية والسياسية لم تغب عن المشهد الروائي وهي لا يمكنها أن تغيب أصلاً، ولأسيماً أن توصيف الواقعية لا يمكن حصره ضمن مقاييس أو معايير ثابتة أو جاهزة. فالواقع هو المحرّض الأول على الكتابة الروائية، وهو متعدّد الأبعاد والتأويلات، ويمكنه أن يكون واقعياً صرفاً أو واقعياً اجتماعياً أو إنسانياً أو سياسياً... ويمكنه أيضاً أن يتبنى كلّ التوصيفات التي تطلق على الواقع والتي يتّسع لها هذا الواقع مثل الصفة الحلمية أو الفانتازية أو الطبيعة أو الأيديولوجية وسواها. وانطلاقاً من هنا يمكن إحصاء أعمال روائية عدّة تتوزّع في هذا الحقل الواقعي ومنها: امرأة تجهل أنها امرأة — حنا مينة، زينة — نوال السعداوي، لم أعد أبكي — زينب حفني، الوليمة العارية — علي بدر، شارع إبليس — أمين الزاوي، الثوب — طالب الرفاعي، شمس القراميد — محمد علي اليوسفي، عزف منفرد على البيانو — فواز حداد، اسمي سلمى — فادية الفقير، شارع العطايف — عبدالله بن بخيت، رماد الحب — علي خيون، حيوات متجاورة — محمد برادة، أصوات الصمت — محمد الأسعد، من يؤنس السيدة؟ — محمود ريمايي...

● الرواية ذات الطابع "الإناسي" أو الأنثروبولوجي كان لها حضور لافت خلال العام 2009، وهي رواية تقوم على البحث عن جذور أفراد وجماعات، وتحفر في البنى الفكرية لشعب معين وفي الذاكرة القديمة والأعراق والسلالات والعادات والتقاليد المتوارثة. ومن هذه الروايات: سلطانات الرمل — لينا هويان الحسن، رسول السماوات السبع — ابراهيم الكوني، اليهودي الحال — علي المقري، ساق الغراب — يحيى أمقاسم،

الإصدارات في هذا الميدان نحو 100 مجموعة قصصية.

على مستوى الحركة الروائية التي برزت خلال العام 2009 والتي بدت امتداداً طبيعياً للعام السابق وما قبله، لأنّ الإنتاج الروائي يقوم على التراكم، يمكن الاستنتاج بأنّ الأنواع الروائية أو الاتجاهات تداخلت بعضها ببعض في شكل عام ولم يطغ نوع على آخر، فالرواية التاريخية والرواية الواقعية أو السياسية والرواية ذات الهاجس الأنثروبولوجي والثقافي ترافقت من دون أن تسيطر واحدة منها على المشهد الروائي العام، على خلاف ما يحصل أحياناً. وهنا لا بدّ من تسجيل الاستنتاجات الآتية:

● الرواية التاريخية حضرت بشدّة خلال هذا العام، فالتاريخ مازال يجذب الروائيين الذين يسعون من خلال استعادته قراءة الواقع العربي الراهن. وهذا الإقبال على الرواية التاريخية يدل على الأزمة التي يعانيها الإنسان العربي والمجتمع العربي والمتمثلة في ترجّح الهوية واضطراب الذات الفردية والجماعية والخوف من المستقبل وسواها. فالعودة الروائية إلى التاريخ إنّما تعني قراءة الواقع المأزوم في مرآة التاريخ، والغاية محاولة الإفادة من معطيات الماضي واستخلاص العبر، علاوة على أنّ التاريخ، ولأسيماً بوجهه المضيء، يشكّل منفذاً إلى المصالحة مع الذاكرة والواقع في وقت واحد. ويمكن في هذا الصدد ذكر روائيين كانت لهم إسهاماتهم في ترسيخ الرواية التاريخية العام 2009 ومنهم: رضوى عاشور (ثلاثية غرناطة)، ربيع جابر (أميركا)، ألكسندر نجّار (بيروت)، سعيد الوهابي (سور جدّة)، محمد أبو معتوق (بلغني أيها الملك الحزين)، طارق الحيدر (حلة العبيد)،

إذ كان عدد الروايات الصادرة خلال 2009 تخطّى 300 رواية، فإنّ عدد الدواوين أو المجموعات الشعرية بلغ بحسب الإحصاءات المعتمدة في هذا التقرير نحو 350 ديواناً أو مجموعة شعرية. أما القصص أو النصوص فكانت الأقلّ..

العودة الروائية إلى التاريخ إنّما تعني قراءة الواقع المأزوم في مرآة التاريخ، والغاية محاولة الإفادة من معطيات الماضي واستخلاص العبر، علاوة على أنّ التاريخ، ولأسيماً بوجهه المضيء، يشكّل منفذاً إلى المصالحة مع الذاكرة والواقع في وقت واحد..

العراقي فيمكن حينذاك دراسة هذه الرواية كظاهرة قائمة بذاتها. ومن الأسماء الروائية العراقية الحاضرة العام 2009: **بثينة عيسى، برهان الخطيب، علي خيون، علي بدر، أحمد خلف، خضير فليح، عبد الجليل المياح، بتول الخضير، عبد الخالق الركابي، شاكور نوري وسواهم.**

● ولا بد من الإشارة إلى أن الرواية العربية هذا العام لم يتقدم توزيعها، وعلى الرغم من إصدار عناوين كثيرة لا يقبل القراء إلا على أسماء محدّدة لا تزيد على أصابع اليد الواحدة، ويلاحظ أن الروايات المترجمة تحظى بإقبال يفوق مثيلتها الموضوعة، فكأنّ القارئ العربي يحتاج وقتاً مديداً ليثق باسم روائي عربي جديد ويقبل على قراءة أعماله. أمّا على مستوى الإبداع الشعري خلال العام 2009 فكان المشهد غنياً ومتعدداً وقد تداخلت فيه التيارات الشعرية المختلفة حتى يتصعب فعلاً توصيف هذا المشهد من وجهة نقدية أو من ناحية صراع لأنواع على الرغم من سيطرة قصيدة النثر عليه. وهذه "السيطرة" أصبحت طبيعية بعدما انصرفت الأجيال الشعرية المتوالية منذ ثمانينيات القرن المنصرم إلى كتابة هذا النوع الشعري المتحرّر من سلطة الوزن والقافية ومن سيطرة الأشكال الثابتة والمشرّعة على المغامرة اللغوية والنصية. وانطلاقاً من هذا المشهد يمكن رصد الملاحظات الآتية:

● القصيدة الكلاسيكية المحافظة مازالت تحافظ على حضورها على الرغم من قلّة الشعراء الذين ما زالوا يعتنقون شروطها ومعاييرها. ولا تزال هذه القصيدة تهل من جماليات العصور السابقة، ولاسيما عصر النهضة، محافظة على المنهج الشعري

توترات القبلي لـ **أمير تاج السر، الحمام لا يطير** في بريدة لـ **يوسف المحميد** وسواها. ● الرواية القائمة على العلاقة بين الشرق والغرب بدت حاضرة أيضاً خلال هذا العام، وقد اكتسبت هذه العلاقة الجدلية أبعاداً أخرى تختلف عن الأبعاد التي سادت الروايات السابقة، ولاسيما الموجة الروائية المتمكنة الأولى التي كان من رُودها توفيق الحكيم وسهيل إدريس والطيب صالح. فالعلاقة هذه أضحت أشدّ تعقيداً نظراً إلى انتشار الروائيين أنفسهم في المنافي الغربية. لم تعد العلاقة في الروايات الجديدة قائمة على الثنائية التي كرّست رؤية نقدية إلى الغرب من خارجه أو بعيد الرحيل عنه ومغادرته، بل هي أضحت أشدّ عمقاً ومأسوية، لأنّ الروائيين باتوا ينتمون إلى هذا المنفى الغربي تبعاً لإقامتهم فيه. وقد أضحت الثقافة الغربية جزءاً من ثقافتهم اليومية. ومن الروايات التي دارت في هذا الحقل خلال العام 2009: **يوم غائم في البرّ الغربي** لـ **محمد المنسي قنديل، هواء قليل** لـ **جنان جاسم حلاوي، الغبار الأميركي** لـ **زهير الهيتي، قمر باريسي** لـ **أحمد جمعة، يوميات موسكو الحمراء** لـ **نزار دندش وسواها.**

● الرواية العراقية استطاعت هذا العام أن ترسخ نفسها أكثر فأكثر، سواء داخل العراق أم خارجه في المنفى. ولعلّ القضية العراقية التي برزت في المرحلة الأخيرة أضحت إحدى القضايا العربية المعقدة والإشكالية في الوقت الراهن. ولم يكن مستغرباً أن تكون الرواية هي الفسحة القابلة لمعالجة هذه القضية، بأبعدها وتناقضاتها ومآسيها. وقد شهدت الرواية العراقية في الآونة الأخيرة ازدهاراً لافتاً، أقله على مستوى الكمّ، ولا بد من انتظار الوقت كي يكتمل هذا المشهد الروائي

الرواية القائمة على العلاقة بين الشرق والغرب بدت حاضرة خلال هذا العام، ومن الروايات التي دارت في هذا الحقل خلال العام 2009: **يوم غائم في البرّ الغربي** لـ **محمد المنسي قنديل، هواء قليل** لـ **جنان جاسم حلاوي، الغبار الأميركي** لـ **زهير الهيتي، قمر باريسي** لـ **أحمد جمعة، يوميات موسكو الحمراء** لـ **نزار دندش وسواها..**

شهدت الرواية العراقية في الآونة الأخيرة ازدهاراً لافتاً، أقله على مستوى الكمّ، ولا بد من انتظار الوقت كي يكتمل هذا المشهد الروائي العراقي فيمكن حينذاك دراسة هذه الرواية كظاهرة قائمة بذاتها. ومن الأسماء الروائية العراقية الحاضرة العام 2009: **بثينة عيسى، برهان الخطيب، علي خيون، علي بدر، أحمد خلف، خضير فليح، عبد الجليل المياح، بتول الخضير، عبد الخالق الركابي، شاكور نوري..**

تمكّنت من ترسيخ مبادئها وجمالياتها. واليوم يتّجه معظم الشعراء الشباب والجدد إلى إعلان ولائهم لها وإلى خوض غمارها بجرأة تامة.

القصة القصيرة .. عزلة وتهميش

على مستوى القصة القصيرة، لا يزال هذا النوع الأدبي يعاني ما عاناه طوال الأعوام الماضية من تهميش أدبي وعزلة. وما يمكن ملاحظته للوهلة الأولى هو تراجع عدد الكتاب المكرّسين للقصة القصيرة أي الذين يُسمّون عادة قاصّين أو قصاصين على غرار يوسف إدريس وزكريا تامر وفؤاد كنعان ويوسف الشاروني ومحمود شقير. وهؤلاء قصروا إبداعهم على كتابة القصة كنوع أدبي فريد. أما الآن فاختلف الأمر ولم تعد القصة كنوع قائم بذاته تعني لكتابة ما عدا قلة قليلة يمكن استثناؤها. وباتت القصة وقفاً على كتاب ليسوا قاصّين أو قصّاصين، بل هم، إما روائيون، أو شعراء يلجأون إلى كتابة القصة من وقت إلى آخر من دون أن يكرّسوا لها جلّ عملهم أو همومهم. إنهم في معنى ما يكتبون القصة على هامش الرواية أو القصيدة. ولعل هذه الظاهرة هي التي أسهمت في إضعاف حضور القصة قياساً إلى الرواية والشعر، حتى باتت كأنها نوع أدبي هجين، يكتسب أهميته من كونه يقوم بين أنواع أخرى أو في وسطها. إلا أنّ هذا الانعكاس السلبي على النتاج القصصي لم يحل دون بروز أعمال قصصية مهمّة توالى على كتابتها روائيون من أمثال: علاء الأسواني (نيران صديقة)، عبد الرحمن مجيد الربيعي (ظلال تونسسية)، بهاء طاهر (لم أعرف أنّ الطواويس تطير)، إسماعيل فهد إسماعيل (مسك)، ليانة بدر (عين المرأة)، إبراهيم أصلان (حجرتان وصالة) وسواهم.

والشكلي وعلى نظام البيت والقافية وعلى مبدأ الموضوعات الشعرية والمناسبات وبخاصّة الوطنية. وتسعى بعض المؤسسات إلى دعم هذا التيار الشعري ونشر أعمال الشعراء الكلاسيكيين وفي طليعة هذه المؤسسات "مؤسّسة البابطين" في الكويت.

● القصيدة "التفعيلية" أو قصيدة التفعيلة ما زالت تجذب فئة غير قليلة من الشعراء، خصوصاً أولئك الذين ينتمون إلى مرحلة الستينيات والسبعينيات وجزء من مرحلة الثمانينيات. وهذه القصيدة القائمة على نظام التفعيلة وليس على نظام البيت الكلاسيكي هي الأكثر إصراراً على استيحاء تحولات الواقع العربي والأزمات التي يعانيها والمشكلات التي يواجهها. وقد تمكّن شعراء عدّة من تطوير أفقها ولغتها وبعدها الإيقاعي بعدما لمست ذروتها مع رُودها من أمثال: بدر شاكر السياب، صلاح عبد الصبور، نزار قباني، أدونيس، أحمد عبد المعطي حجازي، بلند الحيدري، سعدى يوسف، خليل حاوي وسواهم.

● قصيدة النثر هي التي تسيطر الآن على المشهد الشعري مستميلةً معظم الشعراء الشباب على اختلاف أجيالهم. وقد أتاحت هذه القصيدة، للشعراء الجدد حيّزاً من الحرية في التعبير والكتابة والتجريب النصّي واللغوي، وذلك بالنظر إلى تحرّرها من الإيقاع العروضي. وقد تعدّدت فيها الأساليب والتيارات وتشكّلت فيها أنواع واتجاهات وذلك بعد نحو خمسين سنة على انطلاقها مع شعرائها الرواد من أمثال محمد الماغوط وأنسي الحاج وتوفيق صايغ. وكما اكتسبت هذه القصيدة شرعيّتها مع الأجيال اللاحقة التي اعتنقتها وراحت تطوّرها متكئة على النتاج الشعري العالمي، ولم تعد تتعرّض للحملات التي تعرّضت لها في السابق، بخاصة بعد أن

